



المجلة الدولية



أبحاث في العلوم التربوية والأنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات
العلوم التربوية والأنسانية والآداب واللغات

تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق
ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية
رماح - عمان - الأردن

المجلد 01 العدد 06 الجزء 01 بتاريخ 2020/11/15م

عبر خاص بأعمال المؤتمر الدولي الحثم الثاني العلوم الأنسانية والاجتماعية والتربوية الأوبية واللؤلؤية اللاتصاوية آفاق الدراسات العلمية في
مختلف التخصصات أونلاين، من تنظم مركز جامعة البصرة، كلية التربية بنات، العراق بالتعاون مع الأوسمية باشاك شهير للعلوم العربية
والإسلامية إسطنبول-تركيا، ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح)، عمان، الأردن، بتاريخ 2020/11/15-16م.

ISSN 2708-4663 D N N L D 2020-3/1128



The International Journal



Research In Educational and Human Sciences Arts and Languages

An International. Academic Peer-reviewed
Journal Interested in the Educational and
Human Sciences. Arts and Languages

Published by the University of Basra-College of Education
for Girls in Iraq and the Centre for Research and Human
Resources Development : Remah . Amman . Jordan

Volume 01 Issue 06 Part 01 : 15/11/2020

A special issue of the works of the "International Conference" "Humanities, social sciences, education, literary and economic management prospects for scientific studies in various disciplines" online, organized by the Basra University, College of Education for Girls, Iraq in cooperation with the Basaksehir Academy for Arab and Islamic Sciences Istanbul-Turkey, and Human Resources Development (Remah), Amman - Jordan, on 15-16/11/2020

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

المجلد 01 العدد 06 الجزء 01

عرو خاص بأعمال المؤتمر الدولي الحثم الثاني «العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية للأوبية
والإلورية اللاتصاوية آفاق الدراسات العلمية في مختلف التخصصات» أونلاين، من تنظيم مركز جامعة
البصرة، كلية التربية بنات، العراق بالتعاون مع أكاديمية باسك شهير للعلوم العربية والإسلامية
إسطنبول-تركيا، ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماج)، عمان، الأردن، بتاريخ
2020/11/16-15م. المحور الأول: آفاق الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

إدارة المجلة

المشرف العام: أ.د/ خالد الخطيب -الأردن-

المشرف الشرفي: أ.د/ حاجي دوران -تركيا-

المشرف المباشر: أ.د/ عبد الواحد زيارة إسكندر المنصوري، جامعة البصرة، العراق

مدير المجلة: أ.د/رحيم حلو محمد البهادلي جامعة البصرة، العراق

نائب مدير المجلة: د/ نعيمة رحمانى جامعة تلمسان - الجزائر

رئيس التحرير: أ.د/ محمد قاسم نعمة الناصر جامعة البصرة، العراق

العنوان الإداري للمجلة: مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماج) شارع وصفي - عمان

الهاتف /الفاكس: 0096265153561 إيميل المجلة: researchre99@gmail.com

رابط الموقع الإلكتروني: <https://remahresearch.com>

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان، الأردن

التصنيف ضمن قواعد البيانات العالمية

القاعدة الأولى



المجلة مصنفة ضمن قاعدة بيانات ابيسكو EBSCO العالمية ومن ضمن فروعها
قاعدة ERIH مقرها بماساتشوستس الولايات المتحدة الامريكية

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

القاعدة الثانية

AskZad

مصنفة ضمن قاعدة بيانات أسك زاد ASK ZAd

مقرها بالولايات المتحدة الأمريكية، والامارات العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية
والمملكة الأردنية الهاشمية

القاعدة الثالثة

**دار المنظومة**
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

مصنفة ضمن قاعدة بيانات دار المنظومة

Dar Almandumah مقرها بمدينة الرياض، المملكة السعودية.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان، الأردن

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د/ عصام كاطع داود الشويلي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ تحرير علي حسين علوان، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ هاشم صالح مناع، جامعة الإسرائ، عمان، الأردن
أ.د/ حميد سراج جابر الأسدي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ فالح صدام منشد الإمارة، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ فريد أمعضشو، جامعة وجدة، المغرب
أ.د/ ماجد عبد الحميد عبد الكعبي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ خالد الجندي الجامعة اللبنانية لبنان
أ.د/ عمار محمد يونس الساعدي، جامعة كربلاء، العراق
أ.د/ زمان عبيد وناس المعموري، جامعة كربلاء، العراق
أ.د/ فاضل بيات مركز إرسيكيا تركيا
أ.د/ حيدر عبد الرضا حسن التميمي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ رشيد محمد كهوس، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب

أ. د/ وجدان فريق عناد العارضي، جامعة بغداد، العراق
أ.د/ سعد عبود سمار السوداني، جامعة واسط، العراق
أ.د/ شعيب مقنوني، جامعة تلمسان، الجزائر
د/ أسامة إسماعيل عطا الله، جامعة فلسطين
د/ بولرباح عثمان، جامعة الأغواط، الجزائر
د/ عبد الرحيم قصبواوي، جامعة القنيطرة، المغرب
د/ زينب دهيمي، جامعة ورقلة، الجزائر
د/ ليلي العبيدي، جامعة منوبة، تونس
د/ مها بن سعيد، جامعة الرباط، المغرب
د/ مومني بوزيد، جامعة جيجل، الجزائر
د/ علي حمزة عباس عثمان الصوفي، جامعة الموصل، العراق
د/ بلقايد عمارية، جامعة تلمسان، الجزائر
د/ بلحميتي أمال، جامعة مستغانم، الجزائر
د/ رسول بلاوي، جامعة خايج فارس، بوشهر، إيران
د/ عصام محمد حسن كايد، جامعة الإسراء، الأردن
د/ عائشة عبد الحميد، جامعة الطارف، الجزائر
د/ أنوار جاسم مطلق، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق
د/ ميس عبد الكريم إسماعيل، جامعة دمشق، سوريا
د/ علي كشرود، جامعة الجزائر -2، الجزائر
د/ عبد الرؤوف أحمد عايش بني عيسى، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن

رئيس المؤتمر

الأستاذ الدكتور عبد الواحد زيارة إسكندر المنصوري، العراق

نائب رئيس المؤتمر

الأستاذ الدكتور رحيم حلو محمد البهادلي، العراق

رئيسة اللجنة العلمية

الأستاذة الدكتورة نعيمة رحمانى - الجزائر

أعضاء اللجنة العلمية

العراق	أ.د. عصام كاطع داود
العراق	أ.د. محمد قاسم نعمة
العراق	أ.د. حيدر عبد الرضا التميمي
المغرب	أ.د. رشيد محمد كهوس
تركيا	أ.د. عناد الدين الرشيد
تركيا	أ.د. مصطفى قطب
الجزائر	أ.د. بلال شيخي

السعودية	أ.د صائب كامل اللالا
الجزائر	أ.د بلقاسم ماضي
الاردن	أ.د عبدالرؤوف بني عيسى
الاردن	أ.د نضال يوسف
الاردن	أ.د محمد أبو بكر
الاردن	أ.د محمد القاضي
الاردن	أ.د محمد فاضل محاسنة
فلسطين	أ.د شاهر عبيد
الاردن	أ.د راضي أبو هواش
تركيا	د. أحمد صوان
العراق	د. إيمان محمد عبيد
تركيا	د. خالد ناصيف
الجزائر	د. نبيل ونوغي

الأردن	د. عليا عويدي العبادي
الجزائر	د. سهام عباسي
العراق	د. علي الصوفي
الجزائر	د. سماح محمودي

رئيس اللجنة التحضيرية

الأستاذ الدكتور فهمي البلاونه - الأردن

نائب رئيس اللجنة التحضيرية

أ. أسعد الشمسي - تركيا

أعضاء اللجنة التحضيرية

الأردن	أ.د. عماد الصعيدي
العراق	د. أنير عبد الكريم صادق
السعودية	د. صائب اللالا
الجزائر	د. خديجة السبخاوي
لبنان	د. نور عبيد

شروط النشر في المجلة

- الأفكار والآراء التي يتضمنها البحث لا تعبر عن رأي المجلة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ إدارة المجلة بفروعها وخاصة هيئة التحرير، غير مسؤولة عن أيّ سرقة علمية تتم في البحوث المقدمة لها.
- 1- تنشر مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات الأبحاث الأصيلة ذات المنهجية العلمية الرصينة والتي تلتزم بالموضوعية، وتتوافر فيها الدقة والجديّة.
 - 2- كلّ بحث لا يحترم شروط النشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.
 - 3- تخضع كلّ الأبحاث إلى التحكيم من قبل هيئة مختصة، ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يقوم الباحث بالتعديلات المقترحة.
 - 4- للمجلة كلّ الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلة.
 - 5- لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءاً من كتاب منشور.
 - 6- يتعهد الباحث بعدم تقديم البحث للنشر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، إلا بعد الحصول على إذن كتابيّ بذلك من مدير المجلة.
 - 7- لا تتجاوز صفحات البحث المقدم 25 إلى 30 صفحة.
 - 8- على الباحث احترام شروط الكتابة التالية:
*تحتوي الصفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها باللغة العربية واللغة الانجليزية، البريد الالكتروني للباحث، ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة حجم 12 بلغة المقال وبلغة أجنبية (الإنجليزية)، الكلمات المفتاحية بعد الملخص.

*تقدّم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم 14، تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 14 مثلها مثل النصّ الرئيسي لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللغة اللاتينية فتكتب بخط Time new Roman، بحجم 12 وتكون الحواشي 4 سم على جوانب الصفحة الأربعة، كما تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحية أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحية أسفلها.

*يلتزم الباحث بتهميش المعلومات آخر البحث.

*بالنسبة لعلامات الترقيم، توضع النقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النقطة وبداية الجملة التالية. كما لا توضع النقطة (.) أبداً في العناوين، أما إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعي والآخر رئيسي فيفصل بينهما بنقطتين.

*تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.

* عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

9-الأفكار والآراء التي يتضمنها البحث لا تعبر عن رأي المجلة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ إدارة المجلة وفروعها خاصة هيئة تحرير، غير مسؤولة عن أيّ سرقة علمية تتم في البحوث المقدمة لها.

10- يرفق صاحب البحث تعريفاً مختصراً بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي

ترسل الأبحاث إلى إيميل المجلة researchre99@gmail.com

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان، الأردن

الفهرس

ص15	كلمة المشرف
ص16	مدى تأثير تكنولوجيا الاتصال الحديثة على العلاقات الأسرية بين أفراد المجتمع الجزائري. -دراسة ميدانية على عينة من الأسر من ولاية تيزي وزو، بومرداس - د.سوميشة هارون د. عزيزة عيسي
ص38	الجودة الشاملة في الجامعات العربية ودورها في مواجهة العولمة طالبة السنة الثالثة دكتوراه لبندة زغلاش
ص61	على الثقافة العربية والإسلامية عولمة القيم وأثرها المدرس قاسم العبي موسى
ص78	التنشئة الاجتماعية في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال: مقارنة نظرية. د. لغرس سوهيلة
ص98	أساليب قياس صعوبات التعلم وتشخيصها لدى المتعلم . د. حميدة حدي د. لخصر بوغنيقة
ص111	الاتزان الانفعالي لدى طلبة الجامعة المدرس هبة مؤيد محمد م.م سعد حسن حمود م.م قصي مهدي مطر
ص138	سيكولوجية المراهقة طالبة الدكتوراه صفاء معروف

ص 153	العوامل الأسرية و دورها في ظهور جنوح الأحداث طالبة الدكتوراه سقطني مارية د. زرزور احمد
ص 171	الاستبعاد الاجتماعي للمتمدرسين التوحدين والصعوبات التي تواجههم في تحقيق التكيف الاجتماعي-المجتمع الجزائري نموذجاً- ط.د حفصة رزيق ط.د نادية قدام ط.د تفاعلة بوثلجة
ص 187	علاقة الضغوط المهنية بالدافعية للإنجاز لدى عينة من أساتذة كلية التربية قمينس حنان مصطفى حسن الأطرش نجلاء فرج مفتاح احميد
ص 213	الفكر الديني والشعبي بين الحقيقة وتزييف الوعي في العراق والعالم (جائحة كورونا نموذجاً) أ.د. دكتور حسين عودة هاشم النور أ.م.د. جعفر عبد الدائم بنيان المنصور
ص 234	هودة بن علي الحنفي دراسة في سيرته الشخصية د. مصطفى جواد عباس د. قحطان جواد مطرود
ص 258	ملاكات الاحكام الشرعية في الفقه المعاصر المدرس مرتضى جواد عواد المدوح
ص 283	علماء ليبيا ودورهم في خدمة المذاهب الفقهية من خلال كتاب الفتاوى الكاملة محمد كامل ابن مصطفى الطرابلسي الباحث عبد الناصر القمودي المليطي أ.د حسن الدين بن محمد
ص 307	الخلافا العقدي وأثره في تأويل النص الديني عند القدماء د. نسيمه بغداداي
ص 327	العام في القراءات القرآنية(المعرف بالإضافة انموذجا) م. د. ورفاء عبد السلام عبد الوهاب الفارس

ص349	جمالية الإيقاع الصوتي الفني في القرآن الكريم- سورة الرحمن أمودجا- طالب الدكتوراه خالد د. بلبشير عبد الرزاق
ص373	الجملة الإسنادية الحالية (ذات التركيب البسيط) في سورة البقرة دراسة في أنماطها وبنيتها العميقة ودلالاتها أ.م.د. سمير داود سلمان
ص402	تاريخ الاستشراق ودوافعه وأساليبه أ.د. رحيم حلو محمد البهادلي الباحثة رواء موسى عباس
ص415	رحلة يوهان شيلتيرجر الألماني إلى الأراضي الإسلامية (1427.1396 م) ووصفه لمملكتي بني عثمان وتيمور لنك وانطباعاته عن الإسلام والمسلمين أ. م. د. علي زهير هاشم
ص442	الأتراك والهياطلة ومساهماتهم في تنظيمات جيش الدولة الساسانية (226-651م) الدكتور أنور عبد علي حميد المتيّاح
ص461	المنظمة الخاصة نواة الثورة التحريرية الجزائرية 1947-1954 طالب دكتوراه، محمد رايح طالب دكتوراه، محمد زروقي
ص481	صفات الشخصية العربية في المصادر المسمارية دراسة تاريخية الأستاذ المساعد الدكتور عبد الغني غالي فارس
ص514	أفاق الدراسة في تخصص علم الآثار الدكتورة سميحة ديفل
ص534	تطبيق نظرية صفوف الانتظار بمستودعات المشتقات النفطية في محافظة البصرة عام 2020 - دراسة في جغرافية النقل - م.د. علي حسين خميس

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ص561	إدموند هوسرل والتأسيس الفينومينولوجي للعلوم للإنسانية: الفلسفة أمودجا طالبة الدكتوراه سعاد طيباوي
ص589	الأخلاق البايولوجية عند هابرماس في ظل جائحة كورونا أ.م.د. حمزة جابر سلطان الباحثة ببداء داود سلمان
P601	La sociologie clinique du vêtement religieux chez les jeunes étudiantes algériennes Boulahdour Nassima /Doctorante

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والانسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

كلمة المشرف على المجلة

بخطوات ثابتة تسيير مجلة (ابحاث في العلوم التربوية والانسانية والاداب واللغات) لتمنح الفكر الانساني ألقه المعربي الوهاج من خلال نشر الابحاث التي تجود بها اقلام الباحثين العرب في وطننا العربي الكبير ، ويطلع العدد السادس من مجلتنا بمهمة نشر ابحاث المؤتمر العلمي الدولي الثاني الذي اقامته كلية التربية للبنات / جامعة البصرة وبالتعاون مع اكااديمية باشاك شهير للعلوم العربية والاسلامية اسطنبول/ تركيا ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح) عمان / الاردن للمدة من 15 - 2020/11/16 ،وقد احتوى هذا العدد أكثر من تسعين بحثاً في مختلف التخصصات الانسانية لباحثين من العراق ومصر وسوريا والجزائر والمغرب وتونس واليمن والاردن وتركيا ليضيف للمعرفة الانسانية طروحات تتميز بالجدة والاصالة والرأي الحر.

ايها القارئ الكريم في هذا الوطن الكبير ما زلنا نقدم كل ما يليق بك وبلغتنا وبأمتنا والله من وراء القصد.

ومن الله التوفيق.

المشرف

أ.د. عبد الواحد زيارة اسكندر المنصوري

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مدى تأثير تكنولوجيا الاتصال الحديثة على العلاقات الأسرية بين أفراد المجتمع الجزائري.

-دراسة ميدانية على عينة من الأسر من ولاية تيزي وزو، بومرداس -

سوميشة هارون . استاذة محاضرة .

جامعة مولود معمري. تيزي وزو . الجزائر.

cherifkamal@yahoo.fr

الدكتورة عزيزة عيسي استاذة محاضرة

جامعة مولود معمري. تيزي وزو. الجزائر

aiciuniv@live.fr

تاريخ الإيداع: 2020/10/30 م تاريخ التحكيم: 2020/11/06 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

من اجل الوقوف أكثر على طبيعة العلاقات الأسرية في ظل التكنولوجيا و العولمة و انتشار استخدام الانترنت، حاولنا من خلال هذه الدراسة الوقوف على اثر مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية في الأسرة الجزائرية، و ذلك من خلال الإجابة على مجموعة من الأسئلة؛ تمحورت حول ما إذا كانت هناك فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الزوجين و على العلاقة بين الآباء و الأبناء في الأسرة الجزائرية باختلاف مدة استخدامهم لهذه المواقع حسب أغراضهم من استخدامها.؟

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا الاتصال الحديثة، العلاقات الأسرية، الاتر.

The extent of the impact of modern communication technology on family relations between members of Algerian society

-A field study on a sample of families from TiziOuzou and Boumerdes wilaya-

Dr Soumiha Haroun

University of Mouloud Mameri. Tizi ousou .Algeria

cherifkamal@yahoo.fr

Dr Aziza Aici

University of Mouloud Mameri. Tizi ousou .Algeria

aiciuniv@live.fr

Abstract :

In order to learn more about the nature of family relationships in the light of technology, globalization and the widespread use of the Internet, we tried through this study to find out the effect of social media on Algerian family relations. To achieve this goal, we attempted to find answers to a set of questions; this study

Focused on whether there are differences in the impact of social networking sites on the relationship between married couples and on the relationship between parents and children in the Algerian family according to the time they use these sites and according to their purposes of use.

To achieve this purpose, we adopted the descriptive comparative approach, applying two questionnaires to an intended sample. It included 30 families distributed among 40 husbands and wives and 30 sons, all of them use social networking sites at home, chosen from the wilaya of TiziOuzou, Boumerdes.

And after analyzing the data obtained, we came to confirm that there are differences in the impact of social networking sites on the relationship between married couples and on the relationship between parents and children in the Algerian family, according to the duration of their use of social media and according to their purposes of use. From that, we concluded that the most necessary thing is how to rationally exploit social media sites and not fight their use, and from that we formulated some suggestions.

Keywords: Modern communication technology, family relations, Alter

الإشكالية:

لا يزال العالم يعيش الكثير من التغيرات المتسارعة في مجال الاتصال وتكنولوجيا المعلومات، مما أفرز عالما شبيها بقرية كونية يتجول فيها الأفراد، تختفي فيها عناصر الزمان والمكان والمسافات والحدود في أجزاء من الثانية، خاصة بعد أن ظهرت أشكال جديدة من الاتصالات، مثل: شبكات مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من النظم التي تعمل على بناء الجسور بين الأقران، الجماعات والأشخاص.

أدى تنوع تطبيقات الانترنت و اختلاف مهامها ووسائل التعامل معها خلال السنوات القليلة الماضية إلى تحولها لوسيلة جذب لفئات متنوعة من الافراد على اختلاف أعمارهم واهتماماتهم، فبعد أن كان استخدامه في السابق مقصوراً على الكبار وخاصة فئة الباحثين، فقد انتشر أكثر ليشمل كل الشرائح بأعداد كبيرة من الأطفال و المراهقين والشباب الذكور منهم و الإناث الذين وجدوا فيه وسيلة ممتعة لتحقيق الكثير من رغباتهم و إبراز شخصياتهم، ولعل من أبرز تلك التطبيقات التي جذبت كل هذه الفئات هي الشبكات الاجتماعية عبر الانترنت وأشهرها YouTube و Twitter و Facebook و My Space وذلك لسهولة استخدامها ومرونة القيود المفروضة على الاشتراك فيها، إضافة إلى أن طبيعة الإنسان ورغبته في تكوين العلاقات مع اقرانه، فضلاً عن توفر وقت فراغ كبير في حياته، مع محدودية

الفرص المتاحة له خارج المنزل للالتقاء بالآخرين، والتي كانت عاملاً أساسياً في انضمام الكثير منهم لتلك الشبكات.

اكتسبت مواقع التواصل الاجتماعي أهمية كبيرة، وتوسعت شهرتها في فترة زمنية وجيزة داخل ساحات الإنترنت، كما أنها تغلغلت داخل حياة الأفراد وأحدثت نقلة نوعية في العلاقات والتفاعلات الاجتماعية وغيرت طابع الحياة الاجتماعية، على مستوى الأسرة النووية و المجتمع على حد سواء، وأصبح الأفراد يتواصلون بينهم عبر مواقع الشبكات الاجتماعية من أجل تلبية احتياجاتهم المختلفة للاتصال بالآخرين، والحصول على المعلومات، وتكوين الصداقات والعلاقات... وما إلى ذلك، بعيداً عن الاتصال المحسوس بالعالم الخارجي. فأصبح الآن من الممكن التجوال و الاتصال و التعامل مع العالم كله، و لم يعد هناك شيء يريد الفرد نيله و لا يجده عبر مواقع التواصل الاجتماعي (1)، ومن ذلك فان الفرد باستطاعته عن طريق هذه المواقع كلها إشباع معظم حاجاته و مطالبه، التي تختلف باختلاف مراحل نموه ، مما جعل الصغير و الكبير يقبل عليها ، حتى أصبح من النادر أن نجد أسرة تفتقر لمصدر واحد للاتصال عبر الانترنت مما غير مجرى العلاقات الاجتماعية عامة و الأسرية على وجه الخصوص، و أصبح أفرادها غالباً لا يتواصلون عن طريق الفم مباشرة، وإنما يستخدمون وسائل اتصال حديثة، مثل الانترنت، الهاتف النقال للاتصال حتى بين أفراد المنزل الواحد، و لم يصبح اقتناء بعض وسائل التكنولوجيا من الكماليات أو مظهر من مظاهر التحضر والحداثة، بل بلغ هذا التملك درجة الهوس، إذ أصبح بمعدل جوال لكل فرد، لصيق به لا يفارقه في حله و ترحاله، مكالمات ورنات لا تنتهي، رسائل قصيرة، لا يتوقف عن كتابتها، تفحصات لمواقع مختلفة، استقصاء لإخبار جديدة و غيرها مما جعل مجرى الحياة كله يتغير كما أكد ذلك ميشيل فانسون في دراسته عام 2010 م، على عينة قوامها 1600 شاب من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في بريطانيا أظهر من خلالها أن الأفراد أصبحوا يتحدثون بصورة أقل عبر الهاتف ولا يشاهدون التلفاز كثيراً، وأن شبكات التواصل الإلكترونية قد غيرت نمط حياة 53% من أفراد العينة. و لا شك في ان الأسرة الجزائرية ليست إطلاقاً في معزل عن ذلك، إذ أشار محسن عقون(2002)" (2) من ان الأسرة الجزائرية الحديثة أصبحت تشبه إلى حد كبير الأسرة الأوروبية التي تعيش في وسط حضري، سواء في عدد الأطفال أو من حيث المعاملات، بناء على ما يقدم في وسائل الإعلام من نماذج يقتدى بها في المجتمع الجزائري، وأن الأسرة

الجزائرية هي في حالة تحول مستمر وأنه - في نظره - في المستقبل ليس بالبعيد لا بد أن تتلاشى وتختفي الأسرة الممتدة لتحل محلها الأسرة النووية لضرورة يفرضها الواقع المعيش إضافة إلى الظروف المادية والتكنولوجية المعقدة التي تتلاءم مع طبيعة الأسرة النووية .

بغض النظر عن هذا التحول و التغير في تركيبة الأسرة عامة و الأسرة الجزائرية على وجه الخصوص والتي تحولت من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية فإن أقدس ما فيها هي تلك العلاقات الأسرية السليمة التي تربط أفرادها، سواء الزوجين أو الآباء و الأبناء أو الأبناء بعضهم البعض، لأنها الأساس في الحفاظ على تماسك الأسرة و استمرارها مما يجعل الأسرة وحدة للتفاعل الاجتماعي المتبادل بين أفرادها الذين يقومون بتأدية الأدوار والواجبات المتبادلة بين عناصرها بهدف إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية لأفرادها و من هذا المنطلق كلما كانت العلاقات الأسرية و التماسك الأسري بين أعضاء الأسرة قويا و سليما كلما كانت الأسرة سليمة و كان الجو الأسري ملائما لتكيف أبنائها و سلامة نموهم، الشيء الذي تؤكدته دراسة خليل (2000)(3) التي أسفرت عن أن الأسرة المترابطة تحقق قدرا أكبر من الأمان الأسري لأبنائها مما ينعكس إيجابا على صحتهم النفسية و تفاعلهم الايجابي في المجتمع . ومن هنا تظهر الأهمية القصوى للدراسات و البحوث في مجال الأسرة و العلاقات الأسرية .

تناولت بحوث عديدة - كما ذكر بوشلي (2006)-(4) موضوع الانترنت و شبكات التواصل الاجتماعي من منظورين مختلفين: المنظور الأول يرى في هذه المواقع فرصة لتبادل الاتصال والمعرفة، والقضاء على عوائق الزمان المكان، ومن خلالها يتقارب الأفراد وينشعون علاقات اجتماعية جديدة، أما المنظور الثاني فينظر نظرة تشاؤمية لهذه الشبكات؛ إذ يرى أنها تشكل مصدر خطر حقيقي على العلاقات الاجتماعية، وتؤدي إلى ميلاد مجتمع يحمل عوامل القطيعة مع التقاليد الثقافية، كما تؤدي إلى العزلة، وتفكك نسيج الحياة الاجتماعية، ويرى هؤلاء أن وسائل التواصل الاجتماعي قد اقتحمت الحياة العائلية بحيث قللت من فرص التفاعل والتواصل داخل الأسرة. و من اجل الوقوف أكثر على طبيعة العلاقات الأسرية في ظل التكنولوجيا و العولمة و انتشار استخدام الانترنت، أردنا من خلال هذه الدراسة الوقوف على اثر مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية في الأسرة الجزائرية، ذلك بمحاولة الإجابة عن السؤال التالي:

هل يؤثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية في الأسر الجزائرية؟
و يتفرع إلى الاسئلة الجزئية التالية:

- هل هناك فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الزوجين في الأسرة الجزائرية باختلاف مدة الاستخدام؟

- هل هناك فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الزوجين حسب أغراضهم من استخدامها؟

- هل هناك فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة الآباء و الأبناء باختلاف مدة الاستخدام؟
- هل هناك فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الآباء و الأبناء حسب أغراضهم من استخدامها؟

فرضيات الدراسة:

- يؤثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية في الأسر الجزائرية.

الفرضيات الجزئية:

- هناك فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الزوجين في الأسرة الجزائرية باختلاف مدة الاستخدام.

- هناك فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الزوجين حسب أغراضهم من استخدامها.

- هناك فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الآباء و الأبناء باختلاف مدة الاستخدام.

- هناك فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الآباء و الأبناء حسب أغراضهم من استخدامها.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من :

- أهمية الشريحة التي تستهدفها، ألا و هي الأسرة التي كانت و مازالت و ستبقى الخلية الأساسية في بناء اي مجتمع، يقف صلاحه على صلاحها، أين يكتسب الفرد أهم الاتجاهات النفسية والاجتماعية عن طريق

التعلم والتقليد، وهي مصدر الأخلاق والرعاية الأولى لضبط السلوك، و التي يبدأ تكوينها من الزوجين اللذان يشكلان افعال الأطراف في المجتمع و الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الأسرة، في أي مجتمع من المجتمعات. -الانتشار الرهيب لظاهري الطلاق و الخلع في الجزائر التي تبقى دوافعها و أسبابها مهما تعددت و اختلفت، إلا أنها مرتبطة في معظمها بطبيعة العلاقات الزوجية و الأسرية التي تمثل احد أسس التوافق الأسري، هذا الأخير الذي يقف عليه نجاح الأسرة كبناء اجتماعي أساسي للمجتمع. - أهمية العلاقات الاجتماعية خاصة الأسرية الداخلية منها في تنشئة الأبناء تنشئة سليمة، مما يجعل البحث في الأمور التي قد تمسها بالضرر من اجل الوقاية منه حفاظا على سلامتها شيء هام. -الانتشار الرهيب لمواقع التواصل الاجتماعي وسهولة الاشتراك بها دون مقابل مادي و زيادة الإقبال عليها، و التي فرضت نفسها بقوة و أصبحت مصدرا مهما بتغييرها للكثير من سبل المعرفة و التواصل، و تعدى تأثيرها ليشمل حتى القيم و المعايير الاجتماعية، إذ أشارت إحصائيات 2007 إلى أن مستخدمي الفيسبوك بلغ 75 مليون مستخدم و قيمته قدرت ب 915 مليار دولار.

أهداف الدراسة:

- الكشف عن مدى تأثير استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية في الأسر الجزائرية، و ذلك من خلال:
- الكشف عن الفروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الزوجين في الأسرة الجزائرية باختلاف مدة الاستخدام.
- الكشف عن الفروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الزوجين حسب أغراضهم من استخدامها.
- الكشف عن الفروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الآباء و الأبناء باختلاف مدة الاستخدام .
- الكشف عن الفروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقة بين الآباء و الأبناء حسب أغراضهم من استخدامها.

تحديد المفاهيم الأساسية في الدراسة:

مواقع التواصل الاجتماعي: تمثل مواقع التواصل الاجتماعي " منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية" (5).

يعرفها الدارب (2009) (6) على أنها مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الإنترنت ظهرت مع الجيل الثاني للويب أو ما يعرف باسم ويب 2، تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو شبكات انتماء (بلد ، جامعة ، مدرسة ، شركة ... الخ) كل هذا يتم عن طريق خدمات التواصل التي المباشر مثل إرسال الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية للآخرين ومعرفة أخبارهم ومعلومات للعرض.

الأسرة : الأسرة مشتقة من كلمة (أسر) بمعنى (قيد). والأسرة في لغة العرب وردت بثلاث معان، الأول الدرع الحصين و الثاني أهل الرجل وعشيرته والثالث الجماعة التي يربطها رابط مشترك كأسرة التعليم وأسرة الفن وهذه المعاني في طياتها معنى التعاون، والتناصر وكأن كل واحد مشدود ومقيد بالآخر يقويه ويشد من أزره، والأسرة في المفهوم الغربي تعني الزوج و الزوجة والأولاد ما داموا في كنف أبيهم وفي بيته أشرف.

الأسرة هي " البيئة الاجتماعية الأولى التي يبدأ فيها الطفل تكوين ذاته والتعرف على نفسه عن طريق عملية الأخذ والعطاء والتعامل بينه وبين أعضائها. وفي هذه البيئة يتلقى أول إحساس بما يجب وما لا يجب القيام به، والأعمال التي إذا قام بها تلقى الذم و الاستهزاء، وبذلك تعدد للاشتراك في حياة الجماعة بصفة عامة (7).

كما تعرف الأسرة بأنها "مسرح التفاعل الذي يتم فيه النمو والتعلم والعالم الصغير للطفل الذي به تتكون خبراته عن الناس والأشياء والمواقف، كما يظل البيت حمي الطفل وملاذه الذي يلجأ إليه(8). في هذه الدراسة نقصد بمواقع التواصل الاجتماعي موقعي الفايسبوك و تويترو اليوتوب التي تستخدمها عينة الدراسة.

العلاقات الأسرية: تعرف العلاقات الأسرية حسب موسى(بدون سنة)(9) العلاقات الأسرية على أنها العلاقات الوثيقة التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون معا لمدة طويلة، و يقوم على الالتزام بالحقوق و الواجبات مما يؤدي إلى الشعور بالتماسك و الصلابة .

كما يعرفها توفيق سميحة كرم (1996)(10) على أنها العلاقات التي تجمع بين مجموعة من الأفراد الذين تربطهم رابطة الدم و القرابة، و هي تبدأ بالزوجين لتتسع و تمتد لتشمل الأولاد و أقارب الزوج و الزوجة أما في هذه الدراسة فنقصد بالعلاقات الأسرية الاتصال و التفاعل الايجابي الذي يستمر فترة طويلة من الزمن بين أعضاء الأسرة، من خلال الاتصال و تبادل الحقوق و الواجبات، والتي تنحصر في العلاقة بين الزوجين و بينهما و بين الأبناء.

إجراءات الدراسة الميدانية

الدراسة الاستطلاعية: تشكل هذه المرحلة من البحث مرحلة تجريب الدراسة بقصد استطلاع إمكانية التنفيذ، وبقصد اختبار مدى سلامة الأدوات المستخدمة في البحث و مبلغ صلاحيتها (11)، و يمكن اعتبارها صورة مصغرة للبحث تستهدف اكتشاف الطريق و استطلاع معاملة أمام الباحث قبل أن يبدأ التطبيق الكامل للخطوات التنفيذية.

و في دراستنا هذه كان الهدف من إجراءنا للدراسة الاستطلاعية هو التأكد من توفر الأسر التي يستخدم جميع أفرادها مواقع التواصل الاجتماعي و مدى سهولة الاتصال بهم، من جهة. و إمكانية التطبيق و مدى ملاءمة أداة البحث و إمكانية تجاوب أفراد العينة معها.

كانت من نتائج الدراسة الاستطلاعية ما يلي:

-أسفرت الدراسة الاستطلاعية عن عدم إمكانية تطبيق استبيان واحد على جزأين بحيث الجزء الأول للأولياء و الجزء الثاني للأبناء، و ذلك لكون بعض البنود حساسة لها طابع الخصوصية و تبقى ضمن الأسرار الشخصية خاصة ما تعلق بأغراض الاستخدام، مما اقتضى تحويل أداة البحث الى استمارتي استبيان الأولى موجهة للزوجين أما الثانية فتوجه للأبناء، بحيث تشترك النسختين في المحور الأول حول استعمالات مواقع التواصل الاجتماعي.

منهج البحث: إتباعنا للمنهج الوصفي التحليلي المقارن، الذي يعتمد على مجموعة من الإجراءات التي تعمل في اتجاه معرفة خصائص العينة و تفسير الفروق بين مجموعتين أو أكثر، لذا رأينا الأنسب و الأكثر ملاءمة لجمع المعلومات عن تأثير طريق مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية في الأسرة الجزائرية.

عينة البحث : يعد اختيار عينة البحث، من الأمور الصعبة التي يقوم بها الباحث، نظرا لما تتطلبه من الدقة؛ إذ كلما كان اختيار العينة اختيارا مناسبا، كلما أمكن استخدام الوصف للمجتمع الأكبر بقدر كبير من الدقة.

اعتمدنا في اختيارنا لعينة هذه الدراسة على الطريقة القصدية، التي تستلزم توفر شروط معينة في أفرادها. و تقوم على تقرير الباحث في اختيار الحالات التي تكوّن عينة البحث، و تحقق الهدف من الدراسة. و الشروط الأساسية في اختيارنا لهذه العينة هي:

- أن تكون الأسرة لها أبناء تفوق أعمارهم 12 سنوات حتى يتمكنوا من الإجابة على بنود الاستبيان
- أن يكون الأبناء و احد الزوجين يستعملون مواقع التواصل الاجتماعي.
- أن يكون مصدر واحد على الأقل للتواصل عبر الانترنت في المنزل.
اشتملت عينة البحث على 30 أسرة موزعة على 40 زوجا و زوجة و 30 ابنا يستعملون كلهم مواقع التواصل الاجتماعي في المنزل، اختيروا من ولاية تيزي وزو، بومرداس.

أدوات البحث: من اجل جمع البيانات عن موضوع الدراسة تم إعداد استمارتين للاستبيان واحدة للأبناء والثانية للآباء حيث اشتملت كلاهما على ثلاثة محاور بحيث تشترك الاستمارتين في المحور الأول حول البيانات الشخصية أما المحور الثاني فحول استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في حين تختلف الاستمارتين في المحور الثالث حول اثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

و تشمل الاستمارتين على 30 سؤالا متنوعا بين النصف المفتوح والمفتوح مع تجنب الأسئلة المغلقة قدر الإمكان لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات .

الأساليب الإحصائية المستعملة : كأدوات إحصائية استعملنا في هذه الدراسة كل من التكرارات، و اختبار كا² .

عرض و مناقشة نتائج الدراسة:

الفرضية الأولى : تنص هذه الفرضية على وجود فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الزوجين حسب مدة استخدامهما لها .

جدول رقم (01): يمثل نتائج اختبار ك2 لدلالة الفروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الزوجين حسب مدة استخدامهما لها .

التأثير المدة	تأثير الزوجين	تأثير الزوجين	تأثير الزوجين	ك2 المحسوبة	ك2 المجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
أقل من 3 ساعات	8	1	0	3.78	9.48	df=4	$\alpha = 0.05$
بين 3 و 5 ساعات	7	3	2				
أكثر من 5 ساعات	11	4	4				

يظهر من خلال الجدول رقم (01) أن ك2 المحسوبة اصغر من ك2 المجدولة، وهذا ما يعني رفض الفرضية الصفرية، و بالتالي فان الفرضية الأولى تحققت وتؤكد بنسبة 95 % بأنه توجد فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الزوجين حسب مدة استخدامهما لها. فكلما ازدادت الساعات التي يقضيها احد الزوجين متصفحاً مواقع التواصل الاجتماعي كلما اثر ذلك سلبياً على العلاقة بينهما، وتظهر لنا هذه النتيجة أن العلاقة الزوجية لم تنعم كثيراً من التحول و التغيير الايجابي الذي افرزه خروج المرأة للتعليم و العمل خاصة من حيث طبيعة معاملة الزوج لزوجته ، فانتقلت العلاقة إلى مستوى أرقى من حيث احترام الزوجة و النظرة الأكثر تفتحاً لمسألة تقسيم الأدوار بينهما، فبعدما كان الزوج في علاقته مع زوجته يظهر اللامبالاة والاستخفاف بآرائها وعدم الاستماع إليها، و على الزوجة أن تخدم الزوج وتحترمه وتطيعه وأن تقبل كل مظاهر سلوكه دون مناقشة أو اعتراض، في الأسرة التقليدية ، أصبحت العلاقة بين الزوجين في الأسرة الحديثة علاقة ودية خالية من مظاهر التسلط والديكتاتورية، وأخذت المرأة فيها مكانة اجتماعية لها صبغة الأهمية، والأمور بين الزوجين إنما تتم بالحوار والتشاور في مختلف الأمور الحياتية، والسماح لها بأداء أدوار أخرى ليؤكد الاحترام المتبادل أكثر ما بين الطرفين، و ما لبث الزوجين و الزوجة خاصة أن تنعم بهذا النمط الحديث من المعاملة الذي يضمن استقرار الحياة الزوجية حتى غزتها

التكنولوجية الحديثة لتفسد عليها ذلك و لتهدد الحياة الزوجية، الشيء الذي تؤكد نتائجه الدراسة المبينة في الجدول رقم (02)، فإذا عشنا كلنا غزو القنوات الفضائية التلفزيونية و كيف جعلت من أفراد الأسرة عامة ومن الزوجين خاصة أسرى الأفلام خاصة المدبلجة و القنوات الإخبارية و بعض البرامج التي أصبحت مسالة الوقت فيها لا تساوي شيئا، مما جعل الزوجين يهملون الكثير من واجبات احدهما تجاه الآخر فكم من عائلة انفصلت كان سبها المسلسلات وخاصة المدبلجة التي تأخذ وقتا كبيرا من وقت الزوجة، مما يقلل من دورها الزوجي تجاه زوجها أو أبنائها، سواء كان سببا في حرق الطعام أو سقوط الطفل الصغير.... وغيرها من المشاكل في البيت، و الأمر الآن أكثر تعقيدا و خطورة بانتشار و اتساع استعمال الانترنت عامة و مواقع التواصل الاجتماعي خاصة من قبل الزوجين، فتراهم يقضون ساعات و ساعات أمام احد مصادر التواصل الاجتماعي، و لكن لا وقت لهما لمناقشة أمور الحياة الزوجية و الأسرية والتشاور على الحياتية بصفة عامة، و أصبح التواصل مع أهم عنصرين في تكوين الأسرة مقتصر على جمل قصيرة حسبما تقتضيه الضرورة، و يزيد هذا الأمر سوءا كلما ازدادت المدة التي يقضيها احد الزوجين او كليهما على مواقع التواصل الاجتماعي، و هو ما تؤكد نتائجه الجدول رقم (01)، و ما أكدته أيضا بعض إجابات الأزواج من أفراد العينة في كون مواقع التواصل الاجتماعي مواقع مغرية، بحيث تلجأ إليها في البداية لتفصي أخبار معينة أو اتصال بأفراد معينين حتى تجد نفسك استهلكت الوقت الكثير و تعديت حدود تلبية الشيء الذي قصدته إلى إرضاء فضولك في تفحص هذا الموقع و ذاك و حديث فلان و فلان، ليكون الوقت المخصص لأداء الزوجين لأدوارهما و واجباتهما الواحد نحو الآخر هو الضحية.

أكدت العديد من الدراسات في بيئات مختلفة ما توصلنا إليه في هذه الدراسة على المجتمع الجزائري و ذلك كدراسة الهام بنت فريج العويضي (2004)(12) حول اثر استخدام الانترنت على العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة السعودية، على عينة غرضية عددها 200 أسرة، و التي كان من نتائجها أن أكدت وجود اثر للمدة التي يقضيها احد الزوجين على الانترنت في علاقتهم الزوجية.

من جهة أخرى يشير عزب (2001)(13) إلى أن استخدام الانترنت بشكل مفرط سبب في انهيار العلاقات الأسرية و تحطيم الروابط بين أفرادها خصوصا الزوج و الزوجة، و في حقيقة الأمر كما ذكر مكاوي و السيد (1998)(14) فان تأثير الانترنت على الزوجين قد لا يدرك بشكل مباشر و ذلك كان يتعمد

احد الطرفين استعمال الوسائل التكنولوجية بشكل عام من اجل تفادي المشاجرات اليومية، و كأنها صمام أمان ضد التوتر داخل الأسرة و بين الزوجين .

من هذا المنطلق نكشف أن مكوث مدة طويلة لتفحص مواقع التواصل الاجتماعي من قبل الزوجين يؤثر سلبا على العلاقات الزوجية في المقابل فان الضغوط و الشجارات و التوترات بين الزوجين هي ما قد يجعلهما يقضون ساعات و ساعات أمام مواقع التواصل الاجتماعي، لنقع في جدلية جديدة تفتح أبوابا لدراسات أخرى .

الفرضية الثانية: تنص هذه الفرضية على وجود فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الزوجين حسب أغراض استخدامها لها.

الجدول رقم (02): يمثل نتائج اختبار ك2 لدلالة الفروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الزوجين حسب أغراض استخدامها لها.

التأثير الغرض	سلي	إيجابي	لا يوجد تأثير	كا2 المحسوبة	كا2 المجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
تسلية و ترفيه	8	2	2	11.6	12.59	df=4	=0.05 α
مشاهدة و تنزيل الصور والأفلام الإباحية	10	2	0	11.6	12.59	df=4	
أغراض تربوية، تثقيفية و تعليمية	1	5	2	11.6	12.59	df=4	
الاتصال الاجتماعي	4	3	1	11.6	12.59	df=4	

يظهر من خلال الجدول رقم (02) أن كا2 المحسوبة اصغر من كا2 المجدولة، وهذا ما يعني رفض الفرضية الصفرية، و بالتالي فان الفرضية الثانية تحققت ونتأكد بنسبة 95 % بأنه توجد فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الزوجين حسب أغراض استخدامها لها.

و هذا التأثير يكون سلبيا كلما كانت أغراض استخدامها لها من اجل الترفيه أو من اجل مشاهدة الصور و الأفلام الإباحية مما يجعلهم يقتنون أرقى الوسائل و أكثرها تميزا بجودة الصورة، إذ تشير طوس وازي أ/عادل يوسف (2013)(15) في دراستهما على البيئة الجزائرية انه لم يعد اقتناء أحدث الابتكارات هاجسا، وإنما تجديدها بات أمرا مهما أيضا، بل أصبحت أيضا موضة وهوس يرغب ويتلهف الجميع بامتلاكها، وكذا الاشتراك بمختلف ما تقدمه شركات الاتصال من برامج وخدمات متنوعة ومتجددة ولا تحدها الحدود، فكم من بيت كان سعيدا مليئا بالدفء والحنان، فدمره استعمال الهاتف النقال، أو على الأقل دمر خطوط الاتصال بين أفرادها، وذلك إثر اكتشاف أحد الزوجين سوء استعمال هذا الجهاز، بحيث يسعى عشرات من الرجال إلى تجريب العلاقات العاطفية السرية عبر الهاتف، و يذكر نفس الباحثين قول هيللين رولاند في أن الرجل يتزوج امرأة واحدة كي يهرب من سائر النساء، ثم يطارد سائر النساء لينسى تلك الواحدة، كيف لا و لصور الترويجية عبر الانترنت لا تخلو من الإغراءات التي تصور النساء في أحسن حللهن لتجعل الرجل دائم المقارنة بين ما لزوجته من صفات و بين ما تشهر به مواقع التواصل الاجتماعي من صور مغرية، و ليس غباء من واضعها التركيز على حاسة البصر لاستقطاب أكبر عدد من المتفحصين. و من ذلك إن كنا نستعمل في السابق مصطلح الخيانة الزوجية لنعنت تلك العلاقة التي يقوم بها احد الزوجين مع غير جنسه، فإننا اليوم سنستعمل مصطلحا آخر أفرزته التكنولوجيا الحديثة للدلالة على نفس المعنى، ألا و هو الخيانة الالكترونية، التي تتم فيها الخيانة الزوجية. و في هذا الصدد يشير طوس وازي أ/عادل يوسف (2013)(16) إلى أن وجود الانترنت في البيت واستعمالها بغير عقلانية، يهدد ترابط العلاقة الأسرية الحميمية، إذ يزيد من شك أحد الزوجين في الاستعمال لهذا التكنولوجيا في حد ذاتها، خاصة بظهور آفات اجتماعية ومواقع غير أخلاقية على الشبكة العنكبوتية، مما يؤدي إلى ظهور خيانة زوجية، وخاصة عند إحساس احدهما بالبرودة العصبية من الطرف الآخر، مما يؤدي إلى الهروب إلى المواقع المخلة بالحياء، وكذا مواقع الشات وغيرها، و صارت العلاقات الحميمية بين الزوج و زوجته تعوض بعلاقات حميمية أخرى بين احدهما و جهاز الاتصال الالكتروني، و عوض أن يدير الزوج وجهه لزوجته، أصبح يدير ظهره لها ليتفرغ وجهه لهذا الجهاز، و لا حاجة لاحتساب الوقت الذي يقضيه متفحصا مواقع التواصل الاجتماعي الذي

يصعب على الزوج خاصة التحكم فيه، لتجعل الزوجين يشعران بالوحدة و هما مع بعض، إلى درجة أن يعتبر احدهما وجود الآخر كعدمه، كما أسفرت عن ذلك بعض إجابات أفراد عينة البحث.

الفرضية الثالثة: تنص هذه الفرضية على وجود الفروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الآباء و الأبناء حسب مدة استخدامهم لها.

جدول رقم (03): يمثل نتائج اختبار ك2 لدلالة الفروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الآباء و الأبناء حسب مدة استخدامهم لها.

مستوى الدلالة	درجة الحرية	كا2 المجدولة	كا2 المحسوبة	ح ₁ ح ₂ ح ₃	ح ₁ ح ₂ ح ₃	ح ₁ ح ₂ ح ₃	التأثير المدة
$\alpha = 0.05$	df=4	9.48	3.21	1	1	5	اقل من 3 ساعات
				1	3	3	بين 3 و 5 ساعات
				3	5	8	اكثر من 5 ساعات

يظهر من خلال الجدول رقم (03) أن كا2 المحسوبة اصغر من كا2 المجدولة، وهذا ما يعني رفض الفرضية الصفرية، و بالتالي فان الفرضية الثالثة تحققت ونتأكد بنسبة 95 % بأنه توجد فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الآباء و الأبناء حسب مدة استخدامهم لها. و بذلك فان استخدام الأبناء مواقع التواصل الاجتماعي يكون سلبيًا كلما ازدادت مدته، و ذلك تؤكد نتائج عدة دراسات كتلك التي توصلت إليها هناء كمال أبو اليزيد (2008)(17) أن الشباب من عمر 12 إلى 35 عامًا يشعرون بالعزلة الاجتماعية؛ وذلك بسبب الاستخدام المفرط للإنترنت، وذلك يؤثر على العلاقات الأسرية. وعلى الرغم من ذلك فإنهم يشعرون بالراحة في التعامل مع أصحاب العلاقات الافتراضية من داخل الإنترنت، كما تشير علياء سامي (2007)(18) إلى أن 62 % من الشباب الجامعيين يستغنون عن الجلوس مع أفراد يعرفونهم عبر الاتصال الشخصي، وأكدت أن نسبة التأثير السلبي للإنترنت على العلاقات الاجتماعية هي 33.1%، خاصة العلاقات الأسرية. وانفقت مع ذلك دراسة Scott E. Caplan (2005) (19)،

حيث أشارت إلى أن فقد الأفراد التواصل الاجتماعي المباشر مع غيرهم بسبب كثافة استخدامهم للإنترنت، بل وأضافت أنهم وجدوا مميزات في التواصل الافتراضي عن التواصل المباشر؛ حيث أن التحكم في المحادثات الإلكترونية يكون أسهل من المحادثات المباشرة، كما أنهم يفضلون التواصل الافتراضي عن التواصل المباشر، ولكنهم لا يستطيعون التحكم في الوقت الذي يقضونه أمام الانترنت بصفة عامة؛ لذلك أثرت على علاقاتهم المختلفة ودراساتهم .

و من جهته يشير اشرف جلال (2009)(20) إلى انه كلما انغمس الشباب في استخدام الوسائل اتجهوا إلى الانسحاب من العالم الواقعي، وانخفض مستوى تفاعلهم سواء أكان ذلك زمنيا، بحكم أن الوقت المخصص لهذه الوسائل يطغى على وقت الأسرة، أم نفسيا، بحكم أن الفرد يخلق لنفسه عالما خاصا بعيدا عن تفاعل الأسرة، الذي لا يخلو من وجهة نظره من نصائح، وتوجيهات، وسلطة أبوية.

هذا و قد أجرى ميشيل فانسون دراسة عام 2010 م، على عينة قوامها 1600 شاب من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في بريطانيا، بهدف التعرف على أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية، توصل من خلالها إلى عدة نتائج، منها أن أكثر من نصف الأشخاص البالغين الذين يستخدمون مواقع من بينها الفيسبوك واليوتيوب قد اعترفوا بأنهم يقضون وقتا أطول على شبكة الإنترنت من ذلك الوقت الذي يقضونه مع أصدقائهم الحقيقيين أو مع أفراد أسرهم. وأظهرت الدراسة أيضا أنهم يتحدثون بصورة أقل عبر الهاتف ولا يشاهدون التلفاز كثيرا، وأن شبكات التواصل الإلكترونية قد غيرت نمط حياة 53 % من أفراد العينة، كما تشير نتائج دراسة حلمي خضر ساري عام 2003 (21) انه نجم عن استخدام الشباب للإنترنت، تراجع في مقدار التفاعل اليومي بينهم وبين أسرهم وتراجع في عدد مقدار التفاعل اليومي بينهم و بين أسرهم، و تراجع عدد زيارتهم لأقاربهم. كما أسفرت نتائج نفس الدراسة على أن هناك حالة من العزلة والاعتزاب النفسي بين الشباب باعد بينهم وبين مجتمعهم إذ بلغت نسبة من شعر منهم بهذه الحالة (40.3%)، وفي نفس الوقت تعمل الإنترنت على تقريب البعيدين مكانيا عبر اختزال المسافات الجغرافية بين ما نسبته (67.1%) منهم لتشعرهم بالقرب النفسي بأسرهم وعائلاتهم الذين يعيشون خارج الوطن.

لا يخفى عنا أن المشكلة ليست في الانترنت أو مواقع التواصل الاجتماعي كوسيلة إنما المشكلة في ضبط الوقت المخصص لها، و في مراقبة الأولياء لاستعمالات أبنائهم لها و تحكمهم هم أنفسهم في استعمالاتهم لهذه المواقع، هذا الوقت الذي يطول كلما زاد تحكم الأفراد في بعض تقنيات الاتصال و كلما زادت دائرة العلاقات الافتراضية لديهم، و بالموازاة تزيد مشاعر الاكتئاب والقلق والوحدة، ليزيد سعيهم وراء استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لإشباع احتياجات نفسية، أو اجتماعية هو في حاجة إليها و هكذا يسمح الفرد في حلقة مفرغة بين عالم افتراضي مزيف و عالم حقيقي ضيعه. و في هذا الشأن دعت سماح رمزي (2007)(22) إلى ضرورة توجيه الأسر للأبناء وإرشادهم للاستخدام الصحيح للإنترنت، ومتابعتهم، وكذلك لا بد أن تهتم الأسرة بالاحتياجات النفسية والاجتماعية للأبناء، والعمل على إشباع هذه الاحتياجات؛ لكي لا يقع الأبناء فريسة لهذه التقنية، وذلك عن طريق تبني سياسة الوعي في مراقبة الأبناء عند تعاملهم مع الإنترنت .

الفرضية الرابعة

تنص هذه الفرضية على وجود فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الآباء و الأبناء حسب أغراض استخدامهم لها.

جدول رقم (04): يمثل نتائج اختبار كا² لدلالة الفروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الآباء و الأبناء حسب أغراض استخدامهم لها.

مستوى الدلالة	درجة الحرية	كا ² الجدولة	كا ² المحسوبة	لا يوجد تأثير	البحر	تربة	التاثير الغرض
0.0 $\alpha = 5$	df=4	12.59	7.62	1	3	4	تسليية و ترفيه
				0	1	7	مشاهدة و تنزيل الصور والأفلام الإباحية

				2	3	3	اغراض تربوية، تثقيفية و تعليمية
				1	2	3	الاتصال الاجتماعي

يظهر من خلال الجدول رقم (04) أن 2 كما المحسوبة اصغر من 2 كما الجدولة، وهذا ما يعني رفض الفرضية الصفرية، و بالتالي فان الفرضية الرابعة تحققت وتؤكد بنسبة 95 % بأنه توجد فروق في تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات بين الآباء و الأبناء حسب أغراض استخدامهم لها. و من ذلك فانه كلما مال الأفراد إلى تفحص مواقع التواصل الاجتماعي لغرض مشاهدة الصور و الأفلام الإباحية كلما اثر ذلك على العلاقات الأسرية، و ذلك بالتقليل من التفاعل مع أفراد الأسرة الحقيقيين.

ان انشغال الأبوين أحيانا بسبب العمل أو مشاغل البيت، تجعلهما أحيانا يبحثون عن فرص للاسترخاء و الراحة بعد الإفراغ من كل تلك المشاغل، و بحكم التربية التقليدية السائدة بين أفراد معظم الأسر الجزائرية فان الزوج هو من يتحصل أكثر على هذه الفرصة، مما يجعله أبا مستقبلا عن دوره في تربية أبنائه و الإشراف عليهم، لتمتص الزوجة كل الأعباء، الشيء الذي يجعلها تبحث عن أية وسيلة لتشغل بها أبنائها و يعم الهدوء التام في المنزل، و لا شك في أن الانترنت بما توفره من مواقع للتواصل الاجتماعي هو المنفذ، غافلة أن أولئك الأبناء و هم أمام أية وسيلة للاتصال محتاجون إلى إشراف و توجيه، الشيء الذي يجعلهم عرضة لإغراءات بعض المنشورات في بعض المواقع من جهة، و عرضة للإرضاء الخاطيء لدافع الفضول لديهم، خاصة ما يتعلق بالثقافة الجنسية، من جهة أخرى، مما يفتح الباب الواسع أمامهم على كل أنواع الانحرافات خاصة وان معظم الأبناء عينة البحث من فئة المراهقين.

و هذا يخالف تقارير المراهقين في دراسة نزمين حنفي 2003(23) حيث كان % 32.1 من المراهقين يرون أن الإنترنت وسيلة اتصال تنمي مهارات التفاعل، و إقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، وهذه العلاقات تساهم في التأكيد على القيم، والعادات الاجتماعية للمستخدم. وتبين أن الإناث حققن معاملات ارتباط واضحة بين معظم أنواع المعلومات التي يحصلن عليها عبر الإنترنت، ودعم الحوار الأسري مع التحفظ الكامل لهذه العلاقة فيما يخص المعلومات الجنسية، أما فئة الشباب الجامعي والخريجين فلا يوجد علاقة ارتباطية بينها وبين الحوار الأسري على جميع مستوياته، وذلك يؤدي إلى سيطرة الجماعة

الافتراضية التي تنشأ عبر الإنترنت على المستخدم، بالإضافة إلى ازدياد التأثير السلبي على السلوك مما يدفع الشباب لارتكاب المحرمات أو الجرائم. التي تأثرت هي الأخرى بعالم الانترنت و التكنولوجيا الحديثة، لنسمع بالجريمة الالكترونية و الجنس الالكتروني، الذي نشأ عن اكتظاظ شبكة الانترنت عامة بالصور الإباحية بل و تمثل سوقا لها، إذ وجدت إحدى الدراسات الأمريكية عام 2000 كما ذكر ذلك جبالا و كنفوف(2001)(24)، أن مستخدمي الانترنت يجدون المواد الإباحية على مواقع الشبكة العنكبوتية و في حجرات الدردشة، و يتبادلونها عبر البريد الالكتروني و إنزال الملفات، و خطورتها لا تكمن في مشاهدتها في حد ذاتها إنما في عدد الساعات أسبوعيا التي قد تؤدي بالمستخدم إلى الإدمان و لعل المبالغ الكبيرة التي يجنيها المروجون لهذه السلع، و إن كانت معظم الأسر الآن توفر لأبنائها غرفهم الخاصة، و تتركهم مع أجهزة الاتصال دون رقابة، كما كان الحال بالنسبة للأسر عينة البحث، إذ أشارت بعض الأمهات إلى أنها تترك ابنها مع جهاز الاتصال عبر الانترنت رغم أنها تدرك أن الأمر سيء و لكن ماذا تفعل، و في هذا الصدد يشير فيز المجالي (2007)(25) في دراسته على 350 طالبا أن أثر استخدام الإنترنت على العلاقات الاجتماعية يزداد في حالة استخدام الطالب للانترنت بمفرده، في حين يتناقص هذا الأثر في حال قضاء الطلبة وقتهم أماما لإنترنت بمشاركة الآخرين، وكذلك تبين أنه كلما زاد عدد ساعات استخدام الإنترنت ارتفع أثر استخدام الإنترنت على العلاقات الاجتماعية.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه فيما يتعلق بنتائج الفرضيات الجزئية التي تحققت كلها، يتضح لنا مدى وجود فروق في اثر مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية، سواء تلك التي تربط الزوجين بعضهما البعض أو التي تربطهم بأبنائهم، و يمكننا بذلك الإجابة عن السؤال المطروح في هذا البحث بأنه تؤثر مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية في أوساط الأسرة الجزائرية.

تعتبر شبكات الانترنت عامة و مواقع التواصل الاجتماعي خاصة كالفيسبوك و تويتر و اليوتوب من أهم ما أفرزته تكنولوجيا الاتصال الحديثة، التي تحظى بها الإنسان مفاهيم الزمان و المكان، وأصبح بإمكانه التنقل إلى أي بقعة في العالم و في أي وقت يريد لينال ما يريد، و كأنه في قرية صغيرة، و لما لا القول انه جعل العالم كتلك الكرة الأرضية المجسمة التي بإمكانه وضع يده أينما يشاء، و بالتالي تأثرت جميع

جوانب حياته بمنتوج افتراضي اسمه تكنولوجيا التواصل. و لعل الجانب الاجتماعي لمن أهم هذه الجوانب التي لم يسلم فيها الأسرة من اثر التكنولوجيا الحديثة، و في هذا الصدد يرى عزب(2001)(26) أن منتجات التكنولوجيا العصرية البالغة التعقيد إنما هي بصدد خلق عالم يزداد التباعد فيه عن العالم المألوف الذي يحيط بالأفراد، حيث ان وسائل الاتصال الحديثة بصفة عامة تتجه إلى جعل خبرات المتلقي عبارة عن خبرات معزولة، بدلا من كونها خبرات مشتركة (27).

إذا كان ابن خلدون سلم بان الإنسان كائن اجتماعي بطبعه فان ذلك بدأ يتغير و أخذت هذه العبارة في الاضمحلال، إذ لا بأس أن نقول اليوم أن الإنسان تكنولوجي بطبعه، اذ تغيرت طبيعته الاجتماعية المفعممة بالتفاعل و التواصل، فلو قارنا مثلا الأسرة القديمة والحديثة اليوم، للفت انتباهنا في مجال الأثاث المنزلي، فنجد عند الأسرة القديمة التي كانت تعتمد في تأثيثها على أثاث تقليدي من اللوح والخشب، وغيرها من الأثاث المزركشة الجميلة، أما عند الأسرة الحديثة فتعتمد في تأثيثها على أحدث التكنولوجيات الرقمية، كما يلفت انتباهنا كذلك في الأسرة التقليدية ذلك الدفء وحنان الجدة وحكاياتها الجميلة أو لمة أفراد العائلة على الأحاجي و الألغاز، على غرار الأسرة الحديثة التي تتميز بنوع من الجفاء، و ياليت البيوت ما تزال تتوفر على تلفاز واحد في قاعة الجلوس يلتف حوله أفراد الأسرة، إنما ما أكثر ميلهم الآن إلى الفردانية و العزلة ليغوصوا في عالم الحوار و التواصل مع الافتراضيين.

من جهة أخرى لا يمكننا ان نغفل ما يلعبه الاستعمال الرشيد لمواقع التواصل الاجتماعي من دور في زيادة التواصل و التفاعل بين أفراد الأسرة، إذ بينت نتائج دراسة kraut et al.1998 (28) التي أجريت على المجتمع الأمريكي أن أفراد عينة البحث يرون ان الانترنت تساهم في زيادة التفاعل بين أفراد الأسرة، و ذلك من خلال تقديم مادة يمكن أن يدور حولها الحوار، أو من خلال تقديم معلومات و نصائح للتعامل الأمثل فيما بين أفراد الأسرة، أو من خلال الاتصال عن طريق بعض المواقع في حالة السفر.

و رغم النتائج التي تحصلنا عليها في هذه الدراسة إلا أننا نؤمن بان الانترنت عامة ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة وسيلة مسهلة للتواصل و التعارف و التقارب، و تسهيل الحصول على المعلومة، و أمر الاستغناء عنه الآن أشبه ما يكون عن الاستغناء عن الماء و الهواء، أما محاربتة فهي أشبه بمطاردة الإنسان لظله، ليس فقط

لمتطلبات عصر العولمة، بل لأننا لا ننكر من جانب آخر مزاياها و ما توفره من تسهيلات، و لكن يبقى الشيء الأكثر ضرورة هو كيفية استغلالها بطريقة رشيدة، ومن ذلك نقترح بعض الاقتراحات .

الاقتراحات:

-إنشاء برامج الكترونية تمكن الآباء من تحديد مدد زمنية محددة لاستخدام أبنائهم لمواقع شبكات التواصل الاجتماعي على مدار اليوم لترشيد استخدامها، و العمل على الحد من آثارها السلبية قدر المستطاع وما تخلفه من أضرار اجتماعية على محيط الأسرة.

- زيادة الرقابة الأبوية من قبل الوالدين على الأبناء قدر الإمكان وحثهم على توعية أبنائهم بإيجابيات وسلبيات تلك الشبكات بشكل عام.

-تشكيل لجان في المدارس من متخصصين من اجل إرشاد و توجيه الأطفال إلى الاستعمال الأمثل لمواقع التواصل الاجتماعي و الاستغلال الجيد لكل مواضيعه .

- برمجة مواضيع أكثر حول جهاز الكمبيوتر و كل استعماله في محتوى البرامج التعليمية، أكثر مما هو مبرمج و مقتصر على مكونات الجهاز و كيفية.

-برمجة وحدة التربية الجنسية في البرامج التعليمية الأكاديمية لتزويد الطفل الثقافة الجنسية السليمة مما يغنيه عن البحث في مواقع التواصل الاجتماعي عما يرضي فضوله في هذا المجال من جهة و يحصنه من كل ما فيها من إغراءات .

الهوامش.

1. فتحي محمد. (2003).ص23.
2. محسن عقون(2002).
3. محسن عقون (2002).
4. خليل (2000).
5. بوشلي (2006).
6. راضي (2003)، ص23.
7. الدارب (2009).
8. محمد لبيب النجيجي(1981).
9. الدسوقي (1979).

10. موسى عبد الفتاح التركي (بدون سنة).
11. توفيق سميحة كرم (1996).
12. بركات (1984).
13. الهام بنت فريج العويضي (2004).
14. عزب (2001).
15. مكاوي و السيد (1998).
16. طاموس وازي و عادل يوسف (2013).
17. طاموس وازي وعادل يوسف (2013).
18. هناء كمال أبو اليزيد (2008).
19. أفنان طلعت (2015).
20. افنان طلعت (2015).
21. سماح رمزي (2007).
22. نرمين حنفي (2003).
23. عن الهام العويضي (2004).
24. فايز المجالي (2007).
25. عزب (2001).
26. الهام العويضي (2004).

قائمة المراجع.

- 1- أفنان طلعت عبد المنعم عرفة (2015): استخدامات الشباب للشبكات الاجتماعية وتأثيرها علي علاقاتهم في تبادل الخبرات المجتمعية. رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في الإعلام من قسم الصحافة.
- 2- الهام بنت فريج بن السعيد العويضي (2004): اثر استخدام الانترنت على العلاقات الاسرية بين افراد الاسرة السعودية. رسالة ماجستير في الاقتصاد المنزلي.
- 3- بو شليبي ماجد (2006): ثقافة الإنترنت وأثرها على الشباب، الشارقة: دائرة الثقافة والمعلومات .جامعة الشارقة.
- 4- توفيق سميحة كرم (1996): مدخل الى العلاقات الاسرية. مكتبة الانجلو مصرية. القاهرة.
- 5- خليل محمد محمد بيومي (2000): سيكولوجية العلاقات الاسرية. دار قباء. القاهرة.
- 6- راضي (2003): استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي. مجلة التربية. عدد 15. جامعة عمان الأهلية. عمان.

- 7- طاوس وازي أ/عادل يوسف(2013): وسائل التكنولوجيا الحديثة و تأثيرها على الاتصال بين الاباء و الابناء الانترنت و الهاتف النقال نموذجاً. الملتقى الوطني حول الاتصال و جودة الحياة الاسري. جامعة قاصدي مرباح . ورقلة .
- 8- الاجتماعية للشباب الجامعي دراسة مقارنة بين مستخدمي وسائل الاتصال التقليدية والانترنت "رسالة دكتوراة غير منشورة . جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم العلاقات العامة.
- 9- عزب حسام الدين محمود (2001): إدمان الإنترنت و علاقته ببعض أبعاد الصحة النفسية لدى طلاب المرحلة الثانوية. المؤتمر العلمي السنوي للطفل و البيئة.
- 10- كمال أبو الزيد (2008): الآثار النفسية والاجتماعية لتعرض الجمهور المصري لشبكة الإنترنت"، رسالة دكتوراة غير منشورة. جامعة - القاهرة: كلية الإعلام، قسم الإذاعة والتلفزيون.
- 11- كمال الدسوقي(1979): النمو التربوي للطفل و المراهق. دار النهضة العربية. بيروت.
- 12- المجالي فايز (2007): استخدام الإنترنت وتأثيره على العلاقات الاجتماعية لدى الشباب الجامعي. مجلة المنارة. المجلد 13. العدد 1.
- 13- محمد لبيب النجيجي(1981): الأسس الاجتماعية للتربية. دار النهضة العربية بيروت.
- 14- مكاي، حسن عماد و السيد ليلي حسين (1998): الاتصال و نظرياته المعاصرة. الطبعة الأولى . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية .
- 15- موسى عبد الفتاح تركي (بدون سنة) :البناء الاجتماعي للأسرة. المكتب العلمي للنشر.
- 16- نزمين سيد حنفي (2003): أثر استخدام تكنولوجيا الحديثة على أنماط الاتصال الأسري في مصر "دراسة مسحية مقارنة. رسالة. ماجستير غير منشورة. جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الإذاعة والتلفزيون .

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الجودة الشاملة في الجامعات العربية ودورها في مواجهة العولمة

طالبة السنة الثالثة دكتوراه ليندة زغلاش

جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)

linda.zeghlache@univ-msila.dz

تاريخ الإيداع: 2020/10/30م تاريخ التحكيم: 2020/11/04م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص:

شاع في العقود الأخيرة استخدام مصطلح "الجودة الشاملة" حتى أضحي واحدا من المفاهيم الأكثر انتشارا فيما يتعلق بتطوير أساليب العمل في مختلف المجالات، وأصبحت الجودة الشاملة متطلبا أساسيا في جميع الممارسات والأعمال الإدارية والأكاديمية والفنية. ولهذا انتبعت معظم دول العالم إلى أهمية قضية الجودة في التعليم العالي، ووضعتها في صدر أولوياتها منذ تسعينات القرن العشرين، نظرا لأهمية هذه المرحلة في رسم المسارات المستقبلية للدول، والمجتمعات لما يمثلها أحد أهم دوافع التنمية، ومع تحولات محورية باتجاه التكيف مع ما تطرحه العولمة من مفاهيم وتطبيقات تعززها التطورات المتسارعة لأنظمة الاتصال والمعلوماتية، انتقل التناقض الذي تشهده الأسواق العالمية بين الشركات إلى مؤسسات التعليم العالي تنافس من نوع جديد محوره الإبداع والتطوير كوسيلة للحصول على أعلى المردودات المادية، يعتمد فيها بشكل كبير إلى الجودة الشاملة في التعليم أين يتخذ أساليب وآليات لتفعيلها، مما يتيح للمجتمع فرصة الانتقال إلى مزيد من التقدم والمشاركة الحقيقية التي تتحقق بتحقيق أهداف تجويد مخرجات التعليم العالي وبهذا سنتطرق في ورقتنا البحثية إلى إبراز الحاجة الكبيرة إلى معرفة وتطبيق مفاهيم ضمان الجودة في التعليم العالي وبيان الأدوات والأساليب التطبيقية لوضع هذه الأطر المفاهيمية موضع التنفيذ، لتجاوز التحديات التي تواجه الجامعات العربية المتمثلة في التحديات الخارجية والداخلية في ظل العولمة لنصل إلى دورها في تحقيق الجودة الشاملة وما تنطويه من مؤشرات التي ينبغي توفرها ضمن هذه الجامعات وبالتالي الخروج بعدد من التوصيات التي تصب في ضرورة تبني واعتماد الجودة الشاملة

الكلمات المفتاحية: التعليم العالي؛ تكنولوجيا المعلومات؛ الجودة الشاملة، العولمة.

Overall quality in Arab universities and their role in the face of globalization

Third-year students Ph.D: linda.zeghlache

University Mohamed Boudiaf M'Sila (Algeria)

linda.zeghlache@univ-msila.dz

Abstract :

In recent decades the use of the term "total quality" has become commonplace until it has become one of the most prevalent concepts regarding the development of business processes in various fields, and total quality has become a prerequisite

in all administrative, academic and technical practices. Therefore, most countries of the world have paid attention to the importance of the issue of quality in higher education, and placed it at the top of their priorities since the nineties of the twentieth century. Concepts and applications underpinned by the rapid development of communication and information systems, the contradiction in global markets between companies has moved to institutions of higher education competition of a new type centered on creativity and development as a means to obtain the highest material returns, which rely heavily to the atmosphere Where we take the methods and mechanisms to activate them, which gives the community the opportunity to move to more progress and real participation achieved by achieving the goals of improving the outputs of higher education and thus will address in our paper to highlight the great need to know and apply the concepts of quality assurance in higher education Applied to put these conceptual frameworks into practice, to overcome the challenges facing Arab universities in terms of external and internal challenges in the light of globalization to reach its role in achieving the overall quality and the indicators that should be available within these The universities therefore come up with a number of recommendations that pour into the need to adopt and adopt the total quality.

key words: Higher Education؛ Information Technologies ؛Total Quality ؛ Globalization

مقدمة :

تزايد الاهتمام بنظام الجودة بشكل مفاجئ في منتصف السبعينات من القرن العشرين للعديد من العوامل التي فرضتها هذه الفترة ومن أهمها التغيرات الاقتصادية المصاحبة للانفجار العلمي والتكنولوجي والتوسع في التعليم وزيادة الإقبال عليه في جميع المراحل بما في ذلك التعليم الجامعي والعالي وزيادة الرغبة والأكاديمية على المستوى العالمي في تنمية المعارف الجديدة عن الجودة على المستوى النظري والعلمي، ويشغل التعليم العالي اهتماماً كبيراً من قبل الحكومات والمؤسسات والأفراد لأهميته في رسم المسارات المستقبلية للدول والمجتمعات لما يمثله أحد أهم دوافع التنمية، حيث يحل مكان الصدارة في إبراز المواهب والقدرات والإمكانات البشرية المتاحة في المجتمع وازدادت أهميته في ظل ما تطرحه العولمة من مفاهيم وتطبيقات تعززها التطورات المتسارعة في مختلف المجالات مما نجم عن ذلك تحولات محورية باتجاه التكيف مع المجتمع والمعلومات والنظام العالمي وانتقل التنافس بين مؤسسات التعليم العالي أدى إلى إعادة التفكير في استراتيجية مناسبة ونظمها بل وفي فلسفتها وكل ما من شأنه التأثير على قدراتها لتمكينها من الدخول

إلى المنافسة العالمية، وقد أكد إعلان بيروت للتعليم العالي في الدول العربية على أهمية جودة مخرجات التعليم، وطلب من "جميع أنظمة ومؤسسات التعليم أن تعطي الأولوية لضمان جودة البرامج والتدريس والمخرجات والإجراءات والمقاييس اللازمة لضمان النوعية، لكي تتمشى مع المتطلبات العالمية دون الإخلال بالخصوصية لكل قطر أو مؤسسة أو برنامج.¹

ونظراً لأهمية تطوير مدخلات التعليم وعملياته ومخرجاته فقد أصبح من المسلم به قبول مبدأ التقييم الشامل لعناصر النظام التعليمي وصولاً ببرامجه إلى تحقيق أهدافها المنشودة من جهة وتحقيقاً للاستثمار الجيد للإنفاق على التعليم من جهة أخرى. وأدى ذلك إلى ظهور توجه قوي يرمي إلى السعي الجاد للارتقاء بكفاءة النظام التعليمي على المستويين الداخلي والخارجي، من خلال تحسين الجودة الشاملة لمخرجات النظام التعليمي، وضبط تلك الجودة باستخدام معايير ونظم الجودة الشاملة المختلفة، وفي ضوء ذلك يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: ما إمكانية تطبيق معايير ونظم الجودة الشاملة في الجامعات العربية ودورها في مواجهة العولمة؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس، عدة أسئلة فرعية تجيب عنها الدراسة وهي:

- ما أهم التحديات التي تواجهها الجامعات العربية والتي لها تأثير كبير على الأداء ومخرجات العملية التعليمية؟

- ما أهمية الجودة الشاملة في الجامعات العربية؟ وما المؤشرات ومتطلبات اللازمة لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي؟

- ما أهم المعايير المعتمدة في جودة التعليم والتي ينبغي توافرها في الجامعات العربية في ضوء تجارب الدول المتقدمة؟

- فيما تمثل جهود العربية المشتركة للتطلع نحو المستقبل للنهوض بجودة التعليم العالي وضمان جودته والارتقاء بمستوياته حتى يتوافق مع المعايير الدولية؟

اهداف البحث:

ان اهتمام مؤسسات التعليم العالي بالجودة نابع من الوعي بأهمية توفير بيئة أكاديمية مقبولة تؤدي الى الحصول على مخرجات قادرة على التنافس في ميدان العمل واثبات جدارتها وقدرتها على التفاعل مع معطيات العصر الحديث ومتغيراته والتجاوز التحديات والمشكلات الداخلية والخارجية والتي تواجهه وتعيق

تقدمه ومساهمته الفاعلة في التنمية الشاملة جاء البحث للتعرف على جودة التعليم العالي وكيفية تطبيقه وأهم المعايير المعتمدة في الجودة الشاملة والتي ينبغي توافرها في الجامعات العربية في ضوء تجارب الدول المتقدمة لمواجهة التحديات عصر العولمة أو ما يسمى عصر ما بعد الحداثة.

أهمية البحث :

تبرز أهمية البحث من أهمية التعليم العالي الجيد ومدى تطبيق مفهوم الجودة في التعليم ودورها في مواجهة العولمة، والذي أصبح هذا المفهوم اتجاهاً عالمياً تسعى معظم الجامعات العالمية جاهدة للحصول عليه باعتباره يمثل قوة وتأثيراً على نطاق واسع في الحياة التعليمية، إن تحديات ثورة المعلومات التكنولوجية التي يواجهها العالم المعاصر جعلت نظام الجودة الشاملة الحل الأمثل لمواجهة مشكلاته الإنتاجية، ولقد أثبت هذا الأسلوب جدارته، لذلك أصبحت كافة مؤسسات العالم اليوم بما فيها المؤسسات التعليمية أحوج ما تكون إلى الارتقاء بالإنتاجية وتحسين الجودة لمواجهة هذه التحديات والتغيرات التي تسير في سباق البقاء الأفضل، ويظل التعليم العالي عامل إستراتيجي هام الذي يقوم بتأكيد هوية أي مجتمع والحفاظ على مستقبله من خلال إعداد القوى العاملة المؤهلة والقادرة على التعامل مع ذلك المستقبل وخوض غماره باعتباره هدف التنمية وأداها.

1- تحديد مفاهيم الأساسية للبحث.

1-1 التعليم العالي:

عرفته منظمة اليونسكو: " بأنه كل أنواع الدراسات أو التكوين الموجه التي تتم بعد المرحلة الثانوية على مستوى مؤسسة جامعية أو مؤسسات تعليمية أخرى معترف بها كمؤسسات التعليم العالي من قبل السلطات الرسمية² .

- التعليم العالي ليس امتداد للأعلى بمعنى مرحلة ما بعد الثانوية فحسب، بل هو تكملة للجهود الإنسانية بغرض الرقي بالإنسان وتنقيفه، وتحقيق طموحاته المعرفية، فضلاً عن كون التعليم العالي يسد حاجيات المجتمع من خبرات ومهارات معينة بغرض التنمية والتطور³ .

- التعليم العالي يمكن تعريفه على أنه: " ما يشبع حاجات الطلاب الجامعيين ويحقق متطلباتهم في مستوى الحياة اليومية وسوق العمل والانفتاح والتفاعل مع الآخرين، ويساعدهم على مواكبة التغيرات المعلوماتية والتكنولوجية السريعة في ظل ظروف عصر العولمة⁴ .

2-1 تكنولوجيا المعلومات:

تعرف بأنها الأدوات والأساليب والطرق المستخدمة في تحويل المدخلات إلى مخرجات، أو هي أداة فاعلة تساعد في توفير المعلومات وإيصالها إلى المنظمات لإنجاز وتطوير العمليات الإدارية في جميع المستويات التنظيمية، وتتضمن الأجهزة والمعدات والموارد البشرية والبرمجيات. ويعتقد الباحثون بأن توفير تكنولوجيا معلوماتية متطورة يساهم في تنفيذ خطط المنظمة وسياساتها خصوصا بظهور ما يسمى بتوجهات (العولمة)... مما يتطلب مواجهة تحديات البيئة الخارجية ومحاولة المواءمة بين المتغيرات المختلفة⁵. إن جوهر التكنولوجيا المعلومات يتركز في استخدام الحاسبات الإلكترونية والاتصالات من بعد (السلكية واللاسلكية) لخلق وتشكيل وتوزيع، التنوير والترقية، وهي أكثر تقنية في حصاد الوسائل الموظفة لكي تجمع بشكل منظم وتعالج وتخزن وتعرض وتبادل المعلومات دعما للأنشطة الفكرية للإنسان⁶.

3-1 الجودة الشاملة:

1-3-1 الجودة:

مفهوم جودة المنتج أو الخدمة بصفة عامة من المفاهيم الدينامية التي يوجد لها مدى واسع من التعريفات نظرا لتعدد متغيراتها وتنوعها، وهذا ما قد يؤدي إلى حدوث ارتباك واضطراب في تحديد المفهوم، وفي التعليم الجامعي بصفة خاصة فإن مفهوم يزداد تعقدا ومراوغة، لما يحتويه التعليم الجامعي من عناصر متنوعة متداخلة. لذلك فإن عمليات ضمان رقابة، تقييم، إدارة، وتحسين الجودة يجب أن تقوم في خطواتها الأولى على تحديد مفهوم الجودة، وعند تحديد المفهوم تبدو أهمية الإشارة إلى المعنى لأنه يمثل المقدمة المبدئية للإدراك السليم لبنية المفهوم: فيعرف قاموس وبستر الجودة Dictionarywebsters' third new internationl بأنها درجة الامتياز أو التفوق التي يمتلكها شيء ما أو منتج ما، كما أنها قد تعني درجة المطابقة مع المعايير الموضوعية⁷.

أما اصطلاحا: هناك عدة تعاريف نذكر البعض منها:

عرف إدوارد ساليو Edward Sallis 1993 مفهوم الجودة Quality بأنها الحالة المثالية التي يوجد عليها شيء ما بمعنى أعلى احتمال ممكن لمستوى مثالي لا يمكن التقليل منه⁸. أما بوكير، ساندرز Boque&saunders على ان الجودة تحقق الرسالة المحددة والأهداف الموضوعية سلفاً في إطار المعايير المقبولة من خلال الأوساط العلمية التي تحدد المحاسبية وتضمن السمعة الحسنة⁹.

1-3-2 الجودة الشاملة: هناك عدة تعريفات تطرقت إلى مفهوم الجودة الشاملة من بينها ما يلي:

عرفها معهد الجودة الفدرالي الأمريكي "بأنها تأدية العمل الصحيح على نحو صحيح منذ الوهلة الأولى مع الاعتماد على الاستفادة بتقوم المستفيد في معرفة مدى تحسن الأداء"¹⁰
الجودة الشاملة يعني منهجية إدارية للمنظمة تهدف إلى تنفيذ الخطط الفاعلة في تحسين الأداء بشكل مستمر والاستخدام الأمثل للموارد¹¹.

امامفهوم الجودة الشاملة في التعليم، له معنيان مترابطان: أحدهما واقعي والآخر حسي، والجودة بمعناها الواقعي تعني التزام المؤسسة التعليمية بإنجاز مؤشرات ومعايير حقيقية متعارف عليها مثل: معدلات الترفيع ومعدلات الكفاءة الداخلية الكمية، معدلات تكلفة التعليم، أما المعنى الحسي للجودة فيتركز على مشاعر وأحاسيس متلقي الخدمة التعليمية كالطلاب وأولياء أمورهم، ويعبر عن مدى رضا المستفيد من التعليم بمستوى كفاءة وفعالية الخدمة التعليمية.¹²

وعموما يمكن تعريف الجودة الشاملة على أنها "مدخل الى تطوير شامل ومستمر يشمل كافة مراحل التشغيل بداية من التعامل مع المورد مروراً بعمليات التشغيل او حتى التعامل مع العميل بيعة وخدمة، ويشكل مسؤولية جميع أفراد المؤسسة سعياً لإشباع حاجات وتوقعات العميل من خلال تحسين الجودة وتخفيض التكلفة بما يهدف أهداف المؤسسة".

1-4-1 العولمة Globalization :

يعرفها معجم وبستر: هي اكتساب الشيء طابع العالمية ولاسيما جعل نظامه وتطبيقه عالمياً، أو هي وضع نظام موحد لتخضع له دول العالم كافة يكون من شأنه تحريم العالم المكون من دول قومية متباينة النظم الاقتصادية والسياسية والثقافية إلى كيان واحد ذي نظم اقتصادية وسياسية وثقافية واحدة.¹³

ويعرفها نعيم حبيب جعيني: أن العولمة عبارة عن تطلع اقتصادي سياسي تكنولوجي وثقافي وتربوي تذوب فيه الحدود الفاصلة بين العالم والحضارات وتتدخل في خصوصيات الإنسان لفرض نظام واحد ونمط واحد وبالتالي تسعى لتعزيز هيمنة الدول الكبرى القوية وأقواها وهي أمريكا (أمركة العالم)، معتمدة على كثافة انتقال المعلومات وسرعتها إلى درجة أصبح الناس يشعرون أنهم يعيشون في عالم واحد وكأنه قرية صغيرة.¹⁴

ويرى (المسيري) أن العولمة هي تذويب للخصوصيات القومية والدينية أي أنه اتجاه يعادي أي نوع من القيم سواء كانت قيما قومية إثنية أو قيما إنسانية دينية، فهي تستند إلى مجموعة من القيم المادية والتي تنفي الخصوصية الإنسانية -وتحاول في ذات الوقت تطرح رؤى تدور حول السوق، السوبر ماركت، السياحة وهكذا، أي أنها تدور حول القيم التي جوهرها الإنسان الاقتصادي والإنساني الجسماني "فهني تستغل المعلومات الكونية لتعميم وترويج القيم والثقافة الغربية".¹⁵

2- تحديات الجودة والملائمة:

يحظى التعليم العالي باهتمام متزايد في العالم منذ العقود الأخيرة من القرن كنتيجة للدور الكبير الذي تلعبه التكنولوجيا في المجتمعات البشرية انطلاقاً من أن التعليم بصفة عامة والتعليم العالي بصفة خاصة هو الطريق الأمثل إلى التنمية الاقتصادية وتراكم الثروة، ولكن هذه الآليات الخالقة للثروة سريعة التغير والتأثر بالعولمة بالإضافة إلى عدد من التحديات المعاصرة التي شهدتها معظم الجامعات وخاصة الجامعات العربية والتي كانت نتيجة لبروز ظاهرة العولمة ومنها:¹⁶ غياب التنافسية في الأسواق العالمية لخريجي الجامعات الوطنية تدهور الإنتاجية في المجالات العديدة لخريجي الجامعات الوطنية-نقص نصيب الشركات الوطنية من السوق العالمي بسبب الموارد البشرية الناتجة عن أنماط التعليم الجامعي الحالي-تزايد البطالة بين الخريجين من الجامعات الوطنية- زيادة المعروض من الخريجين الجامعيين عن الطلب عليهم . وسعياً لتجاوز التعليم العالي في البلدان العربية لهذه التحديات وللحد من المشكلات الداخلية والخارجية والتي تواجهه وتعيق تقدمه ومساهمته الفاعلة في التنمية الشاملة، ففضية جودة التعليم العالي هي قضية لا يمكن تجاهلها في الوقت الحاضر فمثلاً دخول القطاع الخاص للتعليم العالي إلى جانب تعالي أصوات تحذر من تراجع التمويل العام، هو استجابة للطلب المتزايد على التعليم العالي الذي تسبب في انخفاض جودة الخريجين.

وقد شهد العقد الماضي زيادة التركيز في ضمان الجودة، ووقعت اتفاقيات عدة بين الجامعات لضمان الاعتراف المتبادل بالمؤهلات العلمية، لكن تنفيذها بقي تحت عرضة لعدم التطبيق وبشكل مشابه فإن الزيادة الكبيرة في منشورات البحوث العلمية على مدى العقد الماضي لا يعني بالضرورة أننا ننتج معرفة أفضل فازدياد المنافسة والحاجة لتسويق التعليم العالي أوجدت معايير مختلفة لقياس أداء الجامعات مبنية خاصة على مدى مساهمتها في المجتمع أو رفد الاقتصاد الوطني.

إن ما تحقق في العالم خلال العقدين الماضيين كان توسعاً في إعداد خريجي الجامعات وطلاب الدراسات العليا، وزيادة في المؤهلات التعليمية المرجعية المطلوبة في سوق العمل، وتدهورا في العائد على الاستثمار في التعليم العالي مع ارتفاع في التكاليف. و تتأثر جودة التعليم العالي بأربعة قوى:

- 1- تغير خصائص. 2- تزايد المنافسة. 3- ارتفاع التكلفة. 4- الأزمات المحتملة .

لفهم هذه القوى تحتاج مؤسسات التعليم العالي إلى التحسين والتعزيز بصفة مستمرة وإلا فإنها سوف تفقد تميزها الأكاديمي.

كفاءة اليد العاملة (العمال والمواطنين) التي اكتسبت مهارات تتوافق مع متطلبات السوق من خلال إنخراطها في التعليم العالي هي عملية صعبة في ظل بطء استجابة منظومة التعليم العالي للتغيرات البيئية في كثير من الأحيان. الحقيقة أنه حتى الفاعلين الاقتصاديين في السياسة العامة غالباً مالا يكونون على يقين من متطلبات جديدة ومتغيرة للأسواق الناشئة وتعقدت هذه الوضعية بحالة عدم التأكد في المعادلة حول قدرة رأس المال على التنقل بأقل تكلفة أو أقل مواءمة مع أسواق العمل. ونلاحظ من خلال الدوائر العالمية للإنتاج والاستهلاك والاتصالات، التقلب المتزايد الذي يميز أسواق العمل، تشير التقديرات في الولايات المتحدة إلى أن الأفراد تتغير وظائفهم ما يصل إلى 13 مرة قبل سن الثلاثين. هذه التقلبات غير العادية وحالة عدم التأكد في احتياجات العمل تخلق صعوبات لمنظومة التعليم العالي في القيام بهذا الدور المتمثل في توفير قدرات العمل المؤهلة في ظل أفضل الظروف التي تلي الاحتياجات الوطنية ولكن غالباً لا تتوفر تلك الظروف المناسبة وهذه هي العقبة الأساسية التي تواجهها منظومة التعليم العالي ببرامج إعادة صقل المهارات والدورات التدريبية وخلق مؤسسات متخصصة في ذلك توفر بيئات تعليمية مرنة.

في السنوات الخمسة والعشرين الماضية، حدثت تغييرات كبيرة في ميدان تكنولوجيا الإنتاج، والاستثمار وتحول الإنتاج نحو الخدمات، وتشمل هذه المجالات تطوير تقنيات لم يكن من الممكن تخيلها قبل ربع قرن وتزايد الارتباط والتعاون بين الجامعات والصناعة وتسويق المزيد من الاكتشافات البحثية الخاصة والمزيد من التمويل وحظر التمويل للأبحاث في المناطق ذات التوتر السياسي، والتحرك نحو المشاريع العلمية الكبيرة التي يشارك فيها المئات من الباحثين والمليارات من الدولارات¹⁷. وعلى مستوى الجهود الرسمية أصبح تطبيق آليات الجودة في التعليم حقيقة واقعة حينما أعلن رونالد براون عام 1993 أن جائزة

"مالكولم بالدريج" في الجودة قد امتدت لتشمل قطاع التعليم إلى جانب الشركات العملاقة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي المملكة المتحدة بدأ الاهتمام بالجودة في التعليم مع تقرير الإصلاح التعليمي Education ReformAck سنة 1988 والذي وجه الاهتمام إلى ضرورة رقابة العمل التعليمي من خلال مؤشرات أداء محددة، غير أن التطبيق الفعلي لهذا المفهوم في هذا البلد لم يبدأ إلا مع بداية التسعينات، حينما قامت لجنة نواب رؤساء الجامعات ومديري المدارس بإنشاء وحدة فحص أكاديمي لدراسة الجودة الأكاديمية في الجامعات البريطانية.

والجدير بالذكر أن بداية الاهتمام بالجودة في المؤسسات الجامعية الأمريكية والبريطانية على السواء كان وليد الشعور العام بضعف الأداء التعليمي والشكوى المستمرة من أداء المؤسسات التعليمية، ويظهر ذلك التقرير الأمريكي المؤشر حول شروط التفوق (الامتياز) الذي نشر سنة 1984 والذي يؤكد على أن الاهتمام بالجودة في الكليات الجامعية يرجع إلى عدة أسباب منها: معدلات الرسوب العالية، الانحدار في مستوى أداء الطلاب والانخفاض في مستوى دافعية المعلمين للحصول على التميز في أداء طلابهم فضلاً عن استهلاك التجهيزات والمباني التعليمية... الخ

وبصفة عامة يمكن القول أن عقد التسعينات يمثل عقد الجودة التعليمية في مؤسسات التعليم الجامعي والعالي في الدول المتقدمة، ومنها انتقل المفهوم وآلياته إلى الدول الأخرى، ومن الملاحظ أن الصورة القائمة الآن في بداية الألفية الثالثة لنموذج إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصناعية والخدمية عامة والتعليم الجامعي خاصة قد تبلورت نتيجة لجهود جمهور من الرواد الأوائل أمثال والتر شيورات، ديمنج جوران، كروسبي وكثيرا غيرهم من المفكرين والذين أسهموا في وضع اللبنات الأولى لمبادئ نظرية إدارية شاملة قائمة على الجودة يمكن تطبيقها في المؤسسات الأخرى¹⁸

3- إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي

3-1 مفهوم وأهمية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم:

لقد ظهر مفهوم إدارة الجودة الشاملة (T Q M) بعد الأزمة التي حدثت في الاقتصاد الياباني بعد الحرب العالمية الثانية مما أضطر زعماء الصناعة اليابانية إلى إحداث الجودة بمساعدة العالم الأمريكي ديمنج (Deeming)، والذي قام بتعليم المنتجين اليابانيين على كيفية تحويل السلع الرخيصة والرديئة إلى سلع

ذات جودة عالية، حيث تم بالفعل تسجيل أفضلية للسلع اليابانية على المنتجات الأمريكية، وعندما سأل "ديمنج" عن سبب نجاح إدارة الجودة الشاملة في اليابان بدرجة أكبر من الولايات المتحدة قال: إن الفرق هو بعملية التنفيذ أي تجسيد إدارة الجودة الشاملة وتطبيقاتها، ويعني مفهوم إدارة الجودة الشاملة بأنه " أسلوب متكامل يطبق في جميع فروع ومستويات المنطقة التعليمية ليوفر للعاملين وفرق العمل الفرصة لاشباع حاجات الطلاب والمستفيدين من عملية التعلم"¹⁹

كما يمكن النظر إلى إدارة الجودة الشاملة في التعليم على أنها " نظام يتم من خلاله تفاعل المدخلات وهي الأفراد والأساليب والأجهزة لتحقيق مستوى عال من الجودة حيث يقوم العاملون بالاشتراك بصورة فاعلة في العملية التعليمية والتركيز على التحسن المستمر لجودة المخرجات لإرضاء المستفيدين"²⁰. وبناءً على المفاهيم السابقة لإدارة الجودة الشاملة فإن العنصر الرئيسي لها يتركز على: -إرضاء المستفيد بتلبية احتياجاته وإرضاء اهتماماته - وضع الجودة في المقام الأول للعمل ومتطلباته - اشتراك الجميع في متطلبات العمل مع الالتزام الإداري (تحسين التنظيم)²¹.

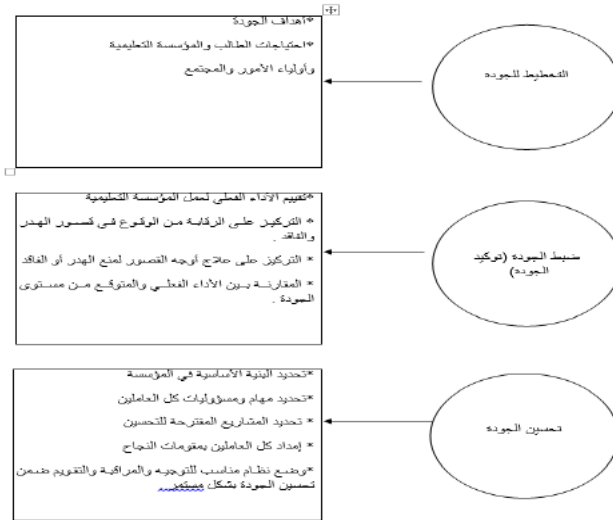
3-2 تفعيل العمل العربي في مجال ضمان الجودة والاعتماد:

هناك محاولات جادة للاهتمام بجودة التعليم العالي في عدد من الدول العربية، وأكد هذا التوجه قرار وزراء التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، في المؤتمر الثامن في القاهرة (21-27/12/2001) الذي حث الدول العربية على إنشاء هيئات وطنية شبه مستقلة لضمان الجودة وتحسين الأداء النوعي لمؤسسات التعليم العالي، وسيتم ذلك عن إدراك ووعي بالتحديات التي تعيق الجودة في التعليم العالي، ووحدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (2004) في المحاور الآتية:- تحدي التحول إلى عصر العولمة والاقتصاد- التحدي العلمي والتكنولوجي- الفجوة المعرفية- الفجوة الرقمية- تحديات المعرفة البيئية- التعلم مدى الحياة.

وتقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمجهود حثيثة لتحقيق جودة التعليم في الوطن العربي، ومن المساهمات التي عرفتها المنطقة العربية في هذا الصدد، الإصدارات التالية:

- التقييم الذاتي و الاعتماد الأكاديمي والمهني لجامعات الدول الأعضاء في المكتب (بغداد، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1987).

- دليل منهجي للتقييم الذاتي لمؤسسات التعليم الجامعي والعالي (تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1998).
- دليل التقويم الذاتي و الخارجي و الإعتماد العامة للجامعات العربية (عمان، إتحاد الجامعات العربية، 2002).
- معايير تقويم الاداء وتحسين الجودة في التعليم الجامعي (وثيقة معدة بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، و المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، تونس، 2006).
- المؤتمر الإقليمي العربي الذي نظمه مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية حول التعليم العالي (2-5 آذار 1998) والذي وضع توصيات واضحة تتعلق بالجودة²².
- إلا أن هذه الجهود لم تصل حتى الآن إلى المستوى المنشود الذي يأمله المعنيون بالتعليم العالي. ومن الممكن تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة في التعليم من خلال خطوات عملية يراعي فيها التأكيد على مبادئ الجودة الشاملة وإجراءاتها وفي الشكل (1) تصور لتلك الخطوات وإجراءاتها.
- الشكل (1): يوضح الخطوات العملية وإجراءاتها في ضوء تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية²³



3-3 مراحل تطبيق الجودة في الجامعات: تمر عملية ضمان الجودة في الجامعات بخمس مراحل أساسية على النحو التالي: ²⁴

3-3-1 مرحلة اقتناع وتبني إدارة المؤسسة التعليمية لفلسفة إدارة الجودة الشاملة: وينعكس ذلك ببدء برامج تدريبية لكبار المسؤولين تتناول مفهوم النظام وأهميته ومتطلباته والمبادئ التي يستند إليها.

3-3-2 مرحلة التخطيط: وتشمل وضع الخطط التفصيلية للتنفيذ وتحديد متطلبات تطبيق ذلك النظام
3-3-3 مرحلة التقييم: وتبدأ ببعض التساؤلات الهامة والتي في ضوء الإجابة عليها تهيئة الأرضية المناسبة للبدء في تطبيق إدارة الجودة الشاملة

3-3-4 مرحلة التنفيذ: وتتضمن اختيار فرق العمل التي سيعهد إليها بعملية التنفيذ، ليتم تدريبهم على أحدث وسائل التدريب المتعلقة بإدارة الجودة الشاملة.

3-3-5 مرحلة تبادل ونشر الخبرات: حيث يتم استثمار الخبرات والنجاحات التي يتم تحقيقها من تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة .

3-4 متطلبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي:

- إن تطبيق إدارة الجودة الشاملة بحاجة إلى إحداث متطلبات أساسية لدى المؤسسات الجامعية حتى تستطيع تحقيق مفاهيم الجودة الشاملة بصورة سليمة قابلة للتطبيق العملي وليس مجرد مفاهيم نظرية بعيدة عن الواقع ومن هذه المتطلبات: ²⁵

3-4-1 رسم سياسة الجودة الشاملة من الجامعة من حيث: -تحديد المسؤول عن إقامة الجودة الشاملة -تحديد كيفية مراقبة ومراجعة النظام من قبل الإدارة -تحديد المهام المطلوبة والإجراءات المحددة لكل مهمة -تحديد كيفية مراقبة تلك الإجراءات -تحديد كيفية تصحيح الإخفاق في تنفيذ الإجراءات

3-4-2 الإجراءات وتشمل المهام التالية: -القدرة على التسجيل -عمليات التقييم -إعداد مواد التعليم -اختيار وتعيين العاملين وتطويرهم

3-4-3 تعليمات العمل: يجب أن تكون تعليمات العمل واضحة ومفهومة وقابلة للتطبيق.

3-4-4 المراجعة: وهي الوسيلة التي يمكن للمؤسسة أن تتأكد من تنفيذ الإجراءات.

3-4-5 الإجراء التصحيحي: هو تصحيح ما تم إغفاله أو ما تم عمله بطريقة غير صحيحة.

هذه المتطلبات المطروحة سابقاً وغيرها والتي يتمتع الكثير من المؤسسات التعليمية بها تحتم على إدارة المؤسسات التعليمية بما فيها التعليم الجامعي للتحويل نحو إدارة الجودة الشاملة، وهذا يتطلب الجراءة من قبل القيادة العليا في المؤسسات نحو التغيير للأفضل بعيداً عن التعليم التقليدي، وهذا يستلزم تطبيق المداخل السبع الأساسية، وهي عبارة عن أساليب أو طرق لإدارة الجودة الشاملة وتتكون من: 26

- الاستراتيجية: strategy وهو أن يكون لدى القيادة العليا خطة تنموية عن مستقبل المؤسسة في السنوات (3-5) القادمة، والتدريب هو الحل الأنسب أمام المؤسسة لذلك.

- الهياكل: structure ويعني إعادة نظام جديد لتحسين المخرجات وزيادة فعالية العمليات مع إضافة ابتكارات جديدة تسهم في تحسين فعالية النظام.

- العاملون: staff وتعني معاملة العاملين بشكل لائق وإشباع احتياجاتهم من خلال استخدام أسلوب العلاقات الإنسانية في العمل.

- المهارات: Skills وتعني تحسين القدرات والكفايات البشرية من خلال التدريب المستمر من أجل ابتكار أساليب جديدة في العمل قادرة على المنافسة.

- القيم المشتركة: وتعني إيجاد ثقافة تنظيمية جديدة وتحديد قيم السائدة وتبديلها بثقافة وقائية تلاءم التطور المستمر

3-5 مؤشرات الجودة في المؤسسات التعليمية:

وتشير الأدبيات التربوية إلى مجموعة من المعايير لقياس ضمان جودة الأداء في الجامعات والكليات، ويتفق الكثير منها على المؤشرات الآتية: -آلية اختيار وقبول الطلاب- نسبة عدد الطلاب إلى أعضاء هيئة التدريس-الخدمة المقدمة للطلاب وأعضاء الهيئة الأكاديمية-متوسط تكلفة الطالب-استعداد الطلاب ودافعيتهم للتعلم-مستوى الخريج الجامعي-الإنتاج العلمي لأعضاء هيئة التدريس ومدى ربط البحث العلمي ونتائجه بمشكلات المجتمع-المساهمة في خدمة المجتمع-تفرغ أعضاء هيئة التدريس للعمل الجامعي-التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس-مدى استفادة الطلاب وأعضاء هيئة التدريس من المعامل والمعدات-مدى استفادة الطلاب وأعضاء هيئة التدريس من مصادر التعلم-الكفاية التدريسية لأعضاء هيئة التدريس-العناية في اختيار الموظفين و توفير التنمية المهنية المستمرة لهم-مرونة المبنى الجامعي-التزام القيادة العليا بالجودة والعمل على دعمها 27.

3-6 سادسا معايير ونماذج تطبيق الجودة الشاملة في التعليم :

يعمل النظام التعليمي كأبي نظام إنتاج آخر وفق إستراتيجية معينة تراعي الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بالنظام والبناء الثقافي السائد داخل النظام والمناخ التنظيمي والتقدم التقني والمصادر المالية والبشرية التي يوفرها النظام وحاجات ورغبات ممولي النظام، لذا فإنه يهتم أن تكون مخرجاته متفقة والمواصفات العالمية لضبط جودة الإنتاج من خلال السعي الدائم إلى استخدام معايير الجودة وضبطها، ومن أهم هذه المعايير نذكر:

3-6-1 معايير كروزبي (Crosby): حدد فيليب كروزبي أحد مستشاري الجودة على المستوى العالمي أربعة معايير لضمان الجودة الشاملة للتعليم تم تأسيسها وفقاً لمبادئ إدارة الجودة الشاملة، حيث ارتبط اسم "كروسبي" باثنين من الأفكار القوية والقيمة حول الجودة: الأولى هي أن الجودة تتحقق بالجنان *quality is free* ودون تكاليف إضافية،

والثانية مرتبطة بمبدأ أو مفهوم الأخطاء الصفرية *zero defects* أو عدم وجود عيوب²⁸.

3-6-2 معايير بلدرج: " طور مالكوم بلدرج نظاماً لضبط الجودة في التعليم وتم إقراره كمييار قوي معترف به لضبط الجودة والتميز في الأداء بالمؤسسات التعليمية بالتعليم العام، وذلك حتى تتمكن المدارس من مواجهة المنافسة في ظل الموارد المحدودة للنظام التعليمي ومطالب المستفيدين منه. ويعتمد نظام بلدرج لضبط جودة التعليم على 11 قيمة أساسية توفر إطاراً متكاملًا للتطوير التعليمي ويتضمن 28 معياراً ثانوياً لجودة التعليم وتندمج في 7 مجموعات هي: ²⁹ القيادة (90 نقطة) - المعلومات والتحليل (75 نقطة) - التخطيط الإجرائي والتخطيط الاستراتيجي (75 نقطة) - إدارة وتطوير القوى البشرية (150 نقطة) - الإدارة التربوية (50 نقطة) - أداء المدارس ونتائج الطلبة (230 نقطة) - رضا الطلبة وممولي النظام التربوي.

4- جودة التعليم العالي في ظل تحديات العولمة:

تعتبر الجودة صلب اهتمام عملية التعليم فبغض النظر إذا ما اعتبر تأثير العولمة على التعليم سيئاً أو جيداً أو إذا ما كان سيؤدي إلى الأفضل أو إلى الأسوأ، وبمعزل عن شمولية تدخل العولمة في مجالات المقدرة والعلم والحضور وتأثير الممثلين واللاعبين المشاركين في عملياتها المختلفة، يبقى المعيار كيف تحافظ على جودة التعليم، فإذا ما تسلح ذو النفوذ -أفراداً ومؤسسات - بمعرفة الطرائق التي تؤثر فيها العولمة على التعليم فسيكون بمقدورهم اتخاذ الخطوات الضرورية لدرء العواقب غير المحببة وغير المأمونة الجانب التي قد

تمس جودة التعليم وتماسكه المقدم للطلاب باعتبارهم الغاية النهائية للعملية التعليمية. فالعصر الذي نعيشه هو عصر العولمة، وما بعد الحداثة، عصر المعرفة واللايقين، إذ لا مكان في العصر الذي نعيش فيه للقدرات العادية، سواء لدى الأفراد أو لدى الأمم، فالسوق التنافسية قائمة على الجودة والتميز في اكتساب المعرفة وإنتاجها وبالتالي فإن التعليم العالي في ظل العولمة يصبح تعليماً للتميز إذا توافرت فيه معايير الجودة وخصائصها³⁰. ومن الظواهر والتأثيرات الناتجة عن العولمة على التعليم العالي تبرز في: ظهور توجه نحو جعل الجامعات مركز للمعرفة-توقع كثير من المراقبين زيادة الطلب على التعليم العالي عالمياً-تغير اللوائح وسياسات العمل الوطنية التي تحدد طرق العمل في الجامعات-ظهور سوق بلا حدود للتعليم العالي³¹.

وفي ضوء ذلك تبرز المسؤوليات الكبيرة والجسيمة التي تقع على عاتق التربية ورجالها في مواجهة التحديات الآنية والمستقبلية التي يواجهها المجتمع العربي حيث نتسلح مقدماً بما سوف تفرزه العولمة من تداعيات تؤثر على تعلمنا وهويتنا وأفكارنا بحيث نحصن أنفسنا كنوع من الوقاية فذلك خير من أن نعرض ثم نبدأ في العلاج، والعلاج الحقيقي يقودنا بالضرورة إلى أن نتخذ من التربية والتعليم أداة لمواجهة تحديات العولمة، فالتعليم الحديث العصري المطور هو وحده القادر على المساهمة في الثورة العلمية والمدنية والمساهمة في اكتساب التكنولوجيا باعتبارها أداة الحضور في عالم اليوم. ولا ننسى أن العولمة تحمي في طياتها أمور أساسية ضمن منهجها الخفي وهي: تفكيك الدولة القومية ككيان سياسي -تميع وتذويب مفاهيم الوظيفة الاجتماعية للدولة -إعادة صياغة العلاقة بين رأس المال والدولة -إحداث تغيير شامل في المفاهيم الليبرالية الجديدة.

والمتأقلم للمفاهيم التي عرفت للعولمة يجد أنها سوف تفقد الدول العربية سيادتها وهويتها، وتدججها فيما يسمى بالقرية العالمية أو الكوكبية وقد يؤدي ذلك إلى طمس الهوية الثقافية³²، ومن المفترض أن تتميز المجتمعات الإنسانية بالقدرة على التوازن بين الإرث الثقافي والتغير والنمو والتطور المعرفي والتقني والمادي في مجالات الحياة كافة، وللحفاظ على هذه الميزة الإنسانية تقوم مؤسسات المجتمع المدني الاجتماعية والتعليمية والتربوية والاقتصادية والسياسية بتحقيق حاجاتها وتأمين مطالبها وقضت حكمة المولى عز وجل بالتعددية والتنوع فقال جل شأنه: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" [سورة هود

[الآية 118]

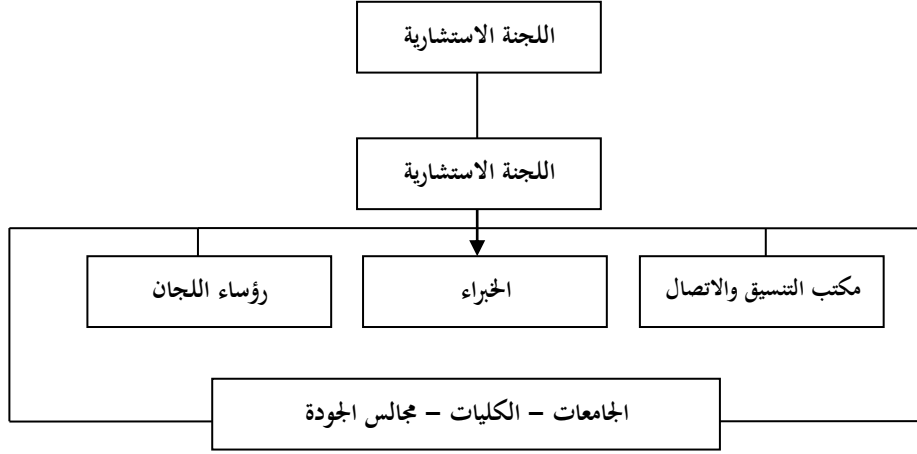
تعد في ذلك المرحلة المقبلة حرجة وهامة في تطوير مؤسسات التعليم العالي، إذ ان التنمية الاقتصادية والاجتماعية تعتمد أساسا على المعرفة وعلى مواطنين مؤهلين تأهيلا رفيعا، وتقع هذه المسؤولية في جلها على أنظمة التعليم العالي التي لا بد لها أن تقوم بدور محوري في تطوير المجتمعات، ومساعدتها على مواجهة التحديات القادمة، وعلى الدول حين تفكر في وضع سياسات واستراتيجيات التعليم العالي أن تربط ذلك بثلاثة متغيرات دولية مهمة: 1- أهمية ودواعي التغير وتأثيرها على نظام التعليم العالي. 2- الغايات العامة لتطوير التعليم العالي. 3- تأثيرات العولمة على النظام التعليمي.³³

5- الشبكة العربية لضمان الجودة خطوة نحو العمل المشترك:

من خلال ما تقدم توضيحه في مجال ضمان الجودة، تم تقديم الكثير من الباحثين من ذوي الاهتمام مقترحات قد يكون نواة لعمل عربي مشترك وجاء للنهوض بجودة التعليم العالي لتقديم أفضل وأجود للأجيال القادمة.

من بينها، العرض الذي قدمه الدكتور سعيد بن حمد الربيعي في كتابه بعنوان "التعليم العالي في عصر المعرفة" (2008)، ويتمثل في إنشاء الشبكة العربية لضمان الجودة والاعتماد في التعليم العالي Arab: Network for Quality Assurance in Higher Education (ANQAHE) تعمل الشبكة على دعم الجهود الرامية إلى تجويد التعليم العالي وتنسيق العمل بين المجالس المتخصصة من خلال الدراسات والاستشارات والمناشط والفعاليات المشتركة التي تساهم في تنفيذها لتحقيق مكانة مرموقة لمؤسسات التعليم العالي تمكنها من المنافسة والارتقاء بمستوياتها بما يتوافق مع المعايير الدولية. ويرسخ فيها الثوابت والمبادئ والقيم العربية والإسلامية. ولتتمكن الشبكة من القيام بمهامها وأداء واجباتها، اقترح الهيكل التنظيمي الآتي³⁴:

الشكل (2): الهيكل التنظيمي والاداري للشبكة³⁵



- الجمعية العامة: تشمل جميع المشتركين.
- اللجنة الاستشارية: تتكون من وزراء تعليم عال سابقين وذوي الخبرة والإبداع الفكري والمعرفي في التعليم العالي، ومن لديهم إسهامات واضحة ومعروفة في تطوير هذا القطاع على مستوى الوطن العربي.
- رئيس الشبكة: تختاره الجمعية العامة من ذوي الخبرة والكفاءة في الاعتماد و نظام الجودة، ويمكن للجمعية العامة أيضا أن تشكل مجلسا للإدارة من ذوي الخبرة الأكاديمية والمكانة العلمية بدلا من رئيس الشبكة.
- الخبراء: يحدد خبراء في المجالات الآتية:
- التقييم المؤسسي: خبير في مجال ضمان الجودة والاعتماد يختص بتقديم الاستشارات في مجال التقييم المؤسسي.
- التقييم البرامجي: خبير في مجال ضمان الجودة والاعتماد يختص بتقديم الاستشارات في مجال التقييم البرامجي.
- نظم المعلومات: خبير يختص في وضع قاعدة البيانات عن مؤسسات التعليم العالي، ومجالس ضمان الجودة والاعتماد والربط الالكتروني بينها وتحديث البيانات والمعلومات بصفة مستمرة.

- اللجان التخصصية: يمكن أن تنبثق عن الشبكة لجان غير دائمة تتكون من الخبرات العربية حسب مجالات التخصص يستعان بها في عملية تقييم واعتماد البرامج الأكاديمية والمهنية، وإقامة المؤتمرات والندوات والورش التدريبية.

أما الجهة المشرفة على الشبكة يمكن أن تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعملية الإشراف العام على الشبكة³⁶.

مقترحات داعمة لجودة التعليم في الجامعات العربية:

يتكون أي مجتمع إنساني من مجموعات أو جماعات بشرية تربطهم روابط قومية وثقافية واجتماعية واقتصادية لها دور كبير في بناء الشخصية الفرد وثوابته الأساسية فالإنسان يضيف إلى مكونات بيئته - إذا تم إعداده بصورة وافرة - من معين إبداعه واختراعاته واكتشافاته وموارده وتؤدي مثلاً المؤسسات التعليمية والتربوية أدواراً كبيرة وحيوية في حياة المجتمعات ونموها وتقدمها وتطورها وفق حاجات لكل حقبة ومطالبها، من خلال تطوير برامجها ومناهجها التعليمية وخدماتها مرحلياً، لكي تكون مخرجاتها متوافقة ومنسجمة معها. ويتطلب ذلك قيام مؤسسات التعليم العالي أو الجامعي بما يلي:

- استيعاب شامل وموضوعي لمزايا وخصائص المرحلة الحضارية، وتحديد دقيق لحاجاتها ومطالبها.

- قراءة علمية دقيقة للمستقبل المنظور (استشراف المستقبل) بهدف تحديد أعداد الطلبة المقبلين على الجامعة³⁷

- توضيح الرسالة والقيم والأهداف: أن الجامعة التي تبحث عن الجودة ينبغي أن تكون واضحة في أهدافها ورسالتها ويجب أن يعرف أعضاء هيئة التدريس ورجال الإدارة العاملين ومجلس الجامعة أو الكلية لماذا الجودة وما هي الأوليات التي ستكون سائدة لفترة من الوقت، وإن تحديد أهداف المؤسسة تعد المظلة الأساسية للتخطيط الاستراتيجي الذي تمارسه الإدارة العليا في أية مؤسسة خاصة ويمكن أن تكون في شكل مجموعة من الأهداف وتتضمن: التحسين المتواصل في جودة المخرجات، المرونة الواسعة في تعديل اتجاهات الخطة وتخفيض التكاليف من خلال تحسين النوعية مما يتطلب من المؤسسات الجامعية السعي إلى تغيير جذري في فلسفتها الإدارية والقيادية.³⁸

- تقويم البرامج والمناهج التعليمية والمقررات الدراسية من خلال مقومين مختصين (من داخل الجامعة وخارجها) لضمان الدقة الموضوعية في النتائج لتشخيصها وتحديد نقاط القوة والضعف فيها بما يعرف بالاعتماد العلمي.
- بناء نظم إدارية تقنية وآليات وإجراءات قابلة للتطوير ومستوعبة لمعطيات العصر تساعد على تنفيذ برامج الجامعة ومناهجها الدراسية
- وضع إستراتيجية شاملة لتطوير الموارد البشرية للجامعة (أعضاء الهيئات التعليمية والإدارية والفنية والبحثية والطلاب) بصفة دورية.
- تطوير البرامج والمناهج الدراسية في ضوء الأسس السابقة مع مراعاة معايير الجودة والاعتماد.
- تأمين مستلزمات تنفيذ تلك البرامج والمناهج الدراسية مع مراعاة معايير الجودة والاعتماد.³⁹

الخاتمة:

ومن خلال ما سبق ندرك ان ظاهرة العولمة، ظاهرة حتمية تفرضها التغيرات الحاصلة على مستوى الأصدقاء، الا ان مؤسسات التعليم العالي ذات مكانة ودور أساسي في المجتمع، حيث أن مخرجاتها تعتبر كمدخلات للمؤسسات الأخرى سواء الإنتاجية أو الخدمية وهذا لأن مؤسسات التعليم العالي تتضمن تنمية وتطوير الموارد البشرية و إيجاد كوادر وكفاءات تستطيع التعامل مع طبيعة هذا العصر، وقد شهدت الجامعات اهتمام كبيراً من طرف مختلف دول العالم، وهذا لأنها المسؤولة عن نشر المعرفة والعلم، وإيجاد قيادات وإطارات فكرية، ثقافية، إدارية وسياسية تساهم في تحقيق الرقي والتنمية الشاملة.

لقد أصبحت الجودة من أهم الاستراتيجيات التنافسية في الوقت الحالي في ظل طبيعة البيئة الاقتصادية وما تتميز به من غموض وسرعة التغير، فالعوامل تسارع وتيرة المعرفة، والتطور التكنولوجي وغيرها من متغيرات البيئة الخارجية والداخلية تحتم على المؤسسة أن ترفع من مستوى أدائها بما يضمن لها تحقيق أهدافها. ومنهج إدارة الجودة الشاملة هو أحد أبرز الأساليب التي تساعد على تحقيق الأداء المتميز لدى مؤسسات التعليم العالي حيث يؤدي تطبيقه لاكتساب العديد من المزايا والفوائد للجامعة والمجتمع عموماً، وهو يهدف أساساً لتحقيق الجودة المستمرة في التعليم من خلال التركيز ليس على الخدمة التعليمية أو المخرجات عموماً، ولكن من خلال التركيز على جميع الأنشطة والعمليات في المؤسسة بما فيها المدخلات حتى يتم تحقيق هدف الجودة.

¹ Unisco :wordconference on higereducation,higereducation in the twenty first century :vision and action 9 october,1998,p6-7

² Ibid, p01.

³ نورة دريدي: خريجو الجامعة بين التكوين والتشغيل، رسالة ماجستير في علم اجتماع التنمية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1999، ص77.

⁴ سهيلة محسن كاظم الفتلاوي: الجودة في التعليم، (المفاهيم، المعايير، المواصفات، المسؤوليات)، ط1، دار الشروق، الأردن، 2008، ص110.

سيد سالم عرفة: اتجاهات حديثة في ادارة التغيير، دار النشر الراهية، الأردن، 2012، ص102. ⁵

⁶ محمد الصيرفي: إدارة تكنولوجيا المعلومات، ط1، دار الفكر الجامعي، مصر، 2009، ص19. .

⁷ أشرف السعيد أحمد محمد: الجودة الشاملة والمؤشرات في التعليم الجامعي، دار الجامعة الجديدة، مصر، 2007، ص124.

⁸ سهيلة محسن كاظم الفتلاوي: مرجع سابق، ص110.

⁹ أشرف السعيد أحمد محمد: مرجع سابق، ص127.

¹⁰ سوسن شاكر مجيد، محمد عواد الزيادات: الجودة في التعليم دراسات تطبيقية، ط1، دار صفاء للنشر، الأردن، 2008، ص117. .

¹¹ هشام عبد المعطي: أثر الجودة والاعتماد على تطوير وتحسين المؤسسات التعليمية، المؤتمر السنوي السابع: أثر الجودة والاعتماد في التعليم، المنظمة العربية لضمان الجودة في التعليم، 7-8 ديسمبر، دار البيضاء، المملكة المغربية، 2015، ص02

¹² محمود أحمد محمود وآخرون : معايير ونظم الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، ورقة عمل مقدمة إلى مشروع الطرق العلمية إلى التعليم العالي، جامعة أسبوط، مصر، 2009، ص5

¹³ سوسن شاكر مجيد، محمد عواد الزيادات: مرجع سابق، ص155.

¹⁴ نعيم حبيب جعيني: علم اجتماع التربية المعاصر (بين النظرية والتطبيق)، ط1، دار وائل للنشر، الأردن، 2009، ص161.

¹⁵ برمة علي: التربية وتحديات العولمة في المغرب العربي المعاصر، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، مجلة دورية أكاديمية، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد التاسع عشر، السادسي الأول، الأبيار، الجزائر، 2013، ص148. .

- 16 عليان عبد الله الحولي: ضمان الجودة في الجامعات العربية: المفهوم وآليات التطبيق، المؤتمر السنوي الرابع للمنظمة العربية لضمان الجودة في التعليم: آليات التوافق والمعايير المشتركة لضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي في التعليم، مصر، 2012، ص205 .
- 17 طالي صلاح دين وكاملي محمد: تحديات التعليم العالي في العالم: قراءة تحليلية، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 13-14 ديسمبر، الجزائر، 2016، ص102-103 .
- 18 أشرف السعيد أحمد محمد: مرجع سابق، ص109-112 .
- 19 سوسن شاكر مجيد، محمد عواد الزيادات: مرجع سابق، ص116 .
- 20 محمد عوض الترتوري، أغادير عرفات جويحان: إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات دار المسيرة، عمان، 2006، ص76 .
- 21 سهيلة محسن كاظم الفتلاوي: مرجع سابق، ص62-63 .
- 22 سعيد بن احمد الربيعي : التعليم العالي في عصر المعرفة التغيرات والتحديات وافاق المستقبل، ط1، دا الشروق، عمان، الأردن، 2008، ص481-482 .
- 23 سهيلة محسن كاظم الفتلاوي: مرجع سابق، ص64 .
- 24 عبد الرحمان إبراهيم مصطفى: أثر تطبيق معايير الجودة والاعتماد المؤسسي في جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، المؤتمر السنوي السابع: أثر الجودة والاعتماد في التعليم، المنظمة العربية لضمان الجودة في التعليم: 7-8 ديسمبر ، دار البيضاء، المملكة المغربية، 2015، ص122 .
- 25 جميل نشوان: تطوير كفايات المشرفين الأكاديميين في التعليم الجامعي في ضوء مفهوم إدارة الجودة الشاملة، مؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2004، ص08 .
- 26 المرجع نفسه، ص09
- 27 سعيد بن احمد الربيعي :مرجع سابق، ص390 .
- 28 أشرف السعيد أحمد محمد: مرجع سابق، ص120 .
- 29 محمود أحمد محمود وآخرون : مرجع سابق، ص8-10 .
- 30 نسرين حمزة سلطاني: فضاءات العولمة وجودة التعليم العالي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 22، جامعة بابل، العراق، 2015، ص402 .
- 31 سعيد بن احمد الربيعي :مرجع سابق، ص80
- 32 سوسن شاكر مجيد، محمد عواد الزيادات:مرجع سابق، ص157
- 33 سعيد بن احمد الربيعي :مرجع سابق، ص86 .

34 المرجع نفسه، ص484.

35 المرجع نفسه، ص485.

36 المرجع نفسه، ص485

37 نسرين حمزة سلطاني: مرجع سابق، ص402.

38 سوسن شاكر مجيد، محمد عواد الزيادات: مرجع سابق، ص164.

39 نسرين حمزة سلطاني: مرجع سابق، ص402.

قائمة المراجع :

1. أشرف السعيد أحمد محمد: الجودة الشاملة والمؤشرات في التعليم الجامعي، دار الجامعة الجديدة، مصر، 2007.
 2. جميل نشوان: تطوير كفايات المشرفين الأكاديميين في التعليم الجامعي في ضوء مفهوم إدارة الجودة الشاملة، مؤتمر النوعية في التعليم الجامعي الفلسطيني، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2004.
 3. سعيد بن احمد الربيعي: التعليم العالي في عصر المعرفة التغيرات والتحديات وافاق المستقبل، ط1، دا الشروق، عمان، الأردن، 2008.
 4. سهيلة محسن كاظم الفتلاوي: الجودة في التعليم، (المفاهيم، المعايير، المواصفات، المسؤوليات)، ط1، دار الشروق، الأردن، 2008.
 5. سوسن شاكر مجيد، محمد عواد الزيادات: الجودة في التعليم دراسات تطبيقية، ط1، دار صفاء للنشر، الأردن، 2008.
 6. سيد سالم عرفة: اتجاهات حديثة في ادارة التغيير، دار النشر الربية، الأردن، 2012.
 7. محمد الصيرفي: إدارة تكنولوجيا المعلومات، ط1، دار الفكر الجامعي، مصر، 2009.
 8. محمد عوض الترتوري، أغادير عرفات جويحان: إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات دار المسيرة، عمان، 2006.
 9. الهلالي الشريبي الهلالي: التعليم الجامعي في العالم العربي في القرن الحادي والعشرين، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر، 2007.
 10. نعيم حبيب جعيني: علم اجتماع التربية المعاصر (بين النظرية والتطبيق)، ط1، دار وائل للنشر، الأردن، 2009.
- الرسائل الجامعية والأطروحات:
11. نورة دريدي: خريجو الجامعة بين التكوين والتشغيل، رسالة ماجستير في علم اجتماع التنمية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1999.

12. محمود أحمد محمود وآخرون: معايير ونظم الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، ورقة عمل مقدمة إلى مشروع الطرق العلمية إلى التعليم العالي، جامعة أسيوط، مصر، 2009.

المجلات :

13. نسرین حمزة سلطاني: فضاءات العولمة وجودة التعليم العالي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد 22، جامعة بابل، العراق، 2015، ص 400-404.

14. بريمة علي: التربية وتحديات العولمة في المغرب العربي المعاصر، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، مجلة دورية أكاديمية، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد التاسع عشر، السداسي الأول، الأبيار، الجزائر، 2013.

15. طالبي صلاح دين وكامل محمد: تحديات التعليم العالي في العالم: قراءة تحليلية، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 13-14 ديسمبر، الجزائر، 2016، ص ص 95-113. متاح على الموقع :

Dialogue/images/article.14/15pdfhttps://www.univ-sba.dz/med

المؤتمرات:

16. عليان عبد الله الحولي: ضمان الجودة في الجامعات العربية: المفهوم وآليات التطبيق، المؤتمر السنوي الرابع للمنظمة العربية لضمان الجودة في التعليم: آليات التوافق والمعايير المشتركة لضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي في التعليم، مصر، 2012.

17. عبد الرحمان إبراهيم مصطفى: أثر تطبيق معايير الجودة والاعتماد المؤسسي في جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، المؤتمر السنوي السابع: أثر الجودة والاعتماد في التعليم، المنظمة العربية لضمان الجودة في التعليم: 7-8 ديسمبر، دار البيضاء، المملكة المغربية، 2015.

18. هشام عبد المعطي: أثر الجودة والاعتماد على تطوير وتحسين المؤسسات التعليمية، المؤتمر السنوي السابع: أثر الجودة والاعتماد في التعليم، المنظمة العربية لضمان الجودة في التعليم، 7-8 ديسمبر، دار البيضاء، المملكة المغربية، 2015.

مراجع أجنبية :

19. Unisco :wordconfirence on higereducation,higereducation in the twenty first century :vision and action 9 october,1998

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

عولمة القيم وأثرها على الثقافة العربية والإسلامية

المدرس قاسم العبيبي موسى

كلية الهندسة / الجامعة المستنصرية

2020 م

تاريخ الإيداع: 2020/10/29 م تاريخ التحكيم: 2020/11/09 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص

العولمة كظاهرة قديمة جديدة تحاول فرض هيمنتها على العالم، من خلال خرق كل القيم الحضارية والانسانية والروابط الاجتماعية لتحقيق هدفها بإزالة الحدود الاقتصادية والمعرفية بين العالم وتقليص المسافة بينها، فهي تسعى الى السيطرة على الادراك وتعطيل العقل لتكريس نوع معين من الاستهلاك للمعارف والسلع. والقيم تكون هنا مغايرة للعولمة فهي توجه مشاعر وتفكير ومواقف وتصرفات الانسان بل تتصل حتى بنوعية السلوك المفضل بمعنى الوجود وغايته، وعولمة القيم هي ان تفرض القيم الأمريكية الغربية على العالم، وتفريغ الانسان من كل الانتماءات فهي تكريس للقيم العالمية، واشاعت قيم الاستهلاك التي تعتبر من الركائز المهمة في اقتصاد العولمة. والعولمة الثقافية هدفها نشر ثقافة فردية ثقافة نبد الآخر المعادية، وضرب الروابط الانسانية وقبول الفوارق الاجتماعية وهيمنة الاستغلال وعولمة الاتصالات عن طريق انتشار المعلومات وسهولة حركتها وزيادة معدلات التشابه بين المجتمعات. وتتصدى الحضارة العربية والاسلامية لقيم العولمة بقيم عالمية الاسلام بنشر قيم وثقافة مجتمعية وقبول الآخر ونبد الهيمنة والعنف والتسلط واحترام الخصوصية وثقافات الشعوب. كلمات مفتاحية: العولمة - القيم - الثقافة - الحضارة العربية والإسلامية

The globalization of values and their impact On Arab and Islamic culture

Kasim Al-Aibi Moussa

kasim_la@yahoo.com

College of Engineering / Al-Mustansiriya Universit

2020

Abstract :

Globalization as an old and new phenomenon that tries to impose its hegemony on the world, by violating all civilizational and human values and social ties to achieve its goal of removing economic and knowledge boundaries between the world and reducing the distance between them, as it seeks to control perception and disrupt the mind to devote a certain type of consumption to knowledge and goods.

Values here are different from globalization, as they direct human feelings, thoughts, attitudes and actions, but even relate to the quality of preferred behavior in the sense of existence and its purpose, and globalization of values is to impose Western American values on the world, emptying the human being of all affiliations, it is a dedication to global values, and the spread of consumption values that are among the pillars The task in the globalized economy.

Cultural globalization aims at spreading an individual culture, a culture of rejecting the other and hostility, striking human ties, accepting social differences, the hegemony of exploitation and the globalization of communications through the spread of information and its ease of movement and increasing the rates of similarity between societies.

The Arab and Islamic civilization confronts the values of globalization with the universal values of Islam by disseminating values and a community culture, accepting the other, rejecting hegemony, violence and domination, and respecting privacy and peoples' cultures.

Key words: globalization - values - culture - Arab and Islamic civilization

المبحث الأول العولمة والقيم

1-1 العولمة

تعددت التعريفات والشروح والتفسيرات التي حاول المفكرين المشتغلين في الفكر السياسي المعاصر من فهم العولمة، بل نستطيع ان نقول ان العالم برمته داخل متاهات الكتابة عن العولمة خاصة بعد نهاية الحرب الباردة وانتهاء الاتحاد السوفيتي، فبعد هذا الوضع كانت هناك كم من الحديث عن النظام العالمي الجديد ويلبها موجة الحديث عن ظاهرة العولمة، ولكن بشكل خاص انتشرت كتابات حول الهيمنة الثقافية، وهي الفترة التي شهدت التوسع الاقتصادي ففي النصف الاخير من القرن المنصرم شهد العالم تطوراً في ميدان الاتصالات وتكنولوجيا الاتصال الغربية، وتدفع تلك التكنولوجيا الى دول العالم الثالث، وكان المتصدر لهذه الكتابات الولايات المتحدة الامريكية حيث تم الربط بين التوسع الاقتصادي الرأسمالي، والتصدير واسع النطاق للمنتجات الثقافية الامريكية، وفي هذه الاثناء زادة حمى الجدل حول العولمة، فكان تشخيص الحالة يمكن على النحو التالي:

- غموض مصطلح "العولمة" على الرغم من انتشاره، حيث لم يكن هناك تفسير واضح للتعريف، ومتفق عليه من قبل المفكرين، ولكن بتعدد الاقترابات الاقتصادية الثقافية السياسية تعددت التعريفات، ويمكن

القول باختلاف المنظورات سواءً ماركسية، ليبرالية، قومية، واقعية، اسلامية، وبشكل عام نقول إن الاساسيات الكبرى من العناصر التي افرزتها التعريفات المتعددة هو الانتشار الواسع النطاق للرأسمالية العالمية، وهدفها إزالة الحدود الاقتصادية والمعرفية بين العالم بتقليص المسافة فيما بينها، وهذا ما يتعلق الأمر بانتقال السلع والخدمات والاشخاص او المعلومات والافكار والقيم، مما يجعل العالم أشبه بسوق تضم عدة اسواق فرعية، فالعولمة تسمح بمرور كل السلع، بل وحتى الاشياء الممنوعة مثل المخدرات، طالما هناك مردود مالي.

- ايدلوجية العولمة هي ارادة الهيمنة على العالم وأمركته، فهي قمع للخصوصية واختراق الهوية الوطنية للأفراد والأمم، وتهميش وسلب لخصوصية الآخر وبالتالي نفيه من العالم، وهي تسعى الى السيطرة على الادراك، وتعطيل العقل .

لتكريس نوع معين من الاستهلاك للمعارف والسلع وهذه تؤدي الى تسطيح الوعي، واختراق هويته الثقافية بثقافة جديدة تكون ثقافة اشهارية لغرض خلق ذوق استهلاكي تحارب القيم ثقافية اعلامية تقوم بنشر وتكريس جملة من الاوهام.

- عولمة الحداثة كحقيقة تاريخية بتغيير النظام السياسي واعتماد الليبرالية كنظام اقتصادي، ثم الانتقال من نموذج الى آخر، وتذويب الأديان والطوائف في بوتقه علمانية واحدة.

- يعتبر البعد الاقتصادي عند العولمة مفتاح لغزو العالم واخضاعه لسيطرتها عبر هيمنة الشركات على جميع منافذ واسواق العالم.

- فرض قوتها وهيمنة القيم الامريكية بعد الانتصار السياسي والاقتصادي وابداء قوتها في كافة المجالات .

- تقوم العولمة بثورة معرفية وتكنولوجية واجتماعية وهي لا تستخدم العنف والقوة العسكرية التقليدية، لكنها تعتمد على القبول والاندماج فهي تخاطب العقول بخطابات متعددة كنشر حقوق الانسان والحرية، وهي مجرد شعارات كي تتيح لها التدخل عبر شبكات التواصل لخلق قاعدة جماهيرية علمية متعولمة.

تعريف العولمة

أ. العولمة لغة: مأخوذة الكلمة من (العالم) وهو الخلق كله، وهو متصل بمعنى الفعل الذي يدل على وجود فاعل بفعل، واعتمد مجمع اللغة العربية بالقاهرة وأجاز استعمال مصطلح العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً، أي اكساب الشيء طابع العالمية.

ب. وفي الاصطلاح: سبق وان قلنا في المقدمة انما لم تستقر على تعريف محدد ودقيق، لأنه تكيفية حسب الجهة التي تتعامل معها وفق ما تراه مناسباً لمبادئها النظرية في مجال السياسية والاقتصاد وهي كمصطلح لم تدخل بعد القواميس السياسية والاقتصادية، لكن هي في الواقع تعبر عن تطورين هما:

1. الاعتماد المتبادل 2. التحديث

وقد ظهرت العولمة كمصطلح في بداية النشأة في مجال التجارة والمال والاقتصاد، ثم بعد ذلك أخذ يجري الحديث عنها نظاماً او حالة ذات ابعاد متعددة، فهي صياغة العالم اقتصاديا وسياسياً وثقافياً، وفق تأثير القوى المحركة بالعالم حسب النظم والرؤى التي تتخذها تلك الدول انطلاقاً من رؤيتها عن طبيعة الكون والانسان والحياة.

فيعرفها الدكتور مصطفى محمود فيقول: (العولمة مصطلح بدء لينتهي بتفريغ الوطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والقيمي والاجتماعي والسياسي بحيث لا يبقى منه الا خادماً للقوى الكبرى)⁽¹⁾.

ووفقاً للطرح السابق لتعريف دكتور محمود يعني العولمة القهر والقسر والاجبار على نمط معين من الخصوصية بعولمة الهيمنة والقهر ليكون عالمياً، وهو لا خيار للإنسان بعد سلب حريته. اما عبد الاله بالقزير له رأي بالعولمة فتعني الامركة لأنها تجسيد مادي وسياسي معاصر لصيرورة الاحتكار وهو سمة الرأسمالية في طورها الامبريالي، فالامرکه هو الاسم الحركي للعولمة وتقوم على امرين الاول: العولمة ليست شيئاً اخر سوى الرأسمالية الاحتكارية وقد انتقلت من العالم الغربي امريكا وأوروبا الى مركز اوحده هو المركز الامريكي، والثاني ان العولمة ليست العالمية على نحو ما يدعى ويزعم في خطابات يهتف بها الايدلوجيون ممن يشروا طويلاً بعدالتها في توزيع مغانمها على الناس وإنما هي نقيض الفكرة العالمية⁽²⁾.

لكن الغرب يتصور نفسه مصدراً للقيم، مثلما يصدر السلع التكنولوجية التجارية عالية الجودة التي يتهافت العالم على شرائها، فان اعطاء حرية انتقال السلع لا بد ان يرادفها حرية في نقل القيم والمبادئ الفكرية والاجتماعية، وهذا مما يشكل خطراً على العالم، وخطراً لعولمة تقوم على اسس فكرية هي:

1. ابعاد الانسان عن قيم مجتمعه, يعني الهدم الاخلاقي.
 2. فقدان الكرامة الانسانية من خلال وضع العالم على طرف هوة, لا استقرار ولا حقوق للإنسان تحفظ, واعتماد منهج الافساد السياسي.
 3. هيمنة المتنفيين واصحاب القرار الاقوياء في العالم لتدمير الاقتصاد العالمي.
- فالعملية هي اتجاه ذو نزعة مذهبية غربية هدفها صياغة العالم من جديد, بعد تجاوز القيم والمعايير الاجتماعية في العالم وهي تسعى الى خلق حضارة جديدة مغرية ومؤثرة في سلوكيات الناس وتغير افكارهم وانماط حياتهم. نرى ان العولمة كمفهوم قائم على تجريد ونقل الانسان من كينونته الذاتية وقيمة الى الكينونة العالمية.

1-2 ماهي القيم

كانت ولا زالت القيم على مدى استمرار حركة التاريخ اطاراً مرجعياً يحكم ويضبط سلوك افراد المجتمع وتعمل على توجيه سلوكياتهم وتصرفاتهم ومواقفهم, وهي تشكل صمام أمان لكل المجتمعات من خلال حفظ تجانس المجتمع وتماسكه وتحقيق الاستقرار.

أ. **القيم في اللغة:** تعرف لغة بانها جمع لكلمة قيمة, وهي الشيء ذو المقدار, او الثمن. والقيمة في اللغة مشتقة من القيام وهي نقيض الجلوس والقيام معناه العزم لقوله تعالى: { وَأَنَّ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ }⁽³⁾ وجاء في المعجم الوسيط ان قيمة الشيء هي قدرة وقيمة المتاع هي ثمنه ويقال لفلان ما قيمة ابي ماله ثبات ودوام على الامر. وفي لسان العرب (ان القيام يأتي بمعنى المحافظة والملازمة, كما يأتي بمعنى الثبات والاستقامة, فيقال اقامت الشيء وقومته فقام استقام, والقيمة ثمن الشيء بالتقويم)⁽⁴⁾ ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات وأما القوام فهو العدل وحسن الطول وحسن القامه, وبناء على ما تقدم فان القيمة لغة تعني العزم, والمحافظة, والاصلاح, والثبات, والاعتدال, والاستقامة وحسن الطول⁽⁵⁾.

وقد اجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة استعمال كلمة (القيمة) و (القيم) للدلالة على الفضائل

الدينية والخلقية والاجتماعية.

ب. **القيم اصطلاحاً:** هي مجموعة نقاط تفضيل من المبادئ والمعتقدات الاساسية, والمثل, والمقاييس او انماط الحياة التي تعمل هذه النقاط مرشداً عاماً للسلوك, وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسمو الخلقي والذاتي للأشخاص. ويكون لها دور مرجعي في تكوين شخصية الفرد والجماعة, وهناك محددات وعناصر مشتركة

بين هذه النقاط (المبادئ والمعتقدات) تقف عند حدود القيم في كونها معايير واهتمامات وحاجات تعمل على تشكيل السلوك أو الأسلوب الذي يتصرف به الفرد تجاه مجتمعه. وفي بحث استطلاعي للأستاذ بركات جاء فيه تعريف القيم بأنها: المعتقدات حول الأمور والغايات وأشكال السلوك المفضلة لدى الناس، توجه مشاعرهم وتفكيرهم ومواقفهم وتصرفاتهم واختياراتهم وتنظيم علاقتهم بالواقع والمؤسسات والآخرين وانفسهم، والمكان والزمان، وتوسع مواقفهم وتحدد هويتهم ومعنى وجودهم أي تتصل بنوعية السلوك المفضل بمعنى الوجود وغايته⁽⁶⁾. ويعرفها حامد عبد السلام بأنها تفضيل أو حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد السلوك المرغوب فيه⁽⁷⁾. نستطيع ان نصل الى تعريف للقيم هو عبارة عن مجموعة من العادات والمبادئ والاعراف ومعايير السلوك المرغوبة التي تمثل ثقافة الفرد وتعبّر عن المكونات الاساسية للمجتمع الانساني. أما مكونات القيم: فتتكون من ثلاثة مستويات.

1. المكون المعرفي: هي المعلومات المعرفية النظرية التي يسعى الفرد الى تعلمها وما يرتبط بها من معانٍ مختلفة، ويقوم على مبدأ الاختيار الحر.
2. المكون الوجداني: هذا المكون يشمل الانفعالات والمشاعر والاحاسيس التي يشعر بها الفرد.
3. المكون السلوكي: هذا المكون تصقل من خلاله القيم الى سلوكيات ظاهرية، أي يقوم الفرد بممارسة القيمة وتكرار استخدامها في الحياة اليومية.

القيم الدينية

يمثل الدين في أي مجتمع اساس العلاقات الاجتماعية والاخلاقية بين افراده، وهو من وجهة نظر علماء الاجتماع ظاهرة اجتماعية لازمت الانسانية منذ ظهورها، حيث يعرف ماجد الجلاد القيم الدينية بأنها مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله (ﷻ) وهذه القيم هي التي علاقة الانسان وتوجهه اجمالاً وتفصيلاً مع الله تعالى ومع نفسه ومع البشر ومع الكون، وتتضمن هذه القيم غايات ووسائل⁽⁸⁾.

ويعرفها الاستاذ جابر بأنها عبارة عن مجموعة الاخلاق التي تضع نسيج الشخصية الاسلامية، وتجعلها متكاملة، قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع وعلى التوافق مع اعضائه وعلى العمل من اجل النفس

والاسرة والعقيدة⁽⁹⁾، ويعرفها عبد الرحيم انها مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا التي تنزل بها الوحي والتي يؤمن بها الانسان ويتحدد سلوكه في ضوءها، وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أقوال وافعال وتصرفات تربطه بالله تعالى وبالكون⁽¹⁰⁾.

ومن خلال التعاريف نستطيع ان نجد عناصر مشتركة تتردد فيها:

1. ان القيم الدينية هي مجموعة من المثل العليا والمبادئ.
 2. يمكن ان نجد القيم الدينية في تعبير عن نفسها في مجالات مختلفة من النشاط الانساني.
 3. تمتاز بالأيمان والقوة والتأثير وتنظيم أنشطة الافراد.
 4. نخلص مما سبق ان القيم الدينية الرئيسية بشكل عام موجّهات للسلوك.
- وعلى ضوء التعاريف السابقة والعوامل المشتركة التي وردت فيها يمكن ان نستخلص تعريف للقيم الدينية على انها: مجموعة المبادئ والمعتقدات والتشريعات والمثل والمعايير التي توجه سلوك الافراد وعلاقتهم بالله (ﷻ) وبالجمتمع وتضبطها والتي تتحدد برؤية الاسلام وتصورته الوجدانية والمعرفية السلوكية وتشمل جميع جوانب الحياة.

أهم السمات التي تتميز بها القيم الدينية الاسلامية.

1. تعتبر القيم الاسلامية، قيم ايجابية، تدعو المسلمين الى ان يكونوا مؤثرين في محيط عملهم.
2. منذ عصر الاسلام والى الان القيم الاسلامية تتطور وتتغير وفق تطور الحياة مع الثبات على المبادئ الاساسية للقرآن الكريم.
3. تتميز القيم بالعمق وسبرغور الاشياء، دون الحاجة للوقوف عند حد الامور الجزئية، او الاكتفاء بالنظر الى الظواهر السطحية.
4. تعتبر القيم الاسلامية قيم عامة للحياة وشاملة، فهي لا تحصر نفسها في امور جزئية.
5. تمتاز بالتوازن والاتساق.
6. التكاليف الاسلامية جاءت كلها بمستوى قدرات الانسان فهي واقعية.
7. اضافة الى واقعية القيم الاسلامية الا انها قيم عملية ومثالية في نفس الوقت.

1-3 عولمة القيم

في مقدمة المبحث مر تعريف الدكتور مصطفى محمود يقول ان العولمة تسعى الى تفرغ الانسان من كل الانتماءات بحيث يصبح خادماً للقوى الكبرى وهي فضلاً عن ذلك هيمنة وانتصار للقيم الامريكية خاصة بعد الانتصار الاقتصادي والسياسي، وابداء القوة في كل المجالات، فقد استطاعت القيم الامريكية ان تغزو العالم بما لها وما عليها من تناقضات، فهي تشكو الغربة من داخل المجتمع الامريكي الا انها تسعى لنقل تناقضاتها وغربتها الى مجتمعات العالم المغلوب على امرها.

ففي المجتمع العربي والاسلامي تكون للقيم أهمية كبرى وتعد محمداً جوهرياً من محددات السلوك الانساني.

وهي تمس العلاقات الانسانية بكافة صورها، ولعل اهم ضابط للسلوك هو القيم فبالرغم من تعدد الفلسفات والتصورات للقضية القيمة الا ان موقفها من اهمية القيم وضرورتها للسلوك الانساني واحد لا يتغير.

فبعض المفكرين من يعتبر عولمة القيم هي دفع المجتمعات نحو تكريس ما يسمى بالقيم العالمية، وان العولمة من خلال وسائل الاعلام أسست عدة مداخل نحو تحقيق أكبر قدر من التنميط والتجانس والنمذجة على مستوى القيم. واستغلال شبكات التواصل والمحطات الفضائية كمنصه لتعزيز صورتها النمطية.

1-4 أهم القيم التي تعمل العولمة على نشرها وفرضها

1. تعمل العولمة على اضعاف سلطة الدولة الوطنية مما يؤدي الى اضعاف قيم الانتماء للوطن وبعد ذلك تراجع الشعور الوطني والقومي.
2. ثقافة العولمة هي ثقافة مادية بحتة تشكل عالماً يجعل من البخل فضيلة، ويشجع على الانتهازية وتحقيق الهدف بأي وسيلة دون مراعاة للقيم النبيلة.
3. ازالة القيم المجتمعية والعادات والتقاليد الموروثة.
4. تسعى الشركات العالمية العملاقة الى أشاعة الذوق الغربي في الاستهلاك وفي ممارسة السلوك الاجتماعي مع الآخرين.
5. هدف العولمة هو الربح دوماً، وتروج لقيمة الاستمتاع المادي الذي يحدد السلوك مع اختفاء للقيم النبيلة ليكون الربح هو القيمة المطلقة.

6. اضعاف القيم الاجتماعية الايجابية السائدة في المجتمعات العربية والاسلامية, وخاصة العلاقات والروابط الأخوية, فحرمت الافراد من كثير من مظاهر التواصل وصللة الرحم.
- ونخلص الى مكانم خطورة العولمة على الجانب القيمي والاخلاقي هي:
- أ. اشاعة ثنائية العنف والجنس في القنوات الفضائية ووسائل الاتصال التي دخلت كل بيت, مما تسبب بتدهور في السلوك الغير منضبط والقيم الرذيلة من خلال انتشار الاباحية والشذوذ في المجتمعات التي لا تزال محافظة على قيمها الاصيلية.
- ب. اشاعت قيم الاستهلاك التي تعتبر من الركائز المهمة في اقتصاد العولمة, كما تقوم العولمة بتنميط القيم ومحاولة جعلها واحدة لدى البشر.

المبحث الثاني

تأثير العولمة على الثقافة العربية والاسلامية

الثقافة:

تعتبر الثقافة عنصر مهماً في عملية البناء الحضاري سواء في مجال الادب ام الفلسفة, ام الاقتصاد, فالثقافة طاقة للأبداع في كافة مجالات النشاط الانساني, وتعمل على تهذيب روح الانسان, وتوظيف طاقاته وملكاته في البناء, وصقل مواهبه ولا يتأتى ذلك للثقافة الا اذا كانت ذات جذور ثابتة ورؤية شاملة لها قابلية للتفاعل مع الثقافات الاخرى.

ويعرفها دكتور عبد الله عبد الدائم: بأنها جملة السمات والملامح الخاصة التي تميز مجتمعاً معيناً في الجانب الروحي, او الجانب المادي او الفكري او العاطفي⁽¹¹⁾.

اما العولمة الثقافية فهي اشاعة النمط الغربي الثقافي والاجتماعي في المآكل والملبس, ويرى مفكرون بانها نشر ثقافة فردية ثقافة نبد الآخر المعادية والتي تهدف الى ضرب الروابط الانسانية وقبول الفوارق الاجتماعية وهيمنة الاستغلال, هي ظاهرة ذات نفوذ اقتصادي وسياسي مدعوماً دعماً محكماً وكاملاً, من اجل خلق ثقافة عالمية, وعولمة الاتصالات عن طريق انتشار المعلومات وسهولة حركتها وزيادة معدلات التشابه بين المجتمعات.

فالعولمة الثقافية تعني وحدة القيم حول الاسرة والمرأة, وهي باختصار تركز على مفهوم شمولية ثقافة بلا حدود وآلة ذلك الاعلان والتقنيات⁽¹²⁾.

نستطيع ان نضع بعض النقاط لاستهداف الغزو الثقافي للمسلمين.

1. توفر المواد الاولية والطبيعية بشكل هائل بالبلاد الاسلامية مثل الغاز والنفط.
2. محاربة الدين الاسلامي الذي هو قوة المسلمين وهويتهم.
3. من اهم اهداف العولمة هو الحفاظ على الكيان الصهيوني في قلب العالم الاسلامي.
4. الحضارة الاسلامية بإنجازاتها التاريخية هي النقيض الوحيد لفلسفة العولمة وانظمتها وقيمها الهابطة في هذه الدنيا التي نعيش فيها⁽¹³⁾.

5. اعتبار ممارسة الثقافة الاسلامية القيمية التي يتركها الاسلام في نفس ابنائه شكلاً من اشكال التعصب. فهناك اثار سلبية للعولمة الثقافية في انتشار نوعية مميزة من الثقافة ألا قيمه المادية الامريكية, حيث سيطرة هذه الثقافة الشعبية الاستهلاكية على اذواق العالم, كما سيطرة اللغة الانكليزية ذات اللكنة الامريكية هي اللغة السائدة بين أكثر الناس. وادخال الضعف في نفسية الانسان المسلم والتشكيك في معتقداته الدينية وقناعاته وهويته الثقافية, تشجيع جيل الشباب والمراهقين على العنف وأشاعة ما يسمى بشفاافية العنف, وما يترتب عليها من انتشار العنف والجريمة والرذيلة في المجتمعات الاسلامية⁽¹⁴⁾.

اخطار العولمة الثقافية على الثقافة الاسلامية:

1. تأثير الفكر الغربي والنظريات الرأسمالية المنحرفة عن الدين القيم وذلك بتغيير المبادئ الدينية, حيث لا يزال من يؤمن بالغرب بتأثير الدين في توجيه الحياة السياسية, بينما هناك من يسعى الى ان يتخلى المسلمون عن دينهم.
 2. العولمة تسعى لتفريغ الانسان من كافة انتماءاته, وفرض التكيف مع الحضارة الغربية والتبعية لها.
 3. تخضع العولمة كل القيم بما فيها القيم الثابتة والاصيلة للأخرين لمفهوم العصرية, لان العولمة الغربية لا تؤمن بأي قيم ثابتة لغيرها.
 4. تريد الغرب تذويب الثقافة الاسلامية في ثقافة امريكا التي تتصف بالسطحية فهي ثقافة الاستهلاك وثقافة المادة والعنف.
- نخلص مما سبق ان للعولمة وثقافتها تأثير على حضارتنا وديننا وقيمنا الاسلامية وروابطنا الاجتماعية, فالغرب يعمل بكل ما يستطيع وبالتعاون مع الامبريالية الصهيونية والحاquدين على امة محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى تدمير الحضارة الاسلامية, فهم يريدوننا ان نتخلى عن ديننا بشتى الوسائل ونسلك من عقيدتنا

مثلما فعلوا مع الشباب السوريين والعراقيين اثناء الهجرة الى اوربا وتشجيعهم على تغير معتقداتهم الدينية من الاسلامية الى المسيحية وتقديم كل وسائل الاغراء والمساعدة, وهذا مما نأسف له ان شريحة كبيرة من المجتمعات العربية والاسلامية منساقه وراء مغريات مجهولة تحركها ايدي خفية هدفها تشويه الاسلام.

عولمة القيم وعالمية الاسلام

ان الحضارة الاسلامية قامت على القاسم المشترك بين حضارات العالم, فعملت على قبول الاخر, كما تفاعلت معه اخذاً وعطاءً, بل ان حضارة الاسلام التي قادها سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) تعاملت مع الاختلاف بين البشر باعتباره من سنن الكون, لذا دعا الخطاب في القران الكريم الى اعتبار الاختلاف في الجنس واللغة والدين من عوامل التعرف بين البشر.

ويتميز الدين الاسلامي بالعالمية, والعالمية هنا تعني عالمية الوسيلة والغاية والهدف, ويتركز الخطاب القرآني بتوجيه رسالة عالمية للبشر جميعاً, قول الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)⁽¹⁵⁾, وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)⁽¹⁶⁾.

- تتميز عالمية الاسلام على نوعين من القيم.

اولاً: قيم مجتمعية عامة

أ. العدل: يتميز بالأيمان في اصل البشر ومصيره, ووحدة النوع البشري.

ب. السلام: الادراك بحق الحياة لجميع البشر.

ت. الحرية: الحفاظ على الكرامة الانسانية.

ثانياً. قيم مجتمعة خاصة في المجتمع الاسلامي

أ. ان الله واحد لا شريك له (وحدة الاله), ووحدة الامة, ووحدة الدين.

ب. الأخوة في الاسلام: من صورها الاقتصادية التكافل الاجتماعي.

ت. حماية القيم الاسلامية من خلال الدعوة.

وهذه القيم العامة والخاصة بعالمية الاسلام تظهر جلوية الاختلافات بين مفهوم عالمية الاسلام ومفهوم العولمة, حيث تقوم الاولى على اصل العالمية لعالمية الجنس البشري وكذلك القيم المطلقة, وتحترم خصوصيته, كما تفرد ثقافات شعوب العالم بينما تركز الثانية على عملية نفي للأخر او استبعاد لثقافات الشعوب ومحاولة فرض ثقافة عولمية تمتلك القوة المادية وتهدف الى مكاسب السوق, اما الاختلاف بينهما فيقوم على:

1. ان القرآن الكريم الذي يمثل عالمية الاسلام مصدره رباني وهو المتصف بالكمال المطلق, خالق الكون والانسان, بينما العولمة مصدرها بشري هدفها اذابة القيم النبيلة.
 2. المنهج والاختلاف بينهما, فمنهج الاسلام يقوم على الايمان بالتشريعات السماوية والتطبيق العلمي لها, اما العولمة تقوم على تفرغ الانسان من كافة انتمائه الدينية والقيمية.
 3. الواقعية التي تمتاز بها عالمية الاسلام, فهو يتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الاثر الواقعي, اما العولمة تتعامل مع مثاليات لا اساس لها في الواقع.
 4. الرحمة للعالمين تمتاز عالمية الاسلام, قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)⁽¹⁷⁾ هذه الرحمة الالهية هي التي خلصت الناس والبشرية جميعا من اصر الاغلال التي كانت عليهم, كما انقذتهم من جور الاستعباد البشري, وسادة الرحمة للمحافظة على النفوس.
 5. مذهب الوسطية في الاسلام من خصائص عالمية الاسلام قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)⁽¹⁸⁾.
- بينما العولمة تعتبر ظاهرة جديدة على العالم, وهي امتداد للنظام الرأسمالي الغربي.

العولمة الثقافية وتحدياتها للثقافة العربية

ان لكل شعب من شعوب الكرة الارضية ثقافته الخاصة به تنبع من تراثه وقيمة في الحياة, لذلك كانت لهذه الشعوب حضارات قديمة وجديدة تتبادل فيما بينها كما هو مفيد لخدمة الانسانية ومن بينها الارث الثقافي الحضاري, فكل شعب من الشعوب يعترف بتاريخه وارثه الحضاري والثقافي الذي يمثل هويته التاريخية الممتدة عبر حقبة من الزمن, فعليه الحفاظ عليها, وان حضارتنا العربية التي تعد واحدة من هذه الحضارات العريقة الغزيرة بالثقافة, فلا بد ان نبحت في تأثير العولمة وما تحمله من ثقافات عالمية لمجتمعنا العربية لناخذ التدابير والبحث في الالية المناسبة للصمود في التحديات الثقافية الدخيلة.

ويمكن القول بان وطننا العربي واجه مأزقاً حاداً لم يسبق ان صادف شبيها له. حيث اجتمعت عناصر تهديد لكيان الامة وحضارتها, ونستطيع ان نلخص ثلاثة عوامل شاركت بهذا التهديد هي:

1. تجاوزت ثورة الاتصالات والمعلومات الحدود واختزقت الحواجز, وما تحمله من فوارق عديدة بين ما تحاول العولمة نشرها وبين مسلماتنا الثقافية⁽¹⁹⁾.

2. ادخل العالم بقيادة النظام الدولي الجديد الذي تتراسه الولايات المتحدة الامريكية في طور جديد من فقدان التوازن الذي ظل طيلة سنوات الحرب الباردة قائماً⁽²⁰⁾.
3. هناك بعض المثقفين من يرى في العولمة بأنها خطراً داهماً في حين يرى فيها اخرون فرصة للخلاص من التقاليد البالية والأيدولوجيات ذات الرؤى الشمولية المطلقة، وهذا التباين في موقف النخب الثقافية في العالم العربي في تقويم العولمة والتصدي لتحدياتها سوف يشتت جهودنا في استراتيجية مقاومتها والتعامل معها.

تعمل عولمة الثقافة سياسياً في العالم العربي من خلال:

1. فرض السيطرة الغربية والهيمنة الاستعمارية على الانظمة الحاكمة وشعبها في الدول العربية لغرض التحكم في صناعة القرار السياسي خدمة للمصالح الغربية الامريكية والقوى الاستعمارية الصهيونية.
2. جعل الدول العربية تعيش حالة من الوضع المربك منقوصة السيادة من خلال الهيمنة وفرض استراتيجية سياسية لإبقائها مرتبكة وضعيفة وتلحق بالسياسة الامريكية الغربية مثل سوريا اليمن العراق.
3. تعمل العولمة على اضعاف الدولة الوطنية، وتقليل من فاعليتها او حتى الغاء دورها لتقتل روح الانتماء الوطني في نفس الشعب.
4. تمهيش دور المنظمات والاحزاب السياسية في التأثير بالحياة السياسة العامة في كثير من العالم وخاصة العالم العربي.
5. محاولة ابقاء الكيان الصهيوني متفوقاً في كافة المجالات على الدول العربية.

أهداف العولمة الثقافية في الوطن العربي

1. التقليل من اهمية الارث الحضاري العربي ونهب ثروته من الاثار والكتب النادرة والمخطوطات النفيسة.
2. قوة العرب في دينهم السمح ونبينهم الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) لذلك ثبت هذا لانصار العولمة من المفكرين قبل غيرهم ان امة العرب لن تقهر.
3. ان من اهم اهداف العولمة هو الحفاظ على الكيان الصهيوني في قلب العالم العربي.
4. الانجازات التاريخية والرقي للحضارة العربية يمثلان النقيض لفلسفة العولمة الاختراقية الاستعمارية وقيمها الاستهلاكية التي تشيع الانحلال والتفسخ.

5. العمل على اضعاف الانسان العربي من خلال التشكيك في قناعاته وقيمه السامية, وعزله عن قضاياه المصيرية وهموه الاساسية.
6. نشر الثقافة الامريكية الغربية في الدول العربية والتي تسمى (ثقافة العنف والجنس) والتي تخلق جيل غير منضبط يؤمن بالعنف.

آثار الاختراق الثقافي الغربي الامريكي للثقافة العربية

1. انتشار السلوكيات الاستهلاكية الغربية من خلال تغير شامل في القيم والسلوكيات الاستهلاكية, والتركيز على العلامة التجارية العالمية هذا من شأنه ان يهدد الموروث الثقافي العربي بالاندثار.
2. تراجع مستمر للغة العربية في شتى المجالات امام اكتساح اللغات الاجنبية, وذلك بتشجيع فتح مدارس اللغات ومركز تعليم اللغات لا سيما الإنكليزية في الدول العربية.
3. ضعف قدرة التجديد المتوازن للثقافة العربية, بسبب تخلف الاليات والمعايير المنتهجة في هذا السياق, مما ادى الى تهديد حتى مستقبل الانتاج الادبي والفني في الاقطار العربية.
4. الانتشار الواسع للأعلام الغربي مع تراجع وسائل الاعلام العربية وقصورها عن حماية وتجديد الثقافة العربية.

تحديد رؤية مقترحة لتعزيز الحضارة العربية في ظل العولمة

- وضع استراتيجية علمية حضارية وتكون بمسارين:
أ. الاتجاه الاول وحدة العرب ثقافياً وحضارياً.
ب. الاتجاه الثاني قبول الآخر - والعمل على التنوع مع الحفاظ على القيم الاسلامية والعربية.
- ابراز القيم الانسانية وعراقة حضارتنا واهميتها بين حضارات العالم.
- الحفاظ على الخصوصيات الثقافية للحضارة العربية.
- الاهتمام بالشباب وغرس فيهم روح الانتماء الوطني والقومي, من خلال الاهتمام بالمنهاج الدراسية, والتأكيد على تدريس اللغة العربية والتراث والقيم العربية الاسلامية, مثلما فعلت الشقيقة مصر العربية الان بتدريس مادة القيم وقبول الاخر من الثالث الابتدائي للعام الدراسي 2020-2021 .
- اعداد وتطوير البرامج الدراسية العلمية والتكنولوجية النافعة لتكون عاملاً اساسياً في تأكيد الذاتية الحضارية للمجتمع والحفاظ على الهوية العربية, والتعامل الواقعي والايجابي مع تغيرات العصر.

الخاتمة

1. تعمل العولمة على الثورة التكنولوجية من خلال المعلومات والاتصالات بديل الاحتلال بالقوة العسكرية والجيش، مما تدفع الى اختراق العقل وتسخيره لخدمة مصالحها.
2. انعاش قيم التفوق الفكري والحضاري والثقافي، وتقوية الروابط الاجتماعية التي عند المسلمين كالعدل والشورى والتأكيد على حرية وحقوق الانسان بدلاً من القيم التافهة للغرب.
3. العمل بجدية على امتلاك العالم الاسلامي كل الوسائل العصرية وتقديم عالمية الاسلام كبديل حضاري لكل العالم.
4. تقوية اقتصاديات الدول الاسلامية والاتجاه نحو التكامل الاقتصادي وتحقيق الكفاية الذاتية بين المسلمين التي لا يحتاجون معها الى الاعتماد على دول الغرب ولا يتعرضون للضغط الاقتصادي والسياسي.
5. وضع استراتيجية علمية لمقاومة الكيان الصهيوني والوقوف ضد تحركاته في العالم الاسلامي، وخاصة المنطقة العربية، ورفض الاستسلام والتطبيع لبعض الحكام العرب.
6. غرس الثقة والتفاؤل والامل في نفوس الشباب وتجنيد كل الوسائل المتاحة الاعلامية والتعليمية، لمواجهة خطر الاختراق العولمي والاحباط والخوف من المستقبل.

الهوامش

- (1) نعيمة شومان: العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1988، ص40.
- (2) عبد الاله بلقرين: العولمة والممانعة دراسات في المسألة الثقافية، ط1، بيروت منتدى المعارف، 2011، ص13.
- (3) سورة الجن، الآية 19.
- (4) ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ص356-357.
- (5) فواز بن فتح الله الراهيني: تعليم الاتجاهات والقيم في المجتمع المدرسي، الامارات، دار الكتاب الجامعي، 2010م ص30.
- (6) بركات حلیم: المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 1991م، ص329.
- (7) حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار عريف للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ص158.
- (8) زكي ماجد الجلاد، تعليم القيم وتعليمها، تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، الاردن، دار الميسرة، ط2، 2007م، ص55.
- (9) جابر قمبيحة: المدخل الى القيم الاسلامية، القاهرة، ط1 1984م، ص41.
- (10) بدر الدين كمال عبده، محمد سيد حلالة: رعاية المعوقين سمعياً وحركياً 10 الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2001م، ص191.

- (11) عزمي طه السيد واخرون: الثقافة الاسلامية مفهومها مصادرها خصائصها الاردن، ط2، دار المناهج، 197م، ص28.
- (12) عبد الفتاح احمد القاري 0 الثقافة العربية في عصر العولمة، صحيفة الاهرام 2001/2/22م.
- (13) مجلة العولمة بين منظورين.
- (14) حسين كامل بقاء الدين: تحديات العولمة، مصر، دار الاهرام، ط1، 2001م، ص150..
- (15) سورة الانبياء: الآية 107.
- (16) سورة سبأ: الآية 28.
- (17) سورة التوبة: الآية 128.
- (18) سورة البقرة: الآية 143.
- (19) هيدى، فهمي: اسئلة القومية والعروبة، كتاب الهوية العربية في عصر العولمة، ص173.
- (20) عبد الفتاح احمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، مصدر سابق.

المصادر:

اولا: الكتب

- القران الكريم
- احمد عبد الله: العولمة والتربية، القاهرة، 2008.
- اسماعيل علي محمد: العولمة والثقافة وموقف الاسلام منها، القاهرة، دار تنوير للنشر، ط2، 2007.
- بركات حلبيم: المجمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1991.
- بدر الدين كمال: رعاية المعوقين سمعياً وحركياً، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2001.
- برهان غليون، العولمة واثرا في الوطن العربي، القاهرة، دار الثقافة، ط1 02009
- برهان غليون: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دمشق، دار الفكر، 2002.
- جلال امين: العولمة، القاهرة، دار الشرق، ط1، 1999
- جابر قميحة: المدخل، القيم الاسلامية، القاهرة، ط1، 1984 .
- حامد عبد السلام: علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار عريف للطباعة، والنشر، 2001 .
- حسين كامل بقاء الدين: تحديات العولمة، القاهرة، ط1، 1982 .
- زكي ماجد الجلاد: تعليم القيم وتعليمها، تصور نظري وتطبيقي لطرائق استراتيجيات القيم، الاردن، دار المسيره، ط2، 2007
- سعاد جبر سعيد: القيم العالمية واثرا في السلوك الإنساني، عمان، عالم الكتب الحديث، 2008 .
- شوقي جلال: العولمة والهوية والمسار رؤية عربية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2007 .
- عزمي طه واخرون: الثقافة الإسلامية، القدس، جامعه القدس المفتوحة، ط4، 2008 .
- عزمي طه واخرون: الثقافة الإسلامية، مفهومها، مصادرها، خصائصها، الاردن، دار المنهاج، ط2، 1997 .

- عبد الله بلقزيز: العولمة والممانعة, دراسات في المسألة الثقافية، بيروت، منتدى المعارف، ط ١، ٢٠١١ .
- عبد الفتاح احمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، القاهرة، ٢٠٠١ .
- عبد الكريم علي: فلسفه القيم التربوية، عمان، دار الشرق، ط ١، ٢٠٠٩ .
- عبد العزيز بن عثمان: العالم الاسلامي في عصر العولمة، القاهرة، دار الشرق، ط ١، ٢٠٠٤ .
- فوز بن فتح الله: تعليم الاتجاهات والقيم في المجتمع المدرسي، الامارات، دار الكتاب الجامعي، ٢٠١٠ .
- كمال التابعي: الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم، مصر، دار المعارف، ١٩٨٥ .
- محمد عايد واخرون، العولمة والهوية الثقافية: عشر اطروحات، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨ .
- نعيمه شومان، العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة، بيروت، مؤسسه الرسالة، ط ١، ١٩٩٨ .

ثانياً: الدوريات

- عميرش نجوى: العولمة وتأثيرها على منظومات القيم، مجلة العلوم الانسانية، العدد 47 جوان، 2017.
- عبد الله ابراهيم: حوار الثقافة والقيم والمجتمعات التقليدي، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث/ المجلد 5/ العدد السابع عشر، 2008.
- عز الدين العزماني: الحداثة والسياسة والدين وسؤال القيم، مجلة الاحياء، الرابطة المحمدية لعلماء المغرب عدد مزدوج (32-33)، 2010.
- مصطفى منجود، القيم والنظام المعرفي في الفكر السياسي، مجلة اسلامية المعرفة، العدد 19، 1999.

التنشئة الاجتماعية في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال: مقارنة نظرية.

لغرس سوهيلة - أستاذة محاضرة قسم 'أ'

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر - الجزائر

souhila.laghresse@univ-mascara.dz

تاريخ الإيداع: 2020/10/13 م تاريخ التحكيم: 2020/10/24 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

التنشئة الاجتماعية هي عملية مستمرة مدى الحياة، حيث يتفاعل ويتعلم الأفراد من خلالها المعايير والقواعد والقيم الاجتماعية، ويعتبر الإعلام من بين العوامل الأساسية المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية. وما أننا نعيش اليوم في عالم مشبع بوسائل الإعلام ونعتمد على مجموعة من الوسائط المتنوعة القديمة منها والجديدة للحصول على المعلومات والترفيه والتواصل، وتعود بدايات الإعلام والاتصال الجماهيري إلى 560 سنة إلى "ثورة الطباعة" التي حدثت في أوروبا في القرن الخامس عشر، ومع تقدمنا عبر القرون، تطورت وسائل الاتصال الجماهيري من عملية ميكانيكية إلى نقل إلكتروني، والتي مهدت الطريق لعالم رقمي. وعليه، تتلخص أهداف البحث فيما يلي:

- محاولة تبرير مساهمة وتأثير الإعلام الجديد في عملية التنشئة الاجتماعية.
- الكشف عن طبيعة وخصائص التنشئة الاجتماعية في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال.
- وفي الأخير، قدمنا مظاهر تأثير التكنولوجيا في عملية التنشئة الاجتماعية كالتالي:
- تعتبر الإنترنت مصدرا أساسيا لعملية التنشئة الاجتماعية.
- تطور التنشئة الاجتماعية من تنشئة تقليدية إلى تنشئة إلكترونية.
- تغير أهداف التنشئة الاجتماعية من الاندماج الاجتماعي إلى الاندماج العالمي.

الكلمات المفتاحية: التنشئة الاجتماعية - المؤسسات الاجتماعية، الإنترنت، مواقع التواصل الاجتماعي، العولمة.

The Socialization in the context of media and communication technology:

A Theoretical Approach.

Leghars Souhila. Professor.

Mustapha Stanbouli University, Mascara (Algeria).

souhila.laghresse@univ-mascara.dz

Abstract :

Socialization is a lifelong process in which individuals learn and interact with social standards, rules, and values. Media are a key socializing influence among other major agents of socialization.

We live in a media-saturated world and rely on a variety of old and new media for information, entertainment, and connection. The beginnings of mass media and mass communication go back 560 years to the “print revolution” that occurred in Europe in the fifteenth century. As we progressed through the centuries, mass communication evolved from a mechanical process to electronic transmission, which paved the way for the digitized world of today.

The objectives of the article are:

- to justify the impact of New media as contributing to the socialization.
- to reveal The nature and characteristics of socialization in the context of media and communication technology.
- Finally, we have presented the manifestations of the impact technology in socialization process As follows:
 - The Internet as an essential source for the socialization process.
 - socialization evolved from a traditional to electronic transmission.

Keywords: Socialization -Social institutions- Internet- Social Media- Globalisation.

مقدمة:

حقيقة لا يمكننا تجاهلها هي أن هناك علاقة قوية ومتكاملة بين عمليتي التنشئة الاجتماعية والاتصال، بحيث أن عملية التنشئة الاجتماعية لا تتحقق ما لم توجد العملية الاتصالية، ولكن ما يثير الانتباه أننا اليوم نشهد ثورة تدفق المعلومات التي تتجاوز الزمان والمكان وذلك بسبب التطور المتزايد والغير المحدود لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، بمعنى آخر "مع تطور وسائل الاتصال الالكترونية وتعدد خدماتها، أصبحت ظاهرة الاتصال عن بعد إحدى الظواهر المهمة في إدارة شؤون المجتمعات الحديثة، كما أدى امتزاج تكنولوجيا الحاسبات الالكترونية مع تكنولوجيا الاتصال عن بعد إلى خلق عصر جديد يعتمد على النشر الالكتروني، وظهور العديد من وسائل الاتصال الجديدة في العقدين الماضيين"⁽¹⁾

وهذا ما يعني أن بعد ظهور وسائل الاتصال التقليدية كالتلفزيون والراديو، السينما، الجرائد ظهرت في الساحة الإعلامية وسائل اتصال جديدة التي تمثلت في الحاسوب، الإنترنت، وسائل التسجيل الرقمية، الصحافة الالكترونية، وسائل الإعلام الاجتماعية الالكترونية، مواقع بث التسجيلات السمعية،... وغيرها من التقنيات التكنولوجية التي لا تكاد تتوقف عن التجدد والتطور بصفة مستمرة ومتواصلة. ويعد استعمال هذه الوسائل الجديدة عاملا من عوامل التغير الاجتماعي الحاصل، ومن عوامل التأثير والتأثير، فمستعمل هذه التقنيات لا بد وأن يتأثر بها وبمضمونها، كما أنه يؤثر هو بدوره على غيره من الأفراد من

خلال الاحتكاك والتفاعل معهم، وبالتالي تحدث عملية التنشئة الاجتماعية، ومن هنا سنعمل على توضيح واقع وحقيقة التنشئة الاجتماعية في ظل هذه التحولات والتطورات التكنولوجية السريعة التي مست مختلف الجوانب الاجتماعية في مستوياتها المختلفة الاجتماعية منها، السياسية، الاقتصادية، الثقافية،... وفي مختلف وظائفها ومضامينها، وعليه تتمحور تساؤلات هذا البحث فيما يلي:

- ما هي طبيعة وخصائص التنشئة الاجتماعية في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال؟.

- ما هو مضمون التنشئة الاجتماعية في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال؟.

- ما هي المصادر المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال؟.

ومما سبق، يمكننا تلخيص أهداف البحث في النقاط التالية:

- محاولة معرفة مصادر وخصائص التنشئة الاجتماعية في ظل التحولات والتغيرات التي شهدتها مختلف دول العالم نتيجة التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال والإعلام.

- معرفة مضمون التنشئة الاجتماعية في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

- محاولة إبراز تأثير تكنولوجيا الإعلام والاتصال على عملية التنشئة الاجتماعية.

- محاولة تبرير مساهمة وتأثير الإعلام الجديد في عملية التنشئة الاجتماعية.

وللوصول إلى الهدف المنشود سنتبع الخطوات التالية:

1- التنشئة الاجتماعية وتكنولوجيا الإعلام والاتصال (مقاربة مفاهيمية): تعتبر مرحلة تحديد المفاهيم من المراحل الأساسية لإنجاز البحث العلمي، فمن خلالها تتوضح لنا الصورة حول الموضوع ونستطيع التعمق فيه، وعليه تتلخص مفاهيم بحثنا هذا فيما يلي:

1-1 التنشئة الاجتماعية: لقد اهتم علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الأنثروبولوجيا وغيرهم بمفهوم التنشئة الاجتماعية كل وفق منظوره، وأطلقت عليها تسميات مختلفة كالتعلم الاجتماعي، الاندماج الاجتماعي، التطبيع الاجتماعي، ولا تخرج هذه التسميات كلها في نظر نيوكمب (New Comb) عن كونها "عمليات نمو وارتقاء اجتماعي يتطور من خلالها الأداء السلوكي للفرد، وفقا لما يكتسبه من خبرات سارة أو مؤلمة خلال تفاعله مع المحيطين به في البيئة التي يعيش فيها، متأثرة بما تتميز به شخصيته من خصائص بيولوجية يختلف فيها عن غيره من الأفراد"⁽²⁾.

1-1-1 تعريف التنشئة الاجتماعية: يعرف قارني وكابول (Garnier et Kabul) التنشئة الاجتماعية بأنها: "الضرورة التي تمكن الفرد من تعلم واستنباط العناصر الثقافية التي تتميز بها جماعته، وهذا ما يسمح له بتشكيل شخصيته، وبتكيفه مع الجماعة التي يعيش ضمنها. وبفضل هذه الضرورة يتم إدماج بعض الملامح الثقافية في شخصية أفراد مجتمع ما، هذا الإدماج الذي ينتج بصفة طبيعية ولا شعورية التجانس والتوافق مع الوسط الاجتماعي"⁽³⁾.

وهذا ما يعني أن التنشئة تعتبر من العمليات الاجتماعية التي من خلالها يكتسب الأفراد القيم، العادات، التقاليد والمعتقدات،... سواء للمجتمع الذي ينتمون إليه أو المجتمعات الأخرى، والهدف منها (التنشئة الاجتماعية) هو تحقيق التكيف الاجتماعي، الاندماج الاجتماعي والرباط الاجتماعي، وهي تتسم بمجموعة من الخصائص والمميزات، والتي يتم ترسيخها (التنشئة الاجتماعية) بواسطة مجموعة من الوسائط والمؤسسات كالأسرة، المدرسة، المؤسسات الدينية، جماعة الرفاق، وسائل الإعلام والاتصال.

1-1-2 خصائص التنشئة الاجتماعية: للتنشئة الاجتماعية الكثير من الخصائص والمميزات كغيرها من الظواهر الاجتماعية وهي كالتالي:

- **عملية مكتسبة:** فمن خلال عملية التنشئة الاجتماعية يكتسب الأفراد ثقافة المجتمع الذي ينتمون إليه (مثلا يكتسبون العادات، التقاليد، المعتقدات،...).

- **عملية اجتماعية:** تساهم كل المؤسسات الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، جماعة الرفاق، وسائل الإعلام،...) في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد.

- **النسبية:** إن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية نسبية في الزمان والمكان، بمعنى أنها تختلف من مجتمع لآخر ومن زمان لآخر حسب الوسائط الموجودة في زمن معين وكذلك تختلف باختلاف ظروف المجتمع.

- **"عملية مستمرة"**⁽⁴⁾ تبدأ من ميلاد الفرد حتى وفاته فمن خلالها يكتسب ويتعلم ثقافة مجتمعه كالمعايير والأدوار والعادات،... الخ.

- **عملية شاملة:** بمعنى أن التنشئة الاجتماعية تشمل مختلف مجالات الحياة الاجتماعية كالتنشئة السياسية، التنشئة الثقافية، التنشئة الدينية.

- **عملية هادفة:** تعتبر التنشئة الاجتماعية كعملية لها الكثير من الأهداف، وفي هذا المعنى نجد Gordon direnzo يشير إلى نوعين من الوظائف:

"-وظائف موضوعية: وهي التي تسعى لتحقيق أهداف مجتمعية محددة ومفهومة.

-وظائف ذاتية: تركز على تحقيق أهداف وغايات فردية، أي تعود على الفرد فقط"⁽⁵⁾.

ومنه يمكننا القول، أن التنشئة الاجتماعية هي عملية نفسية واجتماعية في الوقت ذاته، بحيث تعمل مختلف المؤسسات الاجتماعية في ترسيخها لدى أفراد المجتمع.

1-1-3 أهمية التنشئة الاجتماعية: للتنشئة الاجتماعية أهمية عظمى داخل المجتمعات القديمة منها

والحديثة، المتخلفة منها والمتطورة، وذلك بناء على الوظائف التي تقوم بها وهي كالآتي:

-تعتبر التنشئة الاجتماعية وسيلة من الوسائل المساهمة في عملية الرباط الاجتماعي.

-تعكس التنشئة الاجتماعية الهوية الثقافية للمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد.

-التنشئة الاجتماعية هي وسيلة لتحقيق التكيف الاجتماعي وخلق التوازن داخل المجتمع.

-تساهم التنشئة الاجتماعية في عملية الضبط الاجتماعي.

1-2-2 تكنولوجيا الإعلام والاتصال: قبل أن نتطرق لتعريف تكنولوجيا الإعلام والاتصال يتطلب الأمر منا

تعريف كل من الإعلام والاتصال وفي الأخير نعمل على تعريف تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

1-2-1 الإعلام (تعريفه ومبادئه): ليس هناك تعريف محدد لمفهوم 'الإعلام' إذ أن مفهوم الإعلام قد

اتسع ومازال يمتد ويتسع متداخلاً مع كل مجالات النشاط الإنساني، ومع كل أشكال وأنواع العلاقات

الإنسانية، وإذا رجعنا إلى معنى الإعلام في اللغة - "لوجدنا أنه يفيد الإخبار والإنباء والتعليم، وعلى ذلك

يمكن القول بأن الإعلام بالشيء : إظهار حقيقته ونقل العلم به إلى الغير"⁽⁶⁾. وهذا ما يعني أن جوهر

العملية الإعلامية هو العلم والحقيقة ثم تأتي مهمة نقلها إلى الجمهور.

فالمدلول الحديث للإعلام يرتبط بالدرجة الأولى بمعنى الاتصال الجماهيري، ومن هنا فكل كلمة الإعلام في

مدلولها الحديث تعني "الاتصال بالجماهير ومخاطبتها بالخبر والفكرة والمعلومات والرأي ونقل العلم إليها

بالطرق والوسائل المناسبة والفعالة، على أن يتوافق هذا الاتصال مع اتجاهات الجماهير وميولها"⁽⁷⁾.

إن تطور الإعلام اليوم أدى إلى توسيع نطاق الاتصال المشترك والمتبادل بين أعضاء المجتمع الإنساني الواحد وكذلك بين المجتمعات الأخرى المختلفة، وبذلك أصبحت العملية الإعلامية عملية اتصال متبادل ومتفرع ومتشعب بين أعضاء المجتمع. ويمكن تلخيص أسس ومبادئ الإعلام في النقاط التالية:

"- أن يقوم الإعلام على أساس واقعي.

- ينبغي أن تعرض الحقائق في إطار يتسم بالموضوعية والحياد.

- أن يكون الإعلام معبرا في كل جوانبه عن الجماهير التي يخاطبها.

- يعتمد الإعلام على جميع الأدوات الفنية التي تستعمل في صناعته وإيصال المعلومة إلى الناس" (8).

ومما سبق ذكره، يتضح لنا أن الإعلام هو حقيقة اجتماعية واقعية تتطلب الموضوعية، وأن تكون تلك الحقيقة ملائمة ومتوافقة مع اهتمامات تلك الجماهير وميولها ومستوى ثقافتها، وكذلك مع الروح الاجتماعية والتقاليد السائدة في المجتمع، وفي هذا السياق يقول العلامة أتوجروت "أن الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت" (9).

هذا الإعلام الذي يعتمد على وسائل عديدة ومتنوعة في بث رسالته الاتصالية إلى الأفراد المتلقين تعرف بوسائل الإعلام، والتي نعني بها مجموعة من الأدوات والطرق التي يتم من خلالها نقل المعلومة إلى أفراد المجتمع (الجمهور)، ويطلق عليها اليوم 'السلطة الرابعة' ذلك لأنها أصبحت من الوسائط التي تساهم في العملية التربوية والتعليمية والتي لها تأثير فعال وقوي على أفراد المجتمع المحلي وحتى على أفراد المجتمع العالمي، وما يميز وسائل الإعلام في عالمنا المعاصر قدرتها العالية والفعالة على التأثير، وذلك لخصائصها ومميزاتها التالية:

"التنوع، المجاذبية، التفاعلية، الوفرة، سهولة التواصل، الخصوصية، عدم الالتزام، الاختراق" (10).

ففيما يخص خاصية التنوع فنجد أن وسائل الإعلام متنوعة ومتعددة الأشكال والمضامين كالوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية... التي تعتمد على عملية الجذب والتأثير والإقناع في عقول ونفوس الجماهير، وفي هذه الحالة يمكن للمتلقي التفاعل مع بعض من تلك الوسائل في أي وقت أراد ذلك أي حرية التعامل واستعمال تلك الوسائل وفق ما يريد هو، ذلك لأن من خصائص وسائل الإعلام الحديثة أنها لا تقيد الفرد بقيم أخلاقية أو اجتماعية أو ثقافية معينة الأمر الذي يجعلها تتسم بالشمولية، فهي تشمل مختلف المجالات

(الاجتماعية، السياسية، الدينية، التربوية، الاقتصادية، الثقافية)، كل هذه المميزات والخصائص جعلت لوسائل الإعلام أثرا هاما على المستوى العالمي يفوق أثر المدرسة والأسرة وغيرها من مؤسسات المجتمع. **1-2-2 الاتصال (تعريفه وشروطه):** ما هو جدير بالذكر أن كلمة 'اتصال' تشير إلى معان كثيرة، فهناك من ينظر إليها على أنها علم، والبعض الآخر يعتبرها نشاطا وفنا، ونظرا لهذا التعدد في المعاني المرتبطة بالاتصال نجد العديد من العوامل التي أدت إلى تعدد استخداماته نذكر منها ما يلي:

"- تشير كلمة 'الاتصال' إلى الأنشطة العفوية والأنشطة الهادفة.

- استخدمت الكلمة أيضا في الأنشطة اليومية، وكذلك في الطرائق الفنية التي تستلزم خبرة احترافية أو معرفة متعمقة في مجال ما.

- اللبس الواضح بين استخدام كلمة اتصال بوصفه دراسة أو عملية وبين الاتصال بوصفه وسائل وتقنيات" (11).

ومن بين التعاريف لمفهوم الاتصال نجد تشارلز كولي (Cooley) يعرفه على أنه: "ذلك المکانيزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان، هي تتضمن تعبيرات الوجه والإيماءات والإشارات ونغمات الصوت والكلمات والهاتف،... وكل تلك التداير التي تعمل بسرعة وكفاءة على قهر بعدي الزمان والمكان" (12).

ومع تعدد التعريفات التي وضعت من طرف الباحثين من مختلف التخصصات لمفهوم الاتصال، فإننا يمكن أن نجمع هذه التعريفات في تعريف مبسط وشامل هو: أن الاتصال عملية يتم بمقتضاها تفاعل بين مرسل ومستقبل ضمن رسالة معينة، ومن خلال هذا التفاعل يتم نقل الأفكار، المعارف، المعتقدات، المشاعر،... بين الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات أو المجتمعات عن قضية ما أو واقع معين.

ومنه يتضح لنا، أن الاتصال هو عبارة عن عملية نقل للمعلومات قصد التواصل والتأثير الاجتماعي بوسائل معينة، وتستدعي العملية الاتصالية توفر مجموعة من الشروط، نذكر أهمها كالتالي:

- وجود طرفي الاتصال (المرسل والمستقبل).

- وجود موضوع لبناء العلاقة بين المرسل والمستقبل.

- وجود وسائل اتصال طبيعية أو تقنية لتسهيل عملية التواصل بين الطرفين

بالإضافة إلى هذه الشروط من الضروري أن تكون البيئة الاتصالية خالية من المعوقات التي تعيق نجاح العملية الاتصالية.

إضافة لما ذكر، نشير باختصار إلى أهمية العملية الاتصالية التي تتلخص في الوظائف التالية: تشجيع الحوار والنقاش بين الأفراد، وسيلة لنقل الثقافة، الترفيه، التنشئة الاجتماعية، تعزيز وتقوية العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد والمجتمعات الأخرى، ... الخ.

وخلاصة القول، ولما كان الاتصال أداة لتنمية قدرات الإنسان وتطور معارفه وخبراته سواء من الناحية الاجتماعية أو التعليمية أو التربوية أو التثقيفية أو السياسية، فإن وسائل الاتصال هنا لها دور أساسي ومحوري في تحقيق هذا الهدف الذي تسعى لتحقيقه أيضا عملية التنشئة الاجتماعية، هذه الأخيرة التي تعتمد على مجالات اتصالية متنوعة كالاتصال الأسري، الاتصال المدرسي، الاتصال السياسي، الاتصال الاجتماعي بنوعيه التقليدي والحديث.

1-2-3 تعريف تكنولوجيا المعلومات والاتصال: بأنها "مجموع التقنيات التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون الذي يراد توصيله، والتي يتم من خلالها جمع المعلومات من مصادر متنوعة (المسموعة، المكتوبة، الرقمية،...) ثم تخزين هذه المعلومات واسترجاعها في الوقت المناسب، ثم نشرها ونقلها من مكان إلى آخر، وقد تكون تلك التقنية الكترونية أو كهربائية حسب مرحلة التطور لوسائل الاتصال"⁽¹³⁾.

ما يمكن التنويه إليه، أن تكنولوجيا الاتصال الحديثة يمكن دراستها والتطرق إليها من خلال ظاهرتين أساسيتين تتميز بهما المجتمعات الصناعية المتقدمة، "الظاهرة الأولى هي تفجر المعلومات، والظاهرة الثانية هي تطور وسائل الاتصال وتعدد أساليبه من خلال استخدام قنوات اتصال جديدة تتيح نقل كميات غير محددة من رسائل المعلومات والترفيه والثقافة، مع إتاحة اختيارات كثيرة لمتلقي الاتصال يمكن توفيرها في أي وقت وفي أي مكان"⁽¹⁴⁾

ما يمكن التنويه إليه، أن وسائل تكنولوجيا الاتصال والإعلام تلعب دورا كبيرا في نمو الفكر الإنساني وتقدم الحضارة الإنسانية وانتقالها من حالتها البسيطة إلى الحالة المعقدة التي تتضمن التطور والتقدم الغير المحدود في المجال الفكري وحتى في المجال المادي، هذا الأخير الذي يتمحور في وسائل وآلات تكنولوجية متطورة ومتنوعة تخدم العملية الاتصالية وتعمل على نجاحها واستمرارها في فترة زمنية محدودة.

ومن أهم وسائل الاتصال التي عملت على التقدم هي "ابتكار حروف الهجاء وصولاً إلى مرحلة الطباعة، وبدأت معالم ثورة الاتصال الرابعة في القرن 19 من خلال اكتشاف الكهرباء والموجات الكهرومغناطيسية، الهاتف، السينما، أما الثورة الخامسة فقد شهدت ظاهرة تفجر المعلومات الذي تمثل في استخدام الحاسب الإلكتروني واستخدام الأقمار الصناعية لنقل البيانات عبر الدول والقارات بطريقة فورية"⁽¹⁵⁾.

وما يميز هذا النوع من التواصل أنه تجاوز الحدود الزمنية والمكانية، حتى أصبحت الشبكات الإلكترونية هي الإمبراطور الأساسي لكافة أشكال التبادل الإعلامي على المستوى العالمي لتلبية حاجات الأفراد المتنوعة كتزويدهم بالمعلومات والمعارف، فتح لهم مجالاً للترفيه والترويح عن النفس من خلال وسائط حديثة كالتلفزيون الكابلي، الفيديو كاسيت، الفيديو تكس، الفايبر، التويتتر، البريد الإلكتروني... الخ.

2- التنشئة الاجتماعية في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال: تساهم وسائل الإعلام والاتصال بمختلف أنواعها في عملية التنشئة الاجتماعية وبالتالي فهي تخلف آثاراً إيجابية وآثاراً سلبية وهذا الأمر لا جدال فيه، بناءً على الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع، وعليه في بحثنا هذا سنتناول الموضوع من زاوية أخرى حتى لا نقع في التكرار ما تم ذكره سابقاً من طرف الباحثين والباحثات، بحيث سنحاول معرفة خصائص ومضمون التنشئة الاجتماعية في ظل التحولات والتغيرات التي شهدتها مختلف دول العالم المتقدمة منها والمتخلفة نتيجة التطور والتقدم التكنولوجي لوسائل الاتصال والإعلام وهي كالتالي:

2-1 الطابع العالمي للتنشئة الاجتماعية: تتسم التنشئة الاجتماعية اليوم بالعالمية وهذا أمر طبيعي لأن تلك الوسائل هي وسائل العولمة التي تريد جعل العالم قرية صغيرة، فالعولمة تسعى إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب الحياة الاجتماعية لكل المجتمعات، مبرجة ومبلورة في بعد واحد مبني على مبادئها وشعاراتها ورموزها، وذلك من خلال "الإمبراطوريات الفضائية التي أصبحت المصدر الجديد لإنتاج وصناعة القيم والرموز وأدوات تشكيل الوعي والذاكرة والوجدان، هذه القيم التي تدور حول تشجيع النزعة الاستهلاكية وغرس قيم الأنانية والفردية والروح النفعية"⁽¹⁶⁾

وهذا ما يعني أن تكنولوجيا الاتصال والإعلام تسعى لإرساء دعائم العولمة والترويج لإيديولوجياتها وثقافتها التي تختلف عن ثقافة دول الجنوب وهنا نكون في سياق الحديث عن سلبيات التقدم العلمي والتكنولوجي الذي ساهم في "تدعيم الهيمنة الاتصالية لدول الشمال بمعنى زيادة الفجوة الاتصالية بين الشمال الغني

والجنوب الفقير على مستوى العالم، واختيار السيادة القومية للإعلام في ظل اختيار المفاهيم التقليدية حول القومية الحديثة مثل السيادة على الفضاء والحدود، ظهور تقسيمات جديدة للعالم قائمة على أساس الجغرافيا الفضائية⁽¹⁷⁾

هذه الهيمنة الاتصالية لدول الشمال تتمحور في اختراق منظومة القيم الثقافية لدول الجنوب عن طريق مختلف وسائل الإعلام الجديد (الإعلام الرقمي) الذي يتخطى ويتجاهل عاملي الزمان والمكان معتمدا في ذلك على العديد من أساليب الإقناع والتأثير في عقول ونفوس وسلوكيات الأفراد (الجماهير) التي تتجلى في المسلسلات والأفلام ومختلف البرامج الأمريكية من أجل ترويج القيم الاجتماعية والثقافية الغربية ونشرها في دول الجنوب، مما يؤدي الأمر إلى حدوث أزمة ثقافية للمجتمعات عامة والمجتمعات الإسلامية خاصة. ومما سبق ذكره، نستخلص أن الخصوصية العالمية للتنشئة الاجتماعية المندرجة ضمن ثقافة العولمة الغربية تؤدي إلى خلق أزمة ثقافية لدول الجنوب من خلال اعتمادها على تكنولوجيا الإعلام والاتصال المتطورة هذا من جهة وجعلها سوق استهلاكية لا إنتاجية من جهة أخرى.

2-2 الأنترنت كمصدر للتنشئة الاجتماعية: تمارس التنشئة الاجتماعية من خلال عدة مؤسسات اجتماعية كالأُسرة والمدرسة والمؤسسات الدينية... الخ، غير أن هذه المؤسسات وأمام المقترضات والتحويلات الجديدة والتطورات التكنولوجية المستمرة أضحت تتعرض للمنافسة من قبل هذه التكنولوجيا وعلى رأسها الإنترنت في تنشئة الفرد اجتماعيا، سياسيا، دينيا، ثقافيا، اقتصاديا، ولكن السؤال الذي يطرح هو: لماذا الإنترنت؟ سنجيب: لقد وصفت الإنترنت بأنها "إمبراطور النظم الإعلامية"⁽¹⁸⁾.

فشبكة الأنترنت تعد وسيلة اتصالية لم تعرف البشرية مثلها من قبل، سواء من حيث تطبيقاتها واستخداماتها وبرامجها، أو من حيث تأثيراتها ووظائفها المتنوعة السلبية منها واليجابية، فهي وسيلة اتصالية قامت باختزال كل الوسائل التي سبقتها في الظهور، بحيث قامت بدمجها وضمها إلى قاعدتها، فمثلا نجد كل من التلفزيون، الإذاعة، الهاتف، الصحف، الكتب وغيرها من الوسائل قد أصبحت متاحة على الشبكة العنكبوتية والتي يتم استعمالها والاعتماد عليها في أي مكان وفي أي زمان سواء بين الأفراد أو المؤسسات أو المجتمعات، وهذا ما جعل من التنشئة الاجتماعية تتسم بالعالمية كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

وفي نفس السياق، نجد الكاتب هج ويلز عام 1938 قد نشر كتابا بعنوان 'عقل العالم' تخيل فيه أن التكنولوجيا في المستقبل يمكن أن تتيح تخزين المعارف البشرية كلها في وعاء واحد يسمح لأي شخص بالاستفادة منه، وهذا ما أظهرته شبكات المعلومات⁽¹⁹⁾.

وهذا ما يعني أن الإنترنت تعتبر الوسيلة الاتصالية الوحيدة لحد الآن التي توفر المعلومات بكل اللغات والأساليب والأشكال وكما يقول: "الكاتب WattsWacker أن الإنترنت قامت بإرواء ظمأ وتعطش الأفراد للمعلومات"⁽²⁰⁾.

فشبكة الإنترنت ليست كغيرها من وسائل الإعلام، فهي ذات طابع كوني ومتاحة لكل الأفراد دون استثناء، والشيء المهم الذي جعلها تتميز عن وسائل الإعلام الأخرى هو طابعها التفاعلي، فالمستعمل يمكنه أن يشارك في مضمونها ويضيف أو يغير أي شيء، ويمكنه أن يختار الخدمة التي يشاء. ولقد أدى الاستعمال المفرط لشبكة الإنترنت وخدماتها المختلفة، إلى حصول ما يسميه فيليب بروتون (philippe breton) "بالثمالة الاتصالية"⁽²¹⁾، وبالتالي أدى ذلك إلى حدوث انعكاسات على الأفراد المستعملين وعلى المستوى العام للمجتمع ككل، سواء كانت انعكاسات اجتماعية، نفسية، أخلاقية أو ثقافية وانعكاسات سلبية أو إيجابية.

ومع التطور الذي شهدته شبكة الإنترنت أدى الأمر إلى تعدد الاستعمالات المفيدة للشبكة حتى بدأ أنه من الصعب حصرها، ويمكن أن نلخص أهم هذه الاستعمالات فيما يلي:

"- الاستفادة من قواعد البيانات.

-قراءة وسماع الأخبار العالمية والمحلية.

-استخدام البريد الإلكتروني.

-معرفة الأخبار في أسرع وقت وتكاليف قليلة.

-نشر الإعلانات المختلفة الوظائف والاطلاع عليها.

-بعد التفاعل الجديد الذي يتيح لمستخدميه فرص متساوية على عكس الإعلام التقليدي"⁽²²⁾.

فيما يتعلق ببعد التفاعلية نجدها تتجلى في شبكات التواصل الاجتماعي من خلال خلق جوا اتصاليا بين الأفراد بمختلف الأشكال، والسمة المميزة لهذه المواقع هي تركيزها على بنية العلاقات وأهميتها، ابتداء من

التعارف وانتهاء بالعلاقات الوثيقة، وساعد في نجاح هذه السمة عناصر عدة توفرها شبكات التواصل الاجتماعي تمثل أبرزها فيما يلي:

"- يستطيع المستخدم أن يتحدث إلى أناس مشاهير له من حيث المصالح والانتماء الديمغرافي.

- يستطيع المستخدم أن يتحدث مع الكثير من الناس في وقت واحد.

- توفر شبكات التواصل الاجتماعي حرية التعبير الذاتي عن الاهتمامات والآراء"⁽²³⁾.

- فالشبكات الاجتماعية تؤثر في مختلف العمليات الاجتماعية بشكل كبير ومن بينها عملية التنشئة الاجتماعية، "بحيث أصبحت هي المؤسسة التربوية والتعليمية مكان كل من الأسرة والمدرسة والتي تقوم بدور أساسي في تلقين الأجيال والمنظومة المعرفية المنزوعة من سياقها التاريخي والقيم السلوكية ذات النزعة الاستهلاكية، والتي تروج بأشكال متنوعة لمصالح السوق العالمية وأيديولوجيتها. والتي تستهدف إعادة تأهيل البشر للتكيف مع متطلبات العولمة وشروطها"⁽²⁴⁾.

إذن: التغيير في مصادر التنشئة الاجتماعية أدى بدوره إلى التغيير في أهدافها أي من تحقيق التكيف الاجتماعي للأفراد داخل المجتمع الذي ينتمون إليه إلى محاولة تحقيق التكيف مع متطلبات العولمة الثقافية، وهنا يقودنا الحديث عن مسألة أخرى وهي إلغاء الخصوصية الثقافية للمجتمعات عامة والمجتمعات الإسلامية خاصة في مقابل ترسيخ الثقافة العالمية الأجنبية بمختلف الوسائل الاتصالية الالكترونية، ماذا نعي بكلامنا هذا؟

الجواب هو كالتالي:

2-3 التحول من التنشئة التقليدية إلى التنشئة الالكترونية: في ظل هذه التحولات والتغيرات التي شهدتها المجتمع نتيجة تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، فقد أصبحت التنشئة الاجتماعية اليوم تعتمد على ما هو إلكتروني، ويمكننا إعطاء مثال على ذلك من خلال التطبيقات التي يلجأ إليها مستعملو الإنترنت والتي تلعب دورا في عملية التنشئة الاجتماعية عامة والتنشئة السياسية خاصة كنموذج يعكس هذا التحول الذي عرفته التنشئة اليوم، وتتلخص هذه التطبيقات الالكترونية فيما يلي:

"المدونات: هي عبارة عن مواقع الكترونية تستخدم كصحيفة يومية لنقل الأخبار ومناقشتها، من أجل تلبية المحتوى الذي يبحث عنه المتلقي لتنمية ثقافته.

إلى التنشئة الاجتماعية الحديثة (الالكترونية) التي تعتمد على شبكات التواصل الاجتماعي، الصحف الالكترونية، المدونات.

- ولكن، ماذا سيحصل الآن في ظل هذا التطور التكنولوجي لوسائل الإعلام والاتصال في عملية التنشئة الاجتماعية؟

وماذا سيحدث لمختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، جماعة الرفاق، المؤسسات الدينية) في ظل هذا النوع من التنشئة الالكترونية؟
الجواب هو كالآتي:

2-4 التنشئة الاجتماعية من الاندماج الاجتماعي إلى الانعزال الفردي: بعدما كانت المؤسسات الاجتماعية التقليدية (الأسرة، المدرسة، المؤسسات الدينية، ...) تسعى من خلال عملية التنشئة الاجتماعية لتحقيق الاندماج الاجتماعي والثقافي للفرد وصولا به لتحقيق التكيف الاجتماعي الذي يؤدي به إلى الاستقرار والاستمرار داخل المجتمع الذي يعيش فيه مع عائلته أو أصدقائه أو جيرانه، إلى مؤسسات حديثة تتسم بالتطور التكنولوجي (شبكات التواصل الاجتماعي، التلفزيون الرقمي، الصحافة الالكترونية، ...) تسعى في تنشئتها إلى تكريس الفردية والانعزالية والتكيف مع العالم الافتراضي على حساب العالم الواقعي وفي هذا المعنى نجد الدراسة المعنونة ب' الصورة السمعية البصرية وتأثيراتها على القيم والممارسات لدى تلاميذ الثانويات - شبكات التواصل الاجتماعي - الفيسبوك نموذجاً - دراسة ميدانية على تلاميذ ثانويات بلدية عين الترك' للباحثان يطو عبد الغني وين شهيدة أحمد اللذان توصلا في دراستهما أن أبرز سلبيات المواقع الاجتماعية هي تدعيم العزلة الاجتماعية للتلميذ، جلوسه على هذا الموقع لفترات طويلة نسبيا، بما لا يتيح له الاختلاط مع الآخرين، واستيراد العديد من المشاكل الاجتماعية الغربية عن المجتمع الجزائري مثل إحلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية التي تتماشى مع الثقافة العالمية السائدة كنوع من الثقافة العالية" (27)

وهنا يحدث التناقض، كيف ذلك؟ مثلا نجد أن شبكات التواصل الاجتماعي تعمل على توسيع العلاقات الاجتماعية للفرد في المجتمع الافتراضي على حساب المجتمع الواقعي التي تضعف فيه هذه العلاقات داخل مختلف المؤسسات الاجتماعية ونخص بالذكر داخل الأسرة، هذه الأخيرة التي تعاني من ضعف الاتصال بين

أفرادها في ظل تكنولوجيا الإعلام والاتصال ونشير بالضبط إلى شبكات التواصل الاجتماعي المتنوعة الوظائف والاستخدامات.

وفي هذه الحالة، ما يسعنا سوى القول أن التنشئة الاجتماعية اليوم تقوم بالتركيز على الفرد الذي أصبح هدفا أساسيا للاتصال الإلكتروني، باعتباره المحدد للعلاقة الأحادية بين المرسل والمستقبل في محيط افتراضي الذي يكرس ويشجع الانعزال الفردي على حساب الاندماج الاجتماعي.

الخاتمة: وفي نهاية هذا البحث يمكن القول أنه صدق من وصف الإنترنت بأنها إمبراطور النظم الإعلامية باعتبارها وسيلة إعلامية اتصالية أصبحت من أكثر الوسائل تأثيرا في عملية التنشئة الاجتماعية اليوم بحيث احتكرت المجال وأبعدت مختلف المؤسسات الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، المؤسسات الدينية،...) عن مساهمتها في عملية التنشئة الاجتماعية. فوسائل الإعلام الجديدة ليست كلها شر وليست كلها خير، وهذا ما يعني أن لها انعكاسات وآثار سلبية وأخرى إيجابية فمثلا نجد أن وسائل الإعلام الجديدة تقوم بوظيفة التخدير حسب ما أشار إلى ذلك لازرسفيلد وميرتون "فالتخدير يمثل نوعا من الخلل الوظيفي في المجتمع وهو ما تقوم به وسائل الاتصال في أوقات الأزمات وذلك بعد أن تقوم بغمر الساحة بالمعلومات الصحيحة والغير صحيحة، وحينها لا يستطيع الجمهور التفرقة بين الطيب والحبيث والتمين وتضعف قدرة الناس على اتخاذ قرارات ترتبط بمصيرهم أو في المشاركة السياسية الواعية"⁽²⁸⁾.

ومن جانب آخر لا يمكن إغفال الوظيفة التثقيفية لوسائل الاتصال الحديثة "والوظيفة السياسية مثلا لما لعبته من دور كبير حيث ساهمت في نشر الوعي السياسي وخير مثال على ذلك دورها السياسي وما حدث في الدول العربية سنة 2011"⁽²⁹⁾.

كما نجد أيضا أن شبكات التواصل الاجتماعية لم تعد فقط مصدرا للمعلومات المجردة، بل أضحت ساحة للتفاعلات والتجاذب بين القيم الموجودة في المجتمع الأصلي والقيم الجديدة التي يكتسبها الأفراد من خلال مواقع التواصل الاجتماعي المتنوعة كالفيسبوك، التويتر،...، بالإضافة إلى ذلك نجد أن هذه المواقع تتيح للأفراد الحرية في التعبير عن أفكارهم وعن مشاعرهم دون قيد، وبعبارة مختصرة، تعتبر مختلف شبكات التواصل الاجتماعي مؤسسات اجتماعية أساسية لا غنى عنها في المجتمعات المعاصرة فبواسطتها تبنى القيم لدى الأفراد، وبواسطتها يفرض الفرد شخصيته ويعبر عنها، وبواسطتها تدعم الهويات الوطنية والثقافية

للمجتمعات، وبواسطتها أيضا تتغير المجتمعات من الأحسن إلى الأحسن، أو من الأسوأ وهذا يتوقف طبعا على طبيعة وطريقة استخدامها من طرف مستعمليها (أي مستعملي شبكات التواصل الاجتماعي) كل هذا يندرج ضمن ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية المعاصرة، ولماذا المعاصرة؟ لأن التنشئة الاجتماعية كعملية اجتماعية محلية خاصة بمجتمع ما بالدرجة الأولى، بحيث تهدف التنشئة الاجتماعية إلى جعل أفراد المجتمع يتكيفون مع ثقافته لخلق التوازن داخله (المجتمع) إلى عملية اجتماعية عالمية تهدف إلى خلق التكيف مع التطورات والمستجدات التي يشهدها العالم بأكمله، وهذا الأمر ليس بالغريب ما دامت العولمة فرضت نفسها في مختلف المجالات (الاجتماعية، التربوية، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، العلمية) من خلال وسائلها المتنوعة والمتطورة نتيجة نمو وتطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

الهوامش:

- 1- حسن عماد مكاوي. تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات. القاهرة. الدار المصرية اللبنانية للنشر. الطبعة الثانية. 1997 ص: 18.
- 2- الموسوي صادق عباس. التنشئة الاجتماعية والالتزام الديني. بيروت. مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي. الطبعة الأولى. 2017. ص: 22-23.
- 3- الفصيل ريمي. التنشئة الاجتماعية والروابط داخل المنظمة الصناعية. الجزائر. جامعة الجزائر. منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. 2008. ص: 210.
- 4-Dinmohammadi, Mohammadreza and others).. Concept Analysis of professional socialization in Nursing. Nursing Forum. .2013 P :-26.
- 5- صابر عبد العليم أسماء. الأسرة ودورها في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل وانعكاساتها على التفاعل الاجتماعي. جامعة عين الشمس.(ب.ت). ص: 01-26.
- 6- حامد عبد الواحد. الإعلام في المجتمع الإسلامي. مكة المكرمة. رابطة العالم الإسلامي. 1984. ص: 19.
- 7- حامد عبد الواحد. الإعلام في المجتمع الإسلامي. نفس المرجع. 1984. ص: 20.
- 8- الشيخ فتح الله غازي إسماعيل. دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية للحد من ظاهرة أطفال الشوارع-دراسة ميدانية لطلبة الجامعات. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد الرابع. كانون الأول 2019. ص 139.
- 9- الشيخ فتح الله غازي إسماعيل. دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية للحد من ظاهرة أطفال الشوارع-دراسة ميدانية لطلبة الجامعات. نفس المرجع. ص 139.

- 10- فهد بن عبد الرحمان الشميمري. التربية الإعلامية - كيف نتعامل مع الإعلام؟ الرياض. الطبعة الأولى. 2010. ص: 40-41.
- 11-- طلعت محمود منال. مدخل إلى علم الاتصال. الإسكندرية. جامعة الإسكندرية. 2001. ص: 11-12.
- 12- حسن عماد مكايي. تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات. نفس المرجع. ص: 04.
- 13- اللحام محمود عزت وآخرون. تكنولوجيا الإعلام والاتصال. الأردن. عمان. دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. 2015. ص: 66.
- 14- حسن عماد مكايي. تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات. نفس المرجع. ص: 19.
- 15- الطويجي حسين حمداوي. وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم. الكويت. دار القلم. الطبعة الثامنة. 1987. ص: 21.
- 16- عبد الرحمان عواطف. الإعلام العربي وقضايا العولمة. مصر. (ب.ط.). (ب.ت). ص: 68-69.
- 17- عبد الرحمان عواطف. الإعلام العربي وقضايا العولمة. نفس المرجع. ص: 61.
- 18- دومينيك وولتون. ترجمة: علي مولا. الإعلام ليس توأصلا. لبنان. بيروت. دار الفارابي للنشر. الطبعة الأولى. 2012. ص: 59.
- 19- الرعود عبد الله ممدوح مبارك. دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين. تحت اشراف: د. حلمي ساري. الأردن. جامعة الشرق الأوسط. رسالة الماجستير في الإعلام. 2012. ص: 26.
- 20- إبراهيم بعزیز. تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية. القاهرة. دار الكتاب الحديث. الطبعة الأولى. 2012. ص: 69.
- 21- philippe breton. Le culte de l'internet-une menace pour le lien social. Paris. La découverte..2000.p: 09.
- 22- الرعود عبد الله ممدوح مبارك. دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين. نفس المرجع. ص: 27-28.
- 23- الرعود عبد الله ممدوح مبارك. دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين. نفس المرجع. ص: 28.
- 24- عبد الرحمان عواطف. الإعلام العربي وقضايا العولمة. نفس المرجع. ص: 70.

25- مغزيلي نوال. تأثير الشبكة العنكبوتية على التنشئة السياسية للأفراد- من التنشئة السياسية التقليدية إلى التنشئة السياسية الإلكترونية. الجزائر. قسنطينة. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. المجلد 33. العدد 02. سبتمبر 2019. ص: 751-750.

26- Mayfield Antony. What is social media ? icrossing.2008.p :05.

27- يطو عبد الغني وين شهيدة أحمد. الصورة السمعية البصرية وتأثيراتها على القيم والممارسات لدى تلاميذ الثانويات - شبكات التواصل الاجتماعي- الفايبروك نموذجاً- دراسة ميدانية على تلاميذ ثانويات بلدية عين الترك. الجزائر. جامعة وهران. مجلة التدوين. العدد 11. السداسي الثاني. 2018. ص: 217.

28- أبو الحسن منال. أساسيات علم الاجتماع الإعلامي- النظريات والوظائف والتأثيرات. مصر. القاهرة. دار النشر للجامعات. 2007. ص: 93.

29- إبراهيم بعزیز. تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية. نفس المرجع. ص: 78.

قائمة المراجع:

1- اللحام محمود عزت وآخرون. تكنولوجيا الإعلام والاتصال. الأردن. عمان. دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. 2015.

2- الطويجي حسين حمدي. وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم. الكويت. دار القلم. الطبعة الثامنة. 1987.

3- الموسوي صادق عباس. التنشئة الاجتماعية والالتزام الديني. بيروت. مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي. الطبعة الأولى. 2017.

4- الفضيل رتيمة. التنشئة الاجتماعية والروابط داخل المنظمة الصناعية. الجزائر. جامعة الجزائر. منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. 2008.

5- الرعود عبد الله ممدوح مبارك. دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين. تحت اشراف: د. حلمي ساري. الأردن. جامعة الشرق الأوسط. رسالة الماجستير في الإعلام. 2012.

6- إبراهيم بعزیز. تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية. القاهرة. دار الكتاب الحديث. الطبعة الأولى. 2012.

7- أبو الحسن منال. أساسيات علم الاجتماع الإعلامي- النظريات والوظائف والتأثيرات. مصر. القاهرة. دار النشر للجامعات. 2007.

8- الشيخ فتح الله غازي إسماعيل. دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية للحد من ظاهرة أطفال الشوارع-دراسة ميدانية لطلبة الجامعات. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد الرابع. ص 133-162. كانون الأول 2019. في موقع:

www.Search.shamaa.org-pdf

consulté le : 28/04/2020

9- حسن عماد مكايوي. تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات. القاهرة. الدار المصرية اللبنانية للنشر. الطبعة الثانية. 1997.

10- حامد عبد الواحد. الإعلام في المجتمع الإسلامي. مكة المكرمة. رابطة العالم الإسلامي. 1984.

11- دومينيك وولتون. ترجمة: علي مولا. الإعلام ليس توأصلا. لبنان. بيروت. دار الفارابي للنشر. الطبعة الأولى. 2012.

12- صابر عبد العليم أسماء. الأسرة ودورها في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل وانعكاساتها على التفاعل الاجتماعي. جامعة عين الشمس. (ب. ت). ص: 01-26. في موقع:

<http://jssa.journal.ekb.eg/article.pdf>

Consulté le : 15/04/2020

13- طلعت محمود منال. مدخل إلى علم الاتصال. الإسكندرية. جامعة الإسكندرية. 2001.

14- عبد الرحمان عواطف. الإعلام العربي وقضايا العولمة. مصر. (ب. ط.). (ب. ت.).

15- فهد بن عبد الرحمان الشميمري. التربية الإعلامية - كيف نتعامل مع الإعلام؟ الرياض. الطبعة الأولى. 2010.

16- مغزيلي نوال. تأثير الشبكة العنكبوتية على التنشئة السياسية للأفراد - من التنشئة السياسية التقليدية إلى التنشئة السياسية الإلكترونية. الجزائر. قسنطينة. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. المجلد 33. العدد 02. ص: 734-755). سبتمبر 2019.

17- يطو عبد الغني وين شهيدة أحمد. الصورة السمعية البصرية وتأثيراتها على القيم والممارسات لدى تلاميذ الثانويات -شبيكات التواصل الاجتماعي- الفايبروك نموذجاً-دراسة ميدانية على تلاميذ ثانويات بلدية عين الترك. الجزائر. جامعة وهران. مجلة التدوين. العدد 11. السداسي الثاني. ص: 210-218. 2018.

18-Dinmohammadi, Mohammadreza and others. **Concept Analysis of professional socialization in Nursing**. Nursing Forum. 2013. P :34-26.

<http://www.reseachgate.net/publication/23539941>

Consulté le : 15/04/2020

Mayfield Antony. **What is social media ?** icrossing. 2008.19-

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

[http://www.icrossing.com/uk/sites/default/](http://www.icrossing.com/uk/sites/default/media_icrossing_ebook.pdf) What is social media_icrossing_ebook.pdf.

consulted : 04/05/2020.

20-philippe breton. **Le culte de l'internet-une menace pour le lien social**. Paris. La découverte.2000

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأولاد واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أساليب قياس صعوبات التعلم وتشخيصها لدى المتعلم .

حميدة حدبي. دكتوراه علوم

جامعة مولود معمري - تيزي وزو - الجزائر .

hamidahadbi@yahoo.fr

لخضر بوعنيقة. دكتوراه علوم.

جامعة مولود معمري - تيزي وزو - الجزائر .

Bouanigalak62@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/01 م تاريخ التحكيم: 2020/10/11 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

تعتبر صعوبات التعلم من المشكلات التربوية الخاصة لأنها ذات أبعاد تربوية ونفسية واجتماعية نظرا لتزايد أعداد التلاميذ الذين يعانون من صعوبات التعلم في مادة أو معظم المواد الدراسية لعجزهم الدراسي، وتكرار رسوبهم في الصف الدراسي ، مما يجعلهم لا يتواءمون مع الفصول الدراسية العادية والمناهج العادية فمنهم من يتخلفون في تعلم الكلام أو لا تنمو لديهم سهولة استخدام اللغة، أو الذين يواجهون صعوبة بالغة في تعلم القراءة، أو القيام ببعض العمليات الحسابية، وبشكل عام يعجزون عن التعلم بالأساليب المعتادة مع أنهم ليسوا متخلفين عقليا، ولكنهم يتخلفون عن نظائرهم ويفشلون في التعلم لأسباب مختلفة... إلا انه يجمع بينهم جميعا مظهر واحد على الأقل هو التباعد أو الانحراف في نمو القدرات .

إن مشكلة تزايد انتشار صعوبات التعلم يمثل تحديا كبيرا للعاملين في هذا المجال سواء لدى الدول المتقدمة أو الأقل تقدما، وذلك بسبب الآثار التي تتركها على الذين يعانون منها وعلى الأسرة وعلى المجتمع ككل، فصعوبات التعلم من المجالات المهمة التي لم تحض بالعناية الكافية قياسا الى أهميتها، الأمر الذي يتطلب المزيد من البحث الى تشخيص هذه الصعوبات والتعرف إليها.

الكلمات المفتاحية: صعوبات التعلم ، التشخيص .

Methods of measuring and diagnosing learning difficulties for the learner

Hadbi Hamida /PhD of Science

University: Mouloud Mammeri - Tizi Ouzou - Algeria

Email: hamidahadbi@yahoo.fr

Lakhdar Bouanika. PhD of Science.

University: Mouloud Mamari - Tizi Ouzou - Algeria.

Email: Bouanigalak62@gmail.com

Abstract :

Learning difficulties are considered special educational problems because they have educational, psychological and social dimensions due to the increasing number of students who suffer from learning difficulties in one or more subjects for their academic disability, and repetition of their failure in the classroom, which makes them not compatible with the regular classrooms and regular curricula, some of them fall behind In learning to speak or do not grow with the ease of using the language, or who face a great difficulty in learning to read, or do some mathematical operations, and in general they are unable to learn by the usual methods even though they are not mentally retarded, but they fall behind their peers and fail to learn for various reasons .. Except that they all have at least one aspect, which is the spacing or the deviation in the capacity development.

The problem of the increasing prevalence of learning difficulties represents a major challenge for workers in this field, whether in developed or less developed countries, because of the effects it leaves on those who suffer from it, the family and society as a whole. Learning difficulties are important areas that have not received adequate attention in relation to their importance, Which requires more research to diagnose and identify these difficulties .

Keywords: learning difficulties, diagnosis

الإشكالية:

تعتبر صعوبات التعلم من المشكلات التربوية الخاصة لأنها ذات أبعاد تربوية ونفسية واجتماعية نظرا لتزايد أعداد التلاميذ الذين يعانون من صعوبات التعلم من مادة أو معظم المواد الدراسية لعجزهم الدراسي، وتكرار رسوبهم في الصف الدراسي، مما يجعلهم لا يتواءمون مع الفصول الدراسية العادية والمناهج العادية فمنهم من يتخلفون في تعلم الكلام، أو لا تنمو لديهم سهولة استخدام اللغة، أو الذين يواجهون صعوبة بالغة في تعلم القراءة، أو القيام ببعض العمليات الحسابية، وبشكل عام يعجزون عن التعلم بالأساليب

المعتادة مع أنهم ليسوا متخلفين عقليا، ولكنهم يتخلفون عن نظائهم ويفشلون في التعلم لأسباب مختلفة.. إلا انه يجمع بينهم جميعا مظهر واحد على الاقل هو التباعد أو الانحراف في نمو القدرات. إن الاطفال الذين يعانون من صعوبات تعلمية لا يصنفون ضمن فئات الاطفال المعوقين ولكنهم بلا شك بحاجة إلى فصول خاصة لاكتساب المهارات المدرسية. ان مشكلة تزايد انتشار صعوبات التعلم يمثل تحديا كبيرا للعاملين في هذا المجال سواء لدى الدول المتقدمة او الاقل تقدما، وذلك بسبب الآثار التي تتركها على الذين يعانون منها وعلى الاسرة وعلى المجتمع ككل، فصعوبات التعلم من المجالات المهمة التي لم تحظى بالعناية الكافية قياسا الى أهميتها، الأمر الذي يتطلب المزيد من البحث الى تشخيص هذه الصعوبات والتعرف اليها. من هذا المنطلق سنحاول التعرف الى أساليب وتشخيص صعوبات التعلم لدى المتعلم.

1. تعريف صعوبات التعلم:

تمت المحاولة الاولى لوضع تعريف محدد لصعوبات التعلم في عام 1963 حيث اقترح كيرك التعريف التالي: "يشير مفهوم صعوبات التعلم إلى تأخر أو اضطراب أو تخلف في واحدة أو أكثر من عمليات الكلام، اللغة، القراءة، التهجئة، الكتابة، أو العمليات الحسابية نتيجة لخلل وظيفي في الدماغ أو اضطراب عاطفي أو مشكلات سلوكية. ويستثنى من ذلك الأطفال الذين يعانون من صعوبات التعلم الناتجة عن حرمان حسي أو تخلف عقلي أو حرمان ثقافي". (أولفت محمود، 2006، ص 11)

وفي عام 1968 وضعت اللجنة الوطنية الاستشارية لشؤون المعوقين التابعة لمكتب التربية الاميركي تعريفها مستندة إلى تعريف كيرك وقد اعتمد من قبل القانون الاميركي للمعوقين في سنة 1975 وتعديلاته اللاحقة سنة 1990 والذي ينص على التالي: "صعوبات التعلم الخاصة تشير إلى اضطراب في واحدة أو أكثر من العمليات النفسية الاساسية اللازمة سواء لفهم أو استخدام اللغة المنطوقة أو المكتوبة. وتظهر على نحو قصور في الاصغاء، أو التفكير، أو النطق، أو القراءة ، أو الكتابة ، أو التهجئة، أو العمليات الحسابية. ويتضمن هذا المصطلح أيضا حالات التلف الدماغية، والاضطرابات في الادراك، والخلل الوظيفي في الدماغ وعسر القراءة أو حبسة الكلام. ويستثنى من ذلك الاطفال الذين يعانون من صعوبات في التعلم

يمكن أن تعزى للتخلف العقلي أو لتدني المستوى الثقافي الاجتماعي أو للصعوبات البصرية أو السمعية أو الحركية أو الانفعالية" (أولفت محمود، نفس المرجع: 11)

تم نقد هذا التعريف من قبل الكثير من المختصين لاستخدامه بعض العبارات التي يصعب وصفها إجرائيا مثل العمليات النفسية والاضطرابات في الإدراك والخلل الوظيفي في الدماغ والبعض انتقده لإغفاله تحديد درجة شدة الاضطراب أو التأخر.

ومن التعريفات التي وضعت في هذا المجال بعض التعريفات التي حاولت التفريق بين صعوبات التعلم وبين الظروف الأخرى التي تؤثر في انخفاض التحصيل العلمي حيث يوجد نمطين أساسيين من العوامل التي تؤثر في هذا الانخفاض وهي:

- **عوامل داخلية** : ترجع إلى ظروف داخل الفرد مثل التخلف العقلي والاعاقات الحسية والاضطرابات الانفعالية الشديدة وصعوبات التعلم وقد أشير إليها في تعريف اللجنة الوطنية الاستشارية لشؤون المعوقين من خلال الاضطرابات النفسية.

- **عوامل خارجية**: وترجع إلى العوامل البيئية كالثقافية والاقتصادية والظروف الاجتماعية ونقص فرص التعليم والتعلم، وتمثلت هذه العوامل في تعريف الـ NJCLD في عبارة المؤثرات البيئية.

ذهب البعض إلى أن مشكلة القراءة واللغة هي جوهر صعوبات التعلم في حين أكد الآخرون أن الانتباه هو الأساس فيما اعتبر البعض الآخر أن الاضطرابات النفسية مثل الذاكرة والإدراك هي الأساس أيضا.

أما الحكومة الاتحادية الأمريكية فحددت عام 1977 ثلاث أنواع من المشكلات:

- مشكلات لغوية : تعبير شفهي مبني على الاستماع.
 - مشكلات القراءة والكتابة : التعبير الكتابي ومهارات القراءة.
 - مشكلات رياضية : اجراء العمليات الحسابية والاستدلال الرياضي.
- وفي ضوء ذلك يمكن تقسيم صعوبات التعلم إلى مجموعتين: صعوبات التعلم النمائية، صعوبات التعلم الأكاديمية.

أولا/ صعوبات التعلم النمائية: تشمل صعوبات التعلم النمائية المهارات السابقة التي يحتاجها الطفل بهدف التحصيل في الموضوعات الأكاديمية، مثلا يتعلم الطفل كتابة اسمه عن طريق تطوير الكثير من المهارات

مثل الإدراك، تأزر البصري الحركي، الذاكرة... فحين تضطرب هذه الوظائف بدرجة كبيرة ويعجز الطفل عن تعويضها من خلال وظائف أخرى ينتج عنها صعوبة لدى الطفل في تعلم الكتابة أو التهجئة أو إجراء العمليات الحسابية.

ثانياً/ صعوبات التعلم الأكاديمية: هي المشكلات التي تظهر من قبل أطفالنا في المدارس وتشتمل على: صعوبات بالقراءة، صعوبات بالكتابة، صعوبات بالتهجئة والتعبير الكتابي، صعوبات بالحساب.

2. تحديد الاطفال ذوي صعوبات التعلم:

هناك ثلاث محكات يجب التأكد منها قبل ان نشخص صعوبات التعلم عند الطفل وهي: **محك التباعد أو التباين، محك الاستبعاد، محك التربية الخاصة**
أولاً: محك التباعد والتباين: يظهر الاطفال ذوي صعوبات التعلم تباعداً في إحدى الأمرين التاليين أو كليهما:

- تباعداً واضحاً في نمو العديد من السلوكيات النفسية (الانتباه، والتميز واللغة والقدرة البصرية الحركية، والذاكرة وإدراك العلاقات وغيرها).

- تباعداً بين النمو العقلي العام أو الخاص والتحصيل الأكاديمي: ففي مرحلة ما قبل المدرسة عادة ما يلاحظ عدم الاتزان النمائي، في حين يلاحظ التخلف الأكاديمي في المستويات الصفية المختلفة.
ثانياً: محك الاستبعاد: إن تعريفات صعوبات التعلم تستبعد تلك الصعوبات التي يمكن تفسيرها بتخلف عقلي عام أو الاعاقات الحسية أو الاضطرابات الانفعالية أو نقص فرص التعلم، إن السبب في استبعاد هذه الحالات قد يكون واضحاً فالطفل الاصم لا يطور لغته بشكل طبيعي وفي هذه الحالة يحتاج الطفل إلى برنامج تربوي للصم بدلاً من برنامج صعوبات التعلم لأنه قدراته البصرية والعقلية قد تكون عادية.

ثالثاً: محك التربية الخاصة : الاطفال ذوي صعوبات التعلم لا يتعلمون بالطرق العادية ويحتاجون إلى طرق خاصة بالتعلم. إن الحاجة إلى طريقة خاصة تكون بسبب وجود بعض الاضطرابات النمائية التي تمنع أو تعيق قدرة الطفل على التعلم. يعتبر هذا المحك ضرورياً إذ يتوجب على الفاحص القيام بإجراءات التشخيص المناسبة للكشف عن درجة التباعد بين القدرة والتحصيل وكذلك استبعاد كل الظروف حتى يحدد برنامجاً علاجياً خاصاً ومناسباً. (فتحي الزيات، 1998:45).

3. أسباب صعوبات التعلم:

يمكن أن تصنف هذه الاسباب في فئات رئيسية ثلاث: الاسباب العضوية والبيولوجية، الاسباب الوراثية، الاسباب البيئية.

أولاً: الاسباب العضوية والبيولوجية: يعتقد البعض أن الاطفال ذوي صعوبات التعلم يعانون من تلف دماغي بسيط يؤثر على بعض جوانب النمو العقلي وليس جميعها، ومما تجدر الاشارة إليه أن التخطيط الدماغي لمعظم حالات صعوبات التعلم لا يظهر مثل ذلك الاضطراب في الموجات الدماغية مما يعني عدم وجود التلف الدماغى.

إن ضعف سند العلاقة السببية بين التلف الدماغى وصعوبات التعلم قاد بعض المختصين في المجال الطبي إلى تفضيل استخدام مصطلح خلل وظيفي بسيط في الدماغ (Minimal Brain Dysfunction) بدلا من مصطلح التلف الدماغى البسيط. ويشار في هذا المجال إلى ثلاثة مؤشرات سلوكية وعصبية هي: الضعف في التآزر البصري الحركي، والافراط في النشاط، وعدم انتظام النشاط الكهربائي في الدماغ.

هناك بعض الافتراضات البيولوجية الاخرى عن مظاهر مصاحبة لصعوبات التعلم ومنها المظاهر الجسمية غير الطبيعية لدى الاطفال قبل سن المدرسة كالتشوهات في شكل الجمجمة أو انخفاض موقع الأذنين في الجمجمة، أو كهربية الشعر.

ثانياً: الاسباب الوراثية: يقول كالفانت (1989) أنه برغم أن أهم الصعوبات التي تواجه الباحثين في هذا المجال هي صعوبة التفريق بين أثر العوامل الوراثية وأثر العوامل البيئية، فإن نتائج الدراسات في هذا المجال تشير إلى وجود أسباب وراثية.

ثالثاً: الاسباب البيئية: غالباً ما يشار إلى بعض العوامل البيئية كأسباب لصعوبات التعلم. ومن الملاحظ أن حالات صعوبات التعلم أكثر شيوعاً في أوساط الأطفال الذين ينتمون للطبقات الاجتماعية الأقل حظاً. ويعتقد بأن سوء التغذية ومحدودية الفرص للنمو والتعلم المبكر من الاسباب ذات الصلة، وتتضمن الاسباب البيئية قائمة طويلة من العوامل المختلفة التي توردها المراجع العلمية في هذا الخصوص. ومن أهم تلك العوامل: سوء التغذية، والمواد المضافة للمنتجات الغذائية كمواد النكهة الصناعية والمواد الملونة الحافظة،

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وتدخين الام الحامل أو تعاطيها الكحول أو المخدرات. حتى أن البعض يضيف أثر إشعاعات شاشة التلفزيون ومصابيح الفلورسنت. ولا تزال هذه العوامل كغيرها من الاسباب المحتملة لصعوبات التعلم موضع البحث العلمي في هذا المجال في السنوات الأخيرة.

4. الخصائص العامة لذوي صعوبات التعلم:

إن التلاميذ الذين يعانون من صعوبات في التعلم ليسوا مجموعة متجانسة، وبالتالي فإن من الصعب الحديث عن مجموعة من الخصائص يتصف بها كل طالب يعاني من صعوبات التعلم. وعلى الرغم من محاولات تصنيف صعوبات التعلم إلى مجموعات فرعية سواء حسب درجة الشدة (شديدة، وبسيطة، ومتوسطة) أو طبيعة الصعوبة (صعوبات القراءة، وصعوبات الكتابة، وصعوبات الحساب، والصعوبات الخاصة بالانتباه، والصعوبات الخاصة بالذاكرة، والصعوبات الخاصة بالتفكير، والصعوبات الخاصة بالادراك... إلخ) فإنه يلاحظ درجة عالية من التنوع والاختلاف ضمن المجموعة الواحدة. وتتفق معظم المصادر على الخصائص التالية باعتبارها الأكثر شيوعاً لذوي صعوبات التعلم.

أولاً: الخصائص المعرفية: وتتمثل في انخفاض التحصيل الواضح في واحدة أو أكثر من المهارات الأكاديمية الأساسية المتمثلة بالقراءة والكتابة والحساب. ومن مظاهر الصعوبات الخاصة في القراءة ما يلي:

- حذف بعض الكلمات في الجملة المقروءة أو حذف جزء من الكلمة المقروءة.
 - إضافة بعض الكلمات إلى الجملة المقروءة أو إضافة المقاطع أو الأحرف إلى الكلمة المقروءة.
 - إبدال بعض الكلمات المقروءة في الجملة.
 - إعادة قراءة بعض الكلمات أكثر من مرة.
 - قلب وتبديل الأحرف وقراءة الكلمة بطريقة عكسية.
 - صعوبة في التمييز بين الأحرف المتشابهة.
 - صعوبة في تتبع مكان الوصول في القراءة.
 - السرعة الكبيرة أو البطء المبالغ فيه في القراءة.
- أما مظاهر الصعوبات الخاصة بالكتابة فتتمثل فيما يلي:
- كتابة الجملة أو الكلمات أو الأحرف بطريقة معكوسة من اليسار إلى اليمين.
 - كتابة الكلمات أو الأحرف من اليسار إلى اليمين.
 - كتابة أحرف الكلمات بترتيب غير صحيح حتى عند نسخها.
 - الخلط في الكتابة بين الأحرف المتشابهة.

- عدم الالتزام بالكتابة على الخط بشكل مستقيم وتشتت الخط وعدم تجانسه في الحجم والشكل. أما مظاهر الصعوبات الخاصة بالحساب فتتركز حول الارتباك في تمييز الاتجاهات وتشمل:
 - الخلط وعدم معرفة العلاقة بين الرقم والرمز الذي يدل عليه أثناء الكتابة عند سماع صوت الرقم.
 - الصعوبة في التمييز بين الأرقام ذات الاتجاهات المتعكسة.
 - عكس الأرقام الموجودة في الخانات المختلفة.
 - صعوبة في استيعاب المفاهيم الخاصة الأساسية في الحساب كالجمع والطرح والضرب والقسمة.
 - القيام بإجراء أكثر من عملية كالجمع والطرح في مسألة واحدة مع أن المطلوب هو الجمع فقط مثلاً.
- الحاجة إلى وقت كبير لتنظيم الأفكار.
- ضعف القدرة على التجريد.
- ثانياً . الخصائص اللغوية:** يمكن أن تظهر لمن لديهم صعوبات تعلم مشكلات في كل من اللغة الاستقبالية واللغة التعبيرية. ويقصد باللغة الاستقبالية القدرة على استقبال وفهم اللغة. أما اللغة التعبيرية فهي القدرة على أن يعبر الفرد عن نفسه لفظياً.
- ثالثاً . الخصائص الحركية:** يظهر الأطفال ممن لديهم صعوبات في التعلم مشكلات في الجانب الحركي في كل من الحركات الكبيرة والحركات الدقيقة وفي مهارات الإدراك الحركي، ومن أهم المشكلات الحركية الكبيرة التي يمكن أن تلاحظ لدى هؤلاء الأطفال هي مشكلات التوازن العام، وتظهر على شكل مشكلات في المشي والحجل والرمي والإمساك أو القفز أو مشي التوازن. أما مشكلات الحركات الدقيقة فتظهر على شكل ضعف في الرسم والكتابة واستخدام المقص.
- رابعاً . الخصائص الاجتماعية والسلوكية:** يظهر الأطفال من ذوي صعوبات التعلم مشكلات اجتماعية وسلوكية تميزهم عن غيرهم ومن أهم هذه المشكلات:
 - النشاط الحركي الزائد
 - التغيرات الانفعالية السريعة
 - القهريّة أو عدم الضبط

- تكرار غير مناسب لسلوك ما
- الانسحاب الاجتماعي
- سلوك غير اجتماعي
- سلوك غير ثابت

إضافة إلى الخصائص السابقة المميزة لفئة ذوي صعوبات التعلم، فإنهم أيضا يعانون من بعض الصعوبات والمشكلات التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. اضطرابات في الانتباه: وتتمثل في ضعف القدرة على التركيز والقابلية العالية للتشتت وضعف المثابرة على أداء النشاط وصعوبة نقل الانتباه من مثير إلى آخر.
2. الاندفاعية: وتشير إلى التسرع في السلوك دون التفكير بنتائجه. وتعكس هذه الصفة ضعف التنظيم والتخطيط لمواجهة المواقف أو المشكلات.
3. اضطرابات في الذاكرة والتفكير: وتتمثل في الضعف في كل من الذاكرة السمعية والبصرية وصعوبة في استدعاء الخبرات المتعلمة وصعوبات تعلم المفاهيم المجردة.
4. صعوبات في الإدراك: وترتبط هذه الصعوبات بالمشكلات في مجال الإدراك السمعي والبصري وفهم استيعاب المعلومات التي يحصلون عليها من خلال حواسهم المختلفة.
5. دلالات عصبية وظيفية: وتتمثل في بعض المؤشرات على الاضطرابات الوظيفية في الجهاز العصبي. (فتحي عبد الرحيم، 1992).

5. تشخيص صعوبات التعلم:

هناك إجراءات وطرائق متعددة لتنفيذ عملية الفحص والتشخيص، وبالتالي تقدم الخدمات التربوية وتتضمن هذه الاجراءات مراحل متعددة. وتطبيق اختبارات متنوعة، وجمع معلومات من مصادر كثيرة، وفيما يلي بعض الاختبارات والإجراءات التي يمكن اعتمادها:

أولاً: الاختبارات المعيارية المرجع: وهي الاختبارات التي يمكن أن نقارن أداء الفرد فيها بأداء أقرانه من الافراد من نفس العمر أو نفس الصف والتي من خلالها نستطيع الحكم على مستوى أداء الطفل، هل هو أقل أو أكثر أو مثل أقرانه.

ثانياً: اختبارات العمليات النفسية: وهذه الاختبارات بنيت أساساً على افتراض أن الصعوبات التعلمية مسببة عن صعوبات في القدرة أو العمليات اللازمة لعملية التعلم كالإدراك البصري والإدراك السمعي وتأخر حركة العين و اليد وغيرها. ومن أكثر الاختبارات شهرة في هذا المجال اختبار النيوز للقدرة النفس اللغوية. ثالثاً: اختبارات القراءة غير الرسمية: وهي الاختبارات التي يصممها المعلم ويطبقها وبشكل محدد في مجال القراءة إذ تتضمن فقرات مكتوبة متدرجة في الصعوبة يطلب من الطفل أن يقرأها بصوت مسموع. وعن طريق سماع ما يقرأه الطفل وتسجيل الأخطاء التي يقع فيها مثل حذف أو إضافة حرف أو إبدال آخر أو صعوبة في الفهم يمكن للمعلم أن يحدد مستوى الطالب القرائي.

رابعاً: الاختبارات محكية المرجع: وهي الاختبارات التي يتم فيها مقارنة أداء الطفل مع معيار أو محك معين وليس مع أداء غيره من الأطفال. ويمكن ان تستخدم مثل هذه الاختبارات قبل عملية التعليم لتحديد مستوى أداء الطفل من أجل إقرار بعض جوانب البرنامج الذي يجب أن يتعلمه. ثم إنها تستخدم بعد عملية التعلم وذلك لتقييم فعالية البرنامج.

خامساً: القياس اليومي المباشر: وتتضمن هذه العملية ملاحظة وتسجيل أداء الطفل في المهارات المحددة التي تم تعلمها وذلك بشكل يومي مثل نسبة النجاح التي حققها الطفل، ومعدل الخطأ أو نسبته والفائدة التي يمكن الحصول عليها من هذه الطريقة هي تزويد المعلم بمعلومات عن أداء الطفل في المهارات التي يتعلمها، والمرونة في تغيير البرنامج من قبل المعلم بناء على المعلومات المتوفرة بشكل مستمر. (حامد عبد السلام ، زهران، 1997)

6. الاتجاهات والأساليب المختلفة في علاج صعوبات التعلم :

هناك اتجاهين رئيسيين: اتجاه طبي واتجاه نفسي تربوي
أولاً: الاتجاه الطبي: والواضح من التسمية أن المهتمين بهذا الاتجاه هم الاطباء وخاصة أطباء الأعصاب والافتراض الاساسي للعلاج هو أن صعوبات التعلم ناتجة عن خلل وظيفي في الدماغ أو خلل بيوكيميائي في الجسم ويكون العلاج:

أ- العقاقير الطبية : أكثر ما يستخدم في حالات الافراط في النشاط حيث ان التقليل من النشاط الزائد يحسن من درجة استعداد الطفل للتعلم.

ب- العلاج بضبط البرنامج الغذائي: يقول فينچولد وهو صاحب هذا الأسلوب أن المواد الملونة والحافظة ومواد الفاكهة الصناعية التي تدخل في صناعة أغذية الأطفال أو حفظ المواد الغذائية المعلبة وغيرها من المواد الكيميائية تزيد من حدة الإفراط في النشاط لدى الأطفال لذلك يدعو فينچولد للتقليل من استخدام هذه المواد.

ت- العلاج عن طريق الفيتامينات: يشير أنصار هذا الأسلوب إلى أن جرعات الفيتامينات التي تعطى للأطفال ذوي صعوبات التعلم تظهر تحسنا في فترة انتباههم وتقلل من درجة الإفراط في النشاط ولا يزال هذا الأسلوب بحاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث.

تبين من أن الاتجاه الطبي هو عبارة عن أساليب علاجية غير مباشرة ولا تتناول صعوبة التعلم بحد ذاتها بل الإفراط في النشاط وقلة الانتباه.

ثانيا: الاتجاه النفسي التربوي: ويشتمل الاتجاه النفسي التربوي على الطرائق الثلاث الرئيسية التالية:

أ. **طريقة التدريب على العمليات:** تقوم هذه الطريقة على تصميم أنشطة تعليمية تهدف إلى التغلب على المشكلات الوظيفية التي تعاني منها العمليات الإدراكية ذات الصلة بصعوبة التعلم، ويتم في هذه الطريقة استخدام أساليب مختلفة أهمها:

-التدريب النفس لغوي: حيث يتم التدريب على التأزر البصري الحركي. ويستخدم هذا الأسلوب بشكل خاص في علاج صعوبات الكتابة والقراءة وأشهرها برنامج كيرك ورفاقه.

-التدريب باستخدام الحواس المتعددة: ويقوم هذا الأسلوب على استخدام القنوات الحسية المختلفة (سمع، بصر، شم، لمس، الحاسة المكانية) في التدريب على العمليات الإدراكية. ويقوم هذا الأسلوب على الافتراض بأن الطفل يتعلم بشكل أسهل إذا تم توظيف أكثر من حاسة في عملية التعلم.

-التدريب المعرفي: يسمى هذا الأسلوب في التدريب إلى تحسين استراتيجيات الطالب في فهم وتنظيم عمليات التفكير المختلفة على اعتبار أن استراتيجياته السابقة غير ملائمة لعملية التعلم. ويتضمن هذا الأسلوب إجراءات مختلفة ومتعددة أهمها التعلم الذاتي والضبط الذاتي.

ب . طريقة التدريب على المهارات: إن طريقة التدريب على المهارات تركز على التدريب المباشر على المهارات التي يظهر فيها التلميذ قصوراً أو عجزاً. وتقوم هذه الطريقة على افتراض أن العجز أو القصور في أداء المهارات لا يعود إلى خلل في العمليات الإدراكية وإنما إلى حرمان من فرص التعلم الملائمة.

ج . الطريقة القائمة على الجمع بين التدريب على العمليات والتدريب على المهارات: إن الاتجاه الأكثر حداثة وقبولاً في أوساط المختصين في الوقت الحاضر هو الجمع بين الاتجاهين والاستفادة من الميزات الإيجابية لكل منهما.

قائمة المراجع:

1. أولفت محمود، بعض سمات الشخصية والمهارات الاجتماعية لدى الأطفال من ذوي صعوبات التعلم "دراسة سيكولوجية في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان"، بحث مقترح لنيل درجة الماجستير في الآداب قسم علم نفس، 2006، 2007.
2. فتحي الزيات، دراسة لبعض الخصائص الإنفعالية لدى ذوي صعوبات التعلم من تلاميذ المرحلة الابتدائية، مجلة جامعة أم القرى، عدد 2، 1998.
3. حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي. 1997 .

الاتزان الانفعالي لدى طلبة الجامعة

المدرس هبة مؤيد محمد

م.م سعد حسن حمود

م.م قصي مهدي مطر

العراق/جامعة بغداد/ مركز البحوث التربوية والنفسية

hibamoiad@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/30 م تاريخ التحكيم: 2020/11/07 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص: هدفت الدراسة إلى معرفة:

1- مستوى الاتزان الانفعالي لدى طلبة الجامعة، 2- دلالة الفرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير النوع (ذكور- إناث) لدى طلبة الجامعة ، 3- دلالة الفرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير التخصص (علمي- أنساني) لدى طلبة الجامعة، 4- دلالة الفرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير المرحلة (الاول-الرابع) لدى طلبة الجامعة، شملت عينة الدراسة على (150) طالب وطالبة، تم اختيارهم عن طريق العينة العشوائية من اربع كليات في جامعة بغداد واستخدم الباحثون مقياساً خاصاً بالاتزان الانفعالي المعد من قبل (صالح، 2017)، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- يتمتع افراد عينة البحث باتزان انفعالي.

2- لا يوجد فرق بين الذكور والاناث في الاتزان الانفعالي.

3- لا يوجد فرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير التخصص (علمي ، انساني).

4- هناك فرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير المرحلة (الاول ، الرابع) لدى طلبة الجامعة ولصالح المرحلة الرابعة.

الكلمات المفتاحية: الاتزان الانفعالي، طلبة الجامعة.

Emotional Stability for University Students

Lecturer Hiba M.Mohammed

Asst.Lecturer Saad H.Hmod

Asst.Lecturer Qusay M.Matar

**University of Baghdad/ Research center of Educational & Psychological /Iraq
hibamoiad@gmail.com**

Abstract

The study aimed to know:

1- The level of emotional balance among university students, 2- The significance of the difference in emotional balance according to the gender variable (male - female) among university students, 3- The significance of the difference in emotional balance according to the variable of specialization (scientific - human) among university students, 4 - significance The difference in emotional balance according to the variable of the stage (first-fourth) among university students. The study sample included (150) male and female students, who were chosen by random sample from four colleges at the University of Baghdad, and the researchers used a scale for emotional balance prepared by (Saleh, 2017), and the study reached the following results:

- 1- The members of the research sample have emotional balance.
- 2- There is no difference between males and females in emotional balance.
- 3- There is no difference in emotional balance according to the variable of specialization (scientific, human).
- 4- There is a difference in emotional balance according to the variable (first and fourth) of the university students and in favor of the fourth stage.

Keywords: Emotional Stability, University Students.

أولاً: أهمية البحث والحاجة اليه:

يتسارع العالم اليوم بمستويات عالية من التوترات والأزمات والضغوط، والعديد من التغيرات والتطورات التي تشمل جميع نواحي الحياة المختلفة، مما أدى ذلك إلى تزايد الضغوط والمشكلات التي يواجهها الأفراد، التي خلقت لديهم الخوف والقلق والتوتر، وبالتالي إلى فقدان الفرد اتزانه الانفعالي، وعدم القدرة على ضبط ذاته، ومن ضمنهم طلبة الجامعة، يضعهم أمام تحديات كبيرة ترتبط بمدى قدرتهم على تحقيق الاتزان الانفعالي.

لذلك يعد الاتزان الانفعالي من الضروريات الاساسية في حياة الافراد و المجتمعات لما له من آثار إيجابية وسلبية تنعكس على الفرد ومن ثم على المجتمع وخاصة في مجتمع مثل المجتمع العراقي الذي تعرض الى تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية على مر الازمان، فالاتزان الانفعالي هو قدرة الفرد وكفاءته على المثابرة وضبط النفس والتحكم في المواقف التي يتعرض لها في حياته اليومية بصبر وبهدوء وعدم الانفعال من أية مواقف غير موضوعية و لا تشكل أهمية في حياته فضلاً عن القدرة على ضبط انفعالاته والابتعاد عن القلق وهي سمة يكتسبها الفرد من خلال التنشئة الاجتماعية حيث اثبتت العديد من الدراسات ان الاباء العصايين تزيد لدى ابنائهم حدة الانفعالات وبالتالي يضعف لديهم الاتزان الانفعالي(1)، كما أن الاتزان الانفعالي هو أحد سمات الشخصية المتوافقة، التي تتصف بالشجاعة في مواجهة التحديات والحسم في اتخاذ القرارات المهمة، والقدرة في السيطرة على الانفعالات، والضبط في تعبيره عن انفعالاته قادراً على اقامة علاقات مع الاخرين مبنية على الحب والتفاؤل الذي لا يلغي خصوصيته وتفرد ، وانما يعمل على اندماجه مع الاخرين، وتحقيق ذاته (2) وتعرف يونس الاتزان الانفعالي بأنه: قدرة الفرد في السيطرة على انفعالاته والتحكم بها، وعدم إفراطه في التهيج الانفعالي، أو عدم الانسياق وراء تأثير الأحداث الخارجية العابرة والطارئة وصولاً الى التكيف الذاتي والاجتماعي دون أن يكلف ذلك مجهوداً نفسياً كبيراً (3) لذا فقد اهتم العديد من المختصين والعاملين في مجال علم النفس والصحة النفسية بموضوع الاتزان الانفعالي واولت معظم العلوم الانسانية الاخرى كالفلسفة والادب والتاريخ اهتماماً كبيراً به على الرغم من اختلاف النظريات النفسية المتعددة في تسميته إذ جعلت هذه العلوم مفهوم الاتزان الانفعالي هدفاً لها لما لهذا المفهوم من فاعلية وأثر كبير في ديمومة الحياة واستمرارها بالشكل الذي يضمن تحقيق تطورها نحو الافضل، ويمثل الاتزان الانفعالي احد المتطلبات الضرورية للتكامل النفسي للفرد وهو نتيجة الانسجام بين العمليات العقلية والانفعالية بطريقة منظمة ومتناسقة تهدف الى تحقيق مستويات مقبولة وعقلانية من الصحة النفسية (4) فعندما ينخفض مستوى الاتزان الانفعالي يؤثر سلباً في التفاعل والاتصال الاجتماعي السليم مع الاخرين وبالتالي يؤثر في صحة الفرد النفسية وهذا يعني تبديد طاقاته وهدارها حيث لا تعود عليه و لا على مجتمعه الا بالضرر ويفقد مصادر قوته في التوافق النفسي والاجتماعي ويبدد فرص استثمار إمكاناته العقلية والمعرفية بما لا يساعدها على تأدية وظائفها بكفاءة عالية (5) وان معظم العلاقات الاجتماعية بين الافراد

هي خليط من مجموعة انفعالات متنوعة ومركبة ففيها الغضب واللوم والضيق أحياناً وتبادل الحب والود والاعجاب أحياناً أخرى تظهر على شكل سلوكيات سوية او غير سوية (6) كما أن الاتزان الانفعالي يشكل أهمية كبيرة في البناء النفسي لكونه يسهم في تنمية قدرة الفرد وكفاءته على التعامل مع البيئة الاجتماعية والمادية ويستفيد من طاقاته ايجابياً وواقعياً لذاته ويتعد عن مشاعر النقص والذنب ويكُون تقدير ذاتي سليم (7) ولهذا أكد فرويد مؤسس نظرية التحليل النفسي على أن نظام الانا الذي يعتبر الجهاز الاداري المسيطر والمنظم للشخصية له قدرة كبيرة في السيطرة على منافذ السلوك وملاءمتها مع الجوانب البيئية المناسبة ومن ثم اشباع الغرائز بطريقة متوازنة ومقبولة بالشكل الذي يتم فيه ارضاء مطالب نظام الانا الاعلى ونظام الهو ويعتقد فرويد انه كلما كان نظام الانا قوياً كان الفرد أكثر اتزاناً في انفعالاته وأكثر توافقاً مع نفسه وبيئته وعمله (8) بينما اريك فروم يرى اتزان الشخص انفعالياً وتوافقه يقاس بمدى التوافق والانسجام بين حاجاته الداخلية والمطالب الخارجية المتمثلة بالمحددات الاجتماعية والقوانين والعادات والتقاليد والانظمة السائدة في ذلك المجتمع وان فقدان الاتزان الانفعالي وعدم السيطرة على الانفعالات تعطل تفكير الفرد وتفقد قدرته على ضبط نفسه والتحكم بها ويصبح غير قادر في اصدار احكام سليمة فيقع عرضة للاستهواء السريع ويكون اقل ثباتاً وأكثر ضعفاً في السيطرة على انفعالاته (9) لذلك اثبتت الكثير من نتائج البحوث والدراسات ايضاً بأن هنالك انتشار كبير بين افراد المجتمع يعانون من الاضطرابات النفسية والانفعالية والاجتماعية بشكل عام وشريحة الشباب بشكل خاص فهم من اكثر شرائح المجتمع عرضة للاصابة بهذه الاضطرابات مقارنة بالافراد الاخرين في المجتمع حيث اشارت دراسات كل من (Arggler, 1969) (Zigler, 1960)، (Clementst& Hanyness, 1984)

إلى ان سبب الاضطرابات النفسية والانفعالية لدى الشباب وخاصة طلبة الجامعة يعود إلى وجود علاقة ارتباطية دالة بين الاضطرابات النفسية والانفعالية وبين ضعف التفاعل الاجتماعي ناتجاً عن المشاكل النفسية والاجتماعية (10) كما ان طلبة الجامعة ذوي الضبط الداخلي يتمتعون باتزان انفعالي عال على العكس من اقراهم من ذوي الضبط الخارجي (11) وبما ان المرحلة الجامعية هي من أكثر شرائح المجتمع وعياً وثقافة فالاهتمام بما يعد اهتماماً بالمجتمع بأسره فهم وسيلة التغيير والبناء والتقدم وهم الطاقة التي يتركز عليها اي تطور في اي دولة ولكي ينجح الطالب الجامعي لابد من أن يتمكن من تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي والانفعالي

مع الآخرين وهذا يحصل من خلال تقبل الآخرين لسلوكه، حيث أكد أريكسون (Erikson) على هذه المرحلة واعتبرها مهمة لما تمر به من صراعات داخلية وخارجية متمثلة بين خبرات الطالب الجامعي ومطالب المجتمع مما يؤدي إلى الشعور بالتوتر وعدم الاتزان الانفعالي لذلك ينبغي أن يتمتع طلبة الجامعة بالصحة النفسية وأن تخلو سلوكياتهم من الاضطرابات السلوكية والانفعالية التي قد تعوق تكيفهم مع الحياة ومن ثم افتقار القدرة على مواجهة أحداث الحياة وضغوطاتها وتأكيد طاقاتهم بما يمكنهم من الحياة بأساليب يقبلها المجتمع وبالمقابل تسهم في الشعور بالاستقرار النفسي الداخلي.

لذا تبرز أهمية البحث الحالي انطلاقاً من أهمية الاتزان الانفعالي في حياة الانسان لكونه صفة من صفات اولئك الذين يتسمون بالقدرة على تحمل الاحباط، معالجة مشاكل الحياة بشجاعة، الكفاءة على التعامل مع البيئة الاجتماعية والمادية، والافادة من قدراتهم وطاقاتهم بما يحقق لهم التوافق والسعادة (12) فهو من أهم متغيرات شخصية الطالب الجامعي، بالإضافة إلى كونها تتناول شريحة من الطلبة الذين سيوكل إليهم بناء أجيال الغد، بالإضافة إلى أهمية الطالب ودوره في بناء مستقبل وتطوير المجتمع، وتبرز أهمية الدراسة ايضا ضمن جانين، هما: الجانب النظري فيما ستوفره من معلومات وبيانات حول الاتزان الانفعالي، وضبط الذات، التي قد يستفيد منها الطلبة، والباحثون في هذا المجال، بالإضافة إلى المرشدين التربويين، كما يمكن أن توفر هذه الدراسة أداة يمكن استخدامها من قبل الباحثين في الجانب العملي من خلال ما ستتوصل إليه من نتائج إذا ما تم الأخذ بها، والعمل على بناء برامج تدريبية وعلاجية قد تسهم في تطوير القدرة على الاتزان الانفعالي.

ثانياً: أهداف البحث:

- 1- مستوى الاتزان الانفعالي لدى طلبة الجامعة.
- 2- دلالة الفرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير النوع (ذكور- إناث) لدى طلبة الجامعة.
- 3- دلالة الفرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير التخصص (علمي- أنساني) لدى طلبة الجامعة.
- 4- دلالة الفرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير المرحلة (الاول-الرابع) لدى طلبة الجامعة.

ثالثاً: حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بطلبة جامعة بغداد الدراسة الاولى الصباحية ومن التخصصيين (العلمي، الانساني) ومن كلا الجنسين (ذكور، اناث) ومن المراحل الاولى والرابعة للعام الدراسي (2019-2020).

رابعاً: تحديد المصطلحات:

1-المسعودي 2002: احد سمات الشخصية التي تتصف بالشجاعة في مواجهة المستقبل وعزمه على اتخاذ القرارات المهمة وقدرته على السيطرة والضببط في تعبيره عن انفعالاته (13).

2-يونس 2004: قدرة الفرد على ضبط انفعالاته والتحكم بها وعدم افراطه في التهيج الانفعالي أو عدم الانسياق وراء تأثير الاحداث الخارجية العابرة والطارئة بحيث يصبح عرضة للتقلب السريع من حالة إلى اخرى وصولاً إلى التكيف الذاتي والاجتماعي من دون ان يكلفه ذلك مجهوداً نفسياً كبير (14).

3-تعريف ريان 2006: حالة من الهدوء والمرونة الوجدانية اتجاهاً للمواقف الانفعالية المختلفة التي تجعل الافراد يشعرون بمشاعر أكثر تفاعلاً وثباتاً للمزاج وثقة في النفس (15).

4-تعريف صالح 2017: قدرة الفرد على ضبط انفعالاته ومشاعره ودوافعه والتحكم بها وقدرته على تناول الامور بصبر وتعقل ومواجهة الحياة بجموية ونشاط واعتماده على نفسه متفائلاً بالمستقبل ومتوافقاً مع الاخرين (16).

التعريف النظري للاتزان الانفعالي: تبني الباحثون تعريف صالح 2017 وذلك لتبني مقياسه للاتزان الانفعالي. التعريف الاجرائي للاتزان الانفعالي: هو الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب من خلال اجابته على مقياس الاتزان الانفعالي المعتمد في البحث الحالي.

الفصل الثاني

الاطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: النظريات النفسية المفسرة للاتزان الانفعالي:

1/نظرية سيجموند فرويد: يرى فرويد ان الاتزان الانفعالي هو نتاج لقوة الانا Ego ونجاحها في تحقيق التوازن بين الهو Id والانا الاعلى Super Ego وبالمقابل فأن حدوث اي خلل او ضعف في الاتزان الانفعالي والذي

ينشأ عنه العصاب يحدث بما يسمى بالصراع ما بين نظم الشخصية الثلاثة ومكوناتها وهذا يرجع الى ضعف الانا وعدم قدرتها في الوصول الى حل الصراع بينهما مما يؤدي الى شخصية الفرد غير سوية مع نفسه ومع بيئته الاجتماعية(17).

2/نظرية روجرز: يفسر روجرز الاتزان الانفعالي من خلال اعتقاده بوجود جهازين لتنظيم السلوك هما الذات والبيئة الاجتماعية ويحدث الاتزان عندما يعمل هذان الجهازان معاً في انسجام وتعاون مستمر فإذا ما عارض احدهما الاخر النتيجة ستكون توتراً وشخصية غير سوية وخلل او ضعف في الاتزان الانفعالي (18).

3/نظرية ابراهام ماسلو: يرى ماسلو ان الشخصية لكي تصل الى مرحلة الاتزان الانفعالي لا بد من أن تحقق ذاتها من خلال توافر صفات منها التفعيل الموضوعي للفرد سواء لنفسه أو للآخرين وللبيئة التي يعيش فيها فضلاً عما يمتلكه من تلقائية وبساطة وتسامح وتركيز في حل مشكلاته واتزانه في علاقاته مع الاخرين أكثر من تركيزه على ذاته فقط (19).

4/نظرية النمو النفسي الاجتماعي: يجد اريكسون في الاتزان الانفعالي للفرد في قوة الانا وقدرتها على القيام بوظائفها بحيث تعمل الانا على تنظيم وتوحيد خبرات الفرد وسلوكياته بصيغة توافقية وهي المنظم النفسي الداخلي الذي يقوم بحماية الفرد وتحليصه من الضغوط الناتجة من الهو والانا الاعلى وبذلك يستطيع الفرد من توقع الاخطار الداخلية والخارجية والتعامل معها بطريقة صحية سليمة مؤكدا ان التوازن النفسي ما هو الا نتاج عن قوة الانا وبهذا التوازن النفسي فأن الفرد يعتمد على الطريقة التي يحل بها المشكلات المرافقة لمراحل النمو النفسي الاجتماعي لانها تعد نقاط تحول مهمة في حياة الفرد وصولاً الى الاتزان الانفعالي(20).

5/نظرية جيمس ولانك: تؤكد إلى أن الانفعال هو مجموعة من الإحساسات المختلفة التي تنشأ عن التغيرات العضوية، وتختلف هذه التغيرات باختلاف هذه الإحساسات، كما تشير هذه النظرية إلى أن المظاهر الجسمية والعضوية ليست نتيجة الانفعال، انما هي السبب في ظهور هذا الانفعال، الذي قد يفقد الفرد اتزانه الانفعالي(21).

6/ نظرية كانون - بارد: أشارت إلى أن ردود فعل الجسم الفسيولوجية لا تتميز تمايزا كافيا لاستثارة الانفعالات المختلفة التي قد تفقد الفرد اتزانه الانفعالي، فليس هناك فارق زمني بين الخبرة الانفعالية والتغيرات، بل كلاهما يحدث في الوقت نفسه، حيث يتوجه نحو القشرة الدماغية مسبباً الوعي الذاتي للخبرة الانفعالية وفي اللحظة نفسها يتوجه نحو الجهاز العصبي متسبب في الاستثارة الجسمية الفسيولوجية، التي قد تؤثر في الاتزان الانفعالي للفرد (22).

7/ النظرية المعرفية: ترى هذه النظرية أن التفكير في شيء ما، وما يشعر به الفرد تجاه هذا الشيء يرتبطان بشكل وثيق فيما بينهما، فيحدث الاتزان الانفعالي من خلال عملية تمييزية ما بين الإثارة الداخلية التي تصدر والطريقة التي يدرك بها الفرد الموقف الذي يواجهه، ومدى تمييزه لهذا الموقف، وهذه العملية التمييزية عملية معرفية، فعندما يتمكن الفرد من تفسير مشاعره، سيتمكن من ان يتصرف تجاه الموقف الذي يواجهه، فإذا استطاع السيطرة على انفعالاته فإنه سيحقق اتزاناً انفعالاته (23).

8/ النظرية السلوكية: تشير الى ان الانفعال ينشأ نتيجة الصراع الذي يتعرض له الفرد، الذي قد يؤدي إلى القيام باستجابات، أو ردود افعال غير سوية، قد تسهم في فقدان الفرد السيطرة على سلوكياته، مما يفقده الاتزان الانفعالي، وبالتالي فإن هذه النظرية ترى أن الانفعال نتيجة عن الصراع الذي يتعرض له الفرد، مما يشير إلى أن أساس الانفعال هو الصراع الذي يتعرض له الفرد (24).

ثانياً: الدراسات النفسية التي تناولت الاتزان الانفعالي:

1: الدراسات العربية:

1/دراسة ريان (2006): هدفت التعرف عن العلاقة بين الاتزان الانفعالي والسرعة الإدراكية والتفكير الابتكاري، تكونت عينة الدراسة من (530) طالبا وطالبة أظهرت نتائج الدراسة الى وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين الاتزان الانفعالي والسرعة الإدراكية لدى أفراد عينة الدراسة، وعدم وجود علاقة ارتباطية دالة بين الاتزان الانفعالي والقدرة على التفكير الابتكاري ، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات منخفضي ومرتفعي الاتزان الانفعالي على اختبار السرعة الإدراكية لدى أفراد عينة الدراسة (25).

2/ دراسة العامري (2007): أجريت هذه الدراسة في السعودية هدفت إلى الكشف عن الأعراض السيكوسوماتية وعلاقتها بالاتزان الانفعالي لدى عينة من المراهقين، اهداف هذه الدراسة هي إمكانية الكشف عن الفروق في مستوى الاتزان الانفعالي، والتنبؤ بالاتزان الانفعالي، تكونت عينة الدراسة من (149) طالبا وطالبة ، وأظهرت نتائجها وجود علاقة ارتباطية إيجابية ذات دلالة إحصائية بين عدم الاتزان الانفعالي والأعراض الخاصة بالجهاز العصبي، ووجود علاقة ارتباطية إيجابية ذات دلالة إحصائية مع الأعراض السيكوسوماتية الخاصة بالأمراض المختلفة، كما بينت النتائج أن مستوى الاتزان الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة كان منخفضا ، وأشارت إلى إمكانية التنبؤ بالاتزان الانفعالي من خلال الأعراض السيكوسوماتية الخاصة بالأمراض المختلفة (26).

3/ دراسة عرفات (2009): في العراق هدفت إلى الكشف عن مستوى الاتزان الانفعالي وعلاقته بمتغير الجنس والضغط النفسية لدى طلبة معاهد إعداد المعلمين والمعلمات، تكونت عينة الدراسة من (750) طالبة وطالبا، وأظهرت نتائجها ارتفاع مستوى الاتزان الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة كما بينت النتائج الى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاتزان الانفعالي تعزى لاختلاف متغير الجنس ولصالح الذكور، كما وأشارت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاتزان الانفعالي بين طلبة المعاهد الذين تعرضوا للضغوط النفسية وأقرانهم الذين لم يتعرضوا، وجاءت الفروق لصالح الطلبة الذين لم يتعرضوا لهذه الضغوط (27).

4/ دراسة غالب (2012): التي أجريت في سوريا هدفت إلى الكشف عن علاقة الاتزان الانفعالي والنضج الاجتماعي بالأحكام الأخلاقية تبعا لمتغير الجنس والمرحلة الدراسية، تكونت العينة من (2400) طالبة وطالباً وأظهرت النتائج الى وجود علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين الاتزان الانفعالي والأحكام الأخلاقية، كما بينت وجود علاقة بين الاتزان الانفعالي والنضج الاجتماعي، ووجود علاقة بين النضج الاجتماعي، والأحكام الأخلاقية، وعدم وجود اختلاف في مستوى الاتزان الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة تبعا لمتغير النوع، ووجود فروق تبعا للمرحلة الدراسية ولصالح المرحلة الرابعة (28).

2: الدراسات الاجنبية:

1/ دراسة ألبرايت وتيرانوفا وهونتس وجودي ولاكايل (Albright, Terranova, Honts, geode (2008, LaChapell): أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية هدفت إلى الكشف عن الإجهاد والالتزان الانفعالي لدى الطلاب البالغين، هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الإجهاد والالتزان الانفعالي وأثرهما في شخصية الطالب، تكونت عينة الدراسة من (133) طالبا من طلبة الجامعة، وأظهرت النتائج الى وجود علاقة سلبية بين الإجهاد والالتزان الانفعالي دالة إحصائيا لدى الطلاب، كما بينت أن للإجهاد أثرا سلبيا في شخصية الطالب مما ينعكس على اتزانه الانفعالي، وبالتالي الالتزان الانفعالي يؤثر بشكل مباشر في سلوكياته وتصرفاته(29).

2/ دراسة جانبوزرجي وزهيرالدين ونوري وغفارسامر وشامس (Janbozorgi, Zahirodin, Norri, Ghafarsamar and, Shams, 2009): أجريت في إيران هدفت إلى تحديد الآثار المترتبة للاسترخاء على الالتزان الانفعالي، تكونت عينة الدراسة من (32) طالبا شخصا باضطرابات القلق، تم تعريضهم ل (12) جلسة من قبل التثقيف النفسي، كما تم توزيعهم على مجموعتين، وأظهرت نتائج الدراسة الى وجود انخفاض في مستوى الالتزان الانفعالي لدى الطلبة الذين لديهم مستوى قلق مرتفع، بالإضافة إلى إصابتهم بالانطواء والخوف والتوتر، كما أشارت إلى وجود أثر دال إحصائيا للاسترخاء في الالتزان الانفعالي (30).

3/ دراسة هنلي (2010) Henley: في الولايات المتحدة الأمريكية هدفت إلى تدريب الطلبة على الالتزان الانفعالي من خلال أسلوب ضبط الذات واكتساب مهاراته، تكونت عينة الدراسة من (37) طالبة وطالبا وأظهرت النتائج الى أن دافعية الطلبة نحو اكتساب مهارات ضبط الذات كانت قوية، كما بينت أن الطلبة عند امتلاكهم مهارات ضبط الذات يصبحون أكثر قدرة على التعامل مع الآخرين وأكثر اتزاناً، كما وأن المشكلات المتصلة بالسلوك أخذت بالتراجع، وأشارت الطلبة ظهرت عليهم مشاعر الثقة في النفس بعد امتلاكهم هذه المهارات(31).

4/ دراسة كومار (2013) Kumar: دراسة في الهند هدفت هذه الدراسة في الكشف عن مستوى الالتزان الانفعالي وعلاقته بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي لدى الطلبة الذين يدرسون في المدارس الثانوية الحكومية

والخاصة، تكونت عينة الدراسة من (100) طالب وطالبة تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، وأظهرت النتائج الى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاتزان الانفعالي لدى الطلاب الذين يدرسون في المدارس الحكومية والخاصة، ووجود فروق في المعدل العام للوضع الاجتماعي للاتزان الانفعالي الذي يمتازون به، والاقتصادي للطلاب حيث بينت الى وجود مستوى متوسط في الاتزان الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة (32).
5/ دراسة نيكوليتا وفيتاليا 2013 Vitalia and Nicoleta: أجريت في رومانيا هدفت إلى الكشف عن تأثير برنامج تدريبي لتنمية سمات الشخصية في الاتزان الانفعالي، كما هدفت إلى الكشف عن طرق تنمية سمات الشخصية التي من شأنها تعزيز الاتزان الانفعالي لدى الطلبة، تكونت عينة الدراسة من (10) طلاب من طلبة الجامعة من تخصص علم النفس تراوحت أعمارهم بين (20-21) عاما الذين شاركوا في برنامج تنمية سمات الشخصية، وأظهرت النتائج الى وجود أثر إيجابي دال إحصائيا لبرنامج تنمية سمات الشخصية على الطلاب بشكل يسمح لهم بخلق الانسجام والتفاعل والتكامل سواء على مستوى الأفراد أو فيما بينهم، مما يؤدي إلى رفع مستوى الاتزان الانفعالي لديهم (33).

الفصل الثالث

إجراءات البحث

أولاً: مجتمع البحث:

يتألف مجتمع البحث من طلاب وطالبات كليات جامعة بغداد، والبالغ عددهم (51107) موزعين على (24) كليات علمية وإنسانية للعام الدراسي 2019-2020.

ثانياً: عينة البحث:

أعتمد الباحثون على الطريقة العشوائية في اختيار عينة بحثها حيث بلغ عدد أفراد هذه العينة (150) طالب وطالبة تم اختيارهم من اربع كليات في جامعة بغداد هي: (كلية الأعلام، وكلية العلوم السياسية، وكلية الهندسة، وكلية العلوم) موزعين على وفق متغيري الكلية والنوع والتخصص والمرحلة، كما في الجدول (1).

الجدول (1)

عينة البحث موزعة على وفق متغيري الكلية والنوع والتخصص والمرحلة

المجموع	النوع والمرحلة				التخصص	الكلية	ت
	أناث		ذكور				
	الرابع	الأول	الرابع	الأول			
75	7	10	9	11	أنساني	الأعلام	1
	8	10	12	8		العلوم السياسية	2
75	7	9	12	10	علمي	الهندسة	3
	8	11	8	10		العلوم	4
150	30	40	41	39	المجموع		

ومن الجدير بالذكر ان الظروف التي مر بها العالم بشكل عام والعراق بشكل خاص بسبب (جائحة كورونا) فان تطبيق الاداة على العينة كان تطبيق الكتروني، حيث قامت الباحثة بتطبيق المقياس الكتروني وتعميمه على طلبة جامعة بغداد من خلال مجموعة كروبات وصفوف الكترونية في وسائل التواصل الاجتماعي فضلا عن مساعدة بعض التدريسيين الزملاء عن طريق توصيل رابط المقياس الى طلبتهم. وبعد جمع الاستجابات قامت الباحثة بفلتره الاستجابات بحيث تكون مناسبة ومتوافقة مع اهداف البحث وحاجته الفعلية، حيث تم فلتره

استجابة 150 طالب وطالبة من اربع كليات كما موضح في جدول (1) اعلاه، واعتمدت استجاباتهم لاستخراج نتائج البحث.

ثالثاً: أداة البحث :

من اجل تحقيق أهداف البحث ومن أجل قياس متغير البحث الحالي ، تبنت الباحثة (مقياس الاتزان الانفعالي) المعد من قبل (صالح 2017) ، اذ يتألف المقياس بصيغته النهائية من (52) فقرة، يقابلها خمسة بدائل هي (تنطبق علي بدرجة كبيرة جداً، تنطبق علي بدرجة كبيرة، تنطبق علي بدرجة متوسطة، تنطبق علي بدرجة قليلة، تنطبق علي بدرجة قليلة جداً) ويقابلها سلم درجات (1,2,3,4,5) لل فقرات الايجابية وعكسها تعطى لل فقرات السلبية.

صلاحية الفقرات:

من اجل التعرف على صلاحية الفقرات فقد تم عرض مقياس الاتزان الانفعالي على مجموعة من المحكمين* في علم النفس لتحديد صلاحية الفقرات, وفي ضوء اراء المختصين تم الإبقاء على الفقرات التي حصلت على نسبة اتفاق 80% فأكثر وبناءً على ذلك تم الإبقاء على جميع الفقرات في المقياس مع إجراء بعض التعديلات في الصياغة.

التحليل الإحصائي لفقرات مقياس الاتزان الانفعالي:

بما أن المقياس حديث ولم يمر عليه أكثر من 3 سنوات وقد استوفى شروط إجراءات التحليل الإحصائي من تمييز للفقرات وعلاقة درجة الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس فضلاً عن تحقيق صدق البناء فيه, لذا تم استخراج الخصائص السيكومترية فقط للمقياس والتي تتمثل (بالصدق والثبات) وكما يأتي :

1 : الصدق Validity:

يعد الصدق من الخصائص الأساسية للمقاييس النفسية لأنه يشير إلى قدرة المقاييس في قياس ما وضع من أجل قياسه . وقد كان لمقياس الاتزان الانفعالي في البحث الحالي مؤشر الصدق الظاهري:

الصدق الظاهري Face Validity: وقد تحقق هذا النوع من الصدق عندما عرضت فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء والمختصين في علم النفس للحكم على صلاحيتها في قياس الخاصية المراد قياسه.

* ا.م.د ناطق فحل جزاع / جامعة بغداد/ مركز البحوث التربوية والنفسية

ا.م.د سفيان صائب المعاضيدي/ جامعة بغداد/ مركز البحوث التربوية والنفسية

م.د محمد عباس محمد / جامعة بغداد/ مركز البحوث التربوية والنفسية

2: الثبات Reliability :

تم التحقق من ثبات المقياس بالطريقة الآتية:-

طريقة ألفا كرونباخ (Cronbach Alpha):

هذه الطريقة تقيس الاتساق الداخلي والتجانس بين فقرات المقياس، أي أن الفقرات جميعها تقيس فعلاً الخاصية نفسها وهذا يتحقق عندما تكون الفقرات مترابطة مع بعضها البعض داخل الاختبار كذلك ارتباط كل فقرة مع الاختبار كله. وقامت الباحثة بتطبيق مقياس الاتزان الانفعالي على عينة مكونة من (26) طالباً وطالبة تم اختيارهم بطريقة عشوائية من كليات جامعة بغداد وتم تطبيق معادلة ألفا كرونباخ على درجات أفراد العينة وبلغ معامل ثبات ألفا (0,80).

رابعاً: التطبيق النهائي:

بعد ان استكملت الباحثة لأداة البحث والتحقق من صدقها وثباتها ، قامت بتطبيقها على عينة البحث والبالغ عددهم (150) طالب وطالبة تم اختيارهم عشوائياً من اربع كليات في جامعة بغداد، كما ذكر في عينة البحث سابقاً.

خامساً: الوسائل الإحصائية:

- الاختبار التائي (T-test) لعينة واحدة.
- معامل ارتباط بيرسون .

- معادلة ألفا كرونباخ .
- الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين .
- معادلة النسبة المئوية .

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها

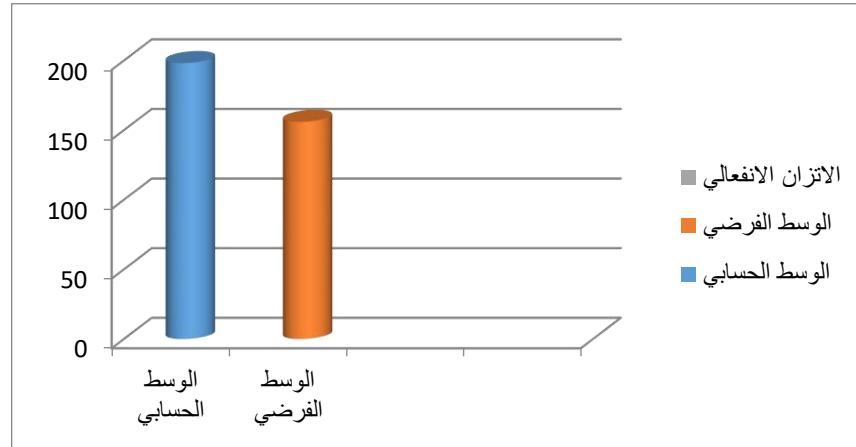
الهدف الأول: التعرف على مستوى الاتزان الانفعالي لدى طلبة الجامعة :

أظهرت نتائج التحليل الإحصائي إن متوسط درجات العينة على مقياس الاتزان الانفعالي بلغ (198.22) وبأنحراف معياري مقداره (8.08)، بينما كان المتوسط الفرضي للمقياس (156) ، وباستعمال الاختبار التائي (t-test) لعينة واحدة، ظهر أن القيمة التائية المحسوبة كانت (19.53) وعند مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (1,96) تبين أنها دالة إحصائياً عند مستوى (0,05) وبدرجة حرية (149) ، مما يعني أن أفراد عينة البحث لديهم اتزان انفعالي، كما في الجدول (2) والشكل (1)

الجدول (2)

نتيجة الاختبار التائي للفرق بين المتوسط الحسابي والفرضي لعينة البحث في الاتزان الانفعالي

مستوى الدلالة (0,05)	القيمة التائية		المتوسط الفرضي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العينة
	الجدولية	المحسوبة				
دالة	1,96	19.53	156	8.08	198.22	150



الشكل (1)

نتيجة الاختبار التائي للفرق بين المتوسط الحسابي والفرضي لعينة البحث في الاتزان الانفعالي

الهدف الثاني: التعرف على دلالة الفرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير النوع (ذكور- إناث) لدى طلبة

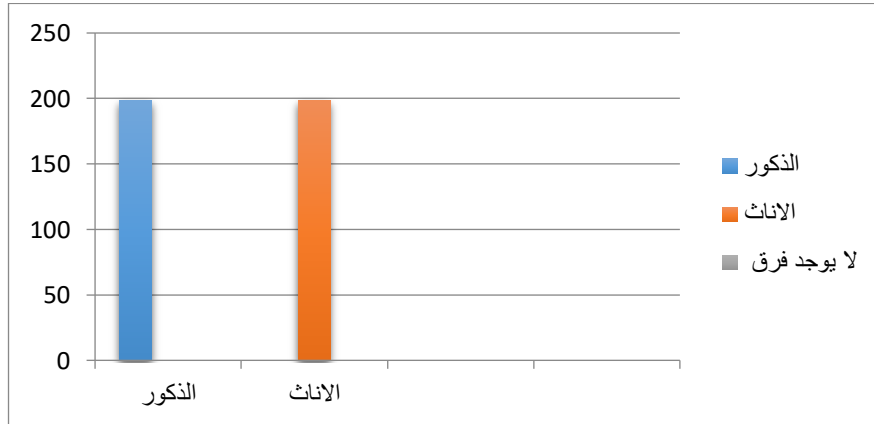
الجامعة:

ولتحقيق هذا الهدف تم حساب متوسط درجات الذكور والإناث كلاً بمعزل عن الآخر في مقياس الاتزان الانفعالي إذ بلغ متوسط درجات الذكور (198.10) وانحراف معياري مقداره (8.12)، بينما كان متوسط درجات الإناث (198.12) وانحراف معياري مقداره (7.89)، وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، ظهر أن القيمة التائية المحسوبة (0.43) وعند مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (1,96) تبين أنها غير دالة احصائياً، عند مستوى (0,05) ودرجة حرية (148) ، وكما موضح في الجدول (3) والشكل (2).

الجدول (3)

نتائج الاختبار التائي وفقاً لمتغير النوع (ذكور-إناث) في الاتزان الانفعالي

النوع	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		مستوى الدلالة (0,05)
				المحسوبة	الجدولية	
ذكور	80	198.10	8.12	0.43	1,96	غير دالة
إناث	70	198.12	7.89			



الشكل (2)

نتائج الاختبار التائي وفقاً لمتغير النوع (ذكور-إناث) في الاتزان الانفعالي

الهدف الثالث: التعرف على دلالة الفرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير التخصص (علمي- أنساني) لدى

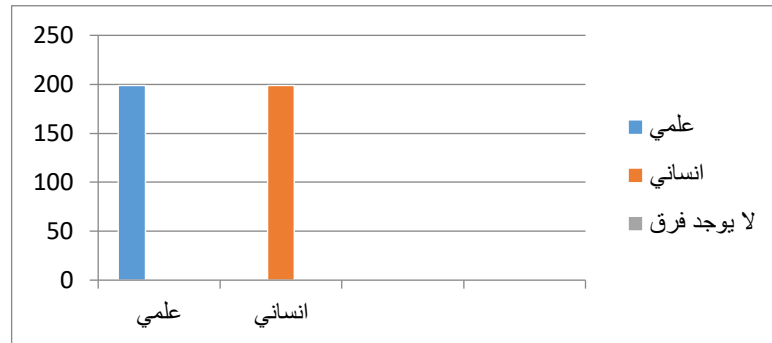
طلبة الجامعة:

ولتحقيق هذا الهدف تم حساب متوسط درجات التخصص العلمي والتخصص الانساني كلاً بمعزل عن الآخر في مقياس الاتزان الانفعالي إذ بلغ متوسط درجات التخصص العلمي (197.89) وبانحراف معياري مقداره (8.41)، بينما كان متوسط درجات التخصص الانساني (198.13) وبانحراف معياري مقداره (8.32)، وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، ظهر أن القيمة التائية المحسوبة (0.64) وعند مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (1,96) تبين انها غير دالة احصائيا، عند مستوى (0,05) ودرجة حرية (148) ، وكما موضح في الجدول (4) والشكل (3).

الجدول (4)

نتائج الاختبار التائي وفقاً لمتغير التخصص (علمي-انساني) في الاتزان الانفعالي

مستوى الدلالة (0,05)	القيمة التائية		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العدد	التخصص
	الجدولية	المحسوبة				
غير دالة	1,96	0.64	8.41	197.89	75	علمي
			8.32	198.13	75	أنساني



الشكل (3)

نتائج الاختبار التائي وفقاً لمتغير التخصص (علمي-انساني) في الاتزان الانفعالي

الهدف الرابع: التعرف على دلالة الفرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير المرحلة (الاول- الرابع) لدى طلبة

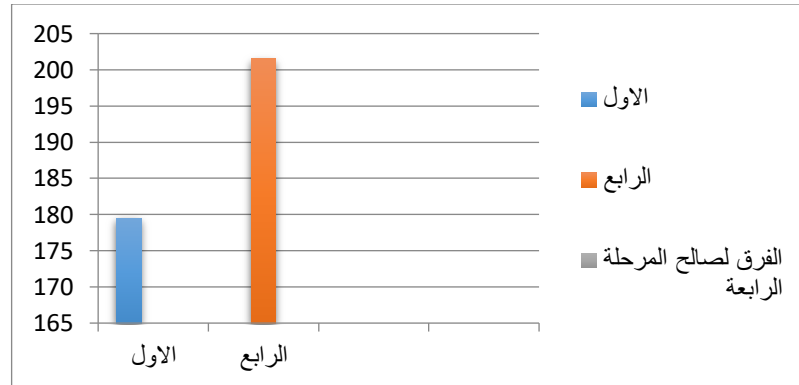
الجامعة :

ولتحقيق هذا الهدف تم حساب متوسط درجات المرحلة الاولى والرابعة كلاً بمعزل عن الآخر في مقياس الاتزان الانفعالي إذ بلغ متوسط درجات المرحلة الاولى (179.49) وبانحراف معياري مقداره (8.65)، بينما كان متوسط درجات المرحلة الرابعة (201.51) وبانحراف معياري مقداره (8.88)، وباستعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، ظهر أن القيمة التائية المحسوبة (21.11) وعند مقارنتها بالقيمة الجدولية البالغة (1,96) تبين أنها دالة احصائية، عند مستوى (0,05) ودرجة حرية (148) ، ولصالح المرحلة الرابعة وكما موضح في الجدول (5) والشكل (4).

الجدول (5)

نتائج الاختبار التائي وفقاً لمتغير المرحلة (الاول-الرابع) في الاتزان الانفعالي

المرحلة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية		مستوى الدلالة (0,05)
				المجدولية	المحسوبة	
الاول	79	179.49	8.65	1,96	21.11	دالة لصالح
الرابع	71	201.51	8.88			المرحلة الرابعة



الشكل (4)

نتائج الاختبار التائي وفقاً لمتغير النوع (ذكور-اناث) في الاتزان الانفعالي

تفسير النتائج:

لقد أظهرت نتائج البحث الحالي إلى ما يأتي:

- 1- يتمتع افراد عينة البحث بأتزان انفعالي.
- 2- لا يوجد فرق بين الذكور والاناث في الاتزان الانفعالي.
- 3- لا يوجد فرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لمتغير التخصص (علمي، انساني).

4- هناك فرق في الاتزان الانفعالي تبعاً لتغير المرحلة (الاول، الرابع) لدى طلبة الجامعة ولصالح المرحلة الرابعة. واستناداً إلى النتائج المتحصل عليها من أهداف البحث، وما أسفرت عنها يمكن القول: أن تمتع افراد عينة البحث باتزان انفعالي يرجع إلى طبيعة القدرات التي يمتلكها الطلبة في التحكم بانفعالاتهم، ففي ظل الضغوطات والمشكلات التي يتعرضون اليها في المجال الاجتماعي، أم الدراسي، من خلال البيئة الجامعية، فإن اتزانهم الانفعالي يعطي مؤشراً حول قدرة الطلبة على تحقيق مستوى من الاتزان الانفعالي، ويرى الباحثون وضمن تفسير هذه النتيجة الى دور التوجيه في البيئة الأسرية او الارشاد التربوي في الجامعة قد لعب دوراً مهماً في تحقيق الاتزان الانفعالي لدى الطلبة، وبالتالي فإن هذا لم يأتي إلا من خلال التوعية، وتقديم التوجيه المناسب ضمن بيئة أسرية تربوية تعليمية متكاملة، واتفقت نتيجة الدراسة الحالية مع نتيجة دراسة كومار (Kumar,2013) التي بينت الى وجود مستوى من الاتزان الانفعالي لدى أفراد عينة الدراسة، بدرجة متوسطة ودراسة عرفات (2009) التي بينت نتائجها أن مستوى الاتزان الانفعالي جاء مرتفعاً لدى طلبة الجامعة، كما اختلفت مع دراسة العامري (2007)، ودراسة (Janbozorgi, et al., 2009) التي أشارت إلى أن مستوى الاتزان الانفعالي جاء منخفضاً لدى أفراد عينة الدراسة.

كما أظهرت نتائج هذه الدراسة الى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاتزان الانفعالي بين الذكور والاناث، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاتزان الانفعالي تبعاً للتخصص (علمي، انساني) وهناك فروق في مستوى الاتزان الانفعالي تبعاً للمرحلة الدراسية (الاولى، الرابعة) ولصالح المرحلة الرابعة ويمكن تفسير هذه النتائج استناداً الى ما يتمتع به الطلبة والطالبات من خبرات ومواقف، قد تسهم في قدرتهم على تحقيق الاتزان الانفعالي، أضف إلى ذلك طبيعة المشاعر والعواطف التي تتحكم وتسيطر على سلوكياتهم وبالتالي فإن ما يتعرض له الطلبة من مواقف تكون قد أكسبتهم الخبرة في التعامل مع هذه المواقف والأحداث بنوع من المرونة، كما ويمكن عزو هذه النتيجة إلى البيئة الاجتماعية، والضوابط التي تحكم سلوك الطلبة فهناك العديد من العوامل الاجتماعية التي قد تلعب دوراً في قدرة الطلبة على تحقيق الاتزان الانفعالي من بينها القيم والمعايير الاجتماعية فعندما يتعرضون لأي موقف أو سلوك مهما كان بسيطاً قد يستثير لديهم الحفيظة، الأمر الذي أدى بدوره في تحقيق الاتزان الانفعالي، واتفقت هذه النتيجة مع نتيجة دراسة غالب (2012) في

عدم وجود اختلاف في مستوى الاتزان الانفعالي لدى افراد عينة الدراسة تبعا لمتغير النوع واختلفت نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة عرفات (2009) التي أشارت إلى وجود فروق في مستوى الاتزان الانفعالي تعزى لمتغير الجنس، ولصالح الذكور.

وفيما يتعلق بعدم وجود فروق في مستوى الاتزان الانفعالي تبعا للتخصص العلمي والانساني، فيمكن تفسير هذه النتيجة تبعا إلى واقع وطبيعة البيئة الجامعية، التي يعيش فيها الطلبة وهي بيئة واحدة في مختلف مقوماتها، وتؤثر في الطلبة بمستويات قد تكون متساوية لدى مختلف الطلبة في جميع التخصصات، أضف إلى ذلك طبيعة المناهج والمواد الدراسية، التي تركز على الجوانب التعليمية ضمن إطار كل تخصص، وليس هناك أي أنشطة، أو مناهج ترتبط بشكل مباشر في بناء شخصية الطالب النفسية والانفعالية مقدمة لتخصص معين، أو لمستوى دراسي معين دون الآخر.

واخيراً أظهرت نتائج الدراسة الحالية الى وجود فروق ذات دلالة احصائية وفقا لمتغير المرحلة الدراسية الاولى والرابعة ولصالح المرحلة الرابعة يفسر الباحثون هذه النتيجة الى وجود النضج الاجتماعي فمن خلال النضج الاجتماعي الذي يتمتع به طلبة المرحلة الرابعة هذا ادى بدوره الى تمتعهم باتزان انفعالي اعلى من طلبة المرحلة الاولى وجاءت هذه النتيجة متفقة مع نتيجة دراسة غالب (2012) التي اظهرت الى وجود علاقة ارتباطية داله احصائيا بين الاتزان الانفعالي والمرحلة الدراسية واوزته نتيجة لوصول طلبة المرحلة الرابعة الى مستوى من النضج الاجتماعي اعلى من المراحل الاخرى.

التوصيات والمقترحات

التوصيات: وفي ضوء النتائج السابقة يوصي الباحثون:

1- الاهتمام بالإرشاد التربوي والنفسي في الجامعة من قبل عمادة شؤون الطلبة، ومتابعة مشكلات الطلبة وخاصة النفسية والدراسية.

2- توفير البرامج والأنشطة والفعاليات العلمية والتعليمية والترفيهية التي تسهم في تحقيق الاتزان الانفعالي.

المقترحات:

- 1- إجراء بحوث أخرى تتناول المتغير مع متغيرات نفسية واجتماعية أخرى مثل الصحة النفسية، مركز السيطرة، الذاكرة، أساليب التنشئة الاجتماعية، التسلسل الولادي، تحقيق الذات.
- 2- إجراء بحوث أخرى تتناول متغيرات ديموغرافية أخرى مثل العمر، المستوى الاقتصادي و الدراسي من حيث الدراسة في الكليات الحكومية والخاصة.
- 3- إجراء بحوث أخرى تتناول عينات أخرى في البحث مثل كبار السن، عاطلين عن العمل وغيرهم.

الهوامش:

- (1)المهداوي، نياية جبر خلف (2005): الضغوط المهنية لدى المرشدين التربويين وعلاقتها باتزانهم الانفعالي ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، رسالة ماجستير غير منشورة، ص36.
- (2)المسعودي، عبد (2002): قياس الاتزان الانفعالي لدى طلبة الجامعة بناء وتطبيق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، ص32.
- (3)يونس، محمد(2004): مبادئ علم النفس، عمان، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ص36.
- (4)السعاوي، فضيلة عرفات محمد (2008): قياس الاتزان الانفعالي لدى طلبة معاهد إعداد المعلمين والمعلمات ، مجلة التعليم والتعلم ، المجلد(75)، العدد (3)، كلية التربية، جامعة الموصل، ص269.
- (5)الجميل، علي عليح خضر(2005): اثر العلاج الواقعي والمهارات الاجتماعية في رفع مستوى الاتزان الانفعالي لدى طلاب المرحلة الاعدادية، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، ص36.
- (6)ابراهيم، عبد الستار(1994): العلاج النفسي السلوكي المعرفي الحديث، أساليب و مبادئ تنظيمية، دار الفجر للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر، ص434.
- (7)كفافي، علاء الدين (1987): مدى قدرة مقياس بارون لقوة الانا على التنبؤ بنجاح العلاج النفسي، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد(6)، جامعة الكويت، ص111.
- (8)هول كالفين ، وليندزي ، جاردنر(1978): نظريات الشخصية ، ط2، ترجمة فوج وآخرون، دار المشاريع للنشر ، القاهرة، ص54.
- (9)محمد، سماح رافع (1972): أسس علم النفس، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ص68.

- (10) جاسم، احمد لطيف(2000): بناء برنامج عاجلي للتدريب على بعض المهارات الاجتماعية للمصابين بالرهاب الاجتماعي ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، اطروحة دكتوراه غير منشورة،ص43.
- (11) سليمان عبدالرحمن سيد وعبدالله هشام ابراهيم (1996): دراسة لموقع الضبط وعلاقته بكل من قوة الانا والقلق لدى عينة من طلبة جامعة قطر، مجلة مركز البحوث التربوية بجامعة قطر ، السنة الخامسة ، العدد(9)،ص113.
- (12) التميمي، محمود (1999): خبرات الاسر المؤلمة وعلاقتها بالانفعال لدى الاسرى العراقيين العائدين ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ،اطروحة دكتوراه غير منشورة،ص45.
- (13) المسعودي، عبد (2002): قياس الاتزان الانفعالي لدى طلبة الجامعة بناء وتطبيق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد،ص33.
- (14) يونس، محمد(2004): مبادئ علم النفس، عمان، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع،ص495.
- (15) ريان، محمود (2006): الاتزان الانفعالي وعلاقته بكل من السرعة الإدراكية والتفكير الابتكاري لدى طلبة الصف الحادي عشر بمحافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، مصر،ص29.
- (16) صالح، محمد صبحي(2017): مبادئ الحصاء ، ط7 ، دار اليازوري العملية للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن،ص15.
- (17) جبر عدنان مارد و ابراهيم، دري ناجي كاظم (2012): اساليب التعامل مع احداث الحياة الضاغطة وعلاقتها بالاتزان الانفعالي لدى المرشدين التربويين ، مجلة جامعة كربلاء ، المجلد (3)، العدد(72)،ص78.
- (18) الزغي، أحمد محمد (2005): مشكلات الاطفال النفسية والسلوكية والدراسية أسبابها وسبل علاجها، ط7 ، دار الفكر العربي، عمان، الاردن،ص32.
- (19) Maslow, A.(1970): Motivation and personality, 2nded, Harper Row, New York,p.175-275.
- (20) Hjelle larry. A & Ziegler. O. J.(1976):personality theories Basic assumptions, research and application, McGraw-Hill Book com, New York. &Ziegler,p.64.
- (21) الداھري، صالح(2008): أساسيات التوافق النفسي والاضطرابات السلوكية والانفعالية، الأسس والنظريات، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع،ص54.
- (22) الريموي، محمد(2004): علم النفس العام، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع،ص88.
- (23) الوقفي، راضي (1998): مقدمة في علم النفس، عمان، دار الشروق،ص43.
- (24) السيد، محمد (1998): نظريات الشخصية، القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع،ص51.

- (25)ريان، محمود (2006): الاتزان الانفعالي وعلاقته بكل من السرعة الإدراكية والتفكير الابتكاري لدى طلبة الصف الحادي عشر بمحافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، مصر، ص35.
- (26)العامري، سليمان (2007): الأعراض السيكوسوماتية وعلاقتها بالاتزان الانفعالي لدى عينة من المراهقين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، ص76.
- (27)عرفات، فضيلة (2009): الاتزان الانفعالي لدى طلبة إعداد المعلمين والمعلمات وعلاقته بالضغط النفسية، مجلة جامعة بغداد، 1(2)93-116، ص21.
- (28)غالب، فؤاد (2012): نحو الأحكام الأخلاقية وعلاقته بالاتزان الانفعالي والنضج الاجتماعي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، سوريا، ص66.
- (29)Albright S., Terranova, M., Honts, C., Goedde, J. and LaChapell, J. 2008. Perceived Stress and Emotional Stability among Working Adults. Student Research Conference, 21st Annual Student Research Conference.p.121.
- (30) Janbozorgi M., Zahirodin, A., Norri, N., Ghafarsamar, R. and Shams, J. 2009. Providing Emotional Stability through Relaxation training. Eastern Mediterranean Health Journal, 15(3): 629- 638.
- (31) Henley, M. 2010. Teaching self-control to young children. Reaching Today, S Yonth: The Community Circle of Caring Journal, 1(1): 13-26.
- (32) Kumar, P. 2013. A Study of Emotional Stability and SocioEconomic- Status of Students Studying in Secondary Schools. International Journal of Education and Information Studies, 3(1): 7-11.
- (33) Vitalia A., Kheiri, B., & Nicoleta, M. (2013): The relationship between cultural intelligence and achievement: A case study in an Iranian Company. Iranian Journal of Management Studies, 3, 3, 25 – 40.

المصادر

أولاً: المصادر العربية:

- 1- إبراهيم، عبد الستار (1994): العلاج النفسي السلوكي المعرفي الحديث، أساليب و ميادين تنظيمية، دار الفجر للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر .

- 2- التميمي، محمود (1999): خيرات الاسر المؤلمة وعلاقتها بالاتزان الانفعالي لدى الاسرى العراقيين العائدين ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة.
- 3- جاسم، احمد لطيف(2000): بناء برنامج عاجلي للتدريب على بعض المهارات الاجتماعية للمصابين بالرهاب الاجتماعي ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، اطروحة دكتوراه غير منشورة.
- 4- جبر، عدنان مارد و ابراهيم، دري ناجي كاظم (2012): اساليب التعامل مع احداث الحياة الضاغطة وعلاقتها بالاتزان الانفعالي لدى المرشدين التربويين ، مجلة جامعة كربلاء ، المجلد (3)، العدد(72).
- 5- الجميلي، علي عليج خضر(2005): اثر العلاج الواقعي والمهارات الاجتماعية في رفع مستوى الاتزان الانفعالي لدى طلاب المرحلة الاعدادية، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية، اطروحة دكتوراه غير منشورة.
- 6- الداھري، صالح(2008): أساسيات التوافق النفسي والاضطرابات السلوكية والانفعالية، الأسس والنظريات، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع.
- 7- ريان، محمود (2006): الاتزان الانفعالي وعلاقته بكل من السرعة الإدراكية والتفكير الابتكاري لدى طلبة الصف الحادي عشر بمحافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، مصر.
- 8- الريماوي، محمد(2004): علم النفس العام، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- 9- الزغي، أحمد محمد (2005): مشكلات الاطفال النفسية والسلوكية والدراسية أسبابها وسبل علاجها، ط7 ، دار الفكر العربي، عمان، الاردن.
- 10- السبعوي، فضيلة عرفات محمد (2008): قياس الاتزان الانفعالي لدى طلبة معاهد إعداد المعلمين والمعلمات ، مجلة التعليم والتعلم ، المجلد(75)، العدد (3)، كلية التربية، جامعة الموصل.
- 11- سليمان، عبدالرحمن سيد وعبدالله هشام ابراهيم (1996): دراسة لموقع الضبط وعلاقته بكل من قوة الانا والقلق لدى عينة من طلبة جامعة قطر، مجلة مركز البحوث التربوية بجامعة قطر ، السنة الخامسة ، العدد(9).
- 12- السيد، محمد (1998): نظريات الشخصية، القاهرة، دار قباء للنشر والتوزيع.
- 13- صالح، محمد صبحي(2017): مبادئ الحياء ، ط7 ، دار اليازوري العملية للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن.
- 14- العامري، سليمان (2007): الأعراض السيكوسوماتية وعلاقتها بالاتزان الانفعالي لدى عينة من المراهقين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
- 15- عرفات، فضيلة(2009): الاتزان الانفعالي لدى طلبة إعداد المعلمين والمعلمات وعلاقته بالضغوط النفسية، مجلة جامعة بغداد، 1(2)93-116.

- 16- غالب، فؤاد (2012): نمو الأحكام الأخلاقية وعلاقته بالاتزان الانفعالي والنضج الاجتماعي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، سوريا.
- 17- كفاي، علاء الدين (1987): مدى قدرة مقياس بارون لقوة الانا على التنبؤ بنجاح العلاج النفسي، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد(6)، جامعة الكويت.
- 18- محمد، سماح رافع (1972): أسس علم النفس، الشركة المصرية للطباعة والنشر.
- 19- المسعودي، عبد (2002): قياس الاتزان الانفعالي لدى طلبة الجامعة بناء وتطبيق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد.
- 20- المهداوي، نياية جبر خلف (2005): الضغوط المهنية لدى المرشدين التربويين وعلاقتها باتزانهم الانفعالي، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، رسالة ماجستير غير منشورة.
- 21- هول، كالفين، وليندزي، جاردنر (1978): نظريات الشخصية، ط2، ترجمة فرج وآخرون، دار المشاريع للنشر، القاهرة.
- 22- الوقفي، راضي (1998): مقدمة في علم النفس، عمان، دار الشروق.
- 23- يونس، محمد (2004): مبادئ علم النفس، عمان، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع.
- ثانياً: المصادر الاجنبية:

- 24- Albright, S., Terranova, M., Honts, C., Goedde, J. and LaChapell, J. 2008. Perceived Stress and Emotional Stability among Working Adults. Student Research Conference, 21st Annual Student Research Conference.
- 25- Henley, M. 2010. Teaching self-control to young children. Reaching Today, S Yonth: The Community Circle of Caring Journal, 1(1): 13-26.
- 26- Hjelle, Iarry. A & Ziegler. O. J.(1976):personality theories Basic assumptions, research and application, McGraw-Hill Book com, New York.
- 27- Janbozorgi, M., Zahirodin, A., Norri, N., Ghafarsamar, R. and Shams, J. 2009. Providing Emotional Stability through Relaxation training. Eastern Mediterranean Health Journal, 15(3): 629- 638.
- 28- Kumar, P. 2013. A Study of Emotional Stability and SocioEconomic- Status of Students Studying in Secondary Schools. International Journal of Education and Information Studies, 3(1): 7-11.
- 29- Maslow, A.(1970): Motivation and personality, 2nded, Harper Row, New York.
- 30- Vitalia, A., Kheiri, B., & Nicoleta, M. (2013): The relationship between cultural intelligence and achievement: A case study in an Iranian Company. Iranian Journal of Management Studies, 3, 3, 25 – 40.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

سيكولوجية المراهقة

طالبة الدكتوراه صفاء معروف

جامعة وهران 2 محمد بن احمد السانبا (الجزائر)

safaalyna1@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/11/03 م تاريخ التحكيم: 2020/11/07 م تاريخ النشر: 2020/11/15 م
الملخص بالعربية:

مرحلة المراهقة تعني التحول نحو اكتمال النمو وهي إحدى مراحل الحياة الهامة حيث تعتبر فترة انتقالية بين الطفولة المتأخرة إلى الرشد وفي هذه المرحلة يعمل المراهق على التخلص من الطفولة المعتمدة على الكبار ويبدأ في البحث عن الاستقلال الذاتي والحرية التي يتمتع بها الراشد، كما أنه يحدث خلا هذه الفترة تغييرات جسمية ظاهرة يمر بها الفتى أو الفتاة بتحولهم من أطفال إلى شباب ناضج جسميا وجنسيا، ، وتشير البحوث إلى أن المراهقة تعتبر نتاجا للتفاعل بين العوامل الوراثية الحيوية والنمط الثقافي والمجال النفسي الذي يعيش فيه المراهق وهي مرحلة البحث عن الهوية والبحث عن تحقيق الذات ومرحلة نمو الشخصية واكتشاف القيم، هي باختصار الميلاد الحقيقي للفرد.
الكلمات المفتاحية: سيكولوجية-المراهقة

The psychology of adolescence

Phd student safaa marouf

University of Oran 2 –department of psychology (Algeria)

safaalyna1@gmail.com

Abstract:

The stage of adolescence means the stage of identity quest, which is the actual birth of the child, and we tried to explain the psychological contexts of drugs-addicted adolescent present at the Re-education Center of Oran through the interview and application of the Thematic Apperception Test by following the case study process. The finding concluded that the addiction of the teenage girl is only a result of psychological conflicts with a fragility, internal and psychological employment disorder.

Keywords: psychology, adolescence

1-تعريف المراهقة:

1- التعريف اللغوي للمراهقة: رهق تعني قرب، غلام مراهق أي مقارب للحلم راهق الحلم أي قاربه وبالتالي تعني المراهقة لغويا الاقتراب من الحلم، ومعنى المراهقة بالإنجليزية (Adolescence) والمشتقة من الفعل اللاتيني (Adolescek) ومعناه الاقتراب المتدرج من النضج البدني والجنسي والانفعالي والاجتماعي وغيرها¹.

وتعني المراهقة في قاموس لاروس الفرنسي تلك الفترة الزمنية الفاصلة بين حياة الطفل وحياة الرجولة وتتميز بخاصية البلوغ²

التعريف الاصطلاحي للمراهقة: تعتبر المراهقة فترة مرور وعبور وانتقال من مرحلة الطفولة الى مرحلة الرشد، وهي مرحلة الاهتمام بالذات والمرأة والجسد على حد سواء²، ومرحلة اكتشاف الذات والغير والعالم ويطلق على المراهق

أيضا مصطلح الحدث من تم تتخذ المراهقة ابعاد ثلاثة:

البعد البيولوجي (البلوغ)

البعد الاجتماعي (الشباب)

البعد النفسي (المراهقة)

2- الأنماط المفاهيمية المختلفة في تحديد المراهقة

فيما يلي سنقف على بعض الاتجاهات التي تناولت المراهقة بالتعريف منها:

-من الناحية البيولوجية

يشكل البلوغ المظهر البيولوجي لمرحلة المراهقة وهو يشمل المرحلة التي يصبح فيها الكائن قادرا على التناسل، ويحدث البلوغ عادة في فترة محددة نسبيا من فترات النمو عند الكائن وتصحبه سلسلة من التغيرات تكون ظاهرة على مستوى الأعضاء التناسلية بصورة عامة³، يحدد ابتداء من البلوغ عند الأنثى انطلاقا من عمر 11 سنة ويستمر إلى حوالي 16-17 سنة، ويحدث البلوغ عند الذكر في وقت متأخر ويستمر إلى أطول من 12 إلى 18 سنة تقريبا⁴. وقد قسمت هذه المرحلة الطويلة من النضج المتدرج إلى ثلاث فترات:

- الفترة الأولى: ما قبل البلوغ من سنة ونصف إلى سنتين.

- الفترة الثانية: فترة البلوغ التي يطلق عليها اسم أزمة البلوغ مدتها من 06 أشهر إلى سنتين.
- المرحلة الثالثة: ما بعد البلوغ وتستمر من سنة إلى سنتين.
إن هذه التحديدات وهذه الأرقام هي في الواقع تحديدات وأرقام تقريبية شأنها شأن تحديدات الزمنية لبدية البلوغ ونهايته.
ذلك لأن عملية البلوغ تختلف باختلاف العرق والجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد والظرف التاريخي الذي يعيشه فيه⁵.

- من الناحية السيكولوجية

S.Hall: هي الفترة العمرية التي تتميز فيها التصرفات السلوكية للفرد بالعواطف والانفعالات الحادة والتوترات العنيفة ، وينظر للمراهقة على أنها مرحلة اضطراب انفعالي حيث يمر المراهق بأزمة ذاتية اد لا يعرف ما إذا كان ما زال طفلاً تابعاً لأسرته أو أصبح راشداً مستقلاً عن أسرته⁶.
E.ERikson: تتميز المراهقة بأزمة الهوية حيث ينشغل الفرد في تحديد من هو ومن سيكون؟ وعلى المراهق أن يؤسس نفسه كفرد مستقل له وضعه ومكانته ودوره في المجتمع، ويعجز كثيرون عن تحقيق تلك المهمات.

هي فترة من الحياة تنحصر ما بين نهاية الطفولة: 12-13 سنة وبداية سن الرشد 18-20 سنة وفي الإطار السيكولوجي تتميز مرحلة المراهقة ببروز الغريزة الجنسية وتفضيل الاستقلالية والحرية وبروز حياة عاطفية ثرية⁷

المراهق يبحث دوماً عن اكتشاف الأشياء ويحاول الدخول في علاقات مع الغير باكتشاف أناه وأنا الآخر⁸.

3- من الناحية الاجتماعية

هي فترة انتقال بين الطفولة والنضج أي من الاعتماد على العائلة وعدم المسؤولية الاجتماعية إلى الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية الاجتماعية⁹.

4- من الناحية القانونية:

هي الفترة التي تبدأ بسن التمييز والتي تنعدم فيها المسؤولية الجنائية ببلوغ الرشد التي حددها القانون للرشد، ويختلف سن الحدث في بعض المجتمعات لعوامل مختلفة¹⁰

مصطلح المراهقة في الثقافة العربية:

ان مصطلح المراهقة موجود في لسان العرب لابن منظور و القواميس المعجمية الأخرى، الا انه لم يوظف بمفهومه العلمي و السيكولوجي و الاجتماعي الا في القرن العشرين متأثرا بالدراسات الغربية , حيث كان الطفل ينتقل مباشرة من طور الطفولة الى الرشد دون المرور بالمراهقة فكانوا يعملون في الفلاحة و يتزوجون في فترة مبكرة بمعنى انهم يتحملون المسؤولية منذ سن الطفولة¹¹ , يعني ان المجتمع العربي الى حد قريب لم يكن يعرف المراهقة بامتداداتها و ابعادها و تعقيداتها السيكولوجية و الاجتماعية و البيولوجية

التحديد الزمني للمراهقة

يختلف المدى الزمني لفترة المراهقة بين الطول والقصر باختلاف المجتمعات و باختلاف المستوى الاقتصادي والثقافي للأسر هذا فضلا عن الاختلافات الناتجة عن الفروق الفردية بين الأفراد. ويتجه علم النفس الحديث إلى اعتبار مرحلة المراهقة مرحلة غير مستقلة عن باقي مراحل العمر، فينظر إليها على أنها مرحلة متصلة بالمراحل التي تسبقها وبالمراحل التي تلحق ب ها¹²، إذ تندرج في النمو البدني والجسدي والعقلي كامتداد للمراحل السابقة عليها نحو النضج.

مراحل المراهقة

ان تحديد مرحلة المراهقة يعد امرا تقريبا ويصعب تحديد بداية هذه المرحلة ونهايتها تحديدا زمنيا دقيقا¹³، وهي تختلف من مجتمع الى اخر، ففي بعض المجتمعات تكون قصيرة، وفي بعضها الاخر تكون طويلة، ولذلك فقد قسمها العلماء الى ثلاثة مراحل:

- ما قبل المراهقة: او المراهقة المبكرة:

ويطلق على هذه المرحلة مرحلة التحفز والمقاومة وهي بين سن العاشرة والثانية عشر تقريبا وتظهر لدى الفرد عملية التحفز تمهيدا للانتقال الى المرحلة الثانية من النمو وكذا تبدو مقاومة نفسية تبذلها الذات ضد تحفز الميول الجنسية ومن علامات هذه المرحلة زيادة إحساس الفرد بجنسه ونفور الفتى من الفتاة وكذا تجنب الفتاة الفتى في اللعب¹⁴

2-المراهقة المتوسطة

تكون مرحلة المراهقة المتوسطة خلال السنوات بين الرابعة عشر والسابعة عشر وفق لـ "بيتربلوس" الذي يعد أول متعرض لهاته المراحل الثانوية للمراهقة. يتطور الإدراك الجنسي للمراهق في هذه المرحلة ويبدأ الانجذاب الفعلي إلى الجنس الأجر ويصاحب ذلك انفصال عن كيان الأسرة¹⁵، كما يتضاءل اعتماده على والديه، وشعور المراهق بالخوف من اعتماده على الآخرين ومن إقامة علاقات جديدة (منصوري عبد الحق، 2009: 28).

3-المراهقة المتأخرة

وتبدأ من سن الثامنة عشر الى واحد وعشرين سنة، تتمثل هذه المرحلة فيما أشار إليها "إيريك أريكسون" باسم "تكوين الهوية"، يتضمن ذلك تكوين الهوية الجنسية (التي تأخذ صورتها النهائية ومن الصعب تغييرها)¹⁶، وفيها يتجه الفرد محاولاً ان يكتيف نفسه مع المجتمع الذي يعيش فيه وتتحدد اتجاهاته إزاء الشؤون الاجتماعية والعمل الذي يسعى اليه

خصائص مرحلة المراهقة

تشمل مجموعة من الخصائص والتغيرات التي يتميز بها الشخص خلال فترة المراهقة، من تغيرات عضوية ونفسية، تجعل من هذه المرحلة، فعلاً مرحلة تحول ونمو، سواء كان ذلك على المستوى النفسي أو الاجتماعي أو الفيزيولوجي¹⁷. فالكثير من العوامل قد تؤثر في عملية التكوين هذه كالسن، الجنس، الظروف المادية والاجتماعية والثقافية، المناخ، الصحة، والتغذية، وتتميز مرحلة المراهقة بأحداث كبرى على مستوى النضج الجسمي في نفس الوقت التي تظهر فيه الميزات الجنسية الثانوية، وتتم في مراحل تتفاوت من حيث المدة والشدة، ففي البداية يتم النمو بخطى سريعة، يأخذ في التباطؤ فيما بعد ويتم هذا بفضل متغير أساسي هو الزمن.

أ-النمو الجسمي للمراهق:

ان جسم الانسان من المقومات الاساسية في تكوين شخصيته ,حيث انها ليست مهمة في ذاتها بقدر ما هي مهمة من حيث تأثيرها غير المباشر على شخصية المراهق وقدراته و سلوكه فيجسمه و عقله و عواطفه تتأثر كل واحد منها بالآخر , فعملية النمو الجسمي للمراهق يؤثر فيها عاملان احدهما داخلي و هو الوراثة

و الاخر خارجي و هو البيئة , و لا يمكن فصل العاملين عن بعضهما البعض¹⁸ , و النمو الجسماني يقصد به مجموعة التغيرات في الابعاد الخارجية للإنسان كالطول و الوزن وغيرها , و مرحلة المراهقة تعتبر طفرة النمو في الجسم فهي مرحلة نمو جسمي سريع و تبدأ فترة النمو بين عشرة و أربعة عشرة عند الذكور و يستمر النمو حتى ثمانية عشر سنة عند الاناث و يتميز النمو الجسمي خلال هذه المرحلة بعدم الانتظام فنجد ان الطول يزداد بسرعة و يزداد وزن الجسم تبعا لنمو العضلات فتتغير ملامح الطفولة وتبدو ملامح الرشد و البلوغ , و المراهق إزاء هذه التغيرات السريعة و المفاجئة لا يدري ماذا يفعل اتجاهها فنجده يتتبع اثر هذا التغير على افراد اسرته و اقاربه المخالطين له و لذا فعملية التوافق تكون مزدوجة توافق مع جسمه الجديد و توافق مع المحيطين به مما يزيد من الصراع و القلق عنده , ان الاناث يتراكم الشحم في مناطق معينة من أجسادهم كالتئدين و تعود هذه الاختلافات في و الواقع ان هناك فروق في هذه التغيرات بين الذكور و الاناث فالذكور تنمو نموا سريعا في حين ان الاناث يتراكم الشحم في مناطق معينة كالتئدين و تعود هذه الاختلافات في نسب ابعاد الجسم بسبب الدور الذي يلعبه افراز الهرمونات الجنسية في العظام¹⁹ , حيث يلاحظ اتساع الكتفين عند الذكور بينما يزداد نمو الفخذين عند الاناث , فلهذه التغيرات الجسمية و الطفرة النمائية التي يمر بها المراهقين الكثير من التحديات التي تواجههم فكثيرا ما نجدهم يميلون للنوم لساعات طويلة و تصبح الاناث اكثر حساسية وقلقا من الوزن الذي تزايد و سرعة اكتسابهن له خلال فترة البلوغ كما انهم يعانون من نقص اللياقة في التعبير عن عواطفهم فمع استمرار تطوره الجسمي في إعادة التفكير بالطريقة التي يتفاعلون فيها مع الجنس الاخر²⁰ , فالبنات التي اعتادت على معانقة والدها و تقبيله تشعر بالخجل من القيام بذلك في هذه المرحلة و يمكن ان يوجه المراهقين المزيد من الأسئلة المباشرة حول الجنس و يحاولون التعرف الى قيمهم الجنسية

النمو الوجداني للمراهقين:

يتسبب النمو الوجداني عند المراهق في خلق صراع داخلي بين الانا والانا الأعلى لديه، كما يلعب دورا مهما في تشكيل شخصيته كإنسان بالغ

ويظهر النمو الوجداني للمراهق في:

*الانفعالات العنيفة مع المبالغة في رد الفعل: والتي تتمثل في الاشتباكات المتكررة للمراهق مع اقرانه وزملائه وافراد أسرته وغالبا ما يكون سبب الاشتباك بسيطا في حين يأتي رد الفعل بشكل عنيف من قبل المراهق
*انعدام الثبات في السلوكيات الصادرة منه: تتأرجح السلوكيات والتصرفات التي تصدر عن المراهق ما بين سلوكيات الأطفال وتصرفات البالغين، فيمكن ان يتبنى مواقف تدل على صلابته ومقدرته على تحمل المسؤولية، ومواجهة عدد من المشكلات وحلها، في حين يظهر مظاهر الضعف تجاه عدد من المشكلات الأخرى

*انعدام الثقة بالنفس: حيث يصبح خجولا وانطوائيا ويميل الى العزلة وتجنب التجمعات مع ابتعاده عن الأنشطة العامة

*أحلام اليقظة: حيث ان للمراهق خيال خصب بالإضافة الى الأفكار والتصورات التي تساعده على تشكيل أحلام اليقظة

الحاجة الى الحب: يحتاج المراهق الى محبة من حوله، كما يميل الى اظهار مشاعر الحب تجاه الغير وخاصة الجنس الاخر

التمرد على السلطة: تقسم السلطة المفروضة على المراهق الى سلطة الاهل، سلطة المدرسة وسلطة المجتمع، وتظهر علامات التمرد على هذه السلطات بوضوح من خلال تصرفات المراهق وأفكاره وفعاله مع تزايد رغبته في الاستقلال عن هذه السلطات

النمو الاجتماعي للمراهقين:

تتميز العلاقات الاجتماعية في مرحلة المراهقة بانها أكثر تمايزا وأكثر اتساعا وشمولا عنه في مرحلة الطفولة²¹، فبنمو الفرد تزداد وتتسع افاق علاقاته الاجتماعية لتتابع مراحل النمو فتستمر عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية وبدخول المراهق للمدرسة تزداد مجالات النشاط الاجتماعي لديه ومن بين العوامل التي تؤثر في النمو الاجتماعي للمراهق:

*الاسرة: فغالبا ما يتأثر المراهق بخبرات طفولته الماضية تأثرا كبيرا، وقد تكون طفولته سعيدة محطوة بالرعاية والحنان والاهتمام اد تنتهج الاسرة أسلوبا تربويا سليما، وقد تكون طفولته غير سليمة، فالأسرة التي يشيع

فيها جو من الحب والاحترام والثقة تجعل أطفالها يحترمون دواتهم ويحترمون الآخرين، اما الاسرة التي تعيش في جو مضطرب ومشوب بالانفعالات يتسم افرادها بالاضطراب الانفعالي وسوء التوافق والجنوح، لهذا فان دور الاسرة هام في مساعدة المراهق لان يحقق ميوله

*المدرسة: هي بيئة تقتضي تحمل المسؤولية وتحتم عليه في سبيل تمتعه بالحقوق ان يؤدي الكثير من الواجبات، وهي حلقة وسطى بين المنزل والمجتمع ولذا فدورها هام في تحقيق النمو العقلي والاجتماعي
*جماعة الرفاق: تتكون جماعة الرفاق في العادة من المراهقين الذين تتقارب أعمارهم الزمنية والعقلية وميولهم في كثير من الأحيان، وهي ذات تأثير كبير على عملية التنشئة الاجتماعية

أزمة المراهقة

يرى "أريكسون (ERIKSON)" أن أزمة المراهقة هي تلك المرحلة التي تختلط فيها الأدوار بين راشد مستقل عن أسرته وفي نفس الوقت الابن الطيب في أسرته، وتتميز هذه المرحلة بالالتزام بالقوانين العامة وضرورة الخضوع للقوانين والنظم الاجتماعية.

فالمراهق يرى نفسه راشد من الناحية البيولوجية ولكن يعامل معاملة أطفال²².

حيث تغمره الحيرة ويسيطر عليه الارتباك بسبب عدم تحديد الأدوار إذ يتجه المراهق في البداية إلى والديه ليتخذ منهما نموذجا يمكن الاستفادة منه في تكوين هويته. ويعمل خلال فترة المراهقة المبكرة على النظر إليهما كنموذج مثالي، فتمثل الأم في نظره مثالا للضمان الاجتماعي في توفير المأكل والمشرب والملبس والأمن، بينما يمثل الأب السلطة والنظام والقانون.

غير أن المراهق سرعان ما يكشف أن والديه ليسا في الواقع كما توقعهما في تصوره، مما يجعله يتجه خارج الأسرة نحو الجماعات المختلفة، وعادة ما يصاحب هذه الخطوة نوعا من الثورة أو التمرد المزدوج بالحدة.

وينتج عن هذه النقطة أن يبدأ المراهق في تطوير شعوره بالاستقلال وتشكيل معالم حياته الخاصة غير أن بعض المراهقين قد لا ينجحون في المرور بهذه المرحلة بسلام ولا يصلون إلى تحديد هويتهم، مما يجعلهم يشعرون بعدم الرضا تجاه والديهم، وعادة ما يتم توجيه تلك المشاعر نحو الأب بالذات أو أي بديل آخر له مثل ممثلي السلطة، المؤسسات والقائمين على حفظ النظام والأمن. ويبدو ذلك في شكل ثورة المراهق على

المطالب الاجتماعية الجديدة تجاهه والتي يخشى من عدم قدرته على مقابلتها أو التصدي لها، مما يجعله يشعر بالظلم، ويكثر من الاحتجاج والعدوانية ويمر إلى السلوك ال جانح²³.

أنماط المراهقة:

لكل فرد نمط خاص من المراهقة وذلك حسب الظروف الجسمية والاجتماعية والنفسية والمادية وحسب الاستعدادات الطبيعية، فالمراهقة تختلف باختلاف الأنماط الحضارية التي يتربى في كنفها المراهق فهي في المجتمع البدائي تختلف عنها في المجتمع المتحضر، كما تختلف في المجتمع الريفي عن المدني²⁴، فالمراهقة ليست مستقلة بذاتها استقلالاً تاماً وإنما هي تتأثر بما يمر به الفرد من خبرات في المراحل السابقة، ومن بين هذه الأنماط:

1* المراهقة السوية أو المتكيفة: تكون هادئة نسبياً من المشكلات والصعوبات وتميل إلى الاستقرار العاطفي وتخلو من التوترات والانفعالات الحادة، ومن العوامل المؤثرة في هذا النمط من المراهقة هي المعاملة الوالدية المعقولة وإتاحة قدر من الحرية وعدم تدخلها المفرط وتوفير جو من الثقة²⁵

العوامل المؤثرة فيها:

المعاملة الاسرية التي تتسم بفهم واحترام رغبات المراهق
توفير الثقة والصراحة بين الوالدين والمراهق في مناقشة مشاكله
الشعور بالأمن والاستقرار والراحة النفسية

المراهقة المنطوية أو الانسحابية: في هذا النمط يميل المراهق إلى الانطواء والانعزال والسلبية والتردد والخجل، فكثيراً ما نجد المراهقين في هذا النمط ينسحبون من المجتمع والأسرة، والتفكير المتمركز حول الذات، وهذا النوع من المراهقة ينتج عن التربية الخاطئة واضطراب الجو الاسري ونقص الاشباع والجذب العاطفي²⁶

العوامل المؤثرة فيها:

اضطراب الجو داخل الاسرة والحرمان العاطفي
الفشل الدراسي

المراهقة المتمردة والعدوانية: تكون المراهقة في هذا النمط نائرة ومتمردة على سلطة الاسرة وتتسم بالعدوانية

وينتج هذا النمط جراء التربية المتشددة والمتسلطة

العوامل المؤثرة فيها:

نقص اشباع الحاجات والميول

التربية الضاغطة والصارمة

المراهقة المنحرفة:

يتسم فيها المراهق بالانحلال الخلقي والسلوك المضاد للمجتمع والبعد عن المعايير الاجتماعية وسوء التوافق

العوامل المؤثرة فيها:

المرور بخبرات وتجارب وصدمات عاطفية عنيفة

قصور الرقابة الاسرية وضعفها

تجاهل الاسرة لرغبات المراهق وميولاته وحاجاته

حاجيات المراهقة:

نجد ان المراهق يبحث عن مجموعة من الطموحات والحاجيات ويسعى لتحقيقها ليصل الى الاستقرار

الشخصي ونجده يعبر عنها من خلال تصرفاته، تتمثل هذه الحاجيات في:

*الحاجة الى الاستقلال: بنوعيه المادي والمعنوي من اهم الحاجيات التي يحتاجها المراهق ولا شك ان النضج

الجسمي يدفعهم الى محاولة الاعتماد على أنفسهم واستقلالهم في اتخاذ القرارات التي تتصل بحياتهم ال خاصة،

لذلك نجد المراهقين يرغبون في الاستقلال عن الاهل والتخلص من التبعية وقد ينتج عن ذلك التمرد والكبرياء

الزائد واتحاد وجهات نظر يعتبرونها صحيحة ويدافعون عنها

*الحاجة الى الامن والحب والقبول: وتتضمن الحاجة الى الشعور بالأمن الداخلي وتجنب الخطر والألم والحاجة

الى الحياة الاسرية الامنة المستقرة والحماية من الحرمان والحب والتقبل الاجتماعي والانتماء الى جماعات

*الحاجة الى التربية الجنسية: هي ذلك النوع من التربية التي تمد الفرد بالمعلومات العلمية والخبرات الصالحة

والاتجاهات السليمة إزاء المسائل الجنسية بقدر ما يسمح به نموه الجسمي والفسولوجي والعقلي والانفعالي

في إطار المعايير الاخلاقية والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع مما يؤهله لحسن التوافق في المواقف الجنسية ومواجهة مشكلاته الجنسية في الحاضر والمستقبل مواجهة واقعية تؤدي الى الصحة النفسية * الحاجة الى النمو العقلي وتأكيد الذات: وتتضمن الحاجة الى التفكير وتوسيع قاعدة الفكر والسلوك وتنظيم الخبرات واشباع الذات عن طريق العمل والتفوق الدراسي والسعي وراء الاصابة وتنمية القدرات ويؤدي اشباع حاجات المراهق الى تحقيق الامن النفسي والاستقرار الانفعالي والثقة في الذات والتوازن والتوافق الاجتماعي

مشاكل المراهقة:

تمت مجموعة من المشاكل التي يواجهها المراهق:

* مشاكل الذات والجسد : يهتم المراهق بذاته الى حد النرجسية فيراقب مختلف التغيرات العضوية و الفسيولوجية التي تتاب جسمه و يشعر بتقلبات جسمه عبر المرأة و يهتم بردود فعل الاخرين تجاه جسمه , فيدخل في صراع مع جسده و قلق من عدم تناسق الجسم , كما تتميز هذه المرحلة بحاجة المراهق الى الاستقلالية و الثقة في النفس , و اكتساب الهوية , و الاعتماد على الذات , و الإحساس بالحرية الشخصية , و من ناحية أخرى تعد هذه الفترة مرحلة الازمة و الثور و القلق و الاضطراب و الصراع مع افراد الاسرة و تمرد عن القواعد والتقاليد و الأعراف الاجتماعية و القانونية

* المشاكل الناجمة عن الخوف: يعاني المراهق من مخاوف عدة مثل خوفه من والديه وخوفه من مدرسيه وخوفه من الفشل التربوي ومن حاضره ومستقبله ومن البطالة، اد يعاني المراهق من مشكل عدم²⁷التوافق الذاتي والنفسي لان الهو والرغبات اللاشعورية الدفينة هي التي تتحكم في تصرفاته السلوكية ما يجعله أكثر اندفاعا وعداوة

المشاكل العاطفية والجنسية: يعيش المراهق مشاكل عاطفية بسبب ميله الى الجنس الاخر، ويمكن ان تحدث علاقة الحب الأولى صدمات عاطفية

مشكلة عدم التوافق النفسي: يترتب عنه مشاعر سلبية مثل القلق والانفعال وغياب الاستقرار وكثرة المخاوف، والتي تؤثر على الأنواع الأخرى من التوافق كالتوافق الاجتماعي والعضوي والتربوي

انحرافات المراهقة:

-الانحرافات الجنسية: حيث انه غالبا ما يتعرض المراهقين للانحرافات الجنسية التي تنشأ من المشكلات الجنسية الناجمة عن غياب الثقافة الجنسية السليمة وقد تتمثل هذه الانحرافات في: البغاء، الاستعراض الجنسي، الاحتكاك الجنسي، او الاتجاه نحو معايشة المحارم او الحيوانات او الأطفال ... الخ

-الجنوح: هو سلوك مضاد للقوانين والقيم الاجتماعية ويعتبر من الظواهر التي تناولها الباحثون بالدراسة من جوانب متعددة، وتعدد الأسباب التي تؤدي بالمراهق الى الجنوح وللأسرة دور فعال في ذلك

-الانتحار: هو فعل عقابي وعدواني ضد الذات وهو من أشنع الانحرافات التي يسقط فيها المراهق تحت وطأة المخدرات

-الهروب: هو رد فعل يظهره المراهق للهروب من الوضعية التي يعيشها المراهق كالأزمات العاطفية او الفشل الدراسي او المشاكل داخل الاسرة، وتعتبر الفتيات أكثر هروبا من الذكور

-تعاطي المخدرات: حيث يلجأ الكثير من المراهقين الى استخدام العقاقير نظرا لهشاشة هذه الفترة التي تتكون فيها اهتمامات وطموحات وأحلام الفرد، ويحتاج الى من يصغي اليه ويشجعه ليثبت ذاته، وان لم يجد ذلك يقع في مصيدة المخدرات، وبالتالي فان للتنشئة الاسرية دورا فعالا في جعل المراهق فردا متوازنا في سلوكه كما يمكن ان تجعله فردا تسيطر عليه ال انحرافات²⁸

الاتجاهات المفسرة لمرحلة المراهقة:

ظهرت عدة نظريات وأبحاث ودراسات عن المراهقة وذلك منذ بداية القرن 20، ومعظم النظريات هاته تنطلق من الافتراض الأساسي الذي يجعل المراهقة تشكل مرحلة خاصة من مراحل نمو الفرد ترتبط بمجموعة من التغيرات.

*الاتجاه البيولوجي النفسي:

يترجم هذا الاتجاه freud وstanley hall ويستند على التغيرات البيولوجية وعلاقتها بالنضج فالمراهقة كمرحلة نمائية تعرف تغيرات بيولوجية عميقة وواضحة تنعكس بشكل كبير على سلوك المراهق، وعلى نظرة الآخرين ال به، انما ميلاد جديد يتسم بالحيرة والضغط والتغيرات السريعة كما يرى هول، وهي اعلان عن بداية الوظيفة الجسمية التناسلية حسب انا فرويد

فبالنسبة لهول المراهقة مرحلة مهمة جدا قادرة على تغيير الحياة المستقبلية، فهي الوقت الذي تتحدد فيه الأدوار الاجتماعية، وتنمو فيه القيم وقدرته على التفكير ويصبح التفاعل مع الافراد الاخرين أكثر وعيا ونضجا.

ونجد ان هذا الاتجاه حسب ريشارد كلوتيبي سنة 1982 ص8-9 يركز على المحددات الداخلية للسلوك، ويشير الى ان مخطط التطور للنوع البشري ينعكس في التركيبة الوراثية لكل فرد، التطور يكون من مرحلة التصور الى مرحلة النضج، والمراحل التي مرت البشرية بما منذ بداية تطورها، والتي تركت اثرا جيني، وهي تعرف بنظرية الشدة والمحن، حيث تقوم على أساس الفرد. الانسان. يلخص في حياته تجربة البشرية كلها، و تعتمد هذه النظرية على اساس بيولوجي، و تستند الى وراثة الخصائص البيولوجية للجنس البشري التي تكمن في تركيب الموروثات، فالطفل حتى الرابعة يمثل المرحلة البدائية " شبه الحيوانية " في تاريخ الانسان، اما المراهقة فهي مرحلة التحول الصعب من البدائية الى التمدين و من هنا تأتي العاصفة و المعاناة²⁹.

وتشير هذه النظرية الى ان المراهقة تمثل مرحلة تغيير شديد مصحوب بالضرورة بالتوترات وصعوبات في التكيف، وان التغيرات الفيزيولوجية تمثل عاملا أساسيا في خلق هذه التوترات والصعوبات، ويشير الى المراهقة باعتبارها فترة ميلاد جديدة لان الخصائص الإنسانية الكاملة تولد في هذه المرحلة، وان الحياة الانفعالية للمراهق تكمن في حالات متناقضة فمن الحيوية والنشاط الى الخمول والكسل، ومن المرح الى الحزن، ومن الرقة الى ال فضاضة. كما هذه المرحلة تشهد بزوغ أرقى السمات الإنسانية وأكملها، وفيها تظهر وظائف هامة لم تكن موجودة من قبل، وتتم كل خطوة ارتقائية بنوع من الانهيار للجسم والعقل والاخلاق.

في حين ان مرحلة المراهقة عند فرويد تتميز بشدة الاعراض العصبية التي ترجع الى طبيعة النمو الجنسي من الطفولة الى المراهقة، فالرغبات الجنسية التي كانت قد هدأت اثناء فترة الطفولة، تظهر مرة أخرى بقوة عظيمة، وتستيقظ العوامل العدوانية السابقة وتضطر نسبة من الدوافع الجنسية الجديدة ان تكبت وتظهر في صورة ميول عدوانية، ونجد ان فرويد يعتبر مرحلة المراهقة المرحلة الأخيرة في عملية النمو النفسي والجنسي الاتجاه الثقافي الاجتماعي:

ينظر التيار الاجتماعي والثقافي والأنثروبولوجي إلى المراهق نظرة مختلفة عن النظرة البيولوجية والعضوية، حيث قامت "مارجريت ميد" بأبحاثها عن المراهقة التي أجرتها على بعض المجتمعات البدائية أكدت على أن

الاضطرابات التي يعاني منها المراهقون لا ترجع إلى أزمة البلوغ وما يلحقها من التغيرات العضوية وإنما ترجع إلى الصعوبات التي يقابلهم بها ال مجتمع30. وبالتالي فوجود الأزمة أو غيابها مسألة ترتبط بالبيئة الاجتماعية، وغط ثقافتها وأساليبها في التنشئة الاجتماعية لل فرد.

خاتمة:

تعتبر فترة المراهقة فترة مهمة في تكوين هوية الفرد، فهي مرحلة انتقال هامة تعبر عن منعرج خطير في حياة الإنسان من حيث مدى درجة التوازن النفسي والاجتماعي، وهذه التحولات التي يؤثر فيها النمو الفيزيولوجي، المحيط الاجتماعي والأسري لها علاقة بتحديد مستقبله، إذ تعتبر الأسرة وسط اجتماعي أولي يشكل إطارا مرجعيا يقيم الفرد من خلال سلوكه وسلوك الآخرين.

الهوامش:

- 1 معوض خليل ميخائيل، مشكلات المراهقة في المدن والريف، مصر، دار المعارف، 1971، ص27
- 2 حجار حمدي محمد، برنامج ارشادي علاجي للمراهقين والاحداث ضد تعاطي المخدرات والمسكرات في الاصلاحيات ومراكز إعادة التربية، الرياض، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية، 1993، ص131
- 3 ابو الخير قاسم عبد الكريم، النمو من الحمل الى المراهقة، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، 2004، ص149
- 4 معوض خليل ميخائيل، مرجع سبق ذكره، ص29
- 5 حامد عبد السلام زهران، علم النفس النمو الطفولة والمراهقة، ط5، القاهرة، عالم الكتاب للنشر والتوزيع، 2001، ص44
- 6 ابو الخير قاسم عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص212
- 7 حامد عبد السلام زهران، مرجع سبق ذكره، ص47
- 8 سعدية محمد بمادر، في سيكولوجية المراهقة، الكويت، دار البحوث العلمية، 1980، ص27
- 9 حامد عبد السلام زهران، مرجع سبق ذكره، ص52
- 10 زعرور حنان، انحرافات الفتاة في مرحلة المراهقة، مجلة تاريخ العلوم، المجلد 4، العدد 7، 2017
- 11 معوض خليل ميخائيل، سيكولوجية نمو الطفولة والمراهقة، مصر، دار الفكر العربي، 1994، ص54
- 12 سعدية محمد بمادر، مرجع سبق ذكره، ص34
- 13 ابو الخير عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص222
- 14 ميموني بدره معتصم، سيكولوجية النمو من الطفولة الى المراهقة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، ص123
- 15 حامد عبد السلام زهران، مرجع سبق ذكره، ص489
- 16 زعرور حنان، مرجع سبق ذكره، ص225

- 17- ابو الخير قاسم عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص216
- 18- معوض خليل ميخائيل، سمرجع سبق ذكره، 1994، ص62
- 19- عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، ط9، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، دون سنة، ص320
- 20- حامد عبد السلام زهران، المرجع السابق، ص500
- 21- الريماوي محمد عودة، علم النفس الطفولة والمراهقة، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2003، ص265
- 22- سعدي محمد بهادر، مرجع سبق ذكره، ص36
- 23- الريماوي محمد عودة، مرجع سبق ذكره، ص261
- 24- ميموني بدره معتصم، مرجع سبق ذكره، 2011، ص143
- 25- معوض خليل ميخائيل، سمرجع سبق ذكره، 1994، ص64
- 26- نفس المرجع، نفس الصفحة
- 27- سعدي محمد بهادر، مرجع سبق ذكره، ص42
- 28- عبد العزيز القوصي، مرجع سبق ذكره، ص322
- 29- زعرور حنان، مرجع سبق ذكره، ص232
- 30- عبد العزيز القوصي، مؤجع سبق ذكره، ص342

قائمة المراجع والمصادر المعتمدة:

- 1- الريماوي محمد عودة، علم النفس الطفولة والمراهقة، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2003،
- 2- ابو الخير قاسم عبد الكريم، النمو من الحمل الى المراهقة، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، 2004
- 3- زعرور حنان، انحرافات الفتاة في مرحلة المراهقة، مجلة تاريخ العلوم، المجلد 4، العدد 7، 2017
- 4- حجار حمدي محمد، برنامج ارشادي علاجي للمراهقين والاحداث ضد تعاطي المخدرات والمسكرات في الاصلاحيات ومراكز إعادة التربية، الرياض، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية، 1993،
- 5- حامد عبد السلام زهران، علم النفس النمو الطفولة والمراهقة، ط5، القاهرة، عالم الكتاب للنشر والتوزيع، 2001
- 6- معوض خليل ميخائيل، مشكلات المراهقة في المدن والريف، مصر، دار المعارف، 1971
- 7- معوض خليل ميخائيل، سيكولوجية نمو الطفولة والمراهقة، مصر، دار الفكر العربي، 1994،
- 8- ميموني بدره معتصم، سيكولوجية النمو من الطفولة الى المراهقة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011
- 9- سعدي محمد بهادر، في سيكولوجية المراهقة، الكويت، دار البحوث العلمية، 1980
- 10- عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، ط9، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، دون سنة

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

العوامل الأسرية و دورها في ظهور جنوح الأحداث

¹سقطني مارية - طالبة دكتوراه LMD علم النفس العيادي -

¹كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية - جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي - الجزائر

sgatni.marya@univ-oeb.dz -sgatmaria63@gmail.com 1

²د. زرزور احمد (استاذ جامعي)

²كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية - جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي - الجزائر

zerzour67dz@yahoo.fr 2

تاريخ الإيداع: 2020/10/09 م تاريخ التحكيم: 2020/10/25 م تاريخ النشر: 2020/11/15م
الملخص:

ظاهرة جنوح الأحداث التي يتعرض لها أي المجتمع ، هذا الموضوع أصبح يثير اهتمام الكثير من الباحثين من مختلف التخصصات ، و ذلك عندما بدأت النظم الاجتماعية و خاصة الأسرة منها ، تعاني من وجود بعض الاضطرابات في بنيتها الداخلية . فالأسرة هي التي تقوم بالتنشئة الاجتماعية و هي أساس بناء الشخصية و فيها تتحدد السمات التي سوف يكون عليها الفرد في الكبر، و فيها يتعلم الطفل مبادئ المحبة و الصدق و الأمانة و الاحترام و غرس الصفات و الأخلاق الحميدة لتحقيق مطالب النمو السليم. و قد هدفت هذه الدراسة إلى إبراز العوامل الأسرية كالبناء الأسري و أساليب التنشئة و الظروف الاقتصادية و المالية للعائلة و غيرها التي من شأنها أن تؤدي إلى جنوح الأحداث، فالأحداث غالبا هم ضحية ظروف اجتماعية أسرية أدت بهم إلى الانحراف.

الكلمات المفتاحية: جنوح الأحداث ، الانحراف ، العوامل الأسرية ، التنشئة الاجتماعية

Family factors and their role in the emergence of juvenile delinquency

Sgatni marya¹ phd student-

Faculty of Social and Human Sciences Larabi Ben M'Hidi University – O.E.B
-Algéria

sgatmaria63@gmail.com¹ -sgatni.marya@univ-oeb.dz

dr.zerzour Ahmed²

Faculty of Social and Human Sciences Larabi Ben M'Hidi University – O.E.B
-Algéria

zerzour67dz@yahoo.fr²

Abstract :

Juvenile delinquency has become a phenomenon in many societies. Thus, it makes a fertile area of research in many disciplines, especially after social entities- the family in particular- started experiencing distortions in their internal structure. The family plays a vital role in the process of socialization. It provides the basis of personality-building and determines the features of the individual's character in adulthood as it is the first place where s/he learns the principles of love, honesty, respect , and the inculcation of virtues and good morals to achieve sound growth. This study is intended to highlight family factors leading to juvenile delinquency such as family construction, upbringing methods, economic and financial conditions, as juveniles are often victims of family social conditions that may lead them to become delinquent

Keywords: juvenile delinquency, delinquency, family factors, socialization.

المقدمة :

تعتبر ظاهرة انحراف الأحداث من الظواهر الاجتماعية المرضية التي تعاني منها معظم دول العالم كما أنها من بين التحديات الكبرى التي تواجه المجتمعات في تحقيق نسقها الاجتماعي المتكامل ، وهذا ما للعنصر البشري من أهمية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، إذ أنّ التنمية الحقيقية هي التي تنطلق من الإنسان وتنتهي بالإنسان، ولا يتسنى ذلك إلا باستثمار كافة الطاقات والإمكانات البشرية، بما في ذلك الفئات الخاصة لدفع عجلة التنمية والحصول على مجتمع متماسك ومنتج فبالرغم من درجة التطور والازدهار التي بلغها عالم الإنسانية اليوم إلا أن ظاهرة انحراف الأحداث لا تزال منتشرة بصورة واضحة وبمعدلات مرتفعة ، وتعمل على كبح عجلة التنمية من خلال ما تنطوي عليه هذه المشكلة من مضاعفات¹. و لقد أصبحت جرائم الأحداث الجانحين في الجزائر ظاهرة جديدة بالرصد و الدراسة خاصة في الآونة الأخيرة

، حيث إرتفعت نسبتها و ازداد حجمها حسب الإحصائيات المحصل عليها من مصادر مختلفة ، كالأمم الوطني و المراكز الخاصة و المصالح القضائية ، إذ أصبحت تشكل خطرا حقيقيا يهدد أمن الأشخاص و الممتلكات ، و كذا على الجانبين أنفسهم إذ يعتبرون أعمدة المستقبل و أمل المجتمع و العمود الفقري للأسرة.²

و تعتبر ظاهرة جنوح الأحداث ظاهرة قديمة العهد في المجتمعات، و عرفت التشريعات في مختلف العصور عن طريق منع إرتكاب بعض الأفعال التي تشكل اضطرابا و خطورة على المجتمع والعلاقات السائدة فيه.

و يكاد يجمع علماء الاجتماع و النفس الاجتماعي على أن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تلعب الدور الأكبر في تشكيل الشخصية الإنسانية إلا أنها لا تعدو أن تكون واحدة من الجماعات المرتبطة بالسلوك المنحرف . و هذه الجماعات تختلف اختلافا ملحوظا فيما يتعلق بمعايير السلوك المقبول . و هي التي تلقن الشخص ما يجب عليه أن يفعله و ما يمكن أن يقوم به و ما لا يجب عليه القيام به.³

و لهذا فقد تبين أنه ينشأ معظم الجانحين ، في بيئة اجتماعية منحطة تبجل النشاط الإجرامي و تراه أساسيا و مناسبا للحياة ، فإنتشار ظاهرة الجنوح يعني أن هناك تفكك في الأسرة و انحيار الجو الأسري و الأخلاقي لها و لذلك نجد أن السلوك الجانح يتم تعلمه في ظل نظام تربوي يدعم كافة أشكال الأنشطة المضادة للمجتمع⁴ .

و قد اهتمت كثيرا من البحوث بالأسرة ، و ما لها من دور مؤثر و فعال بالانحراف و الجريمة ، و ذلك نظرا لما تحتله الأسرة من أهمية حيوية في التنشئة الاجتماعية (socialization) للفرد حيث إنها بمثابة (المهدي للشخصية) إذ عن طريقها تغرس في نفس الصغير خلال سنوات طفولته المبكرة أنماطا و نماذج ردود أفعاله و إستجاباته تجاه التفكير و الإحساس و القيم و المعايير .

ففي دراسة (لبركندرج و أبوت Breckin abbot) قام الباحثان بتحليل دقيق لحالات ثلاثة عشر ألفا من الأحداث المنحرفين، فتبين لهما أن (34 %) منهم قد انحدروا من بيوت مهتمة عائليا

، و في تقرير لمحكمة فيلادلفيا تبين أن الأحداث الذين عرضوا عليها كان (47 %) من الذكور و يرجع انحرافهم إلى التفكك العائلي ، و ارتفعت هذه النسبة إلى (65 %) في البنات المنحرفات⁵. أما (Bowlby) فكان اهتمامه موجها نحو العلاقة الأولية للرضيع و أمه، فأسس نظرية التعلق، و التي يبرز فيها ضرورة العلاقة الأولية التي تتطور بين الرضيع و المعطي الأساسي للرعاية. هذا الرابط العاطفي يسمى التعلق ، و هو يمثل قاعدة التطور الاجتماعي ، العاطفي و حتى المعرفي اللاحق. إضافة إلى أن علاقات التعلق تستمر في التأثير على الأفكار، الأحاسيس، المقاصد و العلاقات الحميمة طوال الحياة⁶. من واضح أن أساليب التربية المتبعة من طرف الآباء لتربية أبنائهم متعددة والتي أصبحت لتتماشى مع قناعة هؤلاء الأبناء الذين هم تحت تأثير ثقافة مستوردة تم تعلمها بطريق متنوعة مع ما صاحب ذلك من إنعدام للرقابة الأبوية الصارمة نتيجة انهيار الأسرة وتفككها مما يعمل على فقدان الحدث للتوازن العاطفي والاهتمام الأسري كل هذه المشاكل الأسرية سواء كانت مادية أو معنوية تلعب دورا لا يستهان به في استفحال ظاهرة الجنوح وانتشارها لأن هذه الظروف والضغوط سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية تؤثر على نفسية الحدث وتقوي الاستعداد لديه للجنوح والانحراف وتسفر عن خسارة مادية ومعنوية للمجتمع باعتبار الشاب قوة هامة من قوى التنمية⁷.

وبسبب أن مشكلة جنوح الأحداث ترتبط ارتباطا وثيقا بالعوامل الاجتماعية ، تناولنا هذه الظاهرة من أجل البحث عن أهم وأبرز الأسباب العوامل الاجتماعية (الأسرية) المؤدية إلى جنوح الأحداث. فما هي العوامل الأسرية المؤثرة التي تؤدي إلى جنوح الأحداث ؟

و سأحاول الإجابة على هذه الإشكالية من خلال :

تحديد العوامل الأسرية من جوانبها المختلفة ، وقبل ذلك لا بد أن نتطرق أولا إلى تعريف جنوح ثم تعريف الأحداث ثم جنوح الأحداث ، و الأسرة و دورها في التنشئة الاجتماعية و في الأخير تحديد العوامل الأسرية لجنوح الأحداث.

أولا تعريف الحدث الجانح :

1- مفهوم الحدث (Le meneur) :

تشير كلمة الحدث في اللغة العربية إلى " :صغير السن "وهو مفرد أحداث "

ويعرف الحدث : " اليافع دون سن نهاية التعليم الإجباري " ويمثل الحد الأعلى للسن عاملاً حاسماً، ودونه يمنح الشخص صفة " الحدث " الذي تطبق عليه في ضوءها تدابير خاصة⁸.

الحدث في المفهوم الاجتماعي و النفسي : " هو الصغير منذ ولادته حتى يتم نضوجه الاجتماعي و النفسي و تتكامل لديه عناصر الرشد " .

و من الناحية القانونية : " هو الصغير في الفترة بين السن التي حددها القانون للتمييز و السن التي حددها لبلوغ الرشد "⁹. كما يعرف الحدث بأنه " الإنسان في دور التكوين الاجتماعي ، وقبل أن يكتمل له النضج والإدراك الصحيحان، وحتى يبلغ الحدث مرتبة النضج والإدراك لا بد من أن تمر فترة من عمره يتمرس فيها على كيفية الاندماج في المجتمع، ويتسلح فيها بالخبرة والتجارب "¹⁰

2- مفهوم الجنوح (Delinquency) :

لغويًا : فأصل كلمة " جنح " في اللغة العربية ، مال . واشتقاق الكلمة لغويًا هو جنح ، يجنح ، جنوحاً ، والجناح بالضم هو : الإثم

و هذا المفهوم هو ترجمة للمصطلح الإنجليزي delinquency الذي يرجع إلى اللغة اللاتينية deliquent والمشتق من الفعل deliquesce ، ومعناه يفشل أو يذنب¹¹.

اصطلاحاً : جنوح الأحداث هو خروج الحدث عن الطريق السوي، و إقدامه على ممارسة أحد أنماط السلوك غير الاجتماعي والإجرامي الذي يتعارض مع المعايير الاجتماعية والقانونية المعمول بها دون بلوغ السن القانونية التي تتيح محاكمته ومساءلته¹².

و فيما يلي نورد بعض التعاريف الجانح حسب وجهات النظر الآتية :

- الجانح من منظور القانون: الجانح هو كل فرد ارتكب جنحة أي مخالفة للقانون الاجتماعي ، و يحكم عليه حسب قانون الجنايات، و يقول Rubin " الجنوح هو ما يعرفه القانون "¹³.

- الجانح من منظور اجتماعي: "هو خروج عما هو مألوف من السلوك الاجتماعي موجه ضد المجتمع، و لكن ليس بصورة خطيرة تهدد استقرار الداخلي¹⁴.

- الجانح من منظور السلوكي : اضطراب مكنائزمات الضبط الخارجي يجعل الفرد غير قادر على ضبط نفسه و التحكم في عدوانه الذي يوجه إلى الخارج .

- من منظور الطب النفسي : يهتم بالفعل الجانح و تحديد المسؤولية.

- الجانح من منظور علم النفس : لا يهتم بالجنحة التي تم القانون و لا بالفعل (الطب النفسي) بل بمعنى الفعل (الجنحة) بالنسبة لفرد له تاريخه و ظروفه الخاصة . يوجه الاهتمام للبحث عن الأسباب التي دفعت به إلى هذا السلوك : ما هي الصراعات و الصدمات التي أدت به إلى ارتكاب الفعل. لا يهتم علم النفس بالجانح للتحكم عليه بل لفهمه و مساعدته و توجيهه نحو حياة أفضل¹⁵.

3- جنوح الأحداث :

ليس هناك تعريف واحد متفق عليه لجنوح الأحداث ربما يختلف معنى الجنوح من باحث إلى باحث في البلد الواحد، وتعتمد هذا الاختلافات كلها على اختلاف المكان كما أن سلوك الذي لا يدرج تحت اسم السلوك الجانح في بعض البلاد ربما يصنف على انه سلوك جانح في بعض البلاد الأخرى. إذ تفرق بلاد معينة في الشرق الأوسط على سبيل المثال بين الأحداث الجانحين والأحداث المشردين، هذا بينما يمكن أن يطلق مفهوم جانح في بلاد أخرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية على كثير من جوانب السلوك التي تصنف تحت اسم مفهوم مشرد¹⁶.

وفي العادة هناك بعض التعريفات المتنوعة لجنوح الأحداث من منظور قانوني و علم النفس و من منظور اجتماعي ، فجنوح الأحداث من المنظور الاجتماعي هو عبارة عن نتاج الظروف الاجتماعية القاسية سواء كانت اقتصادية أو عائلية، فيُعدّ الجنوح مؤشرا على عدم التكيف الاجتماعي ، وينظر علماء الاجتماع لمشكلة جنوح الأحداث على أنها مشكلة اجتماعية في جوهرها وأصولها ، ولذلك يُعدّ تواجد الاضطرابات السلوكية المضادة للمجتمع ظاهرة اجتماعية، وبالتالي لا بد من التحليل والدراسة الاجتماعية، ومن خلالها يتم استنتاج الدراسات المطلوبة.

إن جنوح الأحداث قد تكون لديهم قدرة على إقامة علاقات اجتماعية مع أطفال جانحين ، لا تساهم بإقامة علاقات جيدة مع أقرانهم¹⁷ .

الحدث الجانح أيضا هو ضحية ظروف سيئة اجتماعية كانت أو اقتصادية أو ثقافية أو وترى " صوفيا روبيسون Sofia Robison " أن الجانح يقوم بسلوك يعارض مصلحة الجماعة في زمان ومكان معينين بصرف النظر عن كشف هوية الفاعل وبصرف النظر عن تقديم الفاعل إلى المحكمة. و رأى " بلنور " و" شيلدون Blenor & Scheldon " بأن الحدث يجنح حين يشعر بسوء التكيف مع النظام الذي يعيش فيه.

ويعتبر الحدث الجانح ضحية ظروف سيئة اجتماعية كانت أو اقتصادية أو ثقافية أو حضارية¹⁸.

ثانيا الأسرة :

تعتبر الأسرة من أهم عوامل التنشئة الاجتماعية .وهي التي تضع اللبنة الأولى في بناء شخصية الفرد و هي من أقوى العوامل تأثيرا في سلوكه، وهي التي تسهم بالقدر الأكبر في الإشراف على النمو الاجتماعي للطفل وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه .وللأسرة وظيفة اجتماعية ونفسية هامة ، فهي المجال الاجتماعي الأول في حياة الطفل، وهي العامل الأول في صيغ سلوك الطفل بصيغة اجتماعية ، ومن ثم فالأسرة هي المعلم الأول للطفل للتوافق النفسي أو لسوء التوافق .ذلك لأن السنوات الأولى من حياة الطفل لها تأثير شديد على سلوكه بعد ذلك .وتعتبر الأسرة نموذجا للجماعة الأولية التي يتفاعل الطفل مع أعضائها ويتعلم كيف يسلك، فهو يعتبر سلوكهم نماذج يحتذي بها .وتتأثر قدرة الفرد على تحقيقه للتوافق تبعا للمعايير والقيم التي تبلورت لديه خلال عملية التنشئة الأولى داخل أسرته .وهذا يختلف من أسرة لأخرى حسب الطبقة الاجتماعية و البيئة الجغرافية والثقافية للأسرة¹⁹.

ثالثا العوامل الأسرية المؤثرة التي تؤدي إلى جنوح الأحداث :

إن الجنوح مفهوم متغير حسب المجتمعات ، حسب الزمان و المكان أي يختلف حسب الثقافات و أيضا مرونة القاضي و العائلة و المحيط الاجتماعي . و حاليا في الجزائر الجنوح في تزايد من جهة و من جهة أخرى له مفهوم متفشي غير محدد .

فالعوامل الأسرية كتفكك الأسرة ، و الطلاق، الصراعات الدائمة و العنف و الظروف المعيشية المنحطة كل هذا يفرز صراعات و حرمانا و تشويه الصور التقييمية مما يفقد الشباب الثقة في نفسه و أسرته و في مجتمعه.

فكل الدراسات تشير إلى ارتفاع نسبة الجنوح ضمن الفئات المحرومة اقتصاديا و اجتماعيا مم يؤثر على العلاقات داخل الأسرة و العناية و الرعاية .

1- التفكك الأسري :

من المؤكد أن البيئة الأسرية تؤدي دورا مهما في صنع شخصية الحدث و لاسيما في السنين الأولى من حياته ، فالبيت المتداعي اجتماعيا يعد من العوامل الرئيسية التي تفتح السبيل لجنوح الأبناء ، و يكفي أن يشب الصغير في رحاب الانحراف لدى الأبوين ، احدهما أو كليهما ، أو انحراف أكبر الأبناء أو البنات ، حتى يستمر الانحراف و يصبح ارتكاب الجريمة عنده أمرا مستساغا و مقبولا . و من ناحية أخرى أن الإسراف في الدين و التدلل، أو في الصرامة و القسوة ، أو في التهوان و السلبية و عدم الاكتراث من جانب الوالدين أو احدهما . قد يؤدي بالحدث إلى نتيجة نفسها²⁰.

1-1- الطلاق :

فطلاق الأبوين كشكل من أشكال التفكك الأسري ذو تأثير بالغ على شخصية الأطفال ، فالطفل في هذه الحالة ملزم بالبقاء مع أحد الأبوين، و بالتالي يحرم فعلا من حب أحد الطرفين، و بالتالي فإن الطلاق قد يعرض الكثير من الأطفال إلى الانحراف، و ذلك لفقدان العطف و الحنان الكامل من جهة، و لنقص الرقابة و التوجيه من جهة أخرى، و هذا يؤدي بالطفل إلى كل التجارب المؤلمة و القاسية التي من شأنها أن تدفع الطفل إلى طريق الانحراف²¹.

1-2- الصراعات و الخلافات بين الزوجين :

تؤدي الصراعات و الخلافات التي تقع بين الزوج و زوجته إلى انعدام الشعور بالأمن و الطمأنينة، و بالتالي اضطراب السلوك لدى الطفل، حيث تحصل تلك المشاعر السلبية نتيجة الخوف و الطريقة التي يتعامل بها كلا الأبوين، و نتيجة لذلك الجو الأسري المضطرب و المليء بالضغوطات على الطفل تكون نتيجة فقد الولاء للأسرة، و بالتالي يبدأ الطفل في عمليات التمرد و العدوان و الانسحاب و التشرذم و الهروب رغبة في التخلص من ذلك الجو المتوتر و غير المناسب، و تكون النتيجة هي التشرذم و الانحراف²².

1-3- غياب أو مرض أو موت الأب :

Aichorn يركز على الإحباط و الحرمان مما يجعل الأطفال و المراهقين غير قادرين على التحكم في اندفاعاتهم النزوية و توجيهها نحو أهداف ثانوية .

كذلك Bowlby تحدث عن الحرمان العاطفي و من السلطة هذا الحرمان يمنع التقمص السليم²³. وقد تبين من نتائج بعض البحوث، منها نتائج بحوث "نعمات عبد الخالق- 1996 - أن غياب الأب عن أسرته عامل هام في إستجابة المراهق لضغوط الأقران بإتيان السلوك المضاد للمجتمع، وأن المراهقين غائبي الأب بسبب الطلاق أكثر إستجابة لتلك الضغوط من أقرانهم غائبي الأب بسبب السفر أو الموت، و أن تحكم الأم و تدخلها في إتخاذ قرارات المراهق يزيد من رضوخه لهذه الضغوط، بينما إستشاراتها القائمة على النصح و الإرشاد يقلل من إستجابتها لها.

قد يكون غياب عائل الأسرة اضطراريا وذلك بحثا عن العمل وسعيا وراء الرزق، وقد يترتب على المشاكل النوعية للزوجة العاملة لعدم إمكانية تواجد الزوجين في مقر إقامة واحدة اضطراب مادي وعاطفي على الأطفال؛ فالهجرة والسجن المطول والخدمة العسكرية الممتدة التي يتعرض لها الوالدان تعتبر صدمة عاطفية للأطفال وحرمانا لهم من مشاعر الحنان، فضلا عن حرمانهم من المربي الذي يلقنهم دروسا في الحياة والعائل الذي يهيئ لهم أسبابها.

كما أن غياب أحد الوالدين أو وفاته أيضا له أثر في ظهور هذه السلوكيات المنحرفة، فقد توصل - بونز و كيلبي 1969 ، إلى أنه توجد علاقة بين غياب الأب و الإنحراف خصوصا إذا حدث غياب الأب قبل بلوغ السن الخامسة من عمره²⁴.

1-4- زوج الأم وزوجة الأب:

إن تغير حياة الأولاد التي تتمثل في معيشتهم مع زوج الأم أو زوجة الأب تجعلهم يعانون من صعوبة تقبل الواقع، لعدم وجود أحد الوالدين في البيت مع بقاءه على قيد الحياة ويمكن الاتصال به عن بعد فقط، فهناك البعض من زوجات الآباء و أزواج الأمهات يسعون لتكوين علاقات حميمة مع الأبناء ولكنهم يفشلون، و إن نجحوا فمن الصعب على الأبناء أن يتقبلوا حبهم بصدر رحب إضافة إلى هذا، إنجاب الأسرة الجديدة للأولاد مما يغير ترتيب الأبناء، وهذه الأوضاع الجديدة تخلق أزمة نفسية للأبناء الكبار تجعلهم يشعرون بالغرابة وخاصة من ناحية الاهتمام والعناية من طرف زوج الأم أو زوجة الأب فالبيوت التي تعاني من التصدع كثيرا

ما تهيئ أفرادها إلى الانحراف والتشرد، فقد يصاب الطفل بالقلق بسبب غياب الوالدة أو الوالد وفقدان الأمن بالبيت مما يدفع به إلى البحث عن الرعاية خارج البيت وقد تكون في غالب الأحيان جماعات تمثل وكرا للأحداث المنحرفين ورفقاء السوء²⁵.

1-5- الخيانة الزوجية:

يعد وفاء الزوجين من الدعائم الأساسية للاستقرار الزوجي والسعادة الأسرية، وبالمقابل فإن الخيانة الزوجية والإشباع العاطفي خارج حدود الزوجية يعد من العوامل الرئيسة في هدم البناء الأسري وانهاره وتقويض دعائمه وبالتالي في إنهاء العلاقة الزوجية وحدوث الطلاق. و تتمثل الخيانة الزوجية خروجًا عن الحقوق الشرعية للزوجين. كما أن الإسلام حرص على حماية العلاقة الزوجية من أية خيانة تصدر عن أي من الزوجين²⁶.

1-6- جهل الوالدين بأساليب التربية السليمة :

***المحيط الجبار الصلب :** لا يترك المجال للتعبير عن وجود الفرد و رغباته (قساوة - عقاب - افراط في الحماية) مما يصبح الوضع متفجرا يدفع بالشباب إلى العدوان و التمرد ضد كل ما يمثل السلطة الأبوية²⁷. هذا وقد أكدت الدراسات الإكلينيكية على " أن الأسرة التي تثبت في نفوس الأطفال عواطف النقمة القائمة على الرعب والغيظ هي التي تبعث إلى المجتمع أفرادًا عصائيين أو منحرفين جانحين²⁸. فأسلوب التربية القائم على الضغط المطلق يؤدي إلى كبت الانفعالات و من ثم إيقاف عملية النضج النفسي و الاجتماعي مما يؤدي إلى مظاهر السلوك الانحرافي المختلفة²⁹.

***المحيط المتأرجح :** لا يوجد انسجام في السلوك التربوي نحو الطفل . نجد تسامح عندما يجب الصرامة، و القسوة و العقاب الشديد عندما يتطلب الرفق و الليونة، و هذا يمنع الطفل من تكوين مفهوم واضح عن المحرمات و المباحات . يصبح الأنا الأعلى متأرجحا تارة يخضع للنزوات بتفريغ غير منضبط. و تارة يطغى الأنا الأعلى و يثير الشعور بالذنب و الإثم أمام أشياء تافهة مما يخلق قلقا ضخما يجعل الفرد يريد الانتقام من المجتمع كي يعاقبه و في نفس الوقت يعاقب نفسه مما يهدا شعوره بالذنب و الإثم³⁰.

فأسلوب التربية الخاطئة (الإفراط في اللين و الإفراط في الرعاية و الحماية يجعل الفرد صعبا أمام الصعوبات التي لا يتحمل مواجهتها بالشكل الايجابي معتمد إلى الأسلوب السهل (أي الجنوح) لحل مشكلاته ، كما

أن المعاملة القاسية في البيت من شأنها ازدياد روح العدوان الذي يرتد على الذات في شكل رغبة لا واعية بالعقاب الذاتي أو في شكل عنف ضد الآخرين³¹.

2- المستوى الأخلاقي والديني للأسرة:

ميلاني كلاين بحثت في عدم وجود الأنا الأعلى عند بعض المجرمين الذين لا يبدو شعورهم بالذنب و تقول أن هناك شعورا بالذنب عميقا و ليس ظاهرا³².

إن الجانب الأخلاقي عندما يكون منهارا في الأسرة، يُعد في مقدمة العوامل التي تؤثر بشكل مباشر، والتي بدورها تقود إلى الانحراف، وذلك من خلال انعدام القيم وغياب المثل العليا داخل الأسرة، وضعف الوازع الديني، بحيث تكون الحياة مجردة من معاني العفة والشرف والفضيلة، وبذلك يصبح الانحراف والجريمة وسوء الخلق أمرا مألوفًا، ولا يرون فيه حرجًا، ولا يكون مصدر انزعاج أو قلق، ويغيب الشعور بمعنى العيب والخطيئة، وعندما يتجه الأب أو الأم، أو كليهما، أو أحد الإخوة الكبار نحو القيام بالسلوكيات المنحرفة واقتراف الجرائم - كبرها أو صغيرها - يمر ذلك دون أي اعتبار أو ردع من طرف أفراد الأسرة أو المجتمع، لا شك بأن ذلك الأمر يكون بالنسبة للأطفال عامل مشجع للانغماس في مستنقع الرذيلة والانحراف. إذن في ظل ضعف الوازع الديني والخلقي وفشل الأسرة والمجتمع في تنشئة أفرادهم منذ طفولتهم على القيم الفاضلة، وعدم وجود سياسة جنائية واضحة المعالم والأغراض تستمد وجودها من قيم المجتمع ومبادئه وتعاليمه الدينية ومثله العليا وتقاليده الصالحة التي تهدف إلى الحفاظ على مصالحه وأمن أفرادها، وعدم رادعية القوانين المطبقة في المجتمع، تكون النتيجة هي الجنوح والانحراف وارتكاب الجريمة³³.

هذا ما أثبتته "لاقاش" "سيناك" و "لا كان" وجدوا عند الجانح ضمير أخلاقي بدائي يعيش فيه كل علاقة مع نفسه و مع الآخر على شكل سادي - مزوخي و عدواني³⁴.

3- المستوى الاقتصادي للأسرة :

يتسبب الدخل الاقتصادي المنخفض للأسرة في التفكك المعنوي للأسرة ، حيث يضطر الأب و الأم في كثير من الأحيان إلى التغيب عن المنزل لفترات طويلة بسبب انشغالهما في أعمالهما . يترتب على هذا التغيب بالطبع افتقاد الأطفال لرعاية والديهما ورقابتهما ، و يصبح المجال أمامهم مفتوحا للانسياق وراء

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

التيار الجانح و ذلك بخروجهم من المنزل و الالتقاء برفاق السوء في الشارع الذين يقودونهم معهم لمهاوي الانحراف³⁵.

يشير-عبد الرزاق سمعوا زعال "بأن الإضطرابات الاقتصادية في الأسرة مثل الفقر و الازدحام في السكن و إنعدام وسائل الراحة، تؤدي بشكل حتمي إلى تكوين الجنوح³⁶.

3-1- الجانب المالي :

الجانب المالي مهم جدا في تحديد نسبة مرتكبي الجرائم و هو سلاح ذو حدين ، أحيانا وفرة المال يساعد المراهق على الانحراف السلوكي ، انعدامه يسمى الفقر و كثيرا ما يكون السبب في الانحراف و الجريمة. و في جملة ما يعنيه الفقر فقر الأسرة و السكن الغير ملائم ، و سوء التغذية و الجوع و المرض و الملابس المزري ، و قد يؤدي الفقر في الأسرة إلى تفكك الروابط بين أفرادها ، و إلى أشكال من القلق و الكآبة و اليأس . و يؤثر ذلك كله في أحوال الحدث الجسمية و النفسية و التربوية و الثقافية، و قد يكون من شأنه إسقاطه في بؤرة الانحراف . لكن الفقر في حد ذاته ليس السبب الحتمي ، فقد يقدم على الجريمة أناس ليسوا من الفقراء ، و كثيرا ما يحجم عنها أناس في حضيض الحياة . و قد ثبت من فحص الحالة الاجتماعية لبعض الأفراد الذين ارتكبوا اخطر الجرائم و اخلوا بالأمن إخلالا خطيرا انفعل له سكان بعض المدن أنهم ينحدرون من الفئات الاجتماعية الغنية المترفة.

و على ذلك فإن الانحراف قد ينشأ عن سوء الرعاية الذي يغلب أن يلازم الحياة الفقيرة ، و من هنا يكون من الضروري التنبيه إلى عوامل أخرى اجتماعية و صحية و غيرها تسهم وحدها، أو مع الفقر في جنوح الأحداث³⁷ .

و قد عارض الكثير من الباحثين فكرة إرتباط المستوى الإقتصادي المتدني بالسلوك المضاد للمجتمع، فقد أوضحت العاملة البريطانية - ماري كارنتر - أن الفقر لم يكن السبب الرئيسي في معظم حالات الجناح، بالرغم من إعترافها أن بعض الأحداث ينحرفون بسبب الفقر، كما أشارت إحدى الدراسات التي أجريت في محافظة - أسوان - أن الفقر ليس عاملا أساسيا في الإنحراف، و إنما هو ممهّد و مهيء له، فقد أوضحت النتائج ظهور الإنحراف في مختلف المستويات الإقتصادية و الإجتماعية للأسرة، إذ ظهرت نسبة % 42 لحالات الإنحراف في الأسر الفقيرة جدا، و نسبة % 34 من أسر تعاني قدرا من الفقر، و % 22 من أسر متوسطة، و % 2 من أسر ذات مستوى إقتصادي و إجتماعي عال³⁸.

3-2- الظروف السكنية :

يقصد بها البيئة التي تربي فيها الحدث و يقيم فيها مع أسرته، فالسكن إذا كان ضيقا أو مكتظا أو خال من التهوية أو مبني من القصدير من شأنه أن يزيل عن المكان صفة البيئة الصالحة لنمو الحدث لأن مثل هذه

المنزل يفقد فيها الطفل (الحدث) الحرية في الحركة والنوم الهادئ وحتى الجلوس المريح وتكون النتيجة خروجه إلى الشارع معظم الوقت.

كما أنّ الأسرة التي يعيش أفرادها كلهم باختلاف أعمارهم أو جنسهم في مسكن مزدحم لا يتيح لهم الاحتفاظ بمستوى مقبول من الحشمة في المعاملة بينهم ، ويتيح كذلك الفرصة لتضارب الحقوق والواجبات، ويسبب نزاعات مستمرة ومشاكل تقضي إلى انحلال الأسرة وانتشار الأولاد بالشوارع لأنها متسعة³⁹.

4- المستوى التعليمي :

يؤثر المستوى التعليمي على جنوح الأحداث ، حيث أن إدراك الأسر لحاجات الطفل و كيفية إشباعها ، فالأسرة التي يكون فيها الأب و الأم على مستوى جيد من التعليم تتجه إلى الأساليب الحديثة في تربية الأطفال، بعكس الأسرة التي يكون فيها الأب و الأم أميان حيث تستخدم الأساليب التقليدية في تربية الأطفال⁴⁰.

5- حجم الأسرة : إن العدد الكبير لأفراد الأسرة يؤثر بصورة مباشرة على تربية الأطفال، و ذلك لأن توجيه و ترشيد الطفل داخل أسرته ليس بالأمر الهين حسب نظرة الأخصائيين التربويين ، لكي ينشأ الطفل تنشئة سليمة مشبعة بالقيم يجب أن يأخذ الوقت و الاهتمام الكافيين داخل الأسرة ، و هذا لا يأتي في ظل الجو العائلي المزدحم و الكثير من الأفراد لأن في هذا الوضع يفقد الطفل الاهتمام الكافي لتوجيهه و تربيته داخل أسرته التي تعتبر منبع العملية التربوية⁴¹ .

الخاتمة :

و في ختام هذه المداخلة، إن جنوح الحدث قد يكون نتاج تأثير العوامل الاجتماعية أسرية ذات المدلول السببي في السلوك، وأن هذه العوامل تتضافر في خلق القوة الدافعة للجنوح فإذا تجمعت فإنها تنتج الانحراف ويصبح مسببا له. و تتجلى الرعاية الوقائية للأحداث من الوقوع في الجنوح في تنشئتهم تنشئة اجتماعية سليمة، و تتمثل أساليب الوقائية في :

تحسين الظروف المعيشية في الغذاء و المسكن و الملابس باعتبارها في مقدمة الاحتياجات الأساسية للإنسان و تشغيل العاطلين من المراهقين القادرين على العمل لرفع مستواهم الاقتصادي ، توفير الرعاية التربوية بما فيها التوعية الدينية ، و ذلك بتبصير الآباء و الأمهات بوجوب الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية و تعاليمها

و ترسيخها في نفوس أولادهم، وكذا التوعية العائلية بتبصير الشباب بالمعنى الاجتماعي الواسع للزواج و إرشادهم لحسن اختيار الفرد لشريكه في الحياة ، و تبصير الزوجين بطرق التفاهم الودي التي عليهم إتباعها بروح التعاون و الإيثار، لتدعيم الحياة الزوجية و وقايتها من المشكلات و معالجتها بحكمة و تسامح للحفاظ على سلامة الأسرة و كيانها متماسكا.

و كذلك توعيتهم بأفضل الأساليب التربوية في معاملة الأولاد و توجيههم و إرشادهم على النحو الذي يؤهلهم ، للتكيف الاجتماعي السليم و يجنبهم القلق و يولد فيهم الثقة بالنفس، وكذا تبصير الأولاد بواجباتهم باحترام الوالدين، و البر بهما و بالتعامل مع بقية أفراد العائلة بمودة و إخلاص .

توصيات :

- العناية بالحدث من الناحية الطبية و السيكولوجية.
- الإكثار من إنشاء المراكز الاجتماعية في المدن و الأحياء الشعبية.
- إنشاء هيئة مسؤولة وظيفتها إعانة الأمهات في حالة وفاة الزوج.
- إسقاط ولاية الأولياء التي تضر ولايتهم بالأحداث.
- تشغيل العاطلين من العمل لرفع مستواهم الاقتصادي.

قائمة الهوامش :

- 1- (غماري، محمد (2006) ، الخدمة الاجتماعية لرعاية الأحداث المنحرفين، رسالة ماجستير ، ص 1)
- 2- (بومدين، عميري،(2013)، نماذج التماهيات لدى المراهق المنحرف في الوسط المؤسساتي رسالة ماجستير، ص 13)
- 3- (عصار ، خير الله (2012) ، مبادئ علم النفس الاجتماعي، الجزائر، ص 223- 224)
- 4 - (شحاتة و جمعة السيد و معتز السيد، (1994) ، علم النفس الجنائي ، ص 217)
- 5- (بن محمد ال رفيع العمري، صالح (2002)، العودة إلى الانحراف في ضوء العوامل الاجتماعية، ط1 ص 77)
- 6 - (لرزق، سحيدة (2013) ، التنشئة الاجتماعية الوالدية و جنوح الأحداث ، ص 29)
- 7- (حومر، سمية(2006)، اثر العوامل الاجتماعية في جنوح الأحداث(رسالة ماجستير) ، ص 2)
- 8 - (محمودي ، محمد الطاهر عبد الله (2006) ، مفهوم الذات و التكيف لدى الأحداث الجانحين بالمجتمع الليبي(رسالة دكتوراه) ، ص 12)
- 9- (بن محمد ال رفيع العمري،(2002) مرجع سابق، ص 21)

- 10- (محمودي، 2006، مرجع سابق، ص 12)
- 11- (حومر، 2010، مرجع سابق ، ص 15)
- 12- (شينار، سامية، 2017) ، النسق القيمي و علاقته بالعمليات المعرفية (رسالة دكتوراه) ص 368)
- 13- (معتصم ميموني ، بدره (2005) ، الاضطرابات النفسية و العقلية عند الطفل و المراهق، ط2 ، ص 243)
- 14- (مخامرة، فتحي احمد إسماعيل (2017) ، العوامل النفسية و الاجتماعية المسببة لجنوح الأحداث في فلسطين من وجهة نظر شرطة الأحداث و مراقبي السلوك و الأحداث أنفسهم (رسالة ماجستير)، ص 13)
- 15- (ميموني، 2005، مرجع سابق، ص ص 243 - 244)
- 16- (شحاتة و اخرون ، 1994، مرجع سابق ، ص 206)
- 17- (مخامرة، 2017، مرجع سابق، ص 14)
- 18- (شينار، سامية، 2017، مرجع سابق ، ص 369)
- 19- (عبد الباقي ، علاء ، الصحة النفسية و تنمية الانسان، ص ص 35 - 36)
- 20- (اخلاص عبد الرقيب، (2013) ، اضطرابات جنوح الأحداث السلوك المضاد للمجتمع السيكوباتي ص 127)
- 21- (Fernand . 1976.P 266)
- 22- (المحمودي، 2006، مرجع سابق، ص 66)
- 23- (معتصم ميموني، بدره ، 2005، مرجع سابق، ص 248)
- 24- (القريطي ، أمين (1998) ، في الصحة النفسية، القاهرة ، ص 336)
- 25- (غماري محمد، 2006، مرجع سابق، ص 65)
- 26- (هايل عبد الله العمرو، نادية (2007) ، التفكك الاسري و علاقته بانحراف الفتيات في الأردن دراسة مقارنة بين الفتيات المنحرفات و غير المنحرفات (رسالة ماجستير) ، ص 18)
- 27- (معتصم ميموني، بدره ، 2005، مرجع سابق ، ص 249)
- 28- (المحمودي، 2006، مرجع سابق، ص 67)
- 29- (تائر غباري، احمد (2009) ، سيكولوجيا النمو الإنساني بين الطفولة و المراهقة ، ط1، ص 292)
- 30- (معتصم ميموني، 2005، مرجع سابق، ص 249)
- 31- (تائر غباري، 2009، مرجع سابق، ص 292)
- 32- (معتصم ميموني، 2005، مرجع سابق، ص 248)
- 33- (المحمودي، 2006، مرجع سابق، ص ص 68-69)
- 34- (معتصم ميموني، 2005، مرجع سابق، ص 248)

- 35- (طه عبد ، إسماعيل(2010) ، الأسباب النفسية و الاجتماعية المؤدية إلى جنوح الأحداث،، ص 10)
- 36 - (لموشي، حياة(2004) ، دور مراكز اعادة التربية في تحقيق التوافق النفسي الاجتماعي للمراهقة الجانحة(رسالة ماجستير)، ص65)
- 37 - (عبد الرقيب، سلام اخلاص .مرجع سابق ،ص 129)
- 38 - (لموشي، 2004، مرجع سابق، ص 66)
- 39 - (غماري،2006، مرجع سابق ، ص 67- 68)
- 40 - (رفعان العجمي ، سعيد(2006) ، علاقة بعض سمات الشخصية بانحراف الاحداث في مدينة الرياض(رسالة ماجستير) ، ص 44)
- 41 - (سر الختم حسن حضرة، سهى (2015) ، التفكك الأسري و علاقته بجنوح الأطفال(رسالة ماجستير) ، ص 27)
- قائمة المراجع :

1. بومدين، عميري (2014) : نماذج التماهيات لدى المراهق المنحرف في الوسط المؤسستي (رسالة ماجستير). جامعة وهران ، وهران.
2. بن محمد آل رفيع العمري ، صالح (2002) : العودة إلى الانحراف في ضوء العوامل الاجتماعية، ط1 ، الرياض : أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية .
3. نائر غباري ، احمد (2009) : سيكولوجيا النمو الإنساني بين الطفولة و المراهقة ، ط1 ، الاردن : مكتبة العربي للنشر و التوزيع.
4. حومر ، سمية(2006) : اثر العوامل الاجتماعية في جنوح الأحداث (رسالة ماجستير). جامعة منتوري ، قسنطينة.
5. رفعان العجمي ، سعيد(2006) : علاقة بعض سمات الشخصية بانحراف الاحداث في مدينة الرياض(رسالة ماجستير). جامعة نايف العربية للعلوم.الرياض.
6. سر ختم حسن حضرة محمد ، سهى (2015) : التفكك الأسري و علاقته بجنوح الأطفال(رسالة ماجستير). جامعة الرباط الوطني .
7. شحاتة ربيع ، محمد و آخرون (1994) :علم النفس الجنائي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع.
8. شينار ، سامية(2017) : النسق القيمي و علاقته بالعمليات المعرفية(رسالة دكتوراه).جامعة باتنة 01 . الجزائر
9. طه عبد ، إسماعيل(2010) : الأسباب النفسية و الاجتماعية المؤدية إلى جنوح الأحداث، مجلة كلية التربية للبنات ،العدد 21 ، الجزء 3.
- 10.عبد الباقي ، علاء ، الصحة النفسية و تنمية الانسان، القاهرة ، عالم الكتب.

11. عبد الرقيب ، سلام اخلاص(2013) : اضطرابات جنوح الأحداث السلوك المضاد للمجتمع السيكوباتي ،المجلة العلمية ،العدد29 ، الجزء 4، جامعة عدن .
12. عبد المطلب القريطي، أمين (1998) : :بي الصحة النفسية،القاهرة ، دار الفكر العربي.
13. عصار ، خير الله (2012) : مبادئ علم النفس الاجتماعي،الجزائر، دار العلوم للنشر و التوزيع.
14. غماري ، محمد (2006) : الخدمة الاجتماعية لرعاية الأحداث المنحرفين (رسالة ماجستير) ، استرجعت من موقع <http://www.almajmaa.org/bibn/upload/L20171205151355.pdf>
15. لزرقي ، سجيدة (2013) : التنشئة الاجتماعية الوالدية و جنوح الأحداث(رسالة ماجستير).جامعة وهران ، وهران .
16. لموشي، حياة(2004) : دور مراكز اعادة التربية في تحقيق التوافق النفسي الاجتماعي للمراهقة الجانحة(رسالة ماجستير).جامعة الجزائر. الجزائر.
17. محمودي ، محمد الطاهر عبد الله (2006) : مفهوم الذات و التكيف لدى الأحداث الجانحين بالمجتمع الليبي(رسالة دكتوراه). جامعة الجزائر ، الجزائر.
18. مخامرة ، فتحي احمد إسماعيل(2017) : العوامل النفسية و الاجتماعية المسببة لجنوح الأحداث في فلسطين من وجهة نظر شرطة الأحداث و مراقبي السلوك و الأحداث أنفسهم(رسالة ماجستير).جامعة القدس، فلسطين.
19. معتصم ميموني ، بدرة(2005) : الاضطرابات النفسية و العقلية عند الطفل و المراهق، ط2 ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية.
20. هايل عبد الله العمرو، نادية(2007) : التفكك الاسري و علاقته بانحراف الفتيات في الأردن دراسة مقارنة بين الفتيات المنحرفات و غير المنحرفات(رسالة ماجستير).جامعة مؤتة.الأردن.
21. Fernand hotyat (1976) : *psychologie de l'enfant et de l'adolescent*, édition Llabor - Bruscellrs -Nathan éditeur .Paris

مجلة أصوات في العلوم التربوية والإنسانية والأوراب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN:2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الاستبعاد الاجتماعي للمتمدرسين التوحدين والصعوبات التي تواجههم في تحقيق التكيف

الاجتماعي-المجتمع الجزائري نموذجاً-

ط.د حفصة رزيق¹

جامعة المسيلة الجزائر

hafsa.rezig@univ-msila.dz

ط.د نادية قدام²

جامعة الجزائر 02

nadpsy@yahoo.fr

ط.د تفاحة بوثلجة³

جامعة الجزائر 02

tefahaboutheldja@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/02 م تاريخ التحكيم: 2020/10/09 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

تهدف الدراسة الحالية إلى تسليط الضوء على أحد أبرز المشكلات التربوية التي تشهد تزايداً لا تراجعاً كونها أحد المشكلات اليومية في الحياة المدرسية داخل هذا المجال التربوي، إضافة إلى كون هذا الموضوع لم يحض باعتمادات علمية حول واقع الطفل المصاب بالتوحد، ولهذا سنحاول التركيز على الاستبعاد الاجتماعي للمتمدرسين التوحدين والصعوبات التي تواجههم في تحقيق التكيف الاجتماعي الذي يعد سبيلاً في نجاح المنظومة التعليمية الجزائرية. حيث استخدمت الباحثات المنهج الوصفي المناسب للدراسة واستعانوا بالاستمارة كأداة للبحث وتمثلت عينة الدراسة في عينة قصدية تشمل المتمدرسين والذي قدر عددهم بـ 10 بين المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، إضافة إلى عينة عشوائية من المدرسين المقدرة بـ 15 مدرس كعينة تدعيمية تسمح لنا بالإطلاع أكثر على الدراسة، وخلصت نتائج الدراسة إلى ما يلي:

أن معظم المتمدرسين من فئة التوحد يواجهون مشكلات وصعوبات كثيرة في الاندماج في الحياة المدرسية ومن هذه الصعوبات نجد عدم القدرة على تكوين علاقات اجتماعية مع الزملاء في المجال الصفّي والمدرسي، إضافة إلى تعرض المتمدرس من هذه الفئة إلى مضايقات تجعل منه يشعر بكونه دخيلاً وغريباً عن الجماعة الصفية والمدرسية وهذا ما يؤدي إلى الانطواء والعزلة الاجتماعية والنفسية الذي يرجع إلى الاستبعاد الاجتماعي الموجه له من طرف بعض الزملاء وهذا ما تم ملاحظته من خلال تسجيل النسبة المئوية التالية 80 %.

كما يتضح في نفس الصدد أن المتدريس من ذوي التوحد يعانون من مشكلات نفسية من خلال توجيه زملائه له بعض الألفاظ السيئة والجارحة ؛ وهذا بنسبة 70%.

كما توصلت نتائج الدراسة أيضا من خلال بعض العبارات الموجهة لمفردات عينة البحث حول معاملة المدرس ومنها :

- التعاملات للاجتماعية الغير عادلة أحيانا، يؤدي إلى الشعور بالنقص والاستبعاد وبداية تفشي مؤشرات هذا الاستبعاد على المدى القريب من خلال عدم ترتيب مكان جلوس المتدريس من ذوي التوحد حيث غالبا ما يترك في آخر الصف الدراسي وهذا ماتم التوصل اليه بنسبة 80% ما يسبب العديد من المشكلات التعليمية والتربوية والاجتماعية إلخ.

- عدم اشراك المتدريس في الدروس ومنه قلة التفاعل مع أعضاء الجماعة وهذا بنسبة 50%، وعليه غياب عامل الإدماج في الجماعة وإثبات الذات.

الكلمات المفتاحية بالعربية: الانعزال الاجتماعي، التكيف، المدرسة، التلميذ التوحدي.

The social exclusion of autistic teachers and the difficulties they face in achieving social adjustment - Algerian society as an example –

PhD student Rezig Hafsa¹

University of Msila Algeria

hafsa.rezig@univ-msila.dz

PhD student Keddou Nadia²

University of Algeria 02

nadpsy@yahoo.fr

PhD student Tefaha boutheldja³

University of Algeria 02

tefahaboutheldja@gmail.com

Abstract :

The current study aims to shed light on one of the most prominent educational problems that are increasing and not regressing, as it is one of the daily problems in school life within this educational field, in addition to the fact that this topic did not incur scientific considerations about the reality of the child with autism, and for this we will try to focus on the social exclusion of students Autistic people and the difficulties they face in achieving social adjustment, which is a path to the success of the Algerian educational system. Where researchers used the descriptive approach appropriate to the study and used the form as a tool for research. The study sample consisted of an intentional sample that includes the teachers, whose number was estimated at 10 between the primary and intermediate stages in addition to a random sample of teachers estimated at 15 teachers as a support sample, which allows us to view more about the study, the study results concluded as follows: Most

of the students from the autism class face many problems and difficulties in integrating into school life, and from these difficulties we find the inability to form social relations with colleagues in the classroom and school field, in addition to the exposure of the teachers of this class to harassment that makes him feel that he is an outsider and alien to the class group And school, and this is what leads to convergence and social and psychological isolation, which is due to the social exclusion directed to him by some colleagues, and this is what was observed by recording the following percentage of 80%.

It is also clear in the same regard that the scholar with autism suffers from psychological problems by directing his colleagues to him some bad and hurtful words; this is 70%.

The results of the study also reached through some phrases directed to the vocabulary of the research sample on the treatment of the teacher, including:

- Social unfair dealings sometimes, leads to a feeling of deficiency and exclusion and the beginning of the spread of indicators of this exclusion in the short term by not arranging the place of education of the autistic person where he is often left at the end of the classroom and this is reached by 80%, which causes many Educational, educational and social problems, etc.

- The student should not participate in the lessons, including the lack of interaction with the members of the group, and this is 50%, and he has the absence of the factor of integration into the group and self-affirmation.

Keywords: social isolation, adaptation, school, autistic student.

مقدمة

تعتبر المدرسة أحد المجالات الاجتماعية التي يتفاعل فيها المتعلمون كونها المؤسسة الاجتماعية والتربوية التي لا بد أن تراعي احتياجاتهم وكل الفاعلين فيها إلا أن هذا المجال يصادفه العديد من العوامل والأسباب الظاهرة منها والخفية التي تسهم في ظهور العديد من الظواهر التربوية، والمشكلات الاجتماعية و من بين هذه المشكلات نجد الاستبعاد الاجتماعي للمتدرسين ذوي التوحد وهي أحد المشكلات التربوية التي لم تحظى بدراسات علمية كثيرة و كافية و لم تلقى الاهتمام للبحث في أسبابها و نتائجها. ولهذا نركز في هذه الدراسة على الآثار التي تخلفها هذه الظاهرة "الاستبعاد الاجتماعي" على المتعلم المتوحد سواء على مستوى تشكيل العلاقات الاجتماعية أو على مستوى التحصيل الدراسي

وحتى تشكيل الهوية الاجتماعية له والجانب النفسي أيضا، ومنه سنحاول التطرق إلى بعض الحالات الاجتماعية التي شهدت هذه الظاهرة والمتمثلة في المتدربين الجدد كما سبق وتم الإشارة إلى ذلك.

1-التساؤل الرئيس للدراسة :

- ما هي انعكاسات الاستبعاد الاجتماعي للمتدربين (ذوي التوحد) على اندماجهم في الحياة المدرسية؟
2- الفرضية:

- يتفاعل المتدرب (ذوي التوحد) مع جماعات اجتماعية جديدة تؤثر على اندماجهم وتفاعلاتهم في حياتهم المدرسية الجديدة .

المحور الأول: الجانب النظري للدراسة

3- الاستبعاد الاجتماعي

3-1-تعريفه:

عرف فيير Max weber (الاستبعاد الاجتماعي) بأنه: " أحد أشكال الانغلاق الاجتماعي " ومن الطبيعي أن ينشأ ذلك الانغلاق على خلفية عوامل ناتجة عن استحواذ البعض على المكاسب والمغانم والمصالح التي تحتاج إلى نوع من الحماية والهيمنة، فالاستبعاد هو محاولة البعض لتأمين مركز متميز على حساب جماعة أخرى بإخضاعها، ومن ثم إضعافها واختزال مصالحها، أو مسح هويتها إلى حد التنكيل والتشويه والقمع.⁽¹⁾

3-2-أبعاد الاستبعاد الاجتماعي

1- التعصب الديني أو العرقي للأفراد:

إن التنوع الثقافي داخل المجتمع ، وتشبث كل فرد بثقافته و انغلاقه عليها ، و امتناعه عن التعامل و التفاعل مع ثقافات أخرى ، تجعله يفر من كل ما هو خارج و غريب عن ثقافته . لأنه مؤمن بأن ثقافته هي التي لها الحق في السيادة على الجميع، وهذا ما يؤدي إلى السقوط في متاهات الإستبعاد الاجتماعي .
- الهوة الكبيرة بين الطبقات و الفئات الغنية ، المتوفرة على كل أسباب و وسائل الرفاهية، وبين نظيراتها الفقيرة التي تعيش كل أنواع الاستغلال و القهر والمعاناة ، تفتح الباب على مصراعيه لاستفحال ظاهرة الاستبعاد .

و أيضا حسب 'هدى احمد الديب' قدّ توصل الباحثان إلى أن لـ «الاستبعاد الاجتماعي» أبعادا عديدة، وأنه موجود في مختلف المجالات والأشكال، فمثلا هيمن مفهوم «العرق» أو «الطائفة» عند الحديث عن «الاستبعاد الاجتماعي» لفترة طويلة.

ونجد مفهوم «الاستبعاد الاجتماعي»، ليس مفهوماً ساكناً في الواقع، بل هو عملية أو عمليات التهميش والتمييز في الحياة اليومية والتفاعل، إذ أصبح مصطلح «الإقصاء» جزءاً من المفردات الاجتماعية المهمة، ومن المفيد الاعتراف بأن لدى فكرة ومفهوم "الاستبعاد الاجتماعي" اتصالات مع مفاهيم راسخة في الكتابات عن الفقر والحرمان.

ويرى الباحثان أن هناك بعض المؤشرات التي تدل على "الاستبعاد الاجتماعي" مثل: الصعوبات المالية التي تواجه الأسرة، والنقصان الشديد في الاحتياجات الأساسية للإنسان، وظروف السكن غير الملائمة، وتدني قدرة الفرد على الإدراك الذاتي لحالته الصحية، وعدم الرضا عن العمل أو النشاط الأساسي للفرد داخل المجتمع، وقلة وندرة الاتصالات مع الأقارب والأصدقاء.

ومن الجدير بالإشارة أن "الاستبعاد الاجتماعي" يمكن التعرف إلى براعة الفكرة وانتشارها، وضرورة أن ينشأ عن طرق متنوعة، لكن من المهمّ توخي الحذر في عدم استخدام هذا المفهوم بشكل عشوائي لوصف كل شكل من أشكال الحرمان. (2)

3-3- أهمية المدرسة في تنشئة الأفراد في ظل الاندماج الاجتماعي .

يذهب دوركايم إلى أنه لا يوجد نوع واحد أو مثل أعلى واحد للتربية عند كل الناس فالاختلافات في النواحي الاجتماعية و الثقافية تلعب دورا كبيرا في نوع البرامج التربوية في المجتمعات المختلفة فمتطلبات المجتمع الحديث تستلزم وجود مؤسسات تربوية منظمة و رشيدة وذلك أحد متطلبات المجتمعات الحديثة للضبط الاجتماعي.

و يرى دوركايم أن دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية مكتملا لدور الأسرة فالمدرسة كما يراها قادرة على تشكيل الفرد و إعدادة للحياة الاجتماعية بمجتمعه، فالطفل يتعلم من المدرسة عن طريق التربية الخلقية النظام و الضبط النفسي، فالمدرسة تساعد الطفل على استدراج قيم و معتقدات مجتمعه بحيث تصبح جزءا من نسقه ألقيمي و نسقه العقائدي (3).

و في تركيزه على التنشئة الاجتماعية للأجيال الشابة في المدارس و داخل نظام المدرسة التي كان يشار إليها أحيانا باسم الجهاز و ينظر إليها باعتبارها جهاز لأداء الوظيفة، بالنسبة لفكرة الضمير الجمعي فالمجتمع بالنسبة لدوركاييم هو مجموعة الأفراد الذين تربطهم مجموعة من القيم والقواعد المشتركة و هذا ينتقل عن طريق المدرسة

4- تعريف الاندماج الاجتماعي :

الاندماج الاجتماعي هو عملية ضم وتنسيق بين مختلف الجماعات الموجودة في مجتمع واحد للحصول على مجتمع ذو وحدة متكاملة. وبمعنى آخر هو إزالة الحواجز بين المجموعات المختلفة للعيش والتكيف الاجتماعي بشكل متناغم و متضامن. فالاندماج الاجتماعي هو مجموعة الإجراءات و التدابير في مجتمع ما غايتها تسهيل انخراط فرد جديد في هذا المجتمع⁽⁴⁾

4-1- الاندماج الاجتماعي :

هو مفهوم ينشئه كل مجتمع وكل جماعة بهدف انتقال الأفراد والجماعات من حالة المواجهة والصراع إلى حالة العيش معا هذه الآلية تمر بثلاث مراحل - التضامن الاجتماعي solidarite - التكيف الاجتماعي⁽⁵⁾.

4-2- العلاقة بين التنشئة والاندماج:

4-3- التنشئة: هي سيرورة مستمرة ومتغيرة على امتداد الحياة، بحيث إنها تهدف إلى الاندماج الاجتماعي النسبي والمتوالي من لدن الفرد، وباعتبارها، من جهة أخرى، بمثابة وسيلة لاكتساب الشخصية من خلال استيعاب طرائق الحركة والفعل اللازمة (معايير وقيم وتمثلات اجتماعية...) من أجل تحقيق درجة من التوافق النسبي عبر سياق الحياة الشخصية والاجتماعية للفرد داخل تلك الحياة المتغيرة باستمرار.

وبذلك، يمكن وصف عملية التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي تتشكل فيها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته وسلوكياته لكي تتوافق مع تلك التي يعتبرها المجتمع مرغوبة ومستحسنة للحاضر والمستقبل في المجتمع. وهي عملية تهدف إلى دمج الفرد في الجماعة وتكيفه مع أنماط وسلوك وأعراف وتقاليد المجتمع، بشكل تدريجي وتسلسلي. وبهذا تكون التنشئة الاجتماعية عملية ونتيجة للتفاعل داخل المجتمع وتفاعل الأفراد فيما بينهم في إطار مجموعات أو مؤسسات معينة.

4-4- المدرسة والاندماج الاجتماعي

تعتبر المدرسة مؤسسة اجتماعية أوجدها المجتمع لتحقيق أهدافه وغاياته، وهي مؤسسة تربوية نظامية مسؤولة عن توفير بيئة تربوية للمتعلم تساعد على تنمية شخصيته من جميع جوانبها العقلية والجسمية والانفعالية والاجتماعية بشكل متكامل إضافة إلى توفير فرص الإبداع والابتكار للمتعلم كما تعتبر المدرسة مؤسسة متميزة عن غيرها من المؤسسات التربوية الأخرى، والتي تؤثر بدورها في تربية وتنشئة الأجيال بصورة مباشرة وعي مباشرة، مثل البيت والمنظمات العلمية والمهنية والسياسية والاجتماعية التي تلعب دورا كبيرا في تنشئة هذا الفرد لأن تقدم المجتمع مرهون بالتفاعل المستمر وإرادات أفرادها لكن هناك جملة من التساؤلات التي يجب طرحها هنا، هل المدرسة تستطيع تهيئة الجو المناسب لنمو قدرات الفرد بشكل عام؟ هل المدرسة تنمي مفهوم الجماعة وعواطف وعند الفرد؟ وكيف يمكن للمدرسة أن تحقق إدماج الفرد في هذا المجتمع؟ يمكن أن نعتبر المدرسة أداة استكمال وتصحيح وتنسيق، حيث تقوم باستكمال ما بدأته المؤسسات الأخرى من الأعمال التربوية وعلى رأسها البيت، والمدرسة حريصة على هذا التعاون إن وجد فراغ الوثيق مع البيت يتم ذلك خاصة عن طريق إنشاء مجالس الآباء والأمهات. كما تقوم المدرسة بتصحيح الأخطاء التربوية التي قد ترتكبها النظم الأخرى في المجتمع، وأن حصل تأثر بسلوك أو عادات من أي مصدر بشري أو إعلامي قومته، فالمدرسة تجهز بسلامح العلم وحسن التفكير لتقي الناشئة بما شرال دعايات والمؤثرات . ملأته...وكما تعتبر المدرسة أداة تنسيق، حيث تقوم بتنسيق الجهود التي تبذلها سائر النظم الاجتماعية في سبيل تربية الأفراد، وتظل على اتصال دائم بما لترشدها إلى أفضل الأساليب التربوية . وتعاون معها على تنشئة الجيل الجديد أحسن تنشئة في كل ما يتعلق بعملية التربية.

المحور الثاني: الجانب الميداني للدراسة

يتناول هذا القسم الجانب الميداني للدراسة والذي من خلاله يمكن للباحث التوصل إلى نتائج أكثر دقة وعلمية و واقعية.

5- مجالات الدراسة

5-1- المجال المكاني : المجال المكاني للدراسة يتمثل في ولاية بسكرة، وبالتحديد في بعض مدارس الولاية.

(أوماش، العالية)

5-2- المجال البشري (عينة الدراسة).

يتمثل مجتمع الدراسة في مجتمعين الأول المتدربين من فئة ذوي التوحد والذي تم اختيارهم بطريقة قصدية وعينة أخرى من المدرسين.

وتتمثل عينة الدراسة في عينة قصدية تشمل المتدربين والذي قدر عددهم بـ 10 بين المرحلتين الابتدائية والمتوسطة، إضافة إلى عينة عشوائية من المدرسين المقدرة بـ 15 مدرس كعينة تدعمية تسمح لنا بالإطلاع أكثر على الدراسة.

5-3- المجال الزمني:

يتمثل المجال الزمني للدراسة في جمع معلومات الدراسة ابتداءً من بداية شهر سبتمبر 2019 كما تم تصميم استمارة البحث من أجل توزيعها في وقت قياسي على مجموعة من المدرسين ومقابلة مع عينة من المتدربين من ذوي التوحد بالنسبة للشكل النهائي للدراسة فقد تم إنجازها على بصورتها الحيرة يوم 2019/12/2.

6- المنهج الوصفي

يهدف هذا المنهج إلى دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس، أو مجموعة من الأحداث أو الأوضاع بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها دون الدخول في أسبابها أو التحكم فيه. (6)

ويعرف على أنه احد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة معينة وتصويرها كميًا عن طريق جمع البيانات (7).

7- أداة جمع المعلومات:

7-1- الاستمارة Questionnaire

تعرف استمارة البحث على أنها مجموعة من الأسئلة المقننة (مغلقة - مفتوحة) التي توجه إلى المبحوثين من أجل الحصول على بيانات و معلومات حول قضية معينة أو اتجاه ما أو موقف ما ويتم تنفيذ استمارة استبيان عن طريق المقابلة الشخصية أو من خلال الانترنت أي ترسل إلى المبحوثين من خلال البريد الإلكتروني. (8) وهي الإجراء الأكثر تجزئة في مراحل البحث العلمي الميداني.

كما يرجع اختيارنا لأداة استمارة استبيان الخاصة ببحثنا لسهولة الأداة وتوزيعها ومعالجة البيانات من خلالها بطرق إحصائية منظمة ، كذلك لبساطة موضوع البحث .

إضافة إلى استمارة مقابلة مع التلاميذ

8- تفسير و تحليل بيانات الدراسة:

8-1 تفسير بعض عبارات مقابلة التي تم إجرائها مع المتدرسين

- الجدول الأول: حول المعاملة الاجتماعية للمتدرسين من ذوي التوحد.

لا		نعم		العبرة / البدائل
ت	%	ت	%	
02	20	08	80	- عدم تقبل الزملاء للمتدرسين من ذوي التوحد
01	10	09	90	- استخدام الفاظ مسيئة للمتدرسين من ذوي التوحد
03	30	07	70	- لا أحاول بناء علاقات صداقة معهم.
03	30	07	70	- هناك من تقبلني وعرض مساعدته لي في الدروس ...
01	10	09	90	- لا أجد راحتي داخل الصف الدراسي.

من خلال الجدول التالي نلاحظ إجابات مفردات عينة البحث حيث أجابوا بنسبة 80% والتي تمثل أعلى نسبة حول العبارة التي مفادها - عدم تقبل زملائي لي - مقابل 20% حول من تم التحاقه في الصف الدراسي بشكل طبيعي، بالنسبة للعبارة الموالية والتي مفادها - استعمال ألفاظ ومعاني تشير إلى كون التلميذ

الملتحق بالمقاعد الدراسية كدخيل عن المجموعة الأصلية - تمركزت إجابات المبحوثين حول هذه العبارة بنسبة 90% حول البديل 'نعم' و نسبة 10% حول البديل 'لا'.

كما نلاحظ حول العبارة - لا أحاول تشكيل علاقات صداقة وزمالة مع باقي زملاء- انه تمركزت الإجابات حول البديل 'نعم' بنسبة 70% مقابل نسبة 30% حول البديل 'لا'، كما نلاحظ عدم وجود تقبل للتلميذ الجديد بنسبة 30% مقابل 70% ممن وجدوا مساعدات وإقبال لتكوين علاقة زمالة حول هذه العبارة .

و عليه نلاحظ من خلال هذه العبارات أن المتدربين الجدد أو الذين يلتحقون بمقاعد الدراسة بمدارس جديد بعد الدخول المدرسي يعانون من عدم تقبل بداية الأمر من قبل زملائهم في المدرسة أو في مقاعد الدراسة ما يجعلهم يعانون من صعوبات في التفاعل مع المدرسين أو مع الزملاء و تظهر عليهم مظاهر الانسحاب الاجتماعي من الجماعة والتي قد تنعكس أيضا على الجانب التعليمي أو الدراسي الذي بدوره ينعكس على تحصيل هؤلاء الأفراد.

- الجدول الثاني : بعض عبارات استمارة البحث الخاصة بالمدرس و تأثيره على المتدرب:

العبارة	البدائل		لا	
	نعم	ت	ت	%
- الحضور دائما	09	90	01	10
- عدم القدرة على الانتباه للدرس	10	100	00	00
- الانطواء الاجتماعي .	08	80	02	20
- اشراك ذوي التوحد في سير الدرس .	05	50	05	50
- التفاعل في الصف مرحلة صعبة ..	09	90	01	10

يوضح الجدول التالي بعض عبارات استمارة البحث الخاصة بتعامل المدرس مع المتعلمين من ذوي التوحد في المدرسة والمجال الصفّي ككل، حيث تم تفرّيع بيانات الدراسة كما هو موضح أعلاه وعليه نلاحظ تمركز أغلب إجابات الباحثين حول البديل 'نعم' للعبارة التي مفادها حضور الماّدرس بصورة دائمة وهذا ما تم تسجيله بتكرار 09 من مجموع العينة المقدّرة بـ 10، تليها العبارة الموالية حول عدم قدرة المتعلم من ذوي التوحد على الانتباه داخل المجال الصفّي وهذا ما اتفقت عليه كل مفردات عينة الدراسة المتمثلة إجاباتهم بنسبة 100 بالمئة حول هذه العبارة.

كما جاءت إجابات عينة الدراسة حول الجلوس آخر الصف الدراسي بنسبة 80% وهي أعلى نسبة سجلت حول البديل 'نعم'، بالنسبة لإشراك المتعلم في الدروس فقد توافقت النسبة المئوية بـ 50% لكل من البديل 'نعم' و'لا'.

بالنسبة لاندماج المتعلم الجديد داخل المجال الدراسي فنلاحظ وجود صعوبة في الاندماج وهذا ما تم تسجيله بنسبة 90% حول البديل 'نعم'.

و عليه نلاحظ أن المدرس تنقصه خبرة و وعي في إدراك أهمية دمج المتعلم من ذوي التوحد داخل المجال الصفّي من أجل تحقيق الأهداف التربوية بصورة ناجحة ومساعدة المتعلم الجديد من خلال الحوار معه وسؤاله عن مشكلاته أو تعريفه بين زملائه ليكون عضوا فاعلا في المجال الصفّي وأن لا ينسحب أو يستبعد في الجماعة الصفّية أو حتى خارجها.

2-8- تفسير بعض عبارات الاستمارة التي تم توزيعها على المدرسين:

- جدول الثالث: يوضح بعض العبارات الموجهة للمدرسين حول إدماج المتعلمين.

لا		نعم		العبارة
ت	%	ت	%	
06	40	09	90	- هل صادفت متعلمين من ذوي التوحد تم إلحاقهم بالمؤسسة.

33.33	07	66.66	10	- هل ترى أن إلحاق المتعلمين من ذوي التوحد بالمؤسسات التعليمية العمومية يعيق الجانب التحصيلي لهم.
6.66	01	93.33	14	- هل ترى أن المتعلمين من ذوي التوحد يستطيعون التكيف بسرعة مع زملائهم في الصف.
60	9	40	6	- هل تعمل على إشراك المتعلمين من ذوي التوحد في الصف.

يوضح الجدول التالي مجموعة من العبارات المقدمة للأساتذة من أجل الإلمام بالدراسة ومنه نلاحظ حول العبارة الأولى التي مفادها التحاق متعلمين من ذوي التوحد وتدريبهم وتمت الإجابة حول هذه العبارة بنسبة 90% حول تدريس التلاميذ من هذه الفئة الملحقين من مدارس أخرى، كما أجاب بنسبة 66.66% حول أن التحاق التلميذ من هذه الفئة بالمؤسسات العمومية قد يعيق الجانب التحصيلي له . أما العبارة التي مفادها استطاع المتعلم من هذه الفئة التكيف في المحيط المدرسي والمجال الصفّي فقد بينت إجابات عينة الدراسة بنسبة 93.33% حول انه يجد هؤلاء التلاميذ صعوبة كبيرة في الاندماج داخل المجال الصفّي.

جدول الرابع : يوضح إجابات المدرسين حول مشكلات المتعلمين من فئة ذوي التوحد

لا		نعم		العبارة
%	ت	%	ت	
20	03	80	12	- هل يواجه المتعلمين من فئة التوحد مضايقات من طرف زملاء.

6.6 6	01	93.33	14	- هل شهدت منازعات بين المتعلمين امن المتوحدين مع زملائهم.
20	03	80	12	- هل يشككي لك المتعلمين الجدد من تصرفات زملائهم.
33. 33	05	66.66	10	- هل تحاول مساعدة المتعلمين من فئة التوحد على تكوين علاقات مع زملائهم.
20	03	80	12	- هل تحكم سيطرتك على المجال الدراسي.

يوضح الجدول التالي أيضا بعض عبارات استمارة البحث الموجه للمعلمين حيث نلاحظ حول العبارة الأولى التي مفادها مواجهة المتعلمين من فئة التوحد مضايقات من طرف زملائهم حيث أفاد المبحوثين حول البديل نعم بنسبة 80% تليها نسبة 20% حول من لا يواجهون أي ضغوطات، وفي نفس الموضوع أيضا حول المنازعات فيما بين المتعلمين ذوي التوحد وزملائهم نلاحظ وجد منازعات وأفعال عنف وهذا ما تم تسجيله حول هذه العبارة بنسبة 93.3% مقابل 6.66% حول البديل 'لا'.
نتقل أيضا للعبارة الموالية حول شكوى المتعلم من ذوي التوحد من تصرفات بعض زملائه حيث نلاحظ أن نسبة 66.66% من هؤلاء المتعلمين يشتكون للمعلم على بعض تصرفات زملائهم اتجاههم.
أما بالنسبة لتقديم المعلم لمساعدة للمتعلم من ذوي التوحد في تكوين علاقات اجتماعية داخل المجال المدرسي فنلاحظ أن أغلب المعلمين يعملون على هذا كما هو موضح في الجدول أعلاه.

9- نتائج الدراسة

من خلال دليل إجراء مقابلة مع المتعلمين والمعلمين تم التوصل إلى مجموعة من النتائج.

9-1- النتائج المتعلقة بالمقابلة الموجهة للمتمدرسين:

نستنتج أن معظم المتمدرسين من فئة التوحد يواجهون مشكلات وصعوبات كثيرة في الاندماج في الحياة المدرسية ومن هذه الصعوبات نجد عدم القدرة على تكوين علاقات اجتماعية مع الزملاء في المجال الصفّي والمدرسي، إضافة إلى تعرض المتمدرس من هذه الفئة إلى مضايقات تجعل منه يشعر بكونه دخيلاً وغريباً عن الجماعة الصفية والمدرسية وهذا ما يؤدي إلى الانطواء والعزلة الاجتماعية والنفسية الذي يرجع إلى الاستبعاد الاجتماعي الموجه له من طرف بعض الزملاء وهذا ما تم ملاحظته من خلال تسجيل النسبة المئوية التالية 80%.

كما يتضح في نفس الصدد أن المتمدرس من ذوي التوحد يعانون من مشكلات نفسية من خلال توجيه زملائه له بعض الألفاظ السيئة والجارحة؛ وهذا بنسبة 70%.

كما توصلت نتائج الدراسة أيضاً من خلال بعض العبارات الموجهة لمفردات عينة البحث حول معاملة المدرس ومنها:

- التعاملات للاجتماعية الغير عادلة أحيانا، يؤدي إلى الشعور بالنقص والاستبعاد وبداية تفشي مؤشرات هذا الاستبعاد على المدى القريب من خلال عدم ترتيب مكان جلوس المتمدرس من ذوي التوحد حيث غالبا ما يترك في آخر الصف الدراسي وهذا ما تم التوصل اليه بنسبة 80% ما يسبب العديد من المشكلات التعليمية والتربوية والاجتماعية.... إلخ.

- عدم اشراك المتمدرس في الدروس ومنه قلة التفاعل مع أعضاء الجماعة وهذا بنسبة 50%، وعليه غياب عامل الاندماج في الجماعة وإثبات الذات.

وعليه نستنتج أنه لا بد من توفير مجموعة من المعايير سواء منها المتعلقة بالممارسة والفعل أو التعليم؛ فالمتمدرس من هذه الفئة يجب أن يحظى بمعاملة من طرف المدرس أو المتمدرس تجعل منه عضواً فاعلاً لا منسحباً عن الجماعة الجديدة.

9-2- النتائج المتعلقة بالمقابلة الموجهة للمدرس.

من خلال العبارات الموجهة للمدرس كعينة تدعيمية للإحاطة بموضوع الدراسة نستنتج أن 90 % مفردات العينة قد صادفتهم حالات تدريس لمتدربين من ذوي التوحد وعليه استطعنا إجراء هذه الدراسة بشكل أكثر دقة .

حيث تم التوصل أن التلاميذ المتدربين من ذوي التوحد يواجهون صعوبات على مستوى التحصيل الدراسي هذا بنسبة 66.66% كما يواجهون صعوبة أخرى في الاندماج مع زملائهم وهذا بنسبة 93.33% ما يخلف العديد من النتائج السلبية رغم إجابة معظم مفردات العينة حول إشراك هؤلاء المتدربين الجدد في الدروس والأعمال والأنشطة التعليمية .

كما نستنتج أن اغلب هؤلاء المتدربين يواجهون مضايقات من طرف زملائهم وتنشأ بينهم العديد من المنازعات والتي تصل إلى شكوى المتدربين للمدرس على زملائهم هذا بنسبة 80 % حول هذا التصرف. ومن خلال ما سبق التطرق إليه يتضح أن هناك مجموعة من العوامل المؤدية لعدم إدماج المتدريس من ذوي التوحد داخل الجماعة الجديدة والتي لها جملة من الآثار والانعكاسات السلبية على الجانب النفسي والاجتماعي والتحصيلي العلمي التي تؤدي إلى الاستبعاد والانطواء على الذات والإحساس بكون دخيلاً عن الجماعة سواء هذا كان من طرف المدرس أو زملاء.

10- توصيات الدراسة :

تفعيل العلاقة بين المدرس والمتدريس.

- ✓ إنشاء ورشات تحسيسية بكيفية إدماج المتدريس من ذوي التوحد.
- ✓ العمل على الحد من ظاهرة التمييز بين المتدربين .
- ✓ توعية المسؤولين في المجال التربوي والتعليمي بخطوره الإستبعاد الاجتماعي لهاته الفئة .
- ✓ وضع المرشدين برامج وقائية وتوعوية وعلاجية لهاته الظاهرة للحد منها.
- ✓ الوعي بخطورة هذه الظاهرة على المستوى القريب والبعيد.
- ✓ تشكيل فضاء مناسب لإدماج المتدريس الجديد في الحياة المدرسية.

- المراجع :

- (1)- كريم شغيل، الاستبعاد الاجتماعي وأثره في النسيج الاجتماعي، متوفر على <http://www.alsabaah.iq/ArticleShow>
- (2)- هدى أحمد الديب و محمود عبد العليم محمد (2005): الاستبعاد الاجتماعي ومخاطره على المجتمع، مجلة اضافات، العدد 31 .
- (3)- سميرة أحمد السيد(1993): علم اجتماع التربية، القاهرة، دار الفكر العربي.
- (4)- ماري مرديني، الاندماج الاجتماعي ، زمن التصفح ، متوفر على <http://www.ankawa.com>
- (5)- خليفة عبد القادر(2014): دور المؤسسة التربوية في إدماج الفرد في المجتمع، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 15.
- (6)- عمار الطيب كشرود(2008): البحث العلمي ومناهجه في البحث العلوم الاجتماعية و السلوكية، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع .
- (7)- محمد عبد الجبار خندقجي(2012): مناهج البحث العلمي، الأردن، عالم الكتب الحديثة.
- (8)- عبد الله البهمالي(1999): أسلوب البحث الاجتماعي و تقنياته، منشورات جامعة خان يوسف، بن غازي، ط2.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأولاد واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

علاقة الضغوط المهنية بالدافعية للإنجاز لدى عينة من أساتذة كلية التربية قمينس

حنان مصطفى حسن الأطرش - محاضر مساعد -

جامعة بنغازي / ليبيا

hananelmoksape5445@gmail.com

نجلاء فرج مفتاح احمد - محاضر مساعد -

جامعة بنغازي / ليبيا

raonk1comming3567@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/30 م تاريخ التحكيم: 2020/11/07 م تاريخ النشر: 2020/11/15 م
الملخص:

استهدف البحث الحالي الكشف عن العلاقة بين الضغوط المهنية والدافعية للإنجاز لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس كلية التربية قمينس فضلا عن معرفة الفروق في هذه المتغيرات تبعا للعمر والنوع وسنوات الخبرة تكونت عينة البحث من 25 عضو هيئة تدريس تم استخدام مقياس الضغوط المهنية ومقياس الدافعية للإنجاز . اشارت النتائج الى عدم وجود فروق دالة احصائية في مستوى الضغوط المهنية تبعا لمتغيرات النوع والعمر وسنوات الخبرة ولم تظهر فروق في دافعية الانجاز وفقا للنوع وسنوات الخبرة وأشارت الى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الدافعية للإنجاز تبعا لمتغير العمر لصالح الاعمار ما بين 30-40 . وقد خرج البحث بمجموعة من التوصيات والمقترحات .

الكلمات المفتاحية: الضغوط المهنية - الدافعية - الاستاذ

Professional pressures and their relationship to achievement motivation I have samle of faculty members of the college of education gymnasium peared

Hanan mostafa hassan ALattrash Assistantprofessor

Benghazi university-Libya

hananeloksape5445@gmai.com

Najla farag moftah AhmedAssisantprofessor

Benghazi university-Libya

raonk1comming3567@gmail.com

Abstract :

The current relationship aimed to uncover the relationship between professional pressures and motivation to achievement in a sample of the faculty

members of the college of Education in addition to knowing the differences in these variables according to age gender and years of experience.the research sample consisted of 25faculty members professional pressures and motivation to achievement in a sample of the faculty members of the college of Education in addition to knowing the differences in these variables according to age gender and years of experience.the research sample consisted of 25faculty members motivation for achievement results indicated there are no statistically significant differences in the level of occupational in pressures according to gender age and years of experience changes.no differences appeared in achievement motivation according to gender and years of experience.it indicated that there are statistically significant differences in the level of motivation from30-40.of the research came out with a group.of the recommendations

Keywords: achievement.- motivation Professional pressures

الفصل الأول :

مشكلة البحث وأهميته

يتسم العصر الحالي بسرعة التغيرات العلمية والتقنية والثقافية مما يتطلب اكتساب معارف جديدة ومهارات تساهم في التطوير المستمر في المجال المهني والشخصي والعلمي والذي ينعكس بصورة إيجابية على التطور المجتمعي.

وتعد مهنة التعليم العالي العمود الفقري لبقية المهن والوظائف لبناء الكوادر القادرة على اخذ زمام المبادرة في نهضة المجتمعات ورفع من مستوى الوعي للأفراد.

ولا يتوقف دور الأستاذ الجامعي على نقل المعارف والمعلومات بل إضافة الى دوره الأكاديمي فإنه يقوم بإجراء البحوث والتجارب وتقديم الاستشارات الطلابية والمهنية وتقديم خدمات للمجتمع. ويسعى الى متابعة التطورات في مجال تخصصه لتوسيع خبراته وتحديث معلوماته وبهذا يواجه تحديات ومتطلبات كالترقيات العلمية ورفع متوسط الدخل مما يجعله يطيل ساعات العمل وقد يتحمل تكاليف مادية لتوفير متطلبات الترقى وتقديم مستويات عالية من الإنجاز.

ويرى اتكنسون ان الأشخاص ذوي الحاجة العالية للإنجاز يكونون أكثر تحفيزاً للنجاح في المهام التي تتسم بمخاطرة معتدلة بينما الأشخاص الذين ينجزون الحاجات المنخفضة هم أكثر تحفيزاً في المهام ذات المخاطر الأقل فأصحاب الدافعية العالية للإنجاز يبذلون جهداً أكبر للوصول لأهداف وإنجاز المهام في ظل التحديات والمخاطر

الا ان ارتفاع اهداف الإنجاز وتعددتها يرافقه مطالب قد تكون اعلى من قدرات الفرد فيكون عرضة للضغوط كما أشار سيلبي .(2))

وقد اصبحت الضغوط النفسية سواء المهنية او الحياتية -أصبحت من ابرز التحديات التي تواجه العامل عامة والأستاذ الجامعي خاصة فمهنة التدريس احدى المهن الضاغطة نظرا لكثرة مسؤولياتها ومتطلباتها، وان زيادة المطالب البيئية تحدث اثار ضارة على الفرد مما قد يكون له اثر سلبي على عطاء الأساتذة وكفاءتهم في الأداء ومن بين هذه التغيرات الشعور والإحباط مما يؤثر والضيق وانخفاض الرضا الوظيفي وضعف

مستوى الأداء و العجز عن الابداع وضعف الدافعية لديه وقد يعرقل سعيه الى تحقيق التفوق في انجاز مهامه مما يقلل من مستوى الحماس ويترتب عليه التراخي والكسل وعدم تحمل المسؤولية 3 وبناء عليه فقد رأينا ان نضع موضوع الضغوط المهنية والدافعية للإنجاز للبحث والدراسة من اجل اكتشاف العلاقة الترابطية بين هذين المتغيرين ودور بعض المتغيرات في احداث فروق في مستوى الدافعية للإنجاز وضغوط المهنة..

مشكلة الدراسة

الفرد اثناء سيرة حياته له مطالب ورغبات يود اشباعها وتحقيقها وبقدر ما توجد دوافع للنجاح والانجاز وما يبذل من جهد لتحقيقها بقدر ما توجد صعوبات وعقبات تحول دون الوصول اليها. وتستدعي المستويات العالية من الدافعية للإنجاز تعديلا في بعض جوانب الفرد الشخصية او اجتماعية او الادراكية.

وتعد كلية التربية احدى الكليات التي تشكل ركيزة للجامعة فهي منوطة بالتخطيط والتنفيذ لبرامج التعليم العالي ويقوم فيها الأستاذ بادورا متعددة إضافة الى التدريس والاستشارات الاكاديمية والمهنية والمهام الإدارية التي يكلف بها .ومع تعدد الأدوار وتنوعها تزداد الضغوط حدة مما قد يعكس سلبا على اداء عمله وعلى نفسه وبالتالي قد ينخفض مستوى الدافعية للإنجاز والحماس والنشاط ويكون لهذه النتيجة تأثيرات تمتد الى علاقته بزملائه وطلابه والجامعة عامة .ويتناول البحث الحالي هذه العلاقة المهمة بين الضغوط المهنية والدافعية للإنجاز وتتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال التالي :

هل توجد علاقة ارتباطية بين الضغوط المهنية والدافعية للإنجاز لدى عينة من أساتذة كلية التربية قمينس؟

أهمية البحث

يكتسب هذا البحث أهميته من خلال المتغيرات موضع الدراسة إذ تعد الضغوط المهنية من أكثر الظواهر النفسية ازديادا وتكرارا إضافة الى اثارها غير الصحية اذا ما زادت عن الحد المعقول. كما يعتبر الدافع للإنجاز مكونا أساسيا في سعي الفرد نحو تحقيق ذاته والوصول الى مكانة علمية مرموقة إضافة الى المكاسب الاقتصادية والاجتماعية التي تتبع هذا الدافع. يسعى البحث الحالي الى إثراء المكتبة العربية بما سيتوصل اليه من نتائج تفيد الباحثين وصناع القرار. اهداف البحث

يهدف البحث الحالي الى معرفة العلاقة بين الضغوط المهنية ودافعية الانجاز لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية قمينس. وتنبثق من هذا الهدف اهداف فرعية وهي:

1- معرفة العلاقة بين الضغوط المهنية ودافعية الانجاز لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس كلية التربية قمينس تعزى لمتغير النوع (ذكور - اناث)

2- معرفة الفروق في مستوى الضغوط المهنية لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس كلية التربية قمينس العائدة للعمر.

3 معرفة الفروق في مستوى الضغوط المهنية لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس كلية التربية قمينس تبعا لمتغير سنوات الخبرة

4 معرفة الفروق في مستوى دافعية الإنجاز لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس كلية التربية قمينس تبعا لمتغير النوع (ذكور - اناث).

5 معرفة الفروق في مستوى دافعية الإنجاز لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس كلية التربية قمينس تبعا لمتغير العمر.

6 معرفة الفروق في مستوى دافعية الإنجاز لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس كلية التربية قمينس تبعا لمتغير سنوات الخبرة.

حدود البحث

الحدود المكانية: اقتصرت عينة البحث على كلية التربية قمينس.

الحدود الزمنية: تم اجراء البحث في العام 2018-2019.

تحديد مصطلحات البحث:

أولا التعريف النظري

الضغوط المهنية والحياة

تعرف بأنها الظروف التي من المحتمل ان تهدد الوظيفة او المهنة وتشمل تعقيدات المهنة وعبء العمل وغموض الدور وإغفال استخدام القدرات . 4

التعريف الاجرائي:

هي الدرجة التي يتحصل عليها عضو هيئة التدريس من خلال تطبيق مقياس الضغوط المهنية. دافعية الانجاز: قدرة أعضاء هيئة التدريس على التقدم في أعمالهم وتحسين مهاراتهم وتقديم إنجازات مرضية في أعمالهم.

التعريف الاجرائي هي الدرجة التي يحصل عليها عضو هيئة التدريس بعد الإجابة عن مقياس الدافعية للإنجاز.

الفصل الثاني الإطار النظري للبحث

مفهوم الضغوط المهنية

يشير مفهوم الضغوط إلى درجة إستجابة الفرد للأحداث أو المتغيرات والتي ربما تكون مؤلمة فتحدث بعض الآثار الفسيولوجية والتي تختلف درجتها من شخص إلى آخر.

حالة يتعرض فيها الإنسان لصعوبات بدنية مستمرة مادية ومعنوية وجسمية ونفسية وتشكل اجهادا لا يمكن التغلب عليه لاستعادة التوافق 5

الضغوط المهنية يكون منشاؤها مهنة الفرد وما يقوم به من عمل، والخلافات مع الزملاء والمرتب والترقية والتميز غير المبرر من قبل الرؤساء، ويكون معنى الضغوط هو الشعور بالعبء والثقل الناشئين من المهنة والصعوبات التي يواجهها 6

انواع الضغوط المهنية

للضغوط المهنية عدة انواع وتصنف بحسب الفترة الزمنية دائمة ومؤقتة، بحسب الأثر سلبية وإيجابية

الضغط المؤقتة والضغوط الدائمة

الضغوط الدائمة هي التي تحيط بالفرد لفترة وجيزة ثم تزول كالتى ترتبط بموقف مفاجئ أو الزواج الحديث الى غير ذلك من المواقف التي لا يدوم أثرها لفترة طويلة ومثل هذه الضغوط لا تلحق ضررا كبيرا بالفرد الا إذا كان الضاغط اشد صعوبة من قدرة الفرد على التحمل

أما الضغوط الدائمة فهي التي تحيط بالفرد لمدة طويلة نسبياً. 2.
الضغوط الإيجابية والضغوط السلبية
الضغوط الإيجابية هي التي يترتب عليها الشعور بالسعادة والرضا والاستقرار النفسي، أما الضغوط السلبية
فهي
الأحداث التي ينتج عنها شعور بالإحباط وعدم السرور النفسي وعدم الاتزان النفسي. وفي كلا النوعين من
الضغوط يشعر الفرد بالتوتر لكن تأثير الموقف يختلف على الفرد 4
عناصر الضغوط المهنية
للضغوط المهنية ثلاث عناصر متفاعلة وهي المثير والاستجابة والتفاعل
أ- عنصر المثير يحتوي هذا العنصر على المثيرات الأولية الناتجة عن مشاعر الضغوط وقد يكون المثير هو البيئة
أو المنظمة أو الفرد.
ب- عنصر الإستجابة يتمثل هذا العنصر في ردود الفعل الفسيولوجية والنفسية والسلوكية التي يديها الفرد
مثل القلق والتوتر والإحباط وغيرها.
ج- عنصر التفاعل: وهو التفاعل بين العوامل المثيرة والعوامل المستجيبة، أي التفاعل بين العوامل التنظيمية
والمشاعر والانفعالات الإنسانية وما يترتب عليها من استجابات 7
مراحل الضغوط المهنية
للضغوط ثلاث مراحل تتضمن كل منها أعراضاً جسدية ونفسية ومجتمعية هي:
المرحلة الأولى: مرحلة الانذار وتظهر فيها مجموعة من الأعراض الجسدية مثل ارتفاع ضغط الدم، سرعة ضربات
القلب، عدم انتظام ضربات القلب، غزارة العرق الشعور بقشعريرة تشبه البرد. وترافقها أعراض نفسية مثل:
النسيان، تشتت الانتباه، توتر دائم.
-الأعراض المجتمعية: المشاجرات لأقل الأسباب وتبدأ مع الأسرة والمقربين، كثرة الأخطاء في العمل،
إمكانية الاستهداف للحوادث.
المرحلة الثانية المقاومة:
-الأعراض الجسدية الشعور بالإرهاق من أدني مجهود، نقص الرغبة الجنسية أو تلاشيتها.
-الأعراض النفسية: عدم الاهتمام بالشئ، الميل إلى الوحدة والعزلة وعدم الابتهاج، الاستياء الدائم.

-الأعراض المجتمعية: الانسحاب الاجتماعي والعزلة، التأخير عن العمل، المماطلة والتسويف لأي عمل، الإصراف في التدخين، اللجوء الى تعاطي المهدئات او المخدرات.

المرحلة الثالثة الاجهاد

-الأعراض الجسدية اضطرابات مزمنة في القولون والمعدة، الإرهاق المستمر، صداع مزمن دون اسباب واضحة.

-الأعراض النفسية: حزن، اكتئاب، فقدان الامل في كل شيء، قد يقدم على إيذاء نفسه او الانتحار.

-الأعراض المجتمعية: استمرار العزلة، مقاطعة الناس 5

ومع وجود هذه المراحل تباعا الا انه لا يوجد فواصل بين مرحلة واخرى وقد يحدث ان يمر الضغط النفسي الشديد كالأزمات الحياتية والصدمات بمرحلتها المقاومة والاجهاد، كما انه ليس بالضرورة ان تمر المواقف الضاغطة بكل المراحل السابقة فبعض الاحداث الضاغطة قد لا تتجاوز مرحلة الانذار ويعتمد ذلك على استعداد الفرد ونمط شخصيته وخبراته السابقة وحجم الموقف.

مصادر الضغوط

تنقسم مصادر الضغوط الى قسمين رئيسيين: 1 - مصادر الضغوط المهنية المتعلقة بالفرد تختلف الضغوط بحسب السمات والخصائص المميزة لكل فرد. فمن الممكن ان يتعرض الأشخاص لنفس الضغوط ومع ذلك لا يكون لها الأثر أولا المصادر الفردية المتعلقة بالفرد ومن هذه المصادر الذاتية:

1- مفهوم الذات: وهي تكوين معرفي موحد ومتعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتعميمات الخاصة بالذات أي كيف يرى الفرد نفسه إيجابيا ام سلبيا متفوقا ام ضعيفا كيف يحكم على مستوى ونوع ذكائه

10

ب - نمط الشخصية : تشير الى الخصائص والسمات التي تتوافر في تركيب وكيان الشخص بشكل عام فالشخصيات الحساسة انفعاليا او القلقة تتأثر سلبا بالمواقف الضاغطة فقد اشارت (دراسة حمودة 2006 الى انه كلما ارتفعت درجة سمة القلق كلما زاد شعور الفرد بالضغوط النفسية . 11

2 -مصادر متعلقة بالبيئة المحيطة بالعمل: عادة ما يكون للعوامل البيئية تأثيرات متعددة على الفرد والمنظمة وتشمل هذه العوامل:

1 -العوامل السياسيه تؤثر العوامل السياسية على حياة العديد من الأفراد ليس المقيمين بها فقط بل والمطلعين على هذه الاحداث يتعرضون للضغوط نتيجة تركيزهم عليها وانشغالهم بها . كما يحدث في حالات الكوارث

والحروب حيث يتعرض بعض الافراد الحساسين انفعاليا ممن يقعون خارج بيئات هذه الازمات -يتعرضون لحالات من الضغوط والمشكلات النفسية

2-العوامل الاقتصادية: و لها الدور الأكبر في تشتت جهود الانسان وضعف قدرته على التركيز والتفكير خاصة حينما تعصف بدول الازمات المالية، وينجم عنها عدم قدرة الأفراد على مسايرة متطلبات الحياة.

3 - العوامل الإجتماعية وهي تشكل حجر الأساس في التماسك الاجتماعي والتفاعل بين أفراد المجتمع ومعاييرهم وتحتّم على الفرد الالتزام بما. ويعد الخروج عنها خروجا عن العرف والتقاليد لذلك تصبح سببا في احداث

الضغط. ويتضح ذلك من نتائج الحركات الداعية لحقوق الانسان وقد تكون الأسرة مصدرا لبعض الضغوط بسبب توقعاتها من الفرد وقد تتعرض متطلبات الأسرة مع متطلبات العمل (12) نظريات الضغوط المهنية

نظرية هانز سيلبي يعتبر سيلبي من اشهر الباحثين في الضغوط ويرى ان الضغوط استجابة غير محددة للمتطلبات الواقعة على الفرد وهذه المتطلبات هي المسببة للضغط، والتي يمكن ان تنتج عن المواقف السارة أيضا، و تعد من العوامل الأساسية في اختلال التوازن النفسي للإنسان وقد ميز سيلبي بين نوعين من الضغوط وهما الضغوط السارة والضغوط المكدرّة 2

نظريه موراي: تهدف الى دراسة كل ما يثير السلوك ويدفعه باتجاه الهدف سواء كان نحو اشخاص او موضوعات معينة، وقد تلعب الضغوط المختلفة دورا مهما في عملية اشباع الحاجات او الابتعاد عنها كالضغوط العائلية او الاجتماعية والمادية وغيرها لأنه يرى ان كل من الحاجه والضغط يشكلان مفهومين محددتين للسلوك وما بينهما من تأثير متبادل فضلا عما تتركه عثرات الفرد وقدره على ربطها والتفاعل بين انواع الضغط المتمثلة بضغط بيتا الداله على الموضوعات البيئية وضغوط الفا الداله على خصائص تلك الموضوعات (31)

نظريه لازاروس :يعتبر ان الضغط نوع من التقييم الذهني و رد فعل من جانب الفرد للمواقف الضاغطة . ولا ينظر الى الضغط على انه حالة ناتجة عن مثير، و يرى ان الضغوط واساليب مواجهتها تكون نتيجة للمعرفة والإدراك والتفكير والطريقة التي يقيم بها الفرد علاقته بالبيئة 14

نظريه كشرود يرى كشرود ان للضغوط النفسية تدخل فيها كافة المتغيرات التي يحتمل توافرها في اي موقف وصنف اسباب الضغط الى خارجة عن بيئة العمل مثل الاسرة والمجتمع وأسباب داخلية مثل غموض الدور الوظيفي (15)

الاثار المترتبة على الضغوط المهنية

يواجه العامل العديد من أنواع الضغوط اثناء قيامه بعمله واذا ما استمرت وزادت عن القدر المعقول تركت اثرا سلبيا على الفرد وعلى المنظمة مما يعيق بلوغ الأهداف المرجوة للطرفين وهذا لا ينفي ان للضغوط نتائج فعالة، فقدر معين من الضغط يمكن ان يسهم في تحسين أداء الفرد وهذه الاثار هي :

الاثار الإيجابية

-التعاون وتضافر الجهود من اجل إيجاد حلول للمشكلات .

-زيادة الرغبة والدافعية نحو العمل

-تعزيز الشعور بالرضا الوظيفي

-انخفاض الغياب والتاخر ومعدل دوران العمل .

-تنمية الاتصال بين العاملين حيث تتطلب الضغوط المهنية زيادة في قنوات الاتصال واستخدامها بفاعلية

لمواجهة الضغوط (16)

الاثار السلبية للضغوط يترتب على الضغوط النفسية اثار سلبية تشمل :

-انخفاض الأداء: ان ارتفاع مستوى الضغوط عن المقدار المناسب او انخفاضه عنه له تاثير ضار على العامل

ويؤدي الى ضعف الأداء، كما ان مقدارا عال او منخفض من الضغوط قد لا يكون محفزا للاداء (17)

-التعب : عادة ما يصاحب الضغوط المرتفعة شعور بالقلق والضيق الشديد واضطراب في الحالة الانفعالية.

-مشكلات صحية : تعرض الفرد لاستنفار انفعالي يزيد عن قدرته على التحمل قد يصيبه بامراض خطيرة

مثل الصداع المستمر وامراض الكبد والرئة وعدم انتظام ضربات القلب وامراض الجهاز الهضمي المختلفة

وامراض ارتفاع ضغط الدم وزيادة الكولسترول 18

تتعلق الضغوط النفسية بادراك الفرد للمطالب التي يواجهها ومدى استعدادها للتعامل معها بشكل صحي

لذا لا تعتبر كل الضغوط ضارة او سلبية. بل ان قدرا من الضغوط يشكل حافزا للتفوق و جودة الأداء .

ويعزى اختلاف الاستجابات والاثار الناجمة عن الاحداث الضاغطة والى الفروق الفردية بين الأشخاص

المتعرضين لها والخبرات السابقة التي تكسب الفرد مرونة ورصيда في تطويع الضغوط لصالحه .

الدافعية

الدافعية حالة داخلية نجدها عند كل الافراد تؤدي الى استثارة سلوكهم وتعمل على استمرار هذا السلوك وتوجيهه نحو هدف معين .

تعرف الدافعية على انها حالة حاجة ناقصة تتطلب الاشباع ويظل الفرد متوترا حتى تشبع هذه الحاجة بدرجة معينة فاذا ما اشبع عاد التوازن الجسمي او الاجتماعي او الروحي الى درجة اعلى او اقل مما كان عليه 19

المفاهيم المرتبطة بالدافعية

ترتبط الدافعية بعدة مفاهيم مثل الحاجة والحافز والباعث

فيشير مفهوم الحاجة الى نقص في شيء معين يؤدي اشباعه الى استعادة التوازن لدى الفرد وبالتالي تسهيل توافقه.

اما الحافز فهو المنبه الداخلي الذي يثير الكائن الحي مما يسبب له توترا وضيقا يسعى الى القيام بسلوك معين لتخفيف حدة هذا التوتر او استعادة توازنه الفسيولوجي.

اما الباعث فهو الموضوع الخارجي الذي يوجه السلوك اما ناحيته او بعيدا عنه بناء على ما يحققه للفرد من اشباع ، مما يعمل على ازالة حالة الضيق او التوتر فباعث الطعام يقابل حافز الجوع والماء يقابل حافز العطش 20

مراحل الدافعية

يمر الدافع بثلاث مراحل تبدأ بقوة اوشدة الدافع لتصل الى مرحلة الاكتفاء او الاشباع وتنتهي بالاستقرار 1 - مرحلة الاحاح : يتسارع فيها معدل التوتر ويزداد ويكون الدافع واضحا في المجال الادراكي للفرد.

2 - مرحلة الاشباع : يتم فيها تحقيق الحاجة او اشباع الدافع وتتميز بدرجة من الاكتفاء او الرضى الذي يتعلق بأداء الفرد وسلوكه وتختلف من فرد لأخر ومن موقف لأخر، وهذا يعتمد على نوع الدافع وشدته كما يعتمد على مستوى طموح الفرد ومستوى نضجه .

3- مرحلة الاتزان : يتم فيها احداث تعادل بين البيئة الداخلية للفرد والبيئة الخارجية ، وفيها يصل الفرد الى حالة من الاستقرار النسبي المؤقت ثم يعود الدافع للنشاط مجددا . 21

تصنف الدوافع الى مجموعتين رئيسيتين هما :

الدوافع بيولوجية المنشأ او الدوافع الأولية و تتمثل في الحاجات الفسيولوجية التي يترتب على اشباعها استعداد التوازن البيولوجي للكائن الحي مثل الحاجة الى الطعام والشراب وحفظ النوع وتستثير دافع الجوع ودافع العطش ودافع الجنس على الترتيب. وتتصف هذه الدوافع بزيادة الدوافع بيولوجية المنشأ او الدوافع الأولية و تتمثل في الحاجات الفسيولوجية التي يترتب على اشباعها استعداد

التوازن البيولوجي للكائن الحي مثل الحاجة الى الطعام والشراب وحفظ النوع وتستثير دافع الجوع ودافع العطش ودافع الجنس على الترتيب. وتتصف هذه الدوافع بزيادة شدتها وحدتها وضرورة اشباعها ويزول اثرها بمجرد اشباع كما انها فطرية وموروثة ولا تختلف باختلاف النوع او العمر، ويصعب الاعتماد عليها في التعلم الانساني3.

ثانيا الدوافع سيكولوجية المنشأ او الدوافع الثانوية وهذه الدوافع متعلمة مكتسبة من الاطار الثقافي للفرد ولذا فان اساليب التعبير عنها واشباعها تختلف باختلاف الاطار الثقافي للفرد ومستوى تعليمه مستوى نضجه. ويمكن تقسيمها الي قسمين هما :ا- الدوافع الداخلية الفردية :تمثل اهم اسس التأهب العقلي و النشاط الذاتي التلقائي للفرد، و تقف خلف انجازاته الأكاديمية او المهنية . و تأثير الدوافع الداخلية الفردية على مستوى الاداء والانجاز الفردي يفوق تأثير الدوافع الخارجية الاجتماعية، ويندرج تحت الدوافع الداخلية دافع حب الاستطلاع دافع الكفاءة او المنافسة دافع الإنجاز.

ب - الدوافع الخارجية الاجتماعية : و هي دوافع مركبة تعبر عن نفسها في مختلف المواقف الانسانية وهي اجتماعية لانها متعلمة مكتسبة من المجتمع .ومن اهمها دافع الانتماء وهو دافع مركب يوجه سلوك الفرد لان يكون مقبولا في الجماعات و ان يكون محل اهتمام الاخرين وتقبلهم والحرص على تكوين علاقات جيدة معهم.

ج- دوافع القوة او السيطرة :وتتعلق بالميل الى السيطرة والتاثير في الاخرين ا مثل الشهرة وتولى المناصب القيادية22

نظريات الدافعية

لاقي مفهوم الدافعية اهتماما كبيرا من قبل العديد من علماء النفس الذين قاموا بتفسير الدافعية من وجهات نظر مختلفة باختلاف وجهات نظر العلماء عن الطبيعة الإنسانية. فلا توجد نظرية واحدة قادر على تقديم

صوره كامله عن مفهوم الدافعية لدي فقد تعددت النظريات التي فسرت الدافعية باختلاف الاتجاهات النظرية ومن هذه النظريات

1- النظرية الارتباطية : فسرت هذه النظرية الدافعية في ضوء نظريات التعلم ذات المنحى السلوكي اونظريات المثير والاستجابة وعرفت الدافعية بأنها الحالة الداخلية او الخارجية لدى المتعلم التي تحرك سلوكه نحو الهدف وتعمل على استمراره وصولا الى الهدف وفسرت هذه النظرية نظريه التعلم في ضوء قانون الاثريث يؤدي الاشباع الذي يلي الاستجابة الى تعلم هذه الاستجابات وتقويتها في حين يؤدي عدم الاشباع الى اضعاف الدوافع الكافية. كما اعتمدت على قوانين التعزيز والحرمان لسكتر .

2- نظريه التحليل النفسي ترى هذه النظرية ان سلوك الفرد محكوم بغريزي الجنس والعدوان كما تتعطي أهمية كبيرة لدور خبرات الطفولة المبكرة في سلوك الفرد مستقبلا . وترى بأن الدافعية عبارة عن استثارة داخلية لاستغلال

طاقات الفرد من اجل إشباع دوافعه، وقد اهتمت هذه النظرية بالدوافع اللاشعورية لتفسير مايقوم به الانسان من سلوك دون ان يكون قادرا على معرفة الدوافع الكامنة وراء هذا السلوك (20) النظرية الإنسانية :تعنى بتفسير الدافعية من ناحية علاقتها بدراسة الشخصية أكثر من علاقتها بدراسة التعلم ، ويعتبر ماسلو احد ابرز رواد هذه النظرية ويفترض ان الدافعية الإنسانية تنمو على نحو هرمي تبدأ من الحاجات الاساسية الفطرية وتنتهي بالحاجة الى تحقيق الذات وقد صنف الحاجات على نحو هرمي كالتالي :

الحاجات الفسيولوجية حاجات الأمن حاجات الحب والأنتماء حاجات احترام الذات حاجات المعرفة والفهم الحاجات الجمالية .

النظرية المعرفية

تؤكد على أن الإنسان مخلوق عاقل يتمتع بإرادة حرة تمكنه من اتخاذ القرارات المستقلة وتفسر الاحداث من خلال الادراك او التفكير او الحكم .. وعرفت الدافعية بأنها حالة استثارة داخلية تحرك الشخص المتعلم لاستثمار اقصى طاقاته في اي موقف تعليمي من اجل الحصول على المعرفة وتحقيق ذاته.

ومن امثلة النظريات المعرفيه نظريه العزونظرية التنافر المعرفي و نظريه القيمة المتوقعة ونظريات التوقعات وغيرها.

نظرية العزو

قدم برنارد وينر هذه النظرية واقترح ان الافراد يبحثون عن أسباب النتائج لانهم يرغبون في فهم وشرح تلك النتائج والتنبؤ بها مستقبلاو يتم البحث عن نتائج مهمة بخاصة عندما لا تكون النتيجة متوقعة (23)، ويعني بالاسناد عملية استنتاج أسباب الاحداث او السلوكيات ويقوم الفرد بعدة أنواع من العزو ابرزها :

1الاسناد بين الأشخاص: عند سرد قصة لاصدقائه يميل الفرد الى ان يروي احداثها بطريقة تضعه في افضل صورة ممكنة

2الاسناد التنبؤي : نحن نميل الى عزو الأشياء بطرق تضمن لنا تنبؤات مستقبلية .

3الاسناد التوضيحي : نقوم باستخدام سمات تفسيرية تساعدنا على فهم العالم من حولنا فيميل بعض الناس الى الأسلوب المتفائل بينما ميل البعض الاخر الى الأسلوب المتشائم ، فينسب الأشخاص ذوو الأسلوب المتفائل الأحداث الإيجابية الى أسباب مستقرة وداخلية وعالمية والاحداث لسلبية لاسباب غير مستقرة وخارجية ومحددة اما الأشخاص الذين لديهم أسلوب متشائم ينسبون الاحداث السلبية الى أسباب داخلية ومستقرة وعالمية واحداث إيجابية لاسباب خارجية ومستقرة ومحددة 24

نظرية التوقع

قدم هذه النظرية أريك فروم 1964 وترى ان درجة الدافعية للعمل تعتمد على عاملين هما : قيمة الحافز او أهميته بالنسبة للموظف وتوقعاته حول الجهد فالحوافز هي ما يتحصل عليه من مردود عند النجاح او الفشل في انجاز مهمة معينة قد تكون إيجابية او سلبية كزيادة الرواتب او قبول أوسع اجتماعيا وقد تكون الحوافز سلبية لمنع تكرار الخطاء كخصم الراتب ،اما العامل الثاني الذي يحدد مستوى الدافعية هو التوقعات حول الجهد والحوافز ويتكون من امرين :الأول معتقدات الفرد حول مستوى الأداء الذي يجب بذله والثاني توقعات¹

الفرد حول الحوافز التي سينالها .ويتعلق التوقع بقدرات الفرد وثقته بنفسه أي توقعاته حول اقصى مستوى اداء يمكنه تحقيقه ،اما الجزء الاخر فيتعلق بالمؤسسة او جهة العمل وان كانت ستقدم له الحوافز ام لا.ويرى فروم ان الدافع يتكون من ثلاث عناصر رئيسية وهي : التكافؤ والاداء والتوقع ويشير التكافؤ الى القيمة التي يضيفها الفرد على النتيجة المحتملة للأشياء التي يحتمل ان تحقق له منفعة شخصية لها قيمة منخفضة ،بينما تلك التي تقدم مكافئات شخصية قريبة لها تكافؤ اعلى ، ويشير الأداء ان الناس اذا توقعوا انهم

يلعبون دورا في النتيجة اذا بدا الحدث عشوائيا او خارج السيطرة فسيشعرون بدافع اقل لمتابعة مسار العمل هذا ومع ذلك فاذا ما لعب الفرد دورا رئيسيا في نجاح المسعى فسيشعر بانه له دور فعال في هذه العملية 25

الدافعية للإنجاز

ظهرت الدافعية للإنجاز في دراسات تولمان وليفين في الثلاثينات من القرن العشرين وتطورت على يد ماكلياندا واتكنسون وغيرهما، ويرى اتكنسون ان الدافعية للإنجاز تتعلق بمجال محدد وهو المجال الذي يعرف فيه الفرد ان أدائه سوف يتم تقييمه تقويما ذاتيا او من قبل الاخرين في ضوء معايير الامتياز وان نتائج افعاله سوف تقوم تقويما موجبا نجاح او تقويما سالبا اخفاق ويتوقف النجاح او الاحتمال الذاتي للنجاح والقيمة الحافزة على خبرة الفرد في المواقف الماضية المشابهة وهي متغيرات موقفيه متغيرة (26)

نظريات الدافعية للإنجاز

صاغ اتكنسون 1965 نظريه في الدافعية عرفت بنظرية الانجاز او التحصيل وقد اشارت الى ان النزعة للنجاح

هي استعداد دافعي مكتسب وحدد ثلاثة متغيرات ذات علاقة بالتحصيل وهي

- ا- دافع لإنجاز النجاح: يشير هذا الدافع الى اقدام الفرد على أداء مهمة بنشاط وحماس كبيرين لاكتساب خبرة النجاح الممكن، الا ان هذا الدافع يعتبر نتيجة طبيعية في دافع اخر وهو دافع تجنب الفشل.
- ب - دافع احتمال النجاح: الطالب الذي يرى النجاح المدرسي قيمة كبيرة تكون احتمالية نجاحه كبيرة فقيمة النجاح تعزز لديه دافعية التحصيل.

ج- قيمة باعث النجاح: كلما كانت المهمة صعبة وجب ان يكون الباعث أكبر قيمة للحفاظ على مستوى

الدافع الهام المرتبطة بواعث قليلة القيمة لا تستثير الفرد من اجل أدائها بدافعية عالية 25

نظرية ماكلياندا في دافعية الإنجاز والتي تعرف أيضا بنظرية انجاز الحاجة او نظرية الاحتياجات الثلاث فقد تطورت في بداية الستينات

وقد طور ماكلياندا نظريته بناء على نظرية هنري موراي 1938 للشخصية والتي قدمت نموذجا شاملا للاحتياجات البشرية والعمليات التحفيزية واقترح ماكلياندا ان هذه الحاجات المحددة للفرد يمكن اكتسابها بمرور الوقت وتشكل من خلال تجارب الحياة المبكرة للفرد وقد اقترح ان السلوك البشري تؤثر فيه ثلاثة احتياجات رئيسية وهي الحاجة الى القوة والحاجة الى الانتماء والحاجة الى الإنجاز.

الحاجة الى الإنجاز وهي الرغبة في الامتياز او الدافع للنجاح في أداء العمل، بمعنى ان يكون الفرد مدفوعا بالرغبة في إتمام أي عمل يقوم به 27
الحاجة الى النفوذ : هي الشغف ليكون الفرد قادرا على توجيه مواقف الآخرين وفقا لمتطلباته أي إدارة الآخرين وان يكون الفرد ناجحا.

الحاجة الى الانتماء : هي الرغبة في ان يكون الفرد ودودا ووديا في علاقات مترابطة .

ويتميز الاشخاص ذوي الحاجة المرتفعة للإنجاز بالصفات التالية:

- لديهم دوافع ذاتية وقادرون على المنافسة ويقبلون التحديات بشكل كبير.
- يبحثون عن فرص افضل دائما ويشعرون بالقوة تجاه تقييمات الشخصية.
- يحاولون ويعملون بجهد للحصول على الرضا الوظيفي من خلال تجويد الأداء.
- انهم يتحملون المسؤولية كاملة عن مشكلاتهم في بيئة العمل وقد اسماهم ماكلييلاند بالمقامرين او المجازفين لبحثهم عن الأهداف الصعبة وتحمل المخاطر المرافقة لها .
- انهم يبحثون عن وسائل إبداعية لاداء مهامهم وهم اكثر سعادة في تحقيق الأهداف ،ويعتبرون ذلك مكافأة وليس فوائد مالية ((27)

وتنطبق هذه النظرية على البيئات الاكاديمية وتشرح سبب كون بعض العاملين متفوقين برغم الصعوبات التي يواجهونها لانهم قد وضعوا لأنفسهم أهدافا عالية وتحقيق هذه الاهداف هو ما يدفعهم لمواصلة بذل الجهد ويرفع مستوى التحدي والماس لديهم (28)

قياس الدافعية للإنجاز

تصنف مقاييس الدافعية للإنجاز الى نوعين: المقاييس الاسقاطية والمقاييس الموضوعية

المقاييس الاسقاطية: وضع ماكلييلاند واخرون مقاييس تتكون من اربع صور اشتق بعضها من مقياس تفهم الموضوع لموراي وصمم البعض الاخر . كان يقوم الباحث بعرض صور على شاشة سينمائية لمدة 20 ثانية امام المفحوص ويطلب منه كتابة قصة من تلك الصور : ماذا يحدث ومن الأشخاص ما الذي أدى الى هذا الموقف الذي حدث في الماضي

ما محور التفكير المطلوب من قام بهذا ماذا يحدث وماذا يجب ان يعمل

كما قامت مانتشيار بتريتوم باستخدام مثيرا لفظية بما مجموعتين تقدم في جو استرخاء .

الاختبارات الموضوعية : قام الباحثون باعداد مقاييس موضوعية لقياس الدافع للإنجاز بعضها اعد لقياس الدافع للإنجاز لدن الاطفال مثل مقياس وينر و صمم بعضها لقياس الدافع للإنجاز لدى الكبار مثل مقياس مهربان للميل للإنجاز ومقياس لن ومقياس هومانز . 27

الفصل الثالث

الدراسات السابقة

يتناول هذا الفصل عرضا للدراسات لمتغير الضغوط يليه دراسات دافعية الإنجاز يعقبه التعليق على الدراسات السابقة

دراسات لمتغير الضغوط

دراسة يوسف جوادي 2006 مصادر ومستويات الضغط النفسي لدى الأستاذ الجامعي هدفت الدراسة الى التعرف على مصادر ومستويات الضغوط النفسية لدى عينة من أساتذة الجامعة بجامعة الاخوة منتوري الجزائر أجريت على عينة قوامها 322 استاذًا من جامعة تكونت أداة الدراسة من مقياس مصادر الضغوط توصلت النتائج الى وجود ارتفاع في مستوى الضغوط النفسية لدى عينة الدراسة بينما لبعض الأساتذة مستوى متوسط من الضغوط النفسية واطهرت فروق دالة احصائيا تبعا للنوع لصالح الذكور كما أظهرت فروق دالة إحصائيا تبعا لسنوات الخبرة لصالح الأساتذة ذوي الخبرة القليلة كمال تظهر فروق على الضغوط النفسية تبعا لنوع الكلية 29

دراسة نظمي ابو مصطفى 2011 الضغوط المهنية وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى المعلم الفلسطيني هدفت الى التعرف على العلاقة بين المهنية والرضا الوظيفي لدى المعلم الفلسطيني مع التعرف على الفروق المعنوية في الضغوط المهنية والرضا الوظيفي تبعا لمتغيرات النوع الاجتماعي نوع الدراسة، المؤهل العلمي، وسنوات الخدمة .تكونت عينة الدراسة من 330 معلما ومعلمة من معلمي مجتمع مدارس التعليم الحكومية ووكالة الغوث

للاجئين الفلسطينيين في محافظة خان يونس، استخدم الباحث مقياس الضغوط المهنية للمعلم الفلسطيني ومقياس الرضا الوظيفي .اظهرت النتائج وجود علاقة سالبة دالة بين كل من الدرجة الكلية لمقياس الضغوط المهنية تبعا لمتغيري المؤهل العلمي وسنوات الخدمة لصالح حملة درجة الدبلوم وسنوات الخدمة من سنة الى خمس سنوات .وبينت النتائج وجود فروق معنوية في الكلية لمقياس الرضا الوظيفي تبع متغيرات النوع

الاجتماعي نوع المدرسة والمؤهل العلمي لصالح الذكور، معلمي مدارس التعليم العام الحكومية ومعلماتها وحملة الدبلوم، بينما لم تظهر فروق في الدرجة الكلية لمقياس الرضا الوظيفي تبعا لمتغير سنوات الخدمة 30. دراسة دعو فاطمة ومزيان محمد 2018 الاجهاد المهني لدى أساتذة التعليم العالي هدفت الى التعرف على مستوى الاجهاد المهني لدى الأستاذ الجامعي بالمركز الجامعي احمد زبانه بلعيزان تكونت عينة الدراسة من 45 أستاذا جامعيامن تخصصات مختلفة. استخدم الباحث مقياس الإجهاد المهني. اشارت النتائج الى ان مستوى الضغوط المهنية متوسط لدى عينة الأساتذة الاختصاصيين بينما أظهرت مستوى مرتفع من الاجهاد المهني لدى الأساتذة الإداريين. كما أظهرت فروق دالة في العمر لصالح الاعمار الأصغر ولم تظهر فروق دالة احصائيا تبعا لمتغير النوع 31.

دراسات الدافعية الانجاز

دراسة عبداللوي نادية حشاني نوال 2013 تقدير الذات وعلاقته بدافعية الإنجاز لدى اساتذة التربية البدنية والرياضية هدفت الى التعرف على درجة تقدير الذات وعلاقته بدافعية الانجاز لدى اساتذة التربية البدنية، اجريت على عينة قوامها 30 استادا من اساتذة التربية البدنية تكونت اداة البحث من مقياس الدافعية للإنجاز ومقياس تقدير الذات، توصلت النتائج الى عدم وجود ارتباط بين التقدير السلبي للذات والتقدير الإيجابي للآخرين، كما لم تظهر ارتباط دال بين تقدير الذات السلبي وتقدير الآخرين مع دافعية الانجاز كما لم تظهر فروق في مستوى تقدير الذات الايجابي والتقدير الإيجابي للآخرين مع الدافعية للإنجاز 32.

دراسة قاجة. كلثوم 2018 دافعية الانجاز لدى معلمي التربية التحضيرية بالمدارس الابتدائية. هدفت الى التعرف على مستوى الانجاز لدى معلمي اقسام التربية التحضيرية بالمدارس الابتدائية تكونت عينة الدراسة من 99 معلما ومعلمة. تم استخدام مقياس دافعية الانجاز، اشارت نتائجها الى ارتفاع معدل الدافعية للانجاز كما لم تظهر فروق في الدافعية للانجاز تبعا لمتغير النوع ولم تظهر فروق في الدافعية للانجاز تبعا لمتغيرات سنوات التدريس والمؤهل العلمي 33.

دراسة كلود فؤاد يوسف 2018 درجة التزام المعلمين بروح الفريق وعلاقته بدافعية الإنجاز في المدارس الحكومية الأساسية في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين أنفسهم. هدفت الى التعرف على درجة التزام المعلمين بمبادئ روح الفريق في المدارس الحكومية الأساسية في محافظات شمال الضفة الغربية و معرفه درجه دافعيه الانجاز و اثر المتغيرات الديموغرافيا النوع العمر المؤهل العلمي سنوات الخبرة مكان السكن

التخصص والكشف عن العلاقة بين التزام المعلمين بمبادئ روح الفريق ودرجه دافعيه الانجاز لدى معلمي هذه المدارس شملت 390 معلما و معلمه تكونت اداه الدراسة من استبانة لجمع البيانات ،اظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية.في الدرجة الكلية لدرجه الالتزام على متغيرات النوع والعمر والتخصص بينما توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 05. في درجه الالتزام تعزى لمتغير النوع المؤهل العلمي سنوات الخبرة مكان السكن كذلك تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية.

في متغير دافعيه الانجاز تبعا للنوع العمر المؤهل العلمي مكان السكن التخصص بينما تبين وجود علاقة طردية بين درجه الالتزام بمبادئ روح الفريق و درجه الدافعية للإنجاز لدى المعلمين 34

الدراسات التي تناولت علاقة الضغوط المهنية بدافعيه الانجاز

دراسة مريم.عثمان 2010 بعنوان الضغوط المهنية وعلاقتها بدافعيه الانجاز لدى عينه من اعوان الحماية المدنية هدفت هذه الدراسة الى التعرف على طبيعة العلاقة الموجودة بين الضغوط المهنية ودافعية الانجاز لأعوان الحماية المدنية مع التعرف على الفروق المعنوية تبعا للمتغيرات العمر سنوات الخبرة ،تكونت العينة من حوالي مائه عون من اعوان الحماية المدنية تكونت ادوات الدراسة من مقياس الضغوط المهنية ومقياس الدافعية للإنجاز. توصلت النتائج الى وجود علاقة سالبة بين الضغوط المهنية ودافعية الانجاز، وجود علاقة ارتباطية سالبة بين الضغوط المهنية ودافع تجنب الفشل كما اوضحت النتائج ان الضغوط المهنية لا تتأثر بكل من العمر و سنوات الخبرة. 35

دراسة حنان قوراري 2014الضغوط المهني وعلاقته بدافعية الانجاز لدى أطباء الصحة العمومية استهدفت التعرف على مستويات الضغوط المهنية ودافعية الانجاز لدى اطباءالصحة العمومية وطبيعة العلاقة بين المتغيرين .تكونت عينة الدراسة من 20 طبيبا استخدم مقياس الضغوط المهنية ومقياس الدافعية للإنجاز والمقابلة .توصلت النتائج الى وجود مستوى مرتفع من الضغوط ومستوى منخفض في الدافعية للإنجاز ،كما أظهرت

وجود علاقة عكسية بين الضغوط المهنية والدافعية للإنجاز. 36

دراسة اولاد هدار. الشيخ 2016علاقة الضغوط المهنية بالدافعية للإنجاز لدى مستشاري التوجيه والارشاد المدرسي والمهني بمنطقة ورقلة. هدفت الى التعرف على علاقة الضغوط المهنية بالدافعية للإنجاز لدى مستشاري التوجيه والارشاد المدرسي والمهني تم تطبيقها على عينة قوامها 42 مستشارا ومستشارا بمنطقة ورقلة ،وقد تم الاعتماد على اداتي الضغوط المهنية والدافعية للإنجاز. توصلت النتائج الى وجود علاقة ارتباطية بين غموض الدور والدافعية للإنجاز لدى مستشاري التوجيه، وجود علاقة ارتباطية دالة بين عبء

الدور ودافعية الانجاز، وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين طبيعة العمل ودافعية الانجاز، وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين الترقية والتقدم الوظيفي ودافعية الانجاز لدى عينة الدراسة 37 دراسة هادف سومية 2018 الضغوط المهنية وعلاقتها بدافعية الانجاز لدى عمال الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي للعمال غير الأجراء في ام البواقي . هدفت الى التعرف على مستوى الضغوط المهنية لدى عمال الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي للعمال غير الاجراء والتعرف على مستوى دافعية الانجاز لدى العمال كما هدفت الى معرفة العلاقة بين الضغوط المهنية والدافعية للإنجاز اجريت على عينة قوامها 60 عاملا من عمال الصندوق الوطني للعمال غير الاجراء . تكونت اداة الدراسة من مقياس الضغوط المهنية ومقياس الدافعية للإنجاز من اعداد الباحثة توصلت نتائجها الى وجود علاقة دالة احصائية بين الضغوط المهنية وسلوك الإنجاز ووجود علاقة بين الضغوط المهنية وكلا من الاقبال على العمل ودافع الطموح ودافع المتابعة . 38

التعليق على الدراسات السابقة

أجريت الدراسات السابقة على عينات مختلفة من حيث التخصص والحجم فقد تراوحنا بين ال20 الى حوالي 400 فردا .

استخدمت أدوات مختلفة لجمع البيانات كالاستبيانات والاستمارات واختبارات المقننة واختبارات من اعداد الباحثين

توصلت الى نتائج مختلفة فيما يخص مستوى الضغوط المهنية فقد ظهرت مستويات مرتفعة في مستوى الضغوط المهنية لدى بعض الدراسات بينما ظهر مستويات متوسطة في بعضها ومنخفضة في البعض الاخر كما تبين وجود فروق دالة احصائية في مستوى الضغوط المهنية تبعا لمتغير النوع، العمر، سنوات الخبرة، التخصص، ولم تظهر هذه الفروق في دراسات اخرى تبعا لبعض هذه المتغيرات .

بالنسبة ل فقط توصلت الدراسات الى نتائج مختلفة فقد ظهرت مستويات مرتفعة في الدافعية للإنجاز في بعض الدراسات ومتوسطا في عدد اخر كذلك ظهرت فروق في مستوى دافعية الانجاز تبعا لمتغيرات مختلفة كالعمر والنوع وسنوات الخبرة ولم تظهر فروق تبعا لهذه المتغيرات في مستوى الدافعية لدى بعض الدراسات الأخرى .

بناء على الاستفادة من نتائج الدراسات السابقة لاحظت الباحثان قلة في عدد الدراسات التي تناولت عينة الاساتذة الجامعيين وبخاصة في مستوى الدافعية للإنجاز . كما ان الدراسات الارتباطية التي تناولت علاقة

الضغوط المهنية بالدافعية للإنجاز قليلة في البيئة المحلية - بحسب اطلاع الباحثين - مما يضيف أهمية على البحث من الناحيتين النظرية والتطبيقية .

الفصل الرابع الإجراءات المنهجية

تضمن الفصل الحالي الإجراءات المنهجية المتبعة في البحث والمتمثلة في منهج البحث ومجتمع البحث وعينة البحث والأساليب الإحصائية المستخدمة

منهج البحث تم استخدام المنهج الوصفي الارتباطي لأنه أكثر ملائمة لهذا النوع من الدراسات حيث يبحث في العلاقات الارتباطية بين المتغيرات .

مجتمع البحث تكون مجتمع البحث من 54 فرادهم جميع أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية قمينس منهم 31 ذكور و41 اناث .

عينة البحث

تكونت عينة البحث من 25 عضوا من هيئة التدريس بكلية التربية قمينس تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة منهم 1 من الذكور وعدد 14 من الاناث .

أداة البحث وخصائصها السيكمومترية

تم الاعتماد في جمع البيانات على اداتي البحث : مقياس الضغوط المهنية و مقياس الدافعية للإنجاز -مقياس الضغوط المهنية : من اعداد سامي حسن التائنة تكون من 30 فقرة وبعد عرضه على المحكمين تم حذف فقرتين لكي يتناسب مع بيئة المجتمع وقد تكون من خمس بدائل (غير موافق -اطلاقا -غير موافق -محايد- موافق جدا).

-مقياس الدافعية للإنجاز من اعداد شرقي رايح تكون من 30 فقرة وبعد عرضه على المحكمين تم حذف فقرتين ليتناسب مع عينة البحث ويتكون من خمس بدائل (غير موافق اطلاقا- غير موافق-محايد-موافق- موافق جدا).

الفصل الخامس عرض النتائج ومناقشتها

توصل البحث الى جملة من النتائج سيتم عرضها تبعا لتسلسل اهداف البحث
الهدف العام : معرفة العلاقة بين الضغوط المهنية ودافعية الإنجاز لدى عينة من أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية قمينس .

لمعرفة العلاقة طبقت معادلة ارتباط سيرمان حيث بلغ معامل الارتباط (-0.20) حيث تشير الى ان العلاقة بين المتغيرين علاقة عكسية ضعيفة .

والجدول التالي يبين تحليل النتائج .

جدول (1-2) يوضح مستوى الضغوط لدى افراد العينة وفقا لمتغير النوع

مستوى الدلالة	القيمة الاحتمالية	T	درجة الحرية	الاناث		الذكور		الضغوط المهنية
				متوسط	الانحراف	متوسط	الانحراف	
غير داله	0.7	1.6	23	0.9	0.1	2.4	0.7	

يتبين من الجدول فيما يتعلق بالفروق المعنوية للمستوى الضغوط المهنية وفقا لمتغير النوع وبناء على قيمة الدلالة (0.7) هي اكبر من مستوى الدلالة الإحصائية (0.05) مايعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية) وتتفق هذه النتيجة مع دراسة اولاد هدار الشيخ 2016 التي اشارت الى وجود علاقة سالبة بين الضغوط المهنية والدافعية للانجاز. وقد تعزى هذه النتيجة الى ان متغيرالضغوطالمهنية لا يتغير بحسب النوع إضافة الى ان مصادرالضغوط المهنية بالنسبة للذكور والاناث متقاربة حيث يقوم الاثنان بنفس المسؤوليات والاعباء ولهما نفس المزايا الوظيفية كالمرتب وفرص الترقيات أي ان ظروف العمل موحدة .

- الهدف الثاني: التعرف على الفروق في مستوى الضغوط المهنية لدى افراد العينة وفقا لمتغيرالعمر. تم استخدم تحليل التباين الأحادي لكون التصنيف أكثر من متغيرين ، والجدول التالي يبين تحليل النتائج .

مستوى الدلالة	القيمة الاحتمالية	T	درجة الحرية	الاناث		الذكور		الضغوط المهنية
				متوسط	الانحراف	متوسط	الانحراف	
غير داله	0.7	1.6	23	0.9	0.1	2.4	0.7	

يتبين لنا من الجدول (2-2) يوضح الفروق المعنوية في مستوى الضغوط المهنية لدى افراد العينة تعزى لمتغير العمر وبناء على مستوى الدلالة (0.8) وهي اكبر من مستوى الدلالة (0.05) مايعني عدم وجود فروق ولم تتفق هذه النتيجة مع دراسة فاطمة داعور التي أظهرت فروق في الضغوط المهنية عائدة للعمر لصالح

الاعمار الأصغر . وربما يرجع عدم وجود فروق في مستوى الضغوط بين المستويات العمرية المختلفة الى ان الضغوط النفسية لاتتأثر بالعمر فالإنسان يواجه ضغوطا مستمرة بدرجات متفاوتة مادامت لديه التزامات وابعاء وظيفية .

- الهدف الثالث: التعرف على الفروق في مستوى الضغوط وفقا لمتغير سنوات الخبرة .
- تم استخدام تحليل التباين الأحادي لكون التصنيف أكثر من متغيرين

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط التباين	T	القيمة الاحتمالية	مستوى الدلالة
بين المجموعات	0.2	2	0.1	0.1	0.9	غير داله
داخل المجموعات	19.0	22	0.9			
الكلية	19.4	24				

يتبين لنا من الجدول (2-3) ان مستوى الضغوط المهنية لدى افراد العينة تعزى لمتغير سنوات الخبرة وبناء على مستوى الدلالة (0.9) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) مايعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أعضاء هيئة التدريس تبعا لسنوات الخبرة وهذه النتيجة تتفق مع دراسة عثمان مريم (2010) التي لم تظهر لفروق في سنوات الخبرة . بينما لم تتسق مع دراسة نظمي ابومصطفى التي تظهر فروقا عائدة للخبرة على متغيرالضغوطالمهنية قد تعزى هذه النتيجة المناخ العمل الجامعي الذي يتميز بكثير المهام والمسؤوليات وتنوعها إضافة الى تزايد عدد الطلاب المسجلين عماما بعد عام وما يرافق ذلك من ادور جديدة .

- الهدف الرابع: التعرف على الفروق في دافعية الإنجاز لدى افراد العينة وفق لمتغير النوع .
 - تم استخدام اختبار (t) للعينات المستقلة في حالة التصنيف المتغيرين ، والجدول التالي يبين تحليل النتائج .
- جدول (2-41) يوضح مستوى دافعية الإنجاز لدى افراد العينة وفقا لمتغير النوع

مستوى الدلالة	القيمة الاحتمالية	t	درجة الحرية	الاناث		الذكور	
				متوسط	الانحراف	متوسط	الانحراف
غير داله	0.4	2	0.4	0.4	3.2	0.9	3.1
		3					

يتبين من الجدول فيما يتعلق بالفروق المعنوية للمستوى دافعية الانجاز وفقا لمتغير النوع وبناء على قيمة الدلالة (0.4) هي اقل من مستوى الدلالة الإحصائية (0.05) ما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية وهذا ما يتفق مع دراسة قاجة كلثوم (2018) ودراسة كلود فؤاد يوسف (2018) حيث للم تظهر فروق بين الجنسين في الدافعية للانجاز .

- الهدف الخامس: التعرف على الفروق في دافعية الانجاز لدى افراد العينة وفقا لمتغير العمر .
- تم استخدام تحليل التباين الأحادي لكون التصنيف أكثر من متغيرين ، والجدول التالي يبين تحليل النتائج .

جدول (2-5) يوضح مستوى ادافعية الإنجاز لدى افراد العينة وفقا لمتغير العمر

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط التباين	T	القيمة الاحتمالية	مستوى الدلالة
بين المجموعات	3.6	2	1.5	4.1	0.03	داله
داخل المجموعات	8.3	22	0.4			
الكلي	11.4	24				

يتبين لنا من الجدول (2-5) والتي يوضح الفروق المعنوية في مستوى دافعية الإنجاز لدى افراد العينة تعزى لمتغير العمر وبناء على مستوى الدلالة (0.03) ما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أعضاء هيئة التدريس في مستوى دافعية الإنجاز لمتغير العمر حيث تم حساب الفروق بين إجابات افراد العينة بين (30-40) و(41-50) و(50 فما فوق) تم استخدام اختبار شففيه وكان لصالح الفئة العمرية من (30-40) وهذا على عكس ماتوصلت اليه دراسة طشة كلود فؤاد (2018) . قد تعزى هذه النتيجة لما تتميز به هذه المرحلة العمرية التي تعد مرحلة الإنتاج والنشاط تتميز بالقدرة على التحدي ومواجهة الصعاب وارتفاع معدل الطموح والعتاء، إضافة الى حداثة توظيف البعض من افرادالعينة في التدريس الجامعي يشكل دافعا قويا للانجاز.

- الهدف السادس: التعرف على الفروق في مستوى دافعية الانجاز لدى افراد العينة وفقا لمتغير سنوات الخبرة تم استخدام تحليل التباين الأحادي لكون التصنيف أكثر من متغيرين
- جدول (2-6) يبين تحليل النتائج المتغير سنوات الخبرة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط التباين	T	القيمة الاحتمالية	مستوى الدلالة
بين المجموعات	2.1	2	1.0	24	0.1	غير داله
داخل المجموعات	9.3	22	0.4			
الكلي	11.4	24				

يتبين لنا من الجدول (2-6) ان مستوى دافعية الانجاز لدى افراد العينة تعزى لمتغير سنوات الخبرة وبناء على مستوى الدلالة (0.1) وهي اقل من مستوى الدلالة (0.05) مايعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أعضاء هيئة التدريس وهذه النتيجة اتفقت مع دراسة قاجة كلثوم (2018) و.ربما يعزى هذا الامر الى البيئة الجامعية حيث ان عدم وجود الدعم الكافي خاصة لفترات زمنية ليست بالقصيرة كما ان الإنجازات غير المعززة وتباعد فرص الترقيات وعدم تقدير الأساتذة المتميزين قد يكون احد أسباب انخفاض دافعية الانجاز لدى الافراد من 41- الى ما فوق الخمسين عاما .

التوصيات والمقترحات :

1. الاهتمام بالعوامل التي تسهم في رفع درجة الدافعية للإنجاز لدى أعضاء هيئة التدريس وذلك من خلال الحوافز المعنوية والمادية وتكريم المميزين من اعضاء هيئة التدريس .
2. العمل على توفير الإمكانيات والمستلزمات التي تساعد على أداء أعمالهم بكفاءة .
3. الاستعانة بالخبراء والاستشاريين للاستفادة منهم في التعرف على اهم المصادر المسببة لضغوط المهنية وطرق التعامل معها وكيفية مواجهتها .
4. اغناء الاعمال التي يؤديها أعضاء هيئة التدريس وذلك من خلال تنوعها والتقليل من الاعمال الروتينية وتحسين جودة الحياة الوظيفية لديهم .
- 5- اجراء دراسات للتعرف على مصادر الضغوط لدى الأستاذ الجامعي .
- 6- اجراء دراسات للكشف عن العوامل المؤثرة في الدافعية للانجاز لدى اساتذة الجامعة

قائمة المراجع

- 12- احمد إبراهيم أحمد . (1990) ، الإدارة التربوية و الإشراف الفني ، دار الفكر العربي .
- 21- يحي ، مصطفى حسين وشلي ، امينة إبراهيم (1998)الدافعية نظريات وتطبيقات ، مركز الكتاب للنشر :مصر الجديدة .
- 24- جابر .عبد الحميد جابر (1988) مدخل لدراسة السلوك الإنساني ، دار النهضة :القاهرة .
- 11- حمودة. ايت حكمة . دور سمات الشخصية واستراتيجيات المواجهة في تعديل العلاقة بين ضغوط نفسية والصحة الجسدية والنفسية رسالة دكتوراة . جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
- 36- دراعو فاطمة و مزيان محمد 2018 الاجهاد المهني لدى اساتذة التعليم العالي مجلة اقتصاديات المال والاعمال العدد السادس جوان :الجزائر
- 6- الراشدي. هارون توفيق . ب. ت . الضغوط الإدارية الظاهرة وأساليب العلاج . مكتبة مدبولي : القاهرة .
- 10- سلامة . عبد الحافظ (2006) علم النفس الاجتماعي . دار النشر العلمية للنشر والتوزيع : عمان .
- 37- الشيخ أولاد هدار . 2017 علاقة الضغوط المهنية بالدافعية للإنجاز لدى مستشاري التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني ن جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية .
- 38- سومية هادف 2018 الضغوط المهنية وعلاقتها بدافعية الإنجاز لدى عمال الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي للعمال غير الاجراء . جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الاجتماعية .
- 7- عبد الباقي . صلاح الدين (2004) السلوك الفعال في المنظمات ، الادار الجامعية :مصر .
- 15- عبد الرحمن . توفيق (2004) مدير في مواجهة ضغوط العمل مركز الخبرات المهنية للإدارة : القاهرة .
- 27- عبد اللطيف محمد خليفة 2000 الدافعية للإنجاز . دار غريب : طباعة والنشر والتوزيع : القاهرة .
- 2 عبد المعطي . حسن مصطفى (1994) ضغوط أحداث الحياة وعلاقتها بالصحة النفسية وبعض متغيرات الشخصية . جامعة الزقازيق ، مصر .
- 32- عبد اللاوي نادية . 2014 تقدير الذات وعلاقته بالدافعية للإنجاز لداساتذة التربية البدنية والرياضية بالطور الثانوي . رسالة ماجستير . جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي معهد التربية البدنية .
- 18- عبد الوهاب . علي محمد . . (1982) مقدمة في الإدارة . المكتبة الإسلامية : الرياض
- 13- عثمان . فاروق السيد (2001) القلق وإدارة الضغوط النفسية زدار الفكر العربي .
- 3- عثمان . مريم (2010) الضغوط المهنية وعلاقتها بدافعية الإنجاز لدى أعوان الحماية المدنية .
- 17- عكاشة . محمود فتحي (1999) علم النفس الصناعي ، مصر .
- 5- غانم ، حمد حسن (2009) كيف تهرم الضغوط النفسية السلسلة الطبية العدد 293 أغسطس ، القاهرة دار : اخبار اليوم .

- 4- كشرود .عمار الطيب (1994) معجم مصطلحات علم النفس الصناعي والتنظيمي والإدارة ، دار نشر الوطنية .
- 19- الفلغلي ،هناء حسين ،(2013)علم النفس التربوي عمان ، دار كنوز .
- 33- قاجة كلثوم 2018 دافعية الإنجاز لدى معلمي أقسام التربية التحضيرية بالمدارس الابتدائية مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية . جامعة قاضي مبراح ورقلة .العدد34مايو .
- 34- كلودفؤاد طشبية 2018 درجة التزام المعلمين بمبادئ روح الفريق وعلاقته بالدافعية للإنجاز في المدارس الحكومية الأساسية في محافظات شمال الضفة الغربية من وجهة نظر معلميهـم .رسالة ماجستير منشورة .جامعة النجاح الوطنية :كلية الدراسات العليا .
- 16- ماهر . احمد ((2003) السلوك التنظيمي ، الدار الجامعية والتوزيع ، القاهرة .
- 25- المحاسنة .محمد سلامة (2019)بحوث جامعية في الاقتصاد.. post.unvmooha.com
- 35- مريم ، عثمان 2010 ، الضغوط المهنية وعلاقتها بدافعية الإنجاز أعوان الحماية المدنية ، دراسة ميدانية على أعوان الحماية المدنية بالوحدة الرئيسية ، بسكرة
- 26 موسى ، عبدالعزيز (1994)علم النفس الدافعي ، دار النهضة العربية : القاهرة .
- 14النعاس . عمر مصطفى محمد .(2008) الضغوط المهنية وعلاقتها بالصحة النفسية ، جامعة 7 أكتوبر .
- 20النجيمشي .عبدالعزيز ، (2011)علم النفس الدعوي ، دار المسلم للنشر والتوزيع ، الرياض ط 3.
- 29- يوسف جودادي 2006مصادر ومستويات الضغط النفسي لدى الأستاذ الجامعي رسالة ماجستير منشورة . كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية قسم التربية وعلم النفس :الجزائر .
- المراجع الأجنبية
- daren keven(2018 .14-2).education statenuvirsiy. Com22
- Ckndra shira 2018 -24-1verywellmind. Com23
- Roben m badupy(2017 44-54) motivational theories their applications inorganizations ternational journal of and development 28

الفكر الديني والشعبي بين الحقيقة وتزييف الوعي

في العراق والعالم (جائحة كورونا نموذجا)

أ.د. دكتور حسين عودة هاشم النور أ.م.د. جعفر عبد الدائم ببيان المنصور

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التأريخ

قسم اللغة العربية

almansuorgafar@gmail.com

husain_alnoor@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/04 تاريخ التحكيم: 2020/10/15 تاريخ النشر: 2020/11/15

ملخص

عرف الخطاب الديني في التعامل مع الاوبئة بالموضوعية والاختذ بالاسباب بعيدا عن الخرافة والاساطير، أما في العصر الحديث وفي جائحة كورونا تحديدا نجد ان التعامل انقسم الى شقين الاول : التعامل العقلاني الذي اخذ بالاسباب والمسببات الطبيعية التي اودعها الله في خلقه لهذه الحياة مبتعدين عن كل ما هو غيبي بأستثناء التوكل على الله والدعاء والتضرع له بان يخلص العالم من هذا الوباء من خلال الهداية الى الاسباب التي تؤدي الى الخلاص مبتعدين كذلك عن الخرافات والاساطير او محاولة تأويل النصوص الدينية بعيدا عن الواقع فتعاملوا مع الجائحة من خلال الاعتماد على التعليمات الصحية فمنعوا التجمعات ومنها منع اقامة صلاة الجمعة والجماعة في المساجد عند المسلمين ومنع الطقوس الجماعية في الديانات الاخرى

الشق الثاني : تعامل مع الجائحة خلاف الخط الاول بل اعترض على الخط الاول ووظف النص الديني توظيفاً خاطئاً وفي الخصوص في التعامل مع ما يتعلق باضرحة الائمة عليهم السلام مما دفعهم الى دعوة الناس للخروج وعدم الاعتداد بالتعليمات فالفايروس لا يصيب المؤمنين كما يعتقد اصحاب هذا الاتجاه وان قراءة بعض الادعية او الاذكار كفيل بالخلاص من الفايروس وقد وجدنا هذا الاتجاه موجودا في جميع الديانات فلم يقتصر على ديانة دون اخرى او مذهب دون اخر . والقارئ سيجد كل ذلك مفصلا بالبحث

الكلمات المفتاحية : كورونا ، الخطاب الديني ، الوباء ، الوعي الشعبي ، الحجر المنزلي

Th religious thinking between reality and the forgery of facts the corona virus as an example

Prof. Dr. Hussein Odeh Hashem Al-Nur

Prof. Dr. Jaafar Abdul-Daem Bunyan Al-Mansou

Basra University / College of Education for Human Sciences

Iraq

husain_alnoor@yahoo.com

almansuorgafar@gmail.com

Abstract

The religious discourse is well-known for dealing objectively with epidemics; taking reasons into consideration away from superstitions and legends. In the present time and concerning the Covod-19 pandemic, we realize that this discourse is two folded. The rational one which takes the natural causes into consideration. These causes are created by God Himself. In this case they are away from spiritual considerations except the prayer and begging God to save the world from this pandemic. Moreover, this part doesn't believe in superstitions or religious-text interpretation. Actually, they deal with the pandemic according to the health instructions so, they prevent any gathering including the Friday prayer in mosques in Muslims in addition to any other ritual ceremonies in other religions.

The other group deals with the pandemic on the contrary to the first one by employing the religious text in a wrong way. Especially in dealing with the Holy shrines of Imams (PBUT). They call people to go out and visit these shrines because the virus doesn't infect the believers. Reading some prayers is enough to attack the virus. This orientation is found in all the religions and creeds. More details are found in the paper.

المقدمة

يبقى الانسان دائما بحاجة الى السلطة الكاملة والمتنفذة والمتحكمة في هذا الكون وهي سلطة الاله ولذلك نجد يهرع اليه كلما المت به مصيبة ، فالله سبحانه وتعالى هو ملاذنا الاول والاخير ولكن كيف يمكن للانسان ان يتوجه الى الله وكيف يميز بين ما هو الهى وبين ما هو طبيعي وهل هنالك علاقة بين الالهى وبين العقلي ، يكون ذلك من خلال الخطاب الديني الذي يتلقاه من رجال الدين والذي يعتقد بهم ان خطابهم يمثل خطاب الاله لا شك ان للخطاب الديني الدور الكبير في تقديم الحلول في القضايا التي يتعرض لها المجتمع وفي الخصوص عند تعرضه لمشكلة كبرى او بلاء عظيم وهكذا يبقى الانسان يجول في فكره بين خطوط الخطاب الديني بين من يقربه للواقع وبين من يربطه بالعالم الميتافيزيقي والاسطوري .ولتوضيح تلك الاشكالية في الخطاب وما نتج عنها من اثار سلبية على المجتمع حاولنا في بحثنا هذا الخوض في تلك الاشكالية محاولين تلمس الفكر الحقيقي من المزيف . ولذلك سيقسم البحث الى مبحثين درس الاول الخطاب الديني العقلاني مشيرا الى اهم مرتكزات ذلك الخطاب محليا عربيا ودوليا. اما المحور

الثاني فقد تطرق الى الخطاب الديني غير الواقعي والذي حاول تزييف الوعي بدل من ايجاد الحلول للمشكلة وحاول البحث ان يبين مدى تاثير كل من الخطابين في المجتمع

المبحث الاول : الخطاب الديني العقلاني / الواقعي في مواجهة جائحة كورونا

عرف الخطاب الديني في التعامل مع الاوبئة في عصر الرسول عليه واله السلام بالموضوعية والاخذ بالاسباب الطبيعية والروحية البعيدة عن الخرافة فلو بحثنا في كتب الحديث عن اقوال للرسول عن الطاعون وهو بلاء ووباء كان يضرب الناس لوجدنا الكثير من الاحاديث منها ما نقل عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ عَذَابٌ يُعَذِّبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَفْعُ الطَّاعُونَ، فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ".⁽¹⁾

فلو تأملنا في احاديث النبي صلى الله عليه واله وسلم نجد فيها بعدد البعد الاول البعد الديني العقائدي اذ جعل من يموت بالطاعون شهيدا ولاحظ ان الشهادة منحها لمن يصاب به ويبقى في بلده (، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَفْعُ الطَّاعُونَ، فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ) فأذن اجر الشهيد لن يناله الا اذا مكث وهو صابر محتسب وفي هذا اشارة الى اتخاذ الاجراءات الوقائية من انتقال المرض الى مكان اخر فالمصاب الذي اصيب في الطاعون او الوباء في بلد ما عليه ان يبقى مكانه كي لا ينقل المرض الى مكان اخر وكذلك الرسول اعطى المصاب دافع معنوي تقويه على مواجهة المرض وتمكن المناعة في من خلال رفع الروح المعنوية لديه عندما قال (وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) فقله هذا يقوي المؤمن ويصبره على البقاء في مكانه والرسول بهذا يزيل القلق عن نفوس الناس لان القلق هو اساس انتشار الوباء او هو سبب رئيس من اسبابه لانه يخلق في النفس اضطرابا وقد يؤدي الى حوث فوضى وخروج الناس جماعات الى الشارع مما يؤدي الى انتقال الوباء بين الافراد بسرعة كبيرة يقول عالم النفس سيغموند فرويد "القلق هو المادة الخام لكل الأمراض النفسية"⁽²⁾.

ولا بد هنا من التساؤل، لماذا يأمر الرسول الناس بالبقاء في اماكنهم اذ يقول (صلى الله عليه واله) (اذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، واذ وقع بأرض وانتم فيها فلا تخرجوا منها)⁽³⁾ فمن الممكن ان يصاب من هو غير مصاب اليس في هذا ظلم لهم ؟ نعم كان من الممكن ان تكون الاجابة على هذا التساؤل بالاجاب في القرون السابقة

اما الان فهناك أكثر من رأي فالاول هو ان العلم اكتشف ان الفايروس او أي وباء له فترة حضانة قد لا يبدو على الشخص الاصابة في وقتها فعندما ينتقل ينقل المرض معه الى ذلك البلد والثاني ان بعض الاشخاص قد يكونوا ناقلين للمرض من دون ان تظهر عليهم اعراضه ولذلك منع الهجرة من بلد المرض الى بلد اخر وهذا ما يسمى بالحجر الصحي في وقتنا هذا .والذي لم يكن معروفا حتى اواخر القرن التاسع عشر الميلادي عندما أكد عليه مؤتمر الصحة الدولي المنعقد في باريس سنة 1894 (4)

ويبدو ان موجة طاعون عمواس، هي اول الموجات الطاعونية التي شهدتها الاسلام (5) ذكر أن المسلمين تحركوا في إطار قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون: إذا سمعتم به بأرضٍ؛ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ، وأنتم بها؛ فلا تخرجوا فراراً منه، لاحظ ان الرسول هنا تعامل مع المرض ضمن الاسباب الطبيعية فأمر المسلمين بعدم الخروج من بلد اصيب بالطاعون وعدم الدخول اليه وقد اشرنا الى الاسباب التي ظهرت لنا بعد الف واربعمئة عام وما قاله الرسول صلى الله عليه واله وسلم هو عينه الحجر الصحي وقد عمل الصحابة بذلك في موجة طاعون عمواس التي حدثت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب فالرسول عندما حدثت الاوبئة في زمانه تعامل معها بأسبابها ولم يقل اني رسول الله ولا تصيبي العدوى وكان الرسول واهل بيته عليهم السلام يلجأون الى الطبيب عندما يصابوا بمرض ولم يكتفوا بالدعاء او قراءة القرآن وانما كانوا يتقون على المرض بالدعاء والقران ولان الشافي الحقيقي هو الله مع توفر اسباب الشفاء التي وضعها الله تعالى ومن ذلك يتضح ان الرسول اعطى اهمية كبيرة لحياة الانسان والزام الحفاظ عليها والذي هو منطلق قراني ومن هذا المنطلق تعامل فريق من الفقهاء مع فيروس كورونا بأعتباره جائحة او وباءً كما امر الرسول صلى الله عليه وأله وسلم ووفق منطلق عقلي فقدموا خطابا يتوافق مع الحقائق العلمية مبتعدين عن كل ما هو غيبي او خرافي او اسطوري فأمروا اتباعهم بالالتزام بالتعليمات الصحية التي تصدرها الجهات المختصة محاولين الحفاظ على ارواح الناس لذلك امر بالحجر الصحي والزام الناس بالبقاء بالبيوت بل جعل من يخرج ويصاب احد بسببه عليه دية وضمان علاجه كما سيتضح

اولا: السيد علي السيستاني (حفظه الله) (6)

عرف السيد علي السيستاني ادام الله ظله الوارف بحكمته وورعه فهو الذي طالما اخرج العراق من ازمات كثيرة وله اتباع كثر في العراق والعالم لذلك لما بدأ فايروس كورونا بالتفشي في البلاد وبعد ان اثبت اهل الاختصاص خطورته، تدخل بشكل مباشر من خلال الفتاوى التي قدمها لتنظم تعامل الناس مع هذا الفايروس ومنها التشديد ، على اتخاذ الإجراءات الوقائية من الوباء، ودعوته العراقيين إلى عدم الاستهانة بالفيروس، كما ألغت المرجعية الصلوات الجماعية في المراقد المقدسة وبيوت الله، بعد ان وجه سؤال " لمعرفة رأي سماحته حول المشاركة في صلاة الجماعة في

هذه الأيام التي تشهد انتشار فيروس كورونا؟ فأجاب مكتب السيد السيستاني بالقول: "حيثما مُنعت مثل هذه التجمعات بهدف الحد من انتشار فيروس كورونا، فيجب الالتزام بهذا المنع و منع أي تجمعات تمنعها الدولة للحد من انتشار فيروس كورونا، معتبرا أن من يحمل الفيروس ويتنقل مع علمه بإصابته "قاتل متعمد"، كما أعلن وقف إقامة صلوات الجماعة في المساجد والالتزام بمنع التجمعات⁽⁷⁾

وفقا لما تقدم أعلنت السلطات الدينية في مدينة كربلاء المقدسة بعدها إغلاق مقام الإمام الحسين عليه السلام الذي تقام فيه عادة صلاة الجمعة، لكن الصحن الذي يصل مرقد الإمام الحسين وأخيه العباس، بقي مفتوحا أمام الزوار⁽⁸⁾

ومثلما لزم السيد السيستاني وجوب اتباع التعليمات كذلك التفت الى واجب الدولة والطبيب في الازمات معطيا دفعة معنوية للأطباء فأكد سماحته في، يوم الثلاثاء (17 آذار 2020)، أن "على السلطات المعنية، أن توفر كل المستلزمات، الضرورية لحماية الأطباء والمشرفين على رعاية وعلاج مرضى كورونا من مخاطر الإصابة بالمرض ولا عذر لها في التخلف عن ذلك وأضاف السيد السيستاني في بيان، أنه "لا شك في أن ما يقوم به هؤلاء، عمل عظيم وجهد لا يقدر بثمن، لعله يقارب في الأهمية مرابطة المقاتلين الأبطال في الثغور، دفاعاً عن البلد، وأهله وتابع السيد السيستاني، أنه "يرجى لمن يضحى بحياته منهم، في هذا السبيل، أن يثبت له أجر الشهيد، ومكانته يوم الحساب⁽⁹⁾

فضلا عما تقدم فان السيد السيستاني لم يكن رجل الدين الوحيد بالعراق الذي افتي بذلك بل افتي بذلك رجال دين اخرون اوجبوا الالتزام بالتعليمات الصادرة من الجهات المعنية وايقاف صلاة الجماعة والشعائر ومنهم الشيخ اليعقوبي حيث صرح في يوم الاحد 20 رجب الاصب 1441 الموافق 15 /3/ 2020 ببيان فيما يلي نصه

بسمه تعالى

(نحث على الالتزام بكل التعليمات التي تؤدي الى تطويق الوباء ومنع انتشاره حفظاً للنفس والمجتمع من أضراره وقد نعى النبي (صلى الله عليه واله) عن كل فعل يلحق الضرر بالنفس او المجتمع لقوله (صلى الله عليه واله): (لا ضرر ولا ضرار)، وان يبادر الشخص الذي تظهر عليه اعراض المرض والعياذ بالله او كان في دولة موبوءة الى اعلام الجهات الصحية المختصة لاتخاذ التدابير اللازمة. ومن تسبب في الحاق الضرر بالآخرين فعليه الدية وتكاليف العلاج)⁽¹⁰⁾ وكذلك قرر ديوان الوقف السني، الاثنين (16 آذار 2020) تعليق الصلاة في المساجد والجوامع ضمن اجراءات الوقاية من فيروس كورونا⁽¹¹⁾

ثانيا : على المستوى الدولي :

هذا على المستوى المحلي اما على المستوى الدولي فمن المواقف التي جاءت متناغمة مع الحقائق العلمية والداعية الى إيقاف الشعائر والالتزام بالحجر المفروض من الجهات الصحية

أ- عربيا :

قرار السلطات السعودية بغلق الحرم المكي وإيقاف صلاة الجماعة وتعليق العمرة الذي يعد قرارا غير المسبوق. فالقرار الخاص بالكعبة قرار استثنائي بكل المقاييس وبعث برسالة واضحة لكل مسلمي العالم بشأن التعامل مع الوباء القاتل اما دوليا فأصدرت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية قرارا بحظر الصلاة في المساجد اعتبارا من 17 اذار 2020، في إطار جهود احتواء وباء كورونا، لكنها استثنت الحرمين الشريفين.

وقالت وكالة الانباء السعودية إن الهيئة "أصدرت قرارها رقم (247) بشأن إيقاف صلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المساجد والاكتفاء برفع الأذان (12) ثم بعد ذلك قررت اغلاق المسجد الحرام في مكة والمسجد النبوي في المدينة(13) بعد انتهاء صلاة العشاء بساعة وإعادة فتحهما قبل صلاة الفجر بساعة. وكذلك كانت السلطات السعودية سبق وان قررت في 4 اذار 2020 تعليق العمرة "مؤقتا للمواطنين والمقيمين" في المملكة خشية وصول فيروس كورونا الجديد إلى المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة، بعد نحو أسبوع من تعليقها للمعتمرين الوافدين(14).

وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها إخلاء الحرم المكي والمسجد النبوي من المعتمرين في هذا الوقت من السنة. وبذلك تنضم السعودية إلى العديد من الدول العربية التي حظرت الصلاة في المساجد تفاديا للعدوي في ظل انتشار فيروس كورونا. وفي لبنان أ صدر العلامة السيد علي فضل الله بيانا أعلن فيه "التوقف عن إقامة صلاة الجمعة والجماعة في مسجد الحسين في حارة حريك، إضافة إلى كافة المساجد التي تشرف عليها مؤسسات العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، وذلك في إطار الوقاية من فيروس كورونا(15)

وكذلك ذكرت وسائل الإعلام الجزائرية الرسمية، الثلاثاء، أن وزير الشؤون الدينية والأوقاف يوسف بلمهدي أعلن تعليق صلاة الجمعة والجماعة وغلق كل المساجد ودور العبادة بأحاء البلاد مع الإبقاء على شعيرة الأذان بسبب انتشار فيروس كورونا(16)

ب- اوربيا

اتخذت غالبية الدول الاوربية اجراءات وقائية للحد من انتشار فيروس كورونا في بلدانها، اذ كان في مقدمتها ألمانيا، التي أعلن عن عدة مبادرات في الاتجاه نفسه ، من بينها دعوة المجلس الأعلى للمسلمين إلى تعليق إقامة

الصلوات في المساجد وأدائها في المنازل إذا لزم الأمر، وذلك بعد التشاور مع علماء دين وخبراء في الصحة الوبائية وناشد المجلس الجمعيات الإسلامية المحلية تجنب تنظيم فعاليات كبرى في المساجد في المستقبل القريب، تجنباً لانتشار الفيروس. وأكد المجلس أن تعليق إقامة صلاة الجمعة وصلوات أخرى في المساجد لأجل اعتبارات تتعلق بالوقاية الصحية أمر يُبيحه الإسلام. (17)

وكذلك ألغى أساقفة الكنسية من مختلف الجنسيات المؤتمرات واللقاءات التي كانت مبرمجة قبيل انتشار الفيروس. كما أعلنت دولة الفاتيكان إغلاق كاتدرائية وساحة القديس بطرس أمام السياح حتى الثالث من نيسان / أبريل 2020 في إطار الاجراءات الهادفة الى وقف انتشار فيروس كورونا المستجد. (18) وفي الولايات المتحدة الأمريكية أفلت العديد من الكنائس والمعابد اليهودية أبوابها كما ألغى اليهود إحياء عيد المساخر "بوريم" الذي يشبه إلى حد كبير احتفالات الكرنفال. وفي الهند الغي مهرجان "هولي" الهندوسي للألوان للأسباب نفسها (19) وهكذا نجد ان الاديان جميعها اتفقت على ايقاف الشعائر الدينية والتي تعد خطا احمر. ذلك الاتجاه الذي ابتعد عن تسفيه العقول او تزوير الحقائق لمصلحة ما او لقناعات شخصية .

المبحث الثاني /الخطاب الديني غير الواقعي/ الانفعالي في مواجهة جائحة كورونا

تنوعت ردود الافعال الشعبية والدينية منها في الخصوص حول اتخاذ موقف تجاه جائحة كورونا وقد تحدثنا في المبحث الاول عن المواقف المعتدلة بعيدة عن الخرافة والاساطير الشعبية والمجتمعات غالبا ما تلجأ الى الاساطير والخرافات لايجاد اسباب وعلل لما يحدث لها او لايجاد طريقة للتخلص مما يصيبها من مشاكل وفي الخصوص اذا لم يكن لها علاج محدد كما هو الان في جائحة كورونا وفي هذا المبحث سنسلط الضوء على بعضها وفي الاتجاهين الشعبي والديني وسنعمد الى تقسيم الاراء كما فعلنا بالمبحث الاول

اولا: محليا (في العراق) :

رغم صدور الفتاوى والتعليمات بخصوص جائحة كورونا من بعض رجل الدين وكانت تدعو الناس الى التعامل معها بتعقل وسماع صوت العقل والعلم واهل الاختصاص الا انه في المقابل كان هناك تيار اخر معاكس لتلك الاراء ومهاجماً اصحابها اذ اتهمهم بضعف الالتزام الديني ، وحاول ذلك الخط ان يمزج بين ما هو عقائدي ديني بما هو طبيعي يسري بالاسباب الطبيعية فقد ظهر أحد رجال الدين في فيديو مسجل معترضاً على اتخاذ تدابير متشددة في الأماكن المقدسة، قائلاً إن الشفاء من هذا الوباء يقتصر على زيارة هذه الأماكن تحديداً⁽²⁰⁾. وقد يتلاقى هذا مع فتوى المرجع الديني العراقي قاسم الطائي⁽²¹⁾ التي دعا فيها إلى الاستمرار بزيارة الأماكن الدينية وإقامة صلوات الجماعة والجمعة، على اعتبار أن "الفيروس لا يصيب المؤمنين". وقال الطائي في رد على استفسار أرسل من قبل أحد

اتباعه بشأن غلق بعض المراكز المقدسة تحسباً من انتشار فايروس كورونا إن "الفايروس لا يصيب المؤمنين" (22). لاحظ قوله ان الفايروس لا يصيب المؤمن وكان الذين اصابهم الفايروس في أنحاء العالم ليسوا بمؤمنين جميعاً وهذا ما دفع من يؤيده للخروج الى الشارع غير مبالين ولا ادري كيف حكم الشيخ الطائي بأن الفايروس لا يصيب المؤمن وعلى أي قاعدة اصولية سوى قاعدة الاندفاع العاطفي تجاه ما هو عقائدي وهذا النوع من الخطاب يؤدي الى كوارث وهذا نوع من تزييف الوعي لدى الجمهور مما يؤدي الى تزييف الوعي الصحي وادناه نص الفتوى سماحة المرجع الديني الفقيه الشيخ قاسم الطائي (دام ظله الوارف)

نبارك لكم ولجميع المؤمنين والمؤمنات ذكرى ولادة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) شغل العالم فايروس كورونا بسرعة انتشاره وكثرة ضحاياه واتخذت إجراءات كثيرة للوقاية من انتشاره والمهم منها الذي يتعلق بعبادة المسلمين غلق الحرم المكي امام المعتمرين وبعض المراكز المقدسة أمام الزائرين باعتبار ان هذه التجمعات تساعد على انتشار العدوى، وأيضاً ان الزيارة مستحبة وحفظ النفس واجب، وخصوصاً والناس مقبلة على الزيارة المليونية للإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام).

1- فما هو الحكم الشرعي في ذلك؟

2- وما هي نصيحتكم للمؤمنين والزائرين؟

الشيخ محمد الجبوري

13 رجب 1441

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقاية وإن كانت مطلوبة في ظل انتشار هذا الفايروس المميت وهي إتباع لسنة الله في كونه من الاسباب والمسببات، إلا ان الغفلة عن الجانب الغيبي والالتجاء الى الله والتضرع اليه والاستغفار في الاماكن المقدسة له الأولوية على توخي الحذر من هذه التجمعات، وأذكر بجملة من آيات الذكر الحكيم:

((وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)) الأنفال 33 ومن العذاب الاصابة بالفايروس وهو منفي بالآية.

وقوله تعالى ((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا)) ومع كونه أمناً فكيف يصاب من يدخله ويحتمي به، إلا إذا كان مكذباً للقرآن وأنه ضعيف العقيدة.

وقوله تعالى ((لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا))

هذا ومع دوران الأمر بين الالتجاء لاسباب والالتجاء الى مسبب الاسباب، فالالتجاء إليه هو الأولى والأجدر، ومن يقدم السبب الطبيعي عليه ان يراجع إيمانه بالله فإنه متذبذب وغير مستقر في قلبه.

على ان مواجهته بالاستمرار بقيام شعائر الدين بوجه رسالة للعالم المادي بأن الكون ومنه الأرض في قبضته وتحت رعايته والتوجه إليه هو ما يقتضيه العقل ان لم يكن عندهم شرع.

وأنصح المسلمين والمؤمنين الالتجاء الى الله والقيام بشعائر دينه من صلوات الجمعة والجماعة وزيارة مرقد ائمة الهدى لأنهم محال رحمة الله، والرحمة لا تجتمع مع الأذى والضرر بالفايروس، وإن يكون اقبالهم على الزيارة والصلوات بقلوب حاضرة ونفوس متوجهة لا تشغلها أمور الدنيا كي لا يجرموا من بركاتها وافاضاتها الرحمانية الربانية، وأنا اعتقد بأن الفايروس لا يصيب المؤمنين المخلصين في ايمانهم بل لعله لا يصيب المسلمين الملتزمين باحكام الشريعة، والفايروس نوع عقاب للبشر على ما كسبت أيديهم.

((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) الروم 41

قاسم الطائي

14 رجب 1441 (23)

وقال الخطيب الدكتور علي السماوي⁽²⁴⁾ ردا على تعفير وتعقيم ضريح الامام (انه مستعد لتقبيل مصاب بفايروس كورونا اذا يجب الحسين ... خل عندك ثقة بمعضومك خل عندك ثقة بدينك انت رأس مالك بدينك جاي اذب الدين على برمجيات ونظريات ودعايات والله التجمعات البشرية، احتمالات الاصابة بها اكثر. اي عوف مجلس الحسين وابو الصلاة هم عوف صلاة الجماعة هو عنده حسين مثل حسيني؟ انا لي جرأة ما ابوس شبك الحسين لان فيه مكروب يا بوي اوانه لا يصاب لانه مؤمن وموالي لال البيت عليهم السلام)⁽²⁵⁾ وقد رد عليه الخطيب السيد باسم الشرع بقوله (لماذا تغررون بالناس بأسم الدين وان الدين يدفع ثمن هذا الكلام لان هذا الرجل اصبح اضحوكة بسبب كلامه)⁽²⁶⁾

الا انه بعد تفشي الفايروس والذي لم يميز بين مسلم وغير مسلم وبين سني وشيعي... الخ و تحت ضغد الخطاب الديني العقلائي الواقعي غير المنفعل اضطر الشيخ السماوي الى تغيير رؤية الذي كان ينبع من عاطفة محض وظهر في فيديو اخر يدعو فيه الناس الى الالتزام بأجراءات الصحة بل وجاء بأحاديث عن اهل البيت تلزم الجلوس في البيوت في مثل هكذا ظروف⁽²⁷⁾ ولكن هل يعلم الشيخ انه ربما تسبب بملاك اناس سمعوا خطابه وغرهم باسلوبه الذي يثير فيه العاطفة الحسينيه فراحوا متجاهلين التعليمات الصحية وكم عدد الذين تسببوا بنقل العدوى ، وفي الوقت نفسه

كان هناك العديد من رجال الدين الذين انتقدوا بشجاعة، الخطابات التي تشجع على التجمعات، حيث وجه الشيخ أسعد الناصري⁽²⁸⁾، انتقادات كبيرة لرجال الدين الذين يحثون الناس على الاستمرار في إقامة الشعائر الدينية رغم خطورة انتشار كورونا، وكذلك عدم إغلاق الحدود مع إيران ومنع الإيرانيين من دخول المدن العراقية. وقال

الناصري في تغريدة على تويتر: "الكثير من رجال الدين جهلة في اختصاصهم، فضلا عن اختصاصات بعيدة عنهم، فلا تصدقوا خرافاتهم وخزعبلاتهم لأن مهمهم هو الحفاظ على رأس مالهم وهي الأوهام وتضليل العقول". ومنهم دعا الى تطبيق الاجراءات الصحية وتثقيف الناس بضرورة الالتزام بالتعليمات الصحية وطلب تطبيق القانون بمن يخالف الاجراءات الصحية (29)

ونحن هنا لا نريد ان نطعن او نشكك بالنوايا بقدر ما نقول ان هنالك خلطا حصل ولبسا لدى بعض رجال الدين مقدمين عاطفتهم على عقلهم اذ الحقائق اظهرت عكس ما قالوه فالمسلمون والمؤمنون ورجال دين اصيبوا بالمرض بل ان الائمة انفسهم كانوا يمرضون وكانو يلجؤون الى الحكماء

هذا من الجانب الديني اما من الجانب الشعبي فقد ظهر من يدعو الى العلاج بالبخور والحرم (30) او الثوم او البصل والتفلة (البصق) (31) وغيرها من الامور بل وتحذوا الاطباء في ذلك والانسان في وقت الازمات يتجه عقله الى العقل الجمعي فنراه يصدق بسرعة كل ما يقال

ثانيا : عربيا وعالميا :

ولابد لنا من استعراض الحال في الوطن العربي فقد تنوع الخطاب الديني والشعبي فيما يتعلق بالتعامل مع جائحة كورونا. ففي المغرب العربي ، ظهر "أبو النعيم" (32) في شريط فيديو منشور على شبكات التواصل الاجتماعي، وهو يدلي بتصريحات "تتضمن عناصر تأسيسية لأفعال إجرامية تنطوي على المس الخطير بالنظام العام، فضلا عن تسفيه جهود السلطات العمومية لمكافحة وباء كورونا". وان كورونا وهما خطرا غير محقق لذلك فأن اجراءات الحكومة غير صحيحة². ورغم معارضة الكثير من المغاربة تصريحات أبو النعيم، إلا أن هناك من دعم موقفه واعتبر إغلاق المساجد مخالفا للدين (33)

أما في الكويت، فقد هاجم رجل دين يدعى حاكم المطيري (34) قرار السلطات إغلاق المساجد تجنبا لكورونا. واعتبر المطيري، على تويتر، الاستدلال بقاعدة (حفظ النفس) لإغلاق المساجد خشية المرض في فتوى علماء السعودية، باطلا. فقاعدة حفظ النفس من الضروريات الخمس والمراد حفظها من القتل والتلف ولهذا حرم العدوان عليها وشرع القصاص لحفظها وليس من ذلك ترك الفرائض خشية المرض الذي نسبة خطورة الوفاة منه كالفلونزا (35) اما في مصر فنجد الدكتور محمد خليفة البدرى (36)، وهو مدرس أصول الفقه بجامعة الأزهر، قد صرح أن البلاء «لا يحل إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة، وبالنظر إلى ما فعلته الصين مع المسلمين نجد الأمر عسيرا ألا نفسره على هذا

النحو»، ويردف «أن الصين من الدول التي تعادى الدين عموماً، فلا مانع من أن يكون ذلك نزل بسبب ذنوبهم وعدائهم لله يعني ذلك أن المسلم، حتى لو كان صينياً وأصيب بمرض الكورونا، فذلك ليس بعلامة على سوء الخاتمة (37)

وفي مصر أيضاً ظهر مذبذب قناة الرحمة المصرية ، أسامة حجازي⁽³⁸⁾، ليؤكد أن النقاب والوضوء يشكّلان علاجاً فعالاً لفيروس كورونا، معتبراً أنه لولا الحرج لأمرت منظمة الصحة العالمية دول العالم بأن تجبر مواطنيها على ارتداء النقاب لمواجهة فيروس كورونا⁽³⁹⁾.

أما في لبنان فقد اعتبر رجل الدين المسيحي اللبناني الأب يوحنا خوند⁽⁴⁰⁾ أنه لولا الكورونا لوقعت حرب عالمية محت البشرية كلها «لأن أمريكا وإيران والصين كانت مثل الديوك على بعضها!». (41)

في موريتانيا، نشر الشيخ يحظيه ولد داهي⁽⁴²⁾ ، الذي يسيّر مركزاً لعلاج السحر في نواكشوط، تدوينة على صفحته قال فيها: “كورونا تعالج بالرقية الشرعية عند أحباب الرسول ولا داعي للقلق، ومستعدون للذهاب للصين”. وأوضح لاحقاً أن العلاج يتم بالقرآن الكريم وعشبة تعالج عدة أمراض

مستعصية كان الرسول قد أخبر عنها. ونحن إذ نورد هذا الرأي لا ننكر أهمية القرآن وقداسته لأن القرآن هو الذي امرنا بالآخذ بالأسباب وكذلك الرسول وأهل بيته⁽⁴³⁾

وفي فلسطين المحتلة تعددت نصائح الحاخامات اليهود لأتباعهم حول كيفية مواجهتهم للفيروس، منهم من قدم نصائح بدت غريبة بينما استند آخرون إلى العلم. حاول بعض الحاخامات إيجاد تفسيرات دينية للفيروس المستجد في مقاطع فيديو نشرها عبر الشبكة العنكبوتية. طرح الحاخام معير معزوز⁽⁴⁴⁾ تفسيراً آخر يتعلق بالشذوذ الجنسي إذ يرى “أن الله ينتقم من الشخص الذي يقدم على أفعال غير طبيعية”، وزع بعض الحاخامات مشروب بيّرة “كورونا” على المؤمنين طالباً منهم احتسائه والدعاء إلى الله أن يحد من انتشار الوباء⁽⁴⁵⁾.

وفي لبنان نجد الكاهن المسيحي اللبناني مجدي علاوي⁽⁴⁶⁾، قد استأجر طائرة خاصة وحلق بها فوق لبنان لمباركته وحمايته من تفشي فيروس كورونا، و نشرت إحدى الصحف اللبنانية منذ عشرة أيام خبراً حول ظهور القديس شربل⁽⁴⁷⁾ لامرأة، طالباً منها أن “تأخذ تراباً من دير مار مارون في عناية وتغليه وتصفيه، ثم تنقله إلى مستشفى رفيق الحريري في بيروت لمعالجة المصابين بفيروس كورونا”. (48)

عالمياً:

فضلاً عما تقدم شهد العالم أحداثاً مشابهة لما حدث في الوطن العربي ، فقد عارض قس مسيحي فرار السلطات الأميركية إغلاق الكنائس لوقف تفشي فيروس كورونا. وكانت حاكمة ولاية رود آيلاند جينا رايموندو، قد حثت

مرتادي الكنائس على تجنب التجمعات الدينية خلال عطلة نهاية الأسبوع لتجنب انتشار الفيروس، لكن قسا كاثوليكيا في الولاية كان له رأي آخر. ذلك هو القس ادم يونغ راعي كنيسة القديس بولس في كرانستون ، اذ غرد على تويتر لجلب مراهقين للمساعد في تنظيف الكنيسة استعدادا للقداس مدعيا ان كنيسة من أنظف الاماكن ، واعتبر هذا القس ان منع الناس من المجيء للقداس هو خدمة للشيطان (49)

كتب الصحافي الصيني "ووي يو" مقالةً في صحيفة "نيويورك تايمز" بعنوان: "هل فيروس الكورونا هو انتقام البنجول"؟ استشهد فيه بمقولات من الكتب الصينية القديمة تحذر من أكل الحيوانات البرية، مثل البنجول والثعابين والحنزير. ويقول الكاتب أنه ثمة احتمالات بأن يكون الوباء قد انتقل من البنجول، ليعتبر في نهاية المقال أن كورونا قد تكون ثأراً "بنجولياً" من البشر الذين لم يسترشدوا بالكتب الصينية القديمة. فعلى الرغم من تطور الصين في العلوم والتكنولوجيا الا ان البرفسور رجع الى اسطورة من الاساطير الصينية (50).

ونلاحظ ان أكثر ما ظهر موضوع التجهيل او الجهل في علاج كورونا عندما اعطي بعدا عقائديا مبتعدا عن العلم وربط العلاج بالبعد العقائدي للفرد بغض النظر عن الدين الذي ينتمي اليه فالكل سفه وزيف الحقيقة وحاول استغلا الفقراء والبسطاء سواء بوعي ام من دون وعي

ففي نيودلهي مثلاً ، فقد أقامت جموع من الناشطين الهندوس حفلاً لشرب بول البقر، لوقاية أنفسهم من وباء كورونا الذي ضرب العالم (51). كذلك في ايران فقد ادعى مهدي سبيلي أنه متخصص في الطب الإسلامي وان بول الجممل هو أفضل دواء لمشاكل الكلى والربو وأيضاً فيروس كورونا. (52)

وهكذا كان للخرافة والجهل نصيب في جائحة كورونا سواء على مستور التعامل معها او في طريقة علاجها ويبدو ان القائلين بذلك هم ليسوا جهالاً وانما ارادوا السيطرة على عقول البسطاء من اجل اخضاعهم لهم ولسلطتهم فيما بعد والله اعلم بالنفوس

الخلاصة

- وجد البحث ان العقل البشري يميل الى العقل الجمعي والانخراط فيه من دون تفكير
- اختلف الخطاب الديني في طريقة التعامل مع جائحة كورونا وخصوصا فيما يتعلق بالقضايا التشريعية بين مؤيد للاجراءات الصحية والتي تنبع من اسس علمية عقلية وبين خطاب عاطفي نابع من سوء فهم وخلط في الحقائق

- تبين ان العقل البشري في التعامل مع الجائحة من حيث الاعتماد على الخرافات او التعامل المنطقي العقلائي واحد في جميع انحاء المعمورة ولا فرق بين دول متطورة او غير متطورة فالخطاب في الكنيسة الذي اعتمد على الاسس العقائدية المبنية على فهم النص المقدس هو نفسه الذي في الخطاب الصادر من المسجد او المؤسسة الدينية الاسلامية
- وفي المستوى الشعبي كانت طريقة التعامل واحدة في جميع العالم وهو من خلال اتجاهين الاتجاه العقلائي والاتجاه الانفعالي العاطفي او الخرافي والاسطوري
- ان جائحة كورونا سببت ازمات وفوضى في جميع انحاء العالم وعلى جميع الصعد ، وان عجز الطب عن إيجاد العلاجات والحلول المناسبة لها ، ذلك دفع الكثير من الناس الى البحث عن العلاج بمختلف السبل، مما شجع المشعوذين والكذابين الى استغلال الفرصة .
- طول المدة التي استغرقتها الوباء ، اضعف الالتزام الناس بالحجر المنزلي ، والاجراءات الصحية وعدم الاختلاط .
- ارتفاع اسعار العلاجات وخاصة القاحات التي اعلن عنها مؤخرا ، قد تكون سببا في لجوء الكثير من الناس محدودي الدخل ، الى الحلول البديلة التي تم التطرق لها .
- الدور السلبي لبعض وسائل التواصل الاجتماعي في نشر الخوف والهلع بين الناس ، من خلال المبالغة في تأثيرات المرض وعدد الاصابات ، ونشر بعض الطرق السلبية لمواجهة الوباء .

هوامش البحث

- 1- مسلم بن حجاج النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت 1975 ، رقم 1915 ، ص 5734 .
- 2- للتفاصيل ينظر : فيديل سبيتي ، سيكولوجية البشر في أزمات انتشار الأوبئة ، <https://www.independentarabia.com/taxonomy/term/50896>
- 3- نعمة الله الجزائري ، مسكن الشجون في حكم الفرار من الطاعون _ مخطوطة محفوظه في مركز تراث البصرة ، ص 10 .
- 4- ج ج لوريمر ، دليل الخليج (العربي) ، القسم التاريخي ، ترجمة مكتب امير دولة قطر ، ج 6 ، ص 7336 .
- 5- وهو الوباء الذي ظهر سنة 18 هجرية 639 ميلادية في بلدة عمواس في بلاد الشام بين القدس والرملة وانتشر في باقي المدن والبلدات . وسميت تلك السنة بعام الرمادة لما حدث فيها من مجاعة في المدينة المنورة . واستمر هذا الطاعون شهرا توفي فيه قرابه الثلاثون الف من المسلمين ومنهم ابي عبيده بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة والفضل بن عباس بن

- عبد المطلب وابو جندل بن سهل وغيرهم الكثير. علي محمد محمد الصلابي ، ادارة الازمات في عهد عمر بن الخطاب ، بيروت ، 2001، ص98.
- 6- السيد علي الحسيني السيستاني من مواليد مشهد/ ايران في 4 اب 1930 من اصول عربية اذ يرجع نسبه الى الامام الحسين ابن علي (ع) المرجع الديني الأعلى للطائفة الشيعية الجعفرية وزعيم الحوزة العلمية في النجف الاشرف . للتفاصيل اكثر ينظر: ابتهاج فرحان خليفة النوبصري وفرات عبد الحسن ،موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من القضية الفلسطينية، البصرة، 2019، ص149.
- 7- السيد السيستاني فتوى بشأن مرض كورونا وبدفع الدية على الشخص الذي ينقل العدوى للاخرين
<https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/248>
- 8- اغلاق ابواب المراقد في النجف وكربلاء بسبب كورونا <https://iraq.shafaqna.com>
- 9- السيستاني يطلق فتوى... من يضحى بحياته فهو شهيد "الواجب الكفائي" بشأن كورونا ، موقع الحرة الخبري 17 اذار 2020
<https://www.alhurra.com/iraq/2020/03/17/>،
- 10- موقع مكتب سماحة المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني ، اسئلة حول فايروس كورونا، 14 حزيران 2020
[/https://www.sistani.org/arabic/archive/26397](https://www.sistani.org/arabic/archive/26397) ،
- 11- ديوان الوقف السني يعلق الصلاة في جميع مساجده حتى إشعار آخر 2020/03/16، جمهورية العراق ،ديوان الوقف السني 16 اذار 2020 ،
<https://www.radionawa.com/all-detail.aspx?jimare=18679> ،
- 12- هيئة كبار العلماء تُصدر قرارها رقم (247) بشأن إيقاف صلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المساجد
<https://www.spa.gov.sa/2048662>
- 13- السعودية توقف الصلاة بالحرمين والرحلات والمواصلات العامة [/https://alkhaleejonline.net](https://alkhaleejonline.net)
- 14- السعودية: تعليق العمرة للمواطنين والمقيمين مؤقتاً/موقع العربية الخبري، 4 اذار 2020
<https://www.alarabiya.net/ar/saudi->
- 15- السيد فضل الله: التوقف عن إقامة صلاة الجمعة والجماعة في المساجد <http://almanar.com.lb/6375855>
- 16- بلمهدي- منعنا صلاة الجمعة في المساجد لتجنب الاكتضاظ -الجزائر [/https://fibladi.com/news](https://fibladi.com/news)
- 17- الصلاة بالمساجد.... دعوة لتعليق الصلاة بالمساجد عند الضرورة بسبب كورونا [/https://www.dw.com/ar](https://www.dw.com/ar)
- 18- كورونا- إيطاليا الأكثر تضررا بعد الصين و133 وفاة خلال 24 ساعة [/https://www.dw.com/ar](https://www.dw.com/ar)
- 19- عيد البوريم إلغاء احتفالات عيد 'البوريم' وأحداث رياضية اخرى بسبب المخاوف من الكورونا
<http://ar.timesofisrael.com> .
- 20- ملاك عبدالله ،كورونا والنصوص المقدسة.. تدين الدينوى ، موقع الشروق الخبري ، 17 اذار 2020
<https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate>
- 21- لشيخ قاسم الطائي ، هو مرجع ديني من النجف، وهو أحد مؤسسي التيار الصدري وهو من شهد لمحمد صادق الصدر بالاعلمية وملك تأييدا كبيرا من قبل أنصار التيار الصدري، بل يرى في نفسه هو القائد الحقيقي للتيار الصدري بعد محمد الصدر. عرف

عنه بالثورية وله تجربة سابقة مع نظام صدام حسين حيث كان أحد المعارضين المعتد بهم وقام بتنفيذ عمليات عسكرية في ذلك الوقت ، واحد المشاركين الفعالين في الانتفاضة الشعبانية حيث كان من ضمن الداخلين إلى مديرية امن النجف أثناء الانتفاضة. بعد الانتفاضة ذهب سرا إلى إيران للالتقاء بقيادة المعارضة للتباحث معهم عن سبب فشل الانتفاضة ، وقد التقى بـ عز الدين سليم ، وعند عودته إلى العراق تم القاء القبض عليه من قبل المخابرات العراقية وادع في سجن الحاكمية لمدة سنة كاملة. استمرت علاقته بمحمد الصدر ودرس عنده لفترة طويلة وكان أحد ثقاته ، وبعد مقتل محمد الصدر على ايدي نظام صدام حسين كان قاسم الطائي أحد المشاركين في فتح مكتب محمد الصدر مع الشيخ محمد اليعقوبي ومقتدى الصدر ، الا انه خرج بسبب تقاطع توجهاته عن توجهات اليعقوبي ومقتدى الصدر واخذ يتعنون بعنوانه كمرجع ديني. ابرز موافقه بعد الاجتياح الأمريكي للعراق هي افتائه بوجود مقاومة المحتل بدون الرجوع لاذن الحاكم الشرعي ، وقد جسد هذه الفتوى بوقوفه في انتفاضتي النجف والفلوجة في زمن رئيس الوزراء الاسبق اياد علاوي، حيث لم يخرج من النجف حال حصول المعارك فيها... اسس لواء أبو الفضل العباس للدفاع عن المراقد وشارك في حماية مرقد زينب .

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D8%A7%D8%B3%D9%85_%D8%A

22- كورونا لا يصيب المؤمنين.. غضب وسخرية من رجال دين في العراق

<https://ultrairaq.ultrasawt.com/%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%80%D9%85>

23- شفق نيوز/ دعا المرجع الديني الشيخ قاسم الطائي، الى الاستمرار بالشعائر الدينية من صلوات الجمعة والجماعة وزيارة المراقد الدينية

<https://shafaq.com/ar/%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%80%D9%85>

24- الشيخ علي السماوي... رجل دين عراقي و شخصية أدبية وعلمية مهمة ، عالم وأدي معروف ومن اعماله شجرة الرياض في

مدح النبي الفياض . ولم يذكر بأي من وسائل الإعلام او صفحته الشخصية أو خلال اي احاديث له أي شئ عن مجال دراسته أو ما

ان كان حاصله علي الدكتوراه ام لا . <https://www.facebook.com/Dr.Alialsamawy>

25- شفق نيوز/ أثار رجل الدين العراقي الشيخ علي السماوي، الجدل إثر هجوم ضد الإجراءات الحكومية الخاصة لمواجهة فيروس

كورونا. <https://shafaq.com/ar>

26- السيد باسم الشرع يرد بقوة على ادعاءات الشيخ علي السماوي

<https://www.youtube.com/watch?v=ObX3YYO1ETI>

27- "كورونا" علي السماوي ينضم لحملة البقاء بالمنازل.. والمرجعية تحسم الامر

<https://www.youtube.com/watch?v=ztJbQKlqMyg>

28- الشيخ اسعد الناصري، استاذ في الحوزة العلمية في النجف الاشرف. كذلك هو من الطلبة المقربين جداً من السيد الشهيد

محمد صادق الصدر. <https://www.alsumaria.tv/watch> فيما رد الشيخ أسعد الناصري، القيادي البارز في التيار

الصدري، على قرار "تجميده" من قبل زعيم التيار مقتدى الصدر. وقال الناصري في تدوينة عبر تويتر، تابعها "ناس" (26 كانون الثاني

2020)، "سأخلع العمامة حباً بالعراق والناصرية والتائرين. أنا مع العراقيين، كنت وما زلت وسأبقى". وأضاف الناصري، أرجو

الاستعجال في تصفيتي لأني اشتقت إلى الشهداء"، فيما ختم تغريدته بالقول "الشرف موقف"

<https://www.nasnews.com/view.php?oldid=182247>

29- أسعد الناصري يهاجم رجال الدين: لا تصدقوا خرافاتهم
<https://iraqiwomenleague.com/mod.php?mod=news&modfile=item&itemid=63287#.X28XsGgzBIU>

30- وصفات شعبية... أعشاب وحرمل وكحول.. لمحاربة فيروس كورونا
<https://www.alhurra.com/iran/2020/02/23/%D8%A3%D8%B9%D8%B4%D>

31- مهدي قاسم ، مبروك للعالم : ” تفلت السيد ” و اكتشاف لقاح عراقي جديد ضد كورونا !! صوت العراق صحيفة عراقية يومية مستقلة 22-03-2020
[/ https://www.sotaliraq.com.22-03-2020](https://www.sotaliraq.com.22-03-2020)

32- الشيخ عبد الحميد ابو النعيم احد شيوخ السلفية في المغرب العربي وهو من ابناء الدر البيضاء ، عمل كمدرس لمادة التربية الاسلامية بمنطقة درب السلطان في المغرب ويسكنها حاليا وقد عزل من منصبه في وزارة الاوقاف بسبب تصريحاته العلنية ضد الدولة ومنع من لقاء الدروس على الطلبة في المساجد وهو من طلبة الشيخ تقي الدين الهلالي ويعتبر ابو النعيم ان الشيخ الهلالي والوزير قاضي قضاة الدار البيضاء وابن باز والعثميين وكذلك الشيخ ابو اسحاق الحويني المصري قدوته وبذلك يعد ابو النعيم من رؤوس التطرف الاسلامي في المغرب العربي .

<https://www.alaraby.co.uk/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1>

33- السلطات الأمنية في المغرب تعتقل الشيخ ”أبو النعيم“ المعروف بأفكاره المتطرفة
<https://asrarmedia.com/%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D9%82%D8%A7>

34- حاكم عيسىان الحميدي المطيري ولد في الكويت بتاريخ 7 نوفمبر 1964، أستاذ التفسير والحديث في كلية الشريعة بجامعة الكويت فقيه محدث وكاتب ومفكر إسلامي وناشط سياسي له العديد من الكتب والبحوث والمقالات الشرعية التي تهتم بالشأن السياسي، وسبق له أن شغل منصب أمين عام الحركة السلفية في الكويت وحزب الأمة الذي شارك في تأسيسه، وهو الأمين العام لمؤتمر الأمة، ورئيس حزب الأمة الكويتي. ورد اسمه في قائمة داعمي الإرهاب التي أعلنت عنها السعودية والإمارات والبحرين ومصر عام 2017م .

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85_%D8%

35- حاكم المطيري ، نازلة ولا فقه! 15 تموز 2020 ، <http://www.dr-hakem.com>

36- محمد خليفة البدري /هو مدرس اصول الفقه في مصر - جامعة الأزهر .عمل سفير لمصر في روسيا خلال عقد التسعينيات من القرن المنصرم . <https://aliqtisadi.com>

37- كورونا والنصوص المقدسة.. تدين الدينوى ، موقع الشروق الاخباري، الثلاثاء 17 اذار 2020 ! ، <https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=1>

38- اسامة حجازي ، مذيع قناة الرحمة الفضائية المصرية وشقيق الارهابي صفوت حجازي ومن اتباع التيار الديني السلفي جريدة صوت الامة ، السبت، 26 سبتمبر 2020 07:40 م

<http://www.soutalomma.com/Article/908847/%D8%A7%D8%AE%D8%AA>،

- 39- شقيق صفوت حجازي يتاجر بصحة الناس: النقاب والوضوء يعالجان فيروس كورونا .
<https://www.youm7.com/story/2020/2/6/%D8%B4%D9%82%D9%8A%D9>
- 40- يوحنا الخوند ، ولد الأب في صيدون قضاء جزين سنة 1936. تلقى دروسه في مدرسة القرية الرسمية ، يعيش في وادي طاميش الأخضر. إنه ناسك محبسة مار أنطونيوس قرب دير سيده طاميش (للرهبانية اللبنانية المارونية). يصلي ، يقرأ ، يتأمل في الله... حتى الامتلاء - وهو الملقب ب"الراهب يللي بيغني". ودخل سنة الـ 1947 الرهبنة وكان عمري 11 سنة
[-https://web.facebook.com/pg/Father-Youhana-El-Khawand](https://web.facebook.com/pg/Father-Youhana-El-Khawand)
- 41- الحبيب خوند يتحدث عن "كورونا" و... الحرب .جريدة اخبار اليوم الالكترونية ، السبت 14 اذار 2020
https://www.akhbaralyawm.com/231300_%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%81
- 42- محظية ولد داهي البازوكي الاقروطي .شاب ثلاثيني العمر . دراسة في المعهد السعودي للدعوة والارشاد تربطه علاقات مع التيار السلفي السعودي المتشدد وله اتصالات سرية مع السلفيين التكفيريين في العراق والسعودية ولبنان . انشاء محظية منظمة احباب الرسول بالتعاون مع سلفيين اخرين اكثر تشددا ، من اجل كسب المورتانين الى التيار السلفي التكفيري .الطيب ديدي،صحيفة السبق الخيرية ، 5 نيسان 2020 ،
<http://essabq.info/node/1483>.
- 43- شيخ موريتاني يدعي حياة دواء لعلاج كورونا والشرطة تعتقله ، شبكة الجزيرة الاعلامية ،الأحد 12 نيسان 2020 08:26
[-http://mubasher.aljazeera.net/news/%D8%B4%D8%A7%D9%87%D8%AF](http://mubasher.aljazeera.net/news/%D8%B4%D8%A7%D9%87%D8%AF)
- 44- الحاخام مئير معروز ، من مواليد 27 مارس 1945، احد كبار حاخامات اليهود الشرقيين " الحريديم " و هو يهودي إسرائيلي من أصل تونسي من السفارديم ، هو عميد مدرسة "كيس رحيم" ، و هو نجل الحاخام والقاضي التونسي الحاخام "ماتزليا مزوز- (1912 - 1971) (Matzliah Mazuz). أصله من مدينة جربة التونسية ، سرعان ما ارتفع والده بسبب معرفته حتى استشهد برصاصة قاتلة عام 1971. وهو مؤلف " Responsa Ish Matzliah".
<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8>
- 45- المراجع الدينية في الأراضي المقدسة تواجه فيروس كورونا على طريقتها - القدس (أ ف ب) نشرت في البث المباشر بتاريخ 2020 /03/09
<https://www.france24.com/ar/20200309>
- 46- مجدي علاوي ، كاهن لبناني ماروني ،مواليد 18 شباط 1970 (50 سنة) جبيل لبنان اعتنق الكاثوليكية من الإسلام الشيعي ومؤسس جمعية ، ، Bonheur du Ciel ، التي تساعد مدمني المخدرات الشباب. الأب مجدي علاوي | مارس 30, 2020
كثيرون يتساءلون: أين هو الأب مجدي علاوي الآن؟
[https://ar.aleteia.org/2020/03/30/%D9%83%D8%AB%D9%8A%D8%B1%](https://ar.aleteia.org/2020/03/30/%D9%83%D8%AB%D9%8A%D8%B1%85%D8%A7%D8%B1)
- 47- مار شربل ، القديس يوسف انطوان مخلوف شربل ولد في بقاع كفرنا من لبنان الشمالي في (8 مايو 1828 - 24 ديسمبر 1898)، قديس لبناني . ، في أعلى قرية من لبنان. أبوه انطون مخلوف وامه بريجيتا عُرفا بتقواهما الصحيحة. للتفاصيل أكثر ينظر: من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ،
<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B1>

- 48- لبنان يجد علاج كورونا بمساعدة القديس مار شربل .. فمن هو منقذ اللبنانيين! Mar 14, 2020
<https://www.youtube.com/watch?v=EJy-4A7RYb0>
- 49- خدمة للشيطان و"كفر" .. رجال دين يرفضون إجراءات الوقاية من كورونا - موقع الحرة
18 18 <https://www.alhurra.com/coronavirus/2020/03/18> مارس 2020
- 50- ملاك عبد الله ، المصدر لسابق .
- 51- ملاك عبد الله ، المصدر نفسه .
- 52- مسيح علي نجاد ، يشرب بول الإبل لمعالجة كورونا ،موقع الحرة ، 20 أبريل 2020 ،
<https://www.alhurra.com/iran/2020/04/20/%D9%8A%D8%B4%D>

المصادر

اولا: الكتب العربية والمعربة /

- 1- ابتهال فرحان خليفة النويصري وفرات عبد الحسن ،موقف الحوزة العلمية في النجف الاشرف من القضية الفلسطينية ،البصرة،2019.
- 2- علي محمد محمد الصلابي ، ادارة الازمات في عهد عمر بن الخطاب ،بيروت ،2001 .
- 3- لوريمر ج ج ، دليل الخليج (العربي) ،القسم التاريخي ،ترجمة مكتب امير دولة قطر ،ج6.
- 4- مسلم بن حجاج النيسابوري ،صحيح مسلم ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،بيروت 1975 ،رقم 1915.
- 5- نعمة الله الجزائري ، مسكن الشجون في حكم الفرار من الطاعون _ مخطوطة محفوظه في مركز تراث البصرة .

ثانيا: المصادر المستقاة من شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

- 1-اسامة حجازي ،مذيع قناة الرحمة الفضائية المصرية وشقيق الراهبي صفوت حجازي ومن اتباع التيار الديني السلفي جريدة صوت الامة ،السبت، 26 سبتمبر 2020 07:40 م
<http://www.soutalomma.com/Article/908847/%D8%A7%D8>
- 2- الشيخ اسعد الناصري، استاذ في الحوزة العلمية في النجف الاشرف. كذلك هو من الطلبة المقربين جداً من السيد الشهيد محمد صادق الصدر. [/https://www.alsumaria.tv/watch](https://www.alsumaria.tv/watch)
- 3- أسعد الناصري يهاجم رجال الدين: لا تصدقوا خرافاتهم
<https://iraqiwomensleague.com/mod.php?mod=news&modfile=item&item>
- 4- اغلاق ابواب المراقدين في النجف وكربلاء بسبب كورونا <https://iraq.shafaqna.com> .
- 5- باسم الشرع يرد بقوة على ادعاءات الشيخ علي السماوي.
<https://www.youtube.com/watch?v=ObX3YYO1ETI>
- 6- بلهمدي- منعنا صلاة الجمعة في المساجد لتجنب الاكتظاظ -بالجزائر
[./https://fiabladi.com/news](https://fiabladi.com/news)

- 7- حاكم عبيسان الحميدي المطيري،
<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%>
- 8- حاكم المطيري ، نازلة ولا فقه! 15 تموز 2020 ، <http://www.dr-hakem.com>
- 9- الحبيس خوند يتحدّث عن "كورونا" و... الحرب .جريدة اخبار اليوم الالكترونية ، السبت 14 اذار 2020
https://www.akhbaralyawm.com/231300_%D8%A8%D8%A7%D9%8
- 10- خدمة للشيطان" و"كفر".. رجال دين يرفضون إجراءات الوقاية من كورونا - موقع الحرة
<https://www.alhurra.com/coronavirus/2020/03/18/18> مارس 2020
- 11- ديوان الوقف السني يعلق الصلاة في جميع مساجده حتى إشعار آخر 2020/03/16 ، جمهورية العراق ، ديوان الوقف السني ، 16 اذار 2020 .
- 12- السعودية: تعليق العمرة للمواطنين والمقيمين مؤقتاً/موقع العربية الخبري ، 4 اذار 2020
<https://www.alarabiya.net/ar/saudi>
- 13- السعودية توقف الصلاة بالحرمين والرحلات والمواصلات العامة [/https://alkhaleejonline.net](https://alkhaleejonline.net)
- 14- السلطات الأمنية في المغرب تعتقل الشيخ "أبو النعيم" المعروف بأفكاره المتطرفة
<http://asrarmedia.com/%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D9%82%D8%A7>
- 15- السيد السيستاني فتوى بشأن مرض كورونا وبدفع الدية على الشخص الذي ينقل العدوى للاخرين
<https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/248>
- 16- السيستاني يطلق فتوى... من يضحي بحياته فهو شهيد "الواجب الكفائي" بشأن كورونا ، موقع الحرة الخبري 17 اذار 2020 ،
[/https://www.alhurra.com/iraq/2020/03/17/](https://www.alhurra.com/iraq/2020/03/17/)
- 17- شفق نيوز/ أثار رجل الدين العراقي الشيخ علي السماوي، الجدل إثر هجوم ضد الإجراءات الحكومية الخاصة لمواجهة فيروس كورونا .
[/https://shafaaq.com/ar](https://shafaaq.com/ar)
- 18- شفق نيوز/ دعا المرجع الديني الشيخ قاسم الطائي، الى الاستمرار بالشعائر الدينية من صلوات الجمعة والجماعة وزيارة المراقد الدينية .
<https://shafaaq.com/ar/%D9%85%D8%AC%D8%AA%D9%80%D9%8>
- 19- شقيق صفوت حجازي يتاجر بصحة الناس: النقاب والوضوء يعالجان فيروس كورونا .
<https://www.youm7.com/story/2020/2/6/%D8%B4%D9%82%D9%8A>
- 20- شيخ موريتاني يدعي حيازة دواء لعلاج كورونا والشرطة تعتقله ، شبكة الجزيرة الاعلامية ، الأحد 12 نيسان 2020
<http://mubasher.aljazeera.net/news/%D8%B4%D8%A7%D9%87%D8> 08:26 2020
- 21- الصلاة بالمساجد.... دعوة لتعليق الصلاة بالمساجد عند الضرورة بسبب كورونا
[/https://www.dw.com/ar](https://www.dw.com/ar)
- 22- الشيخ عبد الحميد ابو النعيم .
<https://www.alaraby.co.uk/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8>

- 23- الشيخ علي السماوي / <https://www.facebook.com/Dr.Alialsamawy>
- 24- عيد البوريم..... إلغاء احتفالات عيد 'البوريم' وأحداث رياضية أخرى بسبب المخاوف من الكورونا
<http://ar.timesofisrael.com>
- 25- السيد فضل الله: التوقف عن إقامة صلاة الجمعة والجماعة في المساجد
<http://almanar.com.lb/6375855>
- 26- : فيديل سيبتي، سيكولوجية البشر في أزمة انتشار الأوبئة ،
<https://www.independentarabia.com/taxonomy/term/50896>
- 27- لشيخ قاسم الطائي،
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D8%A7%D8%B3%D9%85_%D
- 28- كورونا- إيطاليا الأكثر تضرراً بعد الصين و133 وفاة خلال 24 ساعة
<https://www.dw.com/ar>
- 29- "كورونا" علي السماوي ينضم لحملة البقاء بالمنازل.. والمرجعية تحسم الامر
<https://www.youtube.com/watch?v=ztJbQKlqMyg>
- 30- - كورونا لا يصيب المؤمنين" .. غضب وسخرية من رجال دين في العراق
<https://ultrairaq.ultrasawt.com/%D9%83%D9%88%D8%B1%D9%88%>
- 31- لبنان يجد علاج كورونا بمساعدة القديس مار شربل .. فمن هو منقذ اللبنانيين!
Mar 14, 2020
<https://www.youtube.com/watch?v=EJy-4A7RYb0>
- 32- الحاخام مئير معروز.
<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8>
- 33- مار شربل
<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B>
- 34- مجدي علاوي .
<https://ar.aleteia.org/2020/03/30/%D9%83%D8%AB>
- 35- محمد خليفة البدري .
<https://aliqtisadi.com>
- 36- المراجع الدينية في الأراضي المقدسة تواجه فيروس كورونا على طريقتها - القدس (أ ف ب) نشرت في البث المباشر بتاريخ
09/09 اذار / 2020
<https://www.france24.com/ar/20200309>
- 37- مسيح علي نجاد ، يشرب بول الإبل لمعالجة كورونا ،موقع الحرة ، 20 أبريل 2020 ،
<https://www.alhurra.com/iran/2020/04/20/%D9%8A%D8%B4%D>
- 38- ملاك عبد الله ، كورونا والنصوص المقدسة.. تدين الدينوى ، موقع الشروق الخيري ، لثلاثاء 17 اذار 2020 .
<https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate>
- 39- مهدي قاسم ، مبروك للعالم : ” تفلّة السيد ” و اكتشاف لقاح عراقي جديد ضد كورونا !! صوت العراق صحيفة عراقية
يومية مستقلة 2020-03-22
<https://www.sotaliraq.com>
- 40- موقع مكتب سماحة المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني ، اسئلة حول فايروس كورونا ،14 حزيران 2020
<https://www.sistani.org/arabic/archive/26397> ،

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- 41- هيئة كبار العلماء تُصدر قرارها رقم (247) بشأن إيقاف صلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المساجد
<https://www.spa.gov.sa/2048662>
- 42- وصفات شعبية ...أعشاب وحرمل وكحول.. لمحاربة فيروس كورونا
<https://www.alhurra.com/iran/2020/02/23/%D8%A3%D8%B9%D8%B>
- 43- محظية ولد داهي البازوكي الاقروطي . 5 نيسان 2020، <http://essabq.info/node/1483>
- 44- يوحنا الخوند . <https://web.facebook.com/pg/Father-Youhana-El-Khawand>

هوذة بن علي الحنفي دراسة في سيرته الشخصية

المدرس الدكتور

الاستاذ المساعد الدكتور

قحطان جواد مطرود

مصطفى جواد عباس

مديرية تربية المثنى / العراق

جامعة البصرة/كلية التربية/العراق

qhtanjyad2@gmail.com

mjwad292@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/26 م تاريخ التحكيم: 2020/11/02 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

ملخص البحث

تعد شخصية هوذة بن علي الحنفي من الشخصيات التي ظهرت قبل الإسلام ذاع صيتها في قضية تتويجه من قبل كسرى ملكاً على اليمامة، وتعد رسالة الرسول (ﷺ) الى هوذة ذات أهمية بارزة في تاريخ الإسلامي كونها تمثل مرحلة من مراحل الدعوة وأسلوب من أساليب التعريف بالإسلام ونشرة بين الأمم، وكانت دعوة الرسول (ﷺ) ليس فقط الى هوذة بل الى ملوك آخرين تحقيقاً لقوله سبحانه وتعالى ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا))، وفي قول آخر لله سبحانه وتعالى ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))، والملفت للنظر ان المصادر التاريخية وبخاصة كتب الانساب والتراجم لم تفصل في ترجمته كالإشارة الى سيرته أو اعماله أو أثره في الملك ، لدرجة انما لم تحدد لنا في ذكر سيرته أي شيء عن حياته الأسرية أو الاجتماعية، ولعل أبرز اشارة في سيرته هي قضية تتويجه ملكاً على اليمامة، وموقفه قبل الإسلام من يوم المشقر أو ما يسمى بيوم الصفقة، وموقف هوذة من الدعوة الإسلامية، واكتفت بذلك المصادر ولم تبرز اي دور سياسي له ولم تسلط عليه الأضواء بعد ذلك واحتفى عن الأنظار.

الكلمات المفتاحية: هوذة بن علي الحنفي . السيرة . الشخصية.

Howza Bin Ali Al-Hanafi is a study in his personal biography:

Asst prof:

Mustafa Jawad Abbas

Basra University - College of Education For Human Sciences iraq

mjwad292@gmail.com

Dr: Qahtan Chyad Matrood

Muthanna breeding iraq

qhtanjyad2@gmail.com

Abstract:

The personality of Hawza bin Ali Al-Hanafi is considered one of the personalities that appeared before Islam and became famous in the issue of his coronation by Khosrau as King of Al-Yamamah. Among the nations, and the call of the Messenger () was not only to God, but to other kings, in fulfillment of His Almighty saying ((Say, O people, I am the Messenger of God to you all)) (1), and in another saying to God, glory be to Him. People have a good and a warning, but most

people do not know.) (2) It is noteworthy that the historical sources, especially the genealogical books and translations, did not elaborate on his translation, such as referring to his biography, works, or impact on the king, to the extent that they did not specify for us in mentioning his biography anything about his family or social life, and perhaps the most prominent reference in his biography is the issue of his coronation as King of Al-Yamamah. And the position before Islam from the day of Al-Mashqar or the so-called Day of the Deal, and the position of Hudah about the Islamic call, and the sources were satisfied with that, and no political role emerged for him, nor did he shine the lights after that and disappeared from view.

Keywords: Howza Bin Ali Al-Hanafi is a study in his

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق اجمعين المصطفى الامين وعلى آله واصحابه المنتجبين وبعد:

تعد شخصية هودة بن علي الحنفي من الشخصيات التي ظهرت قبل الإسلام ذاع صيتها في قضية تتويجه من قبل كسرى ملكاً على اليمامة، وتعد رسالة الرسول (ﷺ) الى هودة ذات أهمية بارزة في تاريخ الإسلامي كونها تمثل مرحلة من مراحل الدعوة وأسلوب من أساليب التعريف بالإسلام ونشرة بين الأمم. وكانت دعوة الرسول (ﷺ) ليس فقط الى هودة بل الى ملوك آخرين تحقيقاً لقوله سبحانه وتعالى ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا))⁽¹⁾، وفي قول آخر لله سبحانه وتعالى ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))⁽²⁾، والملفت للنظر ان المصادر التاريخية وبخاصة كتب الانساب والتراجم لم تفصل في ترجمته كالإشارة الى سيرته أو اعماله أو أثره في الملك ، لدرجة انها لم تحدد لنا في ذكر سيرته أي شيء عن حياته الأسرية أو الاجتماعية، ولعل أبرز اشارة في سيرته هي قضية تتويجه ملكاً على اليمامة، وموقفه قبل الإسلام من يوم المشقر أو ما يسمى بيوم الصفقة، وموقف هودة من الدعوة الإسلامية، واكتفت بذلك المصادر ولم تبرز اي دور سياسي له ولم تسلط عليه الأضواء بعد ذلك واختفى عن الأنظار.

اسمه ونسبه:

هودة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزى بن سحيم بن مرة ابن الدؤل بن حنيف بن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان⁽³⁾ لقب بالحنفي⁽⁴⁾ وسبب التسمية بالحنفي يذكرها ابن عبد البر قائلاً: ((حنيفة امرأة نسب إليها ولدها وهي حنيفة بنت كاهل بن أسد وبنو عجل بن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وكان أكثرهم

نصارى))⁽⁵⁾، وهنا يتضح لنا أنهم على الديانة المسيحية لكنهم من العرب ويرجعون بنسبهم الى القبائل العدنانية، وهو من سكنت قران⁽⁶⁾ من قرى اليمامة وأشار البكري قائلًا: ((وأهل قران اليمامة أفصح بني حنيفة لأنها بعيدة من حجر⁽⁷⁾ ومنها هوزة بن علي))⁽⁸⁾.

ولادته ونشأته:

تعد سنة ولادة ونشأته من الأمور الغامضة التي أغفلتها أقلام المؤرخين شأنه في ذلك شأن العديد من الشخصيات التاريخية المهمة التي لم تصلنا إخبارهم بشكل مكثف إلا في بعض الاحداث التاريخية الفاصلة لعلاقتها مع كسرى ملك الفرس واتصاله بالنبي محمد (ﷺ) الذي دعاه الى الإسلام، كما لم يتسنى الوقوف على مقدار عمره حين وفاته للوصول إلى أقل تقدير تقريبي لمولده، لكن نرجح انه مولود في قران معتمدين على قول البكري اعلاه، وايضا يمكننا القول أن المصادر قد أغفلت الإشارة إليه تماما في هذا الجانب لكن أضف الى ذلك ان كتب الطبقات والسير لم تترجم له ولم تشر الى حياته الأولى وكيف وصل الى سدة الحكم وترأس قبيلته لم ترد أي اشاره بهذا الجانب.

أسرته:

وقد أغفلت المصادر تماما الإشارة الى أسرته كأبيه وأمه وأخوته، الا البلاذري الذي اختلف مع جميع المصادر وذكر اسم أمه قائلًا: ((وكانت ضباغة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عمير بن صعصعة عند علي الحنفي أبي هوزة وهلك فورثته مالا))⁽⁹⁾، منهم من جعلها زوجته قائلين: كانت ضباغة بنت عامر عند هوزة بن علي الحنفي فهلك عنها فورثته مالا كثيرا⁽¹⁰⁾ وهنا لا نميل الى قول البلاذري بأنها أمه بل نرجح بأنها زوجته لأجماع أغلب المصادر على ذلك.

ابناؤه:

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على بني آدم نعمة الخلف الذين يحملون أسماء آبائهم فهذه سنة الحياة الدنيا، وقال الله سبحانه وتعالى عنها في كتابة الكريم ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا))⁽¹¹⁾ وقد أنعم الله سبحانه وتعالى على هوزة بن علي الحنفي بعدد من الأبناء من خلال حوار مع كسرى ملك الفرس حيث وسأله الأخير عن معيشته وولده وقال له هوزة لدي عشرة أولاد اذ ورد ان كسرى سأل هوزة عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد، وأنه يغزو المغازي فيصيب فقال له كسرى في ذلك: كم ولدك قال: عشرة، قال: فأيهم أحب إليك قال: غائبهم حتى يقدم وصغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ قال كسرى: الذي أخرج منك هذا العقل حملك على أن طلبت

مني الوسيلة⁽¹²⁾، من الملاحظ أن بقية المصادر تذكر الحادثة لكن دون ذكر عدد ابنائه فقد ذكر الميداني قائلاً: دخل هوذة بن علي الحنفي على كسرى فقال له أي أولادك أحب إليك قال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يبرأ قال ما غذاؤك ببلدك قال الخبز فقال كسرى هذا عقل الخبز لا عقل اللبن والتمر فصار الخبز عندهم ممدوحا كما صار ما يناسبه بعض المناسبة ممدوحا⁽¹³⁾، وهنا يتبين ان لديه أولاد لكن المصادر لم تذكر لنا غير ثلاثة من أولاده لكن الغريب في ذلك لم نجد لهم احداث مهمة على مر التاريخ بما ان أباهم كان معروف آنذاك وملك على اليمامة فقد ذكر الأعشى⁽¹⁴⁾ في ديوانه عندما مدح هوذة في قصيدة طويلة فقد كناه بذلك قائلاً:

وما كان فيها من ثناء ومدحة * فأعني بها أبا قدامة عامداً⁽¹⁵⁾.

وايضا أشار ياقوت الحموي عندما قتل مسيلمة الكذاب⁽¹⁶⁾ قائلاً: ((وقال علي بن هوذة بن علي الحنفي بعد قتل مسيلمة وسمع الناس يعيرون بني حنيفة بالردة فقال يذكر من ارتد من العرب غير بني حنيفة :

رمتنا القبائل بالمنكرات *، وما نحن إلا كمن قد جحد

ولسنا بأكفر من عامر * ولا غطفان ولا من أسد

ولا من سليم وألفافها * ولا من تميم وأهل الجند

ولا ذي الخمار ولا قمه * ولا أشعث العرب لولا النكد

ولا من عرانيين⁽¹⁷⁾ من وائل * بسوق النجير وسوق النقذ

وكنا أناسا على غرة * نرى الغي من أمرنا كالرشد

ندين كما دان كذابنا * فيا ليت والده لم يلد⁽¹⁸⁾.

وهنا يتبين لنا بأن علي بن هوذة بن علي الحنفي شاعراً مثل ابيه ثم أراد من خلال شعره ان يبين للقبائل العربية لا تعيرونا فأنكم ايضاً كنتم كافرين ومن الرافضين للدعوة بل نحن من سادة القوم ووجهائهم، فهذا كل ما ذكر عن ابنه علي بن هوذة ولم ترد اي اشارة بعد هذه المعلومة، اما فيما يخص ابنه الثاني فهو ضمرة فلم يذكر مثلما ذكر أخيه علي مباشر بل عن طريق ابنه الذي كان من القادة البارزين في جيش الإمام علي (عليه السلام) عندما أراد الشاميون المسير الى مكة سنة (39هـ) في خلافة الإمام علي (عليه السلام)، فقد اشار لها ابن الأثير قائلاً: ((...فسير جيشا فيهم الريان بن ضمرة بن هوذة بن علي الحنفي))⁽¹⁹⁾، وهنا يتبين لنا ان لديه علي وقدامة وضمرة هو الأبن الثالث من خلال نص ابن الأثير لكن لم يذكر اسم ضمرة بشكل مباشر بل

عن طريق ابنه وان المتتبع لما ورد من اشارة تلك النصوص اعلاه يمكن ان يسجل عدد من الاشكالات ويثير عدد من التساؤلات منها.

1. ان رواية أبي الفرج الأصفهاني حددت لنا ان لدية عشرة أولاد لكن مع الأسف لم يذكر اسم واحد من ابنائه.

2. ان اغلب الروايات ذكرت ان لدية أولاد من خلال الحوار الذي دار بين هوذة وكسرى فقط ذكر ثلاثة اشياء عن ابنائه حيث قال غائبهم حتى يقدم وصغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ، من خلال كلامه يتبين ان لدية ثلاثة أولاد عن الغائب والصغير والمريض ولكن هذا غير مرجح اي أن هوذة كان يقصد على كل ابنائه وهذا يدل على ان لدية أكثر من ثلاثة أولاد وان رواية أبي الفرج الأصفهاني هي أقرب الى الصواب. وهنا يطرح التساؤل هل لهوذة زوجة واحدة التي ذكرناها وهي ضباغة بنت عامر، فهذا ما اغفلته المصادر، ربما ان لهوذة أكثر من زوجة لكن لم ترد اي اشارة أو معلومة بهذا الجانب.

صفاته:

لقد أجمع المؤرخون وأصحاب التراجم على أن هوذة رجل شجاع وصاحب أخلاق وكان مهاب في قومة وكان كريم النفس وهذا عن لسان حاله عندما رد على رسالة الرسول (ﷺ) قائلاً: ((وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني ... وأجاز سليط بن عمرو⁽²⁰⁾ بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر))⁽²¹⁾ ومن صفاته كان كريم النفس بدليل عندما قام بنو تميم بالغارة على قافلة كسرى ونهبوا ما فيها جاء أصحاب العير الى هوذة واكرمهم حيث اشار الطبري الى ذلك قائلاً: ((وصار أصحاب العير إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فكساهم وزودهم وحملهم وسار معهم حتى دخل على كسرى وكان لهوذة جمال وبيان))⁽²²⁾ وايضا أشارت المصادر عن كرمه عندما انصرف سليط من اليمامة اهداه بمهدية الى الرسول (ﷺ) بغلام يسمى بكركرة⁽²³⁾ النبي اهدى له فأعتقه⁽²⁴⁾ وصفه أبي الفرج الأصفهاني قائلاً: ((وكان هوذة رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً))⁽²⁵⁾ وايضاً كان هوذة مثلما ذكرنا اعلاه انه كان خطيب قومة وشاعرهم وله مقطوعة من الشعر عندما جاءه سليط بكتاب الرسول (ﷺ) ذكرها السهيلي قائلاً:

أتاني سليط والحوادث جمّة * فقلت لهم ماذا يقول سليط

فقال التي فيها عليّ غضاضة * وفيها رجاء مطمّ وقنوط⁽²⁶⁾

فقلت له غاب الذي كنت أجتلي * به الأمر عني فالصعود هبوط

وقد كان لي والله بالغ أمره * أبا النَّصر جاشٌ في الأمور ربيط⁽²⁸⁾

فأجمع أمري من يمين وشمال * كأني ردوداً للنبال لقيبط⁽²⁹⁾
فأذهب ذاك الرأي إذ قال قائل * أتاك رسولٌ للنبي خبيط⁽³⁰⁾
رسول رسول الله راكب ناضح * عليه من أوبار الحجاز غبيط⁽³¹⁾
سكرت ودبت في المفارق وسنة * لها نفسٌ عالي الفؤاد غبيط⁽³²⁾
أحاذر منه سورة هاشميّة * فوارسها وسط الرجال عبيط⁽³³⁾
فلا تعجلني يا سليط فإننا * نبادر أمراً والقضاء محييط⁽³⁴⁾.

وايضا مدحة الشاعر الأعشى في ديوانه وله أربعة قصائد كلها في مدح هوزة بن علي والقصيدة الأولى تتألف من احدى وعشرون بيتا في مطلعها قائلاً:

أجذك ودعت الصبي والو لا نداءً * وماخلت مهر اسأً بلادي وماردا
وماخلت أن أتباع جهلا بحكمة * فأبت بخير منك ياهوذ حامداً⁽³⁵⁾.

وايضا بمدحه في القصيدة الثانية التي تتألف من اثنا وثلاثون بيتاً⁽³⁶⁾ والقصيدة الثالثة التي تتألف من سبع وخمسون بيتاً⁽³⁷⁾، اما عن القصيدة الرابعة فهي تتألف من أربع وسبعون بيتاً⁽³⁸⁾، وكل هذه القصائد في مدح هوزة بن علي الحنفي ربما سائل سائل لماذا بمدحه شاعر مثل الأعشى يمكننا القول أن هوزة كان معطاء سخى كريم النفس في كل شيء والملفت للنظر أن هذه الصفات لم تشر لها الروايات التاريخية.

قضية تنويج هوزة بن علي الحنفي ملكاً على اليمامة:

لقد انقسمت المصادر الى قسمين في قضية تنويج هوزة بن علي الحنفي ملكاً على اليمامة فقسم من ذكر انه ملك على اليمامة، والقسم الاخر لم يذكره ملك وانما ذكره انه صاحب اليمامة، وذكر البلاذري أسماء الرسل الى الملوك الذي بعثهم الرسول (ﷺ) قائلاً: ((... وسليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي))⁽³⁹⁾ وأشار ابن قتيبة الدينوري قائلاً: ((هوزة بن علي الحنفي ذو التاج))⁽⁴⁰⁾، ولم يسميه الطبري بالملك وانما ذو التاج قائلاً: ((ودعا بعقد من در فعقد على رأسه وكساه قباء ديباج مع كسوة كثيرة فمن ثم سمي هوزة ذا التاج))⁽⁴¹⁾ اما أبو الفرج الأصفهاني فذكر قصة تنويجه من قبل كسرى قائلاً: ((أما ذكره هوزة بن علي ولبسه التاج فإن السبب في ذلك أن كسرى توج هوزة بن علي الحنفي... فدعا كسرى بكأس من ذهب فسقاه فيها وأعطاه إياها وكساه قباء ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم))⁽⁴²⁾ وذكره ابن الجوزي قائلاً: ((كان من الملوك العقلاء))⁽⁴³⁾ أما القسم الآخر فقد ذكر انه كان

صاحب اليمامة⁽⁴⁴⁾ اما المبرد في كتابة فقد اعترض على تنويج هوذة بن علي الحنفي قائلاً: ((كان هوذة ذا قدر عال وكانت له خرزات تنظم فتجعل على رأسه تشبها بالملوك))⁽⁴⁵⁾.

وهنا لابد من ترجيح في قضية تنويج هوذة ونميل الي ان الأخير كان ذا قدر عال في قومه وشاعرهم وخطيبهم ، يمكننا القول ان الذي توجه كسرى وصار ملكاً على اليمامة، وهنا قد يطرح السؤال لماذا يتشبه بالملوك مثلما قال المبرد وهو ملك أصلاً وهنا لا نميل الى قول المبرد بدليل انه كان ملكاً ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك حسب التسلسل التاريخي فالدليل الأول كان الأعشى يمدح هوذة قبل الإسلام قائلاً:

مَنْ يَلْقَ هُوذَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مُتَّيِّبٍ * إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ زَيْنَهَا * صَوَّأَهَا لَا تَرَى عَيْنِيَّ وَلَا طَبْعَا⁽⁴⁶⁾.

اما الدليل الثاني فهو إرسال الرسائل من الرسول (ﷺ) الى الملوك الستة وهو من ضمن الملوك الستة ولم يستجيب الى دعوة الرسول (ﷺ) كما أشرنا سابقاً، اما الدليل الثالث فهو مدح احد الشعراء في زمن المأمون لعبد الله بن طاهر⁽⁴⁷⁾ امير مرو عاقداً مقارنة بينه وبين هوذة بن علي قائلاً:

اشرب هنينا عليك التاج مرتفعا * في قصر مرو ودع عدان لليمن⁽⁴⁸⁾

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن علي وابن ذي يزن⁽⁴⁹⁾(50).

ومن خلال ما سبق يمكننا على اليمامة وان اختلاف الروايات بذكره صاحب اليمامة او غيرها انما مردة طبيعي من النظام السياسي القبلي السائد عند العرب وان تنويجه من قبل كسرى الفرس يتلاءم مع طبيعته بالنظام السائد في فارس وربما نجد فيه إشارة الى نوع من التحالف أو الولاء لفارس كالذي كان بين المناذرة في الحيرة وكسرى وفارس.

موقف هوذة بن علي الحنفي من يوم المشقر أو ما يسمى بيوم الصفقة:

حقاً لقد كان ليوم المشقر ذا شهره واسعة وكبيرة غير ان مما زادة شهرة وذكرها في الشعر العرب وتاريخها، هو ايقاع حامية كسرى فيه ببني تميم إبان ظهور الإسلام، وقبيل هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة المنورة بقليل انه كان يسمى بأسمان يوم المشقر أو يوم الصفقة نسبة إلى صفق باب المشقر عليهم وقتلهم بداخله⁽⁵¹⁾، وهنا لابد من الإشارة الى ان الروايات يوجد فيها اختلافات كبيرة جداً وأهم هذه الروايات حسب التسلسل الزمني لقدم مؤرخها فقد ذكر الطبري عن حادثة يوم المشقر قائلاً: ((بعث وهرز⁽⁵²⁾ بأموال وطرف من طرف اليمن إلى كسرى فلما صارت ببلاد بني تميم دعا صعصعة بن ناجية ابن عقال المجاشعي⁽⁵³⁾ بني تميم إلى الوثوب عليه فأبوا ذلك فلما صارت في بلاد بني يربوع⁽⁵⁴⁾ دعاهم إلى ذلك فهابوه فقال يا بني يربوع

كأنني بهذه العير قد مرت ببلاد بكر بن وائل فوثبوا عليها فاستعانوا بما على حربكم فلما سمعوا ذلك انتهبوها وأخذ رجل من بني سليط يقال له النطف⁽⁵⁵⁾ خرجا فيه جوهر فكان يقال أصاب كنز النطف فصار مثلا وأخذ صعصعة خصفة فيها سبائك فضة وصار أصحاب العير إلى هودة بن علي الحنفي باليمامة فكساهم وزودهم وحملهم وسار معهم حتى دخل على كسرى وكان لهودة جمال وبيان فاعجب به كسرى وحفظ له ما كان منه ودعا بعقد من در فعقد على رأسه وكساه قباء ديباج مع كسوة كثيرة فمن ثم سمي هودة ذا التاج وقال كسرى لهودة أرايت هؤلاء القوم الذين صنعوا ما صنعوا من قومك هم قال لا قال أصلح هم لك قال بيننا الموت قال قد أدركت بعض حاجتك وعزم على توجيه الخيل إلى بني تميم فقبل له إن بلادهم بلاد سوء إنما هي مفاوز وصحارى لا يهتدى لمسالكها وماؤهم من الآبار ولا يؤمن أن يعورها هافللك جندك وأشير إليه أن يكتب إلى عامله بالبحرين وهو آزاد فروز بن جشنس الذي سمته العرب المكعبر وإنما سمي المكعبر لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل وآلى أن لا يدع من بني تميم عينا تطرف ففعل ووجه له رسولا ودعا بهودة فجدد له كرامة وصلة وقال سر مع رسولي هذا فاشفني واشتف فأقبل هودة والرسول معه حتى صار إلى المكعبر وذلك قريب من أيام اللقاط وكان بنو تميم يصيرون في ذلك الوقت إلى هجر للميرة واللقاط فنادى منادى المكعبرة من كان ههنا من بني تميم فليحضر فإن الملك قد أمر لهم بميرة وطعام يقسم فيهم فحضروا فأدخلهم المشقر وهو حصن حيا له حصن يقال له الصفا وبينهما نهر يقال له محلم⁽⁵⁶⁾ وكان الذي بنى المشقر رجلا من أساورة كسرى يقال له بسك بن ماهبوذ⁽⁵⁷⁾ كان كسرى وجهه لناثبه فلما ابتدأ قيل له إن هؤلاء الفعلة لا يقيمون بهذا الموضع إلا أن تكون معهم نساء فإن فعلت ذلك بهم تم بناؤك وأقاموا عليه حتى يفرغوا منه فنقل إليهم الفواجر من ناحية السواد والأهواز وحملت إليهم روايا الخمر من أرض فارس في البحر فتناكحوا وتوالدوا فكانوا جل أهل مدينة هجر وتكلم القوم بالعربية وكانت دعوتهم إلى عبد القيس فلما جاء الاسلام قالوا لعبد القيس قد علمتم عددنا وعدتنا وعظيم غنائنا فأدخلونا فيكم وزوجونا قالوا لا ولكن أقيموا على حالكم فأنتم إخواننا وموالينا فقال رجل من عبد القيس يا معاشر عبد القيس أطيعوني وألحقوهم فإنه ليس عن مثل هؤلاء مرغب فقال رجل من القوم أما تستحي أأمرنا أن ندخل فينا من قد عرفت أوله وأصله قال إنكم إن لم تفعلوا ألحقهم غيركم من العرب قال إذا لا نستوحش لهم فتفرق القوم في العرب وبقيت في عبد القيس منهم بقية فانتما إليهم فلم يردوهم عن ذلك فلما أدخل المكعبر بني تميم المشقر قتل رجالهم واستبقى الغلمان وقتل يومئذ قنعب الرياحي⁽⁵⁸⁾، وكان فارس بن يربوع قتله رجلا من شن كانا ينوبان الملوك وجعل الغلمان في السفن فعبر بهم إلى فارس فخصوا منهم بشرا قال هبيرة بن حدير

العدوي⁽⁵⁹⁾ رجع إلينا بعد ما فتحت إصطخر عدة منهم أحدهم خصى والآخر خياط وشد رجل من بني تميم يقال له عبيد بن وهب⁽⁶⁰⁾ على سلسلة الباب فقطعها وخرج فقال :
تذكرت هنداً لات حين تذكر * تذكرتها ودونها سير أشهر
حجازية علوية حل أهلها * مصاب الخريف بين زور ومنور
ألا هل أتى قومي على النأي اني * حميت ذماری يوم باب المشقر
ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة * تفرج منها كل باب مضر
وكلم هودة بن علي المكعب يومئذ في مائة من أسرى بني تميم فوهبهم له يوم الفصح فأعتقهم فني ذلك يقول الأعرشي:

سائل تميما به أيام صفقتهم * لما أتوه أسارى كلهم ضرعا
وسط المشقر في غبراء مظلمة * لا يستطيعون بعد الضر منتفعا
فقال للملك أطلق منهم مائة * رسلا من القول مخفوضا وما رفعا
فك عن مائة منهم إسارهم * وأصبحوا كلهم من غلة خلعا
بهم تقرب يوم الفصح ضاحية * يرجوا لاله بما أسدى وما صنعا
فلا يرون بذاكم نعمة سبقت * إن قال قائلها حقا بها وسعا
يصف بني تميم بالكفر لنعمته...))⁽⁶¹⁾.

أما الرواية الثانية التي يذكرها أبو الفرج الأصفهاني عن يوم الصفقة فقد ذكر روايتين مختلفتين تقريبا فيما بينهما فالرواية الأولى ذكرها قائلًا: ((كان من حديث يوم الصفقة أن باذام عامل كسرى باليمن بعث إلى كسرى عيرا تحمل ثيابا من ثياب اليمن ومسكا وعنبرا وخرجين فيهما مناطق محلاة وخفراء تلك العير فيما يزعم بعض الناس بنو الجعيد المراديون⁽⁶²⁾ فساروا من اليمن لا يعرض لهم أحد حتى إذا كان بجمض من بلاد بني حنظلة بن يربوع وغيرهم أغاروا عليها فقتلوا من فيها من بني جعيد والأساورة واقتسموها وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال⁽⁶³⁾ وعتبة بن الحارث بن شهاب⁽⁶⁴⁾ وقعب بن عتاب وجزء بن سعد⁽⁶⁵⁾ وأبو مليل عبد الله بن الحارث⁽⁶⁶⁾ والنطف بن جبير وأسيد بن جنادة⁽⁶⁷⁾ فبلغ ذلك الأساورة الذين بهجر مع كزارجر المكعب ، فساروا إلى بني حنظلة بن يربوع فصادفهم على حوض فقاتلوهم قتالا شديدا فهزمت الأساورة ، وقتلوا قتالا شديدا ذريعا ويومئذ أخذ النطف الخرجين اللذين يضرب بهما المثل فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضبا وأمر بالطعام فادخر بالمشقر ومدينة اليمامة ، وقد أصابت الناس سنة شديدة ثم

قال : من دخلها من العرب فأميروه ما شاء فبلغ ذلك الناس ، قال : وكان أعظم من أتاها بنو سعد ، فنادى منادي الأساورة : لا يدخلها عربي بسلاح ، فأقيم بوابون على باب المشقر ، فإذا جاء الرجل ليدخل قالوا : ضع سلاحك ، وامتر واخرج من الباب الآخر ؛ فيذهب به إلى رأس الأساورة فيقتله فيزعمون أن خير بن عباد بن النوال بن مرة بن عبيد⁽⁶⁸⁾ وهو مقاعس قال : يا بني تميم ما بعد السلب إلا القتل وأرى قوما يدخلون ولا يخرجون فانصرف منهم من انصرف من بقيتهم فقتلوا بعضهم وتركوا بعضا محتسبين عندهم...⁽⁶⁹⁾.

اما الرواية الثانية التي ذكرها أبي الفرج الأصفهاني فهي تختلف عن الأولى قائلاً: ((فإن كسرى بعث إلى عامله باليمن بعير وكان باذام على الجيش الذي بعته كسرى إلى اليمن، وكانت العير تحمل نبعاً فكانت تبذر من المدائن حتى تدفع إلى النعمان⁽⁷⁰⁾ ويذرقها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها إلى هودة بن علي الحنفي ، فيذرقها حتى يخرجها من أرض بني حنيفة ، ثم تدفع إلى سعد وتجعل لهم جعالة⁽⁷¹⁾ فتسير فيها فيدفعونها إلى عمال باذام باليمن فلما بعث كسرى بهذه العير قال هودة للأساورة انظروا الذي يجعلونه لبني تميم فأعطونه فأسروا أسير فيها معكم ، حتى تبلغوا مأمركم ، فخرج هودة والأساورة والعير معهم من هجر حتى إذا كانوا بنطاق⁽⁷²⁾ بلغ بني سعد ما صنع هودة فساروا إليهم وأخذوا ما كان معهم واقتسموه وقتلوا عامة الأساورة ، وسلبوهم ، وأسروا هودة بن علي فاشترى هودة نفسه بثلاثمائة بعير فساروا معه إلى هجر فأخذوا منه فداءه ، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد :

ومتاً رئيس القوم ليلة أدلجوا * بهودة مقرون اليبدين إلى النحر

وردنا به نخل اليمامة عانيا * عليه وثاق القدّ والحلق السمر

فعمد هودة عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد ، وكانوا قد سلبوا ، فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى ، وكان هودة رجلاً جميلاً شجاعاً ليلاً ، فدخل عليه فقصّ أمر بني تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إياها وكساه قباء ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ، وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم ، وهو قول الأعشى

له أكاليل بالياقوت فصلها * صواغها لا ترى عيباً ولا طبعاً

وذكر أن كسرى سأل هودة عن ماله ومعيشته فأخبره أنه في عيش رغد ، وأنه يغزو المغازي فيصيب فقال له كسرى في ذلك : كم ولدك ؟ قال : عشرة ، قال : فأيتهم أحب إليك ؟ قال : غائبهم حتى يقدم ، وصغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ قال كسرى : الذي أخرج منك هذا العقل حملك على أن طلبت

مني الوسيلة، وقال كسرى لهوذة : رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي ، وأخذوا مالي ، أئينك وبينهم صلح قال هوذة : أيها الملك بيني وبينهم حساء الموت ، وهم قتلوا أبي ، فقال كسرى : قد أدركت تأرك ، فكيف لي بهم ؟ قال هوذة : إن أرضهم لا تطيقها أساورتك ، وهم يمتنعون بها ، ولكن احبس عنهم الميرة ، فإذا فعلت ذلك بهم سنة أرسلت معي جندا من أساورتك ، فأقيم لهم السوق ؛ فإنهم يأتونها ، فتصيبهم عند ذلك خيلك ففعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم الأسواق في سنة مجدبة ، ثم سرح إلى هوذة فأتاه ، فقال : ائت هؤلاء فاشفني منهم ، واشتف وسرح معهم جوار بودار ورجلا من أردشير خره(73) ، فقال لهوذة : سر مع رسولي هذا ، فسار في ألف أسوار حتى نزلوا المشقر من أرض البحرين ، هو حصن هجر وبعث هوذة إلى بني حنيقة فأتوه ، فدنوا من حيطان المشقر ، ثم نودي : إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة ، وقد أمر لكم بميرة ، فتعالوا ، فامتاروا . فانصب عليهم الناس ، وكان أعظم من أتاها بنو سعد ، فجعلوا إذا جاؤا إلى باب المشقر أدخلوا رجلا رجلا ، حتى يذهب به إلى المكعب فتضرب عنقه ، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل ، فيقال له : ادخل من هذا الباب واخرج من الباب الآخر ، فإذا مرّ رجل من بني سعد بينه وبين هوذة إزاء أو رجل يرجوه ، قال للمكعب : هذا من قومي فيخليه له فنظر خيريّ بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، وتؤخذ أسلحتهم ، وجاء ليمتار ، فلما رأى ما رأى قال : ويلكم ! أين عقولكم ! فوالله ما بعد السلب إلا القتل وتناول سيفا من رجل من بني سعد يقال له مصاد(74) ، وعلى باب المشقر سلسلة ورجل من الأساورة قابض عليها ، فضربها فقطعها ويد الأسوار ، فانفتح الباب ، فإذا الناس يقتلون ، فنارت بنو تميم ويقال : إن الذي فعل هذا رجل من بني عيس يقال له : عبيد بن وهب ، فلما علم هوذة أنّ القوم قد نذروا به أمر المكعب فأطلق منهم مائة من خيارهم ، وخرج هاربا من الباب الأول هو والأساورة ، فتبعته بنو سعد والرياب ، فقتل بعضهم ، وأفلت من أفلت(75).

لو نأتى الى الروايات المتضاربة التي ذكرناها اعلاه في بعض الشيء لكن الهدف واحد بين لنا هو خيانة هوذة بن علي الحنفي الى ابناء القبائل في الخفارة وهذا يعني انه كان طمع في استحواذ الأموال له دون غيره من القبائل من كسرى في أجارت القافلة فهذا اولاً، ثم تبين لنا ان هوذة بن علي الحنفي كان حاقدا على بني تميم لوجود عداوة قديمة بينهم فمن خلال التعامل مع كسرى هو القضاء عليهم جميعاً من خلال المكيدة التي كان يدبر لها من سنين لكنه كان غير قادر على ذلك الا بمساعدة كسرى له من خلال الأساور الذين بعثهم كسرى الى الحصن المشقر يتبين لنا من خلال التعاون بين الأثنين هو ما يأتي:

1. تبين خلال الروايات بأن هوزة بت علي الحنفي كان حليف لكسرى وهذا الطرح ربما يبين سبب تويج كسرى له ورفض بعض القبائل تسميته بالملك.
2. اراد هوزة بن علي الحنفي التخلص من أعدائه من خلال السيطرة على المنطقة بالكامل.
3. ثم بين الى كسرى انه الصديق الوحيد في المنطقة الذي ينقذ قوافله من السلب والنهب التي كانت تأتي من اليمن أو بالعكس.

موقف هوزة بن علي الحنفي من النبي محمد (ﷺ).

يظهر ان هوزة بن علي الحنفي على علم بدعوة الرسول (ﷺ) منذ البداية اذ أشار الكلاعي قائلًا: ((... أن عامر بن سلمة من بنى حنيفة⁽⁷⁶⁾ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أعوام في الموسم بعكاظ⁽⁷⁷⁾ وبمجنة⁽⁷⁸⁾ وبذي المجاز⁽⁷⁹⁾ يعرض نفسه على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله وإلى أن ينصروه ، حتى يبلغ عن الله فلا يستجيب له أحد ، وإن هوزة بن علي سأل عامرا بعد انصرافه عن الموسم إلى الإمامة في أول عام عن ما كان في موسمهم من خبر ، فأخبره خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه رجل من قريش ، فسأله هوزة : من أى قريش هو ؟ فقال له عامر : من أوسطهم نسبا ، من بنى عبد المطلب ، قال هوزة : أهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ فقال : هو ، فقال هوزة : أما إن أمره سيظهر على ما هاهنا وغير ما هاهنا . ثم ذكر تكرر سؤال هوزة له عنه حتى ذكر له في السنة الثالثة أنه رآه وأمره قد أمر ، فقال له هوزة هو الذى قلت لك ولو أنا اتبعناه لكان خيرا لنا ولكننا نضن بملكنا وأخبر عامر بذلك كله سليط بن عمرو ، وقد مر به منصرفا عن هوزة إذ بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسلم وأسلم عامر آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومات هوزة كافرا على نصرانته))⁽⁸⁰⁾.

يتبين من خلال النص اعلاه ان هوزة بن علي الحنفي على علم ودراية بدعوة الرسول (ﷺ) منذ بداية الدعوة لكن هوزة كان محب للعالمية ومحب للملك الذي كان عليه فلو استجاب للدعوة الرسول (ﷺ) لكان له شأن عظيم بين العرب لكنه لم يقتنع بالدعوة بل سوف يذهب ملكه من خلال كلامه ، وايضاً نلاحظ ان هوزة يعرف اسم النبي (ﷺ) بالكامل وربما هذه المعرفة متأتية من اعتناقه لكتاب الإنجيل حيث ان لإنجيل تتضمن اشارات واضحة الى نبوة رسول الله (ﷺ)⁽⁸¹⁾.

رسالة النبي (ص) الى هوزة بن علي الحنفي يدعوه الى الاسلام:

حينما انتشرت الدعوة الاسلامية فقد بعث النبي (ﷺ) الى الملوك العالم يدعوهم الى الإسلام فكان احدى هؤلاء الملوك هو هوزة بن علي الحنفي الذي ارسل رسول الله (ﷺ) رسوله وهو سليط بن عمرو

العامري فقد أشارت المصادر بهذه الرواية قالوا: ((وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامري وهو أحد الستة إلى هوزة بن علي الحنفي يدعو إلى الاسلام وكتب معه كتابا فقدم عليه وأنزله وحباه وقرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورد ردا دون رد وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر أتبعك وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره عنه بما قال وقرأ كتابه وقال لو سألتني سيابة (82) من الأرض ما فعلت باد(83)، وباد ما في يديه فلما انصرف من عام الفتح جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات)) (84).

يظهر من خلال النص ان هوزة بن علي الحنفي رفض دعوة الرسول (ﷺ) الى الإسلام لكن بنفس الوقت شعر بقوة الإسلام فقدم هوزة بن علي مكاسب الدنيا على أخرته أي بمعنى آخر كان رده رداً مراوفاً حيث اراد من خلاله مساومة الرسول (ﷺ) في الملك لأنه شعرة بقوة دولة الإسلام ولها مستقبل كبيرة اتجه الإمامة فقرر ان يتفاوض مع الرسول (ص) من خلال كلامه قائلاً: (وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر أتبعك) فهذه مساومة لكن هوزة لم يفلح في طلبه وعلق اسلامه على هذا الشرط، وهنا قد يطرح السؤال لماذا رسول الله (ﷺ) رفض طلب هوزة للإمارة من بعده الجواب لأنه يعلم ان من يطلب الإمارة لم يكن يحرص عليها ويتبين لنا من خلال كلام الرسول الله (ﷺ) قائلاً: ((انا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأل ولا أحدا حرص عليه)) (85)، وذلك لانه يعلم أن من سيتولى الإمارة وهو حريص عليها فلن يعود ضرره عليه فقط، ولكن سيعود الضرر على كل من يقود لأنه مفتون بالإمارة، وسيضحى من أجلها لا من أجل الإسلام، ولأنه لو تعارض الإسلام مع استمراره في الإمارة سينتري الإسلام ويتمسك بالإمارة، وهنا قد يتبعه قومه، وستكون كارثة ومشكلة كبيرة؛ من أجل ذلك لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام يعطي الإمارة لأحد (86)، ثم تنبأ له الرسول (ﷺ) له بالهلكة قائلاً: (باد وباد ما في يديه) اي انه هلك ولم يسلم فهذا ان دل على شيء أما يدل على انه كان يجب مكاسب الدنيا اي قدم دنياه على أخرته .

يبدو ان هوزة بن علي كان راغباً في الاسلام لكن تحالفه مع كسرى منعه من ذلك بدلالة ما دار بينه وبين رسول الله (ﷺ) اذ ورد: ((... لما قدم سليط بن عمرو العامري على هوزة ، وكان كسرى قد توجه ، قال : يا هوزة إنك سودت أعظم حائلة ، وأرواح في النار ، وإنما السيد من منع بالإيمان ثم زود التقوى ، وإن قوماً سعدوا برأيك فلا تشق به ، وإني أمرت بحجر مأمور به ، وأنهاك عن شر منهني عنه ، أمرت

بعبادة الله ، وأنهاك عن عبادة الشيطان ، فإن في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار ، فإن قبلت نلت ما رجوت ، وأمنت ما خفت ، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء ، وهول المطلع ، فقال هودة : يا سليط سودني من لو سودك شرفت به ، وقد كان لي رأي اخترت به الأمور، فقدته فموضعه من قلبي هواء ، فاجعل لي فسحةً يرجع إلي رأيي ، فأجيبك به إن شاء الله...)) (87).

من خلال النص يتبين ان سليط كان على دراية بطبيعة العلاقة بين كسرى وهودة فكان كلامه واضح بأن رأيه كان ضالاً وان بأتباعه النبي (ﷺ) سوف يشرف ويحصل على السؤود ورد هودة على كلام سليط وقد كان لي رأي اخترت به الأمور ودلالة على انه مسلوب الارادة، ومن الأدلة الاخرى على ان هودة لم يكن صاحب قرار ما اورده الكلاعي من حديث دار بين الأركوان(88)، وبين هودة من حديث قائلاً: ((قدمت اليمامة في خلافة عثمان بن عفان ، فجلست في مجلس لحجر ، فقال رجل في المجلس : إني لعند ذى التاج الحنفى يعنى هودة يوم الفصح إذ جاء حاجبه ، فاستأذن لأركون دمشق وهو عظيم من عظماء النصارى فقال : ائذن له ، فدخل فرحب به وتحادثا ، فقال الأركون : ما أطيب بلاد الملك وأبرأها من الأوجاع . قال ذو التاج : هي أصح بلاد العرب ، وهى زين بلادهم ، قال الأركون : وما قرب محمد منكم ؟ قال ذو التاج : هو بيثرب ، وقد جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام فلم أجبه قال الأركون لم لا تجيبه ؟ قال ضننت بديني ، وأنا ملك قومي ، وإن تبعته لم أملك قال : بلى ، والله لئن اتبعته ليمكنك وإن الخيرة لك في اتباعه ، وإنه للنبي العربي الذى بشر به عيسى ابن مريم ، وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل : محمد رسول الله قال ذو التاج : قد قرأت في الإنجيل ما تذكر ثم قال الأركون : فما لك لا تتبعه ؟ قال : الحسد له ، والضن بالخمر وشربها قال فما فعل هرقل ؟ قال : هو على دينه ويظهر لرسله أنه معه ، وقد سير أهل مملكته ، فأبوا أشد الإباء ، فضن بملكه أن يفارقه ، قال ذو التاج : فما رأيي إلا متبعه وداخلا في دينه ، فأنا في بيت العرب ، وهو مقرى على ما تحت يدي قال البطريق : هو فاعل فاتبعه ، فدعا رسولا وكتب معه كتابا ، وسمى هدايا ، فجاءه قومه فقالوا : تتبع محمدا وتترك دينك ، لا تملك علينا أبدا ، فرفض الكتاب قال فأقام الأركون عنده في حباء وكرامة ، ثم وصله ووجه راجعا إلى الشام قال الرجل وتبعته حين خرج ، فقلت أحق ما أخبرت ذا التاج ؟ قال : نعم والله ، فاتبعه ، قال فرجعت إلى أهلي فتكلفت الشخصوص إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقدمت عليه مسلما ، فأخبرته بكل ما كان ، فحمد الله الذى هداني)) (89).

نلاحظ من خلال الحديث الذي دار بين الأركون وهودة يبين لنا ان الأول كان معاتب هودة لأنه لم يستجيب الى رسالة الرسول (ﷺ) ثم نلاحظه انه كان خائف على ملكه ان يفقده اذا اتبعه اي انه كان

خائف ان يفقد امتيازاته كافة وايضاً اخذه الحسد والضن على النبي (ﷺ) وهوذة كان يعلم بنبوة النبي (ﷺ) من خلال الكتب المقدس الإنجيل الذي بشر به سابقاً، وهنا يطرح السؤال لماذا سئل عن هرقل هل يريد ان يفعل ما فعل هرقل يمكننا الإجابة عنها لقد كان هرقل على استعدادٍ لاتباع الرسول (ﷺ) ولكن في المقابل كانت هناك ثورة كبيرة في داخل البلاط الملكي ترفض تمامًا فكرة الإسلام. وأدرك هرقل أنه لكي يعلن رغبته في اتباع الرسول (ﷺ) عليه أن يغامر بملكه، وأن يخاطر بسيادته على شعبه (90)، وايضا ان هوذة تأثر بكلام الأركون وارد ان يسلم لكن حدث معه نفس ما حدث مع هرقل من ابناء قومه رافضين فكرة الإسلام فخاف على ملكه.

الخاتمة

1. يعتبر هوذة بن علي الحنفي أول ملك على اليمامة في شبة الجزيرة العربية الذي توج من قبل كسرى ملك الفرس قبل الإسلام.
2. لم تشر المصادر الى طبيعة حياته الأسرية مثل معرفة أبوه وأمه وأخوته وزوجاته وأولاده إلا بالشيء اليسير بحيث استطعنا من خلال البحث ان نعرف انه متزوج ولديه أولاد من خلال كتب الأدب.
3. اتضح من خلال البحث أن هوذة بن علي الحنفي أراد التخلص من أعدائه من القبائل العربية بالانضمام الى كسرى ملك الفرسمن أجل السيطرة على المنطقة بالكامل.
4. تبين لنا أن هوذة بن علي الحنفي كان حليف الى كسرى ملك الفرس وبهذا الحلف قد خان القبائل العربية من أجل أجارة قافلة كسرى للاستحواذ المال له وحدة.
5. كان هوذة بن علي الحنفي يعلم بنبوة النبي (ﷺ) قبل ظهور الإسلام من خلال الإنجيل.
6. لم يسلم هوذة بن علي الحنفي ومات على النصرانية وذلك من أجل مصالحة الشخصية وسام النبي (ﷺ) من أجل ذلك فعلق إسلامه.

الهوامش

- ¹ سورة الأعراف، 158.
- ² سورة سبأ، 28.
- ³ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص310؛ ينظر، ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج1، ص396.
- ⁴ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص262؛ ينظر، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص47؛ ينظر، البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص531.

- (5) الإنباه على قبائل الرواة، ص 87.
- (6) قران: قرية من قرى اليمامة لبني سحيم بن مرة بن الدؤل بن حنيفة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 319.
- (7) حجر: هي مدينة اليمامة وأم قراها وهي شركة إلا أن الأصل لحنيفة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 221.
- (8) معجم ما استعجم، ج 3، ص 1063
- (9) أنساب الأشراف، ج 1، ص 460.
- (10) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 8، ص 153؛ ينظر، ابن حبيب البغدادي، المخبر، ص 97؛ ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج 3، ص 244؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 18، ص 204؛ ابن حجر، الإصابة، ج 8، ص 222.
- (11) الكهف: 46.
- (12) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج 17، ص 204.
- (13) مجمع الأمثال، ج 2، ص 73؛ ينظر، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج 3، ص 249؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 290.
- (14) الأعرشي: ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي أبو بصير المعروف بأعشى قيس ويقال له أعشى بكر بن وائل من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية عاش عمرا طويلا وأدرك لاسلام ولم يسلم ولقب بالأعشى ضعف بصره وعمي في أواخر عمره مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة؛ للاستزادة عن أخباره ينظر، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج 9، ص 75. 90.
- (15) شرح ديوان الأعشى الكبير، ص 65. 68.
- (16) مسيلمة الكذاب: بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث بن همام بن ذهل بن الزوال بن حنيفة ويكنى أبا ثمامة وقيل أبا هارون وكان قد تسمى بالرحمان فكان يقال له رحمان اليمامة وكان عمره يوم قتل مائة وخمسين سنة في اليمامة وقتل في حلروب الرد بزمن ابو بكر الصديق، للاستزادة عن اخباره ؛ ينظر، ابن كثير، البداية والنهاية، ج 5، ص 61.
- (17) عرانيين: وجوههم وسادتهم وأشرافهم، الزبيدي، تاج العروس، ج 18، ص 375.
- (18) البلدان، ج 2، ص 169.
- (19) الكامل في التاريخ، ج 3، ص 378
- (20) سليط بن عمرو: بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وكان سليط من المهاجرين الأولين قديم الاسلام بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية وجهه رسول الله (ص) بكتابه إلى هودة بن علي الحنفي وذلك في محرم سنة سبع من الهجرة وقتل سليط بن عمرو يوم اليمامة شهيدا سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 4، ص 203.
- (21) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 262؛ ينظر، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج 3، ص 290؛ الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه من معازي رسول الله (ص) والثلاثة الخلفاء، ص 20؛ ابن سيد الناس، السيرة النبوية، ج 2، ص 337.

- (22) تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص581؛ ينظر، أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج17، ص204.
- (23) كركرة: وكان رجلاً أسود مع النبي صلى الله عليه وسلم يمسك دابته عند القتال يقال له كركرة فقتل يومئذ فقيلاً: يا رسول الله استشهد كركرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه الآن ليحرق في النار على شملة غلها، الواقدي، المغازي، ج2، ص681.
- (24) ابن حجر، الإصابة، ج5، ص438.
- (25) الأغاني، ج17، ص204.
- (26) قنوط: اليأس، الجوهري، الصحاح، ج3، ص1155.
- (27) ربيب: الراهب والزهد والحكيم الذي ظلف أي ربط نفسه عن الدنيا أي سدها ومنعها، الزبيدي، تاج العروس، ج10، ص260.
- (28) سقيط: الثلج، ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص316.
- (29) لقيط: لمنبوذ، ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص394.
- (30) خبيط: الماء القليل يبقى في الحوض، الزبيدي، تاج العروس، ج10، ص231.
- (31) غبيط: هو الموضع الذي يوطأ للمرأة على البعير كالمودج يعمل من خشب، ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص361.
- (32) غطيظ: وهو الصوت الذي يخرج مع نفس النائم، الزبيدي، تاج العروس، ج10، ص353.
- (33) عبيط: الحم طري غير نضيج، ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص347.
- (34) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ص68؛ ينظر، الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ص) والثلاثة الخلفاء، ص21.
- (35) للاستزادة ينظر، ديوان الأعشى، ص65.68.
- (36) للاستزادة ينظر، ديوان الأعشى، ص89.91.
- (37) للاستزادة ينظر، ديوان الأعشى، ص91.99.
- (38) للاستزادة ينظر، ديوان الأعشى، ص100.111.
- (39) أنساب الأشراف، ج1، ص531؛ ينظر، البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص105؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص247.
- (40) المعارف، ص97.
- (41) تاريخ الطبري، ج1، ص582؛ أما ابن الأثير فذكر أن كان ملك على اليمامة؛ للاستزادة ينظر، الكامل في التاريخ، ج1، ص468.
- (42) الأغاني، ج17، ص202.204.
- (43) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص290.

- 44) الضحاك، الأحاد والمثاني، ج1، ص466؛ ينظر، المسعودي، التنبيه والأشراف ، ص60، الطبراني، الأحاديث الطوال، ص60؛ ابن حبان، الثقات ، ج2، ص7؛ البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص407.
- 45) الكامل في اللغة والأدب، ص65.
- 46) ديوان الأعشى الكبير، ص100؛ ينظر، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج117، ص204.
- 47) عبدالله بن طاهر: بن الحسين بن مصعب يكنى أبو العباس حاكم خراسان وما وراء النهر في زمن المأمون قلده الأخير مصر وإفريقية ثم خراسان وكان ملكا مطاعا سائسا مهيبا جوادا ممدحا من رجال الكمال ومات بالخانوق سنة ثلاثين ومئتين وله ثمان وأربعون سنة، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص685.
- 48) لكن أبو الفرج الأصفهاني، في كتابة الأغاني ، ج3، ص202؛ يذكر الحادثة التي تمثل بها الشاعر الى عبدالله بن طاهر أمير مرو لكن هناك اختلاف في الأبيات قائلاً: قال الشاعر يخاطب عبد الله بن طاهر :
- فاشرب هنيتا عليك التاج مرتفقا * بالشاذياخ ودع غمدان لليمن
فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من ابن هودّة يوما وابن ذي يزن
- 49) ابن ذي يزن: هو سيف بن ذي يزن بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم ولد ونشأ بصنعاء ، وكان الحبشة قد ملكوا اليمن في أوائل القرن السادس للميلاد وقتلوا أكثر ملوكها من آل حمير فنهض سيف وقصد انطاكية وفيها قيصر ملك الروم فشكا إليه ما أصاب اليمن فلم يلتفت إليه فقصد النعمان بن المنذر عامل كسرى على الحيرة والعراق فأوصله إلى كسرى أنوشروان فأعانه ملك الفرس على قتل ملك الحبشة ثم الحقت اليمن ببلاد الفرس على أن يكون ملكها والمتصرف في شؤونها سيف بن ذي يزن توفي الملك سيف سنة 50 ق؛ السهيلي ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ص82؛ ينظر، الزركلي، الأعلام، ج3، ص149.
- 50) الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، ص199.
- 51) الجنبي، عبد الخالق عبد الجليل، هجر وقصباتها الثلاث المشقر الصفا الشيعان ونهر ملحم، ص74.
- 52) وهرز: بن الكاجمار وهو قائد جيش لسيف بن ذي يزن للاحتلال الحبشة الذي بعثه كسرى وكان راميا شجاعا مع مكانة في الفرس الذي قتل أبه الحبشي؛ ابن قتيبة الدينوري، الأخبار الطوال، ص64؛ ينظر، أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج17، ص197.
- 53) صعصعة بن ناجية: وهو صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي جد الفرزدق الشاعر وكان صعصعة هذا من أشراف بني تميم ووجه بني مجاشع ، كان في الجاهلية يفتدى المؤذات من بني تميم؛ للاستزادة ينظر، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص718.
- 54) بني يربوع: وهم بطن من بني تميم، السمعاني، الأنساب، ج5، ص686
- 55) النطف: النطف بن الخير واسمه حطان وانما سمي النطف لأنه كان فقيرا وكان يحمل الماء على ظهره فيقطر الماء فيقول نطفت القرية وقريني نطفة، البلاذري، أنساب الأشراف، ج12، ص205.

- (56) ملحم: نهر بالبحرين ويقال عين فوارة بالبحرين عين أكثر ماء منها وماؤها حار في منبعها فإذا برد فهو ماء عذب ولهذه العين إذا جرت في نهرها خلج كثيرة تتخلج منها تسقي تحيل جوائء وعسلج وقريات من قرى حجر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص180.
- (57) بسك بن ماهبوذ، لم تقع له على ترجمة؛ لكن أبي الفرج الأصفهاني ذكر انه من بني عبس، الأغاني، ج17، ص205.
- (58) عنقب الرياحي: لم تقع له على الترجمة.
- (59) هبيرة بن حدير العدوي: لم تقع له على ترجمة كافية بل كل ما ذكرته انه كان مؤذن بني عدي؛ ينظر، المري، تهذيب الكمال، ج10، ص273.
- (60) عبيد بن وهب: لم تقع له على ترجمة.
- (61) تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص581.
- (62) بنو الجعيد المراديون: لم تقع لهم على ترجمة.
- (63) في رواية الطبري التي ذكرناها سابقاً باسم صعصعة وهو ابن ناجية ولكن هنا باسم الأب وهو ناجية بن عقال.
- (64) عتبية بن الحارث بن شهاب: التميمي فارس تميم في الجاهلية كان يلقب سم الفرسان و صياد الفوارس ويضرب المثل به في الفروسية كانوا يعدون أبطال الجاهلية ثلاثة قتله ذؤاب بن ربيعة؛ العسكري، تصفيحات المحدثين، ج2، ص705.
- (65) جزء بن سعيد: بن عدي بن زيد بن رياح بن يربوع وكان عظيم القدر في الجاهلية وقد أخذ المرباع وقاد بني يربوع كلها ولم يقدها أحد فيما يقولون غيره، البلاذري، أنساب الأشراف، ج12، ص165.
- (66) أبو مليل عبدالله بن الحارث، لم تقع له على ترجمة.
- (67) أسيد بن حنأة: بن حذيفة بن زيد بن ضباب بن سليط وكان من أفرس الناس وأشدهم وكان يشهد الغارات والوقائع مع عتبية وغيره وأسر يوم الصرائم؛ للاستزادة عن أخباره ينظر، البلاذري، أنساب الأشراف، ج12، ص200.
- (68) خيرري بن عبادة بن النوال بن مرة بن عبيد: لم تقع له على ترجمة.
- (69) الأغاني، ج17، ص203.
- (70) النعمان بن المنذر: ابن المنذر بن ماء السماء وكنيته أبو قابوس وهو الذي تنصر وأمه سلمى بنت وائل بن عطية الصايغ من أهل فندك وملك اثنتين وعشرين سنة وقتله كسرى برويزوسبب مقتله كانت وقعة ذي قار بين الفرس والعرب، للاستزادة عن أخباره؛ ينظر، أبي الفداء، المختصر في أخبار البشر تاريخ أبي الفداء، ج1، ص72.
- (71) جعالة: وهو الأجر على الشيء فعلاً أو قولاً، ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص111.
- (72) النطاع: قرية من قرى اليمامة وهي ركية عذبة الماء غزيرته؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص291.
- (73) أردشير خره: كورة من كور فارس ومعناها بماء أردشير وهو ملك من ملوك الفرس؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص146.
- (74) مصاد: لم تقع له على ترجمة.
- (75) الأغاني، ج17، ص203، ص205.

- (76) عامر بن سلمة : عامر بن سلمة بن عبيد بن ثعلبة الحنفي عم ثمامة بن أثال اليمامي أنه أسلم في آخر عمر الرسول (ص) وأنه التقى به في الأعوام الثلاثة الأولى من الدعوة في سوق عكاظ ومجنة وبذي المجاز؛ ابن حجر، الإصابة، ج3، ص471؛ ينظر، الحميري، الروض المعطاء في خبر الأقطار، ص411.
- (77) عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص142.
- (87) مجنة: اسم سوق للعرب كان في الجاهلية وكان ذو المجاز ومجنة وعكاظ أسواقا في الجاهلية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص58.
- (79) ذي المجاز: موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمينه على فرسخ من عرفة كانت العرب تقوم في الجاهلية ولمدة ثمانية أيام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص55.
- (80) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ص) والثلاثة الخلفاء، ص22؛ ينظر، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص412.
- (81) الأردني، الكتاب المقدس تحت المجهر، ص140.
- (82) سيابة: يقطع . وفسره بعضهم بالبلح أو البسر على تقدير مضاف أي قدر بلحة أو بسرة من الأرض أو المراد نفس البلحة أو البسرة بتقدير ناشئة، ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص479.
- (83) باد: هلك، ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص97.
- (84) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص262؛ ينظر، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص47؛ ينظر، البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص105؛ ينظر، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص290.
- (85) ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف، ج7، ص568؛ ينظر، مسلم، صحيح مسلم، ج6، ص6.
- (86) السرحاني، راغب، السيرة النبوية، ص65.
- (87) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ص68؛ ينظر، الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ص) والثلاثة الخلفاء، ص20.
- (88) الأركون: هو من كبار القساوسة واعظهم واسلم على يد خالد بن الوليد عندما فتح دمشق، ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج7، ص138.
- (89) لاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ص) والثلاثة الخلفاء، ص21.
- (90) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص292.
- (91) الأردني، عودة مهاوش، الكتاب المقدس تحت المجهر، ط1، (مؤسسة أنصاريان - قم المقدسة - إيران/ 1412هـ)

قائمة المصادر

1. القرآن الكريم:

- * الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، (ت 874هـ/1470م)
2. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة القاهرة).
* ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني، (ت 630هـ/123م).
3. اللباب في تهذيب الأنساب، (دار الصادر. بيروت، ب. ت.).
* الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل، (ت 7هـ/132م)
4. شرح ديوان الأعشى الكبير، (ب. ت.).
* البكري، عبد الله بن عبد العزيز البكري، (ت 487هـ/1094م)
5. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، ط3، (عالم الكتب - بيروت - لبنان. 1983م).
* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت 279هـ/892م)
6. انساب الأشراف، تح: محمد باقر المحمودي، ط1، (دار المعارف. بيروت/1977م).
7. فتوح البلدان، تح: صلاح الدين المنجد، (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة/1957م).
* جنبي، عبد الخالق عبد الجليل
8. هجر وقصباتها الثلاث المشترقة للصفاء الشيعان ونهر ملح، ط1، دار البيضاء السعودية، (ب. ت.).
* ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبي الفرج، (ت 597هـ/1200م)
9. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان/ د. ت.).
* الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت 393هـ/1002م)
10. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور العطار، ط4، (دار العلم للملايين - بيروت - لبنان/1987م).
* ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي، (ت 354هـ/965م)
11. الثقات، ط1، (مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر أباد. الهند، 1393هـ).
* الحبيب البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو (ت 245هـ/859م)
12. المحبر، (ب. م. 1261هـ).
* ابن حجر، شهاب الدين العسقلاني، (ت 852هـ/1448م)
13. الاصابة في تميز الصحابة، تح: عادل أحمد، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت/1415هـ).
* ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، (ت 456هـ/1063م)
14. جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، ط1، (دار الكتب العلمية - بيروت/1983م).
* ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، (ت 562هـ/1166م)
15. التذكرة الحمدونية، تح: احسان عباس، ط1، (دار صادر للطباعة والنشر. بيروت).
الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت 900هـ/1496م)

16. الروض المعطاء في خير الأقطار، تح: إحسان عباس، (مكتبة لبنان - 1984م).

*خليفة بن خياط، أبي عمر بن هبيرة الليثي، (ت240هـ / 854 م)

17. تاريخ خليفة، تح: سهيل زكار، (دار الفكر - بيروت، ب. ت.).

*الذهبي، شمس الدين بن محمد بن أحمد (ت748هـ / 1347م)

*الأردني، عودة مهاوش

18. الكتاب المقدس تحت المجهر، ط1، (مؤسسة أنصاريان - قم المقدسة - إيران / 1412هـ)، ص140.

19. سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ط9، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م).

*الزبيدي، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى، (ت1205هـ / 1791م)

20. تاج العروس، تح: علي شيري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، 1994م).

*الزركلي، خير الدين، (ت1419هـ / 1998م)

21. الأعلام، ط5، (دار العلم للملايين - بيروت / 1980م).

*السرجاني، راغب.

22. السيرة النبوية، (ب. م. ب. ت.).

*ابن سعد، محمد بن علي، (ت230هـ / 844 م)

23. الطبقات الكبرى، ترجمة الإمام الحسن، تح: عبد العزيز الطباطبائي، ط1، (مؤسسة أهل البيت (ع) لإحياء التراث العربي،

قم/1416هـ).

*السمعي، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، (ت562هـ / 1166م)

24. الانساب، تح: عبد الله عمر البارودي، ط1، (دار الجنان - بيروت/1988م).

*السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد بن أبي الحسن، (ت581هـ / 1185م)

25. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تح: طه عبد الرؤوف سعد، (دار الفكر - بيروت - لبنان، 1989م).

*ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى، (ت734هـ / 1333م)

26. السيرة النبوية، (مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، 1986م).

*عبد الله بن أبي شيبه إبراهيم بن عثمان، (ت235هـ / 849م)

27. المصنف، تح: سعيد اللحام، ط1، (دار الفكر للطباعة بيروت - لبنان، 1989م).

*الضحاك، ابن أبي عاصم، (ت287هـ / 900م)

28. الأحاد والمثاني، تح: باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط1، (دار الدراية، ب. م. / 1991م).

*الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد، (ت360هـ / 970م)

29. الأحاديث الطوال، تح: مصطفى عبد القادر، ط1، (دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1992م).
*الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/910م)
30. تاريخ الرسل والملوك، المعروف بتاريخ الطبري، تح: نخبة من العلماء الاجلاء، (ب. م / م. ب. ت).
*ابن عبد البر، ابن عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، (ت463هـ/1070م)
31. الإنباه على قبائل الرواة، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، (بيروت - لبنان - دار الكتاب العربي، 1985م).
*ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت571هـ/1175م)
32. تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، (دار الفكر - بيروت/ 1415هـ).
*العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، (ت382هـ/992م)
33. تصحيفات المحدثين، تح: محمود أحمد ميرة، ط1، (المطبعة العربية الحديثة - القاهرة، 1982م).
*أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل، (ت732هـ/1351م).
34. المختصر في أخبار البشر تاريخ أبي الفداء، (دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، ب. ت).
* أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد، (ت356هـ/966م)
35. الأغاني، (ب. م / م. ب. ت).
*ابن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم، (ت276هـ/889م)
36. الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، ط1، (القاهرة. 1960م).
*ابن كثير، عماد الدين إبي الفداء إسماعيل، (ت774هـ/1372م)
37. البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط1، (دار احياء التراث العربي، بيروت/1988م).
*الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم، (ت634هـ/1232م)
38. الاكتفاء بما تضمنه من معازي رسول الله (ص) والثلاثة الخلفاء، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1،
(دار الكتب العلمية - بيروت ، 2000م).
- *الكلي، هشام بن محمد بن السائب (ت206هـ/112م)
39. جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، ط1، (ب. ت ، 1986م).
*المبرد، عباس بن يزيد، (ت285هـ/897م)
40. الكامل في اللغة والأدب، تح: عبد الحميد هندراوي، (ب. ت).
*المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف، (ت742هـ/1341م)
41. تحذيب الكمال، تح: بشار عواد معروف، ط4، (مؤسسة الرسالة - بيروت /1992م).
*المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت346هـ/957م)
42. التنبيه والأشرف، (دار صعب - بيروت - لبنان، ب. ت).

- * مسلم، بن الحجاج ابن مسلم النيسابوري، (ت261هـ / 850 م)
43. صحيح مسلم، (دار الفكر - بيروت / ب . ت).
* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت711هـ / 1311م)
44. لسان العرب، (نشر أدب الحوزة . قم/1405هـ).
* الميداني، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، (ت518هـ / 1104م)
45. مجمع الأمثال، (مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، ب . ت).
* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت733هـ / 1332م)
46. نهاية الأرب في فنون الأدب، (وزارة للثقافة المصرية، ب . ت).
* الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت 207هـ / 820م)
47. المغازي، تح :مارسدن جونس، (نشر دانس اسلامي، 1405هـ).

ملاكات الاحكام الشرعية في الفقه المعاصر
الباحث مرتضى جواد عواد المدوّح
جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية
تدريسي في جامعة البصرة بلقب علمي مدرس
murtadhaalmudawah@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/12 م تاريخ التحكيم: 2020/10/19 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

إن إيمان الفقهاء بمرونة الشريعة بالمستوى الذي يفوق سعة أفقهم جميعاً يدفعهم لبذل قصارى جهدهم لمعرفة احكام الواسع العليم واكتشاف ملاكات احكامه التي تتجاوز الزمان والمكان وافق الانسان مهما تطور، وقد يفهم بعض الفقهاء بعض الأحكام أكثر من غيرهم من دون ان يكون في ذلك طعنًا لغيرهم لكون الشريعة واسعة جداً ومرنة للغاية وكل فقيه يستنبط منها بقدر فهمه وعلمه ، وأن للعقل و لنظرية التزاحم الحفظي دور كبير في تطوير الفقه والحفاظ على الملاك الاهم في الفقه المعاصر وبملاحظة الاحكام المنسجمة مع الواقع على اساس حفظ الاهم من خلال تقديمه في مجال العمل على المهم وان كان سوف يؤدي لخسارتنا في مقام العمل لأحكام مهمة في حياتنا إلا ان المولى سبحانه شاءت إرادته في مقام التشريع ان يفوت علينا تلك المصالح المهمة ولكن لأجل مصالح أهم او ان يوقعنا في بعض المفاصد ولكن لأجل تجنبنا مفاصد أكبر وبهذا يتبين الدور الفعال لملاكات الاحكام الشرعية في الفقه عموماً والفقه المعاصر خصوصاً من خلال التطبيقات الفقهية المعاصرة الكثيرة . وأن جوهر الإستخدام الإستقلالي للعقل في عملية الإستنباط وأساسه هو الإستفادة من المصلحة والمفسدة في تشريع الأحكام الشرعية في الإسلام . ولا شك من الناحية النظرية بإمكانية قدرة الإنسان على كشف ملاكات الأحكام ، بواسطة العقل ، بمعنى : أن المسألة لا تستلزم أي مجال . وأما بالنسبة إلى البحث الإثباتي ، فالكشف عن الملاك الخالي عن المانع والمزاحم بوسيلة العقل عند غالبية علماء الأصول الشيعية ، وبعض علماء السنة غير ممكن . وأما الكشف عن طريق النقل ، فالمدرسة الشيعية عندها تحفظ بالنسبة إلى استفادة التعليل من النصوص من الأساس ، وبالنسبة إلى كونه على نحو العلة التامة التي تفيدي في إثبات الإستخدام الإستقلالي للعقل في عملية الإستنباط .

كلمات دلالية : الملاك ، التزاحم الحفظي .

Control Bases of Legislative Laws in Contemporary Jurisprudence
Lect. Murtadha Jawad Awad Al-Modawah
University of Basrah, College of Education for Human Sciences, Department of
Qura'nic Sciences and Islamic Education
murtadhaalmudawah@gmail.com

Abstract

The faith of the faqihs in the flexibility of the Sharia, at a level that exceeds their broad horizons, motivates them to do their best to know the laws of Allah, the vast and knowledgeable, that transcend space and time, and man's horizon no matter how much development he acquired. Some faqihs may understand the laws more than others because the Sharia is very broad and very flexible, and every faqih derives from it according to his understanding and knowledge. The mind and the conservation crowding theory have a great role in developing jurisprudence and preserving the control basis, which is the most important in contemporary jurisprudence. The will of Almighty Allah wanted in the place of legislation for us to miss those important interests, but for the sake of more important interests, or to inflict some evil on us, but in order to spare us greater evils. The essence of the independent use of reason in the process of deduction and its basis is to benefit from interest and corruption in the legislation of Sharia rulings in Islam. In theory, there is no doubt about the human ability to uncover the control bases of laws through the mind, which means that the issue does not require any referral. As for the evidentiary research, revealing the control that is free of inhibitions and competition is not possible by reason as the majority of Shiite scholars and some Sunni scholars opine. As for disclosure by means of transmission, the Shiite school reserves the right to benefit from the reasoning from the texts.

Keywords: control basis, conservation crowding

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق اجمعين محمد وال الميامين سادات الانام من الاولين والآخرين الى قيام يوم الدين.

ان المولى سبحانه وتعالى في مقام حفظ تشريعاته وأغراضه الواقعية بعد فرض عدم إمكان حفظها جميعاً لأي سبب كان ، شرع لنا قانون التزاحم ، لجهلنا بملاكات الاحكام الشرعية والتي لم تتضح لنا صريحة او نصا من خلال النصوص الشرعية او مع قصور عقولنا لدرك المصالح والمفاسد الواقعية لابد ان تكون هناك طرق واسس لمعرفة ملاكات الاحكام الشرعية سيما في ما يواجهه الفقيه من مستجدات معاصرة وحديثة لم تكن موضوعاتها متحققة سابقا لذا فإن المشرع- سواء آكان من خلال القوانين الوضعية أو الإلهية - لا بد وأن تنتهي تشريعاته إلى غرض معين ، ويؤدي كل تشريع من

تلك التشريعات غرضاً معيناً ، ينتهي في النتيجة إلى الغرض النهائي من وراء الشريعة ، ومن المعلوم إن ذلك الغرض الواقعي لا يحصل إلا إذا توفرت أربعة أمور :

الأول : جعل المشرع للتشريع المحقق لذلك الغرض .

الثاني : صدور ذلك التشريع إلى المقصودين به .

الثالث : الوصول الفعلي لتلك التشريعات إلى المقصودين بها .

الرابع : امتثال التشريع من قبل المقصودين به .

ومن المعلوم أن فقدان أي أمر من هذه الأمور الأربعة سوف يحول دون تحقق الغرض المطلوب ، إلا أن بعض هذه الأمور مرتبط بالمشرع نفسه ، والبعض الآخر منها مرتبط بالمكلف نفسه ، فالأمران الأول والثاني مرتبطان بالمشرع ، فما لم يشرع المشرع تشريعاً يتم من خلاله تحقيق الغرض المطلوب وما لم يصدر ذلك التشريع بحيث يمكن أن يصل إلى المكلف لا يمكن تحقيق ذلك الغرض الواقعي ولا تصل النوبة إلى المكلف ، وأما بالنسبة إلى الأمر الرابع ، فهو مرتبط بالمكلف ومن وظيفته .

وأما الأمر الثالث، وهو الوصول الفعلي للمكلفين فقد لا يتسنى للمشرع نفسه ضمانه لهم ، وقد لا يتمكن المكلف أيضاً من الحصول عليه لأمر قد تكون خارجة عن قدرته . ونحن عندما نتكلم عن لزوم حفظ الغرض من قبل المشرع نفسه ، نعني بذلك ما يرتبط بالأمر الثالث من الأمور الأربعة المتقدمة وما يكون ناتجاً عنه ، فإنه بعد قيام المشرع بوظيفته من التشريع وجعله في معرض الوصول إلى المكلف ، قد لا يصل هذا التشريع إليه ، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى اختلاط الأغراض الواقعية لدى المكلف بسبب عدم وصولها إليه وجهله بها ، وهو ما يؤدي إلى ضياعها الأمر الذي يؤدي إلى حصول التزاحم في مقام حفظ تلك الأغراض الواقعية عند المشرع نتيجة لعدم تمكنه من حفظها جميعاً بسبب اختلاطها لدى المكلف وجهله بملاكات تلك التشريعات ، فهذا هو منشأ حصول التزاحم الحفظي لدى المولى . ومن هنا يتبين أن منشأ ما يسمى بالتزاحم الحفظي الذي يحصل عند المولى سبحانه وتعالى هو عبارة عن اختلاط الأحكام الواقعية عند المكلف وعدم تمييزها فيما بينها بسبب جهله بها وعدم وصولها بأجمعها إليه ⁽¹⁾ . لذا سوف نعمل في هذا البحث للكشف عن بعض ادوات الفقيه التي يستخدمها في استنباطه للفقه المعاصر وذلك من خلال الخطة الآتية :

خطة البحث :

سوف نبحث في هذا البحث المختصر بعد هذه المقدمة المباحث الآتية :

المبحث الاول : ملاكات الأحكام الواقعية هي المصالح والمفاسد في متعلقاتها

المطلب الأول : بيان المقصود بملاكات الأحكام
المطلب الثاني : تعريف المصلحة والمفسدة وكيفية تحديد المولى لهما
المطلب الثالث : المقصود بكون ملاكات الأحكام كامنة في متعلقاتها
المبحث الثاني : دور العقل في كشف ملاكات الاحكام الشرعية المعاصرة
المطلب الاول : العقل في اللغة والإصلاح
المطلب الثاني : تقسيمات العقل
المطلب الثالث : المراد بالملاك التام الخالي من المعارض أو المزاحم
المطلب الرابع : قدرة العقل على كشف ملاكات الأحكام
المبحث الثالث : اثر التزاحم الحفظي في الاستنباط الفقهي المعاصر
المطلب الاول : اثر التزاحم الحفظي في توجيه الاحكام الولائية :
المطلب الثاني : اثر التزاحم الحفظي في تفسير الجهاد
المطلب الثالث : اثر التزاحم الحفظي في التوفيق بين الاحكام الاولية والثانوية
المطلب الرابع : بعض التطبيقات المعاصرة :
الخاتمة
المصادر

المبحث الاول : ملاكات الأحكام الواقعية هي المصالح والمفاسد في متعلقاتها

والكلام في هذا المبحث يقع في أربعة مطالب :

المطلب الأول : بيان المقصود بملاكات الأحكام :

الامر الاول : الملاك لغة :

وأما الملاك ، فهو في اللغة عبارة عن ما يقوم أو يتقوم به الأمر ، أو ما يعتمد عليه ، فقد جاء في لسان العرب :
((وملاك الأمر وملاكه : قوامه الذي يملك به وصلاحه . وفي التهذيب : وملاك الأمر الذي يعتمد عليه ، وملاك الأمر وملاكه ما يقوم به . وفي الحديث : ملاك الدين الورع ، الملاك ، بالكسر والفتح : قوام الشيء ونظامه وما يعتمد عليه فيه)) (2) .

الامر الثاني : الملاك اصطلاحاً :

وأما ملاك الحكم الشرعي في اصطلاح الأصوليين ، فلم يرد لهم في ذلك تعريف واضح ومحدد ، ولكنهم يجعلونه مرادفة للمصلحة أو المفسدة التي ينشأ منها الحكم الشرعي كما ورد ذلك على لسان كثير من الأصوليين (3) ، ومنهم المحقق النائيني حيث قال : (فإن كان للزمان دخل في ملاك الحكم والمصلحة التي اقتضت تشريع الوجوب) (4) ، ومثله ما ورد في عبارات السيد الروحاني حيث قال : ((الحكم العقلي الواقع في سلسلة علل الأحكام ، أي ما يكون دركاً للمصلحة أو المفسدة التي هي ملاك الحكم)) (5) ، وقد يعبر عنه بمناط الحكم ، كما ورد كلمات المحقق النائيني حيث قال : ((وذلك لأن مرادنا من القدرة الشرعية ما أخذت في لسان الدليل بحيث يستكشف . أن لها دخلاً في ملاك الحكم ومناطه)) (6) .

وقد يعبر عنه أيضاً بعلة الحكم ، كما جاء ذلك على لسان السيد الخوئي حيث ورد عنه : ((ما يكون كاشفاً عن ملاك الحكم وعلته)) (7) .

وسواء أطلق عليه « ملاك الحكم » أو « مناط الحكم » أو « علة الحكم » ، فإن الذي يهمننا هو معرفة ذلك الملاك ومدى ارتباطه بالمصالح والمفاسد التي قيل بأن الأحكام الشرعية تابعة لها .

وعليه ، فإن كان مرادهم من التعبير عن ملاك الحكم بنفس المصلحة أو المفسدة مطلق المصالح والمفاسد ، فهو غير صحيح ؛ لأن ذلك مشروط بعدم المانع والمزاحم وغيره . وهو ما يستفاد من كلام المحقق العراقي حيث قال : ((ومجرد تبعية الحكم من المولى المفسدة المتعلق لا ينافي ذلك ، إذ معنى التبعية عدم حكمه بدونها لا حكمه بمجرد وجودها ، كيف وهذا المعنى أول شيء ينكر)) (8) .

نعم ، المصلحة أو المفسدة من قبيل المقتضي . والفرق بين المقتضي والملاك واضح ؛ لأنّ ملاك الحكم هو بمثابة العلة التامة له بينما المقتضي هو جزء العلة .

وإن كان مرادهم من ذلك مجرد إسناد الحكم الشرعي إلى المصلحة أو المفسدة للتأكيد على تبعية الحكم لهما ودورانها دوراً بالذات الذي يتم تعليل الحكم وتبريره على أساس المصالح والمفاسد الكامنة في الأفعال بنحو القضية الكلية ، فهو صحيح في نفسه ، ولكنه ليس تعريفاً صحيحاً لملاك الحكم الشرعي ؛ إذ ليس من الضروري دائماً أن ينشأ ملاك الحكم الشرعي من مصلحة أو مفسدة كامنة في الفعل بما هو هو وبقطع النظر عن أي شيء آخر . فلربما كان الفعل المعين في نفسه غير واجد للمصلحة أو المفسدة بالدرجة التي توجب حكماً شرعياً على طبقها ولكنه - نتيجة لتعلق غرض الشارع بفعل آخر وشدة اهتمامه به - يتصف بالمصلحة أو المفسدة نتيجة لوقوعه في طريق تحقيق ذلك الفعل .

المطلب الثاني : تعريف المصلحة والمفسدة وكيفية تحديد المولى لهما

والكلام في هذا المطلب يقع في جهتين :

الجهة الأولى : المقصود بالمصلحة والمفسدة لغة واصطلاحاً

أولاً : المصلحة والمفسدة لغة :

المقصود بالمصلحة في اللغة هو : ما يقابل المفسدة ، فقد جاء في صحاح اللغة: ((الصالح ضد الفساد ... والمصلحة واحدة المصالح))⁽⁹⁾ ،

وفي لسان العرب : ((الصلاح ضد الفساد .. والمصلحة : الصلاح والمصلحة واحدة المصالح))⁽¹⁰⁾ .

وفي كتاب العين : والفساد : نقيض الصلاح ، وفسد يفسد ، وأفسدته⁽¹¹⁾ .

وقال الجوهري : ((فسد الشيء يفسد فساده ، فهو فاسد ، وقوم فسدى ، كما قالوا : ساقط وسقطى . وكذلك فسد الشيء بالضم ، فهو فسيد . ولا يقال انفسد . وأفسدته أنا . والاستفساد : خلاف الاستصلاح . والمفسدة : خلاف المصلحة))⁽¹²⁾ .

وقال ابن منظور ((والمفسدة : خلاف المصلحة . والاستفساد : خلاف الاستصلاح))⁽¹³⁾ .

ثانياً : المصلحة والمفسدة اصطلاحاً :

وأما في الاصطلاح ، فقد قال السيد المرتضى : ((المصلحة : كل ما عنده يختار المكلف الطاعة أو يكون عنده أقرب إلى اختيارها مع تمكنه في الحالين . المفسدة : ما يختار عنده المكلف المعصية أو يكون أقرب إلى اختيارها مع تمكنه في الحالين ، وليس فيه تعريض الثواب زائداً))⁽¹⁴⁾ .

وقال الغزالي : ((أما المصلحة : فهي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضره))⁽¹⁵⁾

. وقال المحقق الحلبي : ((المصلحة : هي ما يوافق الانسان في مقاصده لديناه أو لآخرته أو لهما ، وحاصله : تحصيل منفعة أو دفع مضره ، ولما كانت الشرعيات مبتنيات على المصالح وجب النظر في رعايتها))⁽¹⁶⁾ .

وقال الطوفي : ((هي السبب المؤدي إلى مقصود الشرع عبادة أو عادة .

وعرفها محمد سعيد البوطي بأنها : ((المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده ، من حفظ دينهم ، ونفوسهم ، وعقولهم ، ونسلهم ، وأموالهم ، طبق ترتيب معين فيما بينها))⁽¹⁷⁾ .

الجهة الثانية : كيفية تحديد المولى للمصالح والمفاسد

لا شك في ان ملاك الحكم الشرعي ليس هو مجرد وجود المصلحة أو المفسدة في الفعل المعين ؛ فإنه ليس كل مصلحة أو مفسدة موجبة في نفسها لجعل حكم شرعي على طبقها ، ولكن هذا لا يعني افتراض وجود الملاك بدون المصلحة أو المفسدة ؛ فإحتما دخیلان قطعاً في ملاك الحكم الشرعي .

وهذا هو معنى تبعية الأحكام للمصالح والمفاسد ، فكلما فرض وجود حكم شرعي فإنه لا بد وأن يفرض أن هناك مصلحة أو مفسدة اقتضت جعله وتشريعه ، وأن هذه المصلحة أو المفسدة لا بد وأن يكون متعلق الحكم دخل فيها ، إما لكونها كامنة فيه ، وإما لوقوعه في طريق تحقيقها .

وعلى كلا التقديرين يكون متعلق الحكم دخل في تحقيق تلك المصلحة . وهذا يعني أن الأحكام الشرعية تدور مدار المصالح والمفاسد في متعلقاتها ، والمولى هو الذي يحدد تلك المصالح والمفاسد ويجعل الحكم الشرعي طبقاً لها .

والسؤال الذي يطرح نفسه في المقام هو : ما هي الطريقة التي يتم للمولى من خلالها تحديد تلك المصالح والمفاسد ؟

فهل هي النظر إلى كل فعل بذاته ويقطع النظر عن غيره من الأفعال الأخرى وما يرتبط بها من تشريعات ؟ أم هي النظر إلى الأفعال كمجموعة واحدة متكاملة يؤثر بعضها في البعض الآخر ويتأثر بها بحيث يؤثر الحكم الشرعي المتعلق بهذا الفعل أو ذاك بشكل أو بآخر في طبيعة الحكم الشرعي المتعلق بالفعل الآخر ؟ والجواب على التساؤل المتقدم يتضح من خلال البيان التالي :

إن الشريعة باعتبارها مجموعة من التشريعات تتعلق بمجموعة من الأفعال يتم من خلالها تنظيم حياة الإنسان الفردية والاجتماعية ، فهي تخضع لنظام المصالح والمفاسد التي ترتبط بالإنسان في حياته ، ومن هنا قيل بتبعية الأحكام للمصالح والمفاسد الكامنة في متعلقات تلك الأحكام ، ولكن ، لا يخلو هذا التعبير من بعض الغموض ؛ إذ قد يراد به أن كل فعل من الأفعال التي تعلق بها الحكم يكون واجداً للمصلحة أو المفسدة بما هو في نفسه ويقطع النظر عن غيره من الأفعال الأخرى سواء تعلق بها التشريع أم لا ، وهذا المعنى بنحو الموجبة الجزئية وإن كان صحيحاً على مسلك العدالة القائلين بالحسن والقبح العقليين ، إلا أنه لا يمكن افتراضه بلحاظ كل فعل من الأفعال التي تعلق بها التشريع بنحو الاطلاق ؛ فإن من الأفعال ما هو واجد للمصلحة أو المفسدة ويقطع النظر عن أي شيء آخر ، كما أن منها ما ليس كذلك قطعاً ؛ إذ إن بعض الأفعال بالقياس إلى نفسه لا مصلحة فيه ، إلا أنه بملاحظة طبيعة الحكم الشرعي المتعلق بغيره يتصف بالمصلحة .

وبناء على ذلك ، فلا بد وأن يراد منه معنى أوسع من ذلك ، أي ملاحظة كل فعل من الأفعال التي تعلق بها التشريع في إطار دائرة ارتباطه مع الأفعال الأخرى التي تعلقت بها التشريعات الأخرى ، فلا يكفي في تشخيص المصالح والمفاسد النظر إلى الفعل بذاته وبعنوانه ، بل لا بد أن ينظر إليه منضماً إلى غيره من الأفعال ومدى تأثيرها في ذلك الفعل ونحو ارتباطها به ، فإن بين تلك الأفعال تمانع وتزاحم في أغلب الأحيان ، فشرب الدواء بما هو شرب للدواء بالنسبة للمريض يكون مصلحة ، إلا أنه لو انضم إليه الأكل أحياناً فلربما كان مفسدة ، أو أنه يكون مانعاً من استيفاء تلك المصلحة . وبناءً على ذلك كله ، فلا يمكن بحال من الأحوال أن تقاس مصلحة الفعل أو مفسدته بلحاظ نفسه فقط وبقطع النظر عن أي شيء آخر .

فعندما نعبر عن ملاك الحكم بالمصلحة القائمة بالفعل ، فإننا لا نعني بذلك ملاحظة ذلك الفعل مجردة عن الأفعال الأخرى وما تعلق بها من تشريعات ، بل نعني به أن في الفعل مصلحة بالنظر إلى طبيعة التشريعات التي تعلقت بحسب الفرض بالأفعال الأخرى . فقد يكون تحريم فعل من الأفعال لأجل ما فيه من المفسدة مما يخلق بدوره مصلحة تقتضي الوجوب في فعل آخر ، وقد يكون إيجاب فعل من الأفعال لما فيه من المصلحة مما يخلق بدوره مفسدة في فعل آخر مقتضيه للتحريم .

ومن هنا نشأت صعوبة إدراك العقل لملاكات الأحكام حتى لو تمكن من إدراك المصلحة في فعل معين من حيث هو ، فإن مثل هذه المصلحة قد لا تكون كذلك لو قيست إلى ما تعلق بالأفعال الأخرى من تشريعات . فالمصالح والمفاسد التي تدور حولها الأحكام الشرعية والتي تعبر عن الملاكات لتلك الأحكام ، إنما هي بالنظر إليها ضمن مجموعة الأفعال التي تعلقت بها التشريعات ومدى أهميتها لدى المشرع لا بقطع النظر عن ذلك . فمفسدة الجمع بين الأختين في الزواج والتي اقتضت المنع من ذلك ، ربما لم تكن كذلك لو لم تقس إلى مصلحة أخرى كان الشارع ناظراً إليها ، كما أن مفسدة الزواج بأكثر من أربعة والتي اقتضت المنع عن ذلك ، ربما لم تكن كذلك لو لم تقس إلى مصلحة أخرى ، وهكذا .

ومن جميع ذلك ، يتبين أن معنى تبعية الأحكام للمصالح والمفاسد الكامنة في متعلقاتها إنما هو كذلك بلحاظ كون تلك المتعلقات مجموعة واحدة تعلقت بها تلك الأحكام في إطار المنظومة التشريعية الواحدة ، وليس بلحاظ كل متعلق في نفسه ويقطع النظر عن المتعلقات الأخرى وما ارتبطت بها من أحكام وعن طبيعة تلك الأحكام ، فإن إيجاب فعل من الأفعال قد يقتضي أحياناً تحريم كل فعل يناهض الغرض من ذلك الإيجاب ، بالنحو الذي يفترض معه أنه لو لم يكن ذلك الفعل واجباً ، لما كان هناك مبرر لتحريم مثل تلك الأفعال ، وهذا يرتبط بما يراه المولى من أهمية لهذا الغرض أو ذاك .

المطلب الثالث : المقصود بكون ملاكات الأحكام كامنة في متعلقاتها:

تبين من خلال الاستعراض السابق أن الأحكام الواقعية ناشئة من ملاكات اقتضت جعلها وتشريعها ، ونريد من خلال استعراضنا لذلك أن نبين أن هذه الملاكات عبارة عن المصالح والمفاسد أولاً، وكونها كامنة في متعلقات تلك الأحكام وليس خارجة عنها ثانياً

والمقصود من ذلك هو إن هذه الأحكام ناشئة من مصالح و مفسد في نفس متعلقات تلك الأحكام وليس خارجة عنها ، فحكم الشارع بوجود الصلاة مثلاً ، يكون ناشئاً من مصلحة في نفس فعل الصلاة ، وحكم الشارع بحرمة الربا يكون ناشئاً من مفسدة في نفس فعل الربا .

وحيث أن الغرض من التشريعات عموماً هو حفظ نظام الفرد والمجتمع بالمقدار الذي يهدف المشرع إلى تحقيقه من خلال تلك التشريعات ، فهو يختلف سعة وضيقاً باختلاف المشرع ، فالمشرع الوضعي لا يهدف من تشريعاته وقوانينه إلا حفظ نظام الفرد والمجتمع في هذه الحياة الدنيا ، بينما المشرع الإلهي يسعى من وراء ذلك إلى أبعد من هذه الدنيا ، فيهدف إلى حفظ هذا النظام بالمعنى الذي ينسجم مع عالم الآخرة .

ومن الطبيعي أن يكون مثل هذا الهدف مرتبطاً بنظام المصالح والمفاسد الشخصية منها والنوعية . وحفظ نظام الفرد إذا كان الملحوظ فيه الفرد بما هو فرد ، فسوف يكون التشريع المحقق لهذا الغرض مرتبطاً ابتداءً بالمصالح الشخصية للأفراد بما هم أفراد ، وإذا كان الملحوظ فيه الفرد بما هو ضمن مجتمع عام ، فسوف يكون التشريع المحقق لهذا الغرض مرتبطاً بالمصالح النوعية وليس من الضروري أن يكون مرتبطاً بالمصالح الشخصية للأفراد إذا لوحظ من زاوية الفرد بما هو فرد.

والمقصود بكون المصالح والمفاسد المقتضية لجعل الأحكام والتشريعات كامنة في متعلقاتها ، هو أن تلك المتعلقات واقعة في طريق تحقيق تلك المصالح وإن لم تكن في نفسها مصالح ، سواء كانت متضمنة لتلك المصالح أم كانت وسيلة لتحقيق تلك المصالح ، وعلى كلا التقديرين فهي تؤدي حتماً إلى ما يكون مصلحة . المعنى الذي يشير إليه الشهيد الأول بقوله : ((متعلقات الأحكام قسمان : أحدهما : ما هو مقصود بالذات ، وهو المتضمن للمصالح والمفاسد في نفسه . والثاني

: ما هو وسيلة وطريق إلى المصلحة والمفسدة)) (18) .

المبحث الثاني : دور العقل في كشف ملاكات الاحكام الشرعية المعاصرة

المطلب الاول : العقل في اللغة والإصلاح

اولاً : العقل في اللغة

يذكر اللغويون معان متعددة للعقل،؛ فقد عرف بأنه : ((نقيض الجهل))، وانه : ((الحجر والنهي ، والدية ، والملجأ))⁽¹⁹⁾ ، و ((التدبر)) ، وأنه ((غريزة يتهيأ بها الانسان الى فهم الخطاب))⁽²⁰⁾ ، و ((العلم))⁽²¹⁾.

إلا أن المعاني المتعددة المتقدمة كلها ترجع - حسب معجم مقاييس اللغة لابن فارس - إلى : « أصل واحد منقاس مطرد ، يدلُّ عَظْمُهُ على حُبْسَةِ في الشَّيءِ أو ما يقارب الحُبْسَةِ . من ذلك : العَقْلُ ، وهو الحابس عن ذميم القَوْل والفِعْل))⁽²²⁾

وفي المفردات : ((وأصل العقل : الامساك والاستمساك ، كعقل البعير بالعقل ، وعقل الدواء البطن . وعقلت المرأة شعرها وعقل لسانه كفه ومنه قيل للحصن معقل وجمعه معاقل))⁽²³⁾.

ثانيا : العقل في الإصطلاح

وأما معنى العقل في الإصطلاح ، فقد اختلف باختلاف العلوم وتنوعها :

أ . العقل عند المتكلمين

حين تعريف المتكلمين للعقل الذي هو مناط التكليف عرف بعدة تعريفات مختلفة في ما بينها ؛ فقال أبو الحسن الأشعري : هو العلم ببعض الضروريات المسمى بالعقل بالملكة عند الحكماء . وقال القاضي : هو العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحبات في مجاري العادات . وقال شارح المواقف : ولا يبعد أن يكون هذا تفسيراً لكلام الأشعري . وقالت المعتزلة : هو ما يعرف به محسن الحسن وقبح القبيح . وأما الرازي والمحقق الحلبي ، فقد اختارا أنه : ((غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات))⁽²⁴⁾ .

ب . العقل عند المناطقة

وأما المناطقة ، فقد ورد في كتاب المنطق للعلامة المظفر ما يمر به الانسان من حالات بالنسبة إلى تعامله مع المعلومات ، من العلم الحسي ، وهو حس النفس بالأشياء التي تناها الحواس الخمس ، والخيالي ، حيث يتصرف ذهنه في صور المحسوسات المحفوظة عنده ، والعلم الوهمي ؛ حيث يدرك المعاني الجزئية التي لا مادة لها ولا مقدار ، مثل : حب أبويه له وعداوة مبغضيه : ((ثم يذهب - هو الانسان في طريقه وحده متميزاً عن الحيوان بقوة العقل والفكر التي لا حد

لها ولا نهاية ، فيدير بها دفعة مدركاته الحسية والخيالية والوهمية ، ويميز الصحيح منها عن الفاسد ، وينتزع المعاني الكلية من الجزئيات التي أدركها فيتعقلها ، ويقيس بعضها على بعض ، وينتقل من معلوم إلى آخر ، ويستنتج ويحكم ، ويتصرف ما شاءت له قدرته العقلية والفكرية . وهذا (العلم) الذي يحصل للانسان بهذه القوة هو العلم الأكمل الذي كان به الانسان انساناً ، ولأجل نموه وتكامله وضعت العلوم وألفت الفنون ، وبه تفاوتت الطبقات واختلفت الناس⁽²⁵⁾ .

ج . العقل عند الفلاسفة

وأما الفلاسفة ، فإنهم يعتبرون العقل مرادفاً للعلم في بعض الأحيان ، فيعتبرونه الصورة العلمية الحاصلة للعالم⁽²⁶⁾ . كما عرف صدر المتألهين العقل بأنه ((قوة يدرك بها الحقائق)) ، فقال : ((واعلم يا أخي أن للانسان قوة بما يدرك الحقائق ، وهي المسماة بالعقل ، وقوة بما ينفع عن ما يرد على القلب ، وهي المسماة بالحياء ، وقوة بما تقتدر على فعل الطاعات وترك المنكرات ويسمى بالدين ، وهذه الألفاظ الثلاثة كما قد يطلق على هذه المبادي ، أعني : القوى والأخلاق ، كذلك يطلق على آثارها والأفعال الناشئة منها ، فيقال : إن العقل إدراك المعقولات))⁽²⁷⁾ .

وقال : ((إن للإنسان قوتين : فعلية وانفعالية ، والأولى إذا كانت فاضلة يصدر منها الطاعات والعبادات ويسمى بالدين تسمية للسبب باسم مسببه . والثانية : إما انفعالها بالصور الإدراكية ، فهي العقل إذا كانت فاضلة ، أو بغيرها من الأمور الحسية ، فهي الحياء إن كانت فاضلة .. ، لا شبهة في أن العقل أشرف الخصال وأكرمها ؛ إذ به يعرف الحق ويتميز عن الباطل ، وبه يكمل الإيمان ويتقرب اليه تعالى وهو الذي يجب الله ويحبه الله))⁽²⁸⁾ .

د . العقل عند الأصوليين

تكلم الأصوليون عن العقل كثيراً ، وقسموه إلى القسمين المعروفين : العملي والنظري ، وهو ما سيأتي الكلام عنه .

المطلب الثاني : تقسيمات العقل :

للعقل عدة تقسيمات تعتمد على اختلاف الإعتبارات (أساس القسمة) ، إلا أن أشهر هذه التقسيمات وأقربها إلى ما نحن فيه هو تقسيمه إلى : العقل النظري والعقل العملي .

أولاً : العقل العملي

وهو : المدرك لما ينبغي فعله وإيقاعه أو تركه والتحفظ عن إيقاعه ، فالعدل مثلاً مما يدرك العقل حسنه وانبعاء فعله ، والظلم مما يدرك العقل قبحه وانبعاء تركه ، وهذا ما يعبر عن أن حسن العدل وقبح الظلم من مدركات العقل العملي ، وذلك لأن المميز للعقل العملي هو نوع المدرك فلما كان المدرك من قبيل ما ينبغي فعله أو تركه فهذا يعني انه مدرك بالعقل العملي .

هذا ما هو متداول في تعريف العقل العملي ، وقد جاء السيد الشهيد الصدر (قدس سره) بصياغة أخرى لتعريف العقل العملي كما سيأتي بالتفصيل ، وحاصلها : ان العقل العملي هو ما يكون مدركه تأثير عملي مباشر دون الحاجة لتوسط مقدمة خارجية .

وتعبير آخر : العقل العملي ، هو : ما تكون مدركاته مستتبعه لموقف عملي ابتداء دون الحاجة لتوسط مقدمة أخرى ؛ وذلك مثل إدراك العقل لحسن العدل وقبح الظلم ، فإن هذا المدرك يقتضي تأثيراً مباشراً دون الحاجة إلى ضمّ مقدمة أخرى الا ان ذلك لا يعني استغناءه عن مقدمات أخرى لو كان الغرض استنباط حكم شرعي منه ، فافتضاؤه للتأثير العلمي هو المستغني عن المقدمة الاجنبية، وأما استنباط الحكم الشرعي منه ، فهو مفتقر الى انضمام مقدمات من اخراج المدرك العملي (29).

ثانيا : العقل النظري

المراد من العقل النظري ، هو : العقل المدرك للواقعات التي ليس لها تأثير في مقام العمل إلا بتوسط مقدمة أخرى ، كإدراك العقل لوجود الله جل وعلا : فإن هذا الإدراك لا يستتبع أثرا عمليا دون توسط مقدمة أخرى ، كإدراك حق المولوية ، وأن الله جل وعلا هو المولى الحقيقي بالطاعة ، وحينئذ يكون إدراك العقل لوجود الله جل وعلا مستتبعاً لأثر عملي . وبذلك ، يتضح أن ما يدركه العقل النظري وكذلك العقل العملي هو الواقع ، غايته ان سنخ المدركات النظرية لا تستتبع أثرا عمليا مباشرا ، وهذا بخلاف المدركات العقلية العملية ، فالفرق بين العقل العملي والنظري هو نوع المدرك بصيغة المفعول .

يقول العلامة المظفر : ((ليس الإختلاف بين العقلين إلا بالاختلاف بين المدركات ؛ فإن كان المدرك - بالفتح - مما ينبغي أن يفعل أو لا يفعل مثل حسن العدل و قبح الظلم فيسمى إدراكه (عقلا عمليا) وإن كان المدرك مما ينبغي أن يعلم مثل قولهم : الكل أعظم من الجزء الذي لا علاقة له بالعمل ، فيسمى إدراكه (عقلا نظريا) .

و معنى حكم العقل - على هذا ليس إلا إدراك أن الشيء مما ينبغي أن يفعل أو يترك . وليس للعقل إنشاء بعث و زجر ولا أمر ونهي إلا بمعنى : أن هذا الإدراك يدعو العقل إلى العمل ، أي : يكون سببا لحدوث الإرادة في نفسه للعمل وفعل ما ينبغي .

إذن - المراد من الأحكام العقلية ، هي : مدركات العقل العملي وآراؤه(30) .

ويقول السيد الشهيد : ((إن الأحكام العقلية على قسمين : أحكام نظرية وأحكام عملية . وقد قيل : إن العقل النظري : إدراك لما هو واقع ، والعقل العملي : إدراك لما ينبغي أن يقع . ولعل الأحسن تغيير التعبير ؛ لأن العقل العملي

أيضا إدراك لما هو واقع ؛ فإن العقل ليس له شأن إلا الإدراك لما هو واقع و ثابت في لوح الواقع الأوسع من لوح الوجود ، والحسن والقبح أيضا أمران ثابتان في لوح الواقع ، وإنما الفرق أن الأمر الواقعي المدرك للعقل إن كان لا يستدعي بذاته موقفا عمليا وسلوكا معينا على طبقه ، فهو مدرك نظري ، وإن استدعى ذلك ، فهو مدرك عملي)) (31) .

وبناء على ما تقدم ، فإن العقل النظري والعملي لا عمل لهما إلا الإدراك ، قال المعلم الثاني (الفارابي) : ((إن النظرية ، هي : التي بما يحوز الإنسان علم ما ليس من شأنه أن يعمله إنسان ، والعملية ، هي : التي يعرف بها ما من شأنه أن يعمله الإنسان بإرادته)) . وقال الحكيم السبزواري في توضيحه : ((إن العقل النظري والعقل العملي من شأنهما التعقل ، لكن النظري شأنه العلوم الصرفة غير المتعلقة بالعمل ، مثل : الله موجود واحد ، وأن صفاته عين ذاته ، ونحو ذلك . والعملية شأنه العلوم المتعلقة بالعمل ، مثل : التوكل حسن ، والرضا والتسليم والصبر محمود ، وهذا العقل هو المستقل في علم الأخلاق ، فليس العقلان كقوتين متباينتين أو كضميمنتين ، بل هما كجهتين لشيء واحد ، وهو النفس الناطقة (32) ، وقد تبعه الشيخ الرئيس في الإشارات ، وجعل الحكمة العملية من مقولة الإدراك لا مبدأ للتحريك والعمل ، وقال : ((فمن قواها : ما لها بحسب حاجتها إلى تدبير البدن ، وهي القوة التي تختص باسم العقل العملي ، وهي التي تستنبط الواجب في ما يجب أن يفعل من الأمور الإنسانية ، جزئية ليتوصل به إلى أغراض اختيارية من مقدمات أولية وذاتية و تجريبية ، وباستعانة بالعقل النظري في الرأي الكلي إلى أن ينتقل به إلى الجزئي)) (33) .

المطلب الثالث : المراد بالملاك التام الخالي من المعارض أو المزاحم :

وقبل التطرق إلى أي كلام ورأي هنا ، يجب التنبيه على نقطة مفصلية مهمة جدا في المقام ، وهي : إن المقصود من الملاك والمصلحة التي نحن بصدد الكلام في إمكانية الكشف عنها ليس هو أية مصلحة أو مفسدة مهما كانتا ؛ بل الكلام كل الكلام في كون تلك المصلحة بحيث تلزم الشارع بالحكم على طبقها ، وهي ما يعبر عنه بأن تلك المصلحة يجب أن تكون مصلحة تامة خالية عن أي معارض أو مزاحم يمنع عن إنشاء الحكم على طبقها أو يزاحمه . والفرق بين المعارض والمزاحم ، هو أن حالة المعارضة تفترض سببا يتضاد مع السبب الأول من الأساس ، بحيث لا يعقل اجتماع السببين التامين للحكم في الحالتين ، بحيث يصدر حكمان في الوقت الواحد ، وأما حالة التزاحم ، فهي تفترض وجود مصلحة مزاحمة لمصلحة المساعدة ، ما يعني وجود المصلحة في المساعدة ووجود المصلحة في فعل آخر يتضاد مع المساعدة ، بحيث لا يمكن الجمع بين الفعلين في الوقت نفسه .

وقبل أن ندخل في الرأيين المطروحين في المقام ، فلنذكر مثلا يقرب الملاك المطلوب إثباته في المقام :

لو رأيت طفلا يريد أن يعبر الشارع المزدهم بالسيارات ، ورأيت أمه التي تبكي في الجانب الآخر من الشارع ، فهل يمكن أن يحكم بلزوم مساعدة الطفل في العبور بحيث لا يمكن تركه على هذا الجانب من الشارع عن طريق العقل أو النقل؟

من الواضح : أن حكم العقل الموضوعي لا يمكن أن يصدر إلا إذا أحرز عدم وجود حكم معارض أو مزاحم للحكم الأول ، أعني : مساعدة الطفل ، من قبيل : وجود مصلحة للطفل في أن يبقى على هذا الجانب لأي سبب من الأسباب ، من قبيل : أن الأم كانت تريد أن تخطف الطفل لفدية مثلا أو انتقاما من الوالد . ومن قبيل أن لا يوجد أي خطر في مساعدة الطفل ؛ إذ لربما كان خطر في العبور ، ولربما كان خطر في الجانب الآخر من غير الأم ، مثل ما لو كان قاتل متربص يريد قتل الطفل انتقاما من أمه أو أبيه .

لو كنت أنت من وجه إليك هذا السؤال ، فهل يمكنك أن تحكم بلزوم المساعدة بوجود هذه الإحتمالات ، بأن تقطع بعدمها ، فيبقى مصلحة في مساعدة الطفل وإيصاله إلى الأم؟!

بعد هذه المقدمة المهمة ، نرجع إلى أصل البحث في إمكانية الكشف عن المصلحة المتصفة بالصفة السابقة من خلال المطالب الآتية .

المطلب الرابع : قدرة العقل على كشف ملاكات الأحكام :

وينتظم البحث فيه في الفروع الآتية :

الفرع الأول : البحث الثبوتي :

لا شك من الناحية النظرية - وهو ما يعبر عنه بالبحث الثبوتي والكبروي - في إمكانية الكشف عن ملاكات الأحكام الشرعية بواسطة العقل ، بمعنى : أن العقل يحكم بأنه لو توفرت الوسائل المناسبة ، فإنه يمكن للإنسان أن يكتشف مصلحة خالية عن كل معارض أو مزاحم كما تقدم .

وبعبارة أخرى : الفرض السابق لا يواجه أي محذور ثبوتي ، فلا يصطدم بمحذور عقلي ، كاجتماع النقيضين أو غيره من المحاذير.

هذا هو البحث الثبوتي ، فالنتيجة في هذا البحث هي : الإمكان وعدم الإستحالة عقلا .

الفرع الثاني : البحث الإثباتي :

إلا أنه حتى على الفرض السابق ، وهو عدم المحذور الثبوتي ، فإن الإستخدام الإستقلالي للعقل في عملية الاستنباط لا يتم ؛ إذ أنه يبقى الكلام في أنه هل يوجد للإنسان الوسيلة المناسبة لاكتشاف الملاكات على النحو الذي ذكرناه

سابقا ، من كونها خالية عن المانع من إنشاء الحكم على أساسها أم لا ؟ وهو ما يعبر عنه بالبحث الإثباتي أو الصغروي ، حيث يبحث فيه عن تحقق مصداق خارجي للكبرى المتقدمة في البحث الثبوتي . وفي هذا المقام ، يذكر عادة وسيلتان مهمتان للكشف قد يمكن أن يستعملهما الإنسان في هذا المجال ، وهما : العقل والنقل .

الوسيلة الأولى : الكشف عن الملاك عن طريق العقل :

أخذ البحث الصغروي في الكشف عن ملاكات الأحكام الشرعية ، أو المصالح والمفاسد التي هي علة تشريع الأحكام ، حيزا عظيما من اهتمام علماء الأصول شيعة وسنة لا سيما في العصور المتأخرة ، وخاصة العصر الأخير ، فغالبية الأصوليين أنكروا قدرة العقل على الكشف عن ملاكات الأحكام ، و آمن البعض بقدرة العقل على ذلك . وهذا البحث الصغروي يطرح بعد ثبوت الكبرى كما قلنا ، وهي : حكم العقل بعدم استحالة الكشف عن ملاكات الأحكام الشرعية بالنحو المزبور . ويرجى مراجعة المثال الذي ضربناه قبل هذا ، لكي تتضح المسألة بحيث لا يبقى فيها أي إبهام .

رأيان في المسألة

الرأي الأول :

عدم تمكن العقل من الكشف عن الملاك المطلوب وتبنى هذا الرأي غالبية علماء الأصول الشيعة ، و بعض علماء السنة ، وإليك بعض هؤلاء :

١ - أبو الصلاح الحلبي

حيث قال في الكافي : ((وما لا يوجب العلم لا يكون طريقة إلى خطاب التكليف المتعلق بالمصالح التي لا يعلمها إلا علام الغيوب)) (34) .

٢ - العلامة الحلبي

حيث قال في تذكرة الفقهاء : ((ولأن الأمور الشرعية منوطة بالمصالح ، والفتنة البشرية تعجز عن إدراكها ، ولا يعلمها مفصلة إلا الله تعالى)) (35) .

٣- السيد الخوئي

حيث قال في تقريرات درسه الأصولية : ((إن الملازمة بين إدراك العقل مصلحة ملزمة غير مزاحمة في فعل ومفسدة كذلك ، وحكم الشارع بوجوبه أو حرمة ، وإن كانت تامة بحسب الكبرى ؛ بناء على وجهة مذهب العدالة كما هو

الصحيح ، إلا أن الصغرى لها غير متحققة في الخارج ؛ لعدم وجود طريق للعقل إلى إدراك الملائكات الواقعية ، فضلاً عن أنها غير مزاحمة)) (36).

الرأي الثاني :

تمكن العقل من الكشف عن الملاك المطلوب ومن قال بهذا الرأي الميرزا النائيني من الشيعة ؛ حيث يقول : ((ندعي أنه يمكن موجبة جزئية إدراك العقل لجميع الجهات ، من المقتضيات والموانع والمزاحمات)) (37) . ثم يقول : ((لا شبهة في استقلال العقل بقبح الكذب الضار الموجب لهلاك النبي مع عدم رجوع منفعة إلى الكاذب ، ومع استقلال العقل بذلك ، يحكم حكماً قطعياً بجرمته شرعاً ؛ لأن المفروض تبعية الأحكام الشرعية للمصالح والمفاسد ، وقد استقل العقل بثبوت المفسدة في مثل هذا الكذب ، ومعه ، كيف يحتمل تخلف حكم الشارع ؟)) (38) . كما قد يظهر هذا الموقف من بعض كلمات المحقق الخوئي (قدس سره) في ما نقلناه عنه سابقاً ؛ حيث قال : ((إن حكم العقل إنما هو بمعنى إدراكه ليس إلا ، فتارة : يدرك ما هو في سلسلة علل الأحكام الشرعية من المصالح والمفاسد ، وهذا هو مورد قاعدة الملازمة ؛ إذ العقل لو أدرك مصلحة ملزمة في عمل من الأعمال ، وأدرك عدم وجود مزاحم لتلك المصلحة ، علم بوجوبه الشرعي لا محالة ؛ بعد كون الأحكام الشرعية تابعة للمصالح والمفاسد . وكذا لو أدرك مفسدة ملزمة بلا مزاحم ، علم بالحرمة الشرعية لا محالة . لكن الصغرى لهذه الكبرى غير متحققة أو نادرة جداً ؛ إذ العقل لا يحيط بالمصالح الواقعية والمفاسد النفس الأمرية والجهات المزاحمة لها ، وأخرى : يدرك العقل ما هو في مرتبة معلولات الأحكام الشرعية ، كحسن الإطاعة وقبح المعصية ، فان هذا الحكم العقلي فرع ثبوت الحكم الشرعي المولوي)) (39) . وقال : ((... ، إلا أن كشف أهمية الملاك والعلم بوصوله إلى حد الإلزام في غاية الصعوبة)) (40) .

الوسيلة الثانية : الكشف عن الملاك عن طريق النقل :

وأما الوسيلة الثانية التي قد يمكن كونها كاشفا عما نبتغيه من الملاك ، أعني : الملاك التام الخالي عن المعارض والمزاحم ، فهي النصوص ، فهل يمكن الاستفادة من النصوص الموجودة في مجالنا ؟ ، والجواب : تتنوع النصوص الشرعية من جهة بيانها لملائكات الأحكام الشرعية ، وعلل وغايات ومقاصد تلك الأحكام إلى أنواع :

الأول : المبينة للحكم الشرعي فقط بدون ذكر أي تعليل لذلك الحكم ، مثل : ((الماء طاهر)) .

الثاني : التي تتعرض لعلة الحكم فقط ، وهي تفترض حكم شرعية سابقاً عليها ، مثل : ((إنما حُرِّم الخمر لأنه مسكر)) .

الثالث : التي تتعرض لكلا الأمرين معا ، مثل : ((الخمر حرام لأنه مسكر)) . الرابع : النصوص التي تبين العلل والمقاصد دون إشارة للحكم الشرعي ، من قبيل قوله تعالى : ((ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط))⁽⁴¹⁾ .

والمهم في بحث الكشف عن ملاكات الأحكام وأهداف ومقاصد الشريعة هو الأقسام الثلاثة الأخيرة كما هو واضح . والكلام كل الكلام في استفادة العلة من النصوص ، وأن هذه العلة إنما على نحو العلة التامة للحكم الشرعي ، بحيث يتحقق الحكم بمجرد تحقق تلك العلة ، لقانون عدم تخلف المعلول عن علته في التحقق والوجود ؛ لكي يستفاد منها في إثبات ملاكات الأحكام ومقاصد الشارع ، لتترتب الأحكام الشرعية علي هذه الأحكام والملاكات .

أولا : رأي المدرسة السنية في المقام :

والذي يبدو من المدرسة السنية ، هو أنها بنت ما يسمى عندهم بنظرية مقاصد الشريعة على هذا الأساس ، أي على أساس النصوص الشرعية ، بادعاء أن النصوص تدل على تعليل الأحكام ، ويستفاد منها تقسيمات المقاصد إلى (ضرورية ، وحاجية ، وتحسينية) ، كما يقال في بحث المقاصد .

ثانيا : رأي المدرسة الشيعية في المقام :

أما المدرسة الشيعية ، فلديها الكثير من التحفظات في هذا المقام ؛ فعندها تحفظ - أولا - بالنسبة إلى استفادة التعليل من النصوص من الأساس ، وكونه على نحو العلة التامة ، كما أن عندها تحفظ آخر في أصل إدراك العقل أن المصلحة المستفادة من النقل خالية عن المعارضات والمزاحمات كما قالوا ، وكما ذكر صاحب الوافية :

والحق أن يقال : ((إذا حصل القطع بأن الأمر الفلاني علة لحكم خاص من غير مدخلة شيء آخر في العلية ، وعلم وجود تلك العلة في محل آخر لا بالظن بل بالعلم ، فإنه حينئذ يلزم القول بذلك الحكم في هذا المحل الآخر ؛ لأن الأصل حينئذ يصير من قبيل النص على كل ما فيه تلك العلة ، فيخرج في الحقيقة عن القياس . وهذا مختار المحقق))⁽⁴²⁾ .

اذن كان جوهر الإستخدام الإستقلالي للعقل في عملية الإستنباط وأساسه هو الإستفادة من المصلحة والمفسدة في تشريع الأحكام الشرعية في الإسلام ، فمن اللازم التحقيق في قدرة الإنسان على كشف ملاكات الأحكام بحيث تفيد القائلين بهذا الإستخدام .

أما قدرة الإنسان على كشف ملاكات الأحكام ، فلا شك من الناحية النظرية في إمكانية الكشف عن ملاكات الأحكام الشرعية بواسطة العقل ، بمعنى : أن المسألة لا تستلزم أي محال .

وأما بالنسبة إلى البحث الإثباتي ، فالكشف عن الملاك الخالي عن المانع والمزاحم بوسيلة العقل عند غالبية علماء الأصول الشيعية ، وبعض علماء السنة غير ممكن .

وأما الكشف عن طريق النقل ، فالمدرسة الشيعية عندها تحفظ بالنسبة إلى استفادة التعليل من النصوص من الأساس ، وبالنسبة إلى كونه على نحو العلة التامة التي تفيد في إثبات الاستخدام الإستقلالي للعقل في عملية الإستنباط .

المبحث الثالث : اثر التزاحم الحفظي في الاستنباط الفقهي المعاصر :

من المعلوم يقينا ان الفقه الاسلامي هو النظام الامثل الذي به يمكن حل جميع مشاكل الحياة واشكالياتها على المستوى الاجتماعي والفردى . وللتزاحم الحفظي دور كبير في عملية استنباط الاحكام الشرعية المعاصرة فهو الحل الامثل لكثير من الاشكاليات وشؤون الحياة على المستوى الاجتماعي والفردى بينما لو لم يلتفت اليه الفقيه فقد يكون سببا في كثير من مشكلات الحياة وليس حلا لها .

ويمكن توضيح اثر التزاحم الحفظي في عملية الاستنباط للفقه المعاصر في اربعة مطالب :

المطلب الاول : اثر التزاحم الحفظي في توجيه الاحكام الولائية :

من المعلوم ان الاحكام على الموضوعات المتغيرة والمستجدة التي تقتضيها الظروف الطارئة هي مهمة الفقيه المتصدي الجامع للشرائط حسب ما تقتضيه المصلحة والظروف التي يمر بها المسلمون على مستوى التطورات الايجابية او السلبية فباعتبار ان صدور هكذا احكام هي من صلاحياته فليس له ان يحكم برأيه من قياس او استحسان بل لابد من تقديم الملاك الاهم على المهم في مقام الحفظ فيحكم على وفق ما تقتضيه المصلحة الاهم فمثلاً:

لاشك في وجود مصلحة في فتح دور العبادة للمصلين كما لاشك في وجود مفسدة في التجمع عند انتشار الوبئة فهنا لابد للفقيه ان يقدم الاهم في مقام الحفظ فيقدم مثلا دفع مفسدة انتشار الوباء على مصلحة العبادة الجماعية في دور العبادة.

بل يمكن الذهاب الى ابعد من ذلك فبناء على القواعد العقلية كالحسن والقبح يكون الفقيه ملزم من الناحية العقلية عن البحث عن الملاكات الاهم وتقديمها على غيرها في مقام الحفظ لكونه معني بفهم النظام الواقعي واعطاء الحلول لجميع مشاكله خلافا للفقيه غير الملتفت الى اهمية التزاحم الحفظي في الاستنباط فإنه لن يكون معنيا بالواقع بل ببراءة ذمته امام الخطابات الشرعية

فمثلاً: يمكن للفقهاء ان يحكم بلزوم رجوع الناس الى القانون الوضعي والالتزام به مع انه ليس له قيمة من الناحية الشرعية ولكنه له قيمة كبيرة من ناحية الحفاظ على النظام الاجتماعي من التمزق والفوضى فيقدم المصلحة الاهم في مقام الحفظ .

المطلب الثاني: اثر التزام الحفظي في تفسير الجهاد :

من الواضح انه من فسر الجهاد بانه مقاومة المعتدي ببناء على قوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)⁽⁴³⁾.

يرى ان الاسلام يدعو الى نشر السلام ولا مجال للقتال إلا اضطراراً لدفع شر المعتدين بعد استنفاد جميع وسائل الحكمة والموعظة الحسنة اما من يفسر الجهاد بأنه القتال في سبيل نشر الدعوة الاسلامية فالقتال عنده وسيلة مشروعة من وسائل نشر الدعوة مع من يمتنع من قبولها بالحكمة والموعظة الحسنة وحينئذ يبحث الفقيه الملتفت الى التزام الحفظي في الادلة لمعرفة المصلحة الاهم عند الله فلا شك بأن نشر السلام مطلوب شرعاً كما لا شك بان نشر الدعوة الاسلامية مطلوب ايضا ولكن لو كانت الدعوة بالقتال تؤدي الى الفرقة بين الناس وفقدان السلام فهل الأهمية عند الله في مقام الحفظ هي نشر السلام ولو مع بقاء الضالين على ضلالتهم لان وحدة الناس اهم عند الله من هداية الضالين المؤدية الى نشر الفرقة بينهم او ان الأهمية عند الله هي في هداية الناس جميعا ولو بالقوة المؤدية الى الفوضى لكن مفسدة الفوضى اقل اهمية عند المولى لكونها خلافة لما هو اهم منها وهو هداية الناس للدين الحق .

فقد يرى الفقيه ما رآه نبي الله هارون عندما سأله موسى عليه السلام عن سبب امتناعه عن قتال الضالين (ما منعك إذ رأيتهم ضلوا... قال...إني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل)⁽⁴⁴⁾ .

المطلب الثالث : اثر التزام الحفظي في التوفيق بين الاحكام الاولية والثانوية :

للتزام الحفظي دور كبير في عملية استنباط الأحكام الشرعية عن طريق الامارات ففرق كبير في عملية الاستنباط بين الفقيه غير الملتفت لأهمية التزام الحفظي الذي يرى الأحكام الثانوية المستفادة غالباً من مدلول الروايات على انها احكام مقدسة وبين الفقيه الملتفت الذي يراها مجرد احتمالات ألزمتنا الشارع بالعمل على تطبيقها من باب ترجيح قوة الاحتمال في التزام بين الاحكام في مرحلة حفظ الملاكات فالثاني يرى دلييلتها على اساس الكشف والطريقة الى الواقع فهو يبحث عن الدليل الأقرب الى الواقع بينما الاول يرى ما تكشف عنه لابد من الالتزام به بغض النظر عن انسجامه مع الواقع

فمثلا : لو عثر فقيه على دليل يكشف عن نجاسة غير المسلمين فقد يفتي بمقتضاه ويغفل عن اثر التزاحم الحفظي في عملية الاستنباط فلو التفت فقد يجد لزوم المخالطة الطبيعية لغير المسلمين مقدمة لهدايتهم اهم عند الله من مراعاة النجاسة الظاهرية وهذا الاختلاف نشأ عن اختلاف ملاكات الاحكام الشرعية في مقام الحفظ فقد يكون ملاك هداية الناس وتخليصهم من نجاساتهم المعنوية اهم عند الله من مراعاة النجاسة الظاهرية فلو فرضنا ان الفقيه بحث اكثر وعثر على دليل على اهمية هذا الملاك عند المولى سبحانه فقد يفتي بجواز المخالطة المتضمنة للعفو عن مراعاة النجاسة الظاهرية.

المطلب الرابع : بعض التطبيقات المعاصرة :

ونذكر ثلاث تطبيقات معاصرة في هذا المطلب للفائدة وهي كالتالي :

التطبيق الاول : الانتخابات :

الحكم بالاشتراك في الانتخابات وتشكيل الحكومة مع الكتل الفاسدة فإن هذا الحكم يدور بين الحفاظ على مصلحة النظام الاجتماعي مهما أمكن وبين الوقوع في بعض المفاصد فيقدم الفقيه مصلحة النظام على مفسدة الاشتراك مع الفاسدين .

التطبيق الثاني : الامم المتحدة

الحكم بتمكين الامم المتحدة للإشراف على الانتخابات مع انما جهة غير مسلمة فإنه يدور بين مفسدة تمكين غير المسلم من المسلم وبين مفسدة فسح المجال للنزاع والصراع بين الكتل المشاركة في الانتخابات فيقدم الفقيه المفسدة الأدون على المفسدة الاعظم في مقام الحفظ .

التطبيق الثالث : حقوق المواطنة

الحكم بالالتزام بحقوق المواطنة وليس بالحقوق الاسلامية لأنه يدور بين تفرقة المجتمع لو طبق الحكم بالحقوق الاسلامية وبين مصلحة وحدة المجتمع لو طبق الحكم بالحقوق على اساس المواطنة فيقدم الفقيه المصلحة الاهم في مقام الحفظ .

خاتمة البحث :

وخلاصة البحث وخاتمته إن إيمان الفقهاء بمرونة الشريعة بالمستوى الذي يفوق سعة افق الفقهاء جميعاً يدفعهم لبذل قصارى جهدهم لمعرفة احكام الواسع العليم التي تتجاوز الزمان والمكان وافق الانسان مهما تطور وقد يفهم بعض الفقهاء بعض الأحكام أكثر من غيرهم من دون ان يكون في ذلك طعناً لغيرهم لكون الشريعة واسعة جداً ومرنة للغاية وكل فقيه يستنبط منها بقدر فهمه وعلمه (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث ... ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً)⁽⁴⁵⁾.

وقد رأينا من خلال هذا البحث على قلته واختصاره الدور الكبير للعقل و نظرية التزاحم الحفظي في تطوير الفقه والحفاظ على الملاك الأهم في الفقه المعاصر وبملاحظة الأحكام المنسجمة مع الواقع على أساس حفظ الأهم من خلال تقديمه في مجال العمل على المهم وإن كان سوف يؤدي لخسارتنا في مقام العمل لأحكام مهمة في حياتنا إلا إن المولى سبحانه شاءت إرادته في مقام التشريع أن يفوت علينا تلك المصالح المهمة ولكن لأجل مصالح أهم أو إن يوقعنا في بعض المفاسد ولكن لأجل تجنبنا مفسد أكبر وبهذا يتبين الدور الفعال لملاكات الأحكام الشرعية في الفقه والفقه المعاصر من خلال ما رأينا من التطبيقات الفقهية المعاصرة .

وكذلك كان جوهر الإستخدام الإستقلالي للعقل في عملية الإستنباط وأساسه هو الإستفادة من المصلحة والمفسدة في تشريع الأحكام الشرعية في الإسلام ، فمن اللازم التحقيق في قدرة الإنسان على كشف ملاكات الأحكام بحيث تفيد القائلين بهذا الإستخدام .

أما قدرة الإنسان على كشف ملاكات الأحكام ، فلا شك من الناحية النظرية في إمكانية الكشف عن ملاكات الأحكام الشرعية بواسطة العقل ، بمعنى : أن المسألة لا تستلزم أي محال .
وأما بالنسبة إلى البحث الإثباتي ، فالكشف عن الملاك الخالي عن المانع والمزاحم بوسيلة العقل عند غالبية علماء الأصول الشيعية ، وبعض علماء السنة غير ممكن .

وأما الكشف عن طريق النقل ، فالمدرسة الشيعية عندها تحفظ بالنسبة إلى استفادة التعليل من النصوص من الأساس ، وبالنسبة إلى كونه على نحو العلة التامة التي تفيد في إثبات الإستخدام الإستقلالي للعقل في عملية الإستنباط .

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وآله الطيبين الطاهرين

الهوامش :

- (1) الصدر : محمد باقر ، دروس في علم الاصول (الحلقة الثالثة) ، ق 1 ، ص 28 .
- (2) ابن منظور الأفرريقي المصري ، ابو فاضل جمال الدين ، لسان العرب ، ج 10 ، ص 494
- (3) راجع ، العراقي ، ضياء الدين ، نهاية الفكر ، ج 1 ، ص 265 ، فقه الصادق (ع) ، ج 9 ، ص 148 . السيد البجنوردي ، القواعد الفقهية ، ج 7 ، ص 91
- (4) الكاظمي الخراساني ، محمد علي ، فوائد الاصول ، ج 4 ، ص 552
- (5) الحسيني الروحاني ، محمد صادق ، زبدة الاصول ، ج 1 ، ص 374
- (6) الكاظمي الخراساني ، محمد علي ، فوائد الاصول ، ج 1 ، ص 315

- (7) الفياض، محمد إسحاق، محاضرات في اصول الفقه، ج ٥ ، ص
(8) حاشية المحقق العراقي في فوائد الاصول ، ج ٣، ص ٦١
(9) الجوهرى ، اسماعيل بن حمدان، صحاح اللغة، ج ١، ص ٣٨٣، مادة صلح
(10) ابن منظور الافريقي المصري ، ابو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٥١٦-٥١٧
(11) الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد ، كتاب العين ، ج ٧ ، ص ٢٣١
(12) الجوهرى ، اسماعيل بن حماد ، الصحاح ، ج ٢، ص ٥١٩
(13) ابن منظور الافريقي المصري ، ابو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، ج ٣ ص ٣٢٥
(14) المرتضى ، غلم الهدى علي بن الحسين ، رسائل المرتضى ، ج ٢ ، ص ٢٨٦
(15) الغزالي الوحامد محمد بن محمد ، المستنصرى ، ص ١٧٤ . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٦م.
(16) الحلبي ، نجم الدين ابو القاسم جعفر بن الحسن ، معارج الاصول ، ص ٢٢١
(17) البيوطي ، محمد سعيد رمضان ، ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية ، ص ٣٧
(18) الشهيد الاول العاملي ، ابو عبد الله محمد بن مكي ، القواعد والفوائد ، ج ١ ، ص ٦٠
(19) الجوهرى ، اسماعيل بن حماد ، الصحاح ؛ تاج اللغة وصحاح العربية ، ج ٦، ص ١٧٦٩
(20) الفيومي ، محمد بن علي ، المصباح المنير ، ج ٦، ص ٢٨٦-٢٨٧
(21) الراغب الاصفهاني ، الحسن بن محمد ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ج ١، ص ٣٤٢
(22) ابن فارس ، احمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج ٤ ، ص ٧٠-٧٥
(23) الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ج ١، ص ٣٤٢
(24) راجع : الجرجاني ، علي بن محمد ، شرح المواقف ، ج 1 ، ص 47 ، الطوسي ، نصير الدين ، نقد المحصل ، ص ١٩٣ . الحلبي ، الحسن بن يوسف ، نهاية المرام في علم الكلام ، ج ٢، ص ٢٢٦
(25) المظفر ، محمد رضا ، المنطق، ص ١٤
(26) الطباطبائي، محمد حسين ، نهاية الحكمة ، ص ٢١٤
(27) صدر المتأهلين ، محمد بن ابراهيم ، شرح اصول الكافي ، ج ١، ص ٢٢١
(28) المصدر السابق ، ص ٢٢٢
(29) الهاشمي ، محمود ، بحوث في علم الأصول (تقريراً لأبحاث السيد الشهيد الأصولية)، ج ٤، ص ١٢٠
(30) المظفر ، محمد رضا ، اصول الفقه ، ج ١ ، ص ٢١٥
(31) الهاشمي ، محمود ، بحوث في علم الأصول (تقريراً لأبحاث السيد الشهيد الأصولية)، ج ٤ ، ص ١٢٠
(32) السبزواري ، ملا هادي ، شرح المنظومة ، ص ٣١٠
(33) الطوسي ، نصير الدين محمد بن محمد ، شرح الإشارات ، ج ٢ ، ص ٣٥٢
(34) ابو الاصلاح الخليلي ، تقي الدين بن نجم بن عبيد الله ، الكافي في الفقه، ص ٣٦

- (35) العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء ، ج ٣، ص ٣٨
- (36) الفياض، تسحاق، محاضرات في اصول الفقه (تقريراً لأبحاث السيد الخوئي الأصولية)، ج ٢، ص ٣٦١
- (37) الكاظمي ، محمد علي ، فوائد الاصول ، (تقريراً لأبحاث الميرزا النائيني الأصولية)، ج ٣، ص ٦٢
- (38) المصدر السابق ، ص ٦١
- (39) الواعظ الحسيني البهسودي ، محمد سرور ، مصباح الأصول (تقريراً لأبحاث السيد الخوئي الأصولية)، ج ٢، ص ٢٦
- (40) التوحيد، محمد علي ، مصباح الفقاهة في المعاملات (تقريراً لأبحاث السيد الخوئي في المعاملات)، ج ١، ص ٤٤٢
- (41) سورة الحديد : الاية 25 .
- (42) الفاضل التوني ، عبد الله ، عبد الله بن محمد ، الوافية في أصول الفقه ، ص ٢٣٧
- (43) سورة البقرة : الاية 190 .
- (44) سورة طه : الاية 94 .
- (45) سورة الانبياء 79 .

مصادر البحث

- 1- الجرجاني ، علي بن محمد ، شرح المواقف ، تحقيق السيد محمد بدر الدين النعساني ، ويله حاشية السالكوتي والجبلي ، قم ، منشورات الشريف الرضي ، 1412 هـ .
- 2- الصدر : محمد باقر ، دروس في علم الاصول (الحلقة الثالثة) ، ط 1 ، 1408 هـ ، م اسماعيليان ، قم ، نشر مجمع الشهيد اية الصدر العلمي .
- 3- الطوسي ، محمد بن محمد نصير الدين ، تلخيص المحصل المعروف نقد المحصل ، بيروت دار الاضواء 1405 هـ .
- 4- العراقي ، ضياء الدين ، نهاية الافكار ، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، 1405 .
- 5- ابن فارس ، احمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مكتبة الاعلام الاسلامي ، 1414 هـ .
- 6- ابن منظور الأفريقي المصري ، ابو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، نشر ادب الحوزة قم ، ايران ، 1405 هـ .
- 7- ابو الاصلاح الخلبي ، تقي الدين بن نجم بن عبيد الله ، الكافي في الفقه، تحقيق وتعليق رضا الاستادي ، مكتبة الامام امير المؤمنين ع ، اصفهان ، 1403 هـ .

- 8- البوطي، محمد سعيد رمضان ، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية ، ط 4 ، نشر دار الفكر ، دمشق ، 1426 هـ .
- 9- التوحيدي، محمد علي ، مصباح الفقاهاة في المعاملات (تقريراً لأبحاث السيد الخوئي في المعاملات)، منشورات الداوري ، 1377 هـ .
- 10- الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ن بيروت ، لبنان ، ط 1 .
- 11- الحسيني الروحاني ، محمد صادق ، زبدة الاصول ، ط 1 ، م قدس ، نشر مدرسة الامام الصادق ع ، 1412 هـ .
- 12- الحلبي ، نجم الدين ابو القاسم جعفر بن الحسن ، معارج الاصول ، ط 1 ، م سيد الشهداء ، نشر مؤسسة ال البيت للطباعة والنشر ، 1403 هـ .
- 13- الراغب الاصفهاني ، الحسين بن محمد ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق صفوان عدان الداوردي ، دار القلم ، الدار الشامية ، دمشق ، 1412 هـ .
- 14- الروحاني : محمد صادق ، فقه الصادق (ع)، ط 3 ، م العلمية ، قم ، نشر مؤسسة دار الكتاب ، 1412 هـ .
- 15- السبزواري ، ملا هادي ، شرح المنظومة ، تعيق : حسن زادة الاملي ، قم ، نشر ناب ، 1416 هـ .
- 16- الشهيد الاول العاملي ، ابو عبد الله محمد بن مكي ، القواعد والفوائد ، طبعة مكتبة المفيد ، قم
- 17- الطباطبائي، محمد حسين ، نهاية الحكمة ، تعليق عباس الزارعي ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة 1426 هـ .
- 18- الطوسي ، نصير الدين محمد بن محمد ، شرح الإشارات والتنبيهات ، قم ، نشر البلاغة ، 1375 ش
- 19- العلامة الحلبي ، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء ، المكتبة الرضوية ، قم ، الطبعة الحجرية
- 20- الغزالي ابو حامد محمد بن محمد ، المستصفي ، دار الكتب العلمية بيروت 1996م.
- 21- الفاضل التوني ، ، عبد الله بن محمد ، الوافية في أصول الفقه ، تحقيق السيد محمد حسين الرضوي الكشميري ، مجمع الفكر الاسلامي ، قم ، الطبعة المحققة الاولى 1412 هـ .
- 22- الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد ، كتاب العين ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، نشر مؤسسة دار الهجرة ن ط 2 ايران ، 1409 هـ .
- 23- الفياض، اسحاق، محاضرات في اصول الفقه (تقريراً لأبحاث السيد الخوئي الأصولية)، مطبعة الصدر 1410 هـ .
- 24- الفياض، محمد إسحاق، محاضرات في اصول الفقه(تقرير بحث الخوئي)، نشر مؤسسة النشر الاسلامي ، ط 1 ، 1419 هـ ، جماعة المدرسين قم المقدسة
- 25- الفيومي ، محمد بن علي ، المصباح المنير ، دار نشر نمونة ، قم ، 1425 هـ .

-
- 26- الكاظمي ، محمد علي ، فوائد الاصول ، (تقريراً لأبحاث الميرزا النائيني الأصولية)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم .
- 27- الكاظمي الخراساني ، محمد علي ، فوائد الاصول (تقرير بحث النائيني) ، تحقيق رحمة الله رحمتي الاراكي ، ط 1 ، م مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، 1409 هـ .
- 28- المرتضى ، علم الهدى علي بن الحسين ، رسائل المرتضى ، تحقيق السيد مهدي الرجائي ، م سيد الشهداء ، قم ، 1405 هـ ، نشر دار القرآن .
- 29- المظفر ، محمد رضا ، اصول الفقه ، منشورات الفيروز ابادي ، قم ، 1422 هـ
- 30- المظفر، محمد رضا ، المنطق، مؤسسة النشر الاسلامي قم .
- 31- الهاشمي ، محمود ، بحث في علم الاصول (تقريراً لأبحاث السيد الشهيد الأصولية)، مؤسسة دار المعارف ، ط 3 ، 1996 م .
- 32- الواعظ الحسيني البهسودي ، محمد سرور ، مصباح الاصول (تقريراً لأبحاث السيد الخوئي الأصولية)، الناشر مكتبة الداوري ، قم ، 1417 هـ .
- 33- حاشية المحقق العراقي في فوائد الاصول ، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة ن 1414 هـ .
- 34- صدر المتأهلين ، محمد بن ابراهيم ، شرح اصول الكافي ، دار النشر بنياد حكمت اسلامي ، 1412 هـ
- 35- السيد البجنوردي ، القواعد الفقهية ، مؤسسة النشر الاسلامي في قم المقدسة ، 1414 هـ .
- 36- الحلي ، الحسن بن يوسف ، مناهج اليقين في أصول الدين ، تحقيق محمد رضا الانصاري القمي ، قم ياران ، 1416 هـ .
- 37- الحلي، الحسن بن يوسف ، نهاية المرام في علم الكلام ، تحقيق فاضل عرفان ، قم ، مؤسسة الامام الصادق ع ، 1419 هـ .

مجلة أصوات في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

علماء ليبيا ودورهم في خدمة المذاهب الفقهية من خلال كتاب الفتاوى الكاملية

لمحمد كامل ابن مصطفى الطرابلسي

إعداد الباحث عبد الناصر القمودي الملبطي

طالب بمرحلة الدكتوراه بجامعة السلطان زين العابدين بالبيزا

كلية الدراسات الإسلامية المعاصرة

إشراف أ.د حسن الدين بن محمد

nasser.kelani@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/31 م تاريخ التحكيم: 2020/11/07 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص:

هذا البحث هو دراسة لجهود علماء ليبيا على مدى القرون الماضية في خدمة الفقه الإسلامي، من خلال التعريف ببعضهم، ودراسة كتاب مهم لأحد علماء هذا البلد يظهر هذه الجهود التي لا تكاد تذكر، وإن ذكر هؤلاء العلماء نسبوا إلى المواطن التي مكثوا فيها حتى وفاتهم لطلب العلم أو للتدريس، فالبحث يبرز ما سطره علماء هذا القطر من خلال التعريف ببعضهم ودراسة كتاب (الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية) على مذهب أبي حنيفة النعمان، حيث عرّفت الدراسة بمؤلفه، وبموضوعه، وبينت أهمية الكتاب ومنهجه الذي سار عليه، وكذلك مصادره التي اعتمد عليها، ثم عرض لبعض مسائل الكتاب.

الكلمات المفتاحية: المالكية، الحنفية، ليبيا، طرابلس، الحوادث

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

**Scholars of Libya and Their Roles in Serving the Jurisprudential Schools through
the Kamiliyah Book of Fatwas for Mohammed Kamil bin Mustafa Al-Tarabulsi**

Prepared by

The Researcher: Abdul-Nasir Al-Qamoodi Al-Mulaity

A PhD Candidate,

Faculty of Islamic Contemporary Studies, Sultan Zain Al-Abidin
University (UniSZA), Malaysia

Supervision

Prof. Dr. Hasan Al-Din bin Mohamad

nasser.kelani@gmail.com

Abstract

This research is a study of the Libyan scholars' efforts throughout the past centuries in serving the Islamic jurisprudence. It introduced some of them and studied an important book written by one of them. This book under study presents these efforts which are hardly mentioned. If mentioned, these scholars are attributed to the areas they lived in until their death for seeking and teaching knowledge. Therefore, this study highlights what the scholars of this country by introducing some of them and studying the Book of *Kamiliyyah Fatwas in the Tripoli Occurrences* based on the Abu Hanifah's School of Law. This study introduced the book's author and subject. It demonstrated the importance of the book, and the methodology conducted and the sources referred to in this book. Then the writer presented some issues of the book.

Keywords: Malikis, Hanafis, Libya, Trepoli, occurrences

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى

بهدية وسار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الناظر في التراث العلمي الذي ورثه لنا علماؤنا الأوائل، يلمس فيه ما بذلوه من الجهد، فطلب

العلم في القرون السابقة لم يكن سهلاً ميسراً كما هو الآن، لكنهم - رحمهم الله - لم يتوقفوا عن طلبه لبعده المسافة

أو لقلّة الزاد، ومن هؤلاء العلماء علماء ليبيا الذين خدموا العلم الشرعي تأليفاً وتدريساً، وهذا البحث يسلط

الضوء على جهود علماء هذا القطر الذين يقل ذكرهم أو ينسبون إلى مواطن وفاتهم، وسيبرز البحث جانباً من هذه الجهود من خلال كتاب (الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية) للشيخ محمد كامل بن مصطفى الطرابلسي .

وتتكون الدراسة من عدة مباحث، تبدأ بالتعريف ببلاد المغرب، ثم التعريف بليبيا وكذلك طرابلس الغرب، ثم بيان المذاهب الفقهية الموجودة في بلاد المغرب على مدى القرون الماضية، ثم التعريف ببعض علماء ليبيا في حقب مختلفة، وأخيراً دراسة لكتاب الفتاوى الكاملية ، هذا وسيتبع الباحث عدة مناهج في بحثه ليسير البحث وفق القواعد العلمية، حيث سيتبع المنهج الاستقرائي، وكذلك التاريخي والوصفي. وبالله التوفيق.

المبحث الأول: وفيه مطلبان:

الأول: التعريف ببلاد المغرب:

المغرب في اللغة: "العَرَبُ والمَغْرِبُ: بمعنى واحد، قال ابن سيده: العَرَبُ خلاف الشرق، والمَغْرِبُ في الأصل: موضع الغروب ثم اسْتُعمل في المصدر والزمان، وقياسه الفتح، ولكن اسْتُعمل بالكسر كالمشرق والمسجد" (1)، وجمع مَغْرِب: مَغَارِب، والمَغْرِبُ: مكان وزمان وجهة غروب الشمس، وبلاد المغرب هي شمال إفريقيا غربي مصر، وهي ليبيا وتونس والجزائر ومراكش(2).

واختلف في تحديد المقصود بمصطلح بلاد المغرب، فنقل ابن عذارى عن أبي مروان في كتابه المقباس وابن حمادة في كتابه القبس أن حد بلاد المغرب هو من الإسكندرية بمصر إلى مدينة سلا بمراكش، ثم ذكر أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم من الإسكندرية إلى حدود طرابلس وهو أكبرها وأقلها عمارة ويسمى (برقة) وقسم من طرابلس وهي بلاد الجريد إلى مدينة تيهرت، والقسم الثالث بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها مدينة سلا، وهي آخر المغرب، يليها بلاد السوس الأدنى وحدها إلى جبل درن ثم بلاد السوس الأقصى ويقال لها بلاد ماسة ويتصل السوس الأقصى ببلاد الصحراء إلى السودان وهي بلاد الزهج، وبلاد الأندلس أيضاً من المغرب وداخله فيه

لاتصالها به (3)، وذكر أبو الفدا في كتابه تقويم البلدان حدود بلاد المغرب بقوله: "يحد بلاد المغرب من جهة الشرق حدود ديار مصر ظهر الواحات إلى بحر الروم عند العقبة التي على طريق المغرب من برقة واسكندرية على بحر الروم، ومن الشمال بحر الروم من العقبة المذكورة فم بحر الزقاق عند سلا وطنجة، ومن الغرب البحر المحيط من طنجة إلى صحراء ملتونة ومن الجنوب المقارة الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد المغرب" (4) . ومصطلح بلاد المغرب عُرف مع دخول الإسلام إليه، أما في القرون القديمة فيعرف باسم (ليبيا) وذلك من الإسكندرية إلى موريتانيا، ثم أطلق عليه اسم (إفريقية) حتى مجيء الإسلام (5). وفي وقتنا الحاضر يطلق مصطلح بلاد المغرب على خمسة أقطار كونت في عام (1989م) كياناً أطلق عليه اتحاد المغرب العربي ضم ليبيا وتونس والجزائر والمملكة المغربية وموريتانيا، وأحياناً تسمى هذه الرقعة الجغرافية شمال إفريقيا لوقوعها فيه .

الثاني: التعريف بليبيا وتاريخ دخول الإسلام إليها:

هي دولة تقع شمالي القارة الأفريقية، يحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الشرق جمهورية مصر العربية، وجمهورية السودان تحدها من الجنوب الشرقي، و تأتي على حدودها الغربية تونس والجزائر من الغرب والجنوب الغربي، أما في حدودها الجنوبية فتأتي كل من تشاد والنيجر، دخلها الإسلام في عهد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- على يد الصحابة الكرام بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين وكان ذلك بين عامي (22و23هـ) وأصبحت بذلك ليبيا إمارة إسلامية، تناوب على حكمها كل الدول الإسلامية التي قامت من الأموية إلى العباسية وصولاً إلى الدولة العثمانية حتى وقعت تحت الاحتلال الإيطالي عام (1911م)، وقاوم الشعب الليبي هذا الاحتلال بكل بسالة، إلى أن يسر الله خروجه بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية عام (1943م) بعدها بعدة أعوام وفي عام (1951م) تحصلت ليبيا على استقلالها بفضل الأسرة السنوسية وقام فيها نظام ملكي بقيادة محمد إدريس السنوسي واستمر في الحكم حتى عام (1969م) (6) .

الثالث: التعريف بطرابلس: طَرَابُلس بفتح أولها و بضم الباء واللام، ويقال أيضاً: أطرابلس، وتعني بالإغريقية والرومية ثلاث مدن أويا (طرابلس)، ولبدة، وصبراتة، وهي مدينة قديمة من المدن الفنيقية، وهي من بين المراكز الفنيقية الأربعة على ساحل البحر المتوسط وهي طرابلس، وقرطاجنة، وصبراتة، ولبدة، فتحها عمرو بن العاص -رضي الله عنه- عام (23هـ)، وصفها من مرَّ بها من الرحالة بأنها مدينة نظيفة جيدة البناء، وأطلقوا عليها اسم المدينة البيضاء لبياض مبانيها، ذكر بعض المؤرخين الليبيين أنه يشاهد من بلدته على ساحل البحر وهي تبعد عنها 45 كيلو متراً بياض مبانيها، وأهلها يوصفون بالكرم والشجاعة والطيبة وإجلال العلماء، تعرضت لعدة هجمات من الإسبان وفرسان مالطا حتى تدخلت الدولة العثمانية وضمتهما إلى ملكها عام (1551م) بقيت لعدة قرون تحت الحكم العثماني حتى احتلها الإيطاليون عام (1911م) فلم يرض شعبها بهذا العدو الدخيل، فدارت على أرضها العشرات من المعارك دفاعاً عن الدين والعرض والأرض، وفي الحرب العالمية الثانية كانت أرضها كما هي حال باقي الأراضي الليبية مسرحاً لغارات الحلفاء تضرر بسببها الكثير من المباني، حتى اضطر الكثير من أهلها إلى الجلاء عنها، وبعد بضع سنين من انتهاء الحرب العالمية الثانية وفي عام (1951م) تحصل القطر الليبي على استقلاله وأصبحت طرابلس هي عاصمة البلاد إلى يوم الناس هذا (7) .

المبحث الثاني: المذاهب الفقهية في ليبيا:

1. المذهب المالكي:

المذهب الفقهي السائد في ليبيا الذي تميز بكثرة الأتباع هو المذهب المالكي، و ينسب المالكية إلى مذهب الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة -على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام-، الذي انتشر علمه في الأمصار والأقطار، وتلمذ على يديه خلق كثير من كبار علماء الأمة كالشافعي وأشهب وغيرهما، قال عنه الشافعي-رحمه الله- : مالك أستاذي وعنه أخذت العلم، وجعلت مالكاً بيني وبين الله حجة، وقال أيضاً: ما على الأرض كتاب أقرب إلى القرآن من كتاب مالك بن أنس الموطأ. توفي -رحمه الله- عام (179هـ) بالمدينة المنورة (8).

مراحل تطور المذهب المالكي.

- مرَّ المذهب المالكي بأربع مراحل زمنية وهي: مرحلة التأسيس، و التفرع، ثم التطبيق، وأخيراً مرحلة التنقيح.
- مرحلة التأسيس: في هذه المرحلة أُصَلَّت قواعد المذهب على يد إمامه -رحمه الله- وبَيَّن المنهج العام الذي سلكه الأتباع من بعده.
- مرحلة التفرع: بدأت هذه المرحلة من نهاية القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الثالث، وتتميز بتوسع انتشار المذهب جغرافياً، فلم يعد مقتصرًا على المدينة المنورة، بل توسع نفوذه إلى جهات أخرى كمصر، والعراق، وبلاد المغرب، والأندلس؛ وكان ذلك على يد تلاميذ الإمام، وأصبح للمذهب منظرون يفرِّعون المسائل الجزئية على ما أصَّله الإمام مالك في الأحكام العملية، وفي هذه المرحلة ظهرت أمهات كتب المذهب كالمدونة، والأسدية، والواضحة، والعتبية، والموازية وغيرها.
- مرحلة التطبيق: وتبدأ مرحلة التطبيق من منتصف القرن الثالث الهجري إلى بداية القرن الخامس، وتتميز بدراسة المسائل المدونة في أمهات الكتب؛ وذلك بالموازنة بينها وتمييز بعضها عن بعض، وربط الأصول بالفروع و'لحاق الشبيه بالشبيه، وضبط مواطن الاتفاق والاختلاف بين الأقوال المأثورة، وإضافة ما توصلوا إليه من تخریجات عن طريق القياس، وتميزت هذه المرحلة أيضاً بالعكوف على شرح، واختصار، وتهذيب المصنفات السابقة، وفي نهاية المرحلة برز تطور مهم في دراسة المؤلفات؛ وذلك بإخضاع الأقوال والآراء للتمحيص والنقد، وكان هذا على يد أبي الحسن اللخمي الذي فتح بعمله هذا الطريق لمن جاء بعده لتنقيح الأقوال بالحكم عليها صحة وضعفًا.
- مرحلة التنقيح: انتقل الفقهاء في هذه المرحلة من تأصيل المسائل إلى المسلك الجدلي، فكثرت الأقوال والوجوه في المسألة الواحدة، وظهرت مصطلحات كالقول المشهور، والراجح، والضعيف، وظل المذهب على هذه الحال طوال القرون اللاحقة، إلى أن أدركه بعض الضعف والجمود، ومع هذا ظل مواكبًا للتطور الحاصل في وجوه المسائل الفقهية، وظهر خلال هذه الفترة مصدر جديد وهو (الإفتاء بما جرى به العمل) للفصل في المسائل القضائية، والإفتاء في بعض المسائل النازلة (9).

انتشار المذهب المالكي في ليبيا:

يمكن القول إن انتشار المذهب المالكي في ليبيا كان تبعاً لانتشاره في بلاد المغرب، وكان ذلك على يد علي بن زياد الطرابلسي تلميذ الإمام مالك المتوفى عام (204هـ) وعلي بن زياد هو أول من أدخل فقه الإمام مالك بواسطة كتابه الموطأ وشرحه للناس ولم يكونوا يعرفونه من قبل، وكذلك أدخل كتاب جامع سفيان الثوري، وعلي بن زياد تتلمذ على يديه الكثير من العلماء من بينهم الإمام سحنون (10) .

2. المذهب الأباضي: ينسب هذا المذهب إلى عبد الله بن أباض التميمي، رغم أن أتباعه ينسبونه إلى أبو الشعثاء جابر بن زيد اليعمدي الأزدي المتوفى عام (93 أو 103هـ)، ويعدونه هو المؤسس الحقيقي للمذهب، وهو ينكر ويتبرأ من مقالتهم هذه، وعند مرض موته قال له الحسن البصري: إن هؤلاء القوم يزعمون أنهم يتبعونك يعني: الإباضية، فقال أبرأ إلى الله منهم (11) .

وتوجد الأباضية في عُمان وفي ليبيا خاصة في زوارة وجبل نفوسة، وفي جربة بتونس وكذلك في بعض أجزاء من الجزائر، وبعض الأماكن المتفرقة من شمال أفريقيا (12).

المبحث الثالث: وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: المذهب الفقهي في بلاد المغرب قبل دخول مذهب مالك:

أوضح القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك ذلك بقوله: "وأما إفريقية يعني: (تونس) وما وراءها من المغرب، فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين، إلى أن دخل علي بن زياد، وابن أشرس والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات بمذهب مالك" (13) .

ويعني القاضي عياض بمذهب الكوفيين مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ؛ لأن مذهبه ابتدأ من الكوفة ثم امتد إلى ما جاورها من البلاد في العراق، ودخل بلاد فارس والشام ومصر وبلاد المغرب وتركيا وبعض بلدان أوروبا كإبانيا (14).

الثاني: التعريف بالإمام أبي حنيفة النعمان:

هو النعمان بن ثابت بن المرزبان، ولد بالكوفة عام (80هـ) وهو مولى لبني تميم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل واختلف في اسم والده بين المرزبان وزوطى، وأصله من بلاد فارس على الراجح . ولد أبو حنيفة بالكوفة وكان أكثر مقامه في حياته بها، حفظ القرآن في بداية عمره وكان كثير التلاوة له محافة أن ينساه، وكانت أسرته تمتهن التجارة خاصة تجارة الخبز وكان يعمل مع والده في ذكائه، ولقد انتبه كبار علماء عصره إلى ذكائه وفطنته، ومن النصائح التي جعلته ينصرف إلى طلب العلم نصيحة الإمام الشعبي عندما لقيه يوماً فقال له: عمن تأخذ العلم؟ فقال أبوحنيفة: لا أكاد اختلف إلى حلقات العلم إلا قليلاً بسبب عملي في التجارة، فقال له الشعبي: يبدو عليك الذكاء والفطنة فأنصحك بأن تكثر الجلوس لطلب العلم ومجالسة العلماء، فكانت هذه النصيحة بمثابة التوجيه الحقيقي لأبي حنيفة في بداية طلبه للعلم الشرعي.

وتوجه أبو حنيفة منذ البداية إلى دراسة علم الفقه وعلم الكلام خاصة عند مناقشة الأمور العقلية والعقدية إلا أن الإمام ترك الاشتغال في هذا العلم في أواخر حياته، ونهى ابنه عندما رآه يناظر أقرانه به، فقال ابنه: أنتهاني عنه وقد كنت تشتغل فيه؟! فقال له الإمام موجهاً له: كنا عندما نناظر صاحبنا نخاف أن يزل فيكفر، أما أنتم فتناظرون ليزل صاحبكم فيكفر فلربما كفرتم قبله، وكذلك حفظ العديد من الأحاديث، ولا بد للمتخصص في الفقه وعلومه من العلوم المساعدة على الفهم أو ما يسمى بعلوم الآلة، فأخذ من النحو و الأدب نصيباً وافراً، وتلمذ الإمام أبو حنيفة على الكثير من العلماء أبرزهم حماد بن أبي سليمان (15) .

وأصول المذهب الحنفي متشابهة في الغالب مع بقية المذاهب، وهذه الأصول هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، وقول الصحابي، والقياس، الاستحسان، العرف، توفي أبو حنيفة -رحمه الله- عام (150هـ) (16) . وللإمام أبي حنيفة تلاميذ كثير كانت تعج بهم حلقاته بين نقاش ومدارسة، ومن أشهر تلاميذه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري لازم الإمام حتى وفاته وهو من كبار تلاميذه، قال عنه الإمام: هو أجمع للعلم ممن صاحبي من تلاميذ، وأسهم القاضي أبو يوسف في نشر مذهب إمامه في القضاء، والتدوين، والتدريس.

تولى أبو يوسف منصب كبير القضاة في عهد الدولة العباسية إلى أن توفاه الله، ومن بين المهام الموكلة إليه تعيين القضاة في البلاد التي تدخل تحت الحكم العباسي مشرقاً ومغرباً، وهذا الأمر أتاح المجال لمذهب أبي حنيفة أن ينتشر في هذه الأقطار؛ لأن القاضي المعين سيصدر أحكامه بناء على هذا المذهب، توفي أبو يوسف -رحمه الله- عام (182هـ).

ومن تلاميذه أيضاً، محمد بن الحسن الشيباني وهو يعد من أصغر تلاميذ الإمام، لازمه حتى وفاته ثم انتقل للأخذ عن أبي يوسف، فتحصل من ذلك على علم غزير برواية فقه شيخه، وبرز ذلك فيما قام به من خدمة للمذهب، حيث دَوّن فقه الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف في كتب وزاد عليها فروعاً مهمة كثيرة، وحفظ هذا الإنجاز الضخم الفقه الحنفي مرتباً مهذباً، ومن بين هذه الكتب: الجامع الصغير، والجامع الكبير، والزيادات، والسير الصغير، والسير الكبير، والمبسوط (الأصل) وهي عليها اعتماد فقهاء الحنفية، ومن همته في طلب العلم، أنه ارتحل إلى المدينة المنورة حيث الإمام مالك بن أنس ومكث عنده ثلاث سنين ونيف، فأخذ عنه الفقه والحديث وسمع منه الموطأ ثم رواه عنه وهي من الروايات المشهورة، توفي -رحمه الله- عام (189هـ) (17).

الثالث: انتشار المذهب الحنفي في بلاد المغرب:

علمنا في المطلب السابق أن من أهم أسباب انتشار المذهب الحنفي في كثير من البلاد في القرون الأولى بل في حياة الإمام نفسه، هو ما قام به القاضي أبو يوسف من تنصيب قضاة عليها يصدرون أحكامهم وفق مذهب أبي حنيفة، ومن بين هذه البلاد بلاد المغرب التي من ضمنها ليبيا، لكن بعد ذلك أخذ المذهب الحنفي يشهد تراجعاً في عدد أتباعه بدخول المذهب المالكي في بلاد المغرب عن طريق علي بن زياد الطرابلسي كما سبق القول في هذا، وظل المذهب المالكي هو المذهب الوحيد السائد في بلاد المغرب لفترة من الزمن، ثم عاد المذهب الحنفي للظهور في طرابلس وتونس والجزائر عندما أدخله وقام بنشره أسد بن الفرات، وفي عهد الدولة العثمانية أصبح هو المذهب الرسمي للدولة، وبذلك أصبحت الولايات التابعة للدولة العثمانية ومن ضمنها أغلب بلاد المغرب، تعمل بموجب أحكام المذهب الحنفي في القضاء والإفتاء، إلى جانب بقاء المذهب المالكي معمولاً به كذلك خاصة في التدريس والعبادات (18).

المبحث الرابع:

: علماء ليبيا ودورهم في نشر العلم:

أسهم علماء طرابلس خاصة وليبيا عامة على مدى قرون في نشر العلوم المختلفة ومن بينها الفقه خاصة الفقه المالكي وغيره من المذاهب، الذي أصبح المذهب السائد في بلاد المغرب بفضل الإمام علي بن زياد الطرابلسي وغيره، الذين رحلوا إلى المدينة وتفقهوا على الإمام مالك وتلاميذه، وأخذ علي بن زياد عن مالك الموطأ ولازمه فترة من الزمن، وفيما يلي تعريف ببعض هؤلاء العلماء على سبيل المثال:

1. علي بن زياد العبسي الطرابلسي، كان مولده بطرابلس الغرب ثم سكن تونس، بعدها ارتحل إلى الحجاز فسمع من مالك الموطأ، وتلقى عنه جملة من المسائل الفقهية وتدارس معه أصول المذهب، ثم عاد إلى موطنه طرابلس حاملاً معه ما سمعه من الإمام مالك، فما لبث بها إلا يسيراً حتى عاد إلى تونس وبقي بها يدرس الناس ما أخذه من علم خلال رحلته، ويعد ابن زياد أول من أدخل فقه مالك إلى بلاد المغرب خاصة كتابه الموطأ الذي هو أساس انتشار المذهب في إفريقية، وتلمذ علي يديه الكثير، منهم: الإمام أسد بن الفرات، المتوفى عام (312هـ) مؤلف كتاب الأسدية الذي أسهم بعد ذلك في نشر مذهب أبي حنيفة كما علمنا مما سبق، وكذلك أخذ عنه عبد السلام بن سعيد سحنون التنوخي، المتوفى عام (240هـ) مؤلف المدونة المشهورة، وكان يقدم علي بن زياد على غيره، ومن تلمذ عليه أيضاً الإمام البهلول بن راشد، المتوفى عام (183هـ)، ومن أشهر تلاميذه أيضاً الإمام القاضي شجرة بن عيسى المعافري، المتوفى عام (262هـ)، وابن زياد شهد له الناس بأنه لم يكن في عصره مثله. توفي -رحمه الله- عام (183هـ) ودفن بتونس (19).

2. أبو الفيّاض عبد الرحمن بن عمرو البرقي، المتوفى عام (245هـ)، يُعدُّ من فقهاء مصر، كان ملازماً حلقة أصبغ، وروى عن أشهب وابن وهب، تلمذ على يديه الكثيرون (20).

3. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم أبو زرة البرقي، قال عنه القاضي في مداركه: "كان من أصحاب الحديث والفهم، والرواية أغلب عليه، له كتاب في رجال الموطأ وفي غريبه، له تأليف في مختصر ابن عبد الحكم الصغير، وله كتاب كتب في الطبقات والتاريخ" توفي -رحمه الله- عام (249هـ) (21).

4. محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي، مجهول سنة الوفاة، هو من أصحاب مالك، وذكر القاضي عياض أنه سمع الموطأ من مالك، وسمع من الليث بن سعد وابن لهيعة، وقال عنه أيضاً بأنه ثقة مشهور (22).
5. أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن بن حبيب الطرابلسي المعروف بالقطان، ولي قضاء طرابلس، يُعد من الثقات فقيهاً حافظاً، من الأئمة المشهورين، ضليع بفقهِ الإمام مالك وأصحابه، امْتَحَن بالسجن بسبب أحكامه العادلة، وخرج منه بحكمه في مسألة الحوت التي تخاصم فيها شخصان أحدهما البائع والثاني المشتري، حيث وجد في بطنه حوت آخر، فتنازعا لمن يكون ما في البطن، فلجأوا إليه في سجنه فقاضى بأنه إذا كان البيع بالوزن فالحق مع المشتري، وإن كان جزافاً فالحق مع البائع، فأعجب الحاكم بهذا فأطلق سراحه وقال: ما ينبغي لمثل هذا أن يكون في السجن، له كتاب بعنوان أحكام القرآن في اثني عشر جزءاً. توفي -رحمه الله- عام (306هـ) (23).
6. علي بن أحمد بن زكريا بن زكرون الطرابلسي الهاشمي، كان فقيهاً محدثاً ناسكاً زاهداً، له علم بالحديث والفقهِ والفرائض، أخذ عنه الكثير من أهل طرابلس واستفادوا من علمه. توفي -رحمه الله- عام (370هـ) (24).
7. أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمن الأجدابي، من الثقات، عالمٌ بالتاريخ متبحرٌ في الكثير من العلوم، توفي -رحمه الله- عام (384هـ) (25).
8. أبو جعفر أحمد بن نصر الطرابلسي، المتوفى عام (402هـ) بتلمسان، الإمام الفقيه يُعد من أئمة المالكية ببلاد المغرب، من مؤلفاته: شرح على الموطأ، و الواعي في الفقهِ، و النصيحة في شرح البخاري، و له الإيضاح في الرد على القدريّة (26).
9. أبو عبد الله محمد بن علي بن خليفة الغرياني، أخذ في تونس عن كبار علمائها في عصره منهم: حمودة الريكلي، ومحمد زيتونة، ومنصور المنزلي، ثم توجه إلى الأزهر فأخذ عن مشائخه المشهورين منهم: محمد بن سالم الحفناوي، ومحمد البليدي، وأحمد الدمنهوري، له مصنفات كثيرة من ذلك: فيض الخلاق في الصلاة على ركب البراق، وتفسير البسملّة، وحاشية على مقدمات السنوسي، ورسالة في زهد الصحابي سلمان الفارسي، ورسالة في الخنثى المشكل، وحاشية على شرح الخبيصي على التهذيب في المنطق، توفي -رحمه الله- عام (1195هـ) (27).

المبحث الخامس: وفيه خمسة مطالب:

الأول: التعريف بالشيخ محمد كامل بن مصطفى:

ولد العلامة محمد كامل بن مصطفى بن محمود الطرابلسي الحنفي الأشعري الشاذلي في مدينة الزاوية وبها حفظ القرآن، ثم أخذته رحلة طلب العلم إلى مدينة طرابلس وهو ابن السادسة عشرة، فأخذ عن كبار مشائخها في مختلف العلوم كالفقه، واللغة، والحديث، وذلك في مدرسة أحمد باشا، ومدرسة عثمان باشا، وفي مسجدي الناقة والمغاربة، وبقي في طرابلس ثلاثة أعوام، ثم توجه إلى الأزهر بمصر عام (1263هـ)، فدرس الفقه المالكي والحنفي، واطلع على بعض الأبواب في الفقه الشافعي، ومكث في مصر سبع سنوات، ثم عاد إلى طرابلس عام (1270هـ)، فتصدر للإفتاء والتدريس، من أشهر كتبه (الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية) الذي سيأتي الحديث عنه، تولى منصب الإفتاء بطرابلس عام (1311هـ) حتى وفاته (28).

الثاني: رحلته لطلب العلم إلى مصر وسببها:

ذكر الشيخ محمد كامل بن مصطفى في مقدمة كتابه الفتاوى، أنه بعدما أتم حفظ القرآن الكريم، بقي في طرابلس نحو ثلاث سنين يغترف من العلم بين مساجدها ومدارسها، وعند بلوغه سن التاسعة عشرة تذاكر أمر دراسته والده وجده وعمه، وبعد النقاش وصلوا إلى اتفاق بإرساله إلى الأزهر الشريف لطلب دراسة المذهب الحنفي الذي يكاد يندثر من طرابلس؛ بسبب عدم وجود من يدرسه ويُفتي به، فارتحل الشيخ إلى هنالك عام (1263هـ)، فبدأ بدراسة العلوم المختلفة ومنها الفقه، حيث بدأ بدراسة الفقه المالكي، فدرس شرح أقرب المسالك للشيخ الدردير بحواشي الصاوي، وشرح الشيخ الدردير على مختصر خليل بحواشي الدسوقي مع مراجعة الشيخ الخرشي، وكذلك درس مجموع الشيخ الأمير.

بعدها أتم دراسة هذه الكتب المالكية، توجه إلى الهدف من قدومه إلى مصر وهو دراسة الفقه الحنفي، فدرس شرح العيني على الكنز مسبقاً بدراسة كتاب مراقي الفلاح وحواشيه للشيخ أحمد الطحطاوي، ثم درس كتاب تحفة الملوك والسلاطين، وقرأ شرح الدر المختار على متن تنوير الأبصار بحواشي الشيخ الطحطاوي، وبعد أن أتم سبع سنين في مصر نهل فيها من العلوم من مختلف الفنون، عاد بعدها إلى موطنه وذلك في عام (1270هـ)، فوجد

جدّه وعمه قد توفيا، واستقبله والده، فباشر التدريس والإفتاء على المذهب الحنفي فترة طويلة، وذكر أنه لا يزال مداوماً على ذلك حتى يومه الذي كتب فيه هذه المقدمة في عام (1308هـ) (29) .

الثالث: شيوخه:

من خلال قراءة مقدمة الفتاوى تبين أن الشيخ ابن مصطفى مرّ بمرحلتين في طلبه للعلم أو ثلاث إذا احتسبنا فترة حفظه القرآن في بلدته الزاوية ثم مجيئه إلى طرابلس، فكانت طرابلس هي المحطة الأولى خارج الزاوية لدراسة العلوم المختلفة، ولم يذكر الشيخ من أخذ عنه من الشيوخ فيها، رغم مكوثه بها ثلاث سنين ينتقل بين مدارسها وحلقها يرشف من معين علمائها، ورشح الدكتور محمد جبران بعد النظر في تاريخ وجوده بطرابلس بعض الأسماء ممن قد يكون أخذ عنهم من مثل: الشيخ علي بن موسى، والشيخ محمد الريفي المغربي، والشيخ محمد قاسم قاجة، والشيخ أحمد محمد النعاس.

أما من أخذ عنهم من علماء الأزهر وغيرهم من العلماء ممن أجازوه إجازات عامة وخاصة نذكر منهم: الشيخ أحمد عبد الرحيم الطحطاوي، والشيخ محمد عليش، والشيخ محمد الأشموني، و الشيخ العلامة محمد المهدي بن سودة القرشي المغربي (30).

ومن أجازوه كذلك الشيخ إبراهيم بن محمد التونسي التوزري، والشيخ عبد القادر الريمائي المقدسي الحنفي، وأجازه أيضاً مفتي المالكية الشيخ محمد بن الشيخ حسن، ومن علماء ليبيا الذين أجازوه الشيخ محمد الطاهر الغدامسي، والشيخ أبو القاسم العيساوي (31) .

الرابع: مؤلفاته: للشيخ عدة مؤلفات بالإضافة إلى كتابه الفتاوى نذكر منها:

1. مجموعة العبد الذليل على ريع أنوار التنزيل، وهو حاشية على تفسير البيضاوي .
2. المجموع أو الكناش، وجمع فيه الملاحظات والقيودات الخاصة وفيه بعضاً من فتاويه و العديد من المسائل المتنوعة.
3. فتح الودود في حل نظم المقصود في علم الصرف (32).

الخامس: وفاته: توفي الشيخ محمد كامل بن مصطفى عام (1315هـ)، "وُدُن بمقبرة المنيذر الصحابي وقبره بين المنيذر والبهلول، و كتب على قبره هذه الأبيات:

ألا أيها الإنسان إنك كادح *** فتجري و لاتدري وأنت على شفا
أيا عقلاء المؤمنين تأملوا *** تروا هذه الدنيا بلاقع صفصفاً
توالي نزولاً بارتحال مسرمدٍ *** فمن حلّها يوماً ترخّل واختفى
وأدخلها المفتي وسار مؤرخاً *** ففي جنة الفردوس حلّ ابن مصطفى" (33) .

المبحث السادس: دراسة كتاب الفتاوى الكاملية وفيه مطالب:

الأول: نسبة الكتاب إلى مؤلفه، نسبة كتاب الفتاوى إلى الشيخ محمد كامل بن مصطفى ليس فيها جدال ؛ لأنه أثبت ذلك في مقدمة كتابه هذا حيث قال: " سميتها الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية". ابن مصطفى (34) .

الثاني: أهمية كتاب الفتاوى:

نوّه بأهمية وقيمة كتاب الفتاوى الكاملية العلماء في عصر المؤلف وبعده، فالكتاب يعد من الموسوعات النوازلية الجامعة لأبواب المسائل الفقهية على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان خاصة، و أحياناً غيره من علماء المذاهب كمالك والشافعي، فقام الشيخ ابن مصطفى بالنظر والبحث في كتب المذهب المعتمدة وما قرره العلماء فيها من الأحكام، فانتقى واختار من فتاواهم ما ترجح لديه، يضيف إليها أحياناً آراءه الفقهية، ولكنه لا يتسرع في الفتوى، وكثيراً ما ينكر على من يفتي الناس بغير تروٍ أو اطلاع، وله عبارة مشهورة: " خلافاً لما أفتى به في زماننا من لا خبرة له" .

ولأهمية الكتاب فقد قرظه الشيخ إبراهيم راضي الشرقاوي الأزهري بعد الدعاء للشيخ بالتوفيق والسداد بقوله: "فألّف هذا الكتاب على نموذج جديد، و طراز مغنٍ للمستفيد، قرّب به عين مذهب الإمام الأعظم، وطابت به نفسه من تصدر للفتوى وتكلم" (35) .

ومن قرظه أيضاً السيد محمد أفندي نائب مركز ولاية طرابلس الغرب، فقال: " فقد أطلعني العالم الفاضل، النحيري الكامل، مولانا محمد كامل، على هذه الفتاوى الجميلة، فوجدتها جامعة لمسائل الشريعة المعتمدة الجليلة، لا يستغني عنها من ابتلي بالقضاء والفتوى"، وكذلك قرظه بأبيات تلميذه الشيخ سالم بن المبروك السعودي الورشفاني الطرابلسي قال فيها:

أدر من حديث الفضل كأساً على سمعي *** وسر بي وراء السرب ربعاً على ربيع
ونهج الفتاوى الكاملة شاهد *** بهمته في النصح والبذل للوسع
فقد أدخلت تحت القواعد ما يرى *** أيها على من يدرك الأصل بالفرع
وصارت هي النجم المراقب في السرى *** وسلم من رام ارتقاء إلى السبع (36) .

وكتاب الفتاوى للشيخ ابن مصطفى أضحى مرجعاً لكثير من العلماء والباحثين في عصر المؤلف وبعده، فنجدهم يستدلون بما فيه من فتاوى ويضعونها موضع التقدير والاحترام، فكتاب الشيخ المهدي الوزاني (المعيار الجديد الجامع العرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب) زخر بالعديد من فتاوى الشيخ ابن مصطفى من هذا الكتاب، مثلاً: أورد الشيخ الوزاني فتوى الشيخ محمد كامل بن مصطفى الطرابلسي في الفتاوى الكاملة لما سئل عن حكم التداوي بالتلقيح من الجدرى للصبيان الذي انتشر بين الناس، فأجاب الشيخ بجواز فعله، ثم سئل وهل إذا أمر به الحاكم لدواعي المصلحة العامة، هل يكون أمره مشروعاً؟ فأجاب: نعم يكون مشروعاً . ثم بعد هذه الإجابة المختصرة، بيّن الشيخ محمد كامل ماهية هذا العلاج، وأوضح أن هذا اللقاح الذي شاع في زمنه في بلاد المغرب ومصر، بأن يقوم الطبيب بفعل ثلاث شروط أو أربع في عضد الصبي المصاب بموسى حادة جداً، بحيث لا يحس معه الصبي بألم أو يحس بيسير ألم لا يزعجه، ثم يقوم الطبيب بإدخال صديد جدرى من مصاب في تلك الشرطات، وبعد ثلاثة أيام يشعر الصبي بحمى خفيفة لا تلزمه الفراش غالباً، وما تلبث تلك الشرطات أن تيبس فيشفى بعدها المريض بإذن الله (37) .

وكتاب الفتاوى الكاملة وضع أساساً للتنوع المذهبي في ليبيا، فهو متخصص في أحكام مذهب أبي حنيفة النعمان وصاحبيه ومن جاء بعدهم من علماء المذهب، فمذهب الدولة الرسمي هو المالكي يعمل به في الفتاوى والمحاكم،

ولكن لا يُمنع من النظر والبحث في المذاهب الأخرى خاصة، وقد جاء هذا صريحاً في قانون الأحوال الشخصية الليبي رقم 10 لسنة 1984م عندما أقره مؤتمر الشعب العام (البرلمان) آنذاك، فجاء في المادة 72/ب ما نصه: " فإذا لم يُوجد نص شرعي يمكن تطبيقه، فيُحكم بمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية الأكثر ملاءمة من النصوص لهذا القانون" (38) .

وتأتي أهمية هذا الكتاب أيضاً في كونه أعطى لنا لمحة عن حياة المجتمع الليبي في ذلك الزمن من خلال أسئلتهم التي تمثل واقعهم المعاش آنذاك خاصة في أبواب المعاملات والأحوال الشخصية التي كان الاستفتاء فيها أكثر من غيرها .

الثالث: منهجه في كتابه، ذكر الشيخ ابن مصطفى أنه بعد سنوات طويلة من الجلوس للإفتاء، بدا له أن يجمع ما سئل عنه في كتاب واحد، ومن الواضح أنه كان يدوّن أسئلة السائلين وإجاباتها، حيث يبدأ الفتوى بقوله: (سئلت) ثم الإجابة يسبقها بقوله: (فالجواب)، فقرّر الشيخ أن يجمع من القيود المتفرقة المسائل التي سئل عنها في مدة جلوسه للإفتاء و كان متردداً في البداية ثم وفقه الله لجمعها فحذف منها المكرر إلا القليل، ثم أضاف إلى الإجابة - كما قال - ما بقي في خاطره من إضافات ؛ لزيادة النفع، وذكر أنه اختصر الأسئلة وربما اختصر الجواب وأحياناً يزيد فيه نقولات وفوائد يعزو كل معلومة إلى مصدرها من الكتب المتداولة في وقته إلا قليلاً، فكانت كما قال: مجموعة تسر الناظرين خاصة الإخوان الوطنيين، ثم تضرع إلى الله بقبول عمله هذا خالصاً لوجهه، ومن تواضعه -رحمه الله- أنه طلب من يقرأ فتاويه أن ينظر لها بعين الرضا والقبول واستدلاً بقول الشافعي: وعين الرضا عن كل عيب كليله*** كما أن عين السخط تُبدي المساويا (39) .

وجاء ترتيب أبواب الكتاب على كما هو معروف مبتدأ بالعقائد ثم أحكام الطهارة والعبادات، ثم بعد ذلك الأحوال الشخصية فالمعاملات، ثم أحكام الجنائيات، وأخيراً أحكام الموارث، وختم الكتاب بما قال أنه مفيد للمفتي، فذكر العديد من القضايا التي عرضت عليه وما كان فيها من أحكام من واقع السجلات (40) .

الرابع: مصادره التي اعتمد عليها:

اعتمد الشيخ ابن مصطفى في كتابه الفتاوى على عدة مصادر وهي:

1. شرح منظومة ابن وهبان والتي يشير إليها بـ(الوهبانية) لعبد البر محمد بن الشحنة المتوفى عام (921هـ) .
2. الذخائر الأشرافية في ألغاز الحنفية، لعبد البر محمد بن الشحنة المتوفى عام (921هـ) .
3. الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، لمحمد بن علي بن محمد المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي المتوفى عام (1088هـ) .
4. تنوير الأبصار وجامع البحار، لمحمد بن عبد الله التمرتاشي المتوفى عام (1004هـ) .
5. منح الغفار شرح تنوير البصار، لمحمد بن عبد الله التمرتاشي المتوفى عام (1004هـ) .
6. البحر الرائق شرح كنز الدقائق في فروع الحنفية، لأبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي المتوفى عام (710هـ) .
7. مجمع البحرين و ملتقى النهرين، لأحمد بن علي بن ثعلب بن الساعاتي الحنفي مظفر الدين المتوفى عام (694هـ) .
8. الخلاصة البهية في مذهب الحنفية، لسيد حسين بن عبد الرحمن البنجاوي من علماء الأزهر.
9. المجتبى شرح مختصر القدوري، لمختار بن محمود الزاهدي، المتوفى عام (658هـ) .
10. الفتاوى البزازية، أو الجامع الوجيز في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، لمحمد بن محمد بن شهاب الكردي الشهير بالبزازي المتوفى عام (827هـ) .
11. فتح القدير، لكامل الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن همام الحنفي المتوفى عام (681هـ) .
12. جواهر الفتاوى، لركن الدين أبو بكر محمد بن أبي المفاخر الكرمانلي الحنفي المتوفى عام (565هـ) .
13. جامع الفتاوى، لناصر الدين أبو القاسم محمد بن يوسف السمرقندي الحنفي المتوفى عام (556هـ) .
14. الملتقط في الفتاوى الحنفية، لناصر الدين أبو القاسم محمد بن يوسف السمرقندي الحنفي المتوفى عام (556هـ) .

15. منية المصلي وغنية المبتدي، لأبي عبد الله محمد بن محمد الكاشغري المتوفى عام (705هـ) .
16. الفتاوى الخانية، لأبي المحاسن لحسن بن منصور بن محمود قاضي فخر الدين الحنفي المتوفى عام (592هـ).
17. شرح الجامع الصغير، لأبي المحاسن لحسن بن منصور بن محمود قاضي فخر الدين الحنفي المتوفى عام (592هـ) .
18. الفتاوى الخيرية لنفع البرية على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، لخير الدين بن أحمد الأيوبي الرملي الحنفي المتوفى عام (1081هـ) .
19. الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، لأبي بكر بن علي الزبيدي البمني الحنفي، المتوفى عام (800هـ) .
20. تجريد الصحاح والسنن، لأبي الحسن رزين بن معاوية الأندلسي السرقسطي المتوفى عام (535هـ) .
21. جامع الفصولين، لمحمود بن إسرائيل الشهير بابن قاضي سماونة المتوفى عام (823هـ) .
22. الفتاوى المهدية في الوقائع المصرية، محمد المهدي العباسي الحنفي المتوفى عام (1315هـ) .
23. فتح الله المعين على شرح الكنز، المعروفة بـ(حاشية أبي السعود) لأبي السعود المصري الحنفي المتوفى عام (982هـ) .
24. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجيم المتوفى عام (970هـ) .
25. العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية في الفقه الحنفي، لمحمد أمين بن عبد العزيز المعروف بابن عابدين الدمشقي المتوفى عام (1252هـ) .
26. رد المختار على الدر المختار، لمحمد أمين بن عبد العزيز المعروف بابن عابدين الدمشقي المتوفى عام (1252هـ) .
27. الهداية شرح بداية المبتدي، لأبي الحسن برهان الدين أبو بكر المرغيناني المتوفى عام (593هـ) .
28. الفتاوى الرحيمية في واقعات السادة الحنفية، لابن أبي اللطف الحسيني عبد الرحيم بن إسحاق المتوفى عام (1104هـ) .

29. الفتاوى الأنقروية في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، لمحمد بن الحسين الأنقروي الحنفي المتوفى عام (1098هـ).

الخامس: أمثلة لبعض المسائل الواردة فيه:

1. سئل الشيخ ابن مصطفى عن عرق مدمن الخمر هل هو طاهر أو لا؟ فذكر أن في المسألة خلافاً، فصاحب تنوير الأبصار يرى بنجاسته وأنه ينقض الوضوء بخروجه، أما الشيخ العلائي في شرحه الدر المختار فلا يرى نجاسته وكذلك الشيخ الرملي (41).

2. سئل عن بلد مسلم استولى عليه الكفار، ونصبوا عليه والياً مسلماً وقاضياً أيضاً وأحكام الإسلام جارية فيه، فهل يصبح دار حرب بمجرد استولى عليه الكفار؟ فأجاب بأنها لا تتحول إلى دار حرب مادامت أحكام الإسلام جارية فيه واستدل برأي صاحب جامع الفتاوى وكذلك استدل بما جاء في الملتقط (42).

3. سئل الشيخ من بعض أهالي مدينة غدامس عن شخص له دور وحوانيت تُصرف غلتها بالكامل على عياله ولا يبقى شيء للزكاة، فهل يجوز له أخذ الزكاة؟ فاستدل بجواز أخذه الصدقة بما ورد في الدر المختار، ثم بعد ذلك أورد رأي أبي يوسف ومحمد بعدم جواز ذلك (43).

4. سئل عن من ملك نصاباً من حرام، فهل تجب عليه الزكاة؟ فأجاب بما ورد في الوهبانية بأن لا تجب عليه فيه زكاة بل عليه التصدق بجميعه لا بنية الثواب (44).

5. سئل هل يجوز رمي الجمرات بالحصى المتنحس؟ فأجاب بجواز ذلك والفضل غسلها، استدل على ذلك بما جاء في الفتاوى الخيرية (45).

6. سئل عن امرأة وكلت رجلاً في نكاحها فغلط في اسم أبيها، فهل ينعقد النكاح؟ فأجاب بأنه لا ينعقد والحال هذه، واستدل بما جاء في الأشباه والنظائر (46).

7. سئل عن من يثبت به الرضاع؟ فأجاب يثبت الرضاع برجلين أو برجل وامرأتين أي بما يثبت به المال واستدل على هذا بما جاء في الدر المختار (47).

8. وله أيضاً فتوى في حكم الحشيش فقال: " أجمع مشائحننا ومشائخ الشافعي على تحريم الحشيش، وأفتوا بإحراقه وأمروا بتأديب بائعه، وحكموا بوقوع طلاق المتحشش زجراً قياساً على طلاق السكران" (48) .
9. وكذلك قال: " سئلت عن الدخان الذي شاع في زماننا وعمت به البلوى، ما حكم الله فيه؟ فالجواب: أن المتقدمين لم يتكلموا عليه ؛ لأنه حدث بعدهم، والمتأخرون اختلفوا فيه" (49) .

النتائج

تلخصت نتائج الدراسة في النقاط الآتية:

1. برز علماء ليبيا منذ القرن الثاني الهجري أسهموا في نشر الفقه المالكي وغيره من أمثال علي بن زياد الطرابلسي .
2. جهود علماء ليبيا كان له أثر في التدريس والتأليف .
3. الأسرة الليبية كان لها دور في تشجيع أبنائها على طلب العلم والرحلة في سبيل تحصيله.
4. كتاب الفتاوى الكاملة مثال لجهود علماء ليبيا في خدمة الفقه الإسلامي، وإرساء مبدأ التنوع المذهبي .
5. كتاب الفتاوى جمع العشرات من مسائل المذهب الحنفي المأخوذة من مصادره المعتمدة .
6. من خلال مسائل الكتاب في المعاملات والأحوال الشخصية، يمكن أخذ صورة عن حياة المجتمع الليبي في تلك الفترة .

التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

1. توحيد الجهود بين الباحثين في بلاد المغرب لتأليف موسوعة جامعة لتراجم علماء هذه البلدان، على غرار كتاب شجرة النور الزكية للشيخ محمد مخلوف .
2. تكوين لجنة من الباحثين تختص بدراسة وإظهار مؤلفات علماء بلاد المغرب ؛ حتى يُستفاد منها .
3. وضع معايير واضحة لإثبات نسب العلماء .

الهوامش

- (1) ابن منظور ، (1414 هـ) :1/637،638 .
- (2) ينظر: المعجم الوسيط ، (2004م) :646 .
- (3) ينظر ابن عذاري أحمد ، (1983م) : 5،6/1 .
- (4) إسماعيل بن محمد أبو الفدا ، (1830م) :122 .
- (5) ينظر : دبوذ محمد علي ، (2010م) : 13 .
- (6) ينظر: الزاوي الطاهر أحمد، (2004م)، 17 و18، وينظر: ودي كاندول، (1989م) 115 .
- (7) ينظر: الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت، (1995م)، 25/4، وينظر: التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد، (1981م)، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 37، وينظر: الزاوي الطاهر أحمد، (1968)، 22-28 .
- (8) ينظر: مخلوف محمد بن محمد ، 1349هـ:52-55 .
- (9) ينظر: الجيادي عمر، 1993م:47-49 .
- (10) ينظر: عياض أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، (1966-1970م)، 81 و80/3 .
- (11) ينظر: ابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد البصري، (1410هـ)، 135-133/7 .
- (12) ينظر: السني عبد الله بن مسعود، (د.ت)، 11 .
- (13) عياض: أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، (1966-1970م)، 25/1 .
- (14) ينظر: غاوجي وهي سليمان الألباني (1413هـ)، 343 .
- (15) ينظر: ابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد البصري، (1410هـ)، 348/6، و ينظر: أبو زهرة محمد أحمد مصطفى، (د.ت)، 333-329، و ينظر: غاوجي وهي سليمان الألباني، (1413هـ)، 47 و48 .
- (16) ينظر: أبو زهرة محمد أحمد مصطفى، (د.ت)، 356 .
- (17) ينظر: النقيب أحمد بن محمد، (1422هـ)، 113-106/1 .
- (18) ينظر: النقيب أحمد بن محمد، (1422هـ)، 11 و10/1، ينظر: أبو زهرة محمد أحمد مصطفى، (د.ت)، 522 و525 .
- (19) ينظر: عياض أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، (1966-1970م)، 80/3، وينظر: الشريف ناصر الدين محمد، (1420هـ)، 37 و40 .
- (20) ينظر: الشريف ناصر الدين محمد، (1420هـ)، 37 و40 .

- (21) عياض أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، (1966-1970م)، 4/180 و181 .
- (22) ينظر: عياض أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، (1966-1970م)، 3/323 .
- (23) ينظر: مخلوف محمد بن محمد، (1349هـ)، 81، و ينظر: الزاوي الطاهر أحمد، (2004م) 407 .
- (24) ينظر: الزاوي الطاهر أحمد، (2004م) 257 .
- (25) ينظر: الزاوي الطاهر أحمد، (2004م) 241 .
- (26) ينظر: الزاوي الطاهر أحمد، (2004م) 92 .
- (27) ينظر: مخلوف محمد بن محمد، (1349هـ)، 349، وينظر: الزاوي الطاهر أحمد، (2004م)، 347 و348 .
- (28) ابن مصطفى، 268، و ينظر: الزاوي الطاهر أحمد، 2004م: 384، و ينظر: الشريف ناصر الدين محمد، (1420هـ)، 314 .
- (29) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ)، 2 .
- (30) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ) 2، وينظر: جبران محمد مسعود، (2009م)، 56-59 و130 .
- (31) ينظر: جبران محمد مسعود، (2009م) 65-75 ينظر: الزاوي الطاهر أحمد، (2004م): 213 .
- (32) ينظر: جبران محمد مسعود، (2009م)، 231-241 .
- (33) الشريف: ناصر الدين محمد، (1420هـ)، 318 .
- (34) الفتاوى الكاملة، (1313هـ)، 3 .
- (35) ينظر: جبران محمد مسعود، (2009م)، 229 .
- (36) ابن مصطفى، (1313هـ) 207 و208 .
- (37) ينظر: الوزاني، محمد المهدي، (1417هـ)، 1/128-133 .
- (38) قانون الأحوال الشخصية الليبي رقم 10 لسنة (1984م) .
- (39) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ) 1 و2 .
- (40) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ) 303 وما بعدها .
- (41) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ)، 11 و12 .
- (42) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ)، 13 .
- (43) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ)، 14 و15 .
- (44) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ)، 15 .

- (45) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ)، 17 .
- (46) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ)، 19 .
- (47) ينظر: ابن مصطفى، (1313هـ)، 20 .
- (48) ابن مصطفى، (1313هـ)، 270 .
- (49) ابن مصطفى، (1313هـ)، 286 .

المصادر والمراجع

1. ابن سعد، أبو عبدالله محمد، (1410هـ)، الطبقات الكبرى، ط1، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت .
2. ابن عذاري المرڪشي، أبو عبد الله محمد، (1983م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، دار الثقافة بيروت .
3. ابن مصطفى، محمد كامل الطرابلسي، (1313هـ)، الفتاوى الكاملة في الحوادث الطرابلسية، ط1 الناشر مطبعة محمد مصطفى، القاهرة .
4. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (1414هـ) ، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت .
5. أبو الفدا، إسماعيل بن محمد، (1850م)، تقويم البلدان، ط1، باريس .
6. أبو زهرة محمد أحمد مصطفى، (د.ت)، أبو حنيفة حياته وعصره آراؤه الفقهية، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة .
7. _____، (د.ت)، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة .
8. الألباني، غاوجي وهي سليمان، (1413هـ)، أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء، ط5، دار القلم، دمشق .
9. التنجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد، (1981م)، الرحلة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس .
10. جبران محمد مسعود، (2009م)، الشيخ محمد كامل بن مصطفى 1828-1897م وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، ط3، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا .
11. الجيدي عمر. (1993م). مباحث في المذهب المالكي بالمغرب. الرباط: دار الهلال العربية: ط1.
12. الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت، (1995م)، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت .
13. دبور محمد علي، (2010م)، تاريخ المغرب الكبير، ط1، دار تاوالت للثقافة الجزائر .
14. دي كاندول، الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ترجمه للعربية محمد عبده بن غلبون ، لندن .

15. الزاوي، الطاهر أحمد، (2004م)، أعلام ليبيا، ط3، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا .
16. _____، (2004م)، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط4، دار المدار الإسلامية، بيروت .
17. _____، (1968م)، معجم البلدان الليبية، ط1، مكتبة النور، طرابلس ليبيا .
18. السني، عبد الله بن مسعود السني، (د.ت) الأباضية في ميزان أهل السنة .
19. الشريف، ناصر الدين محمد، (1420هـ)، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ط1، دار البيارق، عمان .
20. عياض، أبو الفضل عياض بن موسى السبتي، (1966-1970م)، ترتيب المدارك، ط1، تحقيق عبد القادر الصحرابي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب .
21. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (2004م). المعجم الوسيط، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية: ط4 .
22. مخلوف، محمد بن محمد مخلوف. (1349هـ).، شجرة النور الزكية. القاهرة: المطبعة السلفية.
23. النقيب، أحمد نصر الدين، (1422هـ)، المذهب الحنفي مراحل وطبقاته ضوابطه ومصطلحاته خصائصه ومؤلفاته، ط1، مكتبة الرشد، الرياض .
24. الوزاني، محمد المهدي. (1417هـ)، المعيار الجديد تحقيق: عمر بن عباد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية: ط1.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الخلاف العقدي وأثره في تأويل النص الديني عند القدماء

نسيمة بغداددي - أستاذ محاضر أ

جامعة محمد بوضياف المسيلة - الجزائر

baghdadinassima@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/11/07 م تاريخ التحكيم: 2020/11/12 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص:

يعد الخلاف المذهبي و الأديولوجي من أهم الأسس الفكرية التي تقوم عليها أي قراءة قديمة، لذلك لا تهدف هذه الورقة إلى تبيان الأثر العقدي الذي يوجه القراءة أو يؤثر في التأويل فحسب بقدر ما تروم إلى تفكيك ابستمولوجي لاشتغال العقل العربي القديم وتعامله مع النص الديني وفق رؤية محددة للعالم تشتغل عليها منظومة متكاملة من الأفكار والآراء والتصورات التي يشتمل عليها المذهب أو العقيدة وفق أصول معينة، ووفقا لذلك يمكن معالجة العناصر التالية أصول الخلاف العقدي وبواعثه و السياق الثقافي لنشأة ظاهرة التأويل وكذا النص الديني ومعارك التأويل.
الكلمات المفتاحية: الخلاف العقدي ، التأويل ، النص الديني ...

The Dogmatic Disagreement and its impact on the ancestors' interpretation of the religious text

Abstract :

The sectarian and ideological diversity is one of the most important rational basis of an ancient reading. Therefore, this paper isn't devoted for demonstrating the dogmatic effect, which only directs reading and influence its interpretation. As much as it aims at making an epistemological disassembling of the Arab ancient cognizance way of working and its treatment of the religious text in accordance with a determined vision to the world. This vision is achieved through an integrated system of the ideas, the opinions, and the conceiving's, which are included within the belief, according to certain origins, through which we can treat the following elements: the dogmatic diversity's origins and its reasons, the cultural context of the interpretation phenomenon's emergence, and the religious text and the debates.

Keywords: religious text, interpretation, the dogmatic diversity's

لا يمكن الحديث عن القراءة في الوقت الحالي إلا من منظور مجموعة من المنطلقات والأدوات التي تحاول إلى حد ما فرض نوع من الحياد المنهجي الذي يتجلى فيه المعنى في صورة اقرب إلى التحديد رغم تحول النظرية النقدية الحديثة من السياق إلى النص ثم إلى القارئ، لكن العودة إلى التراث العربي النقدي واللساني رغم تعدد أدوات القراءة فيه واتساع الحقول المعرفية التي تشملها من أدبي وديني وفلسفي... يفرض منطلقات أخرى أغفلها أو تغافل عنها الباحث المعاصر في غمرة زهوہ بمنجزات التراث وسبقه إلى كثير من الإجراءات والمفاهيم الحديثة فيما يسمى بالتقاطعات التي تربط بين القديم والحديث ، ربطا سلبيا يأخذ بالظاهر من الأقوال في سبيل تبرير عجز العقل العربي المعاصر عن الإنتاج والإبداع خارج ثنائية الأنا والآخر، ذلك أن القراءة عند القدماء مرتكزة بمؤثرات عديدة إذ لا يمكن الوثوق بهذه القراءة أو الاعتداد بنتائجها ما لم نكشف تلك المؤثرات على اختلافها ، وتبعا لذلك يعد الخلاف المذهبي والأدبيولوجي من أهم الأسس الفكرية التي تقوم عليها أي قراءة قديمة، فمالقصد بالخلاف و التأويل؟ وما أثر هذا الخلاف بين المذاهب على تفسير النص الديني؟

الخلاف و الإختلاف تعريفهما و الفرق بينهما : " الخلاف لغة مصدر خالف، كما أن الاختلاف مصدر اختلف، والخلاف هو: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً، وتخالف الأمران واختلفا، لم يتفقا، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف ، و جاء في المثل إنما أنت خلاف الضبع الراكب أي : تخالف خلاف الضبع لأن الضبع إذا رأت الراكب هربت منه ، و منهم : خلف فلان بعقي خلافا : إذا فارقه على أمر فصنع شيئا آخر ، و خالفه إلى الشيء عصاه إليه ، أو قصده بعدما نهاه عنه ، أما الإختلاف لغة : عدم الاتفاق ، و تخالف الأمران لم يتفقا ، و كل ما لم يتساوى فقد تخالف و اختلف ، و منه قوله عز و جل « وَالنَّحْلُ وَالرَّزْعُ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ » الأنعام 141 أي : في حال اختلاف أكله " ¹ ، أما الفرق بين الخلاف و الإختلاف فالخلاف أمر " طبيعي أو طبعي ، خلق مع الإنسان ، أما الإختلاف فهو منازعة تجري بين المعترضين لتحقيق حق ، أو إبطال باطل ، و من هنا فالاختلاف يكون عن دليل و بينة ، أما الخلاف فيكون على غير دليل إنما هو منازعة لمجرد الخروج على الرأي و هذا يعني أن الاختلاف يكون على أمر معلوم لم تتفق الآراء عليه و الخلاف يعني المضادة لمجرد الخروج على الرأي ، و يؤيد هذا التفريق القرآن الكريم و السنة النبوية " ².

الخلاف اللغوي و الخلاف العقدي : الخلاف اللغوي : هو الخلاف الذي يدور بين اللغويين أنفسهم حول إثبات وجهة نظر في ذات اللغة و الذي يهدف إلى الانتصار للغة في جانب من جوانبها و مثال هذا الخلاف ما حدث بين علماء المدرستين البصرية و الكوفية من أخذ و رد في مسائل النحو و قوانينه و أصوله دون أن يتعدى هذا الخلاف إطاره اللغوي المحدد و لكن الخلاف اللغوي الذي نعنيه في بحثنا هذا هو الخلاف الذي تثيره مشكلة لغوية و يقوم على آلية لغوية يستند فيه إلى قواعد نحوية و بلاغية ، و يستشهد لمذهبه العقدي بالشواهد الشعرية و النثرية من كلام العرب بغض النظر عن الدافع لذلك و عن الإفراط و التفريط مما سيأتي عليه الكلام ، إن السبب الحقيقي في نشأة هذا الخلاف يعود إلى كون هؤلاء المخالفين لمذهب أهل السنة و الجماعة في العقائد عامة و في الأسماء و الصفات خاصة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه : " فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة و البيان ، و الآخرون راعوا مجرد اللفظ و ما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به و لسياق الكلام ، كما أن الأولين كثيرا ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون و إن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق و نظر الآخرين إلى اللفظ أسبق و الأولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه و أريد به و تارة يحملونه على ما لم يدل عليه و لم يرد به ، و في كلي الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلا فيكون خطأهم في الدليل و المدلول و قد يكون في الدليل لا في المدلول و هذا كما أنه وقع في تفسير القرآن فإنه وقع أيضا في تفسير الحديث" ³ ، و هؤلاء جميعا يستدلون بآيات على مذهبهم و لا دلالة فيها و تارة يحرفون و يتأولون ما يخالف مذهبهم و يحرفون الكلم عن مواضعه و يضرب مثلا ذلك بالمعطلة يقولون مثلا «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» الشورى 10 هذا دليل على أننا لا نثبت أي صفة تكون للمخلوق و ليست هذه الآية تدل على ما قالوا ، و تارة يحرفون الكلم فيقولون المراد القدرة أو النعمة هم يثبتون هذا لكن يحرفونه فتارة يحملون اللفظ ما لا يحتمله و تارة يصرفونه عن معناه ⁴ ، و الوسائل و الأساليب اللغوية التي استخدمها هؤلاء القوم في تأويلاتهم العقيدية هي المجاز في مقابل الحقيقة و لعل هذه الجهة أوسع الجهات التي يدخل منها تأويلهم و سدها يسند بابه و لهذا فإن هذه الجهة هي أم الباب ، بل ربما استطعنا بشيء قليل من التأويل أن ندخل كل الجهات الأخرى أو جلها تحت هذه التسمية معناها الواسع و هي التقدير في مقابل الظهور و التوكيد في مقابل التأسيس

والترادف في مقابل التباين و التقديم و التأخير و التقييد في مقابل الإطلاق و الخصوص في مقابل العموم و الاشتراك في مقابل الأفراد و لكن هذه الجهات التي ذكرناها يكاد ينحصر الخلاف فيها في المسائل الفقهية لا المسائل العقيدية أما السجال و الخلاف اللغوي في العقائد عامة و الأسماء و الصفات خاصة فيكاد ينحصر في الحقيقة و المجاز بين الإثبات و النفي و معاني الحروف بين مثبت لمعنى و مثبت لآخر غيره .

الخلاف العقدي و نشأته: و نعني به كل تباين في الأخذ بدلالة النصوص و ما استقر دونها من الألفاظ و التراكيب و الدلالات في مجال العقيدة ، و الذي يبنى عليه انتصار أو تأييد لأحد المذاهب أو العقائد في هذا المجال، و يكون منشأ هذا الخلاف عقدي و تبريره لغوي أي تكون ظواهر اللغة من ضمن الأدلة و البراهين المعروضة بين أطراف الاختلاف إما بالأخذ و إما بالرد ، حيث أن كل جماعة أخذت على عاتقها فهم النصوص بما يخدم عقيدتها لإثبات صحة منهجها حسب زعمها و صدق ما ذهب إليه مستعملة وسائل عدة و طرائق شتى على منهج اعتقاده و من أهم و أسهل ما حاججت به هذه المذاهب هو ناصية اللغة ، و بما أن حبل اللغة ليس صعب عقده و حله فقد كان حقلًا خصبا و مضمارا رحبا لهذا الخلاف، لقد كان من أهم الركائز التي جاء الإسلام بها ربط الناس بالوحي المرسل ، و ربطهم بالكتاب و السنة ، لأنّ بهما النجاة ، و هما النور المبين ، و الصراط القويم و التخلي أو الابتعاد عنهما عنوان الهلاك و الشقاء و الضلال ، و من هنا حدد الإسلام مصدر تلقي للعقيدة الإسلامية ، حدده بالكتاب و السنة ، و في المقابل حذر من كل طريق و منهج من شأنه إضعاف صلة الناس بهذا المصدر و لهذا قال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » النساء 59 ، كما حذر صلى الله عليه و سلم أسباب الانحراف عن المنهج القويم ، كالغلو في الدين و التشدد ، و نحو ذلك وهكذا دام الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم راسخي الإيمان ، قوية صلتهم بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم ، مبتعدين عمّا يشوب عقيدتهم و يشوه إيمانهم و يفرق كلمتهم .

و بدأت بوادر الخلاف و الكلام تظهر بعد موته صلى الله عليه و سلم ، كالخلاف في موضع دفنه و الخلاف في الإمامة من بعده ، و غير ذلك و بابتعاد عصر النبوة و موت كثير من الصحابة -رضي الله عنهم- و كثرة الفتوحات الإسلامية و ما أعقبها من دخول كثير من أهل تلك الديار في الإسلام بما يحملونه

من أفكار و عقائد لم يتخلّصوا من رواسيها ، و بتظاهر المنافقين و الكائدين للإسلام ، و جهل كثير من المسلمين بحقائق دينهم ، لهذا و لغيره بدأت البدع تظهر ، و الكلام يكثر و اتسع الحرق على الراقع فقد حدثت بدعة تكفير أهل الذنوب من أهل التوحيد على يد الخوارج ، و هذه البدعة تعد أول بدعة ظهرت في الإسلام كما حدث في أواخر زمن الصحابة خلاف القدرية في القدر و الإستطاعة من معبد الجهني و غيلان الدمشقي و تبرأ منهم الصحابة الموجودون آنا ذاك كعبد الله ابن عمر ، و جابر ابن عبد الله ، و عبد الله ابن عباس و غيرهم ، ثم ظهرت بدعة إنكار الصفات و الكلام في ذلك ، على يد الجعد بن درهم و الجهم بن صفوان و هكذا بدأت البدع تنتشر كلما بعد الناس عن عصر النبوة و هدي الرسالة ، و بدأ الكلام يكبر لا سيما على يد المعتزلة الذين يعدون أول من أنشأ علم الكلام في الإسلام و خاض به في مباحث العقيدة و مما زاد الطين بلة ما أكده كثير من العلماء و الباحثين من دخول الكثير من المباحث الفلسفية في علم الكلام على يد علماء الكلام و مؤسسية من المعتزلة و من سار سيرهم و انتهج منهجهم و إن المتأمل للمباحث التي يتطرق إليها أهل الكلام ليجد كثير منها عند المقارنة يتطابق مع منهج الفلاسفة في تناول تلك الموضوعات و موقفهم من النصوص الإلهية و هكذا عزت كثيرا من كتب العقائد مباحث و مناهج عقيمة ، بعيدة الصلة بالوحي المنزل حتى إن القارئ لهذه الكتب يخيل إليه أنه يقرأ كتابا فلسفيا نظريا ، لما يرى فيه من كثرة الجدل و الإيرادات و الردود ، و المسائل ، و الدلائل المبتدعة ، و في مقابل ذلك لا يكاد يمر بدليل ، لا من القرآن ، و لا من السنة ، بل يلاقي أدلة عقلية مجردة ، ربما أورثت في قلبه قسوة ، و في صدره ضيقا ، و ربما صرفته عن دراسة مسائل العقيدة بالكلية ، و قراءة كتب السنة التي ألفها الأئمة في الرد على المبتدعة ككتاب السنة للإمام أحمد ، و التوحيد لابن خزيمة ، و الشريعة للأجري و غيره و قد استفحل الشر بعد الشرح الذي أحدثه الأشعري ، حيث أصبح علم الكلام أداة أساسية لإثبات عقائد أهل السنة ، ثم دخل علم آخر في كتب العقائد في مرحلة ثالثة هو علم المنطق ثم دخل علم ثالث بعد ذلك هو علم الفلسفة و تداخلت موضوعاته مع الموضوعات الدينية ، و أصبحنا نرى في كتب العقائد عند المتأخرين خليطا عجيبا من علم الكلام و المنطق ، و الفلسفة متداخلة مع بعض العقائد الدينية في الدليل و المضمون و قد كان لهذا الانحراف عن المنهج السويّ و التعلّق بالمناهج الفاسدة ، و إثارة الكلام و الجدل حول مباحث مبتدعة أسباب كثيرة ، يمكن إيجازها في العنصر الموالي :

أسبابه : لقد كان للانحراف عن منهج السلف الصالح في العقيدة أسباب مهّدت له و أثّرت فيه ، نذكر أهمها :

أولاً : الالتقاء بأصحاب المذاهب و الديانات الأخرى لقد بدأت الدولة الإسلامية منذ عصر الخلفاء الراشدين توسع فتوحاتها و ترفع راية الإسلام في تلك الديار المفتوحة و تزيح عروش الكفار و الظالمين ، و بدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، و كثر الداخلون في دين الإسلام من سائر الأديان و النحل، و لا شك أنه كان من بين تلك الجموع أناس لم ترسخ العقيدة في قلوبهم و لم يتمكن الإسلام من نفوسهم و كانوا قد دخلوا الإسلام و هم يحملون شيئا من رواسب دياناتهم و نحلهم السابقة ، و من ناحية أخرى فإن هذه الفتوحات الإسلامية قد أثارت غيض أعداء هذا الدين ففكروا و تدبروا ، فأروا أن كيده من داخله أنجع و أفنك " .. فتظاهر قوم منهم بالدخول في الإسلام و قاموا بإثارة الفتن و الخلافات ، و تشكيك المسلمين في دينهم ، و ابتعادهم عن صفاء عقيدتهم و لعل أبرز مثل يصور هذا الكيد ما حصل على يد عبد الله بن سبأ اليهودي من الفتن و البدع التي خاف الناس منها و لا زال أتباعه من المنتسبين إلى الإسلام يدعون إليها حتى عصرنا هذا ، كما أن اختلاط المسلمين باليهود و النصارى ممن بقي على دينه من أهل تلك الديار المفتوحة كان له أثر فيما بعد على عقائدهم و تفكيرهم و إثارة بعض المسائل التي لا طائل تحتها" .⁵

ثانياً : تحكيم العقل على حساب النقل : لقد ضلت الأمم من قبلها في أسماء الله و صفاته كما ضلت في أمور كثيرة ، و أنزل الله وحيه على عباده و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم ، ليخرج الناس من الضلال الذي هم فيه إلى النور ، و جاءهم الوحي بالخبر الصادق و عرفهم بربهم أعرف تعريف و أقومه ، و في ما جاءهم الوحي به الهداية و الكفاية و لكن هناك من أعرض عن هذا الوحي و سبب هذا " عدم وقوف المنتسبين إلى العلم حيث أوقفهم الله و دخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ، و محاولتهم العلم بشيء استأثر الله بعلمه ، حتى تفرقوا فرقا ، و تشعبوا شعبا ، و صاروا أحزابا " .⁶

ثالثاً حركة الترجمة : لقد كانت حركة الترجمة من أهم العوامل إن لم يكن أهمها في التأثير في منهج أهل الكلام في العقيدة ، و ذلك لما أثارته و أفرزته و نشرته من المصطلحات و المباحث الفلسفية و المنطقية البعيدة عن القرآن و السنة و منهج سلف الأمة و ما كانت كتب العقائد عند أهل الكلام لتظهر بهذه

الصورة لولا التعلق بعلوم القوم و قد كانت بداية الترجمة على يد خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان محبا للعلوم ، فأمر بترجمة بعض كتب الكيمياء ، ثم جاء منصور و شجع على الترجمة كذلك ، إلى أن أتى يحيى بن خالد بن برمك الذي فتح باب الترجمة على مصرعيه و كان عبد الله بن المقفع من أول من ترجم كتب المنطق .

رابعا : الإختلاف في حقيقة المحكم و المتشابه : المنحرفون على الصراط السوي يعارضون السنة بظاهر القرآن و سيمسكون بالمتشابه في رد المحكم ، فإنهم لم يجدوا لفظا متشابها غير المحكم يريدونه به ، استخرجوا من المحكم وصفا متشابها و ردوه به، فهم طريقتان في رد السنن أحدهما: ردها بالمتشابه من القرآن أو من السنة و الثاني: جعل المحكم متشابها ليعطلوا دلالته.⁷

خامسا : الأحاديث الضعيفة : عملت الأحاديث الباطلة عملها في خلاف عقيدة المسلمين ، فمن هذه الأحاديث أن الرسول صلى الله عليه و سلم سئل مما ربنا فقال " من ماء مرور لا من أرض و لا من سماء خلق خيلا فأجرها فرقت ، فخلق نفسه من ذلك العرق « و منها " رأيت ربي في المنام في أحسن صورة ، شابا موقرا ، رجل في خضرة ، عليه نعلان من ذهب ، على وجهه فراش من ذهب» ، و منها ما ذكره ابن أبي عاصم في كتابه «السنة» «و لما قضى الله خلقه إستلقى ، ثم وضع إحدى رجله على الأخرى «⁸ ، و قد علق عليه محققه الشيخ ناصر الدين الألباني قائلا «إسناده ضعيف و المتن منكر ، كأنه من وضع اليهود».

أصول الخلاف العقدي: يمكن الرجوع بالخلاف العقدي إلى حين موته (صلى الله عليه و سلم) ، كالخلاف في موضع دفنه و الخلاف في الإمامة من بعده ، ولكن شقة الخلاف تحددت بشكل رسمي فيما يعرف بالفتنة الكبرى أين انقسم المسلمون إلى ثلاث فرق ستؤسس أوجه أخرى ثقافية وفلسفية نتيجة التغيرات المتسارعة التي تمر بها الحضارة وما تقتضيه من إفرزات وأفكار و بابتعاد عصر النبوة و موت كثير من الصحابة و كثرة الفتوح الإسلامية و ما أعقبها من دخول كثير من أهل تلك الديار في الإسلام بما يحملونه من أفكار و عقائد حيث أصبح الخلاف ميزة العصر، وليس علم الكلام إلا علما من العلوم الناشئة التي حاولت احتواء هذا الاختلاف وتسييره، و إنّ المتأمل للمباحث التي يتطرق إليها أهل الكلام ليجد كثير منها عند المقارنة يتطابق مع منهج الفلاسفة في تناول تلك الموضوعات و موقفهم من النصوص الإلهية و

هكذا عزت كثيرا من كتب العقائد مباحث و مناهج عقيمة ، بعيدة الصلة بالوحي المنزل حتى إنّ القارئ لهذه الكتب يخيل إليه أنه يقرأ كتابا فلسفيا نظريا ، لما يرى فيه من كثرة الجدل و الإيرادات و الردود ، و المسائل ، و في مقابل ذلك لا يكاد يمر بدليل، لا من القرآن، و لا من السنّة ، ككتاب السنّة للإمام أحمد ، و التوحيد لابن خزيمة ، و الشريعة للأجري و غيره، ثم ما أحدثه الأشعري حيث أصبح علم الكلام أداة أساسية لإثبات عقائد أهل السنّة ، ثمّ دخل علم آخر في كتب العقائد في مرحلة ثالثة هو علم المنطق ثم دخل علم ثالث بعد ذلك ، هو علم الفلسفة و تداخلت موضوعاته مع الموضوعات الدينية ، و أصبحنا نرى في كتب العقائد عند المتأخرين مزيجا من علم الكلام و المنطق ، و الفلسفة متداخلة مع بعض العقائد الدينية في الدليل و المضمون .

التأويل وأثره في الإختلاف العقدي: وردت لفظة التأويل التي مادتها آل في المعاجم العربية بمعان عدة: المرجع والمصير والعاقبة: "آل يؤول أولا ومآلا: رجع، وآل عنه ارتد، وآل الملك رعيته إذا ساسهم وأحسن رعيتهم وقبل ذلك لأنهم يرجعون إليه في أمورهم" يريد مرجعه وعاقبته أي أنّ حبّها آل من الصغر إلى العظم في قول الأعشى

على أنّها كانت تأوّل حبّها تأوّل ربي السقاب فأصبحا⁹

1- " التأويل رد الشيء إلى الغاية المرادة منه قولاً كان أو فعلاً أي العاقبة وقال ابن فارس من هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه ذلك قوله تعالى: "هل ينظرون إلاّ تأويله" الأعراف 53، قيل ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم وقال في موضع آخر وأما التأويل فأخر الأمر وعاقبته، يقال إلى أي شيء مآل هذا الأمر أي مصيره وآخر عقباه " ¹⁰

2- التغيير: آل اللبن والعسل والشراب ونحوه إذا خثر، والإيال وعاء يجمع فيه الشّراب أياما حتى يوجد، وآل جسم الرّجل إذا نحف.

3- التفسير: أوّل الكلام تأويلا "وتأويله: دبره، وقدّره، وفسّره" وقال ابن الأعرابي "التفسير والتأويل والمعنى واحد ، ولذلك سمّى الطبري كتابه في التفسير "جامع البيان عن تأويل أي القرآن" و قال: وأما معنى التأويل في كلام العرب فهو التفسير والمرجع والمصير .

4- الوضوح والظهور: آل البعير وما أشرف من أقطار جسمه، والآل ما أشرف من السراب وأطراف الجبل والآل الشخص وهو ما تراه في أول النهار وآخره برفع الشخص.

المفهوم الاصطلاحي للتأويل: " عرف مفهوم التأويل تطوراً ملحوظاً من مفهوم لغوي معجمي إلى اصطلاح علمي اشتغل به اللغويون والعلماء في فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام منها ولكن هذا المفهوم لم يعرف استقراراً ولا ثباتاً لإختلافه وتباين استعماله من عصر إلى آخر لذلك كان لزاماً علينا أن نبيّن مفهوم هذا المصطلح حتى ينجلي الموضوع ويتبيّن المراد " .¹¹

1- التأويل عند السلف:

أ- **العاقبة:** وهو غالب استعمال القرآن الكريم، فالكلام خبر وإنشاء وإنشاء أمر ونهي ، وتأويل الخبر هو وقوع نفس المخبر عنه فتأويل ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته هو نفس ما عليه الأسماء والصفات من الحقائق والكيفيات، وهذا التأويل لا يعلمه إلا الله تعالى، " وتأويل ما أخبر الله به عمّا في الجنة من المآكل والمشرب والملابس والمناجح هو حقيقة ما عليه هذه الأشياء يوم القيامة، وكذلك تأويل الرؤيا في النوم هو وقوعها في الخارج كما قال يوسف عليه السلام: " وَقَالَ يَا أُمَّتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا " يوسف 100، وتأويل الأمر هو تبيان الأمور به، وكذا التهيّ اجتناب المنهي عنه، ومن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى: "وما يعلم تأويله إلا الله" آل عمران 7 مع القول بالوقف في لفظ الجلالة فالتأويل بمعنى العاقبة، وهذا ما قاله ابن فارس "أي لا يعلم الآجال والمدد إلا الله"، وقوله "فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً" النساء 59، فسره ابن قتيبة بالعاقبة، وقوله: "هل ينظرون إلاّ تأويله" أي ما وعدوا من العذاب الجنة والنار، حتّى يدخل أهل الجنة النار، وأهل النار النار، فيتم تأويله يومئذ، ومن أمثلة ذلك في الحديث: قول عائشة (رضي الله عنها) كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر في ركوعه وسجوده أن يقول "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، بتأويل القرآن" بتأويل القرآن أي يفعل ما أمر به فيه " .¹²

ب- **التفسير:** فالتأويل عند السلف هو تفسير الكلام- سواء وافق ظاهره أو لم يوافق- فهما متقاربان أو مترادفان وهو اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، ومن أمثلة ذلك- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس "اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل" والتأويل بمعنى التفسير هو " استعمال أبي عبيدة في مجاز القرآن والطبري في

تفسيره، وقد بدأ مصطلح التأويل بعد عهد السلف يأخذ مجرى آخر خلاف المرجع والمصير والتفسير إلى ما أطلق عليه فيما بعد "صرف اللفظ عن ظاهره"، فأبو منصور الماتوريدي يعرف التأويل هو ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع وهذه تعتبر مرحلة مبكرة لمعنى التأويل كإصطلاح¹³.

2- التأويل في اصطلاح الأصوليين : لقد أخذ التأويل في الإصطلاح عند الأصوليين معنى يتسق مع وجهاتهم في استنباط الأحكام والإنصراف من معنى إلى معنى آخر عندما يتوفر الدليل على ذلك فكان عمدة ما قالوا في هذا: أنّ التأويل "هو صرف اللفظ في معناه الظاهر إلى معنى مرجوح يحتمله، لدليل دلّ عليه و"هذا الصرف لا يكون على سبيل القطع بل يسير في ساحة الظن، ولذلك فرّقوا بينه وبين التفسير على سبيل القطع لا الظن كما في التأويل"¹⁴، ومجال التأويل هو نصوص الأحكام عند الأصوليين وقد اشتروا في ذلك ضوابط عدّة حتى يكون التأويل صحيحاً، أهمها: أهلية الناظر في هذا الأمر و أن يكون اللفظ قابل للتأويل وهو ما يسمّى في فهمهم بالظاهر و أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى المصروف إليه و أن يكون الدليل الصّارف عن مدلول الظاهر راجحاً على ظهور اللفظ في مدلوله.

3- التأويل عند المتكلمين: أي "صرف اللفظ على ظاهره، نشأ وترعرع في بيئة المتكلمين وعرف عندهم منحى خطيراً وتوسعوا فيه أيّما توسّع ولم يسلم من تأويلاتهم حتى النصوص الظاهرة البيّنة في دلالتها ومعانيها والتي لا تحتاج إلى تأويل، بل أنّهم توسّعوا في تعريفه ورأوا بلزوم ووجوب الأخذ به وعضّو عليه بالتواجد حتى قال قائلهم- والقول للرازي-: "جميع فرق الإسلام مقرّون بأنّه لا بدّ من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار"، ويعرف الرازي التأويل بأنّه: "هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح مع قيام الدليل القاطع على أنّ ظاهره محال"، ويقصد الرازي بالدليل القاطع -ومن وافقه في ذلك- هو دليل العقل، ولا يمكن للنقل أن يكون دليلاً قاطعاً وهو ما يعني تقديمه دليل العقل على صريح النقل، ومأخذ المتكلمين على التأويل مبني على الأسس التالية¹⁵:

- جواز التعارض بين العقل والنقل وتقديم العقل على النقل، و ظنيّة ثبوت النصّ وبالتالي التأويل تحكيم العقل فيها.

- الضابط في حمل اللفظ على الإحتمال المرجوح صحّة معناه في اللغة ويقدمون شواذ اللغة على صحيح النقل.

- الدليل أو القرينة الصّارفة عن إرادة المعنى الظاهر هو دليل العقل بخلاف الأصوليين الذين يعتمدون دليل النقل.

ومعرفة هذه الأسس يتبين لك مقصد هؤلاء وبعدهم عن جادة التأويل الحق واعتمادهم على العقل وناصبية اللغة بغير ضابط ولا ناقل وضرهم لكليات الدين وأصول الشريعة وسياقات الألفاظ وظواهر نصوص الكتاب والسنة بعرض حائط .

4- التأويل الأدبي: لم يكن الدرس الأدبي في هذه المراحل بمعزل عما اقتضاه مصطلح التأويل من صرف اللفظ عن ظاهره حيث لقي استحسانا واستعمالا عريضا من قبل اللغويين يقول الجرجاني تحت فصل: "في اللفظ يطلق و المراد به غير ظاهره" أنّ لهذا الضرب اتساعا وتفننا لا إلى غاية إلا أنّه على اتساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين الكتابة والمجاز¹⁶ ، وبالتالي فإنّ التأويل على هذا النحو يتعلق بالأسلوب لا بالمفردات للتوصّل إلى قصد السياق، وكذلك الفصاحة والبلاغة في الدرس الأدبي ليس إلا أوصافا للمضمون الذي يكشف ستاره عن طريق التدوّق لمعرفة مراد تلك الأساليب ، وكلّ ما من شأنه أن يعينك على الفهم فيه، وعلى هذا لم يكن التأويل الأدبي من هذا الوجه على إطلاقه من غير ضابط ولا رقيب بل كان له ما كان للمصطلح الشرعي من قيود تضمن صحته وعدم الخلل فيه، وقد ذكر الجرجاني وما يتعلق بالمؤؤل من معرفة الأسلوب ومقاصده وتدوّق إيجاءاته لتجنّب الوقوع في فاسد التأويل أو باطله يقول: "لابدّ لكلّ كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة، وعلة معقولة، وأن يكون إلى العبارة سبيل، وعلى صحة ما ادعيناها من ذلك دليل".¹⁷

- ولم يكن هذا المصطلح بمنأى عن الدراسات الغربية الحديثة حيث نشأ في معرض الحديث عن تحليل الخطاب ومحاولة إيجاد نظرية للنص يمكن الإعتماد عليها في فهم النصوص وتأويلها، ولكنه أخذ بعدا آخر خلاف ما قد ذكرنا يقول د/صالح بلعيد تحت عنوان التأويل "إنّ التوجهات التنفيذية الحديثة تلغي أن يكون المؤلّف منشئا للنص، فالمعنى أصبح يعتمد على القارئ الذي يستمد معرفته من الدّربة واكتساب القدرة والكفاءة خاصة وأنّ النص يتكلم فيه المكتوب لا صاحبه، وهنا ركزت على النص لا على المؤلّف... وهذا باعتبار أن النص مفتوح ينتجه القارئ في عملية المشاركة.... وتأويله هو المشاركة في شرحه حسب الأرضية المعرفية، فيصبح القارئ مبدعا ومصحّحا ومغيرا لأنماط النص".¹⁸

ومن هنا ينتج أنّ التأويل في الإصطلاح الغربي لا يمكن أن يتجاوز ما تبني عليه اللغة إن لم نقل أنّها المفتاح الوحيد لفهم النصّ، رغم تحفظ بعض الباحثين الغربيين أمثال "هابرماس" الذي دعى إلى وجوب فهم الطابع الأيديولوجي الذي تبني عليه اللغة وتعبيرها عن سلطة اجتماعية فاللغة هي دليل الواقع ومرآة الأحداث و احترام الخصوصية الثقافية والتاريخية للغة، إلا أنّ التوجه الحدائثي الغربي يرى خلاف ذلك ويعتبر أنّ هذه المقاربة تقليدية قاصرة عن فهم النصّ "والكائن الوحيد الممكن فهمه هو اللغة هذا القول للغوي الألماني (هانس غبورغ غادامير) الذي يعتبر أنّ اللّغة هي أداة الفهم الوحيدة والمثالية فالتأويل عنده عبارة عن إزاحة ذات طابع ابستمولوجي تخترق سمك التراث لتتعلق براهنية الفكر وطريقة تحويل النصّ الصامت والجامد، إلى كائن خلاق يتجاوز ذاته بقدر ما يتجاوز الواقع الذي يدلّ عليه.

حتّى وإن جنح التأويل عن معناه اللغوي إلى معناه الإصطلاحي فإنّه قد أحيط بضوابط وقوانين تكسبه شرعية التي ليست إلا معرفة مراد المتكلم وهذا هو التأويل الحقيقي يقول ابن تيمية: "والتأويل المردود هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره"¹⁹، والمفهوم من التعريف أنّ التأويل الصحيح هو صرف الكلام عن الظاهر إلى ما يوافق القصد، كما أنّه لا يستعمل إلا إذا دعت إليه الحاجة وكما لا يمكن أن يعتد بتأويل يخرج عن كليات الشريعة وأصول الدّين وقانون العربية ويخالف عقائد السلف وإجماع العلماء وما علم من الدّين بالضرورة بدعوى أنّه تأويل وهذا النوع الذي لزم هذا الجانب هو الذي أثرى دائرة الاختلاف إلى حد تجاوز نصوص المتشابهة من القرآن الكريم إلى المحكم منها بنفس الدّعوى وقد نشأ هذا الاختلاف في البيئة الكلامية على وجه التحديد، ونتيجة للحريّة العقلية، واستقرار الفكر الإسلامي في مرحلة ما، وانتشار الملل والمذاهب والاتجاهات السياسية والأهواء التي اشتدّت وطأتها في العصر العباسي وجدت الفرق الكلامية في ظاهرة التأويل مجالاً خصباً، يتوفر في المعاني الباطنة للألفاظ وهي المعاني التي يبحث عنها التأويل وكان الجدل والكلام هو سلاحهم في هذا المعترك من أجل الانتصار لعقائدهم الضالّة، "وأغلب الظنّ أنّ التأويل كان في نظر تلك الفرق هو صرف اللفظ عن ظاهر معناه ولا أكثر، فبتروا بذلك المعنى الذي يشير إلى صرف اللفظ عن معناه إلى المعنى المقصود"²⁰، فأصبح التأويل عند هؤلاء خاضعاً لمعتقداتهم ليس إلا فالمعتزلة الذين ينفون الصفات يروا "أنّ كل ما ورد ظاهره يدلّ على ذلك وجب تأويله" لذلك عزفوا عن تأويل قوله تعالى: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار" وأجروها على ظاهرها لأنّها توافق

معتقدهم في عدم الرؤيا التي هي حق عند أهل السنة الذين تأولوا الآية بأنه لا تدركه الأبصار في الدنيا دون الآخرة، وفي المقابل تأول المعتزلة قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة 22 إلى ربها ناظرة 23"، "القيامة -بأتمها مجاز بمعنى منتظرة، والذين تعمقوا باطن اللفظ، وغالوا فيه أغلبهم من الفرق الشعبية المتطرفة ووصلوا بالتأويل إلى أشكال خرافية ومن ذلك قولهم أنّ لفظ السماء في القرآن تعني محمّد، وأنّ الأرض أصحابه، والعدل والإحسان علي وقوله تعالى: "إنّ الله يأمركم أن تذبجوا بقرة" أنّها عائشة، إلى غير ذلك ممّا لا يقبله عقل ولا نقل، والفرقة الوسطى بين هؤلاء جميعا هي أهل السنة والجماعة الذين لم ينجحوا إلى التأويل إلا بما يوافق قانونه وميزانه وبما يحفظ للنصّ قدسيته ورسالته، " ليقوم منهج أهل السنة والجماعة في التفسير على أسس واضحة بينة أهمها:

أولا تفسير القرآن بالقرآن، و ثانيا تفسير القرآن بالسنة قال الإمام الشافعي رحمه الله: "وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان: أحدهما نص كتاب فاتبعه رسول الله كما أنزل الله والآخر جملة بين رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة وأوضح كيف فرضها عاما أو خاصا، وكيف أراد أن يأتي به العباد، وكلاهما اتبع فيه كتاب الله و ثالثا: تفسير القرآن بأقوال الصحابة: رابعا: اعتبار أقوال التابعين: لأنهم تلقفوا علم الصحابة ووعوه ودارسوه القرآن الكريم وسألوه عنده كما قال مجاهد بن جبر: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها و خامسا: تفسير القرآن بعموم لغة العرب: لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها، والمعاني تختلف باختلاف إعرابها، ومن هنا مست الحاجة إلى اعتبار علم النحو والتصريف الذي تعرف به الأبنية والكلمة المبهمة يتضح معناها بمصادرها ومشتقاتها"²¹.

تأويل نصوص الصفات والاختلاف فيها:

صفة العلو: من النصوص المثبتة لهذه الصفة قوله تعالى: "أَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ." الملك 16، وقوله "وهو القاهر فوق عباده" الأنعام 61 وقوله "يخافون ربهم من فوقهم" النحل 50 وحديث الجارية التي سأها النبي (ص) أين "الله قالت في السماء" فقالوا في النصّ الأوّل: أي من في السماء ملكه وسلطانه وأمره وقال الزمخشري في تأويل هذه الآية وجهان: أحدها: من ملكوته في السماء

لأنه مسكن ملائكته، والثاني: أنهم كانوا يعتقدون بالتشبيه فالآية على قولهم أمنتهم من تزعمون أنه في السماء²².

" قال القاضي عبد الجبار "إنّ في السماء نعماته، وضروب عقابه لأنّ عادته أن ينزلها من هناك" ، وقال آخرون "من في السماء من الملائكة ومنهم خاسفوا سدوم" ، وقالوا في قوله: "هو القاهر فوق عباده"- "يخافون ربهم من فوقهم" وفي ذلك يقول ابن فورك: "واعلم أنّ إذا قلنا إنّ الله عزّ وجل فوق ما خلق، لم يرجع به إلى فوقية المكان والإرتفاع على الأمكنة... بل إنّ قوله أنّه فوقها يحتمل وجهين":

- 1- أنّه يراد به أنّه قاهر لها مستول عليها-، إثباتا لإحاطة قدرته بها وشمول قهرها له .
- 2- أنّه يراد بالفوقية هنا، الرّفعة والمرتبة والمنزلة، وهذا يصح في اللغة ولذلك يقال فلان فوق فلان أي أعلى منه مكانة وقدرًا. " ²³

وقالوا في حديث الجارية: إنّ سؤال النبي للجارية كان سؤال عن الرّفعة والدرجة أي منزلة الله وقدره عندها وفي قلبها، فأشارت إلى السماء، بمنزلة قول القائل فلان في السماء أي هو رفيع الشأن عظيم المقدار، فأما قوله تعالى: "أمنتهم من في السماء"، ظاهره أنه في السماء حقيقة، أي في العلو و"هو فوق السماء وعلى العرش"، لأنّ العرب تضع (في) بموضع (على) كما في قوله تعالى "فسيحوا في الأرض" التوبة 2 وقوله: "ولأصلبّنكم في جذوع النّخل" طه 71 ومعناه على الأرض وعلى النّخل، وأما تقدير المحذوف في الآية فليس له وجه لا في اللغة ولا في الشّرع، وقولهم الملائكة ومنهم خاسفوا سدوم- فهذا قول باطل- لأنّ الآية جاءت بصيغة المفرد ولم تأت بصيغة الجمع- وأنّ الله لم يطلق لفظ "أمنتهم" في كتابه إلّا كان المقصود بذلك هو الله لا غيره- وإذا سلّمنا بزعم هؤلاء فكأنّما نجعل قوله تعالى "وإذا مستكم الضّرّ في البحر ظلّ من تدعوا إلّا إياه" عائد على الملائكة أيضا وهذه مظنة الشّرك لا ريب.

- وقولهم في الفوقية أنّها القهر والرّتبة والمنزلة قيل فيه: إنّ هذا اللفظ صرف عن حقيقته وظاهره دون دليل، ولا شك أنّ الله تعالى له فوقية القهر والقدرة المنزلة كما له فوقية العلو. فإنّ هذا الكلام إن صحّ في بعض المواضع فلا يصح في قوله "يخافون ربهم من فوقهم" فلا يعرف في اللغة البتّة استعمال "فوق" مقرونا بمن بمعنى فوقية الخبرية، فلا يصح أن يقال "الذهب من فوق الفضة" أو "العالم من فوق الجاهل" فإنّ محل الخبرية والأفضلية في ذلك لا يستلزم هذا القول وأما ما اقترن بمن وهو صريح فمقصده فوقية الذات، وحديث الجارية

فهو من صريح الأحاديث في إثبات العلو. فقد سألتها النبي(ص) "صراحة" "أين الله" فقالت بوضوح البيان" في السماء" فقال النبي(ص): "أعتقها فإنها مؤمنة" فجعل اعتقادها كونه في السماء دليلا على أنها مؤمنة. فلا يصح القول هنا أنه كان سؤالاً عن المنزلة والدرجة لأنه عدول عن الظاهر بغير دليل فما بالك بمئات وألوف من النصوص في فوقية الذات وأنّ إثبات فوقية الذات هو إثبات للمكان فنمو ذلك بحجة عدم الوقوع في التشبيه أو التجسيد والذي عليه ظاهر اللغة ونصوص الشرع وقول السنن هو إثبات فوقية الله فوق عباده وأنه هو العلي وفوق كل شيء، كما يليق بجلاله سبحانه عل الوجه الذي ارتضاه .

صفة النزول: وردت هذه الصفة في عدّة أحاديث متواترة منها ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حيث يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفري فأغفر له"²⁴ ، وقد ورد في تأويله أنّ : 1- النزول هنا بمعنى رحمته ولطفه ونعمه لعباده.

2- نزول الملائكة المقربين بأمره، فيضاف إليه النزول على معنى ما وقع بأمره، يقال نزل الأمير بموضع كذا، إذا نزل أصحابه بأمره.

3- ترك ما يليق بعلو الرتبة وعظم الشأن، والإستغناء الكامل المطلق، ولهذا تقول العرب نزل الملك مع فلان إلى أدنى الدرجات عند لطفه به، وإحاطته بعنايته، وانبساطه في حضرة مملكته وتكون فائدة ذلك انبساط الخلق عند حضرة المملكة، والتضرّع بالدعوى.

4- ذكر بعضهم أنّ إظهار النزول يرجع إلى إظهار فعل وتدبير في عباده يسمّيه نزولا.²⁵

وقد ذهب بعض أهل السنة إلى تأويل هذا النزول بقول شيخ الإسلام: " وقد تأوّل قوم من المنتسبين إلى السنة والحديث النزول وما كان نحوه من النصوص التي فيها فعل الرب اللازم كالإتيان والمجيء والهبوط ونحو ذلك.. " ثم أوضح أن هذا لا يصح عنهما، وأيضاً فقد ألمح إلى أن ابن قتيبة يميل إلى تأويل ذلك وقال ابن عبد البر: " وقال قوم من أهل الأثر أيضاً إنه ينزل أمره، وتنزل رحمته " ، أما جمهور أهل السنة، وسلف الأمة فقد أثبتوا هذه الصفة لله حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته لا يماثل نزول المخلوقين، من غير تأويل ولا تكييف، قال ابن عبد البر: " والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون ينزل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويصدقون بهذه الأحاديث ولا يكييفون.. أما ما ألمح إليه شيخ الإسلام من أن ابن قتيبة يميل

إلى تأويل هذه الصفة فالذي يظهر من كلامه أنه فسر النزول بمفهومه اللغوي أنه يحتمل الانتقال، ويحتمل القصد، قال ذلك بعد أن قرر أن نزول الرب لا يمكن تكيفه، حيث قال: "فإن قيل لنا كيف النزول منه جل وعز؟ قلنا: لا نحتم على النزول منه بشيء، ولكنها تبين كيف النزول منها وما تحتمله اللغة من هذا اللفظ.

صفة خلق الله آدم على صورته: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته، اختلف في عود الضمير في هذا الحديث وما في معناه، فذهب بعض الأئمة إلى القول بأن الضمير في هذا عائد على غير الله، ومن قال بذلك: الإمام ابن خزيمة، وأبو ثور، وأبو الشيخ الأصبهاني، قال ابن خزيمة: "توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله: "على صورته" يريد: صورة الرحمن - عزوجل - عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: "خلق آدم على صورته": الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب، أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب، وذهب جمهور أهل السنة وسلف الأمة إلى أن الضمير عائد إلى الله تعالى، قال شيخ الإسلام: "والكلام على ذلك أن يقال: هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك... ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثانية، جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة، في عامة أمورهم: كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم، ولذلك أنكروا عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة.. ومن أعظم ما استند إليه الجمهور في كون الضمير عائداً إلى الله، ما جاء صريحاً من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقبحوا الوجه، فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن، قال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله - يعني الإمام أحمد -: كيف تقول في حديث النبي صلى الله عليه وسلم "خلق الله آدم على صورته"؟ قال: "أما الأعمش فيقول: عن حبيب بن أبي ثابت ثم قال: فنقول كما جاء الحديث - يعني: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن، وقد أنكروا العلماء على ابن خزيمة تأويل هذا الحديث بإعادة الضمير على غير الله وخطؤوه في ذلك، ونقل شيخ الإسلام عن أبي موسى المدني فيما نقله عن قوام السنة قوله: "أخطأ محمد بن إسحاق بن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه

بذلك، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب. قال أبو موسى: أشار بذلك إلى أنه قل من إمام إلا وله زلة فإذا ترك ذلك الإمام لأجل زلته، ترك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يفعل، وقال الذهبي - أثناء ترجمته لابن خزيمة -: "وكتابه في التوحيد مجلد كبير وقد تأويل في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأول بعض الصفات...، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاد - مع صحة إيمانه، وتوحيه لاتباع الحق - أهدرناه وبدعناه لقل من يسلم من الأئمة معنا.²⁶

في الختام يمكن إيجاز أهم النتائج بالقول: - التأويل في استعمال سلف الأمة وأهل اللغة المتقدمين يطابق معناه اللغوي المتقدم: العاقبة والتفسير، فيأتي بمعنى العاقبة وهو الغالب في استعمال القرآن الكريم ويأتي بمعنى التفسير وهو اصطلاح الصحابة والسلف وكثير من أهل العلم المتقدمين، وأما في اصطلاح الفقهاء والأصوليين فقد أتى بمعنى صرف اللفظ عن الإحتمال الرّاجح إلى الإحتمال المرجوح لدليل يقتضيه، ووفق ضوابط مشروطة وكان مجاله نصوص الأحكام من أجل استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وقد كان عند المتكلمين بهذا المعنى ولكنّه اختلف في الإستعمال وتعدّى مجاله إلى مسائل ونصوص القدر والإيمان والأسماء والصفات سواء بالتشبيه أو بما يصبّ في عقائدهم وأهوائهم ويكاد يوافق هذا الفهم اصطلاح الغريبيين في اعتمادهم على العقل واللغة دون النصّ.

- أن الخلاف سنة من سنن الله في خلقه، و لم يقدر هذا الخلاف أبداً إلى التكفير أو البدع أو الضلالة بل إنه قاد إلى التنوع والتعدد كل حسب عقيدته، وورد في بعض المسائل الدقيقة لا في المسائل الكبرى الواضحة.

الهوامش و الاحالات:

- ¹ ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر، ط 1، ج 9، سنة 1410، ص 949.
- ² محمد عبد اللطيف محمود: الاختلافات الفقهية لدى الاتجاهات الاسلامية المعاصرة، دار الوفاء، ط 1، 1421 هـ، ص 14.
- ³ ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير شرح و إعداد محمد عمر بارمول الدار الأثرية، ط 1، 1424 هـ 2003، ص 108.
- ⁴ ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير شرح فضيلة الشيخ محمد ابن صالح العثيمين، دار البصيرة، سنة، 2003م، ص 86.

- 5 سليمان بن صالح عبد العزيز: الغصن موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب و السنة دار العاصمة، ط 1 ، سنة 1996 م ج 1، ص 453.
- 6 محمد ابن علي الشوكاني ، التحف في مذاهب السلف، دار ابن الجوزي، (ط 2) ، 1418 هـ 1997 م ، ص 39.
- 7 ينظر : سليمان بن صالح الغصن : موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب و السنة، دار العاصمة، ط 1 ، 1996م ، ص 58 .
- 8 ابن عاصم السنة ، احديث رقم 568 ، المكتب الإسلامي بيروت ط 1 ، 1400 هـ 1980 م مرتضى الزبيدي: تاج العروس، دار الفكر ، بيروت ، 1994 ، ج 14، ص 31.⁹ -
10 أحمد بن فارس : الصحاحي ، : مؤسسة أ- بدر، بيروت، 1993، ص 93.
- 11 ابن فارس : المقاييس ، ص 97
- 12 العسقلاني ابن حجر، فتح الباري ، دار المعرفة ، بيروت : (د،ت) ، ج 2، ص 299 .
- 13 عثمان بن علي حسن : منهج الإستدلال على مسائل الإعتقاد ، الرياض : مكتبة الرشيد، ط 4 ، 1997، ج 2، ص 544.
- 14 أديب محمد صالح ، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ، القاهرة : منشورات المكتب الإسلامي ، ط 2 ، ج 1 ، ص 366.
- 15 عثمان بن علي حسن : منهج الإستدلال على مسائل الإعتقاد ، ص 548 .
- 16 عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، القاهرة: مطبعة المدني، ط 2، 1992 ، ص 66 .
- 17 المرجع نفسه ، ص 41.
- 18 صالح بلعيد ، نظرية النظم ، الجزائر : دار هومه، 2002 ، ص 164، 165.
- 19 عبد الغفار سيد أحمد، النص القرآني بين التفسير و التأويل ، دار المعرفة ، القاهرة ، ص 48.
- 20 نفس المرجع ، ص 50.
- 21 فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى 1407هـ- 1986م، ص 86.
- 22 محمود الزّخشي ، الكشّاف، بيروت: دار الفكر، (د،ت)، ج 4، ص 138.
- 23 سليمان بن صالح الغصن : موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب و السنة ، ج 2، ص 532 .

²⁴ رواه البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، 47\2.

²⁵ ريكور بول ، نظرية التأويل، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ط1، 2001، ص07 .

²⁶ ينظر : حمود بن عبد الله بن حمود التويجري: عقيدة أهل الأيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، دار اللواء ، ط2، 1989، ص125.

المصادر و المراجع المعتمدة :

1. ابن أبي عاصم : السنة ، الحديث رقم 568 ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1 ، 1400 ، 1980 م.
2. ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير ، شرح و إعداد محمد عمر بارمول الدار الأثرية ، ط 1 ، 1424 هـ 2003 .
3. ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1410، سنة 1997.
4. أحمد بن فارس : الصحاحي ، مؤسسة أ- بدر، بيروت، 1993.
5. أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة ، تح محمد عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت .
6. الأعشى : ديوان الأعشى: دار صادر، بيروت، 1994.
7. العسقلاني إبن حجر، فتح الباري ، دار المعرفة، بيروت : (د،ت) ، ج 2 .
8. حمود بن عبد الله بن حمود التويجري: عقيدة أهل الأيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، دار اللواء ، ط2، 1989
9. بول ريكور : نظرية التأويل، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط 1، 2001.
10. سليمان بن صالح الغصن : موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب و السنة، دار العاصمة، ط1 1996م ،
11. صالح بلعيد : نظرية النظم ، دار هومه، الجزائر ، 2002 .
12. عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، القاهرة، مطبعة المدني، ط2، 1992 .
13. عبد الغفار سيد أحمد، النص القرآني بين التفسير و التأويل ، دار المعرفة ، القاهرة .
14. عثمان بن علي حسن : منهج الاستدلال على مسائل الإعتقاد ، مكتبة الرشيد، الرياض، ط 4، 1997، ج2.
15. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية ، ط 1، 1407هـ- 1986م.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأولاد واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

16. محمد عبد اللطيف محمود: الاختلافات الفقهية لدى الاتجاهات الاسلامية المعاصرة ، دار الوفاء ، ط1، 1421 هـ .
17. محمد أديب صالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ، منشورات المكتب الإسلامي، القاهرة، ط2، ج 1 .
18. محمد ابن علي الشوكاني ، التحف في مذاهب السلف، دار ابن الجوزي، (ط2) ، 1418 هـ 1997 م .
19. محمود الزحشيري : الكشاف، بيروت، دار الفكر،(د،ت)، ج4.
20. مرتضى الزبيدي: تاج العروس، دار الفكر، بيروت ، 1994، ج14.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

العام في القراءات القرآنية (المعرف بالإضافة انموذجا)

م. د. ورفاء عبد السلام عبد الوهاب الفارس

كلية الحكمة الجامعة/ قسم الدراسات الإسلامية/ العراق

warkaaabs@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/25 م تاريخ التحكيم: 2020/11/02 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

جاءت أهمية هذا البحث في أنه يتعلق بمصدرين مهمين من مصادر استمداد علم أصول الفقه وهما: القرآن الكريم واللغة العربية، فالقرآن الكريم يُعدّ المصدر الأول للتشريعات الإلهية التي ارتضاها الله - سبحانه وتعالى - لتنظيم حياة البشر . أما اللغة العربية فهي التي نزل بها القرآن الكريم، وقد قرر الأصوليون أن الاجتهاد الشرعي إنما يتحقق بشروط عدّة منها العلم بمقاصد العربية، فالمتجهد إذا كان عالماً بلغة العرب استطاع التعرف على دلالات الألفاظ المستنبطة من النصّ القرآني ومنها معرفة دلالة العام ومن صيغته المعرف بالإضافة.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية، المعرف بالإضافة.

General in Quranic Readings (Identifier In Addition to a Model)
Lecture Dr.WARQAA ABDUSALAM ABDULWAHHB AL-FARIS
AL HIKMMA University College/Department of Islamic Studies /IRAQ
warkaaabs@gmail.com

Abstract:

The importance of this research is that it relates to two important sources of the science of fiqh, namely: The Holy Quran and the Arabic language, the Noble Qur'an is the primary source of the divine legislations that God has accepted - glory be to him - to regulate human life.

As for the Arabic language, it is the one in which the Noble Qur'an was revealed, the fundamentalists have decided that legal jurisprudence is only achieved under several conditions, including knowledge of the objectives of Arabic, so if a mujtahid is a scholar of the Arabic language, he is able to identify the connotations of expressions deduced from the Qur'an text, including knowledge of the general meaning and its defining formulas in addition

Keywords: Quranic Readings, Identifier in addition.

المقدمة

الحمد لله الذي عمّ بنعمه خلقه وشمل برحمته عباده وصلى الله على خاتم أنبيائه الذي أنزل عليه كتابه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد...

لقد اقتضت حكمة الله عزّ وجلّ أن تكون لغة القرآن الكريم الكتاب الخاتم لكل الرسالات السماوية هي اللغة العربية قال تعالى: { كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [فصلت: 3]، وقال تعالى: وَكَذَلِكَ أُوحِيَ إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا { [الشورى: 7] ، فالقرآن الكريم يُعدّ المصدر الأول للتشريعات الإلهية التي ارتضاها الله - سبحانه وتعالى - لتنظيم حياة البشر، كما وإن تعدد القراءات القرآنية تُعدّ من أهم أسباب اختلاف الفقهاء، فكل قراءة تُعدّ بمثابة آية، وهذا الاختلاف في القراءات قد أثرى الفقه الإسلامي بأحكام جديدة. أما اللغة العربية فهي التي نزل بها القرآن الكريم، ويتوقف فهمه والاستدلال به على معرفة طرق العرب في الإفهام والفهم، وقد قرّر الأصوليون أن الاجتهاد الشرعي إنما يتحقق بشروط عدّة منها العلم بمقاصد العربية، فالمتجه إذا كان عالماً بلغة العرب استطاع التعرف على دلالات الألفاظ المستنبطة من النصّ الشرعي، وهي من الأدوات التي تمكن من التعامل مع النصوص وفهم مقاصد الشارع بشكل صحيح، والعام هو أحد هذه الدلالات ومن صيغته المعرف بالإضافة.

وهذه أهم أسباب اختيار موضوع البحث: ((العام في القراءات القرآنية - المعرف بالإضافة انموذجاً-)) بأنه يتعلق بمصدرين مهمين من مصادر استمداد علم أصول الفقه وهما: القرآن الكريم واللغة العربية. وأما عن المنهج الذي اختارته الباحثة فهو:

1. استقراء الآيات التي ورد فيها المعرف بالإضافة بقراءات عدّة، ثم بيان موضع الشاهد والأثر من اختلاف هذه القراءات.

2. الاعتماد على الخلاف القراءات العشر المتواترة في التطبيقات الخاصة بالمعرف بالإضافة فلم اتطرق إلى القراءات الشاذة ان وردت في موضع الشاهد.

3. كتابة الآية القرآنية برواية حفص عن عاصم.

4. ارجاع كل قراءة لقارئها معتمدة في ذلك على أهميات كتب القراءات.

أما خطة البحث فقد اقتضت أن يقسم إلى مبحثين تسبقهما مقدمة وتفوقها خاتمة وعلى النحو الآتي:

المقدمة: تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته والمنهج المتبع في البحث وخطته.

أمّا المبحث الأول فكان بعنوان: التعريف بمفردات البحث ، وتضمن : تعريف العام وصيغته ، وتعريف القراءات القرآنية، وتعريف الإضافة ودلالاتها على العموم وذكر الأدلة التي تبين ذلك. أمّا المبحث الثاني فكان بعنوان :تطبيقات المعرف بالإضافة في القراءات القرآنية. وختمت البحث بخاتمة استعرضت فيها أهم ما توصلت إليه من النتائج في هذا البحث فالله أسأل أن يوفقني ويهديني سبيل الرشاد.

المبحث الأول

التعريف بمفردات البحث

قبل الشروع في البحث لابد من أن نُقَدِّم له بمدخل لتعريف بعض المصطلحات والمفاهيم التي لها علاقة وثيقة بالموضوع.

أولاً: تعريف العام وصيغته:

العام لغةً: مأخوذ من مادة (عمم) ، وهو بمعنى الشامل، تقول العرب: عمهم بالعطية أو بالصلاح: إذا شملهم ، وعم الشيء أي: شمل الجماعة⁽¹⁾.

اصطلاحاً: وردت تعريفات عديدة للعام عند الأصوليين منها:

- هو: ((كل لفظ ينتظم جمعاً من الأسماء لفظاً أو معنى))⁽²⁾.
 - هو: ((كل لفظ عم شيئين فصاعداً))⁽³⁾.
 - هو : اللفظ الذي يستغرق جميع ما يصلح له ، بوضع واحد دفعة واحدة من غير حصر⁽⁴⁾.
- ويُعَدُّ التعريف الأخير تعريفاً جامعاً مانعاً وذلك ؛ لأن (اللفظ) هو جنس يشمل كل ما يتلفظ به وهو يخرج العموم المعنوي والعموم المستفاد من الألفاظ المركبة، و(يستغرق) أي: يتناول لما وضع له من الأفراد دفعة واحدة وهو يخرج اللفظ المطلق، (بوضع واحد) أي : يدل على معناه بوضع واحد وهو يخرج اللفظ المشترك، واللفظ المستعمل في الحقيقة والمجاز⁽⁵⁾ ، (من غير حصر) لتخرج أسماء الأعداد كثلاثة وعشرة ومائة فإنها تستغرق لكل ما يصلح له لكن مع حصر⁽⁶⁾.

صيغ العموم:

الألفاظ الدالة على العموم كثيرة ، من أشهرها ما يأتي⁽⁷⁾:

- 1- لفظ (كل) و(جميع) و(كافة) و(عامه) وما في معناها.

كقوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: 185] ، وقوله تعالى {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً} [التوبة: 36]

2- المعرّف بـ (أل) الاستغرافية جمعاً كان أو مفرداً، مثاله قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222] ، وقوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة: 38].

3- المعرّف بالإضافة جمعاً كان أو مفرداً، كقوله تعالى: {حُزِمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ} [النساء: 23]، وقوله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا} [إبراهيم: 34].

4- الأسماء الموصولة، كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب: 58].

5- أسماء الشرط مثل (من، ما، أين، أي)، كقوله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة: 185].

6- أسماء الاستفهام (من، ما، أين، متى، أي)، كقوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد: 11].

7- النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الامتنان، كقوله تعالى: {وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} [المؤمنون: 91].

8- ضمير الجمع، كالواو في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: 110].

ثانياً: تعريف القراءات القرآنية

القراءات لغَةً: جمع قراءة، وهي مصدر الفعل قرأً يقرأ قراءةً وقرأناً بالضم، بمعنى تلا تلاوة، وقرأ الشيء قرأناً بالضم أيضاً جمعه وضمه، ومنه سُمِّيَ القرآن؛ لأنه يجمع السور ويضمُّها⁽⁸⁾.

اصطلاحاً: اختلف العلماء في مفهوم القراءات فمنهم من اقتصر في تعريفه على الكلمات المختلف في قراءتها ولم ينظر إلى المتفق على قراءتها فذكر ذلك بقوله: هي عبارة عن الاختلاف في ألفاظ الوحي في كتابة الحروف أو كفيئتها من تخفيف وتثقيل وغيرها⁽⁹⁾ ، ومنهم من أضاف عنصر آخر إلى عنصر الاختلاف وهو الإسناد فقال: ((القراءات هي: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئتها))⁽¹⁰⁾ . ثم جاء ابن الجزري -رحمه الله - فأضاف عنصراً ثالثاً إلى التعريف وهو الكلمات المتفق على قراءتها، فعرّف القراءات بقوله: هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو إلى الناقل، والقول بعزو الناقل، أي: إنَّ هذا العلم ثابت بالنقل عن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - لا مصدر له سوى النقل

والتلقين الشفاهي⁽¹¹⁾ . ثم جاء من فصل أكثر في التعريف فقال : ((هو علمٌ يُعَلَّمُ منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع))⁽¹²⁾ . فشمّل هذان التعريفان الكلمات المتفق على قراءتها من القرآن، والكلمات التي وردت على صور وكيفيات مختلفة الإسناد.

ثالثاً: تعريف المعرف بالإضافة ودلالته وأدلته

الإضافة لغة: الإمالة، يُقال : أضفت الشيء إلى الشيء، أي: أملته. وقد تطلق الإضافة ويُراد بها الإسناد، ومنه أضفت ظهري إلى الحائط، أي: أسندته. والإسناد فيه معنى الإمالة، ولكم بينهما عموم وخصوص مطلق فكل مسند ممال، وليس كل ممال مسندا. فعلى المعنى الأول وهو الإمالة فاللفظ المضاف يميل به المتكلم إلى المضاف إليه ليُعرّفه أو يخصصه؛ لأنّ فائدة الإضافة التعريف والتخصيص. أمّا على المعنى الثاني وهو الإسناد: فاللفظ المضاف يسند المتكلم إلى المضاف إليه في تعريفه أو تخصيصه⁽¹³⁾ .

الإضافة اصطلاحاً: هي نسبة تقييدية بين اثنين توجب لثانيهما الجر أبداً، أو هي: إسناد اسم لآخر منزلاً الاسم الثاني من الأول منزلة التنوين، أو ما يقوم مقامه، كون الجمع في لزومه لحالة واحدة وهي الجر أبداً، ويسمى الأول مضافاً والثاني مضافاً إليه، وقيل بالعكس، وقيل: كل منهما مضاف للآخر⁽¹⁴⁾ .

والإضافة تُعدُّ من مقتضيات العموم، من غير فرق بين كون المضاف اسم جنس كقوله تعالى: { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ } [النحل: 18] أو جمعاً نحو: عبيد زيد، أو اسم جمع، نحو: جاءني ركب المدينة⁽¹⁵⁾

والإضافة أدل على العموم من الألف واللام وهذا ما ذكره الزركشي بقوله : ((والحق أن عموم الإضافة أقوى ولهذا لو حلف لا يشرب الماء حنث بشرب القليل لعدم تناهي أفراده، ولو حلف لا يشرب ماء البحر لا يحنث إلا بكله))⁽¹⁶⁾ .

وعلى ذلك فالمعرف بالإضافة يعمّ جمعاً كان أو مفرداً، وقد نازع بعضهم في المفرد المضاف، وزعم بأنّه لا يعمّ، فيجاب عليه: بأنّه عام لجواز الاستثناء منه⁽¹⁷⁾ .

وهناك أدلة عدّة على أنّ المعرف بالإضافة يفيد العموم منها:

1- الإجماع؛ لأن العلماء لم يزالوا يستدلون على العموم بنحو قوله تعالى: { يُؤصِّبُكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ } [النساء: 11] ، ف{أَوْلَادِكُمْ} جمع مضاف فهو يشمل ويعمّ كل الأولاد ، وقوله تعالى: { فليحذر الذين

بخالفون عن أمره { [النور: 63] أي: كل أمر⁽¹⁸⁾، وشاع استدلالهم بما عليه وذاع، ولم ينكر عليهم أحد؛ فيكون إجماعاً على أن المضاف يدل على العموم حقيقة .

2- يحسن تأكيد المعرف بالإضافة بلفظ (كل) وهي تفيد العموم بالاتفاق، فالمؤكد بما يفيد أيضاً⁽¹⁹⁾.

4- يجوز الاستثناء منه، والاستثناء معيار وميزان العموم، فإنه يخرج من اللفظ ما لولاه لوجب اندراجه تحت اللفظ⁽²⁰⁾.

المبحث الثاني

تطبيقات العام في القراءات القرآنية

سأستعرض في هذا المبحث بعض التطبيقات المتعلقة بالمعرف بالإضافة في القراءات القرآنية والذي يدل على العموم وهي كالاتي:

المثال الأول:

قال تعالى: {وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ [البقرة: 236]}

موضع الشاهد: قوله تعالى: {قَدْرُهُ}، والقدرة إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له وبها يتمكن من فعل شيء ما، أما إذا وصف الله عز وجل بها فهي تنفي العجز عنه، ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى وإن أطلق عليه لفظاً⁽²¹⁾. و(قدر) نكرة ولكن بإضافته للضمير أصبح معرف بالإضافة.

اختلاف القراءات:

وردت قراءتين في قوله تعالى: {قَدْرُهُ}، فقد قرأ أبو جعفر⁽²²⁾ وحمزة⁽²³⁾ والكسائي⁽²⁴⁾ وخلف⁽²⁵⁾ وابن ذكوان⁽²⁶⁾ وحفص⁽²⁷⁾ بفتح الدال فيهما، وقرأ الباقر بسكون الدال فيهما⁽²⁸⁾.

فتكون قراءة الفتح على أساس أن المصدر التقدير ويقوي هذه القراءة قوله تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} [الرعد: 17]، أما القراءة بالإسكان فتكون اتباعاً لصيغة بناء المصادر المشتبهة: ف (القدر) مثل (الوسع) بقرينة ترادفهما⁽²⁹⁾.

ثمرة الخلاف في القراءات:

أكثر النحاة يجمعون على أنهما لغتان معناهما واحد⁽³⁰⁾، ولكن الإعراض عن ذكر الثمرة في هذا الخلاف لا ينفي وجود ثمرة أو ثمرات من تعدد القراءات، إذا سلمنا بأن هذا التعدد هو لإرادة من العليم الحكيم،

فقراءة الفتح إنما أشارت إلى معنى الوسع ، أي على الموسع قدر الطاقة وعلى المقتر قدر الطاقة. ويمكن أن تفيد القراءة بالإسكان معنى آخر وهو المنزلة، فيكون المعنى على الموسع بما يناسب قدره ومنزلته وعلى المقتر كذلك⁽³¹⁾.

ويقوي ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها في ذكر ما كانت لعبها بالعرائس، ثم قالت: ((فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو))⁽³²⁾. وهكذا فيكون المطلق قبل الجماع وقبل أن يفرض لها المهر مأمور أن يتمتع المطلقة قدر استطاعته ووسعه، وأن يبذل جهده وطاقته ثم ليعلم أن هذه المتعة إنما تُعبر عن قدره ومنزلته، فتُعدُّ مقياس أخلاقي إضافة لكونها التزاماً شرعياً⁽³³⁾.

المثال الثاني:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} [المائدة: 6]

موضع الشاهد: قوله تعالى: {وَأَرْجُلَكُمْ}

اختلاف القراءات:

ترددت القراءات في كلمة {وَأَرْجُلَكُمْ} بين فتح اللام ، وكسرها ، فقد قرأ نافع⁽³⁴⁾ ، وابن عامر⁽³⁵⁾ ، والكسائي، ويعقوب⁽³⁶⁾ ، وحفص بنص اللام، وقرأ الباقر بالخفض⁽³⁷⁾.

ثمرة الخلاف في القراءات:

قرئ بنصب لفظ أرجلكم وبخفضها، فالنصب يفيد طلب غسلها ؛ لأن العطف حينئذ يكون على لفظ وجوهكم المنصوب وهو مغسول ، أما القراءة بالخفض فهو يفيد طلب مسحها ؛ لأن العطف حينئذ يكون على لفظ (رؤوسكم) المخفوض وهو ممسوح⁽³⁸⁾. ولقد انبنى على هذا الاختلاف في القراءات ،

الاختلاف في فرض الرجلين في الوضوء ، هل الغسل أم المسح ؟؟

أما قراءة (وأرجلكم) بالخفض فللعلماء في هذه القراءة تأويلات عدّة منها:

- الأخذ بظاهرها فجعل حكم الرجلين المسح دون الغسل⁽³⁹⁾.

- إنَّ قراءة الخفض جاءت بسبب مجاورة المخفوض ، مع أنّها في الأصل منصوبة بدليل قراءة النصب، والعرب تحفض الكلمة مجاورتها للمخفوض، مع أن إعرابها النصب، أو الرفع⁽⁴⁰⁾.

-الإشارة إلى تخفيف الغسل حتى كأنه مسح، وللتنبية على عدم الإسراف في الماء؛ لأنها مظنة لصب الماء كثيراً فعظفت على الممسوح، والمراد الغسل⁽⁴¹⁾

- المسح على بعض الأحوال، وهو لبس الخف⁽⁴²⁾ والمأذون به شرعاً، والمروي عن نحو سبعين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

- في هذه الآية إجمال، وهو أنها يفهم منها الاكتفاء بمسح الرجلين في الوضوء عن الغسل كالرأس، ولكن هذا الإجمال قد تبين بالأحاديث الصحيحة الصريحة في وجوب غسل الرجلين في الوضوء والتواعد بالنار لمن يترك ذلك، قال - صلى الله عليه وسلم - : «ويل للأعقاب من النار»⁽⁴³⁾، فنزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل.

أما القراءة بالنصب: فلا إشكال فيها؛ فقد جاءت الأرجل فيها معطوفة على الوجه، وعند ذلك يكون المعنى : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا بركبوسكم. وإنما أدخل مسح الرأس بين المغسولات من باب التقديم والتأخير ، أو أن تكون جملة: { وَأَمْسَحُوا بِرُكُوسِكُمْ } معترضة بين المتعاطفين، وهذه إشارة إلى ترتيب الأعضاء الخاصة بالوضوء ؛ لأن الأصل في الترتيب الذكري هو دلالة على الترتيب الوجودي، فالأرجل يجب أن تكون مغسولة فحكمة الوضوء وهي النقاء والوضاءة والتأهب لمناجاة الله عز وجل، وهذا يقتضي المبالغة في غسل ما هو أشد تعرضاً للوسخ، ولذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم - يأمر بالمبالغة في غسلها، وقد نادى بأعلى صوته على الذي لم يحسن غسل رجليه : «ويل للأعقاب من النار»⁽⁴⁴⁾ .

ومن القراءتين يتبين، إنَّ غسل الرجلين ركن في الوضوء، عملاً بالقراءة المتواترة بفتح اللام ، ولما ورد في ذلك من النصوص القاطعة الصحيحة. والذي بيّنها رسول - صلى الله عليه وسلم -، فضلاً عن ذلك فقد جيء بالغاية في هذه الآية بقوله تعالى : { وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكُعْبَيْنِ } كما حُدِّدَت الأيدي إلى المرافق بقوله تعالى : { وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ } ، أما المسح فلم تُضرب له غاية في الشريعة ، لذلك جيء بالغاية لإمطاة ظن ظانٍ بأن يحسبها ممسوحة . أما القراءة بالخفض فتدل على المسح للابس الخفّ والله أعلم.

وكلا القراءتين تدلّ على العموم، وهي من الجمع المعرف بالإضافة.

المثال الثالث:

قال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا } [الأنفال: 72]

موضع الشاهد: قوله تعالى : { وَلَا يَتَّبِعُهُمْ } .

اختلاف القراءات : وردت قراءتان في { وَلَا يَتَّبِعُهُمْ } ، فقرأ حمزة (وَلَا يَتَّبِعُهُمْ) بكسر الواو، وقرأ الباقون { وَلَا يَتَّبِعُهُمْ }

بفتح الواو في سورة الأنفال . وقرأ حمزة والكسائي بكسر الواو (الولاية) وقرأ الباقون { الولاية } بفتح الواو في سورة الكهف⁽⁴⁵⁾ .

ثمرة الخلاف في القراءات:

الولاية بالفتح : النصر والربوبية فهي مصدر الولي، أما الولاية بالكسر فهو مصدر الولي⁽⁴⁶⁾ . فتنقروا وَلَا يَتَّبِعُهُمْ وولايتهم، فمن فتح جعلها من النصر والتسبب، والولاية التي بمنزلة الإمارة مكسورة ليفصل بين المعنيين⁽⁴⁷⁾ . والمراد من سورة الأنفال النصر والمعونة، دون الميراث؛ بدليل ما بعده من الثناء على المهاجرين والأنصار والخبر عما لهم عنده، دون من لم يهاجر⁽⁴⁸⁾ .

وكذلك المراد في سورة الكهف النصر؛ لاتساقها مع الآية التي سبقتها بقوله تعالى: { وَمَنْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا } [الكهف: 43] فإذا لم ينصر ولم ينتصر فالنصرة والربوبية لله وحده⁽⁴⁹⁾ .

والتحقيق أن الولاية والولاية معنيان صحيحان، ولغتان فصيحتان، والفتح في هذا أبين وأحسن؛ لأنه بمعنى النصر⁽⁵⁰⁾ . فالحجة لمن فتح: أنه أراد: ولاية الدين، أما حجة من كسر بأنه أراد ولاية الإمرة⁽⁵¹⁾ . وثمره الخلاف تبين بأن الله عز وجل قد حجب الولاية بعمومها سواء أكانت بالميراث أو بالمؤازرة والنصرة عن الذين ءامنوا ولم يهاجروا إلى دولة الإسلام ، فمن جزم على أن الكسر يدل على الميراث وجبه أن يقبل الفتح أيضاً دليلاً على النصر لثبوت التواتر، وهكذا فلا القول بأن الآية تفيد نفي التوارث فقط بدليل قراءة الكسر، بل لا بد من نفي النصر أيضاً بدليل القراءة بالفتح وهي من القراءات المتواترة⁽⁵²⁾ .

المثال الرابع:

قال تعالى : { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17) } إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18) } [التوبة : 17-18]

موضع الشاهد : قوله تعالى : { مَسَاجِدَ اللَّهِ } ، والمسجد هو الذي يسجد فيه، فكل موضع يتعبد فيه يسمى هو مسجد ، والجمع مساجد⁽⁵³⁾ ، وهو نكرة وقد عرّف بإضافته للفظ الجلالة.

اختلاف القراءات:

اختلف القراء في {مَسَاجِدَ اللَّهِ} من قوله تعالى: {أَنْ يَغْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ} على قراءتين ، فقرأ البصريان (أبو عمرو⁽⁵⁴⁾ ، ويعقوب) وابن كثير⁽⁵⁵⁾ (مسجد الله) على التوحيد، وقرأ الباكون {مَسَاجِدَ اللَّهِ} بالجمع. بينما حصل الإتفاق على قراءة {مَسَاجِدَ اللَّهِ} في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ} [التوبة : 18] ، على قراءة واحدة وهي الجمع؛ لأنه يريد بها جميع المساجد.⁽⁵⁶⁾

ثمرة الخلاف في القراءات:

قبل بيان الثمرة في اختلاف القراءات في المعرف بالإضافة {مَسَاجِدَ اللَّهِ} لابد من بيان معنى العمارة للمسجد ، والعمارة للمسجد تكون بمعنيين: الأول زيارته والسكون فيه ، لذلك يقال: فلان من عمار المساجد إذا كان كثير الإتيان إليها والسكون فيها ، أما المعنى الثاني فيقصد به بنائه وتحديد ما استمر منه ، فاقترضت الآية منع الكفار من دخول المساجد وكذلك من بنائها والقيام بها لانتظام اللفظ للأمرين.⁽⁵⁷⁾

فالحجة لمن أفرد فقرأ: (مسجد الله) بأنه أراد به: المسجد الحرام. واستدل على ذلك بقوله تعالى: {إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام} [التوبة : 28] . أو يُراد به الجنس وعند ذلك يدخل تحته المسجد الحرام، إذ هو صدر ذلك الجنس مقدمته⁽⁵⁸⁾.

والحجة لمن جمع فقرأ: {مَسَاجِدَ اللَّهِ} بأنه أراد المسجد الحرام وغيره ، واستدلوا على ذلك بإجماع الجميع على قوله تعالى: {إِنَّمَا يَغْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ} [التوبة : 18] على الجمع ؛ لأنَّ المراد جميع المساجد، ويدخل المسجد الحرام من باب أولى ، فردَّ ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه ، وأيضاً إذا قرئ على الجمع دخل المسجد الحرام فيه وغير المسجد الحرام⁽⁵⁹⁾، فاحتجوا بأن الخاص يدخل في العام، والعام لا يدخل في الخاص⁽⁶⁰⁾. وقراءة الجمع تحتل أيضاً أن يراد به المسجد الحرام، وأطلق عليه الجمع إما باعتبار أن كل مكان منه مسجد، وإما لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها، فكان عامره عامر المساجد⁽⁶¹⁾. فقراءة الجمع تحتل معنى الواحد والجمع؛ لأن العرب قد تذهب بالواحد إلى الجمع، وبالجمع إلى الواحد⁽⁶²⁾.

من ذلك يتضح إن قراءة الجمع المضاف يفيد نفي إعمار المشركين لأي مسجد من المساجد ، أما القراءة بالإفراد فقد أفادت تعيين المسجد الحرام بالذكر وذلك تأكيداً لشأنه في ذلك ، وهي من باب ذكر بعض أفراد العموم فهي لا تفيد التخصيص ولكن تفيد التأكيد والاهتمام بهذا الفرد⁽⁶³⁾.

وكلا القراءتين تدل على العموم فالقراءة الأولى مفرد مضاف وهو يدل على العموم ، والثانية جمع مضاف وهو يدل على العموم ايضاً.

المثال الخامس:

قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المؤمنون: 8]

موضع الشاهد: قوله تعالى: { لِأَمَانَاتِهِمْ }، والأمانة مصدرٌ في الأصل، ويُطلق على الشيء المؤتمن عليه⁽⁶⁴⁾ والأمانة أعم من العهد، فكل عهد هو أمانة من قول أو فعل أو معتقد⁽⁶⁵⁾.

اختلاف القراءات: قرأ ابن كثير (لأماناتهم) على التوحيد، وقرأ الباقون { لِأَمَانَاتِهِمْ } على الجمع⁽⁶⁶⁾.
ثمرة الخلاف في القراءات: الأمانات جمع الأمانة وهي متنوعة في الأموال والأسرار، وما بين العبد وربّه، فيما يخص ما أمره به أو نهاه عنه⁽⁶⁷⁾. والمصدر إذا اختلفت اجناسه، وأنواعه جمع، والأمانات التي تلزم الناس مراعاتها كثيرة، لذلك جمع المصدر لكثرتها⁽⁶⁸⁾، فقراءة الجمع يتوافق مع الجمع المجمع عليه في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا } [النساء: 58] وقوله تعالى: { وَتَحُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الأنفال: 27]،

وحجة من أفرد هو قوله تعالى: { وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } فلم يقل: (وعهدهم)، أو أنه مصدر ويفهم منه التعدد أو يراد معنى الجنس فيقع على الكثرة وإن كان مفرداً في لفظه ومن هذا قوله تعالى: { كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ } [الأنعام: 118] فأفرد⁽⁶⁹⁾.

والظاهر عموم الأمانات فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العبد من قول وفعل واعتقاد، فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الأفعال والتروك وما ائتمن الإنسان قبل، ويحتمل الخصوص في أمانات الناس⁽⁷⁰⁾.
وكلا القراءتين تدل على العموم فالقراءة الأولى مفرد مضاف وهو يدل على العموم، والثانية جمع مضاف وهو يدل على العموم أيضاً.

المثال السادس:

قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المؤمنون: 9]

موضع الشاهد: قوله تعالى: { صَلَوَاتِهِمْ }

اختلاف القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف (صَلَاتِهِمْ) على التوحيد بغير واو بعد اللام، وقرأ الباقون { صَلَوَاتِهِمْ } على الجمع⁽⁷¹⁾.

ثمرة الخلاف في القراءات:

لقد ورد في هذه الآية مدح الله تعالى المؤمنين لمخافتهم على الصلاة، فحجه من قرأ (صَلَاتِهِمْ) على الافراد : أن الصلاة في الأصل مصدر كالعَمَل والأمانة.

أما حجة من قرأ بالجمع : أنه قد صار بمنزلة الاسم لاختلاف أنواعها، فلذلك جمع في نحو قوله: { حافظوا على الصلوات } [البقرة: 238] وكان الجمع فيه أقوى ؛ لأنه قد صار اسماً شرعياً لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة أن ينضم إليها⁽⁷²⁾.

من ذلك يتبين بأنه لا تعارض بين القراءتين ، بل إن كل قراءة منهما تفيد معنى غير الذي تفيد القراءة الأخرى، وكلاهما يجتمعان لإبراز المعنى. فقراءة الأفراد هو بالنظر إلى الجنس فتصف المؤمنين بالإلتقان والخشوع في جنس الصلاة سواء أكانت فرضاً أم نفلًا.

أما قراءة الجمع، فقد بينت أنهم يحافظون على جميع الصلوات، فهو يفيد المحافظة على أعداد الصلوات وأفرادها وأنواعها؛ أي: للإرادة الفرائض الخمس، أو الفرائض والنوافل معاً⁽⁷³⁾.

قال ابن عاشور: ((وجيء بالصلوات بصيغة الجمع للإشارة إلى المحافظة على أعدادها كلها تنصيهاً على العموم))⁽⁷⁴⁾.

وكلا القراءتين تدل على العموم فالقراءة الأولى مفرد مضاف وهو يدل على العموم ، والثانية جمع مضاف وهو يدل على العموم ايضاً.

المثال السابع:

قال تعالى: { أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيحَتِكُمْ } [الطلاق: 6]

موضع الشاهد: قوله تعالى: { وُجْدِكُمْ } .

اختلاف القراءات: قرأ روح⁽⁷⁵⁾ بكسر الواو (وُجْدِكُمْ) ، وقرأ الباقون بضم الواو { وُجْدِكُمْ }⁽⁷⁶⁾

ثمرة الخلاف في القراءات:

الكسر، والضم لغتان بمعنى «الوسع» والوجد بالفتح، يستعمل في الحزن والحب والغضب ، ويقال: وجدت على الرجل وجداً، ووجدت في المال، أما الوجد بالضم فهو الغنى والقدرة، يقال: افتقر الرجل بعد وُجد⁽⁷⁷⁾ فالمراد من { وُجْدِكُمْ } ، أي : تمكّنكم وقدر غناكم⁽⁷⁸⁾.

والمقصود اسكنوا نسائكم المطلقات من سعتكم التي تجدون؛ حتى يقضين عددهن⁽⁷⁹⁾. ولربما كان الإنسان في ماضي الزمان السكن هو من الأمور التي ما لا يقدر عليه الآن قال مبيناً للمسكن المأمور به مبقياً للمواددة بعدم التكليف بما يشق، فيكون بقدر سعته وطاقته سواء أكانت بإجارة أو ملك أو إعارة حتى تنقضي العدة بحمل كانت أو غيره⁽⁸⁰⁾.

وبالجمع بين القراءتين يتضح الترغيب في إيصال الحق للزوجة بحسب ما يتمكن من اليسار والسعة المتاحة لديه على قراءة الكسر، أو بحسب الموجود في نطاق الزوج من غنى وقدرة على قراءة الجمهور بالضم.

الخاتمة

الحمد لله الذي منّ عليّ بإتمام هذا البحث والصلاة والسلام على أفضل الخلق محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين، فكان من توفيق الله تعالى التوصل إلى بعض النتائج منها:

- 1- علم القراءات القرآنية علمٌ جليل اختصت به هذه الأمة دون غيرها، والوحي هو مصدر القراءات القرآنية المتواترة على اختلاف وجوهها، وليس للأئمة القراء اجتهاد فيها أو ترجيح لمتواتر على متواتر.
- 2- إنّ تعدد القراءات عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حفظ لنا كثيراً من اللهجات العربية التي أوشكت أن تندثر في ذلك الحين.
- 3- إنّ للقرآن الكريم كان وما يزال الفضل الكبير على اللغة العربية، وتعدّ القراءات القرآنية أصل لتقعيد قواعد اللغة العربية، فاللغة تابعة لها وليس العكس، وهي وسيلة ناجعة لتقويم اللسان العربي، كما أنّها أفادت في إثراء اللغة. وإنّ سبب تفاوت العلماء في بيان الأحكام الشرعية يرجع إلى تفاوتهم في الإحاطة بعلوم اللغة العربية وأسرارها، فهي من اللغات التي تعتمد على الإعراب في تحديد المعنى.
- 4- الاختلاف في القراءات حق لا تضاد فيه ولا تدافع بين معاني الآيات، فهي بمنزلة الآية مع الآية، يجب قبولها والإيمان بها والعمل بمقتضاها. ولهذا الاختلاف فوائد عديدة منها: بيان حكم من الأحكام، أو الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين، أو دفع توهم ما ليس مراداً، أو بيان لفظ مبهم على البعض وغيرها من الفوائد.

- 5- دفع التوهم الشائع بأن علم القراءات هو علم مغلق، لا يطلع عليه إلا أصحاب الاختصاص.
- 6- العام من أهم أبواب أصول الفقه التي لا بد لطالب العلم من استيعابه وفهمه جيداً.
- 7- أن للعموم ألفاظاً وصيغاً وضعت له حقيقة، والمعرف بالإضافة أحد هذه الصيغ.
- 8- المعرفة بالإضافة يعمّ جمعاً كان أو مفرداً، لجواز الاستثناء منه.

- 9- وجود ترابط بين العلوم المختلفة: كعلم القراءات وأصول الفقه والفقه والنحو والتفسير وغيرها من العلوم.
- 10- كثرت التصانيف حول القرآن الكريم عند علمائنا ، ولكل عصر أسلوبه وتطلعاته، وعصرنا الحالي يتطلب سهولة الأسلوب ، والإيجاز ، وكثرة التطبيقات ، والدراسات المعاصرة المتعلقة بالقرآن الكريم فهي مفيدة جدا إذا تميزت بهذه الخصائص.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

- 1- لسان العرب (12/ 423) مادة (عمم)؛ القاموس المحيط (ص: 1141) باب الميم فصل العين؛ مختار الصحاح (ص: 467) مادة (ع م م).
- 2- أصول السرخسي: 1/125.
- 3- اللمع في اصول الفقه : ص26.
- 4- ينظر: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول (ص: 180)؛ الإيجاز في شرح المنهاج (2/ 82).
- 5- ينظر: التزوك النبوية «تأصيلا وتطبيقا» لمحمد صلاح محمد الإتربي (1/ 472-473).
- 6- ينظر: المحصول للرازي (2/ 311)؛ البحر المحيط في أصول الفقه (2/ 179).
- 7- ينظر: المستصفي للغزالي (2/ 110)؛ المحصول لابن العربي: ص74؛ روضة الناظر لابن قدامة: 2/ 10 وما بعدها؛ البحر المحيط في أصول الفقه (2/ 228)؛ تيسير التحرير لأمير بادشاه: 1/197؛ إرشاد الفحول للشوكاني: 1/291؛ الوجيز لعبد الكريم زيدان ص 305-308.
- 8- مختار الصحاح للرازي ، ص249 مادة (قرأ).
- 9- ينظر: البرهان في علوم القرآن (1/ 318)
- 10- شرح طيبة النشر للنويري (1/ 3)
- 11- ينظر : منجد المقرئين ومرشد لابن الجزري، ص9.
- 12- إتخاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبناء الدمياطي (ص: 6)؛ وينظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً لعبد الرازق بن حمودة القادوسي (ص: 9).
- 13- الصحاح تاج اللغة للجوهري (4/ 1392)؛ مختار الصحاح للرازي (ص: 186)؛ وشرح مختصر الروضة للطوفي (1/ 115-116) .
- 14- ينظر: حاشية الحضري على ابن عقيل 2/25.؛ النحو الوافي لعباس حسن (3/ 2).
- 15- ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (1/ 304).
- 16- البحر المحيط في أصول الفقه ط العلمية للزركشي (2/ 269).

- 17- ينظر: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول للإسنوي (ص: 165).
- 18- ينظر: معراج المنهاج لشمس الدين محمد الجزري 353/1-354؛ الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: 330)؛ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع (2/9).
- 19- ينظر: المعتمد لأبي الحسين البصري 227/1 .
- 20- ينظر: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول للإسنوي (ص: 167)؛ حاشية العطار (1/453) .
- 21- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم (3/257).
- 22- هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر، تابعي مشهور كبير القدر، الزاهد العابد أحد العشرة، قارئ المدينة، تصدى لإقراء القرآن، وكان من أفضل أهل زمانه، روي بعد موته على ظهر الكعبة وهو يخبر أنه من الشهداء الكرام، وكان يقرأ في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وبعد وفاته نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شك أحد ممن حضره أنه نور القرآن، ولم يزل إمام الناس في القراءة إلى أن توفي سنة ثلاثين ومائة بالمدينة. ينظر: وفيات الأعيان: 274/6، ومعرفة القراء الكبار: 72/1، وغاية النهاية: 382/2.
- 23- هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام القدوة، شيخ القراءة، أبو عمارة التيمي مولاهم الكوفي الرّيات. أصله فارسي. ولد سنة ثمانين، كان إماماً حجة، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعريية، توفي سنة ست وخمسين ومائة. ينظر: سير أعلام النبلاء 90/7-92.
- 24- هو علي بن حمزة الكسائي، أبو الحسن الأسدي مولاهم الكوفي، المقرئ، النحوي، أحد الأعلام، شيخ القراءة والعريية، ولد في حدود سنة عشرين ومئة، أخذ العريية عن الخليل بن أحمد، اجتمعت في الكسائي أمور، كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن. توفي الكسائي سنة سبع وثمانين ومائة. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص: 72-74
- 25- هو خلف بن هشام بن ثعلب -، الإمام الحافظ الحجة، شيخ الإسلام، المقرئ، أبو محمد البغدادي، البزار، أحد الأعلام، ولد سنة خمسين ومئة، وتوفي سنة تسع وعشرين ومئتين. ينظر: سير أعلام النبلاء، 10/576-580.
- 26- هو عبد الله بن أحمد ابن بشير بن ذكوان أبو عمرو، وأبو محمد البهراني مولاهم الدمشقي الإمام الأستاذ الشهير، الراوي الثقة، شيخ الإقراء بالشام وإمام ومقرئ جامع دمشق، ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة، توفي يوم الاثنين ليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وأربعين ومئتين
- 27- هو حفص بن سليمان أبو عمر الدوري، مولاهم الغاضري الكوفي الإمام، صاحب عاصم وابن زوجة عاصم، كان مولده سنة تسعين، ووفاته سنة ثمانين ومائة، قال الإمام الداني: (قرأ عليه عرضاً وسماعاً عمرو بن الصباح) وكانت القراءة التي أخذها عاصم ترتفع إلى الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). ينظر: معرفة القراء الكبار، ص84. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: 749هـ)، (المجمع الثقافي، أبوظبي، 1423هـ) 5/232. ينظر: الوافي بالوفيات، 62/13؛ تراجم القراء العشر وروايتهم المشهورين، طه فارس، (مؤسسة الريان: ناشرون) ص98-103.

- 28- ينظر: النشر في القراءات العشر (2/ 228)
- 29- ينظر: لسان العرب ، مادة (قدر) 5/ 76؛ حجة القراءات : ص 137
- 30- كالفراء كما روى عنه أبو زرعة في الحجة ص 137 ؛ والكسائي كما رواه عنه ابن منظور في اللسان 5/ 76 ، مادة (قدر)؛ وأبي زيد كما رواه عنه القرطبي في الجامع 3/ 203.
- 31- ينظر: البحر المحيط في التفسير (2/ 533)؛ القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني لمحمد الحبش(ص: 288)
- 32- رواه البخاري في الصحيح (5/ 1991) ، كتاب النكاح، باب 82 (باب حسن المعاشرة مع الأهل) ، رقم (4894) .
- 33- ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني لمحمد الحبش(ص: 288)
- 34- هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم، المقرئ المدني، الإمام، حبر القرآن، أصله من أصبهان، وُلِدَ سنة بضع وسبعين، وجوّد كتاب الله على عدّة من التابعين، قال: قرأتُ على سبعين من التابعين. قال مالك : نافع إمام النَّاسِ في القراءة. ورُوِيَ أنَّ نافعًا كان إذا تكلمَ توجد من فيه ريح مسكٍ؛ فسُئِلَ عنه؛ فقال: رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في النَّوْمِ تُفَلُّ في يَدَيْهِ. توفي سنة تسع وستين ومئة. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ - 1997م، ص 64-66.
- 35- هو عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي ابن تميم، الإمام الكبير، مقرئ الشام، وأحد الأعلام، أبو عمران اليحصبي، الدمشقي، ولد سنة إحدى وعشرين. كان ابن عامر قاضي الجند، وكان على بناء مسجد دمشق، وكان رئيس المسجد، لا يرى فيه بدعة إلا غيرها، وكان قليل الحديث ، مات يوم عاشوراء، سنة ثمان عشرة ومائة. ينظر: سير أعلام النبلاء ، 5/ 292.
- 36- هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق مولى الحضرميين، قارئ أهل البصرة في عصره، الإمام في القراءات، والعربية، ولغة العرب، والفقهاء، وكان من أعلم أهل زمانه بمذاهب النحاة في القرآن الكريم ووجوه الاختلاف فيه، فاضلا تقيا نقيًا ورعا زاهدا، بلغ من زهده أنه سُرِقَ رداؤه عن كتفه في الصلاة ولم يشعر وَرَدَ إليه ولم يشعر لشغله بالصلاة، توفي في ذي الحجة سنة خمس ومئتين. ينظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : 2842/6 ، وفيات الأعيان : 390/6 ، ومعرفة القراء الكبار : 157/1
- 37- ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (2/ 254).
- 38- ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (1/ 148)
- 39- ينظر: التحرير والتنوير (6/ 131)
- 40- ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (1/ 430)؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (1/ 330)
- 41- ينظر: روح المعاني للآلوسي (6/ 76)؛ تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1/ 430)؛ إنحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي (ص: 251)

- 42- ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي (ص: 251)؛ النشر في القراءات العشر (1/ 29)
- 43- رواه البخاري في صحيحه (1/ 33) كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين رقم (161) ، ومسلم في صحيحه (1/ 213) كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما رقم(240). وينظر: التحرير والتنوير (6/130-131)
- 44- سبق تخرجه ؛ وينظر: التحرير والتنوير (6/ 130)
- 45- ينظر: النشر في القراءات العشر (2/ 277).
- 46- ينظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم ص366.
- 47- لسان العرب لابن منظور 15/ 407، مادة (ولي).
- 48- ينظر: جامع البيان للطبري (14/ 88).
- 49- ينظر: القيمة الدلالية لقراءة عاصم برواية حفص ص117-118.
- 50- ينظر: إعراب القرآن للنحاس (2/ 199).
- 51- ينظر: الحججة في القراءات السبع لابن خالويه (ص: 173)
- 52- ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني (ص: 273)
- 53- لسان العرب (3/ 204)
- 54- أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن العريان التميمي، ثم المازني، البصري، شيخ القراء والعريفة، ومقرئ أهل البصرة، ولد في نحو سنة سبعين. برز في الحروف، وفي النحو، واشتهر بالفصاحة، والصدق، وسعة العلم. مات أبو عمرو سنة سبع وخمسين ومائة. ينظر: سير أعلام النبلاء 6/407-410.
- 55- هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز، ولد ابن كثير بمكة، سنة 48، الإمام، العلم، مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة، وكان رجلاً مهيباً، تعلوه سكينه ووقار، وكان فصيحاً، مفوهاً، واعظاً، كبير الشأن، مات سنة عشرين ومائة. ينظر: سير أعلام النبلاء، 5/ 318-319.
- 56- ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (2/ 278)
- 57- ينظر: أحكام القرآن للجصاص (4/ 278)
- 58- ينظر: البحر المحيط في التفسير لابي حيان الأندلسي (5/ 385)
- 59- ينظر: الحججة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي (4/ 179)؛ حجة القراءات، ابن زنجلة (ص: 316)
- 60- ينظر: الحججة في القراءات السبع (ص: 174)
- 61- ينظر: البحر المحيط في التفسير (5/ 385)
- 62- ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (14/ 166)؛ معاني القرآن للفراء (1/ 426)
- 63- ينظر: القراءات وأثرها في التفسير للأحكام، محمد بازمول، 2/689-690
- 64- ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (8/ 319)
- 65- ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (12/ 107)

- 66- ينظر: النشر في القراءات العشر (2/ 328)
- 67- ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (5/ 486)
- 68- ينظر: القراءات وأثرها في علوم العربية (1/ 292)
- 69- ينظر: حجة القراءات (ص: 483)؛ شرح طيبة النشر للنويري (2/ 467).
- 70- ينظر: البحر المحيط في التفسير (7/ 549).
- 71- ينظر: النشر في القراءات العشر (2/ 328).
- 72- ينظر: الحجة للقراء السبعة (5/ 288).
- 73- ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - العلمية (5/ 184-185) التحرير والتنوير (18/ 18).
- 74- التحرير والتنوير لابن عاشور، (18/ 18).
- 75- هو روح بن عبد المؤمن بن عبدة بن مسلم أبو الحسن البصري المقرئ صاحب يعقوب الحضرمي، كان متقنا مجودا، ومقرئ جليل، ثقة ضابط مشهور، عرض على يعقوب الحضرمي وهو من جلة أصحابه، مات سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين. ينظر: معرفة القراء الكبار: (1/ 214)؛ وغاية النهاية: (1/ 285).
- 76- ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (2/ 388).
- 77- ينظر: البحر المحيط في التفسير (10/ 201)
- 78- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم (4/ 25)
- 79- ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاکر (23/ 456)
- 80- ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - العلمية (8/ 33)

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- 1- الإجماع في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي) (ت 685هـ)، علي بن عبد الكافي السبكي (ت 756هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (1416هـ - 1995م)، دط.
- 2- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبناء الديمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الديمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء (ت 1117هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، ط3، 2006م - 1427هـ.
- 3- أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً، عبد الرزاق بن حمودة القادوسي، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور رجب عبد الجواد إبراهيم- قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة حلوان، 1431هـ - 2010م.
- 4- أحكام القرآن للجصاص، أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار احياء التراث العربي - بيروت، 1405هـ، دط.
- 5- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي: بيروت، 1993م، 4/ 1603.

- 6- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق، دار الكتاب العربي - سوريا، 1419هـ - 1999م، ط1.
- 7- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت 970هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ - 1999م.
- 8- أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت 483هـ)، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1414هـ - 1993م.
- 9- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار الفكر للطباعة، بيروت - لبنان، 1415هـ - 1995م، دط.
- 10- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت 338)، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب - بيروت، دط، 1409هـ - 1988م.
- 11- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.
- 12- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420هـ.
- 13- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ.
- 14- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 376هـ - 957م.
- 15- تراجم القراء العشر وروايتهم المشهورين، طه فارس، مؤسسة الريان ناشرون)، دت، دط.
- 16- التروك النبوية «تأصيلا وتطبيقا» محمد صلاح محمد الإترني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، 1433هـ - 2012م، ط1.
- 17- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
- 18- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.
- 19- تيسير التحرير، محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (ت 972هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، (1403هـ - 1983م)، دط.
- 20- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 1423هـ - 2003م.

- 21- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف النعالي (المتوفى: 875هـ) ، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1 ، 1418 هـ.
- 22- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت 1250هـ)، دار الكتب العلمية، دط، دت.
- 23- حاشية الحضري على ابن عقيل
- 24- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت 403هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني ، دار الرسالة، دط، دت.
- 25- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت 370هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق - بيروت، ط4، 1401 هـ.
- 26- الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (ت 377هـ) تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاوي، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط2، 1413 هـ - 1993م.
- 27- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلبي (ت 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم، دمشق، دط، دت.
- 28- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - جامعة دمشق ، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط3، 1407 - 1987.
- 29- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو المعالي محمود شكري الألوسي (ت 1342هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، دط.
- 30- روضة الناظر وحنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت 620هـ)، مؤسسة الريان ، ط2، 1423هـ-2002م.
- 31- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قأبماز الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3 ، 1405 هـ - 1985 م.
- 32- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين التُّوَيُّري (ت 857هـ)، وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1424، هـ - 2003 م.
- 33- سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت 716هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1407 هـ - 1987 م.
- 34- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت ، ط4، 1407 هـ - 1987 م.

- 35- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت833هـ) مكتبة ابن تيمية، ط1، 1351هـ.
- 36- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت:817هـ)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م، ط8.
- 37- القراءات المتواترة وأثرها في اللغة العربية والأحكام الشرعية والرسم القرآني، محمد الحبش، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي السودان، أم درمان.
- 38- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر بن سالم بازمول، المملكة العربية السعودية، دار الهجرة، اطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة والخطابة، 1412هـ-1413م.
- 39- القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت1422هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط1، 1404هـ - 1984م.
- 40- القيمة الدلالية لقراءة عاصم برواية حفص، محمد إسماعيل محمد المشهداني، ديوان الوقف السني-العراق، ط1، 1430هـ-2009م.
- 41- لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.
- 42- اللمع في أصول الفقه، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت476هـ)، دار الكتب العلمية، 2003م - 1424هـ، ط2.
- 43- المحصول في أصول الفقه، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (ت543هـ)، تحقيق: حسين علي اليدري - سعيد فودة، دار البيارق - عمان ط1، 1420هـ - 1999.
- 44- المحصول، محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت606هـ)، تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، (1418هـ-1997م)، ط3.
- 45- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (666)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.
- 46- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب-بيروت، 1419هـ - 1998م، ط1.
- 47- المستصفي، محمد بن محمد الغزالي (ت505هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (113هـ-1993م)، ط1.
- 48- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- 49- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط 1، دت.
- 50- المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البصري المعتزلي (ت 436هـ)، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية - بيروت، 1403هـ، ط 1.
- 51- معراج المنهاج لشمس الدين محمد الجزري (ت 711)، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، مطبعة الحسين - القاهرة، 1413هـ - 1993، ط 1.
- 52- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417هـ - 1997م، ص 64-66.
- 53- مفردات ألفاظ القرآن الكريم
- 54- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 3، دت.
- 55- منجد المقرئين ومرشد الطالبين شمس الدين أبو الخير ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ) دار الكتب العلمية، ط 1، 1420هـ - 1999م .
- 56- الموضح في وجوه القراءات وعللها، أبو عبد الله نصر بن علي الشيرازي (ت 565هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الكتب العلمية - لبنان، ط 1، 2009م.
- 57- النحو الوافي، عباس حسن (ت 1398هـ)، دار المعارف، ط 15، دت.
- 58- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، د. ط، د. ت.
- 59- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ - 1995م.
- 60- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، عبد الرحيم بن الحسن بن علي السنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (ت 772هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط 1، 1420هـ - 1999م.
- 61- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ)، تحقيق: حمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث- بيروت، 2000م.
- 62- الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1427هـ - 2006م، ط 15.
- 63- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، دت، د. ط.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

جمالية الإيقاع الصوتي الفني في القرآن الكريم- سورة الرحمن أمودجا-

1- طالب دكتوراه خالد

جامعة أبي بكر بلقايد، مخبر الفنون والدراسات الثقافية، تلمسان، الجزائر

khaled.khaldi66@yahoo.com

2- د. بلبشير عبد الرزاق

جامعة أبي بكر بلقايد، مخبر الفنون والدراسات الثقافية، تلمسان، الجزائر.

belb65@hotmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/09 م تاريخ التحكيم: 2020/10/17 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

إنّ الإيقاع الصوتي أساس في التناسق الفني للقرآن الكريم، وهو آية من آيات الإعجاز المتجلّي في أسلوبه المتميّز، فالقرآن فيه إيقاعا موسيقيا يقوم ويؤدي وظائف جمالية رفيعة، كما أنّ له نظاما صوتيا وجمالا لغويا منتظما، حيث يظهر هذا الجمال في انتظام الحروف وترتيب الكلمات وعرض المشاهد المتنوّعة لم يسبق للغة أخرى من قبل، وهو أوّل ما التقطته الأسماع العربية في تجارب مختلفة، كما لو أنّها حيّة نراها رأيا العين المجرّدة. فعند قراءتنا للقرآن الكريم أو سماعنا له بتدبّر وتمعّن، ندرك أنّه يمتاز بأسلوب إيقاعيّ ساحر يستولي على القلوب والمشاعر، وما يزيد ذلك من تمام المعنى هو الإعجاز الذي يستعمل الفواصل التي أغنى الله بها العرب، وقد تحدّث أغلب العلماء ممّن كتبوا عن أهميّة الفاصلة، وما لها من دور في إبراز الإعجاز البياني. الكلمات المفتاحية: الإيقاع الصوتي؛ التناسق الفني؛ الجمالية؛ الفاصلة؛ الإعجاز القرآني.

**The aesthetics of audio rhythm artistic phonemic in the Holy Qur'an
- Surat Al-Rahman as an example**

1-PhD student Khaldi khaled

**The Laboratory of Arts and Cultural Studies Abi Bakr Bilkaid Tlemcen
Algeria**

khaled.khaldi66@yahoo.com

2-DR. Belbachir abdelraza

**The Laboratory of Arts and Cultural Studies Abi Bakr Bilkaid Tlemcen
Algeria**

belb65@hotmail.com

Abstract : The phonemic rhythm is the basis for the artistic consistency of the Holy Qur'an, and it is one of the miraculous verses that are evident in its distinctive style. The varied language has never before been in another language, and it is the first thing that Arab hearing heard in various experiences, as if it were alive and we see it in the opinion of the naked eye.

When we carefully read the Holy Qur'an, we realize that it is characterized by a charming rhythmic style that captures hearts and feelings, and what makes this more complete is the miracle that uses the separations that God has enriched the Arabs with. Highlight the graphic miracle.

Keywords: The audio rhythm; Technical consistency; Aesthetics; interval; Quranc miracles..

المقدمة:

إنّ القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أعجز العرب فصحاء اللسان، وأنّ اللغة وحدة مكوّنة من الأصوات المنتقاة، القائمة على التفاعل فيما بينها، فهي على غرار الظواهر الكونية قائمة على الإيقاع والحركة، والإيقاع ظاهرة صوتية قائمة على التنظيم المتوازي بمفهومه الواسع، فقد توقف عنده علماء اللغة قدماء ومعاصرون، أين كانت بدايته مع الدرس التقدي في تحقيق الوزن الشعري، في حين أصبح في الدرس الصوتي الحديث أحد أهم الركائز التي يقوم عليها أيّ نصّ إبداعيّ لإبراز مظاهره الجمالية ومقوماته البيانية بأسلوب يخاطب القلب قبل العقل.

يتراوح التأثير الذي يتركه الإيقاع الصوتي على نفس الإنسان ما بين الاستمتاع حتى النشوة ببعضها مثل الموسيقى، واستلطاف بعضها مثل خريبر الماء في الجدول، والإحساس بالضغط مثل صوت الآلات الترتيب في المصانع، والذعر لصوت قوي مفاجئ مثل دوي انفجار أو صوت ارتطام شيء بآخر، لذلك نجد أن اللغة العربية قد أبدعت في وصف الصوت ونبرته، مثل وصفها لصوت الخائف أو المرتبك بالمتهدج أو الخفيض أو الخافت أو الهامس كناية عن خجله أو أدبه الجم أو ربما عدم ثقته بنفسه. وتصف نوعاً من الأصوات بالرخيم أو الغليظ أو المبحوح أو الخشن، وهذه اللغة القرآنية الساحرة التي أذهلت الناس عن أنفسهم، واقتشرت لها أبدانهم، فخرّوا لها خاشعين.

موضوع البحث: مادام أنّ القرآن الكريم كلام بليغ بلا منازع، وبحر شاسع بلا قرار، يستنتج منه عالم الدّين الأحكام الشرعية، ويبني منه قواعد النحو والتراكيب والصّيغ، فلا أحد ينكر أنّ بالقرآن جوانب جمالية تعددت بين الصّيغة اللفظية التي ينهر بها السّامع والصّيغة الموسيقية التي يبدع فيها القارئ، وقد يتأثر باكياً. **أهمية البحث:** تكمن أهمية البحث في فتح آفاق بمعالجة علمية للإيقاع الصوتي في القرآن الكريم كونه كلام الله المعجز للخلق في ألفاظه وأصواته وأساليبه ومعانيه وتراكيبه وسياقاته، كونه يتّسم بخصائص إيقاعية صوتية ميّزته عن غيره من الخطابات البشرية.

سبب اختيار الموضوع: أما سبب اختيار الموضوع منها ماهو ذاتي والآخر موضوعي: فأما الدّاتي ما أتأثر به خلال ممارستي لقراءة القرآن أو الاستماع له، وما له من علاقة بين ما أكتبه بالخطّ العربي، وأما الموضوعي فهو معرفة الإيقاع وعلاقته بالدلالة الصوتية في سورة الرحمن.

أهداف البحث: يهدف إلى ما يلي:

- إبراز أهم الجوانب الجمالية في الإيقاع الصوتي.
- التأكيد على أنّ الصوت القرآني يجذب النفوس ويشوّق الروح ويأسر الألباب.
- محاولة التّوصل إلى وجود تناسب بين الجانبين (الصوتي، الروحي).
- تأكيد جمالية الفاصلة من الناحيتين (الصوتية والدلالية).

منهج البحث: ويتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي وذلك قصد فهم مظاهر الإيقاع الصوتي وإدراك مقوّماته الفنّية وأساراه الجمالية، انطلاقاً من تحليل أهم المظاهر في سورة الرحمن.

ومن بين هذه الجوانب، جانب الإيقاع الصّوتي، والذي يتغلغل في نفس البشر محدثا شعورا جبليا وإحساسا قياض بالمتعة لم يجد لها علماء النفس تفسيراً، ومن هنا راودتني إشكالية عميقة المعنى والوزن.

ومن بين هذه الجوانب، جانب الإيقاع الصّوتي، والذي يتغلغل في نفس البشر محدثا شعورا جبليا وإحساسا قياض بالمتعة لم يجد لها علماء النفس تفسيراً، ومن هنا راودتني إشكالية عميقة المعنى والوزن.

الإشكالية: - أين يكمن سرّ جمال الإيقاع الصّوتي القرآني الذي يتغلغل في النفوس محدثا انشراحا

وإحساسا بديعا؟

ومن خلال هذه الإشكالية أجبرتنا على طرح بعض المشكلات التالية:

- أين تكمن الخصوصيات الروحانية الجمالية في الإيقاع الصّوتي؟
- هل يمكن الحديث عن علاقة بين الصّوت والرّوح تعكس الطمأنينة والراحة في قلب المستمع المتلقي لهذا الإيقاع الرّباني؟

- وهل يعدّ الإيقاع الصّوتي مظهرا من مظاهر الإعجاز القرآني؟

مما يجبرنا مع فرضيات التالية: ربّما قد يكون قارئ القرآن طيعا لهذه الآيات بملكة روحانية، وربّما يكون التّرابط بين الصّوت والروح علاقة مع الحركة النفسية والوجدانية للمستمع، كما أنّ الإيقاع الصّوتي يتطوّر بالتمرّن ويذهب بالترك، ولهذا اخترنا "سورة الرّحمن" كأنموذجا للدراسة نظرا لشموليتها على الجوانب الروحانية واللفظية في بعض فواصلها معتمدين على المنهج التحليلي الوصفي الذي سيمكّننا خلال هذه الدراسة.

أولا: الصوت الطبيعي: ينتج عن حركة الطبيعة سكنات وثورات وأصوات مختلفة حسب تلك الحركات الصادرة عن الطبيعة، وقد كان الإنسان العربي الأول الأصوات، فيقلدها ويحاكيها، فاصطبغت تلك الأصوات تفاعلاته وأحاسيسه، فمنح منها أصواتا يمكن الاهتداء إلى مدلولاتها من خلال مخارجها المتسمة بالفخامة والترقيق والقّة والضعف والهمس والجهر، وقد تمتاز هذه الأصوات بأصواته فيتولد عن تمازجها ذرة صوتية تحتل مدلولاتها من تلك الأصوات، كما أنّ اللغة قد نشأت في بداياتها الأولى نتيجة حاجة الإنسان إلى التعبير عما يحتاج أحاسيس ومشاعر، ولذلك كان التعبير عنها في المراحل الأولى عبارة عن أصوات بدائية، ثم ارتقى عبر الزمن إلى مفردات تلي التعبير عن الحاجات التواصلية للإنسان، وتقرّر هذه النّظرية أن الفضل في نشأة اللّغة يرجع إلى غريزة خاصّة زوّد بها في الأصل جميع أفراد النّوع الإنساني،¹ وأن هذه الغريزة

كانت تحمل كل فرد على التعبير بكلمة خاصة به، كما أنّ غريزة التعبير الطبيعي عن الانفعالات تحمل الإنسان على القيام بحركات وأصوات خاصة أيضا، ومعنى ذلك أن لكل إنسان انفعالات فطرية، يعبر عنها بحركات أو أصوات مثل البكاء والضحك.

1. تعريف علم الأصوات : إذا كان كل علم يبحث من أجل الوصول إلى نتيجة يَحققها، ويرسي قواعدها، فإنّ علم الأصوات علم يبحث في أصوات اللّغة من حيث إنتاجها ومن حيث انتقالها ومن حيث إدراكها، ويدعى العلم الذي يبحث في إنتاج الأصوات اللّغوية علم الأصوات النطقي. وأما العلم الذي يبحث في انتقال الأصوات اللّغوية من المتكلم إلى السّامع فهو علم الأصوات الفيزيائي. وأما العلم الذي يبحث في إدراك هذه الأصوات فيدعى علم الأصوات السّمي.² فعلم الأصوات لا يتحقق إلا بتوافر دعائم تكمل بعضها البعض، وهي مجموعة من الاعضاء والمخارج، ووسط ينتقل فيه الهواء، وقناة تتلقى الدّبذبات.

فتلاوة القرآن الكريم مقدّمة للتدبّر وهما معا مقدّمة للعمل والتّطبيق، وباعتبار أنّ الصّوت الحسن زينة للقرآن، وهناك دعوة من الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأهل بيته (عليهم السّلام) إلى تحسين الصّوت لما له من تأثير في وقعه على السّمع والقلب والأحاسيس والمشاعر، يقول الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلّم): « إنّ لكلّ شيء حلية وحلية القرآن الصّوت الحسن ».³

2. صوت ونفسية المتحدث:

يبدو أن معرفة الحالة النفسية للمتحدث من خلال سماع صوته أمر لم يحسم بعد. إلا أن هناك بعض الدّراسات التي تربط بين الصّوت والحالة النّفسية للمتحدث، فالإنسان السّعيد الذي يتمتع بصحة نفسية سليمة يتمتّع أيضا بصوت ملئ بالحياة والانتعاش على التّقيض من الإنسان المطحون أو الذي يعاني من مشاكل نفسية فصوته يقترب من الأنين، كما يكشف الصّوت عن الصّراعات النّفسية، ويعبّر عن الأمل، ويفضح الغضب أو الخوف. يقول فالتر زندلماير: يكشف الصوت الكثير عن الإنسان موضحا أن كل إنسان يرسل دون وعي رسائل معينة عبر صوته تكشف الكثير عن شخصيته وحالته النفسية والصحية.

لقد كان علم الأصوات عند العرب واحدا من العلوم التي نشأت في القرن الثاني للهجرة. ومعروف أنّ هذا القرن كان قرن نشأة الكثير من العلوم العربية وازدهارها. لكن علم الأصوات يختلف عن بعض هذه العلوم ولا سيما العلوم اللّغوية من جهة الوضوح المصطلحي والضبط المعرفي "الإبستمولوجي" ذلك أنه ظلّ

محتاجا إلى مصطلح جامع يبنى بما يضمنه من مسائل ذوات حدود واضحة، وأن معطياته صارت دولة تتجاذبها علوم اللغة والبلاغة والتجويد وغيرها حتى هذا العصر.⁴ فاجتهد علماء اللغة وخصوا علم الأصوات بقدر من الاهتمام، وأجادوا فيه، حتى إن وصفهم له لا يكاد يختلف عما توصل إليه المحدثون، إلا في أشياء قليلة، نظرا لانعدام الأجهزة العلمية في عصرهم.

لذلك استأنسنا في هذه الدراسة بالإطلاع على دراسات التي تناولت البنية الصوتية في القرآن الكريم، وإن قراءتنا لهذه الآيات لدليل قاطع على أن هناك سر في قراءة القرآن وتلاوته وحسن التدبر فيه:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁵

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾⁶

﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾⁷

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾⁸

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾⁹

في كل آية نجد مفهوم جلي بأن القرآن الكريم تتلازم معه كينونة إلهية تجعله يسمو بالسماع إلى ذروة الطمأنينة والسكينة وتعكس الارتداد النفسي على الإنسان، فصوت القرآن الكريم عبارة عن أمواج صوتية لها تردد محدد وصول موجة وهذه الأمواج تنشر حقولا اهتزازية تؤثر على خلايا الدماغ فتحقق إعادة التوازن لها، مما يتيح مناعة كبيرة في مقاومة الأمراض، فالتأثير بسماع القرآن على هذه الخلايا بعيد برمجتها من جديد. ولذلك فإن الله تعالى عندما يخبرنا أن القرآن شفاء نحني أنه يساعد على علاج الخلايا المتضررة في الجسم والسماع يؤثر في النفوس أكثر من القراءة لأنه يشد الانتباه أكثر وبالتالي ينفرد السماع بخاصية واحدة وهي التدبر وفي حداقة الاستيعاب أكثر، وعليه قراءة القرآن علاج القلوب المؤمنين، تطمن قلوبهم وتسائر شفاء الروح وتسمو بها من الغفلة والتشتت والضيق والقلق والاكتئاب. لذلك يقول الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (البخاري ومسلم). هذا الحديث موافق للحقائق الطبية الحديثة والتي تقرر الأهمية الفائقة للقلب وصحته وسلامته وتأثير ذلك على جسد الإنسان وصحته بشكل كامل.

3. مفهوم الإيقاع:

أ. لغة: جاء في لسان العرب في الإيقاع في مادة (وقع): « وقع على الشيء ومنه يقع وقعة ووقع سقط ورفع الشيء من يدي كذلك وأوقعه غزه وونغ من كذا وعن كذا وقعة ووقع المطر بالأرض ولا يقال سقط»،¹⁰ الإيقاع عند ابن منظور مأخوذ من الوقع وهو السقوط، ومنه سقوط المطر. وربط (الفيروزآبادي) مفهوم الإيقاع بالموسيقى والألحان حين عرفه بقوله: «الإيقاع إيقاع ألحان الغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها».¹¹

يُضح من خلال التعاريف السابقة أن مفهوم الإيقاع لا يرتبط بالظواهر اللغوية فقط، بل يتعدّها إلى نظام الكون والطبيعة كدوران الأرض وتعاقب الليل والنهار، وسقوط الأمطار، وله علاقة بالوجدان الإنساني فهو نابع من النفس البشرية.

ب. اصطلاحاً: تعددت وجهات النظر من الناحية الاصطلاحية بتعدد التعريفات الاصطلاحية الدارسين، واختلفت توجهاتهم في تحديد مفهوم للإيقاع، نذكر من بين هذه التعريفات: تعريف (ابن سينارت 427 هـ)^(*) بقوله: « تقدير الزمان النقرات، فإن اتفق أن كانت النقرات منتظمة كان الإيقاع لحنياً، وإذا اتفق أن كانت النقرات محدثة للحروف المنتظم منها كلام كان الإيقاع شعرياً، وهو بنفسه إيقاع مطلقاً».¹² تميز من تعريف ابن سينا وجود إيقاعين: إيقاع متعلق بالنقرات سمي إيقاعاً لحنياً موسيقياً، وإيقاع متعلق بالحروف يسمي إيقاعاً شعرياً.

المعنى نفسه الذي يذهب إليه الفراءى (ت 393 هـ)^(**) حيث يقول هو: «نقلة منتظمة على النغم ذوات فواصل»¹³ والفاصلة هي توقف يواجه امتداد الصوت، والوزن الشعري، نقلة منتظمة على الحروف ذوات فواصله من خلال هذين التعريفين يتأكد لنا أن الإيقاع ارتبط عند العرب بفكرة الوزن والفاصلة، وهناك تمايز أو فرق بين الإيقاعين الشعري والإيقاع الموسيقي اللّحني، واعتباره أحد الفنون الأدبية الجمالية.

وهو عند التونجي: « هو تواتر الحركة التعمية، وتكرار الوقوع المطرد للنبرة في إلقاء وتدقق الكلام المنظوم والمنثور عن طريق تألف مختصر العناصر الموسيقية ... ويقع في النثر عن طريق السجع وتوازن التراكيب وتنوع الحركات والتنويع المنتظم للجمل الطويلة».¹⁴

كما يعرف أيضا بأنه: « تنظيم متوال لعناصر متغيرة كيفيا في خط واحد، بصرف النظر عن اختلافها الصوتي». ¹⁵ أما من وجهة نظر غربية: « فهو مشتق من الكلمة اليونانية "RHUTTIMOS" بمعنى الجريان والدق، ثم تطوّر فيما بعد ليصبح مرادفا للكلمة الفرنسية "measure" المعبرة عن المسافة الموسيقية الجمالية». ¹⁶

إنّ هذا التعريف يوحي بأنّ الإيقاع ليس عربيا وأنّ العرب أخذته من الأمم الأخرى كما أخذت مختلف العلوم والمعارف، وهو عكس ما نجده في التعاريف السابقة، التي تؤكد أنّ العرب قد عرفته منذ وقت مبكر من عمر الحضارة العربية، خاصة في الدراسات الصوتية أين كانت دراساتهم عريقة وجدّ متطورة، وعرف الإيقاع بداية في الدراسات النقدية والشعر، حيث شاع عند الفلاسفة والنقاد العرب القدماء من أمثال: ابن سينا وابن طباطبا والجاحظ وحازم القرطاجي، ... وغيرهم).

ثانيا: الفاصلة القرآنية والإعجاز الفني:

الوقوف عند الفاصلة القرآنية فهو امتداد للإعجاز البياني في القرآن من خلال الفاصلة القرآنية ففي الدراسات القديمة من خلال إثبات أونفي أنّ القرآن راعي الفاصلة فيها أو المعنى في بعض الآيات سورة الرحمن فوقع الجدل فيها أكثر بين الدراسات الحديثة والقديمة حيث حاولت الدراسات الاستشراقية التشكيك في القرآن عن طريق هذه السورة، ¹⁷ وأن التكرار فيها تكرر مبتذل لذلك سنحاول من خلال هذه السورة الكريمة " الرحمن " إبراز البعد الجمالي والدلالي للفاصلة القرآنية والعلاقة بينها وبين الإيقاع الصوتي؛ ففي الجانب الدلالي نوّد من خلاله الوصول إلى المعنى الذي تؤدّيه الفاصلة القرآنية داخل وخارج السياق أي وظيفة صلة القرآنية ودورها أما الجانب الثاني وهو الجانب الجمالي المتعلق بالصوت أو الإيقاع الصوتي، ¹⁸ لأن القرآن الكريم نزل باللّغة العربية، واللّغة في جوهرها عبارة عن أصوات أو مقاطع صوتية، فهي المادة الأساس المكونة للّغة، فاللّغة كما يرى (ابن جني ت 392) ^(*) هي عبارة عن أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم، وأن بين الأصوات ومعانيها تناسباً والذي جعل القدامى يولون اهتماماً لدراسة الصوت بتعدد قراءات القرآن الكريم، في مخارج الصوت وصفاته، إنّما أخذ أكثرها من ألفاظ التراث وليس من كلام العرب وفصاحتهم، وهنا موضع القول فيه، فإنّ طريقة النظم التي اتسقت بها ألفاظ القرآن، و تألّفت لها حروف

الألفاظ، إنما هي طريقة يتوخى بها إلى أنواع من المنطق وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب.

وإن ميزة الفصل هو ما يكون بين شيئين، والفصل من الجسد نسميه المنفصل، وهو القضاء بين الحق والباطل أي فيصل وفاصل.¹⁹، وقد ذكر الأدباء القدامى أنّ لمعرفة الفاصلة طريقتان توفيقية وقياسية.

1. التوفيقية: وهي القراءة المتقطعة آية آية، وإنّ القراءات توفيقية وليست اختيارية، خلافا لجماعة منهم (الرخشري، ت538هـ)^(*)، حيث ظنّوا أنّها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء، فروي أنّ أبو داود عن أم سلمة لما سمعت الرسول الكريم يقرأ القرآن قالت: "كان يقطع قراءته آية آية، وقرأت قوله تعالى: "بسم الله الرحمن الرحيم" وكانت تقف على كل آية، فمعنى (يقطع قراءته آية آية) أي: يقف على كلّ آية، وإنما كانت كانت قراءته صلى الله عليه وسلم كذلك ليعلّم ذلك.²⁰

2. القياسي: وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذور في ذلك لأنّه لا زيادة فيه، ولا نقصان، وإنما غايته أنّه محل فصل أو وصل، والوقف على كلّ كلمة جائز ووصل وقد ينبوّه الأمران في كلمة فيختلف فيها فمنها البسملة، وقد نزلت بعض الآيات في سورة التّمل وبعضها في أثناء الفاتحة في بعض الأحرف السبعة، ومنها البقرة قوله: ﴿عَذَابُ أَلِيمٍ﴾²¹، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾²².

3. أقسام الفواصل: تقسم الفواصل إلى ثلاثة أقسام وهي:

أ. المتقاربة: وهي الفواصل التي تقاربت حروف رويها كتقارب حرف الميم مع حرف النون، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾²³ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾²⁴.

ب. المتماثلة: وهي الفواصل التي تماثلت حروف رويها كقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ (1) وَكَتَبَ مَسْطُورِ (2) فِي رَقٍّ مَّنشُورِ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4)﴾²⁵.

المنفردة: وهي الفواصل التي تماثلت حروف رويها ولم تتقارب كالفاصلة في سورة الضحى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)﴾²⁶. والفواصل المتماثلة تشيع في الآيات، والسور المكبية بينما تغلب على الآيات المدنية الفواصل المتقاربة أما الفواصل المنفردة نادرا ما نجدها في القرآن.

ج. المتوازية:²⁷ وهي اتفاق فاصلتين في الوزن والروي ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) ﴾²⁸ وهي التي يراعى فيها مقاطع الكلام، والوزن فحسبك قوله تعالى: ﴿ وَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَائِبٌ مَبْنُوثَةٌ (16) ﴾.²⁹

د. المرصعة:³⁰ وهي أن يكون المتقدم من الفقرتين مؤلفا من كلمات مختلفة والثاني مؤلفا من مثلها. هـ. المتماثلة: وهي أن تتساوى الفقرتان في الوزن دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118) ﴾³¹ فالكتاب والصراط متوازنان، وكذا المستبين والمستقيم، واختلفا في الحرف الأخير، لذلك تنقسم الفواصل حسب الفقرة إلى قصيرة موجزة ومتوسطة معجزة وطويلة.³²

و. القصيرة: وهي التي تتألف من لفظ واحد أو من عدد من الحروف كقوله تعالى: ﴿ أُمُّ ﴾³³، ﴿ حَمٌّ ﴾³⁴، ﴿ طَسْمٌ ﴾.³⁵ وقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾³⁶، ﴿ الْحَاقَّةُ ﴾³⁷، ﴿ الْقَارِعَةُ ﴾.³⁸

ز. المتوسطة: تكون ما بين القصيرة والطويلة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) ﴾.³⁹

ك. الطويلة: طولها غير مضبوط، وأقصرها يكون من إحدى عشرة لفظة وكلما زادت طولاً زاد بيانها وإفصاحها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَسِلْتُمْ وَلَنَنْتَازِعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44) ﴾.⁴⁰

ل. حسب طول القرينة: أن تكون القرائن متساوية في عدد الكلمات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْبَيْتَيمَ فَلَا تَفْهَرُ (9) وَأَمَّا السَّنَائِلُ فَلَا تَنْهَرُ (10) ﴾⁴¹، وأن تختلف القرائن طولاً وقصراً وهي من نوع: أن تكون الثانية أطول من الأولى كقوله في سورة الرحمن ﴿ قَبَائِلِي آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) ﴾.⁴² فالقافية هي (ثقل) وهي بعض كلمة وتكون القافية كلمتان في قول الشاعر امرئ القيس:

مكّر مفرّ مقبل مدبر معا كجمود صخر حطّه السّيل من عل

فالقافية هنا هي (يل من عل) وهي كلمة وبعض أخرى.⁴³

4. الفرق بين الفاصلة والقافية : إن من يتأمل الفاصلة يجد فارقا كبيرا بينها وبين الشعر يقول تمام حسان : "إن من يتأمل الفاصلة القرآنية ليجد الفارق كبيرا بينها وبين قوافي الشعر"، ويمكن تلخيص الفوارق بينهما على النحو التالي : تتطلب القافية التطابق التام، بين عدد من الحروف، في آخر كل بيت من القصيدة، أما الفاصلة فلا تلتزم شيئا من ذلك، إذ تراها تجري في عدد من آيات السورة على نمط، ولكن سرعان ما تتحول عنه إلى نمط آخر.⁴⁴

5. ميزة اللسان العربي: إنّ ميزة اللسان العربي هو الجانب الموسيقي الإيقاعي في أغلب نواحيه، والقرآن نزل بهذا اللسان وجمالية التركيب القرآني تبرز في اتساق المقاطع وتناسقها و انسجامها، وفي هذا يقول الزّافعي: "فلما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملة، ألحانا لغوية رائعة، كأنّها لفتلافها وتناسبها واحدة، قراءتها هي توقيعها فلم يفهم هذا المعنى، و أنه أمر لا قبل له ولا بعد"، ويقول كذلك : " وحسبك هذا اعتبارا في إعجاز النّظم الموسيقي على ذلك الوجه الذي هو فيه".⁴⁵

ثالثا: دراسة تطبيقية لسورة الرحمن.

تتجلى أهمية الدراسة التطبيقية اللغوية للنص القرآني في الكشف عن وظيفة ودور الصوت في صنع الهيكل العام للسورة، فالتحليل المقام الصوتي يهتم بمعرفة الدور الذي تلعبه مقامات الأصوات في المعنى اللغوي، أو بالأحرى: وظيفة الأصوات ومدى تأثيرها في المعنى هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو يهتم بالإيقاع أو الموسيقى النصية التي تشمل المظاهر الصوتية المختلفة من نبر وتنغيم وإيقاع ومقاطع وفواصل، وهو ما سنعمل على إظهاره في هذا التحليل، إذ سندرس سورة الرحمن دراسة صوتية فنيّة لمعرفة مدى أهمية الصوت في صنع المعنى وخدمته.

1. دراسة نسبية لحروف سورة الرحمن:

الحروف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي	ء
العدد	20	82	96	107	14	38	54	86	76
النسبة	1.2	5.22	6.1	6.8	8.	2.42	3.	5.	4.8
المؤوية %	7		1	1	92		44	48	4

(الجدول 1)

الألف	النون	اللام	الراء	الباء	الميم	باقي الحروف
%43	%22	%9	%6	%5	%8	%7

(الجدول 2)

جداول إحصائية تمثل عدد الحروف ونسبها في سورة الرحمن:

الحروف	أ	ب	ت	ت	ج
العدد	350	123	59	03	27
النسبة المئوية %	22.30	7.83	3.76	0.19	1.72

الحروف	ح	خ	د	ذ	ر
العدد	13	14	07	45	83
النسبة المئوية %	0.82	0.89	0.44	2.86	5.28

الحروف	ز	س	ش	ص	ض
العدد	04	27	08	07	05
النسبة المئوية %	0.25	1.72	0.52	0.44	0.31

الحروف	ط	ظ	ع	غ	ف
العدد	08	02	18	03	64
النسبة المئوية %	0.50	0.12	1.14	0.19	4.07

يتّضح لنا من خلال جدول عدد الحروف ونسبها أعلاه أن حرف الألف البالغ عدده 350 حرف من مجموع حروف السّورة والمقدرة نسبته بـ : 22.30 %، قد هيمن على التّصويب الأكبر، إذ حين يبدأ القارئ بقراءة هذه السّورة، تنطبق فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري⁴⁶ ألا وهو الألف الذي

يقطع مفاجئا فكرة الرأس ويرمي بها جانبا، فيجد القارئ نفسه منصتنا يشده هذا الصامت الجرسى المتميز الوضوح، بإثارة سمعية تستوجب تنشيطا ذهنيا وتيقظا فكريا يتطلبه مضمون السورة العظيمة الذي نستشعر عظمته في تقل هذا الصامت على اللسان. فالأف من البداية ينبها على عظم الأمر الذي تحمله السورة بانفجاره الخاطف الشديد الوقع في الأذن، ومما يؤكد قدرة هذا الصامت على تهيئة المتلقي أن واحدة و أربعين سورة من مئة و أربع عشرة في القرآن تبدأ بهذا الصامت، كما نقرأ من خلال الجدول نفسه أن حرف التّون يلي حرف الألف من حيث عدد تكراره، بمجموع قدره مئة و أربعون حرف من مجموع حروف السورة، أي بنسبة قدرت بعد الإحصاء ب : % 8.92، وأنّ التّون صوت دالّ على الالتزام ومكابدة الأمر.⁴⁷ وهذا الإيجاء يوائم بلا شك ما جاء في سورة الرحمن من معاني الإلزام المؤكدة، إذ سترى جهنّم يوم القيامة ملزمين مكابدين شدة هذا الموقف وهوله وسنقف أمام الله كذلك ملزمين مكابدين أهوال يوم الحساب.⁴⁸ كما وأنّ التّون تشغل موقع الفاصلة الحساس في هذه السورة، إذ بلغ عدد تكرارها في فواصل السورة 71 مرة من مجموع 78 فاصلة أي بنسبة قدرت ب : %91.02 هذا بالإضافة إلى ما يحدثه صوت التّون من موسيقى غنية لها استجابة خاصة مع مشاعر القارئ وحالاته الانفعالية، وما يحدثه كذلك من ارتياح سمعي لدى القارئ ذاته، فإذا كانت العربية تربط العزة بالأنف كقولنا شمخ بأنفه فإنّ من شأن هذا الحرف التّون أن يشعرك في ظل الحديث عن قيمة السورة العظيمة.

2. الفواصل القرآنية في سورة الرّحمن:

السورة	الآية	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
الرحمن	الفاصلة	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن
	الآية	1	1	1	1	1	1	1	1	1	2
	الفاصلة	م	ن	ن	ر	ن	ن	ن	ن	ن	ن
	الآية	2	2	2	2	2	2	2	2	2	3
	الفاصلة	ن	ن	ن	م	ن	ن	م	ن	ن	ن

4	3	3	3	3	3	3	3	3	3	الآية	
0	9	8	7	6	5	4	3	2	1		
ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	الفاصلة	
5	4	4	4	4	4	4	4	4	4	الآية	
0	9	8	7	6	5	4	3	2	1		
ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	م	الفاصلة	
6	5	5	5	5	5	5	5	5	5	الآية	
0	9	8	7	6	5	4	3	2	1		
ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	الفاصلة	
7	6	6	6	6	6	6	6	6	6	الآية	
0	9	8	7	6	5	4	3	2	1		
ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	الفاصلة	
8	7	7	7	7	7	7	7	7	7	الآية	
0	9	8	7	6	5	4	3	2	1		
ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	م	ن	الفاصلة	
								ر	م	ن	النتيجة
								2	6	70	

3. نتائج المحصل عليها:

في نتائج الإحصاء نلاحظ أن حرف النون يمثل أكثر من نصف فواصل سورة الرحمن حيث جاء فاصلة ونسبته في القرآن % 51 تقريبا، وهذه النتيجة تصديق لكلام (سيبويه) وغيره ممن ضيف لاحظوا ذلك ، وإذا علمنا أن مجمل استعمال حرف النون في القرآن الكريم كله 27265، فإن نسبة استعماله فاصلة إلى نسبة استعماله الكلية تكون 11,67 % وهي نسبة عالية إذا قورن بحروف أخرى ، إلى ذلك أن التنوين

الذي يلحق بعض الفواصل بهذا التنوين هو نون ساكنة أيضا وإن كان يتحول بالوقف إلى الألف الممدودة وبذا فإن النون يفوز بأكثر نصيب في فواصل سورة الرحمن لما فيه من الغنة الجميلة في السمع ويحق بعد ذلك أن نقول إن عنصر الإيقاع والتنغيم والتطريب يقصد إليه في القرآن قصدا، وليس مجرد محسنات زخرفية.⁴⁹

جاء حرف الميم تاليا للنون، يليه الراء والملاحظ أن الميم حرف شفوي والراء من الحروف التي تنطق باعتماد اللسان مع الأسنان، وكل هذه الحروف تنطق من الجزء الأمامي لجهاز النطق وهذا أمر ملاحظ في الفواصل، حيث نلاحظ أن حروف الحنجرة والحلق أقل استعمالا من الحروف الشفوية والأسنانية ولهذا كله علاقة بسهولة النطق والوضوح السمعي والمراد بالوضوح السمعي وصول صوت الحرف واضحة إلى السمع، حيث إن لكل مجموعة حروف متقاربة المخارج نسبة وضوح سمعي، وقد أشار (الزركشي) أنه قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع منوال واو والياء، ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا من الصوت وورود النون بعد حروف المد متوakبة في القرآن حتى عاد ذلك سرا صوتيا متجليا في جزء كبير من فواصل آيات سورة الرحمن،⁵⁰ ونشير على سبيل التمثيل الصوتي الكل حرف من حروف المد تليه النون بمثال واحد وردت الألف مقترنة بالنون في منحنى كبير من فواصل سورة الرحمن على نحوين الأول : وردهما متقاطرين، وهما أي الألف والنون من أصل الكلمات كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، أما الثاني : وردهما متقاطرين، وهما أي الألف والنون ملحقان بالكلمة علامة للرفع ودلالة على التثنية، ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْقُلُوبَ وَالْمَرْجَانَ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

ونجد في صوامت هذه السورة أن حرفي اللام والميم من أكثر الحروف ورودا، فهذان الصامتان المقدر عددهما على التوالي : اللام 96 مرة بنسبة 6.11 %، والميم 107 مرة بنسبة 6.81 %، هما من الصوامت الثنائة السهلة النطق وذلك لقرب مخرجيهما، وفي هذه السهولة ما يعكس الطابع العام لمضمون السورة القرآنية، فهذان الحرفان يمكن القول بأنهما المفتاح الصوتي لمعايشة الأحداث المسموعة في السورة، وذلك لما تطبعانه من صفاء وقدرة على إبراز القدرات التصويرية بلمحيهما التمييز بين الفريدين وهما الملحان المائعان الرنانان، ويعود ذلك إلى ما يتمتع به هذان الصامتان من وقع شديد في الأذن، فهما من أوضح

الصّوامت وأكثرها تحقيقاً للقيمة التنغيمية، كما وأسهم التقارب الكبير لنسب هذان الصّامتان في إحداث إيقاع شعبي عذب يمكن اعتباره مرآة عاكسة بوضوح وجلاء لمعاني الحركة والانتقال في السورة. ومثالنا قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، فهذا التركيب بحروفه البعيدة المدى يتوافق مع الحياة وليس لحظة واحدة تختلس في غفلة قد يظنّها أصحابها موأتية، فالتعليم لا يبد له من جهد وحركة دائمة وانتقال مستمر. وللراء التي تشغل حيزاً مهماً بمرات تكرارها 83 مرة والمقدرة نسبتها ب : 5.28% تحقيق نغمي تكراري أعطى الآيات مناسبة وقرعاً سمعياً جذاباً، فمن خلال تتبع صوت الراء في الآيات وبخاصة أن صوت الراء حين نطقه يرتفع اللسان تجاه الطبق و هو ما يوافق تكرار كلمة (رَبِّكُمَا) ربكما في المرتكز الإيقاعي ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تُكَدِّبَانِ﴾.

ونلاحظ هنا أن البنية الصّوتية مرتبطة ارتباطاً قوياً بالمضمون، فالله سبحانه وتعالى فوق كلّ عال، وقد وردت الراء هنا بعلوها وطرقاتها لتدب في الأنفاس الخوف من الله في تكذيب آياته كأننا بما إعلان عن شدّة الحدث وهول وقوعه، وملحح التكرار والطرق هذا في حرف الراء جوانب دلالية تزيد المعنى غنى وتكسبه جمالا فليس تكرارها عرضياً أو اعتباطياً أو حتى مجرد التزيين والتّجميل وإنما ليصل المراد في توثقة الصّلة بالمتن الذي سبقته فيه، وقد وردت باقي الأصوات بتكرار ضئيل ومتنوع إلى حد ما، إذ بلغت نسبة باقي الحروف في السورة حوالي 43% غير أن هذا التنوع يستمد تبريره من وجوده، فالمعاني الكامنة وراءه هي التعليم، الخلق، الكون، التدبر، فلما كان التّنوع ناشئاً من تعدد المعاني تطلب ذلك تنوع الحروف.

4. تصنيف مخارج الحروف وإحصائها:

جدولين يمثلان مخارج الحروف العربية ونسبها المئوية في سورة الرّحمن.

المخارج	الهوائية	الحلقية	اللهوية	الشجرية	الأسلية
عدد الحروف	490	48	102	40	38
النسبة المئوية%	33.65%	3.29%	07%	2.74%	2.60%

المخارج	النطعية	الدلّقية	الثوية	الشفوية
عدد الحروف	74	319	50	295
النسبة المئوية%	5	21.90	3.34	20.26

يتبين لنا من خلال الجدول أعلاه سيطرة تيار الأصوات الهوائية بفارق كبير على أصوات باقي المخارج، إذ بلغ مجموع الحروف الهوائية (490 حرفاً، أي بنسبة 65.33 %، تلتها الحروف الدلّقية بـ 319 حرفاً وبلغت نسبتها (21.90 %، ثم تأتي الحروف الشفوية الوارد ذكرها 295 مرة، أي بنسبة 20.26 %، وجاء في المرتبة الرابعة بعد هذه الأصوات الحروف ذات المخرج الهوائي إذ ذكرت 102 مرة، بنسبة قدرناها بـ : 7 %، ومن الجدول يتضح لنا أيضاً أن باقي المخارج وردت بنسب ضئيلة متفاوتة فيما بينها ، وهي على الترتيب : النطعية ذكرت 74 مرة بنسبة 5 %، فاللثوية التي جاء ذكرها 50 مرة بنسبة 3.43 %، ثم تأتي الحروف الحلّقية بـ : 48 حرفاً وقدرنا نسبتها بـ 3,29 % ، وتأتي ما قبل الأخيرة الحروف الشجرية بـ : 40 حرفاً ونسبة بلغت 2,72 %، وأخيراً الحروف الأسلية الوارد ذكرها 38 مرة بنسبة 2.60 %.

والملاحظ على هذه التّسبب الإحصائية أنّ ورود الحروف الهوائية سواء في وسط الكلمة أو آخرها إنما هو دليل على إضفاء خاصية الامتداد إن في الزمان أو المكان كما (في السماء، جنتان تقلان، الرحمن، الدهان) وفي هذه الحركة الواسعة التي لا يحدث الهواء عند النطق بما أي نوع من الاحتكاك ولا تتطلب جهد في عملية النطق ما يخفف من التكلفة والمشقة على الإنسان أثناء عملية النطق، إلا أن هذه الحروف بخفيف صوغها ورقة مخرجها تحتاج إلى حروف يتطلب تنفيذها شيئاً من الشدة والفاعلية لتكون بذلك أصلح للتعبير عن المعاني الدالة وذلك ما نلمسه في السورة الكريمة إذ ارتبطت أغلب الحروف الهوائية بالحروف الحلّقية وهو ما يجعل الأنفاس تطمئن، فارتباط هذان المخرجان لا أمس بإنسانية الإنسان منها ولا الصق ففي الحروف الدلّقية رقة أنفاس وألفة إذ لا أرشق منها بداية ولا ألطف منها نهاية ومما جاور هذه الحروف نطق الحروف الشفوية كما حرف شفوي مرتبط بحرفين أحدهما هوائي والآخر دلّقي مكررة 31 مرة.⁵¹

ثلاثة جداول تمثل صفات الحروف ونسبها بسورة الرحمن.

الصفات	الجهر	الهمس	الشدّة	الرّخاوة	التوسط	الإطباق
عدد الحروف	1254	315	402	373	444	22
النسبة المئوية%	15.24	03.83	04.88	04.53	05.39	00.26

الصفات	الإنتحاح	الإستعلاء	الإستفال	الإصمات	الإذلاق	القلقلة
عدد الحروف	1547	122	1434	956	613	185
النسبة المئوية%	18.80	01.48	17.43	11.62	07.45	02.24

الصفات	الصّفير	التكرار	الإستطالة	التفشي	الإنحراف	الغنة
عدد الحروف	38	83	05	08	179	247
النسبة المئوية%	00.46	01	0.16	0.09	02.17	03

أما بالنسبة لصفات الحروف، فإننا نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن الحروف الانفتاحية تظهر بشكل أكبر من كل الصفات وذلك بنسبة قدرها 80.18% والانفتاح في اللغة هو الافتراق، واصطلاحاً : انفراج بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف فلا ينحصر الصوت بينهما،⁵² أما بالنسبة للصفّة الثّانية في التّرتيب فهي صفة (الإستفال)^(*) وذلك بنسبة 17.43%. والصفّة هنا دليل على الضّعف والانحطاط والرجوع إلى الله تعالى، وعجز الإنسان أمام خلق الله تعالى وبديع صنعه.⁵³ كما نلاحظ أن السّورة الكريمة قد احتوت على جميع حروفه بنسب متفاوتة. أما في المرتبة الثالثة فتأتي صفة الجهر وذلك بنسبة 15.24% بمجموع حروف 1254 من العدد الإجمالي. ثم تأتي مجموع الصفات الأخرى بنسب متفاوتة.

الخاتمة: وبعد محاولتنا الولوج في عالم جمالي ينسج جماليات الإيقاع الصّوتي الفّي الذي مارسناه في توضيح بعض الجوانب المهمّة من الإعجاز الصّوتي الممزوج بين النّغمات الموسيقية في القرآن الكريم، أدركنا متيقّنين أن إبراز جمال الصوت والتأثيره في نفسية البشر، يتأتى إلا بترتيل القرآن أحسن ترتيل مع تطبيق أحكام قراءته وممارسة الطّاقات الصّوتية التي تنشر النّغم الجبلي الذي يترك أثراً في أعماق وأجواف المتلقّي

بصورة عجيبة، حيث لا يستطيع السامع أن يتمالك في نفسه ولا يجد ما يفعله سوى أنه يقع خاضعا لهذا الصوت بالإنصات متجاوبا مع ما يسمعه ليتدبر أو ليهيب ويخشع كي يتضرع لله أو ليستمتع بجمال الصوت الذي يأسر الروح والقلب والعقل، تبيانا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁵⁴، ولهذا فإنه ليس كلّ القراء يؤثرون بقراءاتهم، فهناك قراء إختار لهم الله بحجة مناسبة للصوت فيها حقا يافعا في القرآن الكريم، وتلك ميزة يوهبها الله لمن يشاء في تخير الصوت وكأنه ملكة روحانية إلهية يسقط عز وجل بها كرامة ربانية تزيد حلاوة وطربا، ومن هنا تتأكد قناعتنا بأنّ للقرآن نظامه الصوتي الفريد وكان الله هو الذي يريعه بجلاله لأنه يتميّز باتساقه واثلافة في حركاته وسكناته وغمّاته ومدّاته وسكناته إتساقا عجيبا رائعا تتموسق معه الأسماع ويستهوئ النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أيّ كلام آخر من منظوم ومنثور، وأنّ السّحر الجمالي اللّغوي إنسجم صوتا وكتابتا، فهو نظام صوتي يثير الإنتباه ويحرك المشاعر ليؤثر في داعية الإقبال في كلّ إنسان مهما كان عرقه عربيا أو عجميا.

النتائج:

- يتجلّى جمال الإيقاع الصوتي في الشّكل والمضمون معا، فهو يضيف على شكل الآيات والسّور مسحة من السّحر والمتعة تتناسب مع المعنى الرّبّاني.
 - مصطلح الإيقاع الصوتي هو مصطلح عربي لا صلة له بالمصطلحات اليونانية.
 - لا يمكن مقارنة الأسلوب القرآني بكلام البشر كالشعر أو النثر، لأنه أسلوب رفيع في شكله ومضمونه.
 - الفاصلة تكسب السّورة إيقاعا متميّزا، وتحقق التميّز في التّطريب والتّعني، كما أنّها ترتبط بالمعنى والإيقاع معا، وفي نفس الوقت تشترك مع الإيقاعات اللاحقة صوتيا من الآيات الأخرى.
- توصيات عامة:** إن تجديد الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم يستلزم - ضرورة - إخضاعه لمنهج مقارن علمي، وإن إنتقال مفهوم الإيقاع الصوتي والتاريخية والآثارية إلى مفهوم الصورة الجمالية، أو من التراث المادّي الثابت إلى التراث المادّي الحركي الروحي يقتضي استحضار أدوات منهجية ومعارف جمالية وقوانين نقدية جديدة تستلهم من علم الجمال ونظريات الفن، وهندسة الفضاء أو الحيز.

التهميش:

- 1¹ التهامي الحائبي، اللغة والطبيعة، من محاكاة الصّوت الطّبيعي إلى بناء الكلمة، دراسة ومعجم، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2016، ص47.
- 2- محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص30، دار الفلاح، عمّان، الأردن، 2000م.
- 3- ميزان الحكمة: ج8، ص82
- 4- أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، ص13، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ/ 1998م.
- 5- سورة البقرة، الآية رقم: 121.
- 6- سورة (ص)، الآية رقم: 29.
- 7- سورة الإسراء، الآية رقم: 82.
- 8- سورة الرعد، الآية رقم: 28.
- 9 - سورة القصص، الآية رقم: 68.
- 10 لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، تج: عبد الله على الكبير وآخرون، مادة (رقع) دار المعارف، ص 4894.
- 11 القاموس المحيط، الفيروزآبدي، تج: محمد نعيم العرقسوسي، ط 08، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1426، ص772.
- (*)- أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البَلْخِيّ ثم البُخاريّ المعروف بابن سينا: عالم وطبيب مسلم، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد في قرية أفشنة بالقرب من بخارى (في أوزبكستان حالياً) من أب من مدينة بلخ (في أفغانستان حالياً) وأم قروية. ولد سنة 370 هـ (980م) وتوفي في همدان (في إيران حالياً) سنة 427 هـ (1037م).
- 12 - الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان، تج: أحمد عبد الله فهدود، ط 1، دار القلم العربي، سوريا، 1418 هـ، ص28.
- (**)- بو نصر محمد الفارابي: هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي. ولد عام 260 هـ/ 874 م في فاراب في إقليم تركستان (كازاخستان حالياً) وتوفي عام 339 هـ/ 950م. فيلسوف مسلم اشتهر بإتقان العلوم الحكمية وكانت له قوة في صناعة الطب.
- 13 - الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان، مرجع السابق، ص 28.
- 14 - جماليات الموسيقى في النص القرآني، كمال احمد غانم، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد العشرون العدد الثاني، جويلية 2012، ص 04. نقلا عن التونجي، الفصل في الأدب، ج 1، ص 149.

- 15 - الأسس الجمالية في التقد، عز الدين إسماعيل، (د،ط)، دار الفكر العربي القاهرة مصر، 1992، ص130.
- 16 - مرجع سابق، ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ص21.
- 17 - عبد الحميد هندواي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004 م، ص 13.
- 18 - ابن جني، سر صناعة العرب، تحقيق مصطفى و آخرين، مطبعة البابي، القاهرة 1953 م ج 1، ص6.
- (*) - أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بـ «ابن جني»: عالم نحوي كبير، ولد بالموصل عام 322 هـ، ونشأ وتعلم النحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصلبي الأخفش(1) ويذكر ابن خلكان أن ابن جني قرأ الأدب في صباه على يد أبي علي الفارسي حيث توثقت الصلات بينهما، حتى نبع ابن جني بسبب صحبته، حتى أن أستاذه أبا علي، كان يسأله في بعض المسائل، ويرجع إلى رأيه فيها. على الرغم أن ابن جني كان يتبع المذهب البصري في اللغة إلا أنه كان كثير النقل عن أناس ليسوا بصريين في النحو واللغة وقد يرى في النحو ما هو بغداددي أو كوفي، فيثبته.
- 19 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق المهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج7، ص126.
- (**) - أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري. من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب. ولد في زَحَّشَر يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة 467 هـ / 1074 م في تركمانستان، وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتوفي ليلة عرفة سنة 538 هـ / 1143 م في جرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة. يقول السمعاني في ترجمته: "برع في الآداب، وصنف التصانيف، وركَّذ العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتعلموا له، وكان علامة نسابة
- 20 - المنرجع السابق، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص126.
- 21 - سورة البقرة، الآية رقم: 10.
- 22 - سورة البقرة، الآية رقم: 11.
- 23 - سورة الفاتحة، الآية رقم: 03.
- 24 - سورة الفاتحة، الآية رقم: 04.
- 25 - سورة الطور، الآيات، رقم: 1، 2، 3، 4.
- 26 - سورة الضحى، الآيات رقم: 9، 10، 11.
- 27 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث، القاهرة، 1998، ص75.
- 28 - سورة الغاشية، الآيتين رقم: 13، 14.
- 29 - سورة الغاشية، الآيتين رقم: 15، 16.

-
- 30 - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ج1987، 2، ص104.
- 31 - سورة الصافات، الآيتين رقم: 117، 118.
- 32 - المرجع السابق، السيوطي، ص182.
- 33 - سورة البقرة، الآية رقم: 01.
- 34 - سورة حم ، الآية رقم: 01.
- 35 - سورة الشعراء، الآية رقم: 01.
- 36 - سورة الرحمن، الآية رقم: 01.
- 37 - سورة الحاقة، الآية رقم: 01.
- 38 - سورة القارعة، الآية رقم: 01.
- 39 - سورة النجم، الآيات رقم: 01، 02، 03، 04.
- 40 - سورة الأنفال، الآيتين رقم: 43، 44.
- 41 - سورة الضحى، الآيتين رقم: 10، 09.
- 42 - سورة الرحمن، الآية رقم: 13.
- 43 - ابن الرشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، ط1981، 5، ص151.
- 44 - المرجع نفسه، ص152.
- 45 - المرجع نفسه، ص168.
- 46 - ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص87.
- 47 - عبد الله محمد فريد : وت اللغوي ودلالته في القرآن ، دار الهلال ، بيروت ، ط 1 ، 2008 ، ص139.
- 48 - الزمخشري، الكاشف، تحقيق (الشيخ عادل، أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض)، مكتبة العبيكة، 1998، ط1، ص116.
- 49 - سبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط1998، 3، ج4، ص20.
- 50- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ج1996، 1، ص68.
- 51 - المرجع السابق، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص91.
- 52 - فهد خليل زايد : الحروف معانيها ، مخارجها ، وأصواتها في لغتنا العربية ، دار يافا العلمية ، ص 24.

(*)- الاستفال: هو " الانخفاض ، اصطلاحا : انخفاض اللسان وانحطاطه عن الحنك الأعلى عند التطق بالحرف..المرجع نفسه، ص23.

53 - المرجع السابق، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص87.

54 - سورة الأعراف، الآية رقم:204.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث ، القاهرة،1998.
- 2) الزمخشري، الكاشف، تحقيق (الشيخ عادل، أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض)، مكتبة العبيكة، 1998، ط1.
- 3) سبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط3،1998، ج4.
- 4) عبد الحميد هنداوي ، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 2004 م.
- 5) عبد الله محمد فريد : وت اللغوي ودلالته في القرآن ، دار الهلال ، بيروت ، ط 1 ، 2008.
- 6) فهد خليل زايد : الحروف معانيها ، مخارجها ، وأصواتها في لغتنا العربية ، دار يافا العلمية.
- 7) القاموس المحيط، الفيروزآبدي، تج : محمد نعيم العرقسوسي، ط 08، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1426.
- 8) القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.
- 9) لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، تج : عبد الله على الكبير وآخرون، مادة (رقع) دار المعارف.
- 10) ابن الرشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط1981، 5.
- 11) محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص30، دار الفلاح، عمان، الأردن، 2000م.
- 12) ابن جني ، سر صناعة العرب ، تحقيق مصطفى و آخرين ، مطبعة الباني ، القاهرة 1953 م ج 1.
- 13) أحمد محمد قدور، أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، ص13، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ/ 1998م.
- 14) الأسس الجمالية في التقد، عز الدين إسماعيل،(د،ط)، دار الفكر العربي القاهرة مصر،1992.
- 15) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام أحمد حمدان، تج : أحمد عبد الله فهودة، ط 1، دار القلم العربي، سوريا، 1418 هـ.
- 16) التهامي الحايبي، اللغة والطبيعة، من محاكاة الصّوت الطّبيعي إلى بناء الكلمة، دراسة ومعجم، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2016.

-
- 17) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ج 2، 1987.
- 18) جماليات الموسيقى في النص القرآني، كمال احمد غانم، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد العشرون العدد الثاني، جويلية 2012، ص 04. نقلا عن التونجي، المفصل في الأدب، ج 1.
- 19) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق المهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج 7، ص 126.

الجملة الإسنادية الحالية (ذات التركيب البسيط)

في سورة البقرة

دراسة في أنماطها وبنيتها العميقة ودلالاتها

أ.م.د. سمير داود سلمان

كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، العراق

Samir.salman@uobasrah.edu.iq

Samirsalman484@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/15 م تاريخ التحكيم: 2020/10/27 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص:

الجملة الإسنادية الحالية: هي تركيب إسنادي مرتبط بتركيب سابق غير مستقل في المعنى بذاته، وظيفته المساعدة على تأدية المعنى وإتمامه. وتوصف الجملة الإسنادية الحالية، بذات التركيب البسيط، لأنها تتضمن مسند ومسند إليه منفردين (أي غير مركبين) ولا يكونان معنى مستقلاً، ويأتي التركيب في الجملة الإسنادية الحالية فعلياً أو اسمياً، وقد ورد التركيبان - الفعلي والاسمي - في مواضع متعددة في سورة البقرة يؤديان وظيفة الحال، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ آية/161، فالجملة الإسنادية الإسمية - ذات التركيب البسيط - ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ تألفت من المسند إليه (هم) وهو المبتدأ، والمسند (كُفَّارٌ) وهو الخبر، وعُدَّ هذا التركيب الإسنادي البسيط جملة إسنادية لأنه غير مستقل بذاته لارتباطه بالتركيب السابق ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كذلك إن الجملة الإسنادية الإسمية ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ هي جملة إسنادية حالية لأنها أدت وظيفة الحال، وبنيتها العميقة: (وماتوا كافرين). ودلالاتها هو تأكيد حالة الكفر عند هؤلاء في حياتهم وبعد مماتهم. إنَّ أهم ما يميّز الجملة الإسنادية الحالية - ذات التركيب الفعلي الماضي - في سورة البقرة هو غياب (قد) في البنية السطحية، ويرى الدارسون القدامى، إن غيابها في البنية السطحية لا يلغي وجودها في البنية العميقة فهي حاضرة ومرادة، كما في الآية الكريمة: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ آية / 66، ف (قد) هنا وإن كانت غائبة في البنية السطحية لكنها حاضرة في البنية العميقة، وتقديرها: وقد رأوا العذاب. ولم يقتصر تركيب الجملة الإسنادية الحالية على الفعل الماضي، بل كان للمضارع نصيب منه، واما الجملة الإسنادية الإسمية المؤبدة وظيفتها الحال فقد وردت مؤكدة ومنفية.

الكلمات المفتاحية: الجملة الإسنادية، الحالية، الماضية، المضارعية، الإسمية

**Present Imputability sentence (of Simple Structure)
In The Cow Chapter (Surat Al Baqara)
Study its deep styles, structures and its Semantics
Iraq Assist. Prof. Dr. Sameer Dawood Salman
College of Education for Girls, University of Basrah
Samir.salman@uobasrah.edu.iq**

Abstract :

Imputability sentence: It is defined as imputability structure is related with prefix or suffix is non-independent in the meaning by itself, his auxiliary function is to complete and achieve the meaning. The Imputability sentence is described by simple assigned independent items (i.e. , non-complicated) and cannot form independent , as the two structures- verbal and nominal- is meaning. The composition in Imputability sentence is formed by verbal or nominal sentence is appeared in several points within The Cow Chapter(Surat Al Baqara) as in the saying if The Almighty God (those who disbelieve and die while they are disbelievers) - Verse 161, the nominal Imputability sentence of simple structure ; that is, while they are disbelievers, is formed from they; the subject and the (the disbelievers); which is the predicate. This simple structure is deemed Imputability sentence as to its is related with pre-structure (those who disbelieve) and also the nominal Imputability sentence (They are disbelievers) is the present imputability sentence ad litem as adverb and its deep structure (and die while they are disbelievers) its semantics is to confirm the status of disbelieve in this during their life and after their death.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين , نبينا محمد بن عبدالله وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين .
أما بعد فاللغة العربية لغة تواصلية، توظف أصواتها وألفاظها وتراكيبها لتحقيق هذا التواصل، وللمتكلم دور هام في انجاز هذه المهمة من خلال استعماله التراكيب المناسبة التي من شأنها أن تنقل الأفكار والمعاني إلى المتلقي، فأحياناً يستعمل تراكيب مغلقة دوالها على مقدار مدلولاتها، وأحياناً يستعمل جملاً مستقلة لذاتها أو غير مستقلة محولة ومفتوحة، وإمكان المتلقي الوصول إلى معانيها من خلال الجهد الذهني الذي يبذله للوصول إلى البنية العميقة المتوارية خلف بنيتها السطحية.

إنّ التراكيب الإسنادية الأصلية في الجملة العربية تقسم على قسمين: الأول، تراكيب إسنادية أصلية التي يُحسن السكوت عليها المستقلة مبنى ومعنى، والثاني، تراكيب إسنادية أصلية غير مقصودة لذاتها لأنها مرتبطة بما قبلها وبما بعدها، وتكون ضمن تراكيب أكبر تؤدي معنى وظيفياً، تسمى بالتراكيب الإسنادية الوظيفية 0 وفي القرآن الكريم نلاحظ أن الجملة الإسنادية - ذات التركيب البسيط غير المستقل لذاته - تؤدي دوراً وظيفياً محوياً ومن هذه الوظائف - الحال - التي وردت على أنماط متعددة. فتولدت لديّ الرغبة في بحث هذا الموضوع في سورة واحدة من القرآن الكريم، لمعرفة أنماطها وبنيتها العميقة المتوارية خلفها ودلالاتها.

وقد وقع اختياري على سورة البقرة، فكان عنوان البحث: (الجملة الإسنادية الحالية - ذات التركيب البسيط - في سورة البقرة - دراسة في أنماطها وبنيتها العميقة ودلالاتها) أما خطة البحث فقد تكونت من تمهيد ومبحثين وخاتمة بأهم النتائج وقائمة بالمصادر والمراجع. أما التمهيد، فقد بحثت فيه، مفهوم الإسناد والجملة الإسنادية غير المستقلة لذاتها وأقسامها، ومفهوم الحال لغة واصطلاحاً.

وأما المبحث الأول، فقد بحثت فيه، الجملة الإسنادية الفعلية - ذات التركيب البسيط - المؤدية وظيفة الحال، وتتضمن الجملة الإسنادية الفعلية الماضية - ذات التركيب البسيط - مبيناً أنماطها وبنيتها العميقة وأهم دلالاتها، والجملة الإسنادية الفعلية المضارعية - ذات التركيب البسيط - مبيناً أنماطها وبنيتها العميقة، وأهم دلالاتها.

وأما المبحث الثاني، فقد تناولت فيه الجملة الإسنادية الإسمية - ذات التركيب البسيط - المؤدية وظيفة الحال، وتتضمن: الجملة الإسنادية الاسمية المؤكدة، والجملة الإسنادية الإسمية المنفية، مبيناً أنماطهما وبنيتهما العميقة وأهم دلالاتهما.

وأما الخاتمة - فقد بينت فيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، وكذلك اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، بعضها مصادر قديمة، وأخرى حديثة. وأخيراً أقول: فإن حالفني النجاح فيما فعلت فهذا غاية النجاح والفلاح، وإن كانت الأخرى فحسبي شرف المحاولة ونبيل الغاية.

التمهيد

ويتضمن ما يأتي:

1- مفهوم الإسناد، والجملة الإسنادية غير المستقلة لذاتها، واقسامها.

2- الحال في المفهوم اللغوي والاصطلاح النحوي.

الإسناد لغةً: يقول ابن فارس ((السين والنون والذال أصل واحد يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، يقال سندتُ إلى الشيء اسند سنوداً واستندتُ استناداً))⁽¹⁾ وهو مصدر الفعل الرباعي أسند، ويقال أسند إلى الشيء كذا أي جعله معتمداً عليه واسند الحديث معناه عزاه إلى قائله ونسبه إليه⁽²⁾.
أما في الاصطلاح النحوي، فهو ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد الحكم وهو نقطة الارتكاز بأن مفهوم أحدهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه⁽³⁾ وهو ارتفاع نسبة تامة بين كلمتين لوجود علاقة تبين تعلق أحدهما بالأخرى⁽⁴⁾ والنسبة كما عرفها الشريف الجرجاني: هي ((إيقاع التعليق بين الشيئين))⁽⁵⁾ أي بين اللفظين المكونين للتركيب الإسنادي، كنسبة الخبر إلى المبتدأ، وكنسبة الفعل إلى مرفوعه، ذلك أن التعليق قد يكون بين اسمين أو بين فعل واسم، وقد يكون الإسناد الخبري بين وحدتين إسناديتين، وذلك بضم أحدهما إلى الأخرى، بحيث يشكل كلاً من المسند إليه والمسند جملة إسنادية انطلاقاً من أن التركيب الإسنادي الذي تتبنى عليه الجملة أ الإسنادية ليس مطلق التركيب، بل تركيب كلمة مع الكلمة، إذا كان لأحدهما تعلق بالأخرى على السبيل التي بها يحسن موقع الخبر⁽⁶⁾ فالمنسوب بين الكلمتين يسمى مسنداً والمنسوب إليه يسمى مسنداً إليه⁽⁷⁾ على حسب وظيفة كل منهما في الجملة الإسنادية، ولما كان الإسناد رابطة معنوية بين الفاعل وما يطلبه يكون موجوداً من كل تركيب به فاعل كما يكون موجوداً بين المبتدأ وخبره، كذلك يكون موجوداً بين الوصف المرفوع بعده⁽⁸⁾ ولما كان الإسناد لا يتأني بدون طرفين مسند ومسند إليه، عدّ النحويون العرب هذين الطرفين عمادي الجملة الإسنادية المستقلة لذاتها أو الجملة الإسنادية غير المستقلة لذاتها لأحدهما العماد في بنائهما، كذلك لا يستقيم تركيبهما الإسنادي بدونهما بوصفهما اللوازم للجملة والعمدة فيها ولا تخلو منهما وعدهما فضلة⁽⁹⁾ أما أهمية الإسناد فتمكن بأنه يشكل أساس العلاقة في الجملة العربية، سواء أكانت الجملة مستقلة لذاتها أم غير مستقلة⁽¹⁰⁾ إذ يُعد بؤرتها وأهم علاقة فيها⁽¹¹⁾ فهذه القرينة المعنوية تُسهم اسهاماً كبيراً في بناء الجملة الأصلية الإسنادية المستقلة لذاتها أو

الجملة الإسنادية غير المستقلة لذاتها وتحافظ على تماسكهما إذ لو تجردتا منه لكان الكلام ((في حكم الأصوات التي حقها أن ينطق بها غير معربة))⁽¹²⁾.

ويرى الدكتور مهدي المخزومي أن الإسناد ((عملية ذهنية تعمل على ربط المسند بالمسند إليه))⁽¹³⁾ هذه العملية ينجزها ذهن المتكلم حين يدرك ثمة علاقة ما بين شيئين يريد التعبير عنها فيتم الربط بينهما بومضة الإسناد، فمثلاً في الجملة الفعلية البسيطة: (سافر عليٌّ) نجد أنها تعبر عما في ذهن المتكلم من صورة تامة قوامها: المسند إليه (الفاعل) وهو (علي) والمسند الفعل (سافر) ونلاحظ أنها توضح إسناد السفر إلى (علي) فالعملية الذهنية التي ربطت السفر وعلي، تُسمى الإسناد.

الجملة الإسنادية غير المستقلة لذاتها : هي تركيب إسنادي مرتبط بتركيب سابق أو لاحق غير مستقل في المعنى بذاته، وهذا الارتباط يؤذن بأن الجملة لم تبق على استقلالها لإعتمادها على غيرها، ولوظيفته التي تؤديها متمثلة في المساعدة على أداء المعنى وإتمامه⁽¹⁴⁾ وتركيبها أساسي وقاعدي في البناء اللغوي⁽¹⁵⁾ عماده المسند والمسند إليه يجمعهما رابط أو قرينة معنوية تسمى الإسناد، تجعل كلاً من الركنين الأساسيين متعلقاً بالآخر سواء أكان هذا التعلق بين اسمين أو بين الاسم والفعل⁽¹⁶⁾ ويؤدي الترابط التكاملي فيما بينهما إلى حصول علاقة بيان تؤديها هذه البنية الأساسية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتجاوز تحليلها إلى أقل من العنصرين المذكورين⁽¹⁷⁾. وتعد الجملة الإسنادية الحالية إحدى أنواع الجمل غير المستقلة لارتباطها بما بعدها

وبعد أن تعرفنا على مفهوم الإسناد والجملة الإسنادية غير المستقلة لذاتها، والوظيفة التي تؤديها والشرط الواجب توافره فيها، أرى من الأهمية بمكان معرفة أقسامها من حيث كونها نمطاً تركيبياً بسيطاً أو نمطاً تركيبياً مركباً، أو من حيث كونها تركيباً اسمياً أو فعلياً.

الجملة الإسنادية غير المستقلة لذاتها (ذات التركيب البسيط): هي تركيب يتضمن مسنداً ومسنداً إليه يردان مفردين⁽¹⁸⁾ أي غير مركبين، ولا يكونان معنى مستقلاً⁽¹⁹⁾ فهذه الجملة الإسنادية من حيث الشكل والبناء لا تختلف عن الجملة البسيطة التي تنتهي حدودها في إطار المسند والمسند إليه لفظاً أو تقديراً، لكنها غير مستقلة بذاتها لارتباطها بتركيب سابق ولها وظيفة نحوية تؤديها، وتأتي تركيباً اسمياً أو فعلياً. كما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾⁽²⁰⁾ نلاحظ أن التركيب الإسنادي (وَهُمْ كُفَّارٌ) يشكل جملة إسنادية اسمية ذات نمط تركيب بسيط، مؤلف من

المسند إليه (هم) الذي يسمى مبتدأ، ومن المسند (كفأز) الذي يسمى (خبراً) وعُدَّ هذا التركيب جملة إنشائية غير مستقلة بذاتها لارتباطها بالتركيب السابق ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهذه الجملة الإنشائية الإسمية ذات التركيب البسيط المصدرية بواو الحال (وَهُمْ كُفَّارٌ) هي جملة إنشائية حالية، أي انها ادت وظيفة الحال، وهي في محل نصب 0 واما التركيب ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فلا يُعد جملة إنشائية غير مستقلة ، وإنما يعد جملة إنشائية مستقلة لفظاً ومعنى.

الجملة الإنشائية غير المستقلة لذاتها (ذات التركيب المركب): هي تركيب إنشائي يكون عنصر أو أكثر من عناصره الأساسية جملة إنشائية ذات نمط تركيبى بسيط، شريطة أن يكون هذا التركيب الإنشائي غير مستقل بنفسه، أي أنه مرتبط بما قبله أو بعده، كما في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽²¹⁾ نجد الجملة الإنشائية الاسمية ذات النمط التركيبى المركب - المصدرية بواو الحال ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أدت وظيفة الحال، أي أنها في محل نصب حال⁽²²⁾ وهي مرتبطة بما قبلها وقد ورد أحد عناصرها وهو الخبر (تعلمون) جملة إنشائية فعلية مضارعية مثبتة، مؤلفة من المسند (الفعل) المضارع (تعلم) والمسند إليه الفاعل المتمثل بواو الجماعة (الواو). ولا أريد التوسع في هذه الجملة الإنشائية، لأنها ليست ضمن مدار البحث، وإنما البحث يتناول الجملة الإنشائية الحالية - ذات التركيب البسيط -

ومما تقدم يمكن القول: إن الفرق الجوهرى بين مفهوم الجملة الإنشائية المستقلة والجملة الإنشائية غير المستقلة لذاتها (المرتبطة بما قبلها) ، إنما يعزى إلى توافر شرط الاستقلال أو عدم توفره، لأن طبيعة البنية التركيبية لكل منهما غير مختلفة، إذ أن الجملة الإنشائية المستقلة ذات النمط التركيبى البسيط والجملة الإنشائية غير المستقلة ذات النمط التركيبى البسيط كليهما تتألف من أبسط صورها من مسند ومسند إليه منفردين، كذلك الجملة المستقلة ذات النمط التركيبى المركب، والجملة الإنشائية غير المستقلة لذاتها ذات النمط التركيبى المركب كليهما يتوجب في حدّها الأدنى أن يكون أحد عناصرها جملة إنشائية⁽²³⁾.

الحال في المفهوم اللغوي والاصطلاح النحوي:

الحال في اللغة: ما عليه الإنسان من خير أو شر⁽²⁴⁾ وكلمة الحال تستعمل في اللغة مذكوره ومؤنثه⁽²⁵⁾ فيقال (هذا حال حسن) و (هذه حالة حسنة) ومن التأنيث قول الفرزدق⁽²⁶⁾:

على حالةٍ لو أنّ في القوم حاتماً على جوده ضنت به نفس حاتم

ومن الشواهد على تذكير لفظه، قول المتنبي⁽²⁷⁾:

لا خيلَ عندك تُهدئها ولا مال فليسعد النطق إن لم يُسعد الحال

ومع جواز الأمرين - التأنيث والتذكير في لفظة الحال، فإن التأنيث هو الأفصح في استعمال اللغة العربية⁽²⁸⁾. أما الحال في الاصطلاح النحوي: فهي وصف منصوب فضلة يذكر لبيان هيئة الاسم الذي يكون الوصف له، في وقت وقوع الفعل، ولا فرق بين الوصف مشتقاً من الفعل أو اسماً جامداً في معنى الوصف والمتصف فيه يكون ظاهراً أو مقدرًا، ومعنى كونه فضلة أنه ليس مسنداً ولا مسنداً إليه، وليس معنى فضلة من فضول الكلام ويصح الاستغناء عنها من جهة المعنى، فقد تأتي الحال غير مستغنى عنها⁽²⁹⁾ وأما الاسم الذي تكون منه الحال، فقد تجيء من الفاعل ومن نائب الفاعل، ومن الخبر والمبتدأ، ومن الفاعل والمفعول معاً، وقد تأتي من المفاعيل كلها وليس من المفعول فقط، ولا فرق بين المفعول به أن يكون صريحاً أو مجروراً، وكذلك تأتي من المضاف إليه، لأن الحال كما يرى النحويون هي قيد للفعل، إذ أن وقوع الفعل من فاعله أو على مفعوله يكون بذكر الحال من أحدهما أو منهما مقيداً بهذه الهيئة⁽³⁰⁾. وأما عامل الحال، فهو ما تقدم عليها من فعل أو شبهه أو معناه، فالمقصود بشبه الفعل، الصفات المشتقة من الفعل، وأما المراد بمعنى الفعل فهو اسم الفعل واسم الإشارة، وأدوات التشبيه وأدوات التمني والترجي، وأدوات الاستفهام، وحرف التنبيه، والجار والمجرور، والظرف وحرف النداء. وأما صاحب الحال، فهو ما كانت الحال وصفاً له في المعنى، والأصل فيه أن يكون معرفة، وقد يأتي نكرة ولكن بشروط، منها: أن يتأخر عنها، وأن يسبق بنفي أو استفهام أو أن يخصص بوصف أو إضافة، وأن تكون الحال بعده جملة إسنادية مصدرية بالواو⁽³¹⁾ وترد الحال في التركيب النحوي مفردة، أو جملة إسنادية غير مستقلة لذاتها أو شبه جملة إسنادية⁽³²⁾. وللجملة الإسنادية الحالية مميزات منها، أنها تبين هيئة صاحب الحال وتأتي متعاقبة للحال المفردة (33) وتؤدي دوراً دلالياً وتكون في محل نصب، وتقسم على قسمين:

الأول: الجملة الإسنادية الحالية (ذات التركيب الفعلي البسيط والمركب)

الثاني: الجملة الإسنادية الحالية (ذات التركيب الإسمي البسيط والمركب)

وفي سورة البقرة، وردت الجملة الإسنادية الحالية بنوعها البسيطة والمركبة لكني سأقصر الدراسة على الجملة الإسنادية الحالية البسيطة - ذات التركيب الفعلي والإسمي - مبيّناً أنماطها وبنيتها العميقة وأبرز دلالاتها.

المبحث الأول: الجملة الإسنادية الفعلية (ذات التركيب البسيط)

ويتضمن ما يأتي:

1- أنماط الجملة الإسنادية الفعلية الماضية (ذات التركيب البسيط) :

يرى بعض الدارسين القدامى والمحدثين، أن الجملة الإسنادية، ذات التركيب الفعلي الماضي المؤدية وظيفة الحال، تختلف أنماطها من حيث اثبات الواو وعدمها، أو من حيث استعمال الوحدة اللغوية (قد) وعدم استعمالها، وكذلك من حيث كونها مثبتة أو مؤكدة أو منفية⁽³⁴⁾.

النمط الأول: اجتمع في الجملة الإسنادية الحالية رابطان هما الواو والضمير المتصل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾⁽³⁵⁾ إذ أن الجملة الإسنادية الماضية البسيطة ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ﴾ المؤلفة من (قد) التي تفيد التوكيد، والفعل الماضي (فرض) المبني على السكون، والتاء التي هي ضمير متصل المؤدية وظيفة الفاعل، هي في محل نصب حال، أعني بذلك، إن الوحدة الإسنادية الفعلية الماضية البسيطة ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ﴾ هي جملة إسنادية حالية⁽³⁶⁾ وبنيتها العميقة: (فارضين لمن فريضة)، وقد اجتمع في هذه الوحدة الإسنادية رابطان، هما الواو، والضمير المتصل العائد على صاحب الحال (الفاعل) وهذان الرابطان أدنا أن هذه الجملة الإسنادية الحالية مرتبطة بالجملة الإسنادية المستقلة التي قبلها ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ كذلك إن مجيء (قد) في الجملة الإسنادية، قربت الماضي من حال التكلم⁽³⁷⁾. وأما ثبوتها فيها، لأنه إذا كان مع الماضي المثبت ضمير، فثبوت (قد) أكثر من تركها⁽³⁸⁾ كذلك أن مجيئها في هذا التركيب لغرض تأكيد حصول الفرض قبل المسيس⁽³⁹⁾.

النمط الثاني: غياب (قد) في البنية السطحية، وقد ورد هذا النمط في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ...﴾⁽⁴⁰⁾.

فالجملة الإسنادية الماضية ذات التركيب البسيط ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ جيء بها لتؤدي وظيفة الحال، أي أنها في محل نصب على الحال⁽⁴¹⁾ و (قد) مع الفعل مراده، والعامل (تبرأ)

أي: تبرأوا وقد رأوا العذاب⁽⁴²⁾ والبنية العميقة على رأي الزمخشري، أي: تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب⁽⁴³⁾ لأنها حالة يزداد فيها الخوف والتنصل مما كان سبباً في العذاب⁽⁴⁴⁾ ويرى الألوسي، أن الجملة الإسنادية ذات التركيب البسيط هي حال من الاتباع والمتبوعين، والبنية العميقة لها رأين له، فالواو للحال وقد مضرة⁽⁴⁵⁾ فاضمارها لا يلغي وجودها في البنية العميقة، فهي وإن كانت غائبة في البنية السطحية لكنها في البنية

العميقة حاضرة ومرادة، لأن الأصل أن تكون البنية العميقة لهذه الجملة الإسنادية الماضية: (وقد رأوا العذاب)، يقول الفراء: إن العرب تقول: أتاني ذهب عقله، والمراد، وقد ذهب عقله⁽⁴⁶⁾ وأما مجيء الواو مع الفعل الماضي، فيقول الجرجاني: أن الماضي الواقع حالاً قد يجيء بالواو وبغير الواو، وهو لا يقع حالاً إلا مع قد مضرة أو مقدره⁽⁴⁷⁾ وأما الدلالة التي تكشف عنها الجملة الإسنادية الفعلية الماضية ذات التركيب البسيط التي وقعت حالاً في هذا السياق فهي، التحسر والندم، فهؤلاء يتحسرون على المعاصي التي عملوها ولم ينفكوا عنها، وكذلك يتحسرون على الطاعات التي لم يعملوها وضيعوها⁽⁴⁸⁾. ومنه أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ...﴾⁽⁴⁹⁾ فالجملة الإسنادية الماضية، ذات التركيب البسيط ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ التي حذف منها (قد) المؤكدة، تألفت من الفعل الماضي (أصاب) المبني على الفتح، والفاعل (الكبر) المؤخر عن الفعل وجوباً لأنه جاء اسماً ظاهراً والمفعول ضميراً متصلاً، وعليه فالجملة الإسنادية ذات التركيب البسيط هي جملة إسنادية حالية، أي أنها في محل نصب حال⁽⁵⁰⁾ وأما (قد) وإن حذف من الناحية الشكلية السطحية لكنها مقدره في البنية العميقة، لأن القاعدة النحوية تقول: إن الفعل الماضي إذا وقع حالاً لا بد من (قد) ظاهرة أو مقدره⁽⁵¹⁾ وأما مجيء الواو مع الماضي فهي للحال وليست للعطف، والمعنى: أن تكون له جنة... وقد أصابه الكبر⁽⁵²⁾. أما الدلالة التي تكشف عنها هذه الجملة الإسنادية الماضية، فهي التحسر والتأسف، فالجملة الإسنادية الماضية الحالية، وقعت في سياق المثل الحكائي الذي تمثله الآية الكريمة، لمن يعمل الأعمال الحسنة ولا يبتغي بها وجه الله، فإذا كان يوم القيامة، وجدها محبطة، فيتحسر عند ذلك حسرة، من كانت له جنة من أجمي الجنان وأجمعها للثمار، وأصابه الكبر...⁽⁵³⁾ وتشكل الجملة الإسنادية، أيضاً في سياق هذه الآية انتقاله دلالية من منتهى السعادة إلى منتهى الشقاء، فحال الخاسر في ذلك اليوم كحال الرجل الهرم الذي أصابه الكبر ولم يستطع أن يحقق ما يريد⁽⁵⁴⁾.

النمط الثالث: وقد ورد الفعل الماضي (المسند) في الجملة الإسنادية مبنياً للمجهول، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا﴾⁽⁵⁵⁾ فالجملة الإسنادية الماضية - ذات التركيب البسيط (وقد أُخْرِجْنَا) المؤلفة من الوحدة اللغوية التي تفيد التوكيد، (قد) والفعل الماضي المبني للمجهول (أُخْرِجَ) ونائب الفاعل المتمثل في الضمير (نا)، هي جملة إسنادية حالية، أي أنها في محل نصب حال⁽⁵⁶⁾ وبنيتها العميقة: (وما لنا أَلَّا نقاتل مخرجين من ديارنا)⁽⁵⁷⁾ وصاحب الحال، الضمير في الفعل (نقاتل)

والعامل (نقاتل). إن دخول (قد) المفيدة للتوكيد على الفعل الماضي الذي وقع حالاً، هو واجب عند البصريين إلا الأخفش، سواء أكانت ظاهرة أم مقدرة⁽⁵⁸⁾ وأما التوظيف الدلالي لهذه الجملة الإسنادية، فيسير في اتجاهين متقاربين، الأول لغوي، فالخروج في اللغة، تعني: النفاذ عن الشيء، والانتقال إلى مقر آخر، أو حالة أخرى⁽⁵⁹⁾ والثاني سياقي، تعني السبي والقهر والاذلال، لأنهم أخذ بعضهم وأبناؤهم سبايا مقهورين أذلاء، بعد أن كانوا أعزاء في ديارهم، وأما التحول الحاصل في بناء الجملة الإسنادية من المعلوم إلى المجهول المتمثل بحذف الفاعل الذي لم يذكر، أما لظلمه وجوره، أو أنهم علموا بما أصابهم، إنما كان بذنوبهم، فالمراد هنا مقام دم وتوبيخ لأنهم تقاعسوا في بداية الأمر عن القتال، فاعرضوا عنه وضيعوا أمر الله تعالى⁽⁶⁰⁾.

النمط الرابع: وفيه ورد الفعل الماضي المسند يحمل معنى النفي، والمسند إليه ضميراً مستتراً جوازاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾⁽⁶¹⁾ تلحظ أن الجملة الإسنادية الماضية ذات التركيب البسيط (أبي) المؤلفة من الفعل الماضي المبني على الفتح المقدر والفاعل المستتر جوازاً، لأنه أسند إلى الواحد الغائب، المقدر ب (هو) فالفاعل إن لم يكن موجوداً في البنية السطحية فهو مقدرٌ في البنية العميقة، تابعة من البنية الأساسية للجملة المقررة أن الفعل لا بد له من فاعل. فالجملة الإسنادية الماضية (أبي) ذات التركيب البسيط، هي جملة إسنادية حالية، أي أنها في محل نصب حال⁽⁶²⁾ والبنية العميقة لها: آبياً ومستكبراً⁽⁶³⁾ أي، حال كونه رافضاً للأمر ومستكبراً له كافرأ به⁽⁶⁴⁾ أما دلاليًا، فقد جيء بالفعل الماضي الذي وقع حالاً لغرضين: الأول: تأكيد الأخبار عنه بالمخالفة، والثاني: لأنه يحمل معنى النفي، فاستعمل في هذه الجملة الإسنادية، لأنه أكثر ابلاغاً في النفي، فأبي زيد الظلم هي أبلغ من - لم يظلم - لأن نفي الشيء عن الشخص قد يكون لعجز أو غيره ولكن إذا قلت: أبي زيدٌ كذا، دل على نفي ذلك على طريق الامتناع والأنفة منه، فلذلك جاء قوله تعالى: ﴿أَبَى﴾ لأن استثناء إبليس لا يدل إلا على أنه لم يسجد، فلو اقتصر عليه لجاز أن يكون تخلفه عن السجود لأمر غير الإباء، فنص على سبب كونه لم يسجد وهو الإباء والأنفة⁽⁶⁵⁾.

2- أنماط الجملة الإسنادية المضارعية (ذات التركيب البسيط) وهي على قسمين:

الأول: أنماط الجملة الإسنادية المضارعية المثبتة (ذات التركيب البسيط)

النمط الأول: كما في قوله تعالى: ﴿... اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾⁽⁶⁶⁾ فالجملة الإسنادية المضارعية المثبتة ذات التركيب البسيط (يعمهن) المؤلفة من الفعل المضارع (يعمه) وفاعله الضمير المتصل (الواو) هي جملة إسنادية حالية، أي أنها في محل نصب على الحال، من الهاء والميم في (يمدهم) والفاعل فيها الفعل (يمد) والبنية العميقة لها: يمدهم عمهين أو عامهين⁽⁶⁷⁾ أي متحيرين ومترددتين عن الصواب لا رأي لهم ولا دراية في التوجه⁽⁶⁸⁾. وأنهم أعرضوا عن الحق فتحيروا به⁽⁶⁹⁾. وأما عدم مجيء واو الحال مع الفعل المضارع، لأنه ورد مثبتاً⁽⁷⁰⁾ وأما الدلالة التي تكشف عنها هذه الجملة الإسنادية الحالية، في سياق هذه الآية، فهي التوبيخ والذم، أي توبيخهم وذمهم على سلوكهم المنحرف ونفاقهم بتكذيبهم واعتقادهم أنه صلى الله عليه وآله وسلم - لا يجب الاعتقاد بنبوته⁽⁷¹⁾.

النمط الثاني: وفيه يكون العامل معنى الإشارة .

كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ...﴾⁽⁷²⁾. فالجملة الإسنادية المضارعية المثبتة - ذات التركيب البسيط - (نتلوها) المؤلفة من: الفعل المضارع المثبت (نتلو) والفاعل المضمرة جوازاً المقدر بـ (نحن)، والضمير المتصل بالفعل (الهاء) الذي هو في محل نصب مفعول به. هي جملة إسنادية حالية، أي أنها: في موضع الحال، من صاحب الحال (آيات) ⁽⁷³⁾ والعامل معنى الإشارة، والبنية العميقة لهذه الجملة الإسنادية (متلوة عليك بالحق)⁽⁷⁴⁾ قصص بني اسرائيل التي تمثل آيات عظيمة لا كذب فيها ولا انتحال، وأما دلاليًا، فإن مجيء الجملة الإسنادية المضارعية المثبتة التي وضعت موضع الحال في سياق هذه الآية، كان لغرض الترغيب والحث على القتال في سبيل الله، وأن القلة بإمكانها أن تغلب على الكثرة إذا حكمت العقل، فضلاً عن أخذ العبرة والموعظة من قصص بني اسرائيل في تحاذلهم وتقاعسهم عن القتال، وعدم وثوقهم بالله وبالأنبياء الذين بعثوا إليهم. وهذه المواقف بمثابة تحذير للمؤمنين بأن لا يسلكوا المسلك الذي سار عليه بنو اسرائيل⁽⁷⁵⁾.

النمط الثالث: الذي يتعدد فيه العامل وصاحب الحال، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾⁽⁷⁶⁾. فالجملة الإسنادية المضارعية

المثبتة، ذات التركيب البسيط (بخادعون) المؤلفة من الفعل المضارع (بخادع) والفاعل المتمثل بالضمير المتصل (الواو)، هي جملة إسنادية حالية، أي أنها في محل نصب على الحال⁽⁷⁷⁾ وصاحب الحال والفاعل فيه وجهان: الأول: هي حال من الضمير في يقول، فيكون العامل فيها (يقول) والبنية العميقة لها: يقول آمنا بخادعين الله والذين آمنوا، والثاني: حال من الضمير في قوله (بمؤمنين)، والعامل فيها اسم الفاعل، وعليه تكون البنية العميقة، وما هم بمؤمنين في حال خداعهم، ولا يجوز أن تكون من موضع الصفة (المؤمنين) لأن ذلك يوجب نفي خداعهم، والمعنى اثبات الخداع ولا يجوز أن تكون الجملة الإسنادية حال من الضمير في (آمنا)، لأن (آمنا) محكي عنهم بـ (يقول) فلو كان (بخادعون) حالاً من (آمنا) لكانت محكية أيضاً وهذا محال⁽⁷⁸⁾ ويرى ابن الأنباري، إن صاحب الحال (مَنْ) .⁽⁷⁹⁾ وأما أبرز الدلالات التي تكشف عنها الجملة الإسنادية في سياق هذه الآية فهي الذم والتوبيخ، لأنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان ويبطنون الكفر⁽⁸⁰⁾.

النمط الرابع: تعدد الجملة الإسنادية - ذات الفعل المضارع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ...﴾⁽⁸¹⁾. وردت في هذه الآية الكريمة أكثر من جملة إسنادية مضارعية، منها قوله (يسومونكم) المؤلفة من الفعل المضارع (يسوم) والفاعل الضمير المتصل (الواو) والكاف ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، والجملة الإسنادية المضارعية (يسومون) جملة إسنادية حالية، أي أنها في محل نصب على الحال⁽⁸²⁾ وصاحب الحال (آل فرعون)، والبنية العميقة لها: وإذ نجيناكم من آل فرعون سائمين لكم⁽⁸³⁾، ومنها أيضاً في قوله (يدبِّحون) المؤلفة من الفعل المضارع (يدبِّح) والضمير المتصل بالفعل (الواو) المؤدي وظيفة الفاعل، هي في محل نصب على الحال أيضاً⁽⁸⁴⁾ من الضمير (الواو) في يسومونكم⁽⁸⁵⁾ والبنية العميقة لها: مذبحين أبناءكم⁽⁸⁶⁾.

وأما الدلالات المنتجة من قبل استعمال هاتين الجملتين الإسناديتين، في سياق الآية الكريمة، فيمكن تبيّنها على النحو الآتي:

الأولى: الذم والتوبيخ من خلال تذكيرهم بما جرى عليهم في الماضي من قبل آل فرعون وتخليصهم منهم

والثانية: تتعلق بالفعلين المضارعين الذين استعمالا في الجملتين الإسناديتين.

فالفعل المضارع (يسوم) الذي يحمل معنى السومة، وهي العلامة التي تجعل في الشيء⁽⁸⁷⁾ ولكثرة مزاولتهم للأعمال الشاقة التي فرضت عليهم من قبل آل فرعون حتى صارت لهم علامة على جلودهم وملابسهم،

يعرفون من خلالها، وتعد هذه صورة من صور الإذلال بحقهم التي كانت تمارس ضدهم آنذاك⁽⁸⁸⁾. وأما الفعل المضارع (يذبحون) الذي يدل على التكرير في الحدث والتجدد والاستمرار فيه، جاء موازياً مع العادة السائدة عند قوم فرعون في ذلك الوقت المتمثلة بذبح الأبناء وقتلهم⁽⁸⁹⁾. وعليه يمكن القول: إن مجيء الحال على صيغة المضارع المثبت الذي يحمل دلالة التجدد والاستمرار في الحدث هي أكثر ابلاغاً وقوة وتأكيذاً وثباتاً في تصوير المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي، فالدلالة اللغوية للفعل تسير جنباً إلى جنب مع الدلالة السياقية في تصوير الحدث.

الثاني: أنماط الجملة الإسنادية المضارعية المنفية (ذات التركيب البسيط)

النمط الأول: ورد النفي بـ (لا) كما في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ...﴾⁽⁹⁰⁾ فالجملة الإسنادية المضارعية المنفية (لا يستطيعون) المؤلفة من الفعل المضارع (لا يستطيع) المنفي بلا - والفاعل المتمثل بالضمير المتصل (الواو). هي جملة إسنادية مضارعية حالية، أي أنها في محل نصب على الحال، من صاحب الحال، الضمير (الواو) في احصروا⁽⁹¹⁾ والبنية العميقة لها: غير مستطيعين ضرباً في الأرض⁽⁹²⁾، ويبدو أن الجملة الإسنادية المضارعية المنفية التي وقعت حالاً فيها تأكيد ضمنى للعامل (احصروا) والذي يحقق هذا الغرض هو المفهوم اللغوي للحصر الذي يعني المنع أو الحبس⁽⁹³⁾ وعدم استطاعة هؤلاء تعني أنهم منعوا أنفسهم بالتصرف بالتجارة أو غيرها، لأنهم ألزموا أنفسهم أمر الجهاد في سبيل الله والتعلم والعبادة⁽⁹⁴⁾. وأما سياقياً، فالجملة الإسنادية المضارعية المنفية التي أدت وظيفة الحال، تحمل دلالة الترغيب على إعطاء الصدقات ومن هؤلاء المفضلين الفقراء الذين احصروا أنفسهم في سبيل الله ولا يستطيعون ضرباً في الأرض، فاستعمل القرآن الكريم أبلغ وجوه الترغيب للوصول إلى هذا المقصد⁽⁹⁵⁾.

النمط الثاني: الذي ورد فيه النفي بـ (لا) بعد (أن) الزائدة كما في قوله تعالى: ﴿... وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾⁽⁹⁶⁾ فالجملة الإسنادية المضارعية المنفية (ألا نقاتل) المؤلفة من (أن الزائدة)، وهي تزداد في هذا المعنى كثيراً، ومعناه: وما لنا لا نقاتل، فاعملت (أن) وهي زائدة، كما اعملت (من) وهي زائدة، كما قال: ما أتاني من أحد⁽⁹⁷⁾. والفعل المضارع المنفي بلا (لا نقاتل) والفاعل المضمرة المتمثل بـ (نحن)، هي جملة إسنادية حالية، أي أنها وضعت في موضع الحال، وبنيتها العميقة: ما لنا غير مقاتلين⁽⁹⁸⁾ وعدم مجيء الواو في مثل هكذا جملة إسنادية مضارعية مرجعه إلى أن النحاة يحملون المضارع المنفي بـ لا - على (الوصف) اسم الفاعل المضاف إلى (غير) فيجري مجراه في الاستغناء عن هذه الواو. فكما لا يقال: وما لنا

ولا نقاتل، فلا يقال: ما لنا وغير مقاتلين⁽⁹⁹⁾. فكما لا يؤتى بالواو في البنية السطحية، كذلك لا يؤتى بها في البنية العميقة، وقد سُبقت هذه الجملة الإسنادية المضارعية المنفية، بتركيب استفهامي، مؤلف من (ما) الإستفهامية التي أدت وظيفة المبتدأ، وشبه الجملة الإسنادية (الجار والمجرور) والمجرور هو صاحب الحال، ويلاحظ ان الجملة الإسنادية التي وقعت حالاً، لا يمكن الاستغناء عنها، فهي لازمة الذكر، إذ بدونها يختل المعنى المراد نقله إلى المتلقي، لأن هذا الاستفهام متضمن انكار ما استفهم عن علته ومن ثم ينبغي أن يوجد مقابلة⁽¹⁰⁰⁾ بمعنى أن الاستفهام منصب عن العلة الموجبة لتلك الحال، فهو موضع الإنكار⁽¹⁰¹⁾ فكان لا بد من وجود الجملة الإسنادية الحالية في هذه الآية.

النمط الثالث: ترد فيه الجملة الاسنادية المضارعية المنفية مؤكدة لما قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾⁽¹⁰²⁾ فالجملة الإسنادية المضارعية المنفية - ذات التركيب البسيط - (لا يبصرون) المؤلفة من الفعل المضارع المنفي ب - لا - (لا يبصر) والفاعل المتمثل (بواو) الجماعة، هي جملة إسنادية حالية، أي أنها في محل نصب على الحال⁽¹⁰³⁾. وصاحب الحال، الهاء والميم (هم) في (وتركهم) والبنية العميقة: تركهم في ظلمات غير مبصرين⁽¹⁰⁴⁾ ومعنى الفعل (تركهم) هنا صيرهم، وليس معناه أهملهم، وعلى هذا فالفعل يتعدى إلى مفعولين، الأول: هو (الهاء) في تركهم، والثاني (في ظلمات) والجملة الإسنادية المضارعية المنفية (لا يبصرون) حالية⁽¹⁰⁵⁾، وهي مؤكدة لما قبلها، لأن من كان في الظلمة لا يبصر⁽¹⁰⁶⁾ وتدل أيضاً على أنها ظلمة مبهمه لا يتراءى فيها شبحان⁽¹⁰⁷⁾.

المبحث الثاني: الجملة الإسنادية الإسمية (ذات التركيب البسيط)

ويتضمن ما يأتي:

1- أنماط الجملة الإسمية المؤكدة (ذات التركيب البسيط)

النمط الأول: استعمال الجملة الإسنادية الإسمية المؤدية وظيفة الحال مؤكدة لعاملها. كما في قوله تعالى: ﴿... ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾⁽¹⁰⁸⁾. إنَّ الجملة الإسنادية الإسمية- ذات التركيب البسيط - (وأنتم معرضون) المؤلفة من المبتدأ الضمير المنفصل (أنتم) والخبر (معرضون) هي جملة إسنادية حالية، أي أنها في محل نصب على الحال⁽¹⁰⁹⁾ من صاحب الحال، الفاعل المتمثل في التاء في (توليتهم) والعامل الفعل (تولّى)، والبنية العميقة لها: تولوا عنه معرضين⁽¹¹⁰⁾ وهنا وجبت واو الحال⁽¹¹¹⁾ ولم يصح امتناعها⁽¹¹²⁾ لأنها وردت مؤكدة لعاملها المتمثل في التولي (توليتهم). وقد اجتمع في هذه الجملة الإسنادية المؤدية وظيفة الحال

رابطان، هما الضمير (أنتم) العائد على صاحب الحال، والواو - لأنَّ الحال تجيء فضلة بعد تمام الكلام فأحتيج إلى فضل ربط، فصدرت الجملة⁽¹¹³⁾ التي أصلها الاستقلال بما هو موضوع للربط الذي هو الواو⁽¹¹⁴⁾ لتؤذن من أول الأمر ان الوحدة الإسنادية لم تبق على الاستقلال⁽¹¹⁵⁾ فالواو هنا لها وظيفة أساسية هي الربط بين التركيب الإسنادي (الجملة الأساسية) وهذه الجملة الإسنادية الإسمية. فضلاً عن ذلك فإن الجملة الإسنادية الإسمية (وأنتم معرضون) جاءت مؤكدة للجملة الأساسية (توليتهم) لأن التولي والإعراض يحملان معنى واحداً هو التوكيد⁽¹¹⁶⁾ كذلك أن تصدر الضمير (أنتم) للجملة الإسنادية الإسمية، لأنه أدل على التوكيد، ومجيء خبرها اسماً لأنه ادل على الثبوت، فكأنه قيل: وأنتم من عادتكم الإعراض عن الحق والتولية عنه⁽¹¹⁷⁾ وفي المواجهة باستعمال الضمير المنفصل (أنتم) فيه تقييح لفعلهم ولكونهم ارتكبوا ذلك الفعل القبيح الذي من شأنه أن لا يقع⁽¹¹⁸⁾.

النمط الثاني: في هذا النمط وردت بعد الجملة الإسنادية الإسمية الواقعة حالاً، حال مؤكدة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾⁽¹¹⁹⁾. فالجملة الإسنادية الإسمية ذات التركيب البسيط (وهو الحق) المؤلفة من الضمير المنفصل (هو) المبتدأ، والخبر (الحق) هي جملة إسنادية حالية، أي أنها في موضع الحال⁽¹²⁰⁾ من صاحب الحال، الفاعل الضمير (الواو) في يكفرون، والعامل فيها (يكفر)، ويجوز أن يكون العامل معنى الاستقرار الذي دلت عليه (ما)، إذ التقدير: بالذي استقر وراءه⁽¹²¹⁾ والبنية العميقة لها: المعروف بالحقيقة، يخص به اسم الحق على الإطلاق⁽¹²²⁾ والملاحظ أن هذه الجملة الإسنادية اشتملت على ربط وهو واو الحال⁽¹²³⁾ وأما الضمير (هو) فليس رابطاً لأنه ليس ضمير صاحب الحال، وصاحب الحال كما ذكرنا قبل قليل هو الضمير (الواو)، وقد وردت بعد هذه الجملة الإسنادية الإسمية التي أدت وظيفة الحال، حال مفردة مؤكدة لها وهي (مصدقاً)، يقول ابن الأنباري: نصب مصدقاً على الحال من (الحق) والعامل فيها مضمون الجملة الإسنادية وهذه الحال حال مؤكدة، ولولا إنها مؤكدة لما جاز أن يعمل فيها معنى الجملة (الجملة الإسنادية) ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال: هو زيد قائماً، لأن زيدا قد يفارق القيام، وهو بحاله، و(الحق) لا يجوز أن يفارق التصديق لكتب الله، ولو فارق التصديق لها، لخرجت عن أن تكون حقاً⁽¹²⁴⁾ وهذا التأكيد يدل أن تصديق القرآن لازم لا ينتقل⁽¹²⁵⁾.

النمط الثالث: ورد العامل في الجملة الإسنادية، متعدياً إلى اثنين الأول ظاهر في البنية السطحية والثاني محذوف مقدر في البنية العميقة، والجملة الإسنادية مؤكدة لما قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُومُ الْعِجْلُ

مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٦﴾ فالجملة الإسنادية الإسمية - ذات التركيب البسيط - (وأنتم ظالمون) المؤلفة من المبتدأ، الضمير المنفصل (أنتم) والخبر (ظالمون) هي جملة إسنادية حالية، أي أنها في موضع الحال⁽¹²⁷⁾ من صاحب الحال الضمير (التاء) في اتخذتم، والعامل (اتخذ) متعدٍ إلى اثنين، الأول (العجل)، والثاني، محذوف، تقديره في البنية العميقة (إلهاً)⁽¹²⁸⁾ والبنية العميقة للجملة الإسنادية: اتخذتم العجل ظالمين بعبادته، أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة في غير موضعها⁽¹²⁹⁾ كذلك أن الجملة الإسنادية الإسمية، هي حال مؤكدة لما قبلها، جيء بها لغرض التوبيخ والتهديد، وهي جارية مجرى القرينة على ارادة العبادة من الاتخاذ، وفيها تعريض بأنهم صرفوا العبادة عن موضعها الأصلي إلى غير موضعها، وإيهام المبالغة من حيث أن اطلاق الظلم يشعر بأن عبادة العجل كل الظلم وإن من ارتكبها لم يترك شيئاً من الظلم⁽¹³⁰⁾.

النمط الرابع: فقد وردت الجملة الإسنادية الإسمية الحالية، مؤكدة بأسلوب الحصر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽¹³¹⁾ فالجملة الإسنادية الإسمية - ذات التركيب البسيط - (وأنتم مسلمون) المؤلفة من المبتدأ، الضمير المنفصل (أنتم) والخبر (مسلمون) هي في محل نصب على الحال⁽¹³²⁾، وبنيتها العميقة - مسلمين - أي: لا تموتن إلا مسلمين، قال الزجاج، معناه: إرموا الإسلام فإذا ادرككم الموت صادفكم مسلمين⁽¹³³⁾ ويرى الزمخشري أن معناه: فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام⁽¹³⁴⁾، ولعل الأمر يتضح جلياً أكثر إذا حذفنا مكوفي أسلوب القصر (لا النافية + أداة الحصر - إلا -) إذ تُصبح الجملة الفعلية: تموتن وأنتم مسلمون، والبنية العميقة: تموتون مسلمين، وقد اجتمع في الجملة الإسنادية الحالية (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) رابطان، هما: الواو، والضمير (أنتم) معاً، وأما الدلالة التي تنتجها هذه الجملة الإسنادية في سياق هذه الآية الكريمة، فهي: الترغيب في الوصية عند الموت⁽¹³⁵⁾ وفي الوقت نفسه التحذير، أي: موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه وإن حقه أن لا يحل بهم وأن يحذروه غاية الحذر⁽¹³⁶⁾.

- النمط الخامس: في هذا النمط وردت الجملة الإسنادية الإسمية التي وقعت موقع الحال، مجردة من الواو - وقد تقدم المسند (الخبر) على المسند إليه (المبتدأ)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾⁽¹³⁷⁾. فالجملة الإسنادية الإسمية ذات التركيب البسيط (فيه سكينَةٌ) المؤلفة من المبتدأ المؤخر (سكينَةٌ) والخبر المقدم على نية التأخير (فيه) هي في محل نصب على الحال، من صاحب الحال (التابوت)⁽¹³⁸⁾ والبنية العميقة لها: كائناً فيه سكينَةٌ⁽¹³⁹⁾، أي: في اتبانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من

ربكم أو في التابوت⁽¹⁴⁰⁾. وأما امتناع مجيء الواو، لأنّ الجملة الإسنادية الإسمية التي وقعت موقع الحال مؤكدة لما قبلها والسكينة في هذا السياق لها وظيفة بيانية، فضلاً عن حملها دلالة نفسه، فهي كناية عن التباس بطمأنينة الإيمان واستقرار ذلك في قلوبهم⁽¹⁴¹⁾.

2- أنماط الجملة الإسنادية الإسمية المنفية (ذات التركيب البسيط)

وهي على النحو الآتي:

النمط الأول: النفي بـ (ما) العاملة عمل ليس، كما في الآية الكريمة التي تبين حال المنافقين⁽¹⁴²⁾ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁴³⁾. فالجملة الإسنادية الإسمية المنفية بـ ما - (وما هم بمؤمنين) المؤلفة من حرف النفي (ما) والضمير المنفصل (هم) المبتدأ على لغة بني تميم، أو اسم ما على لغة أهل الحجاز، والخبر (بمؤمنين) المجرور لفظاً بحرف الجر (باء) الزائدة للتوكيد، المرفوع محلاً على لغة بني تميم المنصوب محلاً على لغة أهل الحجاز، هي في محل نصب على الحال⁽¹⁴⁴⁾ من صاحب الحال (نا) في آمنة، والبنية العميقة: مؤكداً عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر⁽¹⁴⁵⁾، وقد اجتمع فيها رابطان: واو الحال، والضمير العائد على صاحب الحال المتمثل بالضمير (نا) في الفعل (آمنوا). وأما القصد من وراء استعمال النفي، فقد بيّنه الزمخشري قائلاً ((القصد من النفي والإنكار إلى ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته))⁽¹⁴⁶⁾. إنّ الأصل في الجملة الإسنادية (ما آمنوا) ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل، لكنه عكس ذلك إلى (وما هم بمؤمنين) تأكيداً ومبالغة في التأكيد، لأن إخراج ذواتهم وانفسهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان بشيء⁽¹⁴⁷⁾ وبتعبير آخر، إن إنكار ما ادعوه ونفيه فيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره، وهو إخراج أنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان⁽¹⁴⁸⁾ وهناك معنى آخر من وراء استعمال النفي في هذه الجملة الإسنادية الإسمية الحالية، هو: إن هؤلاء ما هم بمستعدين للهداية إلى الإيمان الحقيقي لأنهم في غاية الغفلة والخذلان⁽¹⁴⁹⁾.

النمط الثاني: النفي بـ لا - النافية للجنس، كما في قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا...﴾⁽¹⁵⁰⁾ فالجملة الإسنادية الإسمية المنفية، ذات التركيب البسيط (لا انفصام لها) المؤلفة من - لا - النافية للجنس، واسمها (انفصام) وخبرها، الجار والمجرور (لها) المتعلق بخبر - لا - المحذوف، المقدر في البنية العميقة بـ حاصل لها. هي جملة إسنادية حالية، أي أنّها في محل نصب على الحال⁽¹⁵¹⁾ من صاحب الحال العروة، ويجوز من الضمير المستكن في الوثقى⁽¹⁵²⁾.

وعاملها: استمسك⁽¹⁵³⁾ وامتنع مجيء واو الحال في هذه الجملة الإسنادية لأنها مؤكدة لمضمون جملة قبلها. وأما التوظيف الدلالي لهذه الجملة الإسنادية الحالية، في سياق هذه الآية، القرآنية، فقد كان لغرضين: الأول: التوكيد، أي لتوكيد معنى العروة الوثقى لأن لا انفصام لها، أي لا انقطاع لها، بمعنى، كما لا ينقطع أمر من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع من تمسك بالإيمان⁽¹⁵⁴⁾.

الثاني: هو تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع، كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده، والتيقن به، ومما ذكر يتبين: أن الجملة الإسنادية وقعت ضمن تصوير بياني جرى مجرى المثل، بإخراج ما لا يقع به الإحساس إلى ما يقع به⁽¹⁵⁵⁾. وإما الفخر الرازي، فيرى: أن المقصود من وراء استعمال لفظ (لا انفصام لها) هو المبالغة في المعنى، لأنه إذا لم يكن لها انفصام فإن لا يكون لها انقطاع أولى⁽¹⁵⁶⁾ ومن الشواهد أيضاً على استعمال الجملة الإسنادية الإسمية المنفية التي وضعت موضع الحال، قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾⁽¹⁵⁷⁾ إن الجملة الإسنادية الإسمية - ذات التركيب البسيط المنفي (لا ريب فيه) المؤلفة من - لا - النافية للجنس، واسمها المبني على الفتح (ريب) وخبرها (فيه) الجار والمجرور المتعلق بمحذوف، المقدر في البنية العميقة: لا ريب كائن فيه، هي محل نصب على الحال⁽¹⁵⁸⁾ من صاحب الحال (الكتاب)، والعامل معنى الفعل في اسم الإشارة⁽¹⁵⁹⁾ والبنية العميقة للجملة الإسنادية الإسمية المنفية (لا ريب فيه) أي غير مريب فيه، بمعنى مبرأ من الريب⁽¹⁶⁰⁾ أي، أن هذا الكتاب حقاً أو غير ذي شك⁽¹⁶¹⁾. وقد تكون البنية العميقة لهذه الجملة الإسنادية الخبرية بنيه طلبية بمعنى النهي، أي لا ترتابوا فيه⁽¹⁶²⁾ وأما امتناع مجيء واو الحال في هذه الجملة الإسنادية، لأنها حال مؤكدة لمضمون جملة ما قبلها⁽¹⁶³⁾.

وأما الغرض الدلالي من وجود هذه الجملة الإسنادية الإسمية - ذات التركيب البسيط المنفي التي أدت وظيفة الحال، هو توكيد المعنى أي توكيد كمال الكتاب في الهداية والصدق، يقول الجرجاني: إن هذا المعنى لو ادترته في نفسك تجده يؤدي إلى توكيد كماله في الهداية، لأنه ما دام قد نفى عنه الريب والتبس بالنفي كان مظنة التأثير والسيطرة على القلوب التي استيقنته⁽¹⁶⁴⁾ ويضيف الجرجاني أيضاً أن ((قوله (لا ريب فيه) هو بيان وتوكيد وتحقيق لقوله (ذلك الكتاب) وزيادة تثبيت له وبمزملة أن تقول: (هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب) فتعيد مرة ثانية لتثبته))⁽¹⁶⁵⁾ كذلك ان دلالة النفي فيه شاملة ومستغرقة بكل ما تحمله كلمة (ريب) من معنى⁽¹⁶⁶⁾ وهذا يدل أن قوله (لا ريب فيه) أبلغ في الوضوح إلى حيث لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه⁽¹⁶⁷⁾.

الخاتمة

بعد أن شارف البحث على الانتهاء، لا بدّ من خاتمة تبيّن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

- غياب (قد) في البنية السطحية للجملة الإسنادية الحالية لا يلغي وجودها في البنية العميقة، فهي حاضرة ومراده، وهذا ما ذهب إليه أكثر الدارسين القدامى، منهم: الفراء، والزحشري، والجرجاني، والعكبري، ورضي الدين الاستراباذي، وأبو حيان الأندلسي، وابن هشام الأنصاري. ودخولها على الفعل الماضي واجب عند البصريين إلا الأخفض، سواء أكانت ظاهرة أم مقدره، وكانت في المواضع التي ورد فيها الفعل الماضي الواقع حالاً، غائبة في البنية السطحية، لكنها حاضرة في البنية العميقة، كما في الآية القرآنية الكريمة: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ آية/166، والتقدير: وقد رأوا العذاب.

- إنّ الدلالة التي أنتجتها الجملة الإسنادية الحالية - ذات التركيب الفعلي الماضي البسيط - التي وقعت في سياق المثل الحكائي (القرآني) (وأصابه الكبر) هي: التحسر والتأسف، فحال الخاسر ذلك اليوم كحال

- الرجل الهرم الذي أصابه الكبر، فكان في الدنيا يمتلك أبحى الجنان، لكنه لا يستطيع أن يجني ثمارها بسبب الحالة التي وصل إليها، وهذه الحالة تمثل انتقاله دلالية من منتهى السعادة إلى منتهى الشقاء.
- الترغيب في القتال والحث عليه، وأخذ العبرة والموعظة، والتحذير، دلالات أنتجتها الجملة الإسنادية المضارعية المؤدية وظيفه الحال في سياق الآية القرآنية الكريمة ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ آية/252. فالغرض من تسييق الجملة الإسنادية المضارعية (نتلوها) في الآية الكريمة، هو أخذ العبرة والموعظة من قصص بني اسرائيل الذين تخاذلوا وتقايسوا عن القتال، بسبب عدم وثوقهم بالله وبالأنبياء الذين بعثوا إليهم، كذلك أن تلاوة الآيات أو القصص، فيها ترغيب على القتال والحث عليه، وتُعد أيضاً في الوقت نفسه تحذيراً للمؤمنين بأن لا يسلكوا سلوك بني اسرائيل.

- أنّ الدلالة اللغوية للفعل المضارع المثبت (يدبّحون) تسيير جنباً إلى جنب مع الدلالة السياقية له، فالفعل المضارع يحمل دلالة التجدد والاستمرار والتكثير في الحدث - وهذه المعاني جاءت موازية مع الدلالة السياقية له، التي كشفت عنها الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ...﴾ الآية/49، فحالة ذبح الأبناء وقتلهم كانت سائدة ومستمرة عند قوم فرعون في ذلك الوقت وهي عادة سلوكية اجتماعية منحرفة، وعليه يمكن القول: إن مجيء الحال على صيغة المضارع

المثبت الذي يحمل دلالة التأكيد والتجدد والاستمرار في الحدث هي أكثر ابلاغاً وقوة وتأكيذاً واثباتاً في تصوير المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي.

● الجملة الإسنادية الإسمية الحالية التي وقعت ضمن أسلوب القصر الذي يفيد التوكيد، كشفت عن دلالتين، هما: الترغيب والتحذير، كما في الآية الكريمة: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ الآية/132، فالجملة الإسنادية الإسمية (وانتم مسلمون) ومن خلال ارتباطها بالجملة الإسنادية الفعلية التي قبلها، تدل على الترغيب بالوصية قبل الموت، وفي الوقت نفسه تمثل تحذيراً للمؤمنين، بأن موتهم لا على الإسلام لا خير فيه، وإن حقه أن لا يحل بهم وأن يكونوا على حذر من ذلك.

● ساهمت الجملة الإسنادية الإسمية المنفية التي وضعت موضع الحال في انتاج الدلالة البيانية من خلال وجودها ضمن سياق الآية القرآنية: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ الآية/255، فقد وردت الجملة الإسنادية الإسمية المنفية (لا انفصام لها) التي أدت وظيفة الحال ضمن تصوير بياني جرى مجرى المثل بإخراج ما لا يقع به الإحساس إلى ما يقع به، فهي تمثل للمعلوم بالنظر الاستدلال بالمشاهد المحسوس لكي يتصوره المتلقي تصويراً بصرياً، كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده ليتيقن به.

● إن عدم مجيء واو الحال مع الفعل المضارع المنفي الواقع ضمن الجملة الإسنادية الحالية، مرجعها إلى أن النحاة يحملون المضارع المنفي ب - لا - على الوصف (اسم الفاعل) المضاف إلى (غير) فيجري مجراه في الاستغناء عن هذه الواو، فكما لا يقال: وما لنا لا نقاتل - كذلك لا يقال: وما لنا غير مقاتلين، فكما لا يؤتى بالواو في البنية السطحية كذلك لا يؤتى بها في البنية العميقة.

● يسجل في الجملة الإسنادية المضارعية المثبتة التي أدت وظيفة الحال، تعدد صاحب الحال والفاعل، وقد ورد هذا التعدد في بعض المواضع كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا... الآية/8-9، فالجملة الإسنادية المضارعية المؤدية وظيفة الحال (يُخَادِعُونَ) تعدد فيها صاحب الحال والفاعل: الأول: يمكن أن تكون الجملة الإسنادية حال من الضمير في يقول، فيكون العامل فيها (يقول)، والبنية العميقة: يقول آمنا مخادعين الله والذين آمنوا والثاني: يمكن أن تكون حال من الضمير في (بمؤمنين) فيكون العامل فيها اسم الفاعل، والبنية العميقة: وما هم بمؤمنين في حال خداعهم، ويجوز أن يكون صاحب الحال (مَنْ) وهذا ما ذهب إليه ابن الأنباري.

الهوامش

- (1) معجم مقاييس اللغة، مادة (سند): 471
- (2) ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني: 23
- (3) ينظر: شرح تلخيص المفتاح، للتفتازاني: 30
- (4) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي: 642/3
- (5) التعريفات: 132
- (6) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش: 20/1
- (7) ينظر: بناء الجملة العربية، د. محمد عبد اللطيف حماسة: 95
- (8) ينظر: المصدر نفسه
- (9) ينظر: شرح المفصل، لابن يعيش: 74/1
- (10) ينظر: الارتباط والربط في الجملة العربية، مصطفى حميدة: 7
- (11) ينظر المصدر نفسه 0
- (21) شرح المفصل: 83/1
- (31) في النحو العربي نقد وتوجيه: 31
- (14) ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: 2/ 82، والنحو الوافي للأستاذ عباس حسن: 339/2، والتراكيب النحوية العربية - صورها وأساليب تطوير تعليمها، د. رابح أبو معزة: 16
- (15) ينظر: تحديث النحو العربي، موضة أم ضرورة، أحمد خالد: 35
- (61) ينظر: الإيضاح العضدي، أبو علي الفارسي: 90
- (71) ينظر: التراكيب النحوية العربية - صورها وأساليب تطوير تعليمها: 15
- (18) ينظر: تحديث النحو العربي، موضة أم ضرورة: 73، وكذلك الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية في النحو العربي، د. رابح أبو معزة: 119
- (91) ينظر: المصدران نفسهما
- (20) من سورة البقرة: 161
- (21) من سورة البقرة: 42
- (22) ينظر البيان في غريب اعراب القرآن، لابن الانباري: 87/1
- (23) ينظر: التحويل في النحو العربي، مفهومه - أنواعه - صورته، د. رابح أبو معزة: 38
- (24) لسان العرب (مادة حول) لابن منظور: 190/11

- (25) المصدر نفسه
- (26) ينظر: ديوان الفرزدق : 297/2
- (27) ينظر: ديوان المتنبي. 276/3
- (28) ينظر: النحو المصفى، د. محمد عيد: 454
- (29) ينظر: جامع الدروس العربيّة، للشيخ مصطفى الغلاييني: 260/3-261، والنحو الوافي عباس حسن: 313/2
- (30) ينظر: جامع الدروس العربية: 461/3، وبناء الجملة العربية، د. محمد عبد اللطيف حماسة: 155
- (31) ينظر: جامع الدروس العربية: 466/3-467
- (32) ينظر: المصدر نفسه: 475/3-477
- (33) ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: 82/2
- (34) ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: 86/2-88، والنحو الوافي: 340/2-344
- (35) من سورة البقرة: 237
- (36) ينظر: التبيان في اعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري: 165/1
- (37) ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: 86/2
- (38) ينظر: المصدر نفسه: 89/2
- (39) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي: 534/2
- (40) من سورة البقرة: 166
- (41) ينظر: تفسير الكشاف للزمخشري: 249/1، والتبيان في اعراب القرآن للعكبري: 165/1
- (42) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 120/1
- (43) ينظر: تفسير الكشاف: 249/1
- (44) ينظر: البحر المحيط: 91/1
- (45) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 592/2
- (46) ينظر: معاني القرآن: 282/1
- (47) ينظر: دلائل الإعجاز: 222
- (48) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن، للطبرسي: 501/1، والبحر المحيط: 91/2
- (49) من سورة البقرة: 266
- (50) ينظر: تفسير الكشاف: 365/1، والتبيان في اعراب القرآن: 188/1
- (51) ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: 87/2
- (52) ينظر: تفسير الكشاف: 365/1

- (53) ينظر: المصدر نفسه: 364/1، وتفسير أبي السعود (ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): 455/1
- (54) ينظر: الإشارة الجمالية في المثل القرآني، د. عشتار داود: 164-166
- (55) من سورة البقرة: 246
- (56) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 170/1
- (57) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن، للطبرسي: 179/2
- (58) ينظر: المغني لابن هشام: 229/1
- (59) ينظر: معجم مقاييس اللغة: مادة (خرج): 295، والمعجم الوسيط - د. ابراهيم انيس وآخرون: 224
- (60) ينظر: البحر المحيط: 570/2
- (61) من سورة البقرة: 34
- (62) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 50/1
- (63) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 312/1
- (64) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 50/1
- (65) ينظر: البحر المحيط: 248-249/1
- (66) من سورة البقرة: 15
- (67) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 70/1، واملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري: 20/1
- (68) ينظر: تفسير الكشاف: 98/1، والبحر المحيط: 104/1
- (69) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: 100/1
- (70) ينظر: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب: 87/2
- (71) ينظر: متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الحمداني: 57/1
- (72) من سورة البقرة: 252
- (73) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 158/1، والتبيان في اعراب القرآن: 174/1
- (74) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: 193/2
- (75) ينظر: البحر المحيط: 596/2
- (76) من سورة البقرة: 8-9
- (77) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 67/1، والتبيان في اعراب القرآن: 29/1
- (78) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 29/1
- (79) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 67/1

- (80) ينظر: معاني القرآن واعرابه للزجاج: 82/1، وتفسير الكشاف: 86/1
- (81) من سورة البقرة: 49
- (82) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 67/1، والتبيان في اعراب القرآن: 29/1
- (83) ينظر: معاني القرآن، للأخفش: 98/1
- (84) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 90/1، واملاء ما من به الرحمن: 35/1
- (85) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 58/1
- (86) ينظر: المصدر نفسه، والبحر المحيط: 313/1
- (87) ينظر: معجم مقاييس اللغة: 477
- (88) ينظر: البحر المحيط: 313/1
- (89) ينظر: المصدر نفسه
- (90) من سورة البقرة: 273
- (91) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 168/1
- (92) ينظر: معاني القرآن واعرابه - للزجاج: 303/1، ومجمع البيان لعلوم القرآن: 253/2
- (93) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (حصر): 249
- (94) ينظر: معاني القرآن واعرابه: 303/1
- (95) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: 253/2
- (96) من سورة البقرة: 246
- (97) ينظر: معاني القرآن - للأخفش: 194/1
- (98) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 156/1، والبحر المحيط: 571/2-572
- (99) ينظر: بناء الجملة العربية: 164
- (100) ينظر: الكتاب لسبويه: 60/2، والبحر المحيط: 572/2
- (101) ينظر: الحال في القرآن الكريم، علي أحمد الكبيسي، اطروحة دكتوراه: 208
- (102) من سورة البقرة: 17
- (103) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 71/1
- (104) ينظر: المصدر نفسه. 132/1
- (105) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 35/1
- (106) ينظر: البحر المحيط: 132 / 1
- (107) ينظر: لغة المنافقين في القرآن، د. عبد الفتاح لاشين: 52/1

- (108) من سورة البقرة: 83
(109) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 77/1
(110) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: 299/1
(111) ينظر: شرح الرضي على كافي ابن الحاجب: 82/2
(112) ينظر: المصدر نفسه
(113) ينظر: المصدر نفسه
(141) ينظر: المصدر نفسه
(151) ينظر: المصدر نفسه
(161) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: 299/1
(171) ينظر: البحر المحيط: 464/1
(181) ينظر: المصدر نفسه
(191) من سورة البقرة: 91
(201) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 83/1
(211) ينظر: روح المعاني: 240/1
(122) ينظر: المصدر نفسه
(231) ينظر: المصدر نفسه
(241) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 112/1
(251) ينظر: البحر المحيط: 492/1، وروح المعاني: 440/1
(261) من سورة البقرة: 51
(271) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 91/1
(281) ينظر: المصدر نفسه: 90/1
(129) ينظر: تفسير البيضاوي: 94/1، وتفسير النسفي، المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: 48/1
(301) ينظر: روح المعاني: 442/1
(311) من سورة البقرة: 132
(321) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 105/1
(331) ينظر: معاني القرآن واعرابه: 185/1
(341) ينظر: تفسير الكشاف: 226/1
(135) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: 426/1

- (361) ينظر: روح المعاني: 531/1
(371) من سورة البقرة: 248
(381) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 157/1
(391) ينظر: البحر المحيط: 582/2
(401) ينظر: تفسير أبي السعود: 424/1
(411) ينظر: البحر المحيط: 582/2
(142) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي: 51/1، ومجمع البيان لعلوم القرآن: 87/1
(431) من سورة البقرة: 8
(144) ينظر: تفسير أبي السعود: 94/1
(451) ينظر: روح المعاني: 195/1
(461) تفسير الكشاف: 84/1
(471) ينظر: تفسير البيضاوي: 44/1
(148) ينظر: تفسير الكشاف: 84/1
(491) ينظر: تفسير روح البيان، اسماعيل حقي البروسوي: 61/1
(501) من سورة البقرة: 256
(511) ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: 159/1، والتبيان في اعراب القرآن: 178/1
(521) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 178/1، والبحر المحيط: 618/2
(531) ينظر: روح المعاني: 20/3
(154) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: 207/2
(155) ينظر: تفسير الكشاف: 353/1، ومجمع البيان لعلوم القرآن: 207/2
(561) ينظر: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: مج4، ج7/ 18
(571) من سورة البقرة: 2
(581) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 21/1
(591) ينظر: جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني: 466/3، والنحو الوافي: 329/2
(601) ينظر: البحر المحيط: 62/1
(611) ينظر: التبيان في اعراب القرآن: 21/1
(162) ينظر: روح المعاني: 145/1
(163) ينظر: النحو الوافي: 341/2

(164) ينظر: دلائل الإعجاز: 14

(165) ينظر: المصدر نفسه: 242-243

(166) ينظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، د. سناء حميد البياتي: 279

(167) ينظر: تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: 22/1

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

1. الألويسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت 1270 هـ) روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني دار احياء التراث العربي، للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت - لبنان - ط 1420 هـ - 1999 م .
2. ابن الأنباري (ت 577 هـ) البيان في غريب اعراب القرآن، دراسة و تحقيق الدكتور جودة مبروك محمد، مكتبة الآداب - الطبعة الثانية - القاهرة، 1231 هـ - 2010 م .
3. ابن عقيل، بماء الدين عبد الله، (ت 769 هـ)، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الاولى، قم - (د - ت) .
4. ابن فارس، ابي الحسين احمد (ت 395 هـ) معجم مقاييس اللغة، دار احياء التراث العربي، للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت - 1429 هـ - 2008 م .
5. ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ) لسان العرب، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت - 1417 هـ - 1997 م .
6. ابن هشام، جمال الدين (ت 761 هـ) مغني اللبيب عن كتب الاعراب، تحقيق د. مازن المبارك، دار الفكر، الطبعة السادسة، بيروت - (1985 م) .
7. ابن يعيش، موفق الدين (ت 643 هـ) شرح المفصل، مكتبة المنتبي، القاهرة / د - ت .
8. ابو معزة، رايح .
- التحويل في النحو العربي، مفهومه، انواعه، صوره، دار مؤسسة رسلان للطباعة و النشر و التوزيع، ط 1، سوريا - دمشق - 2014 م .
- التراكيب النحوية العربية، صورها و اساليب تطوير تعلمها، دار مؤسسة رسلان للطباعة و النشر و التوزيع، سوريا - دمشق، ط 1 / 2015 م .
- الجملة و الوحدة الاسنادية الوظيفية في النحو العربي، دار مؤسسة رسلان للطباعة و النشر و التوزيع، سوريا - دمشق - 2009 م .
9. ابي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982 هـ)، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر، ط الاولى، بيروت - لبنان - 2001 م .

10. الاخفش , ابي الحسن سعيد بن مسعدة (ت 215 هـ) معاني القرآن , تحقيق هدى محمود قراعة , الناشر مكتبة الخانجي مطبعة المدني , الطبعة الاولى , القاهرة , 1411 هـ / 1990 م .
11. الاسترابادي , رضي الدين (ت 686 هـ) , شرح الرضي على كافية ابن الحاجب , شرح و تحقيق د . عبد العال سالم مكرم , عالم الكتب , القاهرة , الطبعة الاولى - 1421 هـ - 2000 م .
12. الاندلسي , محمد بن يوسف الشهير ب ابي حيان (ت 754 هـ) :
 - ارتشاف الضرب من لسان العرب , تحقيق مصطفى النحاس , مطبعة المدني , ط 1 , القاهرة - 1987 م .
 - البحر المحيط في التفسير , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع , بيروت - لبنان - 1426 هـ - 2005 .
13. انيس , ابراهيم و اخرون , المعجم الوسيط , معجم اللغة العربية , مطابع المعارف , الطبعة الثانية , مصر - 1972 م .
14. البروسوي , اسماعيل حقي (ت 1137 هـ) روح البيان , دار الفكر للنشر و التوزيع , د- ت .
15. البياتي , سناء حميد , قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم , دار وائل للنشر و التوزيع , عمان , الاردن , الطبعة الاولى , 2003 م .
16. البيضاوي , ناصر الدين ابي الخير عبد الله بن عمر بن محمد , (ت 691 هـ) , انوار التنزيل و اسرار التأويل - دار احياء التراث العربي , بيروت , لبنان / 1998 م .
17. التفتازاني , سعد الدين بن مسعود بن عبد الله , شرح تلخيص المفتاح , دار الكتب العلمية , بيروت , د.ت .
18. التهانوي , محمد علي , كشف اصطلاحات الفنون , تحقيق لطفي عبد البديع , بغداد / 1963 م .
19. الجرجاني :
- عبد القاهر (ت 471 هـ) دلائل الاعجاز في علم المعاني , المكتبة العصرية , بيروت - لبنان - 2007 م / 1428 هـ .
- محمد بن علي (816 هـ) , التعريفات , الدار التونسية للنشر - 1971 م .
20. حسان , تمام , اللغة العربية معناها و مبناها , عالم الكتب للنشر و التوزيع و الطباعة , الطبعة الثانية , القاهرة - 1418 هـ - 1998 م .
21. حسن , عباس , النحو الوافي , الناشر آوند دانس للطباعة و النشر و التوزيع , الطبعة الاولى - 1425 هـ - 2004 م .
22. حماسة , محمد عبد اللطيف , بناء الجملة العربية , دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع , القاهرة - 2003 م .
23. حميد , مصطفى , نظام الارتباط و الربط في الجملة العربية , مكتبة لبنان , (د. ت) .
24. خالد , احمد , تحديث النحو العربي , موضة ام ضرورة , الشركة التونسية للنشر , ط 1 / 2000 م .
25. الراجحي , عبده , النحو العربي و الدرس الحديث , بحث في المنهج . دار النهضة العربية , بيروت - 1977م .
26. الرازي , محمد بن فخر الدين بن العلامة ضياء الدين , المشتهر في خطيب الري (ت 604 هـ) , التفسير الكبير و مفاتيح الغيب , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع , بيروت لبنان - 1415 هـ - 1995 م .

27. الزجاج , ابي اسحاق ابراهيم بن السري (ت 311 هـ) , معاني القرآن و اعرابه , شرح و تحقيق د. عبد الجليل عبدة شلبي , دار الحديث للطباعة و النشر و التوزيع , ط2 , القاهرة - 1423 هـ - 2004 م .
28. الزمخشري , ابي القاسم محمود ابن عمر (ت 538 هـ) , تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل , و عيون الأقاويل في وجوه التأويل , المكتبة التوفيقية , دار التوفيقية للطباعة , القاهرة - مصر (د. ت) .
29. سيويه , ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ) , الكتاب , تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون , الناشر مكتبة الخانجي , القاهرة , الطبعة الثالثة - 1408 هـ - 1988 م .
30. الطباطبائي , محمد حسين , الميزان في تفسير القرآن , تحقيق اباد باقر سلمان , دار احياء التراث العربي , الطبعة الاولى , بيروت - لبنان , 1427 هـ - 2006 م .
31. الطبرسي , ابو علي الفضل بن الحسن (ت 548 هـ) , مجمع البيان لعلوم القرآن , رابطة الثقافة و العلاقات الاسلامية للترجمة و النشر , ايران - طهران , الطبعة الاولى - 1390 هـ - 1970 م .
32. العكبري , ابي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله (ت 616 هـ) :
- املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب و القراءات في جميع القرآن , دار الكتب العلمية , الطبعة الثالثة , بيروت لبنان - د . ت .
 - التبيان في اعراب القرآن , منشورات ذوي القربى , قم , الطبعة الاولى - د . ت .
33. عيد , محمد , النحو المصفى , الناشر مكتبة الشباب الطبعة الاولى , القاهرة - 1971 م .
34. الغلابيني , مصطفى , جامع الدروس العربية , دار الكوخ للطباعة و النشر , الطبعة الاولى - 1425 هـ - 2004م .
35. الفارسي , ابو علي (ت 377 هـ) , الايضاح العضدي , تحقيق د. حسن الشاذلي , مطبعة دار التأليف , ط1 , مصر - 1969 م .
36. الفراء , ابو زكريا يحيى بن زياد (ت 207 هـ) معاني القرآن , عالم الكتب , ط 3 , بيروت - 1983 م .
37. الفرزدق , همام بن غالب بن صعصعة , ديوانه , دار صادر , بيروت - 1966 م .
38. الكبيسي , احمد علي , الحال في القرآن الكريم , اطروحة دكتوراه - كلية الآداب , القاهرة - 1980 .
39. لاشين , عبد الفتاح , دار الرائد العربي , الطبعة الاولى , بيروت - لبنان / 1405 هـ - 1985 م .
40. المنتبي , ابو الطيب احمد بن الحسين , ديوانه , بشرح ابي بقاء العكبري , مطبعة مصطفى الحلبي , مصر - 1971م .
41. المخزومي , مهدي , في النحو العربي نقد و توجيه , دار الرائد العربي , بيروت - 1986 م .
42. محمد , عشتار داود , الاشارة الجمالية في المثل القرآني , منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق - 2003 م .
43. النسفي , ابي البركات عبد الله بن احمد بن محمود (ت 701 هـ) , مدارك التنزيل و حقائق التأويل , دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع , د. ت .
44. الهمذاني , عبد الجبار بن احمد (ت 415 هـ) , متشابه القرآن , تحقيق الدكتور عدنان محمد زرزور , مكتبة التراث , القاهرة - د. ت .

تاريخ الاستشراق ودوافعه وأساليبه

أ.د رحيم حلو محمد البهادلي
كلية التربية للبنات / جامعة البصرة

الباحثة رواء موسى عباس
كلية التربية للبنات / جامعة البصرة

تاريخ الإيداع: 2020/10/07 م تاريخ التحكيم: 2020/10/16 م تاريخ النشر: 2020/11/15
الملخص:

يتطرق هذا البحث لمجموعة من المواضيع التي تم دراسة الاستشراق أبرزها تاريخ الاستشراق وأهم المحطات التاريخية التي مر بها هذا العلم حتى تبلور وأصبح بصورته الحالية، وما الأسباب والدوافع من وراء نشأته وتطوره وانتشاره، كما يسلط الضوء على أبرز الوسائل التي اتبعها المستشرقون على اختلاف جنسياتهم وأديانهم في نشر آرائهم وأفكارهم و إيصالها للمتلقي في محاولة للحصول على المؤيدين الذين يتولون نشر متبنياتهم بالنيابة.

Orientalism, its motives and methods

.Prof. Dr

Researcher

Rahim Hiloo Mohammed Al Bahadly

Roa'a Moussa Abbas

Abstract:

This research deals with a group of topics of interest to the study of orientalism and the most important historical milestones that this science passed through until became its current form , the most important reasons and motives for its emergence and development , and the most important methods used by orientalist of different nationalities and religions in spreading their ideas and communicating them to the reader.

أولاً: تاريخ الاستشراق

اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق في تحديد سنة معينة أو مدة معينة لنشأته فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام أو لفترات قديمة، ولعل عناية النصارى بهذا الدين يعود إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة وقد كان ملكها النجاشي نصرانياً وما دار من حديث حول هذا الدين بين البطارقة في مجلسه، وكيف أدرك هذا الملك حقيقة هذا الدين فاعتنقه. وكانت الفرصة الثانية لتعرف النصارى على هذا الدين حينما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم رسله إلى

الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية وكان هرقل عظيم الروم أحد هؤلاء الملوك وكان أبو سفيان في تجارة له إلى الشام فاستدعاه هرقل وسأله عن الإسلام وأظهر هرقل اقتناعه بصدق هذا الدين وحقيقته، و هناك رأي بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق.(1)

وبهذا نرى أن المتعمق في تاريخ الاستشراق سيجد أن جذوره تمتد إلى الصدر الأول من الإسلام، متمثلاً باليهود والنصارى الذين لم يألوا جهداً من أجل محاربة هذا الدين، وذلك بالظعن فيه والهمز واللمز في أحكامه وتشريعاته، واتهام الرسول - صلى الله عليه وآله سلم - بالمجنون والساحر والشاعر، إذ قال الله تعالى: ((بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ)) (2)، ويقول جلّ ذكره عنهم أيضاً: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ اٰكْتَنَبَهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) (3).

وقد اتخذ هؤلاء سبلاً كثيرة للطعن في هذا الدين لإعراض الناس عنه، فتارة يحرفون آياته وتارة يكتمون الحق وهم يعلمون، وأخرى يشككون فيه بالطعن في الوحي نفسه فيقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً اليهود , ((وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُون * وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ))(4)، كثيراً ما كان يتبع المشركون سبيل الدخول في الإسلام لمدة وجيزة ثم الارتداد عنه ليبينوا للناس أنهم جربوا هذا الدين؛ لأنه غير نافع وغير صحيح، لإخراجهم إلى ظلماتهم وضلالهم، يقول الله تعالى: ((وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))(5).

هذه المواقف والأفعال لم تكن ذات أبعاد إنسانية أو إيجاد الخير للناس وإظهار الحق واتباعه، وإنما كانت جميعها منصبة ليردوا الناس عن دينهم ويتبعوا دياناتهم المنحرفة، يقول الله تعالى فيهم:

((مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))(6).

ويقول أيضاً ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ))⁽⁷⁾، وكل هذه الوسائل وغيرها اتبعتها المشركون للصد عن دين الله، واتبعتها المستشرقون المعاصرون في نشاطاتهم الفكرية والثقافية، وهذا يعني حقاً أنهم امتداد لذلك التيار المعارض والمخالف لدين الله تعالى في بداية بزوغه.⁽⁸⁾

وقد اتفق الكثير من المؤرخين على أن الحروب الصليبية هي بداية الاستشراق وأعمقها يظهر ذلك من خلال ما يرويهِ ابن الأثير ((ان بطرك بيت المقدس خرج مع الكثير من مشهوري الصليبيين وفرسانهم حين فتح صلاح الدين بيت المقدس، لبسوا السواد وأظهروا الحزن على ذهاب بيت المقدس من أيديهم ودخلوا بلاد الإفرنج يطوفونها ويستنجدون باهلها ويستجبرون بهم ويحثونهم على الأخذ بالثأر لبيت المقدس وصوروا المسيح وجعلوا صورة رجل عربي أمامه والعربي يضرب المسيح وجعلوا صورة المسيح وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمد ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ﷺ نبي المسلمين وقد جرحه وقتله))⁽⁹⁾

فمن الملاحظ بأن الاستشراق بدأ في اثناء الحملات و الحروب الصليبية أثار الاحتكاك المباشر بين المسلمين والأوروبيين⁽¹⁰⁾، ولقد كان للبريطانيين دور في هذه الحروب، لأن هذه الحروب ذات آثار واضحة على العالم الغربي، فقد ترك نجاح العرب في هذه الحروب يقظة جديدة للغرب حول العرب والإسلام. لقد وُجِهت هذه الحروب من قبل الكنيسة، وكانت حرباً هدفها الإسلام، فالبابوية كانت هي الدافع الأول لقيام الحروب الصليبية بقصد الوصول إلى بيت المقدس فقامت ببث فكرة الحرب ضد الإسلام فكانت الحروب الصليبية هي الفرصة التي فتحت المجال أمام الغرب للاتصال بالعرب. فمن الحروب الصليبية بدأت أوروبا حركة استشراقية جديدة تهدف إلى بناء ثقافة متقدمة على الثقافة العربية.⁽¹¹⁾

وقد بدأت حركة جادة وسريعة لتعلم اللغات الشرقية، وكان الرهبان هم الاوائل في هذا المجال، اذ أصدر البابا (اكلمنتس الخامس) قراراً يقضي بأن تؤسس في باريس واكسفورد وبولون دروس عربية وعبرانية وكلدانية وهي ما أطلق عليها كراسي الدراسات الشرقية.⁽¹²⁾

ويقول الباحث محمد أسد: "يمكننا القول إن أوروبا ولدت من روح الحروب الصليبية".⁽¹³⁾

واستفادت أوروبا من هذه الحروب أكثر مما استفاد العالم الإسلامي ولكنها لم تعترف بهذا الجميل للعرب بل العكس فأنت تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن، وأخذت كتاباتهم تحجم

على الإسلام، ومن هذا الحقد فهم لا يستطيعون أن يعرضوا تاريخ الإسلام عرضاً حيادياً صادقاً.

ويلاحظ أن الاستشراق قد قام في البداية على جهود فردية لم تكن ذات تأثير على مجرى التفكير الغربي⁽¹⁴⁾، مما أدى إلى عدم أخذها نقطة بداية عند بعض الباحثين، وعلى هذا الأساس تم اعتبار أن الحروب الصليبية هي البداية الحقيقية للاستشراق لأنه تبلور كتيار فكري عام، فقد فرضت هذه الحروب على العالم الغربي دراسة الإسلام والتعرف عليه، وقد جرد المستشرقين من الموضوعية والعلمية نتيجة المنهج العدائي مع الإسلام، الذي استمر بتغذية الأجيال اللاحقة من المستشرقين.⁽¹⁵⁾

وبعد فشل هذه الحملات حاول الغرب السيطرة على الشرق بجميع الأساليب حتى أنهم حاولوا استمالة المغول الذين أسقطوا الدولة العباسية وأشاعوا بأن الله أرسلهم لتدمير الإسلام نهائياً، وبذلك جهوداً لتأمين تحالف مع المغول،⁽¹⁶⁾ أما إذا نظر المرء إلى تاريخ تطور الاستشراق فإنه يمكن القول أن بداية الدراسات العربية الإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي، ففي عام 1143م تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من رئيس دير (كلواني) في إسبانيا، وفي القرن الثاني عشر أيضاً نشأ أول قاموس لاتيني عربي، وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين بذلت جهود كبيرة لإنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية، وقد كان الهدف من هذه الجهود في هذا العصر وفي القرون التالية هو التبشير.⁽¹⁷⁾

وقد استمرت الجهود في دراسة الإسلام وترجمة القرآن وبعض الكتب العربية والعلمية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته، فظهر علماء كبار في عام (690 هـ / 1219 م) دعا روجر بيكون أحد رواد الاستشراق البريطاني إلى تعلم لغات المسلمين لفهم الإسلام ودراسة أسسه وأصوله، ففي عام (712 هـ / 1312 م) أعلن مجمع فيينا الكنسي الموافقة على أفكاره، بتعلم هذه اللغات تمهيداً لتنصير المسلمين، وأصبحت اللغة العربية تدرس في خمس جامعات أوروبية هي جامعة باريس، وأكسفورد، وبولونيا، وسلمنكا، إضافة إلى جامعة المدينة البابوية⁽¹⁸⁾، وبدأ الاستحواذ على المخطوطات في البلاد الإسلامية، ونقلها إلى مكتبات الغرب، وفي الربع

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873م ثم توالى المؤتمرات في عقدها حتى هذه الأيام . (19)

ثانياً :: أهداف الاستشراق ودوافعه

لقد تنوعت آراء المفكرين المسلمين وتأرجحت بين المؤيد والرافض لإسهامات المستشرقين في نشر الفكر الاسلامي وحضارته , وينطلق هذا التنوع بين التسليم المطلق وقبول دور الغرب في بداية النهضة الفكرية في مصر وسوريا التي اتكأت على مجموعة من المفكرين والأدباء الذين تلقوا علومهم عن الغرب اما بالابتعاث أو بالمتابعة , أو بالموقف الرافض من مجموعة من المفكرين المسلمين الذين لم يتقبلوا أي إسهامات من أناس لا يدينون بالإسلام وعدوه انما هو ضرر كله لا خير فيه , فهو جناح من أجنحة المكر وهو في هذا يستوي مع الاستعمار والتنصير وانما نشأ الاستشراق لمجموعة من الاهداف التي تخدم الغرب ومصالحهم. (20)

اولاً : الهدف السياسي

وهو العامل الاكثر وضوحاً في حركة الاستشراق , فالاستشراق في صورته الأولى تطلع معرفي وهدف ثقافي ولما امتدت مطامع الغرب في الشرق لأهداف استراتيجية واقتصادية , كان الاستشراق هو جهاز المعلومات القادر على ان يمد الاجهزة التنفيذية بمخططات جغرافية واجتماعية وسكانية وثقافية , ويبين بكل دقة مكونات كل منطقة في العالم وخصائصها ومواطن القوة والضعف فيها وهذا التحالف الاستراتيجي بين حركة الاستشراق والمطامع الاستعمارية أفقد المؤسسة الأستشراقية أهم خصوصياتها الثقافية والأخلاقية (21)

اذ سهلت مثل هذه الدراسات الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية على بلدان المشرق , فكان من دوافع هذه الدراسات الرغبة في اضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين , وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم وكان لها عدة اساليب تسللوها بها الى نفوس ابناء المسلمين منها التشكيك بفائدة تراث المسلمين وما عندهم من عقيدة وشريعة وقيم انسانية وذلك لأضعاف ثقتهم بأنفسهم والتوجه الى الغرب لأخذ منهم المقاييس الاخلاقية والمبادئ والحلول لمشاكلهم الحياتية , وكذلك احلال مفاهيم جديدة , أو احياء مفاهيم جاهلية ماتت , وتقسيم المجتمع على قوميات ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الاسلامية الواحدة. (22)

ثانياً :الهدف الديني

عمل المستشرقون على اظهار الغرب النصراني بمظهر الدول المحبة للسلام والعلم واتهام الاسلام فكراً وتاريخاً بانه مصدر تسرب الجهل والظلام ضد اشعاعات النور للكنيسة الغربية. (23)

ففي الوقت الذي ينظر فيه المسلمون الى السيد المسيح "عليه السلام" , وبقية الانبياء نظرة احترام وتقدير , ويؤمنون بما انزل اليهم ويرفعونهم الى مقام العفة والطهر , نجد النصارى على العكس من ذلك يقفون موقفاً عدائياً من الرسول ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ وهو الموقف الذي يتسم بالتكذيب لنبوته وتشويه شخصيته , وأسباب هذه المواقف العدائية تعود بالأساس الى عدم تقبل ما جاء به الاسلام من فكرة نسخ الدين الجديد لباقي الديانات , زيادةً على شعورهم بأن الاسلام قد أوقف انتشار النصرانية , فمن مقولاتهم ((مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين ، فلن تستطيع اوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في امان)).(24)

اذ كانت بداية الاستشراق على ايدي رجال الكهنوت بتوجيهه من الكنيسة واستمر الى العصر الحاضر فقد دفعتهم العصبية الكنسية الى الطعن وتشويه حقائق الاسلام ومهاجمة الرسول محمد ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ , ففي عام (1094 - 1156م) قام بطرس المحترم بتشكيل جماعه من المترجمين أو عرّض لهم بترجمة القرآن الكريم الى اللاتينية , فكان لا بد من معرفة الاسلام معرفةً جيدةً لمحاربه محاربةً على مستوى العقيدة فانكب المترجمون المسيحيون على ترجمته القرآن ودراسته من اجل نقدة (25) , وليثبتوا لجماهيرهم ان الاسلام لا يستحق الانتشار وبأن المسلمين قوم همجٌ لصوصٌ سفاكو دماء , يحثهم دينهم على الملمات ويعددهم عن كل سمو روحي وخلقي.(26)

وقد أنشأت الكنيسة من أجل ذلك مؤسسات في البلاد العربية لخدمة الاستشراق ظاهرياً وخدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكي باطنياً(27) , ومن هنا يبرز الدافع الديني للاستشراق , حيث رغبت النصارى في تنصير المسلمين , والقيام بأعمال , وأنشطة تبشيرية , فبدلوا كل ما في وسعهم لحمل المسلمين على ترك الاسلام وتعاليمه والتخلي عن اتخاذها منهج حياة .

ومن المعلوم أن المستشرقين ليسوا جميعاً ممن ينتمون الى النصرانية دينا ففيهم المستشرقون اليهود الذي خدموا اليهودية من خلال دراساتهم الاستشراقية كما أن فيهم الملحدون الذين خدموا الاحاد من خلال عنايتهم بالمنطقة العربية والاسلامية ومحاولاتهم نشر الاحاد في هذه البقاع بديلاً عن الاسلام.(28)

وقد عمل المستشرقون والمبشرون كلما ما بوسعهم من اجل صد المسلمين عن دينهم بل ان منهم من افنى جهده وعمره من أجل ابعاد المسلمين عن دينهم وهو ما يدل عليه قوله تعالى: "وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا" (29), والغرب في جميع الظروف ينظر للإسلام نظره لا يمكن ان توصف بالحياد , والمعتدلون والمنصفون من المستشرقين يعترفون بهذه الحقيقة , ويتفاوتون في درجة التزامهم بالموضوعية والانصاف في مواقفهم بالنسبة للحضارة الاسلامية. (30)

ثالثا: الهدف الاقتصادي

برز الهدف الاقتصادي كأحد أهم الاسباب للاستشراق والتبشير وقد سبق بعهد طويل الدافع الاستعماري وذلك لأن سيطرة الاستعمار غايتها التسلط على مقدرات الشرق والتحكم بها، ويوضح هذا الكلام المؤرخون الغربيون فيصرحون أن من أهم أسباب اهتمام المستشرقين بالشرق وجود الثروات الاقتصادية الهائلة (31), وكانوا يشتركون الثروات الطبيعية بأبخس الأثمان كي تزدهر صناعتهم وتعيش البلاد الاسلامية في تبعية اقتصادية لهم , فاستغلوا كل ذلك وحطموا الصناعات المحلية , وعرقلوا انشاء المصانع الحيوية الحديثة وبذلك صار الشرق سوقاً استهلاكية لإنتاج المواد الأولية لتعزيز الانتاج , فيأخذ الغرب المواد الأولية من الشرق بأبخس الأثمان ويوردها له بعد تصنيعها بأفحش الأثمان. (32)

ومن أهم نتائج هذا الدافع وثمراته ان أموال المسلمين ومصالحهم صارت بأيدي الغربيين، فمعظم أغنياء المسلمين وأصحاب الثروات الكبيرة والأرصدة العالية، يودعون أموالهم وأسهمهم في بنوك الغربيين، حيث لا يصل إليهم من هذه البنوك إلا النزر اليسير من الأرباح، أما الغربيون فيربحون من وراء هذه الأرصدة الملايين والمليارات، وإذا صارت هناك إشكالات أو مشكلات سياسية بين هذه الدول الغربية والدول الإسلامية، ربما تؤدي بتلك الأموال المودعة إلى التجميد أو إلى الاستيلاء عليها، ولا يحق لأصحابها استرجاعها أو المطالبة بها، كما حدث في الآونة الأخيرة في أمريكا وبعض الدول الغربية الأخرى، التي اتهمت مؤسسات وشركات ومنظمات خيرية بدعمها للإرهاب من أجل حيازة أرصدهم وأموالهم، وكل ذلك ثمرة واضحة لمخططات المستشرقين مع دولهم الاستعمارية لنهب ثروات الأمة الإسلامية بشتى السبل والوسائل (33), وسوق لتصريف منتجاتهم التجارية. (34)

رابعاً: الهدف الثقافي و العلمي

كان من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية واللغات الأوربية , ومحاربة اللغة العربية والدين الاسلامي⁽³⁵⁾ ,ومما لا شك فيه ان هناك ففة من المستشرقين أندفع برغبة علمية صادقة وبدافع ذاتي وهواية شخصية تطورت الى احتراف لدراسة التاريخ الاسلامي ومحاولته التعرف على الحقيقة قدر المستطاع وأدرك أن رسالة الاسلام قريبة من الرسائل ومؤيدة لما جاء فيها من الايمان بالله وكتبه ورسله⁽³⁶⁾ ,وحسب جهدها واجتهادها في فهم وقائع التاريخ وقد ظهرت من خلال هذا الجهد العديد من الدراسات المهمة التي تقدم فائدة علمية في تفسير التاريخ الاسلامي , ولكنه في نفس الوقت لا تخلو من شطحات وتشوهات وتحريفات لها ما يبررها من سبب من جهل او تقصير في فهم النصوص العربية , او بسبب بيئة المستشرق , كما قد يختلف موقفه من بحث لآخر , وقد يغير في تفسيراته ويبدل في آرائه من كتاب الى اخر تبعاً لاستزادة معلوماته او نضجه او اطلاعه على اجاث اخرى في مجال التاريخ الاسلامي اضفت الى معلوماته معلومات جديدة .⁽³⁷⁾

وربما يجد هذا القسم من المستشرقين مضايقات وعقوبات من قبل حكوماتهم لأنهم لا يمثلون وجهة نظرهم ولا يخدمون مصالحهم، ومن هؤلاء المستشرقين من يعتنق الإسلام بعد أن يدرس الإسلام دراسة عميقة ومجردة، وربما يتحول إلى داعية ومفكر يدافع عن حمى الإسلام ودياره، ومن هؤلاء المستشرقين الذين كان هذا شأنهم المفكر محمد أسد صاحب كتاب "الإسلام على مفترق الطرق"، وتوماس أنولد صاحب كتاب "الدعوة إلى الإسلام" والذي ركز فيه على التسامح الديني في الإسلام والتزام المسلمين بهذا المبدأ عبر التاريخ، إلا أنه تعرض لأكبر هجمة استشراقية واتهموه بأنه لم يعتمد في كتابه على الأدلة العلمية، وإنما على عاطفته تجاه المسلمين، رغم أنه لم يورد حادثة من التاريخ إلا ووثقها من مصادرها ومراجعتها العلمية.⁽³⁸⁾

ثالثاً : وسائل الاستشراق

اعتمد الاستشراق والمستشرقون مختلف الادوات والطرق لإيصال افكارهم ونظرياتهم ودعم نشاطاتهم الاستشراقية لتحقيق غاياتهم التي يرمون اليها من وراء دراساتهم للشرق وحضاراته ومجتمعاته واديانه ولغاته وكانت من خلال القيام بعدة إجراءات منها :

1 - انشاء كرسي للغات الشرقية في الجامعات والمعاهد الغربية المتخصصة باللغات الشرقية مثل جامعة أكسفورد وكمبرج وجامعة لندن⁽³⁹⁾ , وقد استخدمه المستشرقون كمنبر لنشر أفكارهم و آراءهم وتحقيق اغراضهم , فضلا عن القاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ومنها الجامعات العربية والاسلامية .

2- تأليف الكتب , وهي وسيلة قديمة لم تستطع المخترعات الحديثة , في مجال الاتصال , والاعلام ان تقلل من خطورتها , ودورها الفعال في ترويج ونشر الثقافات , والدعوات من ها هنا أهتم المستشرقون بهذه الوسيلة الفعالة فعكفوا على تأليف الكتب , وإصدار الموسوعات وإخراج المعاجم حتى صار لهم إنتاجاً ضخماً من الكتب , والموسوعات التي تحمل أفكارهم وخلاصة آراءهم بشتى المجالات كاللغة والتاريخ والأدب والفلسفة والفنون وعادات الشعوب وغيرها⁽⁴⁰⁾ , بشتى اللغات الاجنبية وبعض هذه الكتب قد ترجم الى العربية , وقد احتوت هذه المؤلفات على تزوير للحقائق و افتراء على الاسلام⁽⁴¹⁾ , ولعل اخطر ما قام به المستشرقون اصداره دائرة المعارف الاسلامية بعدة لغات , ومصدر الخطورة في كونها مرجع لكثير من المسلمين على ما فيها من تحريف و خلط للحقائق , وفكرة اصدار دائرة المعارف جاءت من أن المستشرقين رأوا أن يجمعوا خلاصة أفكارهم وأبحاثهم في كتاب جامع يتبعون فيه منهج القواميس والمعاجم , فكتبوا دائرة المعارف الاسلامية , باللغات الاوربية الكبرى , الانجليزية والالمانية والفرنسية , وكان هدفهم من اصدارها أن تكون مرجعاً يعتمد عليه المسلمين , فتؤثر في تكوين الرأي العام الاسلامي عامة وخاصة .⁽⁴²⁾

وقد صدرت الموسوعة البريطانية عام 1768م, عندما اخرج ثلاثة ناشرين اسكتلنديين كتابا معرفياً شاملاً وأسموه (encyclopedia Britannica) أو الموسوعة البريطانية , ليكون بذلك اول الموسوعات باللغة الانجليزية والمستمرة حتى اليوم , وأوفرها شهرة اذا تنشر في الوقت الراهن في القارات كافة وهي اشملها وأفضلها توثيقاً للمعلومة , فقد كنب فيها أشهر العلماء و ممن حصل على جائزة نوبل بفروعها المختلفة.⁽⁴³⁾

3- اصدار المجلات والدوريات المتخصصة وقد عملت معظم البلدان الاوربية على تنمية حركه الاستشراق بإصدار المطبوعات الخاصة بالشرق , وتعني بتاريخ وجغرافية هذه البلدان فضلا عن

بحث آدابها و شرائعها و اخلاقها ولغاتها وعلومها , وقد زادت عن ثلاثمئة مجلة متنوعة , منها (المجلة الآسيوية) التي اقتصت في البحث بلغات الشرق وتاريخه. (44)

وكانت بعض هذه المجلات والدوريات تصدر عن جمعيات عديدة , أسسها المستشرقون وكانت منبراً وتجمعاً لنشاطاتهم , كالجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وايرلندا في لندن , واتحاد المستشرقين البريطانيين .

4- المؤتمرات والندوات التي اتخذ منها المستشرقون وسيلة لطرح أفكارهم ونشر آراءهم وزيادة فرص التنسيق بينهم , اذ يشترك جمعٌ غفيرٌ من الباحثين في الشرق من بلدان وجامعات شتى ويناقشون مختلف القضايا والبحوث وخاصةً ما يتصل بالدراسات الاسلامية , وقد بلغت مؤتمرات المستشرقين الدولية في الفترة (1873م- 1964م) 260 مؤتمراً ضم الواحد منها مئات من أعلام المستشرقين والعرب والمسلمين. (45)

5- الاشتراك في الجامعات العلمية الرسمية والمؤسسات التربوية والفنية والعلمية في العالم الاسلامي كمصر ودمشق وبغداد(46), التي توفر لهم السبيل لتحقيق اهدافهم وتحويلها الى مناهج للبحث العلمي , وكسب التلاميذ من العرب والمسلمين الذين يأخذون على عاتقهم نشر أفكارهم بالنيابة عنهم على أثمار اجتهادهم وهي في الواقع ماهي الا صدى لأفكار اساتذتهم .

6- كذلك وظف التبشير بالمسيحية في العالم الاسلامي اذ أدى دور كبير في نشر وترويج الفكر المعادي للإسلام الذي أنتجه الاستشراق وسوقه في مجموعة من الكتب والمجلات , ويكون ذلك عن طريق الارشاليات التي تضم مجموعة من رجال الدين النصارى يهدفون الى نشر المسيحية بين أفراد المدينة المعنية. (47)

الهوامش :

- (1) السيد أحمد فوج , الاستشراق - الذرائع - النشأة - المحتوى , (ط1, الرياض , دار طويق).
- (2) سورة الأنبياء : الآية 5 .
- (3) سورة الفرقان : الآية 4-5 .
- (4) سورة البقرة : الآية 42.
- (5) سورة آل عمران : الآية 72.
- (6) سورة البقرة : الآية 105 .
- (7) سورة آل عمران : آية 100 .

- (8) فالخ بن محمد بن فالح الصغیر ، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية ، (مكتبة الغزالي ، دمشق، 1401هـ/1981م) ؛ رشيد عبد الله الجميلي - العرب والتحدي الصليبي، (بغداد-1991).
- (9) ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ): الكامل في التاريخ،(بيروت- 1965)، 201/9.
- (10) ينظر : زكاري لوكمان ، تاريخ الاستشراق وساسته الصراع على تفسير الشرق الأوسط ، (ترجمة : شريف يونس ، دار الشروق، القاهرة، 2007 م).
- (11) عائشة عبد الرحمن ، تراثنا بين ماض وحاضر، (مصر - 1968).
- (12) ادوارد سعيد ، الاستشراق (المعرفة- السلطة- الانشاء)،(الطبعة العربية الاولى، بيروت-1981م).
- (13) الإسلام على مفترق الطرق،(ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت)، ص54. (14) يحيى مراد ، معجم اسماء المستشرقين،(موقع كتب عربية).
- (15) عبد الله محمد الأمين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات- بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الاسلامية ، (ط1 ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي 1417 هـ/1997م) .
- (16) ينظر : زكاري لوكمان ، تاريخ الاستشراق وسياساته الصراع على تفسير الشرق الأوسط.
- (17) رودى بارت ، الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الألمانية،(ترجمة مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1970).
- (18) أدورد سعيد ، الاستشراق ، ص80 ؛ محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، (ط2 ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، 1404هـ).
- (19) محمد السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ،(دار الوراق للنشر والطباعة ، الكويت).
- (20) علي بن إبراهيم النملة ، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين ،(مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض 1414 هـ /1993م).
- (21) محمد فاروق النبهان ، الاستشراق تعريفه ، مدارسه ، آثاره ، (الرباط ، المملكة المغربية ، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، 2012م)
- (22) عبد الرحمن حسن الميداني ، اجنحة المكر الثلاث وخوافيها ، (التبشير -الاستشراق - الاستعمار)، ط8 ، دمشق ، دار العلم ، 1420 - 2000م).
- (23) عبد القهار العاني، الاستشراق ، ص29 ؛ وينظر : عبد الله محمد الامين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية (دراسات تاريخية لآراء وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية.
- (24) محمد اسد، الاسلام على مفترق الطرق،،(ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت).
- (25) سعد ال حميد ، اهداف الاستشراق ووسائله ، ؛ يوهان فوك : تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والاسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين (ترجمة : عمر لطفي العالم ، ط1 ، دار قتيبة بيروت - دمشق ، 1417 هـ /1996م).

- (26) الميداني اجنحة المكر ، ص 127 ؛ يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق ، (نقله عن الألمانية ، عمر لطفي ، ط2 ، بيروت ، دار المدار الاسلامي ، 2000م).
- (27) عبد الله محمد الامين النعيم ، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لأراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الاسلامية.
- (28) نجيب العقيلي ، المستشرقون ، (ط4 ، القاهرة ، دار المعارف) ، 219/3 .
- (29) سورة البقرة : آية 217 .
- (30) النبهان ، الاستشراق .
- (31) ينظر: عمر فروخ والخالدي، الاستعمار والتبشير في البلاد العربية ، (ط3 ، بيروت ، المكتبة العصرية) ، ص 114 ؛ زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.
- (32) مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون (ملهم وما عليهم).
- (33) الصغير ، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية.
- (34) زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.
- (35) ينظر : محمد السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ملهم وما عليهم ، ص 24 وما بعدها
- (36) محمود زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.
- (37) فاروق عمر فوزي ، الاستشراق في التاريخ الاسلامي.
- (38) الصغير ، الاستشراق وموقفه من السيرة النبوية ، 20 ؛ ينظر : طارق سرى ، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الاسلامي (ط 1 ، مكتبة النافذة ، مصر ، 2006هـ).
- (39) عفاف سيد صيرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة (ط2 ، دار الفكر للتوزيع والنشر، القاهرة ، 1997م).
- (40) مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون.
- (41) محمد اسماعيل ، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، (ط3 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر).
- (42) سعد آل حميد ، أهداف الاستشراق ووسائله ، (جامعة الملك سعود).
- (43) وليد بن بلهيش العمري ، السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية (دراسة تحليلية لما كتب تحت مادة محمد ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم) : النبي ورسالته .
- (44) محمد كرد غرائب الغرب، (المطبعة الرحمانية، القاهرة ، ط2، 1923م)، 1/ 61.
- (45) عفاف سيد صيره ، المستشرقون ومشكلات الحضارة.
- (46) عز الدين الخطيب التميمي وآخرون ، نظرات في الثقافة الاسلامية (دار الشهاب، باتنه و الجزائر).
- (47) السباعي ، الاستشراق والمستشرقون.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

رحلة يوهان شيلتبرجر الألماني إلى الأراضي الإسلامية (1427.1396 م) ووصفه لمملكتي بني عثمان

وتيمور لنك وانطباعاته عن الإسلام والمسلمين

أ. م. د. علي زهير هاشم

جامعة الكوفة . مركز دراسات الكوفة . العراق

aliz.hashim@uokufa.edu.iq

تاريخ الإيداع: 2020/11/07 م تاريخ التحكيم: 2020/11/11 م تاريخ النشر: 2020/11/15 م.

الملخص:

تعد كتب الرحلات من أهم مجالات التصنيف في المعرفة التاريخية والجغرافية كما أنها تمكننا من دراسة تاريخ العلاقات وطبيعتها بين مختلف الشعوب والقوميات ورصد مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها في زمن من الأزمنة التاريخية. كما أن رحلات الأوروبيين إلى المنطقة العربية كانت إحدى أبرز النوافذ التي اطلعت من خلالها المعارف الأوروبية على العرب والمسلمين، ولعب الرحالة دور الناقل الناقد للشعوب العربية المسلمة وتاريخها وحضارتها وواقعها. وتكتسب رحلة الأسير الألماني يوهان شيلتبرجر بصفتها ناقلة لوجهة نظر الآخر الخصم في العقيدة والسياسة في عصر شهد التنافس الإسلامي - المسيحي على الساحة العالمية أوجه صراعاً عقائدياً سياسياً توسعياً قلّ نظيره في أي عصر بسبب تواجد الدولة العثمانية آنذاك على الساحة ضد الدول والإمارات الأوروبية المسيحية والكاثولونات الكنسية. فهي عاكسة لصورة الإسلام والمسلمين من وجهة نظر هذا الآخر الأسير في الأراضي الإسلامية والمتداول بين دولها لأكثر من ثلاثة عقود إضافة لما تمتاز به من أنها تنقل بعض الأحداث التاريخية التي تصدقها لمصادر إسلامية وأخرى لم تذكرها تلك المصادر.

الكلمات المفتاحية: شيلتبرجر، الرحلات الأوروبية، المملكة العثمانية، تيمور لنك، قبيلة المغول الذهبية، المماليك.

The German Johann Shelterberger voyage to Islamic lands (1396-1427 AD), and his description of the kingdoms of Bani Othman and Timor “the Lane” and his impressions of Islam and Muslims

Asst. Prof. Dr. Ali Zuhair Hashim Al Sarraff

University of Kufa – Kufa Studies Center – IRAQ

aliz.hashim@uokufa.edu.iq

Abstract

The Voyage books are one of the most important areas of historical and geographical knowledge. They also enable us to study the history and nature of relations

between different peoples and nationalities and monitor the various political, economic, social, cultural and other aspects at any time of past. Also, the trips of Europeans to the Arab region had become one of the most prominent European knowledge of Arabs and Muslims, and the travelers represented the role of critical carrier of the Arab-Muslim peoples, their history, civilization and their reality.

The trip of the German prisoner, Johann Schiltberger, expresses the point of view of a person who is an opponent of Islam and Muslims, ideologically and politically; in an era when the global Islamic-Christian rivalry was at its most intense ideologically and politically of any era; because of the Ottoman Empire's presence at that time against the Christian European states and principalities and the ecclesiastical cantons. This voyage reflects the image of Islam and Muslims from the point of view of a Christian prisoner in the Islamic lands who has been traveling between the Muslims countries for more than three decades, and it is characterized by narrating some historical events that Islamic sources confirm it, and others that are not mentioned by these sources.

Key words: Schiltberger, European Voyages, Ottoman kingdom, Timor the Lame, the Golden Mongol Tribe, Mamluks.

المقدمة:

تعد مرويّات الأسير الألمانيّ يوهان شيلتبرغر (Johann Schiltberger) ومذكراته لما لاحظته وشاهده خلال زمن أسره داخل الأراضي الإسلاميّة الذي استمر لأكثر من ثلاثة عقود من نصوص الرحلات الأوروبيّة للبلدان الإسلاميّة بعد سقوط الخلافة العباسيّة في المشرق الإسلاميّ، ومثل هذه النصوص الثمينة تكتسب أهمية كبيرة بسبب ما تعكسه من وجهات نظر الطرف الآخر المخالف والخصم في العقيدة والند في السياسة والثقافة وغيرها من الأمور.

فقد جاب شيلتبرجر مملكتي العثمانيين والمغول بقيادة تيمور لنك آنذاك وانتهى به الأمر في خدمة حكام مغول القبيلة الذهبية حتى تمكنه من الهروب والتخلص من الأسر والعبودية والعودة إلى موطنه ألمانيا، مما يجعلنا نظن أن مرويّاته للأحداث السياسيّة والعسكريّة التي عاصرها خلال تلك الأعوام فيها نوع من الخصوصيّة والمصدقيّة نوعاً ما مقارنة بالروايات التاريخيّة الأخرى المتعلقة بالعثمانيين والمغول سيما إذا عرفنا أن هذين الطرفين كانا نديّن لدودين ومنافسين كبيرين لبعضهما البعض وأن النخب في كلا الطرفين هي من كانت تعظم هذا

التنافس وتدعه متقدماً في نفوس شعوبها، فالنصوص التاريخية المنتجة من قبل أي طرف تكون منحازة لسياساتها ومبررة لما تقوم به وتشرعن أفعال حكامها وأمرائها كما هو معلوم.

والبحث الحاضر يحاول كشف اللثام عن خفايا مذكرات الأسير يوهان شيلتبرغر وإعطاء وصف دقيق لما قام به من جهد ووصف لما شاهده في أيام أسره من تفاصيل داخل مملكتي العثمانيين وتيمور لنك ومغول القبيلة الذهبية ولنرى كيفية تعامله مع المسلمين أسباده الجدد حكاماً وشعوباً وانطباعاته عنهم وأنها كانت نتيجة أي توجهات من توجهات شخصيته.

أصله ونسبه ومولده وصباه:

لم يذكر شيلتبرغر شيئاً من سيرته في رحلته سيما محل ولادته سوى ما ذكره من أن داره كانت بالقرب من ميونيخ¹، وعند العودة إلى إقليم بافاريا² انتقل إلى فريسانج³ بالقرب من محل ولادته⁴. لا نعلم عن أصله ونسبه وصباه شيئاً، ولولا كتابات المؤرخ البافاري يوهان جورج تورماير⁵ بالألمانية أو يوهانس أفينتيوس⁶ باللاتينية الذي ذكر أن شيلتبرغر انضوى في خدمة الدوق ألبرشت الثالث⁷ عند ما عاد من الأسر وأصبح نديمه الخاص⁸. وكان هذا المنصب قد حصل عليه شيلتبرغر قبل بدء حكم الدوق في عام 1338 م/ 843 هـ بحسب محقق الترجمة الإنجليزية لرحلة شيلتبرغر⁹.

أما عن نسبه فقد ذكر المحقق للطبعة الألمانية لرحلة شيلتبرغر البروفيسور كارل فريدريش نيومان¹⁰ معلومات ضئيلة عنهم. فقد ورد اسم شخص يدعى برشتولدوس مارسكالكوس دو شيلتبرغ في وثيقة تعود لعام 1190 م/ 587.576 هـ، وقد عرف أشخاص بهذه الشهرة وتحت عناوين برغر ومارشالات عند دوقيات إقليم بافاريا في الأزمنة اللاحقة. وذكر نيومان أن من يحمل لقب شيلتبرغر في زمنه يوصلون نسبهم بصاحب الرحلة التي نحن الآن بصدد التعريف بها. وأن عدداً منهم كانوا مستشارين للناخبين البافاريين، وكان اثنين منهم بأسماء يوهان بيتر وفرانز جوزيف أساتذة للقانون في جامعة اينغولشتات¹¹. وهناك أمراً ملكياً صدر في تاريخ 27 من مارس عام 1786 م/ 26 جمادى الأولى 1200 هـ ارتقى من خلاله ثلاثة إخوة من ذوي النسب العريق إلى مرتبة النبلاء في البلاد، ومنذ ذلك الحين أصبحت عائلة شيلتبرغر في مرتبة نبلاء إقليم بافاريا بعد مصادقة استشارية بافاريا الانتخابية¹².

خصائص المؤلف ورحلته:

أما عن وصف عمله في رحلته فأول شيء يجلب الانتباه هو عدم دقة المؤلف بعض الشيء بسبب ما نلاحظه في أسلوب كتابة تصنيفه المتنوع وعدم دقته في ذكر الأسماء الجغرافية وتدقيق أصالتها وذكر تاريخها، وهذا الأمر يبين أيضاً عدم قدرة شيلتبرغر على قراءة الكتابات المختلفة بمختلف لغات البلدان التي مرّ بها وهو دال على عدم معرفته بتلك اللغات وكل ما ذكر يدل على أن مؤلفه قد كتب مثل نظائره في العصور الوسطى بشكل الإملاء. ومع الأخذ بنظر الاعتبار أن أحداث الكتاب قد حدثت في فترة استمرت لثلاث وثلاثين عاماً فإن هذا الأمر يكشف لنا ذاكرة المؤلف الخارقة. إلا أن هناك بعض الأخطاء صدرت عنه في احتساب المدد الزمنية للأحداث التي يصفها فهذا يدل على عدم توثيقه للأحداث اليومية يوماً بيومه.

ومما لا شك فيه أن شيلتبرغر بدأ بإملاء فصول رحلته بعد عودته منها مباشرة، لأن الفصل الأخير منه قد عنوانه: "كيف وعن طريق أي البلدان عدت". وقد كتب الأحداث والوقائع التي مرت به في المشرق كما أسلفنا دون اتباع أي منهج أو أي ترتيب. ومن الواضح أن ارتباط هذه الأحداث ببعضها في رحلة شيلتبرغر هي فقط من ناحية أنها قد حدثت له. وعليه هذا التفصيل غير المنتظم للأحداث في مروياته ووصف الأماكن والوقائع التي اكتسبها من الشائعات ولم يكن شاهداً عليها تجعل تقليد نهجه وسياقه في الكتابة أمراً صعباً. ومن هذا الأسلوب في الكتابة نكتشف عدم ارتقاء المؤلف في اكتساب العلم، إلا أن كل صفحة من رحلته تكشف لنا في نفس الوقت عن ذكاء وصدق وتواضع المؤلف أيضاً.

في الحقيقة فإن شيلتبرغر صادق بشكل عام، وأن كتاباته هي مفيدة حقاً ويمكن مقارنتها مع كتابات أصدق المصنفين في العصور الوسطى عدى "ماركو بولو"¹³ كما يرى مترجم الرحلة إلى الإنجليزية.¹⁴

حرب نيكوبوليس وخدمته مع العثمانيين وسفره لدولة المماليك

كان حرب نيكوبوليس¹⁵ من أهم أحداث حياة شيلتبرغر كثيرة الأحداث، إذ شهد هزيمة القوات الأوروبية بقيادة الملك المجري زيكموند¹⁶ على يد القوات العثمانية وأسرته. فما رواه من هذه المعركة منطبق تماماً مع مرويَات

الآخرين عن هذا الحدث التاريخي الهام. ومن المعلوم أنه نجح من القتل بعد تدخل سليمان ابن بايزيد الأكبر بنصيحة والده بعدم قتل الأسرى تحت العشرين عاماً وأصبح من خدم السلطان الخاصين.¹⁷ وكان شيلتبرجر قد ذكر وصول العثمانيين لإنقاذ نيكوبوليس من الحصار الذي كان زيكموند والأوروبيين قد فرضوه عليها ورصد الاستعدادات المسيحية لمواجهة العثمانيين والتقدم لمسافة ميل واحد عن المدينة وإرسال فرق الاستطلاع لرصد الجيش العثماني، وذكر أن الفرق الاستطلاعية شاهدت عشرين راية تضم كل منها عشرة آلاف رجل. وهذا ما أيده المؤرخ الأوروبي فراواسار الذي ذكر أن عدد العسكر العثماني بلغ مائتي ألف مقاتل. وذكر المؤرخ نفسه أن عدد القوات المسيحية بلغت ثلاثين ألفاً بالإضافة إلى سبعمائة فارس فرنسي،¹⁸ فإن شيلتبرغر عدّ مقاتلي الأوروبيين بحدود ستة عشر ألف مقاتل إضافة إلى ستة آلاف جندي فرنسي مع دوق منطقة بورغاندي.¹⁹

ولم يذكر شيلتبرغر تفصيلاً عن أسلوب الجيش العثماني في القتال وإدارة الحرب، ولعل مرد ذلك هو صغر سنه، فضلاً عن سوابقه العسكرية المتواضعة واتباعه لسيدته، في حين نجد أن فراواسار قد ذكر أن بايزيد نظم جيشه على شكل أجنحة، إذ كانت تتقدمه فرقة مؤلفة من ثمانية آلاف جندي وما إن تقرب الجيش الأوروبي حتى استدج، وعند ذلك انقضت آلاف الجنود العثمانيين من الجناحين عليها حتى هزم زيكموند.²⁰ ويبدو أن شيلتبرغر كان في مقدمة الجيش يرى ويسمع كل شيء لما يعطيه من تفاصيل عن المعركة، فقد ذكر أن هناك تنافس حصل بين أمراء الحرب الأوروبيين للبدء بالقتال، فكان البدء بالقتال على يد دوق بورغندي²¹، وتمكن العثمانيون من إلحاق الهزيمة بهم وحصارهم وإجبارهم على الاستسلام. وعند ذلك هجم الملك المجري بجميع قواته على الجيش العثماني، ولظروف المعركة اضطر إلى الانسحاب وبعد أن هزم الجيش الأوروبي هرب زيكموند وعبر نهر الدانوب على متن سفينة حتى وصل إلى القسطنطينية.²² ولم يفوت شيلتبرغر ذكر بعض التفاصيل المتعلقة بالمعركة منها إصابة جواد سيده بسهم قاتل، حتى قدم حصانه لسيدته، قبل أن يعود إلى موقعه في ساحة الحرب مع زملائه. وكان في نهاية الأمر أن قتل سيده الألماني حسبما يذكر هو أيضاً وأسر الآلاف من المسيحيين في أسر العثمانيين مع العشرات من النبلاء الفرنسيين. كما نقل لنا شيلتبرغر رغبة السلطان بايزيد في قتل جميع الأسرى أسوة بما فعل المسيحيين في قتل أسرى المسلمين في المعارك السابقة لو لا توصل دوق بورغاندي بالسلطان

من أجل البقاء على العديد من النبلاء الفرنسيين²³، إلا أنه لم يشر ما ذكرته المصادر الأخرى بأن أحد الأسباب التي دعت العثمانيين إلى ترك العديد من النبلاء الفرنسيين هو حصولهم على فديات ضخمة مقابل إطلاق سراحهم بينما قتل باقي الجنود.²⁴ وعلى الرغم من أسر شيلتبرغر بيد العثمانيين لست سنوات قادمة كما ندره من الروايات التاريخية، فإنه لم يشر أيضاً للمفاوضات التي جرت بين السلطان بايزيد والقوى الأوروبية من أجل افتداء أسرى معركة نيقوبوليس.²⁵

ومن الغريب أن شيلتبرغر قد أغفل ذكر أسماء بعض من أهم الأسرى الأوروبيين الذين فداهم السلطان بايزيد العثماني وهم: الفارس جاك دي كريك الذي أفتدي في الصباح التالي للمعركة حتى يرحل لمقابلة ملك فرنسا، وكان قد وصل إلى باريس ليلة عيد الميلاد سنة 1396 م.²⁶ وايضاً لم يذكر الأسير النبيل الشهير المارشال بويسيكيو²⁷ من النبلاء الفرنسيين الذين عرضوا أمام السلطان العثماني عراة للصدور في دليل على أنهم يستحقون القتل، غير أنه توسل أحد النبلاء الآخرين للسلطان وخر ساجداً أمامه وطلب إطلاق سراحه مقابل فدية مالية كبيرة. فاستجاب بايزيد لطلبه.²⁸ وكان بويسيكيو قد لعب دوراً خطيراً في زعزعة أمن العثمانيين فيما بعد كما تنقل الروايات التاريخية إبان حصار القسطنطينية من قبل بايزيد سنة 1402.1396 م، فقد أرسل الملك الفرنسي شارل السادس (1422.1382 م)²⁹ لمساعدة الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني "بالبولوغس" (1425.1391 م)³⁰ ضد العثمانيين.³¹ وذكر شيلتبرغر أن السلطان بايزيد توجه نحو قتل جميع الأسرى الباقين وكان مصراً على هذا الأمر لدرجة أنه كان يعين جندياً بديلاً للجندي الذي رغب عن قتل أسراه. وبالفعل فقد أعدم عشرة آلاف أسير وذكر أن ما حدث قد أثار عطف مستشاري السلطان بايزيد، فتوسلوا إليه أن يوقف سفك الدماء وأن يكظم غضبه إرضاءً لله، حتى لا يجل عليه عقابه جراء كثرة الدماء التي أرهاقها.³² وتنبأنا النصوص التاريخية أن تصرف السلطان بايزيد العثماني هذا كان بمثابة رد فعل على تصرف القوى المسيحية ضد الأسرى المسلمين بعيد سقوط راهوفا³³ الأمر الذي أثار غضب السلطان بايزيد العامر مما دفعه لاتخاذ مثل هذا التصرف.³⁴

وأشار شيلتبرغر أيضاً أن سبب نجاته من القتل كان هو العرف السائد في الجيش العثماني آنذاك في عدم إعدام الأسرى الذين تقل أعمارهم عن العشرين عاماً، فقد كان لم يتجاوز السادسة عشر عاماً بعد، وقد ضمه ابن السلطان بايزيد مع أسراه، فالتحق بحاشية السلطان العثماني كخادم أو جندي مراسلة.³⁵

وهناك خطأ في احتساب السنين والتاريخ وقع فيه شيلتبرغر، إذ أنه استمر بالخدمة أمام السلطان العثماني لست سنوات في مجابهة أعداء السلطان بايزيد، وأنه استمر راكباً جواده لمجابهة أعداء العثمانيين لست سنوات أخرى أيضاً،³⁶ والمتابع للأحداث التاريخية يجد أن هذا الكلام غير صحيح، إذ بنهاية الست سنوات الأولى منذ معركة نيقوبوليس نجده يقع في أسر تيمور لنك في موقعة أنقرة عام 1402 م.³⁷

وتابع شيلتبرجر رحلة أسرى معركة نيقوبوليس، فذكر أنهم أرسلوا إلى مدينة أدرنة، ثم إلى مدينة غاليبولي قبل أن يستقروا في العاصمة العثمانية بورصا، وأن كبار السن منهم استخدموا في القلاع في أدرنة وفي القصور في بورصا قبل أن ينقلوا إلى مدينة قراجابك.³⁸ وذكر شيلتبرغر إلى عادة السلاطين العثمانيين في إرسال الأسرى المسيحيين كهدايا، تعبيراً عن النصر، إلى باقي الممالك الإسلامية، منهم ستين أسير أرسلوا إلى السلطان الظاهر بقوق (1390 . 1399 م) بالقاهرة وأن شيلتبرغر كان معداً ليرسل إلى القاهرة لولا جروحه الخطيرة لينتهي به الأمر في حاشية السلطان بايزيد.³⁹

وبعد استقراره في حاشية السلطان بدأ بوصف الأوضاع السياسية والعسكرية للعثمانيين، فأشار إلى ما حدث في العام التالي من نزاع داخلي حدث بين السلطان العثماني وصهره علاء الدين القرمانى إذ انتهى بمقتل الأخير في موقعة آق جاي عام 1397 م.⁴⁰ ولم يتطرق شيلتبرغر لجوهر الصراع الدائر بين العثمانيين والإمارات المحلية في الأناضول وهو محاولة العثمانيين في إقامة نظام حكم مركزي خاضع لهم في الأناضول.⁴¹ وعند تعرضه لذكر الأمير علاء الدين القرمانى وصهر بايزيد العثماني الذي دخل في حروب مع العثمانيين للتنافس على السلطة وما انتهى إليه أمره من أسره وقتله على يد الأمير العثماني تيمور طاش أمير أنقرة ذكر رواية غير دقيقة تقول إن بايزيد غضب بشدة لمقتل صهره وأمر بقتل من قام بذلك⁴²، وهذا لا يتفق مع ما قاله لاحقاً بأن رأس علاء الدين القرمانى رفع على رمح طويل ليطاف به في باقي البلدان.⁴³ ثم ذكر أن بايزيد بعد مقتل علاء الدين القرمانى أمر بخروج أخته وولديها لمقابلته ثم أرسلهم إلى بورصا مركز حكمه.⁴⁴

وأشار شيلتبرجر في رحلته إلى العلاقات العثمانية المملوكية، فتحدث عن غزو السلطان بايزيد العثماني لمدينة ملطية وانتزاعها من السيطرة المملوكية عام 1399 م⁴⁵ وهذا الاستيلاء كان قد تسبب في رفض عرض السلطان العثماني المساعدة عندما واجه المماليك خطر تيمور لنك في السنوات اللاحقة⁴⁶ حتى أثر عن السلطان بقوق

قوله: "ما أخشى من تيمور لنك، فإن كل أحد يساعدني عليه... وإنما أخشى من بني عثمان". وكان المؤرخ الشهير ابن خلدون الحاضر في تلك الأيام في القاهرة قد أيد هذا الرأي بقوله: "لا تخشوا على ملك مصر إلا من أولاد ابن عثمان، وأشدّهم بايزيد الذي تسلطن".⁴⁷

وذكر أن السلطان الجديد في مصر أي فرج قد استنجد بالعثمانيين أخيراً لكن هذه المرة في تثبيت حكمه ومواجهة اضطرابات داخلية. فأرسل له السلطان بايزيد عشرين ألف رجل كان من بينهم شيلتبرغر، وقد تمكن السلطان فرج بواسطة هذه المساعدة من مبتغاه في تثبيت قواعد الحكم.⁴⁸

وفي آخر ما يتعلق بعلاقته مع العثمانيين قبل أن يقع في أسر تيمور لنك روى شيلتبرغر محاولة فراره رفقة ستين أسيراً مسيحياً هربوا إلى الجبال فتمكنت قوة عثمانية من استعادتهم لتناهم عقوبة الإعدام. ولولا شفاعته أحد القادة العثمانيين الذي وعدهم بحماية أرواحهم لقتل شيلتبرغر، لكنه أودع في السجن لتسعة أشهر رفقة زملائه حتى مات بعضهم. وعندما حل أحد الأعياد الإسلامية تشفع فيهم أحد الأمراء العثمانيين فأطلق سراحهم.⁴⁹ ومن أحد أهم المحطات في رحلة أسره هي ما حدث له في معركة أنقرة إذ انتقل فيها من أسر العثمانيين إلى أسر تيمور بعد أن أسر السلطان بايزيد نفسه وحاشيته ومنهم شيلتبرغر بيد قوات تيمور لنك. وبسبب أن شيلتبرغر كان يخدم في حاشية السلطان الخاصة جعلته يسجل مقدمات الحرب في رحلته وأسبابها الناجمة من الطرفين، فأشار إلى غزو السلطان العثماني لمدينة أرزنجان بأرمينيا الصغرى وطلب مساعدة أميرها من تيمور ورفض بايزيد اعادتها مما نشب جراه معركة أنقرة.⁵⁰

ففي تفاصيل المعركة ومما تسبب في انتصار تيمور نجد أن شيلتبرغر قد ذكر عدة أمور هامة منها انضمام القوات المغولية الموجودة في الجيش العثماني إلى قوات تيمور لنك وفرار قوات الإمارات التركمانية أيدين ومنتشا وصاروخان وجرميان من ساحة المعركة⁵¹، كما ذكر شيلتبرغر أن تيمور لنك كان قد أشرك اثنين وثلاثين فيلاً مدرباً على القتال في معركة أنقرة.⁵² ويبدو أن الأخير قد تعرف على استخدام الأفيال في المعارك نتيجة حروبه في الهند. وذكر شيلتبرغر ما حصل من أحداث بعد المعركة من أسر بايزيد ووفاته في الأسر وزحف قوات تيمور باتجاه مركز العثمانيين في بورصا ونهبهم ثروات وخزائن السلطان العثماني فيها.⁵³ وكان أبرز نتيجة لموقعة أنقرة على الصعيد الشخصي لشيلتبرغر كما أسلفنا هو انتقاله من أسر القوات العثمانية على أسر تيمور لنك.

في مملكة تيمور لنك ووصفه لها بعد وفاة تيمور

وحيثما خسر بايزيد معركة أنقرة ضد تيمور في 20 من تموز سنة 1402 م / 10 ذو الحجة 804 هـ انتقل شيلتبرغر إلى أسر قوات تيمور لنك وشهد أسر مليكه السابق السلطان بايزيد الأول العثماني أيضاً وصحب تيمور في حروبه في الأناضول. كما دخل شيلتبرغر لأول مرة إلى أرمينية وجورجيا مع جيش تيمور بعد غزوه للأناضول، وعاد مع تيمور في عسكر أرسل إلى أبخازيا في القوقاز واستراح في قراباغ ثم عَبَّرَ نهر أرس إلى سمرقند.⁵⁴ ومن بعد روى لنا انتصارات تيمور في أذربيجان والشام والهند مع بعض التفاصيل التي لا نجدتها في المصادر المعاصرة لذلك الوقت وذكره لما ارتكبه تيمور من مجازر وفظائع مروعة بحق أهل تلك المناطق.⁵⁵

وتفصيل هذه الأحداث يبدأ بصراع تيمور مع المماليك على النفوذ في بلاد الشام فقد تعرض لما سمعه من اجتياحه لها وتدمير حلب عام 1400 م إلا أنه قد بالغ في عدد جيش تيمور وأعداد المدافعين عن المدينة، إضافة على أنه لم يشير لمقاومة دمرداش قائد قلعة حلب، ولم يذكر فظائع تيمور مع سكان المدينة التي ذكرتها المصادر التاريخية المختلفة.⁵⁶ ثم نجد أن شيلتبرغر قد أشار إلى استيلاء تيمور على حماة وحمص ودمشق وما ارتكبه من جرائم في هذه البلدان.⁵⁷

واستمر شيلتبرغر في متابعة تحركات تيمور لنك وقواته من الشام إلى بغداد وفرار أحمد بن أويس الجلائري إلى السلطان بايزيد العثماني فقد تمكن عند ذلك المغول بنهب المدينة وارتكاب المجازر بأهلها.⁵⁸ وذكر أيضاً شق عصا الطاعة من قبل أحد ولاة تيمور لنك على أحد نواحي عراق العجم أو ما كان يعرف بإقليم الجبال سابقاً واستيلائه على أموال الخراج وتحالفه مع أمير مازندران مما تسبب في توجه تيمور نحوه إلا أن الغابات الكثيفة التي اختبأ فيها هذا الأمير مكنته من عدم الملاحقة بواسطة جيش تيمور.⁵⁹ وقد اتفقت روايته مع ما نقله خواند امير المؤرخ الشهير في ذلك العصر إلا فيما ذكره من أن تيمور في النهاية تمكن منه وقتله وأن مسألة الخلاف بينه وبين تيمور لم تكن قضية حبسه لأموال الخراج.⁶⁰

كما ذكر اجتياحه لأصفهان سنة 1393 م والمجازر الوحشية التي ارتكبها ضد السكان والأطفال وقتله لآلاف الناس⁶¹ وهذا ما اتفقت عليه المصادر الإسلامية المعاصرة لتلك الأحداث⁶² إلا أن شيلتبرغر انفرد بمعلومة لم ترد

في المصادر وهي أن تيمور لنك أمر بقطع إجماع اثنا عشر ألف شخص من الرماة في حامية المدينة عندما غدروا بجيشه.⁶³

ولم يحضر شيلتبرغر غزو الهند على يد تيمور لكنه سمع من أخباره وذكر أنه تمكن من الاستيلاء على عاصمة الهند مدينة دهلي سنة 1398 فذكر أن الجيش المغولي قطع المسافة بين سمرقند ودهلي في أربعة أشهر عبر الصحراء وفي المسار مرو بممر جبلي خطير وربطوا الخيول والجمال عبر ألواح خشبية كي تتمكن من الانخفاض حتى يتمكن من اجتياز العقبة⁶⁴، كما أشار إلى أن تيمور كاد أن يخسر الحرب بسبب اشتراك أربعمئة فيل مدرب وكان على كل فيل برج خشبي يحمل عشرة محاربين بأسلحتهم، وقد تراجع خيول تيمور من هذه الأفيال في الميدان في بادئ الأمر، فكانت حيلته أن شددت الأخشاب على ظهور الجمال وأشعل النار فيها وعندما أحست الإبل بلهب النار هاجمت الأفيال بشكل عنيف التي جعلت الأفيال تضطرب وتهرب من أمامها.⁶⁵ ولم يغفل شيلتبرغر تفاصيل مفاوضات تيمور مع حاكم الهند في دهلي "ملو" بعد أن هزمه من حصول تيمور على مائتي كيلوغرام من ذهب الهند، فضلاً عن كمية من الأحجار الكريمة مع اتفاق بتزويد تيمور بثلاثين ألف مقاتل لمساعدته في غزواته.⁶⁶

وتحدث شيلتبرغر باقتضاب أيضاً عن عزم تيمور في غزو الصين. وكان السبب حسبما نقل شيلتبرجر هو تأخر دفع الضريبة السنوية من قبل تيمور للصينيين خاصة بسبب انشغال تيمور بحروبه ضد العثمانيين والمماليك.⁶⁷ وذكر شيلتبرغر أن تيمور رغب في شق عصا الطاعة على الإمبراطور الصيني، فتشاور مع أمراء جيشه في الخروج بحملة عسكرية للرد عليه. ونجده قد بالغ في ذكر عدد جيشه، فقد أوصل عددهم إلى المليون وثمانمائة ألف مقاتل ساروا لمدة شهر كامل قبل أن يجتازوا الصحراء الجليدية التي تقع في الطريق إلى الصين.⁶⁸ في حين المصادر الأخرى تقدر الوقت في اجتياز هذه الصحراء الجليدية بسبعين يوماً وعدد مقاتلي جيش تيمور بثمانمائة ألف رجل فقط.⁶⁹ ولم يستطع جيش تيمور وجحافلها باجتياز هذه الصحراء سوى لمسير مستمر لعشرة أيام بسبب الجليد والبرودة القارصة فضلاً عن مقتل العديد من الجنود بالسبب ذاته فعند ذلك قرّر التوقف عن المضي في حملته.⁷⁰ وتذكر المصادر أن تيمور قرر قبل أن يعدل عن قراره في غزو الصين بشكل نهائي إرسال أحد الأمراء لاستطلاع

إمكانية مواصلة السير فعادوا وأخبروه باستحالة اجتياز الصحراء الجليدية، فعند ذلك عدل عن قرار غزو الصين وعاد إلى سمرقند.⁷¹

ونرى شيلتبرغر لم يتناول تفاصيل وفاة تيمور ولا تاريخه، وقد اكتفى بذكر أسباب ثلاثة تخمن أن أحدها هي سبب موته وهي: هروب تابعه السابق بالخراج وخيانة أحد زوجاته وحنقه بعد أن قتلها.⁷² ولم يحدد أيضاً مكان دفن تيمور لنك بدقة، فلم يذكر سوى أنه دفن في سمرقند بعد جنازة مهيبة.⁷³ ونقل لنا شيلتبرغر رواية ما مضمونها أنها حدثت بعيد وفاة تيمور لم تذكرها المصادر التاريخية المعاصرة سوى في مصدر أرميني تتحدث عن سماع شيوخ الخانقاه التي دفن فيها جثمان تيمور صوت عواء ليلي من مدفن تيمور لمدة عام كامل. فقام أصدقاء تيمور بالتصدق عنه حتى يتوقف هذا الصوت، غير أنه لم يحدث ذلك، فاستعانوا بالفقهاء الذين طلبوا من أبناء تيمور إطلاق جميع الأسرى من الحرفيين الذين أحضرهم تيمور قسراً للعمل في مركز حكمه في سمرقند وما أن قاموا بتلبية طلب الفقهاء حتى توقف ذلك الصوت.⁷⁴

ثم نجد أن شيلتبرجر قد أخفق مرة أخرى في حصر التواريخ بدقة فذكر هنا أنه قد قضى في خدمة سيده تيمور لنك ستة أعوام، في حين نرى أنه لم يمكث معه سوى أقل من ثلاثة أعوام من معركة أنقرة سنة 1402 م إلى وفاته سنة 1405 م.⁷⁵

وبعد وفات تيمور خدم شيلتبرغر ولده شاهرخ واشترك في حروبه في أقاليم مازندران وأرمينية وسمرقند وأطراف نهر الجيحان. وقضى الشتاء في سهول قراباغ التي تمتاز بالخصب.⁷⁶ وبعد هزيمة أمير القره قويونلو الأمير قرا يوسف أرسل شيلتبرغر في فوج لنصرة ميرانشاه أخو شاهرخ.⁷⁷ وبعد عام استطاع قرا يوسف من هزيمة ميرانشاه وقتله وعند ذلك انضوى شيلتبرجر في معسكر ولده أبي بكر بن ميرانشاه وخدمه في قارص وإيروان.⁷⁸

في بلاط قبيلة المغول الذهبية

ذكرنا سابقاً أن شيلتبرغر وصل إلى أذربيجان لخدمة أبي بكر بن ميرانشاه. وقد ذكر هناك أنه اتصل ببعض من كان يعتنق ديانته المسيحية، فنراه قد زودنا بمعلومات عن حياة المسيحيين في الأراضي الإسلامية. فمن هؤلاء أربعة من المسيحيين أرسلوا مع شيلتبرغر كمرافقين لسفير مغول القبيلة الذهبية في إمارة أبي بكر بن ميرانشاه

"جكرة أوغلان" في طريق عودته إلى سهل القبجاق مقر حكمهم عندما وصله خبر اختياره حاكماً للقبيلة بعد أن اختير لهذا المنصب، فما كان من شيلتبرغر إلا أن انتقل معه إلى خدمة بلاط مغول القبيلة الذهبية.⁷⁹ ولم ينس شيلتبرغر وصف البلاد العديدة التي مر بها حتى أراضي التاتار برفقة جكرة أوغلان أمير القبيلة الذهبية الجديد مثل بلاد الكرج وشروان ثم دربند ثم بعد أن عبروا الساحل الغربي لبحر قزوين وصلوا إلى أستراخان ومن هناك وصلوا تاتارستان الكبرى ومدينة سراي مركز حكم القبيلة الذهبية. وقد نقل لنا شيلتبرغر تفاصيل غريبة عن إمارة قبيلة المغول الذهبية تؤيدها التقارير التاريخية لمؤرخي عصره الآخرين منها الخشونة التي كانت تمتاز بها التاتار في جيش المغول الذهبية وطريقة حياتهم الصعبة الجشبة ومنها أكل اللحم النيء وشرب دماء الخيول و.⁸⁰ وما ذكر من أمور تتعلق بإمارة المغول الذهبية هي حروبهم التوسعية واصطدامهم مع الروس، فقد ذكر وهو يتحرك في أرجاء سهول روسيا وصفاً لما يشاهده من طبيعتها البرية وعادات وتقاليد أهلها وأديانهم ومذاهبهم وطريقة حلهم وارتحالهم. وفي نهاية الأمر وبعد أن مكث شيلتبرجر في سراي عاصمة مغول القبيلة الذهبية حوالي عشرة أعوام تمكن من الفرار بعد ذلك عبر البحر الأسود إلى مدينة القسطنطينية ومن ثم نجح في العودة إلى بلاده ألمانيا ويعكف على إملاء رحلة المليئة بالأحداث التاريخية الهامة حول مجتمعات العثمانيين والمغول والمماليك والبيزنطيين والأرمن.⁸¹

انطباعاته عن الإسلام والمسلمين:

كما مر سابقاً فإن شيلتبرغر عاش محافظاً على مسيحيته الكاثوليكية طيلة زمن أسره عند المسلمين ما بين العثمانيين والمغول. فمر بتجربة فريدة من نوعها مكنته من مخالطة المسلمين ومعايشة الدين الإسلامي ومعتنقيه عن قرب والاطلاع على طقوسهم والشعائر التي يمارسونها. وقد نال هذا الأمر اهتماماً بالغاً في نفسه بحيث نجده قد خصص عشرة فصول من رحلته لهذا الشأن ولعل السبب في هذا الاهتمام نابع من حبه في الاطلاع على خصومه وبيان ثبات قدمه فيما يعتقد وأنه لم يتأثر بخصومه مع ما كان يعيشه من حياة العبودية في كنف أسياده المسلمين آنذاك. وقد يظن القارئ أن هذا الكم من الكتابة عن المسلمين قد جعلت شيلتبرغر يسير أغوار الدين الإسلامي بشكل موضوعي ودقيق، فالجواب هو النفي والسبب هو أولاً ثقافته المسيحية المتعصبة التي كانت ترى من المسلمين أعداء المسيحية الأول في العالم والثانية هو ما حكمته البيئة والمناخ الثقافي الذي عاش فيه داخل

الأراضي الإسلامية وهي الثكنات العسكرية والأجواء العسكرية البعيدة عن الثقافة والعلم فضلاً عن المناقشات العقديّة وما سواها في الأمور الدينية.

فلأسباب المذكورة تراه قد دون معلومات عن الإسلام والمسلمين مما استمع إليها أو شاهدها قد تمتاز بالتشويش وقد اختلطت فيها الحقيقة بالأسطورة عن الإسلام وتعاليمه وشرائعه ونبيه (صلى الله عليه وآله) لدرجة أنه في بادئ الأمر ذكر أن المسلمين يدينون بعدة ديانات، فمع أن غالبيتهم يؤمنون بمحمد إلا أن منهم من يؤمن بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) والبعض الآخر بشيخ مسلم يدعى المولى⁸² وآخرون يؤمنون كما آمن الملوك الثلاثة قبل تعميدهم، بل إن بعضهم يعبدون النار.⁸³ ومن الواضح أنه حصل الكثير من التخليط عند شيلتبرغر فالذي ذكره هو جمع لكافة الأديان في زمانه من الإسلام والمسيحية والزرادشتية والشامانية والمانوية كان سكان المناطق التابعة للعثمانيين ومغول القبيلة الذهبية قد اعتنقوها وظن أنه جميعاً ديانات أو مذاهب تنضوي تحت راية الإسلام. كما نجده قد ميّز بين فرقة هامة من فرق الإسلام وهم الشيعة وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على سعة انتشار عقيدتها بين المسلمين وأهميتها في المشرق الإسلامي خاصة بعد زوال الدولة العباسية، وما كانت تنتشر في المشرق من مؤثرات أخرى للمذاهب الشيعية الأخرى مثل الإسماعيلية الذين كانوا قد انتشروا في الأناضول وآسيا الوسطى.⁸⁴

وهناك جزء كبير من معلوماته الخاطئة عن الإسلام والمسلمين خصّت السيرة النبوية ومنها ما يتعلق بالنبوءة المتعلقة بنبي المسلمين قبل أن يأتيه الوحي. وبدأ بذكر النبي (صلى الله عليه وآله) منذ ولادته في الجزيرة العربية لأبوين فقيرين، ومرافقته لبعض التجار في أسفارهم التجارية إلى مصر عندما كان صبياً وأشار إلى أمر أكدته مصادر السيرة أن النبي (صلى الله عليه وآله) حينما كان يتوقف كانت تظله غمامة دائماً.⁸⁵ كما أنه ذكر أوصافاً دقيقة لنبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) فذكر بموضوعية أن النبي (صلى الله عليه وآله) "... دعا إلى الإيمان بالله خالق السماوات والأرض، وليس بالأصنام التي صنعها البشر، التي لا تسمع بأذانها ولا تبصر بأعينها، ولا تتكلم بألسنتها، وليس لها قدم ولا تستطيع السير، ولا تمتلك دفع الضرر عن نفسها".⁸⁶

كما نجده في هذا الجزء من رحلته يؤكد باستمرار على مسألة اضطهاد المسلمين للمسيحيين وهو ناتج عن أجواء العداء المسيطر آنذاك في علاقة المسلمين مع أوروبا المسيحية ونتيجة ما كان يعانيه من وطأة الأسر الطويل، وقد

أكد في هذا الشأن أنه أمر قديم تقع في بنية الدين الإسلامي نفسه. حتى أنه اتهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) بأنه كان قد عهد إليه النبي (صلى الله عليه وآله) بمحاربة مسيحيي الجزيرة العربية وإكراههم بالسيف على دخول الإسلام.⁸⁷ وزعم أن كتاب المسلمين القرآن يذكر أنه تم قتل تسعين ألفاً من المسيحيين في يوم واحد، ولهذا أسلمت الجزيرة العربية كلها.⁸⁸ وهذا الأمر قطعاً له مؤثرات دعتة ينادي به كما أسلفنا سابقاً من قبيل ما حدث من ممارسات ضد المسيحيين على يد العثمانيين ومغول القبيلة الذهبية في شمال العالم الإسلامي جاءت معظمها كردة فعل ضد ما فعله المسيحيون أنفسهم بالمسلمين.⁸⁹ ومدفوعاً بالواقع التاريخي الذي يحاصره في رحلة الأسر ذكر أن المسلم الذي يقوم بقتل المسيحيين بهذه الطريقة يطلق عليه لقب "غازي"⁹⁰، وهناك الكثير ممن لقب بهذا اللقب في بلاد الترك ودائماً ما يعادون المسيحيين؛ لأن هذه شريعتهم كما يقول شيلتيرغر.⁹¹

والجزء الآخر المهم من منطلقاته الفكرية في انطباعاته عن الإسلام والمسلمين نراه قد خصّصه لرؤية الإسلام والمسلمين للديانة المسيحية وأصولها. فقد عرض بأمانة وحياد موقف الإسلام من الدين المسيحي نفسه. فذكر أن المسلمين يؤمنون بميلاد المسيح (عليه السلام) من السيدة مريم العذراء وأنه حدثها في المهدي. وذكر أن المسلمين لا يعتقدون أن المسيح (عليه السلام) قد صُلب، بل أنه صُلب شبيه له.⁹²

وفي جزء آخر هام من وصفه وانطباعاته عن الإسلام والمسلمين قد صور لنا تحوّل العديد من المسيحيين إلى الإسلام ونقل لنا أخبار كيفية هذا الدخول في الإسلام، فذكر أن على المسيحي إذا أراد أن يسلم أن يرفع إصبعه عالياً ليردد الشهادتين قبل أن ينكر عقيدة المسيحية ثم يلبسه المسلمون ثوباً جديداً وعمّة بيضاء بجلاً من عمامته الزرقاء المسيحية أو عمّة اليهود الصفراء، ثم يركب فرساً لتبدأ مراسم الاحتفال ويزف بالطبول والمزامير في الأزقة والشوارع والناس تردد الأهازيج قبل أن يتم ختانه. وإن كان فقيراً قاموا بجمع الأموال والهبات والتبرعات له حتى يبدأ حياة جديدة. كما أشار إلى مراسم تحول النساء أيضاً إلى الإسلام بتوجه المرأة إلى قاضي القضاة ثم تردّد الشهادتين أيضاً وتنكر العقيدة المسيحية ثلاث مرات قبل أن تسلمه حزامها ليشقه إلى نصفين. ولم يتطرق إلى المكان الذي شاهد فيه عملية تحول الإنسان المسيحي إلى الإسلام سواء في سني أسره لدى العثمانيين أم لدى تواجده في بلاط تيمور لنك وخلفائه أم في جواره لقبيلة المغول الذهبية.⁹³ ومما نعلمه من وصوله إلى أرض دولة المماليك وفي مصر في عهد السلطان المملوكي الأشرف برسباي عام 1425 م ومكث فيها لمدة من الزمن في

وفد م قبل أمير مغول القبيلة الذهبية "جكرة أوغلان"، وبالمجمل فإن شكل عملية ومراسيم هذا التحول من المسيحية إلى الإسلام لم يكن فيها تغييراً ملحوظاً من منطقة إلى أخرى.⁹⁴

كما نجد أنه ذكر طقوس وشعائر المسلمين ومنها الصلوات اليومية الخمسة المعروفة لدى المسلمين وأوقاتها وشروطها وأماكن قيامها. ونجد أنه قد ركز وبيّن الأثر الكبير الذي كانت تأديه المساجد وخطبائها في حثّ الناس ولا سيّما الجنود العثمانيين على قتال المسيحيين. فعلى سبيل المثال نراه يتوقف كثيراً على دعاء المسلمين بعد الانتهاء من صلاة الجمعة داعين الله أن ينتقم من المسيحيين.⁹⁵ ثم يرى أن المسيحيون لو اتحدوا ونبذوا خلافاتهم لأمكنهم من الانتصار على المسلمين وهذا الأمر نابع من عقيدته بمسيحيته وتقنياته في الخلاص من أسر المسلمين بلا شك ولا ريب.⁹⁶ وذكر شيلتبرغر أيضاً عقوبة من يتخلف عن أداء الصلوات مهما كانت طبقتهم الاجتماعية، فكان يجري تكبيرهم على سلاط خشبية ليطاف بهم في شوارع المدينة، قبل أن يوثقون أمام المسجد حين انتهاء الصلاة، فيجلدون عندها خمساً وعشرين جلدة. وكذا كان الحال نفسه يحدث لمن ارتكب جريمة.⁹⁷ ولم تفوته في الإشارة إلى أهمية الوضوء عند المسلم وأن نقضه له يوجب إعادته ثانية.⁹⁸

وأشار إلى صيام شهر رمضان، وفي التفاتة هامة منه أشار إلى عدم جواز اقتراب المسلمين من زواجهم في نهار رمضان. كما ذكر أعياد المسلمين ومنا عيد الفطر الذي يستمر لثلاثة أيام، وقد وصف خطبة العيد.⁹⁹ ولم يؤكد على جملة ما كان يقوله الخطباء في خطب العيد سوى ذلك الهاجس الذي انتاب الأسير الألماني وهو دعاء المسلمين بطلب العون والقدرة من الله لمحاربة أعداء الدين الإسلامي.¹⁰⁰ كما تعرض بتفصيل أكبر لاحتفالات المسلمين بعيد الأضحى وذبح الشياه والأبقار وتوزيع لحومها على الفقراء.¹⁰¹

كما أشار شيلتبرغر إلى مسألة تحريم شرب الخمر عند المسلمين ونالت اهتمامه فذكر أن نبي الإسلام قرّر تحريمها بسبب العريضة والشجار والقتل التي من الممكن أن تحدث بسببها.¹⁰²

وفي أثناء الكلام عن الإسلام والمسلمين وذكر انطباعاته عن هذه الأمور نراه كثيراً ما تطرق لجوانب ومظاهر اقتصادية واجتماعية والإنسانية الإيجابية التي كان يتمتع بها المسلمون ممن عاش في كنفهم وقد تحدث عن هذه الأمور بحياة تام. ومنها ما ذكره من عادات المسلمين الانسانية في شهر رمضان في التعاون فيما بينهم والتراحم

فقد ذكر أن من لديه بيوت من المسلمين لم يتقاضى إيجاراً من السكان المسلمين في الشهر الفضيل وعدم غلاء الأسعار فيه ولاحظ أنهم كانوا يقتنعون ببيع عادل ربما كان يبلغ واحداً على أربعين من سعر السلعة المباعة.¹⁰³

الخاتمة:

تمثل رحلة يوهان شيلتبرغر الألماني للباحث في التاريخ الإسلامي وعلاقات الدول الإسلامية مع أوروبا في مطلع القرن التاسع الهجري نصاً تاريخياً هاماً يعكس وجهة نظر الطرف الأوروبي تجاه الإسلام والمسلمين ووصفاً لبعض ملامح البلدان الإسلامية التي تقلب فيها فقد خرج من إقليم بافاريا جندياً في جيش الأوروبيين بقيادة زيكموند ملك المجر لحرب العثمانيين وحصار مدينة نيكوبوليس وبعد هزيمتهم خدم العثمانيين بوصف أسيراً عندهم. ويمتاز هذا الجزء من الرحلة بوصف حصار وحرب نيقوبوليس وصفاً دقيقاً ناتج عن شهادات شاهد عيان للأحداث وإن كان تدوين الرحلة بعد عودته من الأسر، ثم معاملة السلطان العثماني مع الأسرى والمباشرة بقتلهم إلا من كانوا دون العشرين ومنهم شيلتبرغر فبهذا الشكل نجى من القتل والموت المحتوم وعندما توزع الأسرى صار في حاشية السلطان بايزيد العثماني. وأشار في هذه الفترة إلى نزاع أمراء الأناضول مع السلطان العثماني والانتصارات التي حققها بايزيد على خصومه. كما تعرض للعلاقات العثمانية المملوكية وما شابهها من توتر بسبب محاولات السلطان بايزيد التوسعية ومنها ضم مدينة الملقية إلى حدود بلاده. وروى لنا محاولته للهروب من الأسر العثماني رفقة عدد من زملائه الأسرى المسيحيين التي باءت بالفشل وسجن إثرها ثم خرج بعفو سلطاني بشفاعة أحد القادة العثمانيين. كما وصف لنا معركة أنقرة الفاصلة بين العثمانيين وتيمور لنك التي كان حاضراً فيها أيضاً وانتصار تيمور لنك الكاسح على العثمانيين وأسر السلطان بايزيد بيده فبهذا كان مصير شيلتبرغر أن انتقل إلى خدمة تيمور لنك ومعسكره.

وبعد انضمامه في صفوف جيش تيمور لنك جاب معه الأناضول ودخل لأول مرة إلى أرمينية وجورجيا وأبخازيا والقوقاز وعاد إلى سمرقند. وروى لنا انتصارات تيمور في أذربيجان والشام والهند مع بعض التفاصيل التي لا نجدها في المصادر المعاصرة لذلك الوقت وذكره لما ارتكبه تيمور من مجازر وفظائع مروعة بحق أهل تلك المناطق. ثم تطرق لصراع تيمور لنك مع المماليك وحروبه في بلاد الشام وانتزاع حلب ودمشق من حدود بلادهم ثم غزوه لبغداد ونهبها وفرار أحمد بن أويس الجلائري منها. وذكر اجتياحه لأصفهان وغزوه للهند وكيفية سيطرته على

دهلي مركز بلاد الهند آنذاك وقد زدونا ببعض التفاصيل عن تواجد عسكر تيمور في الهند وإن لم يكن شاهد عيان لما حصل بل سجل ما سمع من تلك الحروب. ثم ذكر عزم تيمور لغزو بلاد الصين وانصرافه عن هذا الأمر بسبب البرد والتضاريس الجغرافية القاسية والشاسعة بين بلاد ما وراء النهر مركز حكمه والصين وأن عبور هذه التضاريس بحاجة إلى إعداد العدة وليس العجلة. ثم ذكر موت تيمور لنك في طريقه لغزو الصين وانتقاله لخدمة ولده شاهراخ اشترك في حروبه وأرسل في أحد الجيوش لإمداد ميران شاه أخي شاهراخ ومكث معه في بلاطه وبع قتله على يد قرا يوسف القره قويونلي خدم ولده أبي بكر.

ومن خدمة أبي بكر بن ميران شاه أرسل مع وفد مرافق لسفير مغول القبيلة الذهبية عندما وصله كتاب من مركز حكمهم في مدينة سراي يبلغه بإجماع الأمراء على اختياره حاكماً عليهم. فكان انتقاله على بلاط مغول القبيلة الذهبية، فوصف لنا بلاد الكرج وشروان ودريند والساحل الغربي لبحر قزوين وصولاً بميناء أستراخان وتاتارستان الكبرى وصولاً بمدينة سراي مركز حكم القبيلة الذهبية. وامتاز في هذا الجزء من رحلته بذكر ما شاهده من وصف برية روسيا وعادات وتقاليدها وأديانهم ومذاهبهم وطريقة حلهم وارتحالهم.

كما امتازت رحلته بذكر انطباعاته عن الإسلام والمسلمين. وبالمجمل نرى أن كتاباته فيما يخص هذا الأمر كانت تختلف عن رؤية النخب الأوروبية تجاههما، فلم يهتم بطعن الإسلام كدين أو وصمه بالوثنية ولا بطعن نبيه كما فعلت النصوص الكنسية وكتابها بل أن تعامله اليومي قد أثر فيما نقله من الحقيقة وإن كانت روايته لا تخلو من الرؤية الشعبية العامية عن الإسلام. كما نجده قد ذكر عقيدة المسلمين في الدين المسيحي وتبجيلهم لعيسى وأمه مريم (عليهما السلام) لكنه قد أفاض في اتهام المسلمين بالتحريض على اضطهاد وقتل المسيحيين. وتمكن من العيش والتعامل اليومي مع المسلمين لعدة سنوات فتمكن من تصوير هذه التجربة وذكر بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية وغيرها من أوصاف للمجتمع الإسلامي في ذلك مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي فقد اتسمت أوصافه هذه بالموضوعية في كثير من الأحيان وذكر الصفات الإيجابية التي تمتع به المسلمون آنذاك.

ومن أهم النقاط التي يستشف من خلال رحلة يوهان شيلتبرغر إلى الأراضي الإسلامية هو عدم تعرضه للاضطهاد في اجباره بتغيير عقيدته على أقل تقدير مع ظروف أسره وإرجاعه إليها عندما حاول الهرب ذات مرة من أسر

العثمانيين كما ذكر. وما دل من كتاباته أنه بقي راسخاً في عقيدته حتى زمن إملاء رحلته بعد خلاصه من الأسر وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تسامح المسلمين عقدياً مع الديانات الأخرى التي كانت تعيش في دولهم وعلى أراضيتهم.

المصادر والمراجع

أ. المصادر العربية:

- ابن أياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي (توفي بعد 930 هـ / 1524 م):
1. **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، ط3، (القاهرة . 2008).
 2. **ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري** (ت 874 هـ / 1470 م):
 3. **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، (القاهرة . 2008).
 4. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت . 1992).
 5. **ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي** (ت 808 هـ / 1406 م):
 6. **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتب العلمية، (بيروت . 1992).
 7. **الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز** (748 هـ / 1348 م):
 8. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط2، (بيروت . 1990).
 9. **ابن الصيرفي، نور الدين علي بن داود بن إبراهيم الجوهري** (ت 900 هـ / 1495 م):
 10. **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، (القاهرة . 2010).
 11. **ابن عربشاه، شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي** (ت 854 هـ / 1450 م):
 12. **عجائب المقدور في نواب تيمور**، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة، (بيروت . 1986).
 13. **ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي** (ت 1089 هـ / 1678 م):
 14. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، حققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، (بيروت . 1993).
 15. **المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي** (ت 845 هـ / 1441 م):

9. السلوك لمعرفة دول الملوك، حققه وقدم له ووضع حواشيه: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، (القاهرة . 2007).

ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت 212 هـ / 828 م):

10. السيرة النبوية، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر، (بيروت . 2003).

ب. المصادر الفارسية:

خواند امير، غياث الدين محمد بن همام الدين حميد الحسيني الهروي الدهلوي (ت 942 هـ / 1535 م):

11. تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، تصحيح متن وفهرست مطالب واعلام جغرافياي وقبايل وكتب: محمد دبیر سياقي، مقدمه: جلال الدين همائي، انتشارات خيام، ط4، (تهران . 1380 ش).

يزدي، شرف الدين علي (ت 858 هـ / 1454 م):

12. ظفرنامه، تصحيح وتحقيق: سيد سعيد مير محمد صادق وعبد الحسين نوائي، كتابخانه موزه ومركز اسناد مجلس شوراي اسلامي، (تهران . 1387 ش).

ج. المصادر الأوروبية:

13. Doukas, M. Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks. By, Magonias, H. J., Detroit, 1975.

14. Froissart, chronicle of Froissart, Trans. By, John Bouchier, Lord Berners, Edited By, Macaulay, G. C., London, 1930.

15. Gauter, "Un Recit Indent Du Siege Du Constantinople Par Les Turces 1394-1402", in: Revue d, etudes Byzantion, Tom. XIII, 1965.

كلاويجو، روي كونسالس (ت هـ / م):

16. سفرنامه كلاويجو، ترجمه: مسعود رجب نيا، انتشارات بنكاه ترجمه ونشر كتاب، ط 2، (تهران . 1344 ش).

شيلت بركر، يوهان (ت هـ / م):

17. سفرنامه يوهان شيلت بركر بردكي وسفرهاي يوهان شيلت بركر در ايران اروبا آسيا وأفريقيا، ترجمه: ساسان

طهماسبي، مؤسسه انتشارات امير كبير، (تهران . 1396 ش).

د. المراجع العربية والمعربة:

إينالجك، خليل:

18. "العثمانيون النشأة والإزدهار"، بحث في كتاب: دراسات في التاريخ العثماني، ترجمة وتقديم: سيد محمد السيد، دار

الصحة، (القاهرة . 1996).

شبولر، برتولد:

19. العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة: خالد سعد، مراجعة: سهيل زكار، دار حسان، (دمشق . 1982).

طقوش، محمد سهيل:

20. تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، دار النفائس، (بيروت . 2007).

فامبري، أرمينوس:

21. تاريخ بخارا منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: أحمد السادتي، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب، مكتبة تحفة

الشرق، (القاهرة . 1987).

هـ. المراجع الأوروبية:

22. Atiya, A. S., The Crusade of Nicopolis, London, 1934.

23. Barker, J., Manuel II Palaelogus (1391-1425), A Study In Late Buzantine Statesmanship, New Jersey, 1969.

24. Hously, N., The Later Crusades from Leon to Alcazar, 1274-1580, Oxford, 1992.

Richard, J., "Les prisonniers de Nicopolis" in: Annales de Bourgogne, t. 68, 1996.

و. الدوريات العربية:

الطحاوي، حاتم عبد الرحمن:

25. "العنمانيون والمغول في مذكرات أسير الحرب يوهان شيلتبرجر 1396-1427 م"، مجلة المؤرخ العربي، العدد: 18، اتحاد

المؤرخين العرب، (القاهرة . 2010).

الطحاوي، حاتم عبد الرحمن:

26. "أوروبا والمسلمون صورة الآخر رؤية أسيرين أوروبيين من القرن الخامس عشر الميلادي"، مجلة التفاهم، العدد: 36، السنة:

2012، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان، (مسقط . 2012).

1 . Munich (Munchen).

2 . Bavaria (Bayern).

3 . Frisingen مدينة تقع في لوكزيمبورغ الآن. (الباحث)

4 . شيلت بركر، يوهان: سفرنامه يوهان شيلت بركر بردكي وسفرهاي يوهان شيلت بركر در إيران اروبا آسيا وأفريقيا، ترجمه:

ساسان طهماسبي، مؤسسه انتشارات امير كبير، (تهران . 1396 ش)، ص43.

5 . Johann Georg Turmair (1477-1534).

6 . Johannes Aventinus.

7 . Albrecht III (1438-1460)

-
- 8 . ينظر: شيلت بركر: سفرنامه، ص3231، (مقدمة المترجم إلى الإنجليزية).
9 . م. ن. والصفحة.
- 10 . Karl Friedrich Neumann (1793-1870).
11 . Universität Ingolstadt.
12 . م. ن. والصفحة.
- 13 . Marco Polo.
14 . م. ن.، ص34.33، (مقدمة المترجم إلى الإنجليزية).
- 15 . Nicopolis
16 . siegmund (1387-1437).
17 . م. ن.، ص47.
18 . ينظر:
- Froissart, chronicle of Froissart, Trans. By, John Bouchier, Lord Berners, Edited By, Macaulay, G. C., London, 1930, pp. 443;
الطحاوي، حاتم عبد الرحمن: العثمانيون والمغول في مذكرات أسير الحرب يوهان شيلتيرجر 1427.1396 م، مجلة المؤرخ العربي، العدد: 18، اتحاد المؤرخين العرب، (القاهرة. 2010)، ص335.
19 . شيلت بركر: سفرنامه، ص45.44.
20 . ينظر:
- Froissart, op. cit., p. 443;
الطحاوي: العثمانيون والمغول، ص335.
- 21 . Burgundy.
22 . شيلت بركر: سفرنامه، ص45.44.
23 . م. ن.، ص45.
24 . ينظر:
- Froissart, op. cit., pp. 446-447: Doukas, M. Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks. By, Magonlias, H. J., Detroit, 1975, pp. 83-85;
الطحاوي: العثمانيون والمغول، ص335.
25 . ينظر: الطحاوي: م. ن.، ص336
26 . ينظر:

Richard, J., "Les prisonniers de Nicopolis" in: Annales de Bourgogne, t. 68, 1996, pp. 76-77.

27 . Bouciqui

: 28 ينظر:

Froissart, op. cit., p. 447.

29 . Charles VI.

30 . Manuel II. "Paleologus".

: 31 ينظر:

Doukas, op. cit., pp. 83-86; Barker, J., Manuel II Palaelougus (1391-1425), A Study In Late Buzantine Statesmanship, New Jersey, 1969, pp. 127-128, 138-144; Gauter, "Un Recit Indent Du Siege Du Constantinople Par Les Turces 1394j1402", in: Revue d, etudes Byzantion, Tom. XIII, 1965, pp. 100-110.

32 . شيلت بكر: سفرنامه، ص 47.

33 . Rahova.

: 34 ينظر:

Atiya, A. S., The Crusade of Nicopolis, London, 1934, p. 86; Hously, N., The Later Crusades from Leon to Alcazar, 1274-1580, Oxford, 1992, pp. 76; Richard, op. cit., p. 76.

35 . شيلت بكر: سفرنامه، ص 47.

36 . م. ن.، ص 48.

37 . الطحاوي: العثمانيون والمغول، ص 338.

38 . شيلت بكر: سفرنامه، ص 47.

39 . م. ن.، ص 48.

40 . م. ن.، ص 5049.

41 . ينظر: إينالجك، خليل: "العثمانيون النشأة والإزدهار"، بحث في كتاب: دراسات في التاريخ العثماني، ترجمة وتقديم: سيد

محمد السيد، دار الصحوة، (القاهرة. 1996)، ص 54.

42 . شيلت بكر: سفرنامه، ص 49.

43 . م. ن.، ص 50.

44 . م. ن.، ص 50.

45 . م. ن.، ص 57.

- 46 . كانت لبازيد العثماني مراسلات مبكرة مع المماليك يحذرهم من تيمور لنك ويطلب التحالف معهم. ينظر: المقريري، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت 845 هـ / 1441 م): السلوك لمعرفة دول الملوك، حققه وقدم له ووضع حواشيه: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، (القاهرة . 2007)، ج3، ق2، ص813؛ ابن أياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي (توفي بعد 930 هـ / 1524 م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، ط3، (القاهرة . 2008)، ج1، ق2، ص471؛ إلا أن تعرض بايزيد العثماني لحدود المماليك جعلهم يرفضون التحالف معه فيما بعد. ينظر: ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الأتابكي (ت 874 هـ / 1470 م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت . 1992)، ج12، ص174.
- 47 . ينظر: ابن أياس: م. ن.، ج1، ق2، ص476.
- 48 . شيلت بركر: سفرنامه، ص58.
- 49 . م. ن.، ص5251.
- 50 . م. ن.، ص5958. أكدت العديد من المصادر الإسلامية صحة كلام شيلتبرغر في نقله لبعض أسباب معركة أنقرة. ينظر: خواند امير، غياث الدين محمد بن همام الدين حميد الحسيني الهروي الدهلوي (ت 942 هـ / 1535 م): تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، تصحيح متن وفهرست مطالب واعلام جغرافياي وقبائيل وكتب: محمد دبیر سياقي، مقدمه: جلال الدين همائي، انتشارات خيام، ط4، (تهران . 1380 ش)، ج2، ص491.487؛ ابن عربشاه، شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي (ت 854 هـ / 1450 م): عجائب المقدور في نواب تيمور، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة، (بيروت . 1986)، ص313.308؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص210.209؛ ابن الصيرفي، نور الدين علي بن داود بن إبراهيم الجوهري (ت 900 هـ / 1495 م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، (القاهرة . 2010)، ج2، ص151.150.
- 51 . شيلت بركر: م. ن.، ص59؛ ذكرت بعض المصادر الإسلامية ما ذهب إليه شيلتبرغر من أسباب هزيمة بايزيد أمام جيش تيمور لنك الكبير. ينظر: ابن تغري بردي: م. ن.، ج12، ص210؛ ابن عربشاه: م. ن.، ص320، 322، 328.
- 52 . شيلت بركر: م. ن.، ص59.
- 53 . م. ن.، والصفحة. ذكرت بعض المصادر الإسلامية ما ذهب إليه شيلتبرغر. ينظر: ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص337؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص211.210.
- 54 . شيلت بركر: م. ن.، ص6159.
- 55 . م. ن.، ص6359؛ الطحاوي: العثمانيون والمغول، ص347.343.

- 56 . شيلت بركر: م. ن.، ص 6059؛ للمقارنة بين ما ذكره شيلتبرغر مع ما ورد في المصادر التاريخية الإسلامية ولمزيد من التفاصيل عن أحداث حصار حلب وأعداد الجيش في معسكر الطرفين ينظر: ابن أياس: بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 596.598؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 209.205؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 181.187؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج 2، ص 79.74؛ المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ق 3، ص 1034.1032؛ ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي (ت 1089 هـ / 1678 م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه وعلّق عليه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، (بيروت . 1993)، ج 9، ص 98؛ يزدي، شرف الدين علي (ت 858 هـ / 1454 م): ظفرنامه، تصحيح وتحقيق: سيد سعيد مير محمد صادق وعبد الحسين نوائي، كتابخانه موزه ومركز اسناد مجلس شوراي إسلامي، (تهران . 1387 ش)، ج 2، ص 1061.1057؛ خواند امير: تاريخ حبيب السير، ج 3، ص 492.494.
- 57 . شيلت بركر: م. ن.، ص 61.60.
- 58 . عن غزو تيمور لبلاد وارتكاب المجازر والفظائع فيها ينظر: خواند امير: تاريخ حبيب السير، ج 3، ص 501.499؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 209؛ المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 3، ق 3، ص 1067؛ ابن أياس: بدائع الزهور، ج 1، ق 2، ص 633؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج 9، ص 99؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 306.302؛ وقد ذكر هذا الأخير أن بغداد أصبحت "دار السام" بعد أن كان دار السلام نتيجة وحشية تيمور وما ارتكبه من مجازر بأهل بغداد.
- 59 . شيلت بركر: سفرنامه، ص 64.63.
- 60 . ينظر: خواند امير: تاريخ حبيب السير، ج 3، ص 524.522.
- 61 . شيلت بركر: سفرنامه، ص 65.64.
- 62 . ينظر: ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 98؛ ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت 808 هـ / 1406 م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، (بيروت . 1992)، ج 5، ص 658.657.
- 63 . شيلت بركر: سفرنامه، ص 64.
- 64 . م. ن.، ص 62.

- 65 . م . ن .، ص 63. وعن أحداث استيلاء تيمور على الهند وفتحته لدلهلي ينظر: خواند امير: تاريخ حبيب السير، ج3، ص478.475؛ يزدي: ظفرنامه، ج1، ص941.922؛ وينظر: المقرئزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج1، ق2، ص934، 892؛ ج2، ص1024؛ ابن أياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص496.495، 591؛ شبولر، برتولد: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة: خالد سعد، مراجعة: سهيل زكار، دار حسان، (دمشق . 1982)، ص124؛ فاميري، أرمينوس: تاريخ بخارا منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: أحمد الساداتي، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب، مكتبة نخضة الشرق، (القاهرة . 1987)، ص232؛ كلاويجو، روي كونسالس: سفرنامه كلاويجو، ترجمه: مسعود رجب نيا، انتشارات بنكاه ترجمه ونشر كتاب، ط 2، (تهران . 1344 ش)، ص255.
- 66 . شيلت بركر: م . ن .، ص63.
- 67 . م . ن .، ص65.
- 68 . م . ن . والصفحة.
- 69 . عن تفاصيل تحرك جيش تيمور باتجاه الصين وأعداده ينظر: خواند امير: تاريخ حبيب السير، ج3، ص530.529؛ يزدي: ظفرنامه، ج2، ص1280.1277.
- 70 . خواند امير: م . ن .، ج3، ص533.532.
- 71 . يزدي: ظفرنامه، ج2، ص1286.1285.
- 72 . شيلت بركر: سفرنامه، ص66.65؛ وعن تفاصيل موت تيمور واختلاف الروايات في سببه ينظر: ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص392.391؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، (القاهرة . 2008)، ج4، ص130؛ خواند امير: تاريخ حبيب السير، ج3، ص535.533؛ يزدي: ظفرنامه، ج2، ص1295.1286.
- 73 . شيلت بركر: م . ن .، ص66؛ ذكر المؤرخ خواند امير أن جثمان تيمور نقلت من أوترار إلى سمرقند ووري التراب في خانقاه أمير زاده محمد سلطان. ينظر: خواند امير: م . ن .، ج3، ص533.
- 74 . شيلت بركر: م . ن .، ص66؛ وعن آلاف الأسرى من الحرفيين في بلاط تيمور ينظر: كلاويجو: سفرنامه، ص144.
- 75 . الطحاوي: العثمانيون والمغول، ص348.
- 76 . شيلت بركر: سفرنامه، ص67.66.
- 77 . م . ن .، ص67. وعن حروب ومعارك شاهرخ بن تيمور مع خصومه ينظر: شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص127.126.

- 78 . (هـ 92) شيلت بركر: م. ن.، ص69.67. عن أبي بكر بن ميرانشاه ينظر: ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص399؛ كلاويجو: سفرنامه، ص313.310.
- 79 . ينظر: شيلت بركر: م. ن.، ص69.
- 80 . ينظر: م. ن.، ص72.71.
- 81 . ينظر: م. ن.، ص78.73. وللمزيد عن تاريخ مغول القبيلة الذهبية ينظر: طقوش، محمد سهيل: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، دار النفائس، (بيروت . 2007).
- 82 . من المحتمل أنه قصد بالمولي الصوفي الشهير مولانا جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين البلخي القانوني الرومي المشهور بالمولوي المدفون بقونية في بلاد الأناضول وله أتباع كثير في زمن شيلتنرغر. (المترجم إلى الفارسية. ويتفق الباحث مع رأيه)
- 83 . ينظر: شيلت بركر: سفرنامه، ص102.
- 84 . ينظر: الطحاوي: أوروبا والمسلمون صورة الآخر رؤية أسيرين أوروبيين من القرن الخامس عشر الميلادي، مجلة التفاهم، العدد: 36، السنة: 2012، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان، (مسقط . 2012)، ص378.377.
- 85 . ينظر: شيلت بركر: سفرنامه، ص103. وعن مناقشة هذه الرواية لا بد من القول إن البعض من المؤرخين رفضوها لضعف إسنادها. ينظر: ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت 212 هـ / 828 م): السيرة النبوية، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر، (بيروت . 2003)، ج1، ص149؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (748 هـ / 1348 م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط2، (بيروت . 1990)، ج2 (السيرة النبوية)، ص57.
- 86 . ينظر: شيلت بركر: م. ن.، ص104.
- 87 . ينظر: م. ن. والصفحة.
- 88 . ينظر: م. ن. والصفحة.
- 89 . ينظر: الطحاوي: أوروبا والمسلمون، ص281.380.
- 90 . ينظر: شيلت بركر: سفرنامه، ص110؛ الغازي لقب تلقب به العديد من السلاطين والخلفاء العثمانيين، وكانت تطلق في زمامهم على الجندي الذي ضم أرضاً بالفتح للدولة العثمانية، وأطلقت بشكل خاص على القادة والسلاطين المجاهدين. ينظر: الطحاوي: م. ن.، ص380.
- 91 . ينظر: شيلت بركر: م. ن.، ص106.
- 92 . ينظر: م. ن.، ص111.

-
- 93 . ينظر: م. ن.، ص111.110 .
94 . الطحاوي: أوروبا والمسلمون، ص386 .
95 . ينظر: شيلت بركر: سفرنامه، ص106 .
96 . ينظر: م. ن. والصفحة .
97 . ينظر: م. ن. والصفحة .
98 . ينظر: م. ن.، ص105 .
99 . ينظر: م. ن.، ص107.106 .
100 . ينظر: م. ن.، ص107 .
101 . ينظر: م. ن.، ص108.107 .
102 . ينظر: م. ن.، ص109 .
103 . ينظر: م. ن.، ص111 .

الأترك والهياطلة

ومساهماتهم في تنظيمات جيش الدولة الساسانية

(226-651م)

الدكتور أنور عبد علي حميد المباح

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

أقسام البصرة

تاريخ الإيداع: 2020/10/10 م تاريخ التحكيم: 2020/10/21 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص

لاشك إننا لا نغفل عن أهمية دراسة التاريخ العسكري فأنت ميدان البحث فيه يحتل مرتبة سامية بين فروع الاختصاص والعمل التاريخي، نظراً لما شغلته الحروب والصراعات من حيز كبير جداً في حياة الإنسان في الماضي والحاضر وستظل تشغله في المستقبل.

والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أن المؤسسة العسكرية لها الدور الأكبر في الكثير من الأحيان في رسم مسيرة الأحداث التاريخية لأي مركز حضاري قديماً وحديثاً، لذا فإن أهمية دراسة التاريخ العسكري ولدت دافعاً للدراسة. كما وأن مؤسسة الجيش الساساني من (فكر وتنظيم) كانت نتاجاً لمسيرة تراكمية للخبرات والمهارات العسكرية للدول والامم التي سبقت وعاصرت الدولة الساسانية، اكتسبها الساسانيون وطوروها وأضافوا إليها بعد احتكاكهم بهم، لذا شكّل الاتصال الحضاري مورداً من موارد الفكر العسكري الساساني، وكان لاتساع أراضي الإمبراطورية الساسانية وطول فترة بقائها الذي زاد على أربعة قرون سببين لأن تحظى تلك الحضارة بثقافات متباينة جاءت من اختلاف الأمم والأقوام التي احتكت بها ومن ثمّ انصهرت تلك الثقافات في بوتقة الحضارة الساسانية.

وقد ساهمت الدوافع المتقدمة في تبلور موضوع البحث (الأترك والهياطلة ومساهماتهم في تنظيمات الجيش الساساني).

وقد اقتضت المادة التاريخية بمرجعياتها المختلفة، ولاسيما النصوص المتعلقة بالجانب العسكري إلى تبني هذه الدراسة، ففرضت طبيعة الموضوع منهجية أقرب ما تكون إلى المنهجية التحليلية المقارنة في محاولة عرض المشكلة وحلولها ودراسة الأثر والتأثير وجعلها تمر في مسار الدراسة التاريخية.

وفي ضوء الاعتبارات الموضوعية لطبيعة الدراسة فقد قُسمت على شكل مقدمة ومبحثين وخاتمة.

Turks and Hyatages and their contribution to the organizations of the Sassanid army

We do not lose sight of the importance of studying military history. The field of research occupies a high position among the branches of competence and historical work, given the very large space in human life of the past and the present that has occupied human life in the past and the present .

The fact that the military has often played a greater role in shaping the historical events of any ancient and modern cultural center, therefore, the importance of studying military history has generated a motivation for study.

The Sassanid Army Foundation of (Thought and Organization) was the product of a cumulative march of military expertise and skills of the states and nations that preceded and supported the Sassanid state, acquired and developed it and added to it after their contact with them, so the cultural communication was a resource of resources. Sassanid military thought, and the vastness of the territory of the Sassanid Empire and its long life span of more than four centuries were reasons why that civilization had different cultures that came from the different nations and nations that had embraced it and then melted into the crucible of Sassanid civilization.

The advanced motives contributed to the crystallization of the subject of the research (The Turks, the Hyata and their contribution to the organizations of the Sassanid army.)

The historical article, with its various references, particularly the texts relating to the military aspect, required the adoption of this study, and the nature of the subject imposed a methodology as close as possible to the comparative analytical methodology in trying to present the problem and its solutions and study the impact and impact and make it pass the path of historical study.

In the light of objective considerations of the nature of the study, it was divided into an introduction, two researches and a conclusion.

المقدمة

لاشك إننا لا نغفل عن أهمية دراسة التاريخ العسكري فأَنَّ ميدان البحث فيه يحتل مرتبة سامية بين فروع الاختصاص والعمل التاريخي، نظراً لما شغلته الحروب والصراعات من حيز كبير جداً في حياة الإنسان في الماضي والحاضر وستظل تشغله في المستقبل.

والواقع أَنَّ دراسة التاريخ العسكري أمر بالغ الأهمية والتأثير، لأنَّه يُحفز الشعوب على السعي لتحقيق المنجزات وتوحي الخسائر ويزوّد العسكريين بحس داخلي يساعدهم على اتّخاذ القرارات الاستراتيجية الصائبة⁽¹⁾.

فهو يزوّد القادة العسكريين بالتجربة العملية التي تساعدهم على اتّخاذ أي قرار مع استيعاب نتائجه فأَنَّ للتاريخ العسكري فوائد ودروساً لا مثيل لها تُهيئ الزاد الفكري الحاوي عظمة دروس الماضي.

والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها أن المؤسسة العسكرية لها الدور الأكبر في الكثير من الأحيان في رسم مسيرة الأحداث التاريخية لأي مركز حضاري قديماً وحديثاً، لذا فإن أهمية دراسة التاريخ العسكري وُلدت دافعاً للدراسة. وقد ساهمت الدوافع المتقدمة في تبلور موضوع الدراسة (الأترك والهياطلة ومساهماتهم في تنظيمات جيش الدولة الساسانية (226-651م)).

وبعد التقصي والبحث، أدركنا أهمية هذا الموضوع، ففقدنا العزم على البحث في هذا المجال. وقد أقتضت المادة التاريخية بمرجعياتها المختلفة، ولاسيما النصوص المتعلقة بالجانب العسكري إلى تبني هذه الدراسة، وفرضت طبيعة الموضوع منهجية أقرب ما تكون إلى المنهجية التحليلية المقارنة في محاولة عرض المشكلة وحلولها ودراسة الأثر والتأثير وجعلها تمر في مسار الدراسة التاريخية. وفي ضوء الأعتبارات الموضوعية لطبيعة الدراسة فقد قُسمت على شكل مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة. تناولنا في الأول منها: أهمية الأتصال الحضاري ودوره في قيام وتلاقح الأفكار بين الدول وجاء على سبيل التمهيد لدراستنا التي تضمنت في مبحثها الثاني: دراسة أصول الأترك والتركيز على موروثهم العسكري ومدى الفائدة التي حظي الساسانيون منهم، أما المبحث الثالث: فكان على نفس شاكلة الذي سبقه سوى أننا تطرقنا فيه لدراسة الهياطلة على أعتبار أنهم من الأقوام والأمم التي عاصرت الدولة الساسانية مدة زمنية طويلة وكانت لهم مساهمات حضارية معلومة لاسيما في فنونهم وأساليبهم الحربية. ولما كان الله عز وجل موضع الكمال وحده وإن الإنسان محلّ النقص فأنا من بواعث السعادة عند الباحث أن ينال هذا العمل المتواضع الرضى والقبول عند الدارسين والمطلعين.

أولاً: - توطئة

الأتصال الحضاري وتأثيره في قيام الدول:

مما لا شك فيه أن مؤسسة الجيش من (فكر وتنظيم) لأي دولة قديماً أو حديثاً يأتي نتاجاً لمسيرة تراكمية للخبرات والمهارات العسكرية للدول التي سبقت قيامها، تكتسبها وتطورها وتضيف إليها بعد احتكاكها بالأمم والدول المعاصرة لها، لذا لا بد لنا إذا ما أردنا معرفة مصادر الفكر العسكري عند الساسانيين أن نتعرف على موروثهم الحضارية ولاسيما الإدارية والعسكرية من الدول والكيانات السياسية التي سبقت العصر الساساني من جهة والتي عاصروها وأخذوا عنها وتأثروا بها من جهة أخرى.

فسعينا إلى رصد نتاج الأتصال الحضاري لاسيما العسكري منه في لحاظ أنه يشكّل المورد الثاني من موارد الفكر العسكري الساساني بعد تزودها بالموروث الحضاري للدول التي سبقتها، لذا فقد أكتسبت الحضارة الساسانية خبرات ومهارات وعلومًا من الأقوام والأمم الأخرى، وكان لأتساع أراضي الإمبراطورية الساسانية

وطول فترة بقائها (الذي زاد على أربعة قرون) سبباً لأن تحظى تلك الحضارة بثقافات متباينة جاءت من اختلاف الأمم والأقوام التي احتكت بها ومن ثمَّ إنصهرت تلك الثقافات في بوتقة الحضارة الساسانية. وعلى هذا الأساس سعينا لرصد تأثيرات القبائل الهونية من أترك وهياطلة وتقييم مساهمتهم على حضارة الدولة الساسانية.

وقد كان لمؤسسة العسكر الحظ الأوفر من ذلك التأثير وُزِمًا يأتي ذلك لأهمية تلك المؤسسة في فكر الساسانيين فقد أخذ التدبير الحربي قسطاً مهماً من بين صور التدبير الملكي ولعل ذلك متصل بطبيعة الاحتياجات الملحة بالدولة الإمبراطورية في لزوم إتقان تنظيماتها العسكرية لأنها الأداة المباشرة والحلوة لأي فعل توسعي هجومي أو دفاعي⁽²⁾.

ونجد أن الحضارات تسير في خط منتظم وفي تفاعل مستمر تعطي ثمارها الناضجة الواحدة للأخرى، ولكنها مع ذلك يكون لكل واحدة منها طابعها الذي يميزها، فقد الحنا في دراسات لنا سابقة⁽³⁾ إلى مدى تأثير الحضارة الآشورية والبابلية وغيرها على الميديين (715-550 ق.م)⁽⁴⁾، والفرس الأخمينيين (550-331 ق.م) ولاحظنا تأثير الحضارة اليونانية في الفرثيين (250 ق.م-224م)⁽⁵⁾ وكيف أدى ذلك الأندماج إلى ظهور الحضارة الهيلينية⁽⁶⁾، ثمَّ جاء الساسانيون فورثوا تلك الحضارات وأخذوا منها الكثير من الجوانب الحضارية ولاسيما في المجال العسكري الذي لا يمكننا أن نغفل مدى التأثير الذي ورثه الساسانيون من الدول التي سبقتهم.

وبعد توسع هذه الدولة وسيطرتها على أجزاء واسعة من البلاد ونتيجة لطول فترة بقائها ظهرت عليها آثار حضارية من الأمم والشعوب التي عاصرتها فشكَّلت بذلك مورداً آخر من موارد تلك الحضارة، وعند تتبعنا سيرة الملوك الساسانيين نجد أن البعض منهم قد سعى إلى تطوير أجهزة الدولة الإدارية والعسكرية وأحدث نهضة فكرية وعلمية ليحافظوا على استمرار دولتهم وديمومتها⁽⁷⁾.

فقد سعوا إلى إحياء حضارتهم بالاعتماد على عدّة منافذ شكَّلت واجهات الاتصال الحضاري لهم بالأمم والدول الأخرى، فقد كانت طريقة معاملة الأمم التابعة لهم وإدارتها تسير طبقاً لأصول ومبادئ أدت إلى تقارب الشعوب ومهدت الطريق أمام اختلاطها وامتزاجها معاً⁽⁸⁾.

فقد ساد عند بعض الملوك الساسانيين التسامح الديني والتعامل بالعدل والمساواة وإنصاف الرعية⁽⁹⁾، وسعى الكثير منهم إلى إيجاد روابط فكرية تجمع أكبر قدر ممكن من ثقافات الأمم المختلفة وحضاراتها⁽¹⁰⁾. والحقيقة أن اتساع رقعة الدولة الساسانية فرض عليها الاختلاط بالكثير من الأمم والأقوام وكان أشدها تأثيراً الأمم المحاذية لحدودها ويمكننا تحديدها بالترك والهند والروم.

فيقول: تنسر⁽¹¹⁾ مادحاً الفرس (أنَّ الله تبارك مُلكه جمع في الفرس فروسية الترك وفضنه الهند، وصناعة الروم)⁽¹²⁾، وهذه المقولة تؤكد شدة تأثير هذه الأمم في التركيبة الحضارية للفرس وتبدو هذه التأثيرات على أشدها في المؤسسة العسكرية الساسانية.

ويضاف إلى تلك الأمم، العرب الذين اختلطوا بالفرس وأمتزجوا معهم في وقت مبكر لاسيما أنَّ أغلب أراضي العرب كانت تحت سيطرة الفرس وقد بلغ اختلاطهم على أشده في عهد الساسانيين ويتجلى ذلك بتربيتهم لأحد الملوك الساسانيين وهو بهرام جور(421-439م) الذي نقل الكثير من الخبرات والمعارف والتأثيرات الحضارية الأخرى من العرب إلى الفرس وكان أبرزها الشعر والفن وغيرها⁽¹³⁾، كما شكّلت الفرق الريفية والمرتزة التي تُجمَع من أقوام مختلفة مورداً آخر في نقل الفنون والأساليب الحربية عند العرب للفرس، وستنطرق إلى ذلك في دراسة مستقلة، ونحاول بإيجاز دراسة تأثير القبائل الهونية⁽¹⁴⁾، من ترك وهياطلة⁽¹⁵⁾، فهي من أكثر الأقوام ظهوراً على المسرح السياسي في التاريخ الساساني ويمكننا أن نتطرق إلى بعض سماتهم وصفاتهم الحربية والعسكرية التي انعكست آثارها على الفرس، لذا سنقتصر على التأثير العسكري لإتصاله في موضوع البحث.

ثانياً: - الأتراك

طائفة من قبائل الهون تُعرف باسم (أسنا) وأنَّ كلمة ترك مأخوذة من الجبل الشبيه بقبعتهم التي تُسمى "دورك" والتي تعني القوة والبأس⁽¹⁶⁾، وهم قبائل أستوطنوا وسط آسيا⁽¹⁷⁾، وفي أكثر الأحيان كان الأتراك يستغلون فترة ضعف الدولة الساسانية فيشتون هجمات عنيفة على الأقاليم المتاخمة لهم وكانت لهم حرب مع الساسانيين في أثناء حكم بهرام جور(421-439م) الذي تمكن أخيراً من هزيمتهم⁽¹⁸⁾. ونتيجة لتعاظم دورهم السياسي عقد معهم كسرى أنوشروان(531-579م) حلفاً عسكرياً في حربه ضد الهياطلة نتج عنه إسقاط مملكة الهياطلة وتقسيم أراضيهم بين الساسانيين والأتراك⁽¹⁹⁾، وبذلك أصبحت أراضي الأتراك مجاورة للحدود الشرقية للدولة الساسانية لا يفصلهم عنهم إلا نهر جيحون، لذا ظهر الأمتزاج والتأثير الحضاري ولاسيما العسكري بين الطرفين، حتى ظهرت فرق عسكرية في الجيش الساساني خاصة بالأتراك⁽²⁰⁾.

ويبدو أنَّ تحسّن العلاقة بين خاقان الترك⁽²¹⁾ وكسرى أنوشروان(531-579م) هيئاً السبيل إلى دخول الأتراك إلى أقاليم الدولة الساسانية والاستقرار فيها، فقد كتبوا إلى كسرى أنوشروان يسألونه أن يضمهم إلى الجيش الساساني وأن يأذن لهم أن يستوطنوا في أراضي دولته وتعهدوا بالقتال إلى جانبه وقد وافق أنوشروان على ذلك فقدم منهم خمسون ألفاً بنسائهم وأولادهم وجاء ثلاثة آلاف من رؤسائهم (بأهل بيوتهم فأقطعهم الأراضي ورتبهم على سبع مراتب وأجرى لهم الأرزاق وأسكن بعضهم في باب الأبواب⁽²²⁾)، وأسكن الآخرين

في بلاد اللان⁽²³⁾، وأذربيجان⁽²⁴⁾ وباقي الثغور⁽²⁵⁾، ويبدو أنّ سياسة التسامح والاحتواء التي اتّبعها كسرى أنوشروان (531-579م) قد شجّعت أعداداً كبيرة من الأتراك على الإستيطان في الأراضي الساسانية ولاسيما الشرقية منها لقرىها من مناطق تواجدهم، فأنت خاقان الترك وألفين من أصحابه قد دخلوا في طاعة أنوشروان⁽²⁶⁾، وأندمجوا بالمدنيّة الساسانية وتفاعلوا معها وأصبحوا جزءاً من الدولة الساسانية، وقد حوى الجيش الساساني على فرق عسكرية عمادها العنصر التركي فقد إستحدثوا لهم كتائب عسكرية سُمّيت بكتائب الأساورة المتطوّعين وكان أغلب جنودها ينتمون إلى الأقوام التركية⁽²⁷⁾.

وأدرك الساسانيون قوّة ذلك العنصر لما له من صفات ومناقبهم حربية وما يؤكّد ذلك أنّ الجاحظ عقد فصلاً كاملاً أوضح فيه قدراتهم ومهاراتهم العسكرية، ومّا جاء فيه معرفتهم بدقة التصويب بالنبال (حتى إذا شدّ فيهم ألف فارس فرموا رشقاً صرعوا ألف فارس فما بقي جيش على هذا النوع من الشدّة، وقيل إنّ للتركي أربع أعين وهو يصيب بسهمه وهو مُدبر كما يصيب به وهو مُقبّل ولو حسبت عمر التركي وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الأرض، وأنّه متنوع المواهب فهو الراعي وهو السائس وهو الرائض وهو البيطار وهو الفارس فالتركي الواحد هو أمة على حدة⁽²⁸⁾.

وعلى الرغم من المبالغة الواضحة في وصف الجاحظ للأتراك إلا أنّها تعكس الصفات الحربية التي كان يتمتّع بها التركي، والتي كان لها الأثر الأكبر من دون شك في المعارف والآداب العسكرية الساسانيين، فبعد أن خاض الساسانيون حروباً مع الأتراك واحتكوا بهم أصبحوا يستعملون فنوناً حربية جديدة لم يعرفوها في السابق كان منها استعمالهم السيف ذا الرأسين⁽²⁹⁾، وبما أنّ الأتراك أظهرت قدرة عالية في استعمال القوس والرماية حتى أنّهم (يرمون السهام من على ظهور الخيل وفي جميع الاتجاهات ويملكون سرعة كبيرة في رمي السهام فيرمي أحدهم عشرة سهام في حين أنّ غيره من الأقوام يرمي سهماً واحداً)⁽³⁰⁾، ينظر: الشكل التالي رقم (1).

شكل رقم (1)

الفرسان الأتراك وقدرتهم على رمي السهام من على ظهور الخيل⁽³¹⁾



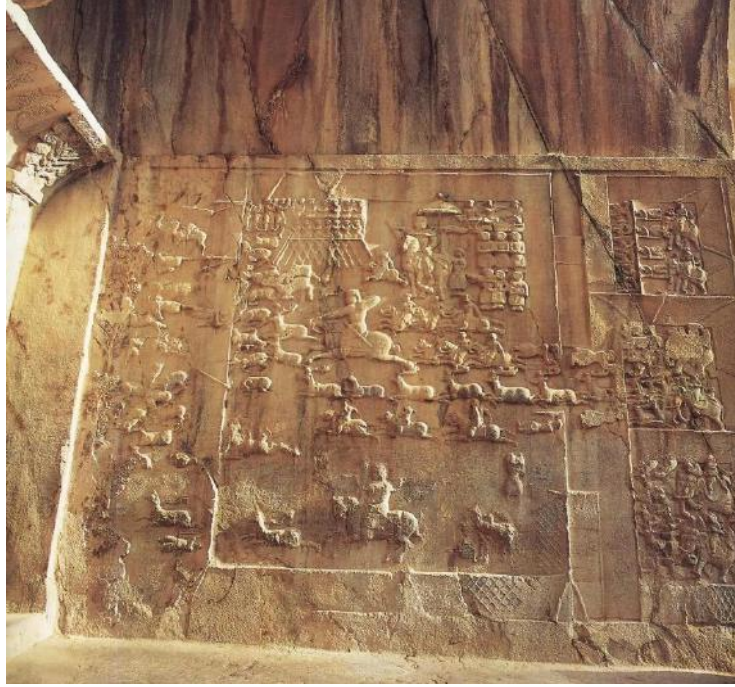
لذا نجد أنَّ اتصال الفرس بالأقوام التركية نتج عنه استعمالهم القوس بدرجة عالية من المهارة⁽³²⁾. ومع أنَّ فنَّ الرماية في أثناء الركوب على الخيل كان معروفاً عند الفريثيين⁽³³⁾، وأفادوا منه في تحقيق الكثير من الانتصارات على الروم⁽³⁴⁾، لكن هذا لا يعني أن ليس للأتراك الدور البارز في إدخال هذا الفن للجيش الساساني لا بل العكس يتأكد ذلك إذا ما عرفنا أنَّ الفريثيين يُعتقد أنَّهم من أصول تركية⁽³⁵⁾، ولذا يتأكد لنا مدى التأثير الواسع للأتراك على الفرس فقد كان الفريثيون يستعملون أساليب وفنون قتالية مشابهة بدرجة كبيرة لأساليب الأتراك⁽³⁶⁾.

وإنَّما الكثير من الأساليب والفنون الحربية انتقلت إلى الساسانيين عن طريق الفريثيين لذا فقد شكل الفريثيون نقطة التقاء حضاري بين الترك والساسانيين، لاسيما في جانبيهما العسكري.

وقد أجاد الفرس فن الرماية حتى أنَّ أردشير (224-241م) الأول وسابور الأول (241-472م) قد ظهرَا في رسوم بارزة في فيروز آباد⁽³⁶⁾، يحملان معهما سلاح الرمي وكان سابور يصور نفسه (في كتيبته الموجودة في حاج آباد) متفاخراً بامسك القوس ومهارته الفائقة في رماية السهام، ينظر: الشكل اللاحق رقم (2).

شكل رقم (2)

نقش يظهر الساسانيين وافتخارهم بالرمي بالسهم⁽³⁷⁾



ويظهر أنّ فن الرماية في أثناء الركوب على الخيل قد وصل إلى الأتراك ثمّ الفرس من القبائل والأقوام الساكنة على حدود الصين أي "كوريا الشمالية حالياً" في القرن الخامس قبل الميلاد، التي كانت تشاركهم القتال في جيوشهم فقد عُثِرَ على كتابة منقوشة على جدران في تلك البلاد تم تصويرها ورسمها في حُقب أسبق من قيام دولة آل ساسان⁽³⁸⁾.

وأخترع الساسانيون أداة تُعرف باسم "بنجكان" أي قاذفة السهام الخماسية وهي أداة تمكّن المقاتل من رمي خمسة أسهم في رمية واحدة، ولا يعرف من أين استوحى الساسانيون هذا الاختراع وأغلب الظن أنّهم أخذوها من القبائل المحاذية لحدود الصين أو من الأتراك والهياطلة⁽³⁹⁾، ينظر: الشكل التالي رقم(3).

شكل رقم (3)

الفارس الساساني يرمي بسلاح البنجكان⁽⁴⁰⁾



وإنَّ الفنون القتالية في ذلك الزمان قد تكاملت في الأتراك وأنهم أدركوا الكثير من الأساليب الحربية عند الأمم الأخرى لأنهم انتظموا جميع معاني الحرب⁽⁴¹⁾، ومما تقدم يتضح الدور الكبير للعنصر التركي في تشكيلات الجيش الساساني، كما وشكل الأمتزاج بينه وبين العنصر الفارسي رافد حضاري آخر أفاد منه الساسانيون بعد أن طوعوه وأستعملوه في حروبهم الطويلة.

ثالثاً: — الهياطة

ويُعرفون كذلك بالهون البيض ويرجعون إلى الأصول التركية وكانوا يقطنون الأراضي التي تقع شمال نهر جيحون ويسمونها العرب بهذه التسمية أو ينسبونها إلى الأقوام التي تسكن إلى ما وراء النهر⁽⁴²⁾، ولقد اختلف الباحثون في تحديد أصل الهياطة وكذلك لغتهم وديانتهم⁽⁴³⁾، وُيُرجع ذلك الاختلاف لأنهم أقوام نشأوا في الأراضي البعيدة عن المراكز الحضارية، فضلاً عن ذلك أنَّ نهايتهم كانت في أثناء حكم الدولة الساسانية وأنفسهم ممتلكاتهم ما بين الساسانيين والأتراك، لذا نجد الباحثين يختلفون في تحديد معالم تلك الأقوام تبعاً لاختلاف المصادر التي تشكو من شحة المعلومات حول تلك الأقوام ولاسيما المصادر العربية منها⁽⁴⁴⁾.

أما عن ديانتهم فيعتقد أحد الباحثين أنّ حياتهم الروحية كانت موزّعة بين المسيحية والزرادشتية⁽⁴⁵⁾، والمناوية⁽⁴⁶⁾، والبوذية⁽⁴⁷⁾.

وفي مستهل القرن الخامس الميلادي أستغل الهياطة المصاعب التي كانت تعانها فارس في نضالها ضد الروم وتحالفوا مع الأتراك وحاولوا أن يتخلّصوا من تبعيتهم للفرس، ولكن بهرام جور (421-439م) تمكّن من إخضاعهم بعد أن استعمل ضدهم الحيلة والحرب⁽⁴⁸⁾، كما وكانت لهم حروب في منتصف القرن الخامس الميلادي فخاضوا حرباً طويلة أستمرت عدّة أعوام ضد الساسانيين وأحدثوا فيها نقطة تحوّل في العلاقات بين الطرفين عندما أحرزوا نصراً كبيراً على فيروز (459-484م) وقتلوه، وأخذ الساسانيون بعد ذلك يؤدّون الجزية للهياطة أكثر من نصف قرن⁽⁴⁹⁾.

وتجددت الحروب مع الهياطة في عهد كسرى أنوشروان (531-579م) الذي شهد عصره فتوحات كبيرة، أنتهت بانتصار الساسانيين بعد تحالفهم مع الأتراك وقد قُتل في هذه الحرب ملكهم أخشنوار⁽⁵⁰⁾، وكان من نتائجها أن قُسمت هذه المملكة بين الفرس والأتراك إذ صار نهر جيحون هو الحدود الشمالية الشرقية لإيران⁽⁵¹⁾.

وتُصوّر بعض المصادر الحوار الذي دار بين ملك الهياطة أخشنوار والملك الساساني فيروز (459-484م) بأنه يكشف تفوّق العقلية الحربية عند الهياطة ويوضّح مدى حنكتهم وحكمتهم و معرفتهم الواسعة وأتساع مداركهم العسكرية⁽⁵²⁾.

فقد أستعمل الهياطة في حربهم مع فيروز الأول (459-484م) فنوناً حربية متنوعة منها الخدع والحيل، وذلك عندما أرسل إليهم أخشنوار أحد وزرائه من بعد أن قطع يديه ورجليه لكي يحصل على عطف فيروز ويضله عن الطريق ويسلك به طريقاً بعيداً ومقفرأ هلك فيه أغلب جيشه وأضطر فيروز أن يخوض معهم حرباً خاسرة ثم يعقد الصلح مع أخشنوار بأن يدفع له الجزية⁽⁵³⁾.

وبعد عودة فيروز مرة أخرى لحرب الهياطة وإحساسه بذل الهزيمة ونقضه العهد أستعمل الهياطة حيلة حربية أخرى تمثّلت بحفر خندق وإخفائه بالأوراق والأشجار وجعله على طريق جيوش فيروز الذي سقط بالخندق هو وأغلب جيشه ومات على إثر تلك الحرب⁽⁵⁴⁾.

والذي يتتبع الحرب بين الطرفين يجد أنّ الساسانيين دائماً ما يتفاجؤون بتلك الحيل والخنادق الأمر الذي يؤكّد تفوق الهياطة الحربي على الساسانيين في ذلك الجانب، ورُبّما يوحى ذلك أيضاً أنّ الساسانيين اتقنوا الحيل وحفر الخنادق بعد أن احتكوا بحروبهم مع الهياطة .

وبما تقدم يتّضح أنّ القبائل الهونية قد تغلّغت في أقاليم إيران الشرقية والشمالية الشرقية، وألتحق قسم كبير منها في الجيش الساساني، وأتّما أمتلكت خصائص وسمات حربية ميّزتها عن غيرها من الأمم، وبدخولها في

ذلك الجيش فقد أضفت عليه الكثير من أساليبها وفنونها الحربية حتى أمّا أخذت تشكّل عمادة القوة العسكرية الساسانية، فكانت الجماعات المرتزقة من تلك القبائل إلى جانب قبائل الهضبة الإيرانية تُسلّط على البلدان لإرهاب أهلها وإرغامهم على دفع الجزية والاتاوات⁽⁵⁵⁾.

الخاتمة

تكمّن عندنا أهمية دراسة تاريخ الدولة الساسانية بوصفها جزءاً من تاريخ العراق القديم ودول المنطقة، وإنّ نتاجها الحضاري ألقى بظلاله على الدول التي جاءت بعدها. ومن هذه الزاوية جاءت أهمية دراسة تاريخ هذه الدولة. ويمكننا أن نجمل أهم نتائج دراستنا بالشكل الآتي:-

أولاً: إنّ الفكر العسكري للساسانيين لم يكن وليد اللحظة التي أعلن فيها أردشير الأول عن قيام دولته، بل أنّ الجيش الساساني من (فكر وتنظيم) كان نتاجاً لمسيرة تراكمية للخبرات والمهارات العسكرية للدول التي سبقت قيام هذه الدولة، أكتسبها الساسانيون وطوّروها وأضافوا إليها بعد احتكاكهم بالأمم والدول المعاصرة لهم، لذا شكّل التراث العسكري والاتصال الحضاري مصادر رئيسة لفكرهم العسكري والإداري، وجاءت الدراسة لتؤكد ذلك لاسيما عند دراسة الاتصال الحضاري والتعرف على مساهمة الأتراك والهياطلة الذين يشكلون بعضاً من تلك الأقوام التي كان لها الدور في ذلك.

ثانياً: أن التلاقح والإمتزاج الحضاري ما بين العنصر التركي والفارسي الساساني، ولاسيما العسكري منه جاء يتبع عدة أسباب منها أن أراضي قبائل الأتراك أصبحت مجاورة للحدود الشرقية للدولة الساسانية لا يفصلهم عنهم إلا نهر جيحون، لاسيما بعد إسقاط مملكة الهياطلة وتقسيم أراضيهم بين الساسانيين والأتراك، كما أن أقواماً كثيرة من الأتراك أنتقلوا إلى الأراضي الساسانية وأنضمّوا إلى الجيش الساساني وأندمجوا بالمدنية الساسانية وتفاعلوا معها وأصبحوا جزءاً من الدولة الساسانية،

ثالثاً: ظهرت الأسهميات التركية في الجيش الساساني بعدة صور، فقد حوى الجيش الساساني على فرق عسكرية عمادها العنصر التركي، وإستحدثوا لهم كتائب عسكرية سُمّيَتْ بكتائب الأساورة المتطوعين وكان أغلب جنودها ينتمون إلى الأقوام التركية. كما أدرك الساسانيون قوّة ذلك العنصر لما له من صفات ومناقبهم حربية فبعد أن خاض الساسانيون حروباً مع الأتراك واحتكوا بهم أصبحوا يستعملون فنوناً حربية جديدة لم يعرفوها في السابق كان منها أستعمالهم السيف ذا الرأسين، وفنّ الرماية في أثناء الركوب على الخيل، وغيرها من الأساليب والفنون الحربية التي عرف بها الأتراك، لذا نجد أنّ اتصال الفرس بالأقوام التركية نتج عنه أستعمالهم القوس بدرجة عالية من المهارة، كما أنهم أستطاعوا أن يطوروا أداة تُعرف باسم "بنجكان" أي قاذفة السهام الخماسية وهي أداة تمكّن المقاتل من رمي خمسة أسهم في رمية واحدة، ولا يعرف من أين

استوحى الساسانيون هذا الاختراع وأغلب الظن أنهم أخذوها من القبائل المحاذية لحدودهم ولاسيما الأتراك أو الهياطلة.

ومع كان معروفاً عند الفرثيين

رابعاً: إنَّ الفنون القتالية في ذلك الزمان قد تكاملت في الأتراك وأهمُّ أدركوا الكثير من الأساليب الحربية عند الأمم الأخرى لأنهم انتظموا جميع معاني الحرب وأختلطوا بالكثير من الأقوام والأمم وأخذوا منها، والصفات الحربية التي كان يتمتع بها التركي تعكس الأثر الأكبر من دون شك في المعارف والآداب العسكرية الساسانيين،

خامساً: تُصوّر نصوص بعض المصادر مدى تفوق العقلية الحربية عند الهياطلة وتوضّح حنكتهم وحكمتهم ومعرفتهم الواسعة واتساع مداركهم العسكرية، فقد أستعمل الهياطلة في حربهم ضد الساسانيين فنوناً حربية متنوعة منها الخدع والحيل وحفر الخنادق وغيرها، والمتتبع للحرب بين الطرفين يجد أنَّ الساسانيين دائماً ما كان يتفاجؤون بتلك الحيل والخدع الأمر الذي يؤكّد تفوق الهياطلة الحربي على الساسانيين في ذلك الجانب، كما وأنه يوحي أيضاً أنَّ الساسانيين اتقنوا تلك الفنون الحربية من حيل عسكرية وحفر الخنادق وغيرها بعد أن احتكوا بحروبهم مع الهياطلة.

الهوامش

(1) ويكفي أن نضرب مثلاً على ذلك أن قيادة القوات الأميركية حرصت في أثناء ذهابها إلى حرب الخليج الأولى أن يحمل كل جندي أميركي نسخة من كتاب فن الحرب للقائد الصيني سون تزو (المتوفى في القرن الخامس الميلادي) وأن كثيراً من استراتيجياتهم الحربية مقتبسة من ذلك الكتاب، كما أن مبادئ هذا القائد خرجت من حيز المؤسسة العسكرية لتشغل فكر الشركات اليابانية والكورية التي استعملت الكثير من تطبيقاته في المجالات الاقتصادية والتجارية، ينظر: تزو، فن الحرب، مقدمة المترجم، 5-12.

(2) الكعي، جدلية، 112.

(3) لتفاصيل أدق وأكثر ينظر: المياح، الفكر العسكري الساساني، 123-149.

(4) فقد تأثر الميديون بالآشوريين واقتبسوا منهم آدابهم ورسومهم الملكية وطريقة إدارة الدولة، الأحمد، تاريخ الشرق القديم، 385؛ بيرينا، تاريخ إيران، 98؛ علي، تاريخ الشرق، 79/1.

(5) كان حكم الفرثيين بمثابة حلقة انتقال لصرف حكم البلاد من اليونان إلى الفرس من بني ساسان، الثعالبي، مقالات، 148؛ باقر، تاريخ إيران، 76.

(6) لقد عدَّ الفرثيين (البارثيون) أنفسهم وارثين للأخمينيين في الناحية السياسية، واستبدلوا حضارتهم الضحلة بحضارة مستعارة هي في أعلى صورها مزيج من الحضارة الإيرانية والإغريقية (الهيلينية) وقد سمى أحد الملوك نفسه فيلهيلين (أي محب الإغريق) واختيرت الأساليب اليونانية في الحياة كما اختيرت اللغة اليونانية في البداية لغة رسمية؛ العابد، معالم، 23؛ ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، 39؛ علي، التربية في حضارات الشرق القديم، 250.

- (7) نشير بذلك إلى إصلاحات كسرى أنوشروان (531-579م) الذي أحدث نهضة علمية وتجددية للدولة كان يهدف من ورائها إعادة الروح للدولة الساسانية ورتماً من أجل ذلك لُقِّبَ بالروح الخالدة، وللمزيد عن إصلاحات ذلك الملك ينظر: مشكور، تاريخ سياسي ساسانيان، 845 - 859.
- (8) بيرينا، تاريخ إيران، 349.
- (9) نشير بذلك إلى سيرة الملك أنوشروان (531-579م) وأبنة هرمز (579-590م) ولا يفوتنا أن نذكر أن هنالك العديد من ملوك آل ساسان سعوا إلى سياسة التسامح الديني ولاسيما مع المسيحية كان منهم يزدجرد (399-421م) وبهرام جور (421-439م)، وللإطلاع على تفاصيل أكثر ينظر: كريستنسن، إيران، 255-256؛ بيرينا، تاريخ إيران، 267-269.
- (10) نشير بذلك إلى سابور الأول (241-272م) وتبنيه المانوية التي كانت مزيجاً وخليطاً من ديانات سماوية ووضعيتها كان منها البوذية المتفشيية في الهند آنذاك والمسيحية وغيرها فهي كانت ديانة ذات نزعة تلفيقية أخذها "ماني" من كل الثقافات المعاصرة لها، الحمد، الزندقة والزنادقة، 34؛ جيو، ماني والمانوية، 62.
- (11) تنسر: أحد كبار رجال الدين الزرادتشييين الذين لازموا أردشير (224-241م) منذ بدأ ثورته وبثوا له الدعاية في الآفاق وسمي تنسر لأن الشعر قد نما بغزارة فوق أعضاء جسده حتى كان جسده كله مثل رأسه، وتن، بمعنى الجسد، وسر، بمعنى الرأس، مسكويه، تجارب الأمم، 98/1؛ تنسر، أقدم نص عن النظم الفارسية، 23.
- (12) كتاب تنسر، 67.
- (13) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 241/1.
- (14) القبائل الهونية: وهو مصطلح عام يُطلق قديماً على مجموعة القبائل التي هاجرت إلى أوروبا الشرقية وأن أصلهم موضع جدال ونقاش، وكان موطنهم شمال نهر جيحون، وانطوى تحت مصطلح الهون قبائل الترك كافة، وكانت لهم دولة عرفت بمملكة طوران أو توران وهي من الممالك التركية التي تقع إلى الشمال الشرقي من إيران، كريستنسن، إيران، 16-17؛ ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، مج2/523؛ نرمان، التورانيون، دائرة المعارف الإسلامية، 123/10.
- (15) الهياطلة: ويعرفون أيضاً بأسم (الهون البيض) وهم قبائل تورانية أو تركية، دعاهم الكتاب العرب (الهياطلة) فشملت التسمية جميع الشعوب التورانية القاطنة شمال نهر جيحون، وربما نسبتهم لقبائل الهون أكثر في كتابات المؤرخين، باقر، مقدمة تاريخ، 497/2؛ المباح، الفكر العسكري الساساني، 165-167.
- (16) بيرينا، تاريخ إيران، 263؛ صموئيل، الترك، دائرة المعارف الإسلامية، مج5/37.
- (17) المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، 281.
- (18) ابن الجوزي، المنتظم، 97/2؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزبده، 262.
- (19) بيرينا، تاريخ إيران، 263.
- (20) مسكويه، تجارب الأمم، 134/1.
- (21) وخاقان: اسم لكل ملك من ملوك الترك وحقنوه على أنفسهم رأسوه، أبوحنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، 55؛ وينظر: أبومغلي، تاريخ إيران.
- (22) باب الأبواب: مدينة على بحر قزوين تجاور مدينة أردبيل اهتم الساسانيون بهذا الثغر لعظم خطرة فولوا عليه ثقاهم وأطلقوا لهم عمارته ما قدر عليه لتقوية دفاعاتهم، الأصبخري، مسالك الممالك، 109.

- (23) اللآآن: هي بلاد واسعة تقع في طرف أرمينيا، وسكنها أقوام من القبائل الآسيوية ونسبت إليهم، وهي أربع قبائل، الشرف والملك منهم في قبيلة يقال لها دحساس، وملكهم يسمى بغاير، ابن رسته، الاعلاق النفيسة، 136؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 8/5.
- (24) أذربيجان: إقليم واسع يتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم ومن مدنها تبريز وأردبيل وأرمية وفيها خيرات واسعة وقلاع كثيرة وبيوت النار فيها كثيرة جداً، وُرمًا جاء أسمها نسبةً إليها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 109/1.
- (25) مسكويه، تجارب الأمم، 136/1.
- (26) مسكويه، تجارب الأمم، 134/1-136؛ وينظر: نفيسي، تاريخ تمدن إيراني، 146.
- (27) بيرينا، تاريخ إيران، 299؛ سايكس، تاريخ إيران، 568/1.
- (28) رسائل، 49.
- (29) فرّخ، اسواران ساساني، 27.
- (30) الجاحظ، رسائل، 45.
- (31) <http://www.britac.ac.uk/pubs/review>
- (32) تعتمد العرب والفرس في قتالها على الرماح والقسي وهي أرجح بالرمي من العرب، لأنّ مذهبهم في الرمي مذهب الترك وأهل المشرق ومذهب العرب مذهب الهند والسند في الرمي بقسيهم ولا يمكن أخذ التراس إلّا على اضطراب وقلق وهو لا يُعني إلّا مع طول العادة، وأما أخذ الأترسة مع القسيّ الفارسية فهو ممكن وسهل وسلس وإنّ رجحان الفرس على الأمم فيجمع الرجالة والخيل الناشبة والراحة في صف واحد ورجحان أهل المشرق والترك بجمع الرّاجل الواحد القوس والرمح، ابن منكلي، الخيل في الحرب، 296-297.
- (33) الفرثيين: هي التسمية التي تطلقها المصادر اليونانية والرومانية على الدولة التي حكمت منطقة الرافدين والهضبة الإيرانية قبل الساسانيين (248 ق.م - 224م) ويعود سبب تسميتها إلى إقليم بارثية من أقاليم خراسان الذي انحدر منه ملوك هذه الدولة، أمّا في المصادر الإيرانية فتطلق عليها الدولة الأشكانية ويرجع أصل هذه التسمية إلى أول ملوك هذه السلالة أشكا قائد الثورة على السلوقيين، الثعالي، مقالات في التاريخ القديم، 147؛ باقر، تاريخ إيران، 9.
- (34) الروم عند العرب هم الرومان وهم ورثة اليونان وخلفاؤهم البيزنطيين (الذين هم عند أنفسهم الروم) وأسماهم القرآن الكريم الروم ونزلت سورة بأسمهم، ورث، الإمبراطورية الرومانية، 15-18؛ عكاشة، اليونان والرومان، 207؛ سورة الروم، الآية 2-3.
- (35) وإجماع العلماء يكاد ينعقد على أنّ الفرثيين من القبائل التوانية التركية ومما يؤكد ذلك أنّ الفردوسي في الشاهنامه لم يطل الحديث عنهم وأكتفى بذكرهم في صفحة واحدة فقط لأنّ في اعتقاده أنّهم لا يمثلون القومية الفارسية، المصري، صلوات، 280.
- (36) ومما يشير إلى هذا أن تسمية الفرثيون تعني "المنفيون" وكان لهم شهرة فائقة في الفروسية والرمي بالنبل وبمضون حياتهم على ظهور الخيل ولهم مهارة عجيبة في الحروب وموصوفون بالكبرياء والقساوة والحديعة ويُضرب بهم المثل في ذلك، الثعالي، مقالات في التاريخ القديم، 147.
- (37) وفيروز آباد: بلدة بفارس قرب شيراز كان أسمها قديماً جور فعُيرت إلى هذا الأسم، وهناك العديد من المدن بهذا الأسم ولكن أشهرها التي بفارس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 451/6.

- (38) <http://www.NumismaticReferences.Sasanian>
- (39) فراي، مياي تاريخ ساسانيان، 114.
- (40) فَرخ، اسواران ساساني، 28.
- (41) <http://www.sasnika.com>
- (42) الجاحظ، رسائل، 49؛ ابن منكلي، الحيل في الحروب، 293.
- (43) باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، 497/2.
- (44) زوير، الهياطة تاريخهم ودورهم، 53-50.
- (45) زوير، الهياطة تاريخهم ودورهم، 54-53.
- (46) وهي الديانة الإيرانية القديمة وتُنسب هذه الديانة إلى المصلح زرادتش (Zoroaster) الذي اختلف المؤرخون حول الزمن الذي عاش فيه والمنطقة التي استقر فيها واللغة التي كتب فيها كتابه المقدس (الأفستا)، ولا يُعرفُ يقينا معنى كلمة زرادتش ويغلب على الاعتقاد أنها مشتقة من كلمة زرادتش وتعني الجمل الأصفر، ويقال للزردتشية الديانة الثنوية (أله النور والظلام) وكان لهم بيوت نيران لا تطفأ نيرانها، العابد. معلم، 104؛ سعدي، زرادتش وأصول الديانة الزرادتشية، 2؛ الموسوي، الديانة الزرادتشية وآثرها في الدولة الساسانية، 21.
- (47) وصاحب هذه الدعوة هو ماني بن فاتك الحكيم أو فاتق وقيل أن نَسَبَهُ يعود إلى الأسرة الفرثية، وهي ديانة وسطية بين المجوسية والمسيحية ظهرت في الدولة الساسانية وتوسعة في زمن الملك سابور وربما يرجع سبب انتشارها لأسباب سياسية تهدف إلى إيجاد ديانة تلفيقية تضم أكبر عدداً من الاتباع لاسيما بعد توسع أراضي الإمبراطورية حتى شملت أراضي من أتباع المسيحية، الشهرستاني، الملك والنحل، 442/1؛ السمعاني، كتاب الأنساب، 173/2؛ الحوراني، تاريخ الشعوب، 3؛ ندا، دراسات، 275.
- (48) زوير، الهياطة تاريخهم ودورهم، 57-54.
- (49) الجاحظ، التاج، 164؛ وينظر: بدر، تاريخ أفغانستان، 16.
- (50) بيرينا، تاريخ إيران، 250-252؛ بدر، تاريخ أفغانستان، 16؛ وينظر بتفاصيل أكثر حول حروب الساسانيين مع الهياطة، زوير، الهياطة تاريخهم ودورهم، 79-81.
- (51) ويسميه البعض الآخر اخشونواز، وهو لقب حاكم الهياطة، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 514/1.
- (52) بيرينا، تاريخ إيران، 263؛ وكان للهياطة حروباً أيضاً مع قبائل الكوك تورك، للمزيد حول ذلك، ينظر: زوير، الهياطة، 94-98.
- (53) ابن قتيبة، فضل العرب والتنبيه على علومها، 95-97؛ وينظر: المصري، صلوات، 282.
- (54) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 514/1.
- (55) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 516/1؛ وينظر: بيرينا، تاريخ إيران، 252.
- (56) المصري، صلوات، 219؛ <http://www.ar.wikipedia.org/wiki.p.8>

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية:

الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت 341هـ/952م).

1. مسالك الممالك، مطبعة ابريل، (لندن-1927م).

تنسر (عاش في القرن الثاني الميلادي).

2. أقدم نص عن النظم الفارسية قبل الإسلام، ترجمة: يحيى الخشاب، مطبعة مصر، ط1 (القاهرة - 1954م).

تزو، سون

3. فن الحرب، مقدمة المترجم: رؤوف شبابك (القاهرة-2007م) 5-12).

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ / 868م).

4. التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي، المطبعة الأميرية، ط1 (القاهرة - 1914م).

5. رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة - 1964م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1201م).

6. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1 (بيروت - 1993م).

أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود (ت 282هـ / 895م).

7. الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، المكتبة الحيدرية، ط2 (قم - 1379هـ).

أبن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت 290هـ/902م).

8. الأعلام النفيسة، دار الكتب العلمية، ط1 (بيروت-1998م).

السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد، (ت 562هـ/1166م)

9. كتاب الأنساب، تحقيق: عبد الله الباروني، دار الكتب العلمية، (بيروت - 1988م).

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ / 1153م).

10. الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، ط3 (بيروت - 1993م).

الطبري، محمد بن جرير، (ت 310هـ/922م).

11. تاريخ الرسل والملوك، تقديم: نواف الجراح، دار صادر، ط1 (بيروت - 2003م).

الفردوسي، أبو القاسم محمد، (ت 411هـ/787م).

12. الشاهنامه، ترجمة: الفتح بن علي البنداري، تصحيح وتعليق: عبد الوهاب عزام، دار الكتب المصرية، (القاهرة - 1932م).

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ / 889م).

13. فضل العرب والتنبيه على علومهم، تحقيق: وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، ط1 (عمان - 1998م).

مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت 421هـ/1030م).

14. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1 (بيروت - 2003م).

- ابن منكلي، محمد بن منكلي الشمس المصري(ت784هـ).
15. كتاب الخيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الأرواب، تحقيق: سليمان الرحيلي (الرياض - 1418هـ).
- ياقوت الحموي، ابو عبد الله بن عبد الله (ت 626 هـ / 1228م).
16. معجم البلدان، تقديم: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت - 1955م).
- ثانياً: المراجع العربية والمعربة:
 باقر، طه.
17. مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة(الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين) دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ط2(بغداد - 1986م).
- باقر، طه وآخرون
18. تاريخ إيران القديم، مطبعة جامعة بغداد(بغداد - 1979م).
- بدر، فاروق حامد.
19. تاريخ افغانستان قبيل الفتح الإسلامي وحتى الوقت الحاضر، دار إحياء التراث،(بيروت - بلا).
- بيرينا، حسن.
20. تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العصر الساساني، ترجمة: سباعي محمد السباعي وآخرين، مكتبة الأنجلو المصرية،(القاهرة - بلا).
- ترمان، تستر.
21. الثورانيون، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشناوي، مطبعة الأعتما (القاهرة - بلا).
- التعالبي، عبد العزيز.
22. مقالات في التاريخ القديم، دار الغرب الإسلام، ط1(بيروت - 1986م)
- جيو، وايدنفورين.
23. ماني والمناوية، ترجمة: سهيل زكار، دار حسان،(دمشق - 1985م).
- الحمد، محمد عبد الحميد.
24. الزندقة والزنادقة (تاريخ وفكر) دار الطليعة الجديدة، ط1 (دمشق - 1999م).
- صموئيل، فح.
25. الترك، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد شناوي وآخرين، مطبعة الاعتماد (مصر - بلا).
- علي، رمضان عبدة.
26. تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الأسكندر الأكبر، دار نخضة الشرق، ط1 (القاهرة - 2002م).
- علي، سعيد إسماعيل.
27. التربية في حضارات الشرق القديم، عالم الكتب،(القاهرة - 1990م).
- كريستنسن، ارثر.
28. إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، ط1 (بيروت - 1982م).

- الكعبي، نصير عبدالحسين.
29. جدلية الدولة والدين في الفكر الشرقي القديم الدولة الساسانية أمودجاً، منشورات الجمل، ط1 (بيروت 2010م).
- المصري، حسين مجيب
30. صلات بين العرب والفرس والترك، دار الثقافة للنشر، ط1 (القاهرة - 2001م).
- أبومغلي، محمد وصفي
31. إيران دراسة عامة، (البصرة - 1985م).
- المياح، أنور
32. الفكر العسكري الساساني (226-651م) دراسة تاريخية، دار الرافدين، ط1 (لبنان-2016م).
- العابدي، مفيد رائف.
33. معالم تاريخ الدولة الساسانية، دار الفكر، ط1 (دمشق -1999م).
- سعدي، محمد
34. زرادتش وأصول الديانة الزرادتشية، مجلة الدراسات الأدبية، العدد/2 (بيروت - 1968م).
- الموسوي، جاسب مجيد جاسم
35. الديانة الزرادتشية وآثارها في الدولة الساسانية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد - 2003م).
- ندا، طه
- دراسات في الشاهنامه، الدار المصرية للطباعة، (الأسكندرية - بلا).
- الخوراني، إلبرت.
- تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة - 1997م).
- ولبر، دونالد
36. إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبد المنعم محمد حسنين، مراجعة: إبراهيم الشواربي، مكتبة تحضة مصر (القاهرة - 1958م).
- ويلز، ه. ج
37. معالم تاريخ الإنسانية، ترجمة: عبد العزيز توفيق، لجنة التأليف والترجمة المصرية (القاهرة - 1949م).
- ورث، أ.ب. تشارلز
38. الإمبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبد جرجس، (القاهرة - 1999م).
- عكاشة، علي وآخرون.
39. اليونان والرومان، دار الأمل، ط1 (الأردن - 1991م).
- زوير، علي فرحان
- الهياطلة تاريخهم ودورهم في المشرق خلال العصر الاموي، إطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد - 2005م).
- ثالثاً: المصادر والمراجع الفارسية:
- سايكس، سير برسي
40. تاريخ إيران، ترجمة: سيد محمد فخر داعي كيلاني، جاب علي اكبر علمي، (تهران - 1343ه.ش).

فراي، نلسون ريتشارد

41. مباني تاريخ ساساني، ترجمة: مجموعة توج اتحادية، (تهران- بلا).

فرخ، كاوة

42. اسواران ساساني، برگردان: يوسف أميري، نشر كل افتار (مشهد- 1388 ه.ش).

مستوفي قزويني، حمد الله ابن ابي بكر بن نصر

43. تاريخ كزیده، باهتمام عبد الحسين ندائي، جابخانه فردوسي، (إيران- 1336 ه.ش).

مشكور، محمد جواد

44. تاريخ سياسي ساسانيان، دنياي كتاب، جاب دوم (تهران - 1367 ه.ش)

نفيسي، سعيد

45. تاريخ تمدن إيراني ساساني، دانشگاه تهران، (إيران- 1331 ه.ش).

رابعاً: المواقع الألكترونية:-

Web Sites :-

46. <http://www.britac.ac.uk/pubs/review>

47. <http://www.NumismaticReferences.Sasanian>

48. <http://www.sasnika.com>

49. <http://www.ar.wikipedia.org/wiki/>

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المنظمة الخاصة نواة الثورة التحريرية الجزائرية 1947 – 1954

¹ طالب دكتورالي، محمد رابح .

. مخبر الدراسات الفكرية والحضارية، جامعة تلمسان، الجزائر.

moh1319991214@gmail.com

² طالب دكتورالي، محمد زروقي .

. مخبر الدراسات الفكرية والحضارية، جامعة تلمسان، الجزائر.

zerruoki1983m@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/22 م تاريخ التحكيم: 2020/10/29 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

تتوقف أهمية أي ثورة في العالم على مدى تأثيرها في الجماهير و امتلاكها إمكانيات مادية معتبرة التي شكلت الشريان الرئيسي لها و المتحكم في تقنيات صياغة مصيرها، و على هذا الأساس كان مشكل السلاح الشغل الشاغل لدى قادة الثورة التحريرية قبيل انطلاقة أول نوفمبر 1954، أي بداية من سنة 1947 وتأسيس المنظمة الخاصة. و بالرغم من أن موضوع التسليح مهم جدا إلا أنه غير متداول بشكل كبير لدى المؤرخين باستثناء بعض المذكرات و البحوث الأكاديمية التي صدرت مؤخرا، و لإزالة الغموض الذي ينتاب القارئ خلال دراسته للموضوع الكلمات المفتاحية : الثورة، المنظمة الخاصة، التسليح، الإمكانيات المادية، أول نوفمبر 1954.

**The special organization is the nucleus of the Algerian liberation revolution
1947-1954**

¹Doctorali student, MuhammedRabah

**The Laboratory of Intellectual and Cultural Studies, University of Tlemcen,
Algeria**

moh1319991214@gmail.com

²Doctorali student, Mohammed zerrouki

**The Laboratory of Intellectual and Cultural Studies, University of Tlemcen,
Algeria**

zerruoki1983m@gmail.com

Abstract :

The significance of any revolution in the world depends on the extent of its influence on the masses and their possession of considerable material capabilities that formed the main artery for them and the control in the techniques of shaping their destiny, and on this basis the problem of arms was the preoccupation of the

leaders of the liberation revolution before the start of the first of November 1954, that is, starting from In 1947, the establishment of the private organization Although the issue of armament is very important, it is not widely circulated among historians, with the exception of some recent notes and academic papers, and to remove the ambiguity that the reader experiences during his study of the topic.

Key words: revolution, special organization, armament, material capabilities, 1st November 1954.

مقدمة :

شكلت الحرب العالمية الأولى نقطة تحول حيث انتقلت المقاومات من المقاومة الشعبية التقليدية إلى نشاط سياسي تزعمته مجموعة من الأحزاب والجمعيات الوطنية من بينها حزب الشعب الجزائري الذي تبني فكرة العمل المسلح وساهم في بلورة مفهوم الخيار العسكري لنيل الاستقلال الكامل بالوسائل الثورية. وما تميز به خلال فترة الثلاثينات من نشاط إعلامي وتنظيم جماهيري وتهيئته وتجنيدته حول مطلبه الاستقلال كمطلب أساسي في برنامج الحزب، وفي هذا الإطار أحدثت الإدارة الاستعمارية بتاريخ 26 أوت 1939 قراراً بمنع جرائد الحزب من الصدور، وباندلاع الحرب العالمية الثانية أمرت بحل الحزب وفي 1 أكتوبر 1939 و اعتقال مجموعة مناضليه على رأسهم ميصالي الحاج، وكان هدف فرنسا من هاته الإجراءات شل نشاط الحزب ومنع تفاعل الشعب مع أفكاره.

مما جعل الحزب يدخل مرحلة العمل السري أثناء الحرب العالمية الثانية و توجه بعض أعضائه نحو العمل مع الألمان بتشكيلهم لجنة أطلقوا عليها اسم " لجنة العمل الثوري لتحرير شمال إفريقيا" سنة 1939 وقد كان هدف المناضلين من وراء ذلك تنظيم أنفسهم عسكرياً في انتظار ما ينتج عن الحرب من ظروف تساعدهم على القيام بعمل تحريري، لكن نتائج الحرب و ما ترتب عنها من تفوق لقوات الحلفاء عجل بزوالها، في نفس الوقت خلقت ظروف ما بعد الحرب داخل التيار الإستقلالي تيارين الأول يعتمد العمل السياسي و الثاني رأى ضرورة التوجه للعمل المسلح للحصول على الإستقلال من خلال خلق جناح مسلح داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية أطلق عليه إسم المنظمة الخاصة. و سنحاول من خلال مداخلتنا معالجة محتوى موضوعنا من خلال الإجابة على جملة من التساؤلات على الشاكلة التالية:

. ما ظروف تأسيس المنظمة الخاصة ؟

. كيف تمت التحضيرات المادية لتفجير الثورة التحريرية الجزائرية؟

. ماهو حجم الإمكانات المادية عشية إنطلاق الثورة؟

1 - المنظمة الخاصة وقضية التسليح 1947-1950:

بينت مجازر 8 ماي 1945 للجزائريين منهم مناضلي حزب الشعب أن السبيل الوحيد لتحقيق الاستقلال هو العمل المسلح¹. وفي هذا الإطار يقول أحمد بن بلة أن المجازر دفعت جماعات من المناضلين للإعتصام بالجبال ، ومن أبرزهم كريم بلقاسم بمنطقة القبائل فقامت هاته الجماعات بمقاومة الفرنسيين وعملاتهم الجزائريين² وفي سنة 1947 شكل عدد من المناضلين منظمة وطنية³ أطلق عليها "المنظمة الخاصة" تكون الجناح العسكري لحركة انتصار الحريات الديمقراطية مهمتها التحضير للعمل المسلح ، وقد استطاعت أن تجمع داخل هياكلها حوالي ألف مناضل قدمت لهم تكوينا سياسيا بالإضافة إلى العسكري⁴. وفي هذا الإطار كان على مسؤولي المنظمة الخاصة الحصول على الأسلحة بكل الطرق ، رغم توفر جزء منها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلا أنه كان من المفروض جمع أكبر كمية ممكنة للاستعمال بعضها في التدريب بعض يخزن إلى يوم التفجير ، وكانت تخزن في مطامر بلغ عددها حسب بعض الإحصائيات حوالي 34 مطمورة بالإضافة إلى إنشاء مراكز لصنع الأسلحة والمتفجرات عبر مناطق مختلفة ، وكانت هامة بمراكز تحت إشراف وتسيير إدارات خاصة خبيرة بذلك⁵.

ويمكن القول أن المنظمة الخاصة تمكنت من الحصول على كمية معتبرة من السلاح بمنطقة الجزائر والقبائل ويرجع ذلك إلى دور المناضل بناي واعلي الذي تمكن سنة 1947 من جمع مبلغ مالي في سرية تامة دون علم الحزب بعد أن اتصل بالتجار وميسوري الحال بالقبائل والجزائر حيث جمع مليون ونصف مليون فرنك فرنسي قديم ، بمساعدة مناضل آخر يقطن ببلكور اسمه "كاب" كان متمرسا في تجارة السوق السوداء.

وتمكن بناي واعلي من الحصول على أسلحة معتبرة تمثلت في عشرين رشاش من نوع "تشتاين وموزين" وقطعتي سلاح أخرى من نوع طومسون كانت حالتها سيئة، وثلاثون مسدسا جديدا من عيار 7.65 منهم 09 من صنع النمسا وهناك نوعية أخرى "الكولت" وخمس بنادق حربية وصندوقين من القنابل

الهجومية وقد نقلت هذه الأسلحة إلى دلس على الواجهة البحرية.⁶ فبالرغم من محاولة تأمين السلاح إلا أن القطاع الوهراني كان فقيرا من حيث الأسلحة، فقد جلب المتاعب محمد بلوزداد الذي حاول تدارك المشكل العويص حيث أرسل المسؤول الأول للمنظمة الخاصة محمد يوسف إلى جنوب المغرب الأقصى سالكا طريق بشار، تدارار وجدة وقد تمكن كل من آيت أحمد ومحمد يوسف الحصول على جهاز إرسال واستقبال من مقر قيادة إيزنهاور بفندق سان جورج، كما غنموا أجهزة الكترونية من معامل الطيران المدني.⁷

ففي سنة 1947 استدعي محمد عصامي (عضو اللجنة المركزية لسكان بسكرة) بعد أن جمع اثني مليون فرنك قديم ميلودي أحمد لتكليفه شراء الأسلحة وبدوره قام ميلودي أحمد بإرسال كل من ميحي بشير ومحمد بلحاج إلى ليبيا للقيام بنفس المهمة. اللذين نجحا في مهمتهما، حيث قام ميحي بشير بنقل شحنة الأسلحة إلى غاية واد سوف أين تم وضعها في مخازن عند أحمد ميلودي، وشملت هاته الشحنة علي 103 بندقية حرب من نوع ستاتي (Statti) (و أربعة صناديق من العتاد الحربي.⁸

كما استطاعت المنظمة الخاصة شراء كمية أخرى من السلاح في شتاء 1948 من صحراء فيض أولاد عمر قرب زربية الوادي، وتم نقل السلاح عن طريق المناضل السماحي بلقاسم بأمر من مصطفى بن بولعيد، واشترك في العمل كل من بعزي لخضر، وبعزي محمد وعزوي المدور،⁹ وكانوا حاملين معهم رسالة (رمز) وهي نصف ورقة من نوع عشرين فرنك سلموها لصاحب السلاح الذي كان يحتفظ بالنصف الآخر، وتم نقل السلاح إلى قرية الحجاج، وقدر عدد قطع السلاح بثلاثة مئة وعشرين بندقية حربية.

إلا أن ذلك لم يعد كافيا لهذا كان على مسيري المنظمة التفكير في طرق أخرى للحصول على الأموال وقد عبر عن ذلك رئيسها حسين آيت أحمد بقوله: "ليس المال ما تفتقر إليه الجزائر ويجب أخذه حيث ما وجد في مكاتب البريد، في المصارف لنكن منطقيين مع أنفسنا، فإذا كنا مستعدين لأن نجازف بأرواحنا في هجوم عنيف مع المحتل فإننا لن نقف جامدين متهيئين أمام خزائنه". وهكذا بدأ التفكير العملي والجددي في الهجومات على بعض المراكز المالية الاستعمارية¹⁰ وبعد دراسة دقيقة تم التوصل إلى مخطط هجوم علي البريد المركزي لوهران بغية الحصول على أموال لتوفير الأسلحة، فبالرغم من أن المنظمة كانت تضم أكثر من 2500 مناضل منظم إلا أنه لم يكن هناك سلاح كاف.¹¹

لأجل هذا نفذت عملية الهجوم على بريد وهران في 05-06 أبريل 1949. حيث استطاع الأعضاء المكلفين¹² بالمهمة الحصول على مبلغ مالي قدره ثلاث ملايين و 170000 فرنك.¹³ وقد كلف محمد خيضر بنقل نصف المبلغ من وهران إلى العاصمة باعتباره يتمتع بحصانة برلمانية و تكلف بالمبلغ الباقي محمد يوسف الذي وضع جزء منه في البنك والجزء الآخر في مكتب البريد وكانت هاته أول عملية تقوم بها المنظمة الخاصة.¹⁴

وقامت الأخيرة فيما بعد إرسال عدد من أعضائها إلى ليبيا بغية شراء الأسلحة المتبقية من الحرب العالمية الثانية و لقد تمت عملية شراء الأسلحة بعدما هربت عن طريق الصحراوي (مرت علي غدامس ثم الوادي ثم بسكرة ثم الأوراس وأخيرا آريس واستقبلها مصطفى بن بولعيد)، قدرت هاته الحمولة ما بين ستة مائة قطعة سلاح، عمل لها العربي بن مهدي مطامر وغطاها وكانت تخرج كل أربعة أشهر أو خمسة لتنظيفها والحفاظ عليها من الصدأ.¹⁵

ورغم قلة العمليات التي قامت بها المنظمة الخاصة فإن دورها ونتائج أعمالها ستعطي ثمارا لاحقة ، بحيث تؤكد جميع المصادر أن هاته المنظمة كانت اللبنة الأساسية والأرضية الصلبة لعملية تحضير للثورة وأنها شكلت قاعدة ثورية جعلت قوة مماثلة للقوة الاستعمارية.¹⁶ وهذا ما عبر عنه أحد عناصرها البارزين وهو المناضل أحمد محساس: " أن التجارب السابقة أنتجت ضرورة مواجهة الاستعمار بقوة منظمة ومتخصصة في التحركات الثورية المختلفة وجهازا مماثلا للقوة الاستعمارية .. كما كانت المنظمة الخاصة استجابة لمطلب التحرك المسلح بعد فشل سنوات طويلة من العمل السياسي ".¹⁷

2 - المهام العسكرية لنواة الوفد الخارجي:

كما هو معروف أن للحركة الوطنية الجزائرية ممثلين في الخارج، وخاصة الوطن العربي، ممثلين في مكتب المغرب العربي في القاهرة أطلق عليهم الوفد الخارجي يتابع من بعيد تطورات السياسة وخاصة الإنشقاقات التي وقعت داخل حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية. وكان الوفد الخارجي على يقين أن الاضطرابات والنزاعات بالجزائر تكاد تنفجر في ثورة عارمة، وأمام تضارب المعلومات وقلة الأخبار الواضحة لدى الوفد الخارجي بدأت التساؤلات لديه عن حركة 22 ومحمد بوضياف.¹⁸

وفي هذا الجو باشرت لجنة الخمسة¹⁹ عملها واتصالاتها على المستويين الداخلي والخارجي، فقد توجه محمد بوضياف إلى سويسرا في أوائل جويلية 1954 لربط الاتصال مع أحمد بن بلة ممثل الوفد الخارجي، ويقول محمد بوضياف عن هذا اللقاء: "...وبعد أيام قليلة في أوائل جويلية أخبرني مبعوثون مصاليون ومركزيون أن بن بلة بسويسرا أي جاء مبعوثا من مكتب الحركة بالقاهرة وأنه يرغب في مقابلي وبعد وصولي إلى بارن، اتصلت بن بلة الذي حظي بثقتنا بوصفه من قدماء المنظمة الخاصة، وأطلعته على ما جرى في الأشهر الماضية وبما ننوي القيام به، وعلى الخصوص الشيء الذي نتظره من الوفد الخارجي... وفي الحال أعلن بن بلة موافقته على عملنا ووعدنا بكسب تأييد الأعضاء الآخرين للوفد الخارجي وكذا تأييد المصريين.."²⁰

وأما اللقاء الثاني جمع بوضياف وديدوش مراد مع كل من عبد الكبير الفاسي من المغرب وعز الدين عزوزي من تونس²¹ بشأن هذا اللقاء يقول بوضياف: "...فبعد اللقاء الأول اجتمعنا ثانية في أوائل أوت للنظر في إجراء اتصال مع مسؤولين مغاربة وتونسيين كان بن بلة كلف بدعوتهم ورافقني ديدوش مراد وذهبنا إلى بارن للاجتماع بعبد الكبير الفاسي عن المغرب وبشخص يدعي عز الدين عزوزي عن تونس، واتفقنا مع عبد الكبير الفاسي على الاتصال بالمناضلين بالريف وتعهده بتسليم كمية من الأسلحة من الريف في أجل أقصاه شهرا واحدا، بعد إيداع المبلغ اللازم في حسابه المصرفي بزيورخ (Zurikh) سويسرا، وفي الحال قدمنا له قائمة بالأسلحة اللازمة..."²²

وإثر عودتهما من سويسرا اجتمعت لجنة الخمسة واتخذت عدة قرارات منها:

- جمع مبلغ 1.4 مليون فرنك قديم مقابل الأسلحة الموعودة من عبد الكبير الفاسي وقد كلف رابح بطاط بنقلها إلى سويسرا.

- سفر مصطفى بن بولعيد إلى طرابلس لاستلام الأسلحة التي وعد بها أحمد بن بلة.

- سفر محمد بوضياف والعربي بن مهدي إلى الريف الإسباني جلب الأسلحة التي وعد بها عبد الكبير الفاسي وإقامة شبكة الاتصالات الضرورية وصادف السفر عيد الأضحى يوم 9 أوت 1954.

عن نتائج هذه التحركات والاتصالات يقول بوضياف: "لقد قمنا بماته التحركات لكنها للأسف لم تكن لها أي نتيجة تذكر بالتسليح، اقتصرنا على معرفة المسالك الحدودية شرقا وغربا وإقامة علاقات طيبة مع الوطنيين المغاربة في الريف".²⁴ كما اتصل بن بلة بالحبيب بورقيبة للقيام بالعمل الثوري على مستوى المغرب

العربي ثم جاء بعده بوضياف وشنوف إلى تونس للقيام بنفس المهمة ، وذهب عبد الحميد مهري إلى العراق حيث حصل على السلاح من نوري سعيد وحصل الجزائريون على دعم من المملكة العربية السعودية تم تحويله إلى الجزائر عن طريق مصر.²⁵

3. الإعدادات العسكرية لتفجير الثورة 1952-1954

لقد كان قدماء المنظمة الخاصة يشتغلون بصفة سرية منذ 1952، فلم ينتظروا من قيادة الحزب أن تعطيهم موافقة على إعادة إنشاء منظمة السرية لأن العمل الثوري يتطلب السرية وعدم الخضوع لبيروقراطية الحزب ويبدو أن إعادة تنظيم المنظمة الخاصة في 1952 له علاقة قوية بالروابط التي قامت بين حركات ففي التحرر في تونس والمغرب في بداية الخمسينات.²⁶

ففي ربيع 1952 تلقى بوضياف ورفاقه من بقايا المنظمة الخاصة وهما معنويا من الأمير عبد الكريم الخطابي المقيم بالقاهرة فقد أوفد إلى الجزائر ضابطين عسكريين من منطقة الريف المراكشي بهدف البحث عن الجزائريين جاهزين للعمل المسلح. في البداية اتصل الضابطين بقيادة حركة انتصار الحريات الديمقراطية ممثلة في حسين لحول واحمد مزغنة فكان جوابهما: " ليس بوسعنا أن نعمل أي شيء الآن". وكان الأمير الخطابي قد كلف مبعوثيه في حالة تلقي مثل هذا الرد السليبي من قيادة الحزب محاولة الاتصال بأطراف أخرى قد تكون أكثر استعدادا. وفي هذا السياق اقترح عبد الحميد مهري المرافق للضابطين المراكشيين عليهما الاتصال بمحمد بوضياف الذي كان كثيرا ما يجتمع به وكان كلاهما معارضا لسياسة قيادة الحزب آنذاك.

كما يروي محمد بوضياف ما جرى بينه وبين الضابطين كما يلي: " في اللقاء الأول شرح لي أن الهدف من مهمتهما هو السعي إلى تنظيم عمليات مسلحة عبر أقطار المغرب العربي وبحث هاته المسألة مع المناضلين الوطنيين بكل من تونس والجزائر والمغرب وكان رأي مبعوثي الأمير خطابي أن العمل المسلح يمكن أن يؤدي إلى تحديد القيادات".²⁷ في اللقاء الثاني حضر كل من محمد بوضياف وديدوش مراد بهدف تعميق الحوار مع المبعوثين المراكشيين ويواصل بوضياف قائلا: " بعد هذا اللقاء بدأنا في تنظيم أنفسنا من جديد وكانت الخطوة الأولى أن اتصلنا بين بولعيد وبن مهدي وكونا لجنة بمشاركة عبد الحميد مهري".²⁸

وأكد عبد الحميد مهري أن هؤلاء القادة هم الذين حاولوا ربط الكفاح المسلح في الجزائر مع إخوانهم التونسيين والمغاربة وأعادوا تنظيم الحركة السرية دون علم الحزب وكان من المفروض حسب خطة هاته المجموعة

أن يبدأ الكفاح المسلح في خريف 1953²⁹. ولكن وقع حادث انفجار قنابل عن طريق الخطأ في 19 جويلية 1953 في دكان ألبسة كان يمكنه مشلق سعيد بالأوراس وذلك حين كان يقوم مصطفى بن بولعيد بصنع القنابل وتخزينها في دوار الحجاج بالأوراس.³⁰

باختصار فإن قادة المنظمة الخاصة كانوا يتهيئون للعمل الثوري، وللتحضير له قام رئيس المنظمة الأسبق أحمد بن بلة بإرشاد بوضياف على المخابئ الرئيسية التي أسست سابقا فقصده كل من بوضياف وبوعجاج وديدوش القصبة قصد استخراج الأسلحة والتي قام مصطفى زرقاوي بإخفائها والتي وجدها ديدوش وشملت الشحنة ما يلي: جهاز إرسال واستقبال. 2- أسلاك. 3- خمسون قنبلة يدوية. 4- ثلاثون رشاشة من نوع تومسون وستات. 5- 500 مشعل للمتفجرات. 6- مناظير ثلاثية الركيزة. وبعض الأدوات الأخرى ليقوموا بعد ذلك بالاختراع.³¹

كما أمر بوضياف بوعجاج بضرورة نقل الأسلحة وذلك لقرابها من مقر الولاية بالعاصمة ولهذا كانت في خطر، وقد وقع اختيار مكان تخزينها في مزرعة قدور الحوجيين (أحد الفلاحين) بكريسيما تقع بين العاصمة وبوفاريك) وقد نجح كل من بوعجاج وقدور الحوجيين في نقل الأسلحة إلى المكان الأنف الذكر.

32

كما طلب بوضياف من بولعيد السلاح فأجابه الأخير وقام بإرسال شاحنة انطلقت من دوار موسي علي بعد و10 كلم من أريس كانت الحمولة موجهة من بن بولعيد إلى رابح بيطاط شملت ما يلي: 27 مسدس وبنديقية. وصلت الشاحنة أمام منزل عبد الرحمن بشارع Renpartrebée كان في انتظارها كل من بوضياف و أوعمران وقاموا بنقل الأسلحة من الشاحنة تاركين بها خمس مسدسات محطمة وخبئت بمنزل عبد الرحمن بالقصبة.³³

ولم يكتفي المناضلون بالأسلحة التي تعود لفترة المنظمة الخاصة بل أقاموا عدة مراكز لصناعة القنابل والمتفجرات ورغم تجربتهم البسيطة وقلة خبرتهم العسكرية في هذا المجال استطاع الجزائريون صناعة القنابل والمتفجرات من مواد ووسائل بسيطة كانت متوفرة لديهم كعلب المصبرات والكبريت الأصفر والفحم والطين الحر وزيت الخروب.³⁴

ويقول أحمد الوهراني في شهادته عن صناعة القنابل: أنه كان يؤخذ وعاء للزيت من الحجم الكبير 5ل يحاط بأعمدة من نبات الدفلة مشدود بسلك بحيث يترك فراغ بين الأعمدة والوعاء ليوضع في ذلك الفراغ خليط من الاسمنت والرمل والحصى ذات الحجم الصغير وعندما يجف ينزع الوعاء ويملا الفراغ بالبارود والبنزين ورماد نبات الدفلة وقد استعملت هاته القنابل عادة في عمليات التخريب.³⁵

ويضيف الحاج بن علا أنه في أوت 1954 تربص بناحية خرايسية حول صناعة المتفجرات أشرف عليه مصطفى بن بولعيد ، ولما عاد إلى وهران كلف زبانة بصنع كميات من أوعية هاته المتفجرات ، وقام بذلك فعلا بحاسي الغلة في محل عائلة فرطاس، بيد أن إستعمال هذه القنابل المحلية مرهون بوصول الصواعق ضمن صفقة الأسلحة الموعودة من طرف عبد الكبير الفاسي. بل حتى القنابل التي صنعها رفاق بيطاط في العاصمة مرهون استعمالها بماته الصواعق وقد أرسل قائد المنطقة الرابعة إلى وهران في طلب كمية منها لكن لم يظهر اثر الأسلحة الموعودة ولم تعبر قطعة واحدة حدود الجزائر الغربية.³⁶

وعن الإمكانيات البشرية فإن المناضلين اختيروا وفق شروط معينة منها :

- 1- أن يكون عضوا في حركة من اجل انتصار الحريات الديمقراطية لأكثر من خمس سنوات
- 2- متمتعا بكامل صحته البدنية والعقلية
- 3- إثبات شجاعته والتزامه وصدق نواياه خلال فترة عضويته
- 4- يفضل أنه أدى خدمته العسكرية إجبارية لاستغلال خبرته في التدريب.

كما تلقى المناضلون تدريبا عسكريا جادا يقوم على ما يلي :

- تدريب المناضلين على استعمال السلاح حيث خصص لكل فوج حصة أسبوعية بتدريب خلالها علي فك وتنظيف الأسلحة .

- تلقي دروسا نظرية في كيفية شن الهجمات ونصب الكمائن وخوض المعارك وشن حرب العصابات.³⁷

فقد خطط المناضلون الهجوم على ثكنة بوفاريك وبلغ عددهم 23 شخص تحت قيادة سويداني بوجمعة وعمر أو عمران وفوج من الحلاوية وآخر من الغرابية و10 مناضلين من المنطقة الثالثة، وقبل أن يشرع هذا الفوج في عمله قام فوج آخر بمهمة الهجوم على وحدة الخضر والفواكه ببوفاريك و تفجير قنبلة قبل الوقت

المتفق مما جعل الفوج برئاسة سويداني بوجمعة يتراجعون عن تنفيذ الخطة وانسحبوا إلى مرتفع تفاعحة وهو المكان المتفق الالتقاء فيه.

أما عملية ثكنة بيزو (البلدية) (ثكنة 19 جوان حاليا) فقد كان أحد أهم الأهداف التي خطط لها نظرا لما تحتزنه من أسلحة وعتاد حربي، قاد الفوج رابح بيطاط وأحمد بوشعيب، توجه في حدود الحادية عشر ونصف ليلا نحو الثكنة، وكان أحمد بوشعيب مرتديا لباسا عسكريا أحضره له خوذي السعيد، ويتسلق الجدار حيث دخل إحدى ممرات الثكنة ولحقه عمر الغول ثم اتصل بهما خوذي السعيد وأعطاهما مقصا خاصا لقص قضيب الحديد، ودلهما على أماكن تواجد الأسلحة والذخيرة الحربية، لكن الصناديق كانت فارغة، وبينما هم يبحثون عن الأسلحة المخبأة انطلقت العمليات بنواحي بوفاريك واعتلت السنة النار بتعاونية الخضر والفواكه، فتجندت عناصر الثكنة الذين كانوا خلالها في عطلة يحتفلون بعيد القديسين، وخرجت المجموعة من الثكنة دون أن تحقق هدفها، واستحبوا إلى الشريعة حسب ما اتفقوا عليه من قبل، واتجهوا بعدها نحو المنطقة تفاعحة.³⁸ كما قام مناضلوا خنشلة بالهجوم على محافظة الشرطة بحيث تمكنوا من إصابة شرطي واحد بجروح خطيرة، واستحوذوا على أربعة مسدسات وكذلك الهجوم على ثكنة عسكرية خلفت قتيلان (قائد حامية ومجنّد فرنسي).

أما بيانة فنفذ هجوم على الثكنة العسكرية قتل جنديين فرنسيين وفي آريس تم هجوم عنيف على منجم الرصاص باشمول (Ichmoul) ومحاصرة وهجوم على مركز الدرك بتكوت (Tkout)، وفي بسكرة تم الهجوم على محافظة الشرطة بشارع ماكماهون وكذا الهجوم على الثكنة العسكرية سان جرمان، وفي سندو قام المناضلون المهاجمون على ثكنة عسكرية.³⁹

-الإمكانات المادية والبشرية انطلاق الثورة :

انطلق العمل المسلح بإمكانات محدودة جدا، وهذا ما يؤكد تصريح محمد بوضياف: "أما ما كان موجودا من الأسلحة، فلم يكن لنا إلا مستودعا واحدا بالأوراس وفيه نحو ثلاث مائة قطعة سلاح إيطالي اشترت في غضون سنتي (1947-1948) من ليبيا و أودعت في وادي سوف ثم نقلت سنة 1949 إلى الأوراس حيثخبئت في براميل مملوءة بالزيت.. وفي ما يخص الأموال فقد أسند في البداية إلى كل ولاية الأمر للحصول عليها بوسائلها الخاصة".⁴⁰

اقتصرت أسلحة الإنطلاقة على بنادق صيد التي تم أخذها من السكان وبعض البنادق الحربية القديمة من نوع موسكوتون mosketon ولويلبل lebel أو مسدس رشاش ستاتي⁴¹ أغلبها أسلحة مورثة عن مخزون المنظمة الخاصة⁴² صالحة للإستعمال بنسبة 10% ، أي أن طلقة واحدة من بين عشر طلقات نارية تكون صالحة يعود السبب إلى بقائها مدة طويلة في باطن الأرض، بحيث عندما أخرجها المجاهدون من مخابئها كانوا يضربونها بالمطارق بغية فتح مغالقها ، وعن الرصاصات هي الأخرى لا تنطلق نتيجة لما أصابها من بلل ورطوبة ، إذ اضطر المجاهدون أحيانا إلى ضرب الخونة بأخمس البندقيات.⁴³

وعليه فلم يكن لجبهة التحرير الوطني عند إعلانها الثورة المسلحة سلاحا بمعني الكلمة فالكمية التي كانت تمتلكها من الأسلحة هي من مخلفات أسلحة المنظمة الخاصة المدفونة في باطن الأرض منذ 1947 وبعض القطع من مخلفات الحرب العالمية الثانية ، والتي اشتراها المناضلون بأموالهم الخاصة إستعدادا للثورة ، وحتى هاته العملية الأخيرة لم تكن معممة على مختلف مناطق القطر الجزائري بحيث نجد مناضلوا الشمال القسنطيني لم يتمكنوا من الحصول سوى على 6 أو 7 أسلحة من مخلفات الحرب العالمية المنطقة الوحيدة التي كانت تتوفر على كمية لا بأس بها من الأسلحة الأنوماتيكية هي منطقة الأوراس .⁴⁴

ومما زاد الطين بلة هو ما حدث في سبتمبر 1954 إذ أذهب زلزال الأضنام بالسلاح والرجال المكلفين بحراسته، وفي الأغواط سلّم السلاح إلى البوليس بواسطة أحد العملاء، أما مخزن القبائل فكان بين أيدي المصاليين وبهذا لم يبق سوى سمندو و الأوراس والجزائر .⁴⁵ رغم كل هاته الجهود إلا أن الثورة كانت فقيرة العدة والعتاد عند الإنطلاقة وهذا ما تبينه الإحصائيات :

الولاية الأولى : الأوراس ومنطقة الوادي بقيادة مصطفى بن بولعيد ضمت 550 مجاهد تتوفر لديهم 200 بندقية إيطالية ، ومجموعة من بنادق الصيد.

الولاية الثانية : تشمل منطقة شمال قسنطينة بقيادة ديدوش مراد ضمت 530 مجاهد توفر لديهم 60 بندقية ما بين 6.5 إيطالية وبنادق صيد.

الولاية الثالثة : شملت بلاد القبائل الكبرى بقيادة كريم بلقاسم ، ضمت 570 مجاهد توفر لديهم 88 بندقية مختلفة ما بين فرنسية وإيطالية وسلاح صيد إضافة إلى 45 مسدسا و3000 طلقة فقط.

الولاية الرابعة : شملت منطقة القبائل الصغرى وجبال الشريعة ومنطقة الشلف إلى تيارت وضمت 238 مجاهد لديهم 15 رشيشا فقط.

الولاية الخامسة : ضمت منطقة وهران من تنس إلى الحدود المغربية تحت قيادة محمد العربي بن مهدي عدد المجاهدين فيها 75 لديهم 10 بنادق فقط.

وهكذا فإن عدد المجاهدين عند بداية الثورة كان يبلغ 2363 مجاهدا بينهم 500 فقط مدربين تدريباً مقبولاً ، يتوفر لديهم جميعاً 368 بندقية حربية وسلاح صيد ولديهم أيضاً 15 رشيشا و 45 مسدسا ، يضاف إلى ذلك 20 قنبلة يدوية أما الذخيرة فلم تتعدى من 30 إلى 50 طلقة لكل قطعة سلاح.⁴⁶

-المشاريع الأولى لتموين الثورة بالسلاح :

لقد بدأت الثورة الجزائرية بكمية محدودة من الأسلحة، وبنادق للصيد التي كانت منتشرة بصورة رئيسية بين أيدي المجاهدين مما دفعهم إلى تأمينها سواء داخليا أو خارجيا، أما عن المصادر الداخلية فهي كالآتي:⁴⁷

1-بنادق الصيد تشمل نوعين ، مرخصة أي إن حاملها كان يملك رخصة من قبل السلطات الفرنسية تبيح له حمل هذه البندقية، والنوع الثاني بنادق صيد يملكها أفراد الشعب الجزائري بصورة سرية وهم الغالبية وكانت غير مرخصة من قبل السلطات الاستعمارية حيث كانوا يشترونها سرا من بائعي السلاح بعيدا عن أعين السلطات الفرنسية.

2- غنائم حصل عليها الجيش إثر المعارك مع جنود العدو الفرنسي فقد مثلت هاته الغنائم بالنسبة للولاية الثانية والثالثة والرابعة المصدر الرئيسي للتسلح.

3- سلاح الجنود الجزائريين الذين أدوا الخدمة العسكرية الإجبارية في صفوف الثورة بأسلحتهم، وكانوا يمثلون مصدرا من أهم مصادر السلاح.⁴⁸

أما عن الإمدادات فكانت تلبية للحاجة الماسة إلى السلاح ، وهذا ما دفع بن بلة وآيت احمد ومحمد خيضر إلى البحث مع السلطات المصرية على تنظيم شبكة لوجستية لتزويد المجاهدين بالسلاح ، ويبدو أن نشاط قادة الوفد الخارجي في الخارج انتهى بنتائج مثمرة.⁴⁹

بحيث قام فتحي الديب الاتصال بأحد أعضائهم في ليبيا المدعو أمين صالح لخبرته الطويلة مع الشعب الليبي ، وطلب منه توفير الأسلحة الخفيفة والذخيرة فتجاوب أمين صالح واستلم مبلغ 3000 جنيه مصري

وسافر إلى ليبيا لإعداد المطلوب وقام بشراء 28 بندقية ، عدد 8 مدفع رشاش برن، عدد 3 رشاش ستن وكمية كافية من ذخيرتها البريطانية وأرسل شخص يدعى المغربي لامين صالح ليتولى الاتفاق مع احمد بن بلة على ترتيب عملية تهريب السلاح من برقة إلى شرق الجزائر ليكون في متناول الجزائريين.⁵⁰ أما الشحنة الثانية التي قام احمد بن بلة بشرائها فقد اتخذت طريقها إلى جبال الأوراس ووصلت على مرحلتين : الأولى من الحدود الليبية إلى منطقة تخزين وسط تونس ، والمرحلة الثانية من منطقة التخزين وبقافلة الإبل عبر منطقة الكاف.⁵¹ وفي الأسبوع الثالث من نوفمبر 1954 قام جمال عبد الناصر بالاتصال بالصاغ عبد الحكيم عامر لإصدار أوامره إلى قائد السلاح البحري اللواء سليمان عزت ليقوم بإعداد المطلوب ، ولتتفق مع فتحي الديب على طريقة التنفيذ كما قام جمال عبد الناصر بالاتصال بمصطفى بن حليم "رئيس وزراء ليبيا" لتحمل مسؤولية إنزال شحنة المركب المصرية ، وإخفائها بطرابلس لحين تهريبها عبر ليبيا إلى الجزائر .

وبعد التأكد من استعداد بن بلة لاستقبال الشحنة حدد موعد وصوله منتصف ليلة 7 و8 ديسمبر 1954 ليغادر اليخت الرصيف يوم 5-6 ديسمبر ووصل في الوقت المحدد وتمت عملية التخزين بنجاح تام وكان ذلك قبل أول يوم 8 ديسمبر 1954 وفي 24 مارس 1955 أبحر اليخت دينا⁵² من ميناء بورسعيد وكان على ظهره قائد ميلان وإبراهيم النبال⁵³ ، وفي أوائل أبريل عام 1955 وصل يخت الملكة دينا إلى مياه الناضور بالقرب من مدينة مليلة المغربية التي تحتلها اسبانيا ، وكان على ظهر اليخت سبعة من الضباط الجزائريين اللذين جرى تدريبهم في مصر ليتولوا مهمات عسكرية في الثورة وهم : محمد صالح عرفاوي ، علي مجاري ، محمد بوخروبة (هواري بومدين) عبد العزيز مشري ، محمد عبد الرحمن ، محمد حسين، احمد شنوت وكان اليخت محملا بكمية من الأسلحة والذخيرة والمتفجرات . كما تمكن بن بلة وعبد الكبير الفاسي ممثل جيش التحرير المغربي من تهريب ألف قطعة سلاح من اسبانيا إلى المغرب بالقرب من مليلة وذلك خلال شهر أوت 1955 في مركب خاص ونجحت العملية⁵⁴ .

كما بينت هجومات 20 اوت 1955 على الشمال القسنطيني حاجة الثورة للسلاح ولذا تواصلت الإمدادات ومنها اليخت انتصار في سبتمبر 1955 التابع للبحرية المصرية من إحدى القواعد السرية في مصر باتجاه منطقة الناضور المغربية بالغرب من مدينة مليلة المحتلة من طرف الإسبان وكانت المخابرات

المصرية بقيادة فتحي الديب قد أعدت الشحنة⁵⁵ التي وصلت في منتصف ليلة 21 سبتمبر إلى مكان تفريغ الشحنة وكان جيش التحرير قد اتخذ الإجراءات الكفيلة بالتفريغ بأمان وتمت العملية بالكامل⁵⁶:
 بتاريخ 20 أكتوبر 1955 أبحر اليخت (الحظ السعيد) باتجاه المنطقة المتفق عليها وغادر بن بلة القاهرة إلى مدريد ليبلغ قيادة الغرب كالعادة بتفاصيل خطة إنزال شحنة "غودهوب" ومحاوله سد العجز الحالي في الذخيرة بشراء أي كمية من اسبانيا وإرسالها بطرق خاصة إلى الحدود المغربية الجزائرية.⁵⁷ ويبدو أن السلطات الإسبانية التي كانت تغض الطرف عن عمليات تهريب السلاح إلى الثوار الجزائريين عبر مناطق احتلالها في الريف المغربي قد غيرت سياستها بصورة مفاجئة مما دفع اليخت غودهوب إلى إجراء تعديل في وجهة سيره، فتوجه إلى ليبيا ليفرغ حمولته بصورة سرية في ميناء مهجور بجوار مدينة زوارة بعيدا عن أعين المخابرات الإنجليزية، و قد تمت عملية إنزال الشحنة صباح يوم 09 نوفمبر عند الساعة 03 صباحا. ومن هناك نقلتها الشاحنات إلى المركز السري لتجميع السلاح والذخيرة في ليبيا في مزرعة مستأجرة في ضواحي زوارة، ومن هاته العملية حددت مهمة اليخت غودهوب في تهريب السلاح ففي 20 جانفي 1956 أبحر إلى ليبيا وعلى متنه شحنة من السلاح موجهة لكل من ثوار تونس والجزائر و يمكننا إحصاء الجزائر وحدها كما يلي:⁵⁸

نوع السلاح	الكمية	الذخيرة	الكمية
بنندقية 303	150	طلقة 303	20.000
رشاش لانكستر	40	خزان رشاش لانكستر	200
رشاش فيكارز 303	11	شريط للفيكارز	40
قنبلة يدوية	200	طلقة 9مم لأنكستر	40.000

وخلال الفترة الممتدة ما بين 20 مارس، 6 ابريل 1956 وعلى أربع دفعات أدخلت كميات من الأسلحة إلى الجزائر.

كما تم تهريب شحنة على دفعتين ما بين 22 مارس، 27 مارس 1956.⁵⁹ وفي شهر أفريل توقف اليخت غودهوب عن العمل بسبب فقدانه للسرية وانتقال طاقمه إلى سفينة ديفاكس اليونانية التي اشترتها المخابرات المصرية وبهذا خلفت ديفاكس غودهوب في مهمة تهريب الأسلحة وانطلقت من ميناء الأسكندرية فجر 6

ماي 1956 في أول عمل لها بغية إيصال الأسلحة وكانت الأخيرة من نصيب كل من المنطقة الشرقية (الأوراس -قسنطينة) ومنطقة بلاد القبائل وهران.

وفي 13 ماي وصلت الباخرة ديفاكس إلى منطقة زوارة في ليبيا حيث افرغت شحنتها الأولى خلال الليل ثم واصلت في يوم الرابع عشر إبحارها نحو الساحل المغربي فوصلت في اليوم العشرين إلى منطقة مجاورة لمدينة سبتة ، وأفرغت حمولتها هناك بصورة سرية مستعينة بزوارق صيد كانت قيادة الجيش قد أعدتها لهذا الغرض ، بالإضافة إلى زورق خاص باخرة وقبيل طلوع الضوء كانت ديفاكس ترفع المرساة وتبحر باتجاه نابولي بايطاليا لنقل شحنة تجارية .

ونظرا لارتفاع حدة المعارك في منطقة غرب الجزائر ومحاولات الجيش الفرنسي لتمشيط المنطقة فقد جرى الاتفاق بين مسؤولي الإمداد في مصر وبين المناضل عبد الحفيظ بوصوف قائد المنطقة الخامسة (وهران) . تقرر في الاجتماع الذي جرى في مدريد زيادة قدرة الولاية الخامسة (وهران) والولاية الثالثة (القبائل) لتنشيط العمل الفدائي وإحباط هجمات الجيش الفرنسي وربط الولايات الجزائرية ببعضها وتحريك الولاية السادسة (الجنوب) عسكريا، ومن اجل هذا تقرر إرسال كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة من بينها أسلحة مضادة للطائرات من طراز لويس والتركيز على زيادة مدافع الهاون القصيرة لثبوت فعاليتها ، وتزويد قيادة وهران بمصنع صغير لإعادة تعبئة طلقات الذخيرة مع تأمين المواد اللازمة لذلك.

خاتمة :

من خلال ما اشرنا له سابقا يمكن القول أن تفجير الثورة التحريرية لم يكون وليد مرحلة محددة و إنما نتيجة وأكبتها مراحل نضالية طويلة مع بداية الحرب العالمية الأولى عبر العمل السياسي ، حاول من خلالها قادة الحركة الوطنية الجزائريين الحصول على مكاسب سياسية ، لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية عجل بتدهور العمل السياسي و ظهور جناح خاصة داخل التيار الإستقلالي سعا لتوظيف الوضع الدولي الجديد لصالحه من خلال التوجه نحو العمل المسلح ، فتأسس داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية جناح مسلح أطلق عليها إسم المنظمة الخاصة 1947 التي عمل عناصرها على تنظيم خلايا و إقتناء السلاح للتحضير للعمل المسلح من خلال جمع التبرعات و جمع الاسلحة التي خلفتها الحرب العالمية الثانية ، و قد قامت المنظمة بعدة عمليات ضد سلطات الإحتلال الفرنسي أهمها عملية بريد وهران التي اثبتت أن العدو يمكن

اختراقه ، لكن إكتشاف المنظمة سنة 1949 عجلها بجلها من طرف قادة الحركة على رأسهم مصالي الحاج ، فخلق داخل الحركة أزمة داخلية عصفت بما انبثق عنه مجموعة من الشباب الجزائري الذين آمنوا بالعمل المسلح فكونوا اللجنة الثورية للوحدة و العمل 1953 التي عمل عناصرها للتخصير للثورة التحريرية و كان معظمهم من قدماء المنظمة الخاصة و الذين كان لهم تجربة في النضال المسلح الذين وضعوا القواعد الأولى لتفجير الثورة فعملوا على ربط علاقات مع الدول المجاورة و العربية الصديقة لدعم الثورة سياسيا و عسكريا ، و هو ما يبين الدور الفعال الذي لعبته المنظمة الخاصة المنحلة و عناصرها في تفجير الثورة المسلحة .
الهوامش:

¹-عبد الرحمن رزافي، الحركة الوطنية وفكرة العمل المسلح، مجلة الباحث، العدد الثاني، إصدار لمصلحة التاريخ للجيش الوطني الشعبي، الجزائر نوفمبر 1984، ص 33.

²-أحمد منصور، الرئيس أحمد بن بيلا، يكشف عن أسرار ثورة الجزائر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2006، ص 61.

³-أسست في 15 فيفري 1947، حين انعقد ثاني مؤتمر لحزب الشعب بيلكور في محل كان ملك لسي المبلود، وقد كانت تحت رئاسة محمد بلوزداد ثم خلفه، حسين آيت أحمد بعد مرضه ليكون أمد بن بلة خليفة آيت أحمد من 1949 إلى غاية أكتشافها في 1950. للمزيد من المعلومات ينظر: محمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية " المنظمة الخاصة"، ترجمة: محمد الشريف بن دالي حسن، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر 2002، ص 91.

⁴-عبد الرحمن رزافي. المرجع السابق ص 33.

⁵-مومن العمري، مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926-1954، دار الطليعة للنشر والتوزيع، الجزائر 2003، ص، ص 112-114.

⁶-بويكر حفظ الله التموين والتسليح إبان ثورة التحرير(1954-1962)، أطروحة دكتورا دولة، قسم التاريخ، جامعة وهران. 2006 ص 149.

⁷-محمد يوسف، مصدر سابق، ص 96.

⁸-Ben youcef Benkhadda. Les origines du 1^{er} Novembre 1954. Seconde édition du centre nationale d'études et du recherches sur le mouvement nationale et la révolution du 1^{er} Novembre 1954. P 123- 124.

⁹-بويكر حفظ الله. المرجع السابق ص 152.

¹⁰-مومن العمري. المرجع السابق ص 120

- 11- أحمد منصور. المصدر السابق ص 65.
- 12- المخططين للعملية والمهاجمين هم بن بلة، محمد يوسف، بوشعيب، ايت احمد، عمار حداد، سويداني بوجمعة، رابح لورقيوي بن زرقة ختير للمزيد من المعلومات انظر محمد يوسف، المصدر السابق ص 106.
- 13- نفسه ص 110.
- 14- أحمد منصور. المصدر السابق ص 65-66.
- 15- أحمد منصور. المصدر السابق ص 65-66.
- 16- مومن العمري. المرجع السابق ص 122.
- 17- نفسه، ص 122-123.
- 18- سيف الإسلام الزبير، سيف الإسلام الزوير، مؤامرة من خلف الستار، مطبعة النخلة، الجزائر، 1992، ص 59-60.
- 19- انبثقت لجنة الخمسة من خلال اجتماع اثنان وعشرون وهم: محمد بوضياف، مصطفى بن بولعيد والعربي بن مهدي، رابح بيطاط، ديدوش مراد. ينظر: محمد بلقاسم وآخرون، القواعد الخليفة للثورة الجزائرية الجهة الغربية 1954-1962. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 40.
- 20- مومن العمري. المرجع السابق، ص 292-293.
- 21- سيف الإسلام الزبير. المرجع السابق، ص 60.
- 22- مومن العمري. المرجع السابق، ص 293-294.
- 23- محمد عباس. المصدر السابق، ص 25.
- 24- سيف الإسلام الزبير. المرجع السابق، ص 61.
- 25- عمار بوحوش، تحويل المنظمة الخاصة إلى جبهة التحرير الوطني. مجلة الذاكرة، العدد الثالث، السنة الثانية، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 38.
- 26- نفسه، ص 36-37.
- 27- محمد عباس. اغتيال حلم "أحاديث مع بوضياف"، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 35-36.
- 28- نفسه، ص 35-36.
- 29- عمار بوحوش. المرجع السابق ص 37-38.
- 30- عيسى كشيدة. مهندسوا الثورة. تقديم: عبد الحميد مهري. ص 27.

Yves courriere. La guerre d'algerie. Tome 5. Pictionnaire et document. ³¹-
Editions. S.E.G. PARIS, 2001, p 800

³⁷Yves courriere. Op.Cit , p 800

³⁸ Ibidp 239.

³⁴-نظيرة شتوان. تحضير الثورة وانطلاقها في المنطقة الرابعة. حولية المؤرخ، العدد الخامس. الذكرى الخمسون لاندلاع الثورة ، الجزائر جوان 2005. ص 218-219.

³⁵-أحمد الوهراني مقابلة شخصية معه. قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان. 2 فيفري 2016 الساعة 10:30.
³⁶- نفسه ص 54.

³⁷-نظيرة شتوان، المرجع السابق، ص 217-220.

³⁸- نفسه، ص 227-229.

³⁹- سالم بويكر، تفاصيل عمليات هجوم أول نوفمبر 1954، ترجمة: سعاد حداد. مجلة الراصد. عدد تجربي، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2001، ص 14-15.

⁴⁰- مومن العمري. المرجع السابق ص 307.

⁴¹- سلاح فرنسي استعمل في الحرب العالمية الأولى والثانية وهو عبارة عن بندقية تكرارية. للمزيد ينظر نفسه ص 160.

⁴²- نفسه ص 160

⁴³- أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1956، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 2001، ص 78.

⁴⁴- احسن بومالي. المرجع السابق ص 78.

⁴⁵- محمد حربي، الثورة الجزائرية (سنوات المخاض)، ترجمة: نجيب عياد، صالح مثلوثي، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2006، ص 74.

⁴⁶- مراد صديقي. الثورة الجزائرية "عمليات التسلح السرية"، ترجمة احمد الخطيب. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت، ب-ت- ص 28-29.

⁴⁷- نفسه، ص 29.

⁴⁸- عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج2. ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ب-ت، ص 235-238.

⁴⁹- مراد صديقي، المصدر السابق، ص 29.

⁵⁰- فتحي الديب. جمال عبد الناصر و ثورة الجزائر. ط1. 1984. ط2. 1990، دار المستقبل العربي. القاهرة، ب-ت، ص 59.

⁵¹- نفسه. ص 59-63.

52- هو المركب الذي تمتلكه الملكة السابقة للأردن دينا عبد الحميد و قد استأجره عليها قائد مصري مقابل مبلغ شهري مع تحمله لكافة النفقات. فتحي الديب، مصدر سابق ، ص 83.

53- نفسه ، ص 84.

54- مراد صديقي ، المصدر السابق ، ص 31.

55- نفسه ، ص 30.

56- نفسه، ص 32-33.

57- نفسه ، ص 34.

58- نفسه، ص 34-35 .

59- فتحي الديب، المصدر السابق ، 135.

قائمة المصادر و مراجع :

أ- باللغة العربية :

- الوهراني أحمد ، مقابلة شخصية معه. قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان .2 فيفري

2016 الساعة 10:30.

- الديب فتحي ، جمال عبد الناصر و ثورة الجزائر . ط1. دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 1984 ، ط2،

1990 .

- الزبير سيف الإسلام ، سيف الإسلام الزويبر ، مؤامرة من خلف الستار ، مطبعة النخلة، الجزائر ، 1992 .

- العمري مومن ، مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926-

1954 ، دار الطليعة للنشر والتوزيع، الجزائر 2003 .

-

- بلقاسم محمد وآخرون القواعد الخليفة للثورة الجزائرية الجهة الغربية 1954-1962. منشورات المركز الوطني

للدراستات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ، 2007.

- بوحوش عمار ، تحويل المنظمة الخاصة إلى جبهة التحرير الوطني. مجلة الذاكرة ، العدد الثالث ، السنة الثانية ،

المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر ، 1995 .

- بومالي أحسن ، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1956 ، منشورات المتحف الوطني

للمجاهد ، الجزائر ، 2001 .

- حرري محمد ، الثورة الجزائرية (سنوات المخاض)، ترجمة: نجيب عياد، صالح مثلوثي، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر

، 2006 .

- حفظ الله بوبكر ، التموين والتسليح إبان ثورة التحرير(1954-1962)، أطروحة دكتورا دولة ،قسم التاريخ، جامعة وهران.2006.
 - رزاقعبد الرحمن ، الحركة الوطنية وفكرة العمل المسلح، مجلة الباحث، العدد الثاني، إصدار لمصلحة التاريخ للجيش الوطني الشعبي، الجزائر نوفمبر 1984 .
 - سالم بوبكر ، تفاصيل عمليات هجوم أول نوفمبر 1954 ، ترجمة :سعاد حداد.مجلة الراصد . عدد تجريبي ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ، 2001 .
 - شتوان نظيرة، تحضير الثورة وانطلاقها في المنطقة الرابعة ،حولية المؤرخ، العدد الخامس .الذكرى الخمسون لاندلاع الثورة ، الجزائر، جوان 2005.
 - صديقي مراد، الثورة الجزائرية "عمليات التسليح السرية"، ترجمة احمد الخطيب . منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت، ب -ت .
 - عباس محمد ، اغتيال حلم "أحاديث مع بوضياف" . دار هومة ، الجزائر، 2001 .
 - قليل عمار ،ملحمة الجزائر الجديدة ،ج2. ط1 ،دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، ب-ت .
 - محمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية " المنظمة الخاصة " ، ترجمة : محمد الشريف بن دالي حسن، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر ، 2002 .
 - منصور أحمد ، الرئيس أحمد بن بيلا ،يكشف عن أسرار ثورة الجزائر ،دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت 2006.
- ب- باللغة الفرنسية :
- Benkhadda Ben youcef. Les origines du 1^{er} Novembre 1954. Seconde édition du centre nationale d'études et de recherches sur le mouvement nationale et la révolution du 1^{er} Novembre 1954.
 - courriere Yves. La guerre d'algerie. Tome 5. Pictionnaire et document, Editions,S.E.G, PARIS,2001 .

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

صفات الشخصية العربية في المصادر المسمارية

دراسة تاريخية

الأستاذ المساعد الدكتور عبد الغني غالي فارس

كلية التربية للبنات جامعة البصرة / العراق

abdul.faeis@uobasrah.edu.iq

تاريخ الإيداع: 2020/11/07 م تاريخ التحكيم: 2020/11/12م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

عنى البحث بدراسة صفات الشخصية العربية في المصادر المسمارية من وجهة نظر تاريخية. وقد قسمناه على محورين رئيسيين، تناول الأول منهما المصادر المسمارية التي ذكرت العرب. أما المحور الثاني فتطرق لصفات الشخصية العربية. ومن مجمل هذه الدراسة اتضح أن هذه المصادر عبارة عن نصوص ونقوش آشورية وبابلية وأخمينية، تعود إلى المدة الواقعة بين منتصف القرن التاسع قبل الميلاد والمنتصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد، وأن العرب الذين ذكروا فيها هم بالدرجة الأساس سكان شمال غرب شبه الجزيرة العربية من بدو وحضر. كذلك اتضح أن شخصية أولئك العرب امتازت بجملة من الصفات مثل الإباء وعزة النفس والمروءة، فضلا عن الحكمة والدهاء السياسي والتدين الشديد. وقد تم التعرف إلى صفاتهم تلك من خلال ما ذكرته المصادر المسمارية عن علاقتهم بكل من الآشوريين والبابليين والفرس الاخمينيين. ويمكن القول إن هذه الصفات كانت نتيجة لطبيعة بيئة منطقتهم، وللأعراف والتقاليد المتأصلة في نفوسهم. الكلمات المفتاحية: العراق القديم، تاريخ العرب القديم، الدراسات المسمارية

The Arabic personality characterizes in cunieform texts

Asist Prof. Dr. Abdulghani ghali Faris

College of education for women L Univ. of Basrah / IRAQ

abdul.faeis@uobasrah.edu.iq

Abstract

of the research is to study the characteristics of the Arab personality through cunieform sources from a historical point of view. We divided it into two main axes, the first of which dealt with the cunieform sources that mentioned the Arabs. As for the second and last axis, it deals with the characteristics of the Arab character.

From the entirety of this study, it became clear that these sources are Assyrian, Babylonian and Achaemenes texts, inscriptions and cartoons, dating back to the period between the middle of the ninth century B.C and the second half of the sixth

century B.C., and that the Arabs who mentioned them are mainly residents of northwestern Arabia Those who appeared and attended. also that the personality of these Arabs was distinguished by a number of attributes, such as fatherhood, self-esteem, and virility, as well as wisdom, political savvy and extreme religiousness. Their characteristics were identified through what the Cuneiform sources mentioned about their relationship with both the Assyrians, the Babylonians, and the Achaemenes Persians. It can be said that these characteristics were a result of the nature of their region's environment, and the customs and traditions inherent in their souls

Keywords: mesopotamia , ancient Arab , cuneiform studies .

المقدمة

تعد المصادر المسمارية أقدم المصادر التاريخية التي ذكرت العرب وتناولت جوانب عدة من حضارتهم وتأريخهم السياسي خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، ولذا فلا غنى عنها لأي باحث يبحث عن أي من أحوال العرب في هذه الفترة. ومن استقراء وتحليل ما ضمته من معلومات عن العرب أمكننا التعرف إلى صفات الشخصية العربية، التي درسناها من خلال هذه المصادر من وجهة نظر تاريخية . وما دفعنا لاختبار هذا الموضوع أن أي من الكتب والأبحاث والدراسات الأكاديمية التي تناولت تاريخ العرب القديم وبلغات عدة، لم تحاول التعرض لصفات شخصيتهم، باستثناء إشارات قليلة ومتفرقة جاءت في معرض حديثها عن حياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية، لا تشكل موضوعا متكاملًا يغني عن الخوض في هذه الصفات. وكذلك لرغبة الباحث في إظهار ما تمتع به العرب من صفات شخصية في الأزمنة القديمة ، وكون البحث يدخل ضمن اختصاصه في دراسة تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم، ومن ذلك تاريخ البلاد العربية القديمة .

اعتمدنا في إعداد هذه الدراسة على جملة من المصادر ذات الصلة الوثيقة بها، وأهمها كتاب (Ancient Records of Assyria and Babylonia, vol.1,11) لمؤلفه الأستاذ (Daniel David Luckenbill) وكتاب (Ancient near eastern Texts) للأستاذ (James Pritchard) . فكلا هذين الكتابين نشرتا باللغة الانكليزية النصوص المسمارية التي تحدثت

عن علاقة الملوك الآشوريين مع العرب ، والتي أمكن من خلالها التعرف بشكل رئيس لصفات الشخصية العربية.

ومن المصادر المهمة الأخرى التي ساعدتنا على التعرف لذلك أيضا ، كتاب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج 1) ، بما قدمه مؤلفه الأستاذ جواد علي من معلومات قيمة عن علاقات العرب الخارجية في العصور القديمة ، استقاها من مصادر رصينة ولاسيما النصوص والنقوش الملكية الآشورية والبابلية والفارسية.

قسم البحث على محورين رئيسين، تناول الأول منهما المصادر المسمارية التي ذكرت العرب. أما المحور الثاني والأخير فتطرق لصفات الشخصية العربية. وقد جاءت نتائج البحث في نهايته لتستعرض أهم الاستنتاجات التي أفرزتها قراءة الأحداث.

أولا: المصادر المسمارية التي ذكرت العرب

من المعلوم أن أقدم نص مسماري وتاريخي ورد فيه ذكر العرب هو نص الملك الآشوري شلمنصر الثالث **Shalmaneser 111** (859 – 824 ق.م)، الذي يعود لعام حكمه السابع (853 ق.م) ، إذ أشير فيه إلى أن جنديبو (**Gindibu**) العربي كان أحد الملوك الاثني عشر⁽¹⁾ ، الذين قادوا جيوشهم واصطدموا بالقوات الآشورية آنذاك في مدينة قرقر⁽²⁾ ، التي تقع بجوار حماة في شمالي سوريا⁽³⁾ .

وجنديبو اسم من الأسماء العربية المعروفة هو جندب⁽⁴⁾ ، ويرجح أنه كان ملكا لمملكة قيذار (**Kedar**) ، ومقر حكمه إما كان في ادومو (دومة الجندل) التي تقع في الطرف الجنوبي من وادي السرحان ، أو بالقرب منها. وقد شمل نفوذه المناطق الممتدة في بادية الشام من حوران وجبل الدروز إلى الجنوب من دمشق ، فضلا عن وادي السرحان ، الذي يصل سوريا بشمال شبه الجزيرة العربية⁽⁵⁾.

ومن ثم ذكر العرب في نصوص الملك الآشوري تحلات بيلاسر الثالث **Tiglath-pileser 111** (745 – 727 ق.م) ولمرات عدة. فقد أشار هذا الملك في إحدى نصوص عام حكمه السابع (738 ق.م) لتسلمه الإتاوات من الملكة العربية زبيبي **Zabibe**⁽⁶⁾. وزبيبي هو تحريف لاسم زبيبه الذي يعد من الأسماء العربية المعروفة⁽⁷⁾ ، ويرجح أنها كانت ملكة لقيذار ومقرها ادومو⁽⁸⁾ .

وفي نص آخر له يعود للعام التاسع لحكمه (736 ق.م) ذكر أنه هاجم ملكة العرب سمسي **Samsi** لتمردا ضده وانتصر عليها، ففرت إلى منطقة بازو⁽⁹⁾ البعيدة ، ومن ثم أذعننت لسلطته ثانية⁽¹⁰⁾. وقد صورت هذه الملكة على اللوح ، الذي دون فيه تجلات بيلاسر الثالث خبر انتصاره عليها، ناشرة شعرها وقدميها حافيتين وتحمل بيدها إحدى الجرار الإحدى عشرة المقدسة، بعد أن أضناها الجوع والتعب في أثناء فرارها إلى بازو ، وقد تلاشت معنوياتها⁽¹¹⁾.

ويذكرنا اسم سمسي باسم عربي هو شمس **Shams** أو شمسة، وهو من الأسماء العربية القديمة التي لا تزال حية⁽¹²⁾. ويبدو أنها كانت ملكة على قي دار حالها بذلك حال جنديو وزبيبي⁽¹³⁾.

كذلك تحدث تجلات بيلاسر الثالث في نصوصه عن تلقيه الجزية ذهباً وفضة وابلًا وطيوباً من مساي **Masai** وتيما **Temai** وسبأ **Sabai** وخبابة **Haiapai** وبطنه **Badanai** وخطي **Hattai** وادبيل (**Idibail**) ، وأضاف أنها تسكن على حدود الأرض التي تغرب عندها الشمس في أماكن بعيدة⁽¹⁴⁾ ، أي في البادية إلى الغرب من بلاد آشور. وهي جميعها من القبائل والشعوب العربية⁽¹⁵⁾ ، التي استوطنت في أماكن متفرقة من شمال غرب شبه الجزيرة العربية⁽¹⁶⁾ .

وإلى جانب ما تقدم فقد ذكر العرب في نصوص الملوك الآشوريين اللاحقين بدءاً بسرجون الثاني **Sargon 11** (721 – 705 ق.م) وانتهاءً بأشوربانيبال **Assurbanipal** (668 – 626 ق.م) . فالأول ذكر في أحد نصوص العام السابع لحكمه (715 ق.م) أنه هاجم ثمود (**Tamud**) وباديد (**Ibadid**) ومارسيمانو (**Marsimanu**) وخبابه (**Haiapa**) وهزمها ورحل من أسره منهم إلى السامرة . كما أشار لتلقيه الجزية من الملكة سمسي - المار ذكرها- ومن ايتامرا (**Itamra**) السبئي⁽¹⁷⁾ .

ويرجح أن القبائل العربية المذكورة في هذا النص كانت تقيم في الشمال الغربي من شبه جزيرة العرب، وفي المنطقة الواقعة بين خليج العقبة وتيماء والبادية، ولا بد أن الملك الآشوري هاجمها من جهة فلسطين⁽¹⁸⁾، وذلك لتأمين طرق المواصلات التجارية المارة ببلاد الشام والتي كان بعضها يصل إلى اليمن⁽¹⁹⁾.

أما ايتامرا فهو على الأغلب المكرب السبئي يثع أمر بين، الذي يبدو أنه حكم ما بين عامي (720 – 700 ق.م)⁽²⁰⁾، وما قدمه إلى الملك الآشوري كانت هدايا ولم تكن جزية، فالنفوذ الآشوري لم يصل إلى

اليمن إطلاقاً. وكان الغرض منها ضمان تدفق البضائع السبئية إلى بلاد الشام ولاسيما غزة، التي كانت مخزناً لتصريف السلع اليمنية في حوض البحر المتوسط⁽²¹⁾.

وتحدث الملك الآشوري سنحاريب **Sennacherib** (704-681 ق.م) في نصوصه عن العرب بمناسبة عدة. ففي معرض حديثه عن إخماده للتمرد الذي حدث ضده في بلاد بابل سنة 703 ق.م⁽²²⁾، ذكر أن ملكة العرب ياتية (**Iatie**) أرسلت جيشاً بقيادة شقيقها بسقانو (**Baskanu**) لدعم المتمردين، وأن القوات الآشورية أسرت بسقانو مع أفراد جيشه في مدينة كيش⁽²³⁾، وغنمت مواشيهم وعرباتهم⁽²⁴⁾.

ويبدو أن ياتية هو تحريف لاسم عربي من أسماء النساء لعله يطبعة أو ما يشابه ذلك. أما بسقانو فالظاهر أنه الباسق فهو قريب منه⁽²⁵⁾. وهي مثل زيبي وشمسي كانت حاكمة لمملكة قيثار أيضاً⁽²⁶⁾. ومما ذكرته هذه النصوص عن الأحداث نفسها، بتنا نعرف أن قسم من العرب كان يعيش آنذاك في جملة من المدن البابلية الرئيسة (أوروك، نيبور، كيش وكوثي)، وقد أسر سنحاريب أعداد كبيرة منهم بعد استعادته السيطرة على هذه المدن⁽²⁷⁾.

كذلك سنحاريب وهو يقص بعض ما ترتب عن تمرد ملك يهوذا (حزقيا **Hezekiah**) على سلطته سنة 701 ق.م، أفاد أن الأخير استعان بالعرب في التصدي للحصار الذي فرضته القوات الآشورية على عاصمته (أورشليم)، من دون إعطاء تفاصيل أخرى⁽²⁸⁾.

ولم يكن هؤلاء العرب إلا أعراباً من سكان يهوذا وسائر أرجاء فلسطين، وقد وقع على عاتقهم مسؤولية الدفاع عن القدس، حيث قاموا بدور كبير في الدفاع عنها ومقاومة الآشوريين⁽²⁹⁾.

وفي نص آخر لسنحاريب أيضاً أشار إلى إنه هاجم ملكة العرب تلخونو (**Telhunu**) في وسط الصحراء وسلب منها ألف جمل، وأنها مع حزائيل (**Hazael**) تركوا خيامهم وفروا إلى ادومو⁽³⁰⁾.

ويرى أحد المؤرخين أن تلخونو كانت ملكة على العرب في المناطق الواقعة من دومة الجندل إلى حدود بابل⁽³¹⁾، ولكن نعلم من نصوص آشورية أخرى أن حزائيل كان هو ملك العرب في أثناء هذه الأحداث، وكانت تلخونو مجرد كاهنة⁽³²⁾، أي كان بيدها السلطة الدينية فحسب.

وإلى جانب ما تقدم، فقد عثرت بعثة ألمانية على نقش آشوري يفيد بتسليم الملك الآشوري سنحاريب هدايا من الملك السبئي (كريبي أيلو **Karibi-ilu**) ، احتوت على أصناف عدة من الأحجار الثمينة ولاسيما الأحجار الكريمة ، فضلا عن أفخر أنواع الطيوب والذهب والفضة⁽³³⁾.

وكريبي أيلو المذكور في هذا النقش هو المكرب السبئي الشهير كرب أيل بين (**Karb-il-bin**) الذي كان معاصرا لسنحاريب ، وقد نعته الأخير بالملك لأن الآشوريين لم يكن يعرفوا لقبه الرسمي أو لم يهتموا بذلك⁽³⁴⁾.

وتحدثت نصوص عدة للملك الآشوري أسرحدون **Esarhaddon** (680 – 669 ق.م) عن عرب ادومو والمناطق المحيطة بها، ولاسيما بنو قيदार ، وذلك في معرض تناولها لعلاقتهم مع الآشوريين. ومنها يتضح أن أولئك العرب تباينوا ما بين التمرد على سلطته تارة، والخضوع له تارة أخرى⁽³⁵⁾ إلى الحد الذي ساعده في فتح مصر سنة 671 ق.م⁽³⁶⁾.

وكشفت لنا إحدى هذه النصوص أيضا عن مهاجمة سنحاريب لادومو واستيلائه عليها وما ترتب عن ذلك من أحداث وتطورات، سنأتي على ذكرها تباعا. وهناك نص آخر انفرد بالإشارة لوجود العرب في منطقة بازو وإخضاع أسرحدون لهم⁽³⁷⁾ ، وذلك في عام 676 ق.م⁽³⁸⁾.

أما الملك الآشوري آشوربانيبال فقد خص عرب مملكة قيदार بالدرجة الاساس في الكثير من نصوصه، ومنها يلاحظ أنهم لم يكفوا عن مناهضة سلطته وتحديها ما بين عامي (652- 645 ق.م). هذا على الرغم من الخسائر البشرية والمادية الفادحة التي تعرضوا لها من جراء ذلك، وأسر الآشوريين لأعداد كبيرة منهم مع كبار زعمائهم. كذلك عرفتنا هذه النصوص بأسماء قبائل عربية لم تذكر في المصادر المسمارية السابقة، مثل نبيات التي ذكرت باسم نبايتي (**Nabaiti**)⁽³⁹⁾ ، وقبيلتي اسامي **Isamme** (يسمع) وعتر سماين **Atar samain** ، اللتين يبدو من هذه النصوص أنهما كانتا تقيمان في بادية تدمر ، وقد تحالفت جميعها مع قيदार ضد الآشوريين⁽⁴⁰⁾ .

واحتوت الرسوم، التي عثر عليها في قصر آشوربانيبال بنينوى، على مشاهد تصور انحناء العرب للملوك الآشوريين، وهم يقدمون لهم شتى أنواع الهدايا الثمينة من الذهب والفضة والاحجار الكريمة والطيوب والجمال. كذلك ضمت هذه الرسوم مناظر تظهر العرب وهم نائمون في أثناء حرق الآشوريين لخيامهم،

ومناظر أخرى لجنود آشوريين يمتصون خيولهم ويقاتلون العرب ويطاردونهم ، ولم يكن باستطاعة العرب الذين صوروا وهم على ظهور جمالهم الإفلات منهم⁽⁴¹⁾.

وإلى جانب المصادر المسمارية الآشورية المار ذكرها، ذكر العرب في المصادر المسمارية البابلية المتأخرة أيضا، وأولها نص الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني **Nebuchad-nezzar 11** (605-563 ق.م) الذي يعود لعام 599 ق.م ، حيث أشير فيه إلى أن الملك البابلي هذا وبعد غزوه لشمال سوريا (أرض هاتي) أرسل فرقة من جيشه إلى البادية، نهبت ممتلكات العرب ومواشيهم وأهنتهم ثم عادت إلى بابل⁽⁴²⁾.

ولم يذكر النص اسم البادية والقبائل العربية التي هاجمها الجيش البابلي⁽⁴³⁾، ولكن يبدو أن قبيلة قيذار كانت أبرز هذه القبائل، يدل على هذا ما ورد في العهد القديم من أن نبوخذ نصر غزا قيذار ونهبها⁽⁴⁴⁾.

كذلك ورد ذكر العرب في ثلاثة نقوش بابلية، اثنتين منها للملك البابلي نبونيد **Nabonid** (555-539 ق.م)، والثالث كتب بعد وفاته واصطلح على تسميته نبونيد - كورش، وجميعها تحدثت عن حملة نبونيد على المناطق الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية. ومن مجملها اتضح أن هذا الملك قاد جيشه في العام الثالث لحكمه (552 ق.م) وغزا ادومو ومنها سار إلى تيماء واستولى عليها وجعلها عاصمة له وبنى فيها قصر يشبه قصره في بابل، ومن ثم اتجه جنوبا وأخضع ددانو (ديدان) وبدكو (فدك) وخيبرا (خيبر) وايدنجو (يديع) وايتريبو (يثرب) ، واضطر جميع العرب الذين حاربوه للخضوع له. وأضاف أحد هذه النقوش أن نبونيد أمضى عشرة أعوام يتنقل بين تيماء وهذه المدن ثم عاد مع جيشه إلى بابل⁽⁴⁵⁾.

وآخر المصادر المسمارية التي ذكر فيها العرب، وإن لم يصرح باسمهم، هو نص الملك الفارسي كورش الثاني **Kurush 11** (557-529 ق.م)، إذ ورد فيه أن من بين من خضعوا لهذا الملك وقدموا له الهدايا ((ملوك الارضين الغربية الذين يقطنون في الخيام))⁽⁴⁶⁾ . فهذه الإشارة وإن كانت عامة قد تشمل العرب أو غيرهم من سكان البوادي، ولكن قياسا لدور العرب السياسي والعسكري والاقتصادي الذي كشفتته لنا نصوص الملوك الآشوريين والبابليين، فمن المتوقع أن العرب هم المقصودين في هذا النص⁽⁴⁷⁾.

ثانيا- صفات الشخصية العربية

من خلال ما ذكرته المصادر المسمارية عن أحوال العرب وعلاقتهم بالآشوريين والبابليين والفرس الآخمينيين، يمكن التعرف إلى صفاتهم الشخصية التي ميزتهم عن الكثير من الشعوب المعاصرة لهم. وهي على حسب الأهمية على النحو الآتي:

1- الإباء وعزة النفس

اتصف العرب ولاسيما سكان البوادي منهم بالإباء وعزة النفس منذ أقدم العصور. ومن أهم المعاني المعبرة عن ذلك حبهم للحرية وحفاظهم عليها ومقاومتهم لأية قوة تحاول استعبادهم وإذلالهم⁽⁴⁸⁾. وفي النصوص المسمارية ما يشير لذلك، إذ اتضح منها أن العرب الشماليين كانوا يبدون مقاومة شديدة للآشوريين، الذين بدأوا بغزو بلادهم منذ عهد تجلات بيلاسر الثالث. وإذا اضطروا للخضوع لهم، فقد كانوا يتمردون عليهم بين الحين والآخر لنيل الحرية والاستقلال، على الرغم من التفوق الكبير للقوات الآشورية عليهم في الإمكانيات العسكرية، والتضحيات الجسام التي كانوا يقدمونها من جراء ذلك. فالملكة القيدارية شمسي، التي أجبرها تجلات بيلاسر الثالث على الخضوع له قبيل عام 736 ق.م بوقت قصير⁽⁴⁹⁾، نبذت قيود التبعية في هذا العام وانتفضت ضده. ولم تتمكن القوات الآشورية من اجتياح بلادها آنذاك والتغلب على معسكرها، إلا بعدما خاضت معركة حامية الوطيس مع أتباع الملكة وقتلت منهم ألف ومائة رجل، على حسب الرواية الآشورية⁽⁵⁰⁾. فهذا الرقم وإن بولغ فيه كثيرا⁽⁵¹⁾، ولكنه يعكس صلابة العرب واستماتتهم في الدفاع عن حريتهم.

ويتضح مما ذكره سنحاريب في نصوصه أن العرب، وأينما وجدوا في المناطق التابعة له، كانوا يتحينون الفرصة للتخلص من سطوته. فعندما قام الزعيم الكلداني مردوخ ابلا ادينا الثاني (Marduk-apal-iddina 11) بانتزاع بلاد بابل من قبضة الآشوريين في عام 703 ق.م، فمن الواضح أن العرب في جملة من المدن البابلية الرئيسية (أوروك، نيبور، كيش وكوثي) انخازوا لصالحه، إذ أسر سنحاريب المتمردين منهم وعددهم بمثابة غنيمة عند استعادته السيطرة على هذه المدن في العام نفسه⁽⁵²⁾.

وقد مر بنا أن عرب يهوذا وسائر أرجاء فلسطين انتفضوا مع حاكم يهوذا (حزقيا) ضد سنحاريب سنة 701 ق.م، وأسهموا بقوة في التصدي لهجوم القوات الآشورية على أورشليم.

وإذا كان حزائيل ، الذي يبدو أنه تولى زعامة مملكة قيدار بعد الملكة ياتبعة، كان تابعا لسنحاريب على حسب ما يفهم من إحدى النصوص الآشورية⁽⁵³⁾ ، فمن الواضح أنه لم يكن قد حل عام 689 ق.م إلا وتحرر من سلطته. فالحملة التي أرسلها الملك الآشوري هذا على حزائيل وأتباعه والكاهنة تلخونو في البادية القريبة من ادومو، حدثت في ذلك العام على الأرجح⁽⁵⁴⁾ .

استمر العرب في رفض الانصياع للآشوريين ومقارعة جيوشهم الغازية خلال عهد الملك أسرحدون أيضا. فعندما قام الأخير في عام 676 ق.م بمهاجمتهم في منطقة بازو، تصدى له محاربيهم مع حكامهم من الرجال والنساء أيضا ودفعوا حياتهم ثمنا لذلك. وهذا ما أشار له أسرحدون بالقول: ((أرض بازو البلد البعيد ... اقتحمته منتصرا وان قيسو Qisu ملك مدينة خالديسي Haldisi ، اكبرو agbaru ملك مدينة البياتي Ilpiate ، منساكو Mansaku ملك مدينة ماجالاني Magalani ، يابا Iapa ملكة مدينة دخراني Dihrani ، حابيسو Habisu ملك مدينة قادابا Qadaba ، نبخارو Niharu ملك مدينة جعفاني ga'pani ، بسلو Baslu ملكة مدينة اخيلو Ihilu ، خبانا مرو Habanamru ملك مدينة بودا puda ، ثمانية ملوك ذبحتهم من هذه المنطقة وكدست جثث محاربيهم))⁽⁵⁵⁾ .

كذلك أسرحدون عندما نصب اويتى (Uaite) بن حزائيل (Hazael) ملك على مملكة قيدار في حوالي عام 675 ق.م⁽⁵⁶⁾، وزاد الجزية المفروضة على أتباعه، انتفض جمع كبير منهم بقيادة الأمير أوابو Uabu (وهب) على اويتى⁽⁵⁷⁾، للتخلص منه ومن التبعية للآشوريين⁽⁵⁸⁾. ولم يمض سوى بضعة سنوات على هذه الانتفاضة وإخماد القوات الآشورية لها، حتى انصاع اويتى لرغبة أبناء قومه، إذ تزعمهم في الثورة على أسرحدون، فهاجمه الأخير واضطره للجوء بمفرده إلى الأصدقاء البعيدة⁽⁵⁹⁾ ، أي البادية.

وعلى الرغم من أن الملك الآشوري آشوربانيبال وعشية توليه الحكم صفح عن اويتى وأعاد له منصبه السابق⁽⁶⁰⁾، ولكن لم يمر وقت طويل على هذا حتى انتفض اويتى ومن خلفه أتباعه العرب كافة على السلطة الآشورية⁽⁶¹⁾ ، إذ حدثت هذه الانتفاضة في حوالي عام 652 ق.م⁽⁶²⁾ .

ولم يؤد لإخمادها الخسائر الكبيرة التي ألحقتها القوات الآشورية بالعرب عند غزوها لمناطقهم، الواقعة في البادية بالقرب من الحدود الغربية لبلاد الشام ، وسلبها لمواشيهم، وما ترتب عن ذلك من لجوء اويتى إلى

قبيلة نيبات⁽⁶³⁾، وذلك في حوالي عام 650 ق.م⁽⁶⁴⁾. فالملكة عادية حملت لواء الثورة من بعده ، وخير شاهد يوحى بهذا ما ذكره آشوربانيبال في نصه الآتي: ((اما عادية **Adia** ملكة العرب فقد احقت بها هزيمة دامية وحرقت خيامها وقبضت عليها حية ونقلتها مع سجناء آخرين كثيرين إلى آشور))⁽⁶⁵⁾. وعادية هي زوج اويتى بن حزائيل على حسب ما ذكره آشوربانيبال في نص آخر له⁽⁶⁶⁾. ويبدو أن غزو الملك الآشوري لمعسكرها وأسر لها ، كان في حوالي عام 648 ق.م⁽⁶⁷⁾.

ولكن هذا لم يحسم الموقف لصالح الآشوريين أيضا. فقد ذكرت إحدى النصوص الآشورية ، أن اويتى (**Uaite**) بن بيردادا (**Bir- Dadda**) أصبح بعد هذه الأحداث ملكا على العرب التابعين لقريبه اويتى بن حزائيل⁽⁶⁸⁾. وليس هناك ما يدل على أن ملكهم الجديد هذا قد خضع للسلطة الآشورية، مما يعني أنهم استمروا في التمرد على آشوربانيبال بعد أسره للملكة عادية، وقد تولى قيادتهم هذه المرة اويتى بن بيردادا. كذلك فأحد زعمائهم وهو أباتى (**Abiate**) بن تعري (**Teri**) ، الذي عينه آشوربانيبال ملك عليهم في حوالي عام 648 ق.م⁽⁶⁹⁾، لشق صفهم ، انتفض بعد عام من هذا على ما يبدو⁽⁷⁰⁾.

ومما ذكره الملك الآشوري آشوربانيبال عن حملته الأخيرتين ضدهم ، اللتين وقعت أحداثهما في حوالي عام 645 ق.م⁽⁷¹⁾، يتضح الثمن الباهظ الذي دفعوه للتمسك بحريتهم ورفضهم الخضوع لسلطته، والذي دفعته أيضا القبائل العربية في بادية الشام التي ساعدتهم في التصدي لقواته الغازية. فقد أشار الملك الآشوري إلى أنه هزم في أولى هاتين الحملتين قبيلة اسامي (يسمع) والنباتيين بين يركي⁽⁷²⁾ وازلا⁽⁷³⁾، وغنم الكثير من مواشيهم، ومن ثم حاصر في كوراسيتي⁽⁷⁴⁾ قبيلة عتر سمانين والقيداريين مع ملكهم اويتى بن بيردادا، وأسر نساء قيادار وجميع أفراد أسرة اويتى واخذهم مع مواشيهم إلى دمشق (دمشق)⁽⁷⁵⁾.

أما الحملة الثانية التي انطلقت من دمشق، فقد ذكر آشوربانيبال أنه أوقع الهزيمة في مستهلها بايأتى بن تعري وقبيلته عند جبل حكورينا⁽⁷⁶⁾، وأسر مع شقيقه أيمو **Aimu** ، ومن ثم لاحق أتباعه الذين فروا لقمة هذا الجبل واستولى على عيون الماء القريبة منه، لكي يمنعهم من التزود بالماء، مما أدى لموت الكثير منهم من شدة العطش، فيما وقع الباقون في قبضته وكانوا على حد قوله ((اناسا كثيرين ذكورا واناثا))⁽⁷⁷⁾. وأضاف الملك الآشوري أن القيداريين، الذين اعتصموا بالصحراء مع ملكهم اويتى بن بيردادا بعد هزيمته لهم في الحملة السابقة، عانوا من المجاعة والطاعون، مما دفعهم للتمرد على ملكهم هذا، الذي لجأ على أثر ذلك

لأحد المخابئ وألقت القوات الآشورية القبض عليه⁽⁷⁸⁾. أما من بقي على قيد الحياة منهم، فيبدو أنهم اضطروا في نهاية الامر للخضوع لآشوربانيبال، إذ ذكر الأخير أنهم اعترفوا أن ما حل بهم من نكبات كان بسبب عصيانهم له⁽⁷⁹⁾.

ويتضح من نص آشوري آخر أن آشوربانيبال غزا ديار قبيلة نبيات أيضا، وأسر حاكمها (نتنو **Natnu**) مع زوجته وجميع أولاده باستثناء ناهور (**Nahur**) الذي نجح في الإفلات من قبضته، ولكنه سرعان ما عاد وخضع لسلطته، فنصبه الملك الآشوري حاكما على نبيات وفرض عليه إتاة سنوية⁽⁸⁰⁾.

بعد انهيار المملكة الآشورية الحديثة (911 – 612 ق.م) وقيام المملكة البابلية الحديثة (605 – 539 ق.م)، بذل عرب الشمال ما بوسعهم لمنعها من إخضاعهم والتحكم بمواردهم الاقتصادية. فعندما قام الملك البابلي نبونيد في عام 652 ق.م بغزو الجهات الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية للسيطرة على خطوط التجارة المارة عبرها واستغلال ثروات سكانها، فأهالي تيماء مع حاكمهم (تير **Tir**) وسكان المناطق المجاورة لمدينتهم تصدوا له بكل شجاعة وضراوة. وما يدل على هذا ما ذكره النقش المسمى (نبونيد كورش) من أن نبونيد قتل التيمائيين وحاكمهم تير وجميع سكان هذه المناطق⁽⁸¹⁾.

ولعل انسحابه مع كامل جيشه من المدن التي استولى في تلك الجهات بما فيها حاضرتة تيماء، يدل على وجود مقاومة من سكانها لقواته الغازية، جعلته غير مطمئن على ترك حاميات عسكرية فيها وتعين حكاما عليها من قبله ليضمن بقائهما خاضعة له⁽⁸²⁾.

ومما كشفتها النصوص المسماة عن إباء النفس العربية وعزتها أيضا، أن من الأساليب التي استخدمها الملوك الآشوريين لوضع حد لانتفاضات عرب مملكة قيدار ضدهم، تعمدهم إنزال أشد الإساءات وأكثرها جرحا للكرامة بحق من يتمرد من قادتهم ويقع في قبضتهم، ومن دون سائر أسراهم متمرد حكام الشعوب الأخرى التابعة للآشوريين. فلو لم يكن العرب قد حملوا هاتين الصفتين، لما تعرض أسراهم لوحدهم لهذه المعاملة السيئة من الملوك الآشوريين. فأسرحدون عندما أخذ الثورة التي تزعمها الأمير أوابو (وهب) ضد اويتى بن حزائيل وأسرته مع كبار أعوانه، طوق رقابهم بسلاسل من حديد وربطهم على أعمدة إحدى بوابات نينوى، التي تسمى (بوابة عامل المعدن)⁽⁸³⁾.

ومن أكثر تشددا في الإساءة من ذلك تعامل آشوربانيبال مع اويتى بن حزائيل، الذي أشرنا لدوره الكبير في مناهضة الآشوريين وتحديدهم . فعندما وقع اويتى في قبضته، للأسباب التي سندكرها لاحقا، فعل به الملك الآشوري ما أخبر عنه قائلا: ((حبسته في مربط الكلاب، وضعته مع بنات أوى والكلاب، وأقمته على حراسة بوابة نينوى المسماة نريب - ماسناق - أدناني، أي مدخل الشعوب ذات العروش))⁽⁸⁴⁾ .

ومن ثم فأشوربانيبال وكجزء من احتفاله في حوالي عام 644 ق.م⁽⁸⁵⁾، بالانتصارات التي حققها على خصوصه في السنين الماضية من عهده الطويل⁽⁸⁶⁾ ، قام بربط اويتى مع ثلاث من ملوك عيلام (تاماريتو **Tammaritu** ، بائي **Pae** وامانداسي **Ummanaldasi**) في مقدمة عربته الشخصية وفرض عليهم جرهما في أثناء توجهه بها في تلك المناسبة إلى معبد أما شماش في نينوى⁽⁸⁷⁾ .

ومما يذكر أن ملوك عيلام المشار إليهم في أعلاه، كان الملك الآشوري هذا قد أسرهم خلال حملتيه الأخيرتين على بلادهم، اللتين يبدو أن أحداثهما وقعت بين عامي (647 - 646 ق.م)⁽⁸⁸⁾ .

كذلك تعمد آشوربانيبال الإساءة لرعيم قبيلة قيذار (أمو- لادي **Ammu-ladi**)، الذي سنأتي لذكر دوره الفاعل في مناوأة الآشوريين وتحديدهم. فعندما وقع هذا الحاكم في قبضة الآشوريين في حوالي عام 648 ق.م⁽⁸⁹⁾ ، وضع الملك الآشوري طوق من حديد حول رقبته وربطه عند إحدى بوابات نينوى⁽⁹⁰⁾ .

ولم يكتف آشوربانيبال أيضا في التعامل بهذه الطريقة المسيئة مع اويتى بن بيردادا، الذي مر بنا أنه ممن تزعم آخر انتفاضات العرب ضده ، بل عذبه بشدة أيضا . فحينما أسره الملك الآشوري خلال قمعه لهذه الانتفاضة ، فعل به ما قصه في نصه الآتي: ((خرقت خده بجرية ضباها حاد ... ووضعت الحلق في فكه وطوقت عنفه بطوق كلب وجعلته يجرس بوابة نينوى الشرقية المسماة نريب- ماسناق- أدناني))⁽⁹¹⁾ .

ولكن مما ذكرناه سابقا، يتضح أن تلك الاساءات لم تحبط همم العرب وتثنيهم عن مواصلة كفاحهم ضد الآشوريين. فإساءة الملك الآشوري اسرحدون للأمير وهب لم تردع اويتى بن حزائيل عن التمرد عليه وعلى آشوربانيبال من بعده. وإساءة الأخير لأويتى لم تمنع الملكة عادية من تزعم العرب في الثورة ضده. كذلك فهذه الإساءة والإساءة التي تعرض لها أمو- لادي من آشوربانيبال أيضا لم تحل دون ظهور زعماء عرب آخرين حملوا لواء الثورة ضد الآشوريين، مثل اويتى بن بيردادا وايباتى بن تعري. والتفسير عندنا لهذا كله أن

أولئك الزعماء وأن كان يشق عليهم امتهان كرامتهم، وبقدر ما يعز ذلك على أتباعهم أيضا، فلا شك إن إرغام الأجنبي لهم على الخضوع ودفع الجزية له، مما عدوه امتهانا عظيما لكرامتهم أيضا. ويبدو أن آشوربانيبال اقتنع أخيرا بذلك، ولذا نجده عندما أسر ابياتي وشقيقه أيمو، اكتفى بسجن الأول على ما يبدو⁽⁹²⁾، وأعدم الثاني بسلخ جلده⁽⁹³⁾. وحتى اويتى بن بيردادا، وإن احتجزه في مكان مهين في أول الامر على حسب ما تقدم ذكره، ولكنه أخرجه منه لاحقا وأبقاه في نينوى تحت الإقامة الجبرية على الأرجح. فقد ذكر آشور بانيبال في أحد نصوصه وهو يشير إلى الزعيم العربي هذا: ((وفيما بعد رحمته ومنحته الحياة لأجل أن يثني على فخار (آشور) والآلهة العظام أرباي))⁽⁹⁴⁾.

2- المروءة

تركز المثل الأعلى للأخلاق العربية في هذه السجية، وهي تتجلى في صور ومعاني عدة، ومن أهمها الشجاعة التي فطر عليها الانسان العربي من نعومة أظفاره، وقد اكتسبها بالدرجة الأساس من اضطراره الدائم للدفاع عن نفسه وأهله وماله ضد المغيرين على قبيلته⁽⁹⁵⁾.

وقد قدمت لنا النصوص المسماة صور معبرة عن الشجاعة الفائقة للعرب الشماليين، ففضلا عما ذكرناه من شواهد عن استبسالهم واستماتتهم في مقاومة القوات الغازية لبلادهم سواء كانت آشورية أم بابلية، فقد كانوا إذا انتفضوا على الآشوريين يشاركون بقوة في التحالفات المناهضة لهم ويهاجمون مقاطعاتهم القريبة منهم أيضا.

فالملك العربي جنديبو انضم للتحالف الذي شكلته مملكة دمشق الآرامية لإيقاف توسع الملك الآشوري شلمنصر الثالث صوب الأجزاء الجنوبية لبلاد الشام، وقد أسهم بألف رجل ومحاربين إلى جنب قوى الحلف الأخرى في التصدي لقوات الملك الآشوري هذا ومنازلتها في مدينة قرقر سنة 853 ق.م⁽⁹⁶⁾، تلك المنازلة التي لم يحقق شلمنصر الثالث فيها انتصارا حاسما على خصومه⁽⁹⁷⁾.

وكان لبابل نصيب وافر من دعم العرب لها ضد الآشوريين. فعندما استولى الزعيم الكلدي (مردوخ ابلا ادينا الثاني) سنة 703 ق.م على بلاد بابل وتمرد على الملك الآشوري سنحاريب، فالملكة القيدارية ياتية، وعلى غرار العيلاميين وآرامي وكلدي بابل، تحالفت معه وأرسلت جزءا من قواتها لمساعدته في التصدي لهجوم سنحاريب على بابل أيضا⁽⁹⁸⁾.

وعشية ثورة الملك البابلي (شمش شوم أوكين **Shamash-shum-ukin**) على شقيقه آشوربانيبال (652- 648 ق.م)⁽⁹⁹⁾، فملك العرب القيداري (اويتى بن حزائيل) لم يقف عند حد التمرد على الأخير فحسب، وإنما تحالف مع الملك البابلي ، ومن ثم أرسل قوة لدعم ثورته تلك أيضا⁽¹⁰⁰⁾ . وقد أظهر أفراد هذه القوة شجاعة قل لها نظير. فعلى الرغم من أن القوات الآشورية كانت تحاصر مدينة بابل عند وصولهم لأبوابها في حوالي عام 650 ق.م⁽¹⁰¹⁾، اشتبكوا معها ودخل للمدينة من بقي منهم حيا مع قائديهم أبياتي وأخيه إمو. ولم يستسلموا عندما أصابهم هناك ما أصاب البابليين من مرارة الجوع ، بل اختاروا منازلة القوات الآشورية ثانية على أمل خرق حصارها لبابل والعودة لبلادهم ، وقد قتل قسم منهم في أثناء تلك المواجهة أيضا⁽¹⁰²⁾.

وبالوقت نفسه قاد اويتى جزءا آخر من أتباعه ونهب وخرب أرض أمورو التابعة للآشوريين⁽¹⁰³⁾ ، أي المناطق التي تقع على حدود سورية وفلسطين الشرقية المتاخمة للصحراء على ما يبدو⁽¹⁰⁴⁾ .

وعلى الرغم من أن آشوربانيبال نجح في التصدي لهجماته تلك، ومن ثم أجبره على اللجوء لقبيلة نياتي (نيات)، على حسب ما تشير لذلك نصوصه⁽¹⁰⁵⁾، فقد واصل أتباع اويتى وعلى رأسهم بنو قيدار تحديهم له تحت قيادة الملكة عادية. فمن المرجح أن هذه الملكة هي من نصبت أمو- لادي حاكما على قبيلتها قيدار ليتسنى له مواصلة الحرب ضد الآشوريين، وكلفته باستئناف الهجمات على بلاد أمورو ، تلك الهجمات التي بدأت في عام 649 ق.م⁽¹⁰⁶⁾ ، وأخبر عنها آشوربانيبال بالقول: ((**امو- لادي ملك قيدار هب لمحاربة ملوك أمورو التي وهبها إياي آشور وعشتار والآلهة الآخرون**))⁽¹⁰⁷⁾.

وآخر المناطق التي غزاها امو- لادي في أرض أمورو هي مؤاب ، إذ أدى هجومه عليها في العام التالي لوقوعه اسيرا بيد حاكمها (كاما شالتا **Kamashalta**)⁽¹⁰⁸⁾ . تلا ذلك وفي العام نفسه أسر الآشوريين للملكة عادية مع الكثير من أتباعها ، على حسب ما ذكرنا سابقا.

ولكن هذه التطورات لم تضع حدا نهائيا لهجمات العرب على المناطق الآشورية أيضا. ففي أثناء انشغال آشوربانيبال بحربه ضد العيلاميين بين عامي (647- 646 ق.م)⁽¹⁰⁹⁾، قاد اويتى بن بيردادا قبيلته قيدار وسائر أتباعه العرب ، وهاجم المقاطعات الآشورية المتصلة ببادية الشام . وبالوقت نفسه انتفض ابياتي بن تعري وشرع بمهاجمة هذه المقاطعات أيضا⁽¹¹⁰⁾ ، وذلك بالتعاون مع حليفه حاكم قبيلة نيات (نتنو) ،

وهذا ما يمكن الاستدلال عليه من نص آشوربانيبال الآتي: ((ولكن ايباتي بن تري الذي كان مجردا من أية مقاصد حسنة والذي كان غير مكترث بالإيمان التي أوثقها بالآلهة العظام، قد تحدث عن الثورة علي واتفق مع نتنو ملك نبايتي فجمعوا جيوشهم للقيام بمحوم خطر على بلادي))⁽¹¹¹⁾.

كذلك يبدو أن قبيلتي يسمع وعتر سماين قد تحالفت آنذاك مع قيدار ، وشاركت في هذه الهجمات أيضا⁽¹¹²⁾.

ومن معاني المروءة الأخرى ، التي تحلى بها العرب ، إجارة المظلوم⁽¹¹³⁾. وفي النصوص المسمارية ما يشير لذلك أيضا، إذ يتضح من إحداها أن القوات الآشورية عندما أجبرت الملك القيداري (اويتى بن حزائيل) على مغادرة دياره ، فقد استقبله نتنو حاكم قبيلة نبايتي (نبيات) كلاجئ عنده⁽¹¹⁴⁾ ، وذلك في حوالي عام 650 ق.م⁽¹¹⁵⁾ .

ولم يسلم اويتى نفسه لآشوربانيبال في العام نفسه على ما يبدو⁽¹¹⁶⁾، إلا بعدما طلب من نتنو السعي للصلح بينه وبين آشوربانيبال ووعده الأخير بالعمو عنه ، مما سنأتي على تفصيله لاحقا . وهذا يعني أن نتنو ضمن حق الإجارة لأويتى ولم يخل بقواعدها المتعارف عليها عند العرب في القدم .

3- الحكمة والدهاء السياسي

ولكن ما تمتع به العرب من الصفات المار ذكرها، لا يعني أنهم افتقدوا إلى الحكمة والدهاء في التعامل مع الإمبراطوريات ، التي كانت تسعى لإخضاعهم والتحكم بمواردهم الاقتصادية ، إذ قدمت لنا النصوص المسمارية الكثير من الإشارات الدالة على ذلك. فمما ذكره الملك الآشوري تجلات بيلاسر الثالث في إحدى نصوص عام حكمه السابع (738 ق.م) يبدو أن الملكة القيدارية زيببي (زيببة) خضعت لسلطته آنذاك عندما أيقنت انه أصبح سيد الموقف في سوريا، إذ يرد اسمها في هذا النص ضمن قائمة دافعي الإتاوات له بعد حكام الممالك السورية⁽¹¹⁷⁾. وكان هدفها من ذلك إيقاف التوسع الآشوري صوب بلادها ولتبقى على ما يرد إليها من مكاسب تجارية بمرور قوافل التجارة عبر بلادها⁽¹¹⁸⁾ .

كذلك فنظيرتها شمسي وإن حاولت إعاقه الملك الآشوري هذا عن السيطرة على طريق القوافل القادمة من جنوب شبه جزيرة العرب الذي يمر عبر بلادها⁽¹¹⁹⁾ ، وذلك قبيل عام 736 ق.م ، ولكنه عندما انتصر عليها آنذاك اضطرت للخضوع له وأقسمت له بالإله شمس على ذلك⁽¹²⁰⁾. ويبدو أنها لم تتمرد على سلطته

، إلا بعدما تشكل تحالفا مناهضا له ضم دمشق وعدد من الدويلات الفلسطينية وأشهرها السامرة وغزة⁽¹²¹⁾. وعندما هاجمها تجلات بيلاسر الثالث وتغلب عليها، انسحبت إلى منطقة بازو البعيدة⁽¹²²⁾، ومن ثم ومن أجل مصالحته واسترضائه، أرسلت وفدا له ضم عددا من سادة قبيلتها وأتباعها⁽¹²³⁾، ووافقت على استئناس دفع الجزية له، وأن يضع هو مندوبا عنه في بلاطها أيضا⁽¹²⁴⁾، وهو إجراء يبدو أن الملك الآشوري أراد منه ضمان خضوعها وتوجيه سياستها مستقبلا على النحو الذي يريده⁽¹²⁵⁾.

وعلى صعيد متصل أدت هذه التطورات لمسارعة عدد من القبائل والشعوب العربية (مسأي، تيماء، سبأ، خيابة، بطنه، خطي وادبئيل) لدفع الإتاوات لتجلات بيلاسر الثالث⁽¹²⁶⁾، وذلك لحماية مصالحهم التجارية على ما يبدو⁽¹²⁷⁾. وقد حققت إحدى هذه القبائل (ادبئيل) نتيجة لموقعها الجغرافي وسعة نفوذها بعض المكاسب السياسية من جراء ذلك أيضا. فمن المرجح أن ادبئيلو **Idibiili**، الذي عينه الملك الآشوري هذا كمشرف على الحدود المصرية وجعل تحت تصرفه خمسة عشرة موضعا من عسقلان⁽¹²⁸⁾، هو سيد هذه القبيلة وكان يقيم مع قبيلته تلك في طور سيناء وله سلطان واسع بلغ حدود مدينة غزة⁽¹²⁹⁾.

كذلك فالملك القيداري حزائيل تعامل بحكمة مع السلطات الآشورية، إذ يبدو أنه لم ينتفض على الآشوريين إلا في أثناء انشغال سنحاريب في معالجة آخر حركات التمرد البابلية ضده وفي توجيه ضربات تأديبية لداعميها العيلاميين، وذلك بين عامي (692 – 689 ق.م)⁽¹³⁰⁾. وعندما قام سنحاريب بمهاجمة حزائيل وأتباعه في الصحراء القريبة من ادوماتو في عام 689 ق.م، انسحبوا للأخيرة للتحصن فيها⁽¹³¹⁾.

وبصرف النظر عن طبيعة وأسباب الخلاف الذي وقع بين حزائيل والكاهنة تلخونو - إذ لا توجد نصوص تاريخية تكشف عن ذلك - والذي أسهم إلى حد كبير في فتح سنحاريب لادوماتو⁽¹³²⁾، فمن الواضح أن حزائيل عمل على تدارك تبعاته بالقدر الممكن، فقد اشير إلى أنه انسحب من ادوماتو واعتصم مع أتباعه في بادية الشام. ولم يبادر بإعلان الخضوع للسلطة الآشورية ثانية إلا بعدما توفي سنحاريب وحل محله ابنه أسرحدون، حيث زالت أسباب الجفاء بين العرب والآشوريين⁽¹³³⁾. ومن سدادة رأيه أنه أخذ معه لأسرحدون هدايا ثمينة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، فنجح في إرضائه وكسب عفو⁽¹³⁴⁾.

ولم يكن اويثي أقل حكمة من والده حزائيل. فانتفاضته على أسرحدون المار ذكرها، يبدو أنها حدثت في أثناء انشغال الأخير بتبعات فتحه لمصر سنة 671 ق.م⁽¹³⁵⁾. ولما هاجمته القوات الآشورية على أثر

ذلك وهزيمته، لجأ بمفرده إلى البادية، ومن ثم وعشية تولى آشوربانيبال لعرش بلاده ، توجه اويثي لمقابله وأعلن والولاء له وهو يحمل معه الإتاوة والهدايا⁽¹³⁶⁾ ، إذ رأى أن من الأصلح مصالحه الآشوريين⁽¹³⁷⁾ . ولم يتمرد ويتحالف مع الملك البابلي (شمش شوم أوكين) في عام 652 ق.م إلا بعدما قام الأخير قبيل ذلك بوقت قصير بتشكيل تحالف مناهض لشقيقه آشوربانيبال، ضم إلى جنب بابل كل من أرض البحر⁽¹³⁸⁾ والعيلايين وبعض المدن الفينيقية⁽¹³⁹⁾ .

كذلك فأويثي وبعدهما اضطره الآشوريون للجوء إلى قبيلة نبيات بعد عامين من هذا، يبدو أنه وجد أن الحل الأمثل للعودة لبلاده ولحكمها ثانية يتمثل بالتصالح مع السلطات الآشورية مجددا. فقد أفادت إحدى النصوص الآشورية أن حاكم نياتي (نتنو) أرسل لأول مرة وفدا إلى آشوربانيبال للسؤال عن صحته وليعرض عليه اتفاقية للسلام وافق الملك الآشوري عليها⁽¹⁴⁰⁾ . فهذا الوفد يرجح أنه ذهب إلى نينوى للوساطة بين اويثي وآشوربانيبال لعودة العلاقات الحسنة بينهما، وإن الاتفاقية التي أبرمها الملك الآشوري مع أعضاء الوفد كانت بمثابة وعود مشجعة منه بخصوص اويثي⁽¹⁴¹⁾ ، تصل إلى حد العفو عنه، وإلا ما الذي دفع الأخير للذهاب بنفسه لآشوربانيبال لاحقا على حسب ما ذكر في نص آشوري آخر⁽¹⁴²⁾ .

وتقدم لنا النصوص الآشورية مثلا واضحا للدهاء السياسي للعرب، والذي تجسد في طريقة تعامل أحد قادهم (ايباتي بن تعري) مع الملك الآشوري آشوربانيبال. فهذا الرجل، الذي مر بنا أنه تزعم القوة العربية التي دخلت مدينة بابل في حوالي عام 650 ق.م لدعم ثورتها ضد الآشوريين، وجدنا أنه عندما فشل مع أفراد هذه القوة في حرق حصار القوات الآشورية لبابل بعد حوالي عامين من هذا⁽¹⁴³⁾ ، تسلل لوحده من المدينة وتوجه إلى نينوى ليلتمس العفو من الملك الآشوري. وبعد استجابة الأخير لالتماسه ، وافق على عقد اتفاقية معه أوثقها بالقسم بكبار الآلهة الآشورية، ونصت على تعيينه ملكا على العرب التابعين لأويثي بن حزائيل، على أن يكون تابعا للآشوريين ويدفع إتاوة سنوية لهم تتألف من الذهب والأحجار الكريمة والإبل وغيرها. وهذا كله ذكره آشوربانيبال في نصوصه، إذ ورد في أحدها: ((وبعد ذلك قاموا بمحاولة للخروج من بابل ليخلصوا حياتهم. وعلى أي حال كانت جنودي مرابطة هناك ضد شمش شوم أوكين، فأوقعوا به هزيمة حتى انه (أي ايباتي) هرب بمفرده، وامسك بقدمي لينجي حياته. فرحمته وجعلته يعقد ميثاقا بحياة الآلهة العظام، ونصبته بدلا من اويثي بن حزائيل ملكا على العرب))⁽¹⁴⁴⁾ .

وفي نص آخر للملك الآشوري هذا، ((وقد أتى ابياتي بن تري إلى نينوى وقبل قدمي وعقدت معه اتفاقاً عن حالته بوصفه خادمي وجعلته ملكاً بدلاً من اوبيتي وفرضت عليه إتاوة سنوية من الذهب وخرز في هيئة عين من حجر اداش والتوبيه وجمال وحمير))⁽¹⁴⁵⁾.

ولكن من الواضح أن هذا كله كان مجرد مناورة سياسية اضطر لها ابياتي، لإنقاذ أتباعه المحاصرين في بابل والوصول معهم بأمن وسلام لبلادهم⁽¹⁴⁶⁾. فعندما انشغل آشوربانيبال بحربه مع العيلاميين بعد عام من هذا، ثار ابياتي وشرع بالأعمال المعادية له⁽¹⁴⁷⁾، التي سبق ونوهنا عنها.

وفي النقوش البابلية ما يشير إلى أن نبونيد عندما غزا المنطقة الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية في عام 552 ق.م، فالعرب وإن تصدوا لجيشه الغازي في أول الامر، ولكنه عندما سيطر على مدتهم المشار إليها سابقاً وآخرها يثرب، سارعوا للتصالح معه. ويعتقد أن هذا الصلح عقد في تيماء سنة 548 ق.م. كذلك فمن هاجمه منهم لاحقاً خضعوا له بعدما قتل وأسر الكثير منهم ونهب أموالهم⁽¹⁴⁸⁾.

ومن النص المسماري للملك الفارسي كورش الثاني المار ذكره، يبدو أن عرب بادية الشام عندما شاهدوا أن هذا الملك أخضع معظم أرجاء العالم القديم⁽¹⁴⁹⁾، وجدوا أن العقل والمنطق يحتم عليهم التقرب منه للمحافظة على مصالحهم التجارية واستقلالهم. ولكن لا يمكن قبول ما ورد في هذا النص من أنهم خضعوا له، إذ يرجح تحالفهم معه. ومما يعزز هذه الفرضية ما ذكره هيرودوت من أن العرب هم الوحيدون من بين شعوب آسيا الذين لم يدخلوا في طاعة الفرس في عهدي كورش وقمبيز (530 - 522 ق.م)، ولم يدينوا لهم بالولاء بوصفهم تابعين أو ارقاء، بل أصبحوا لهم أصدقاء عندما سمحوا لقمبيز بالمرور عبر أراضيهم لغزو مصر⁽¹⁵⁰⁾.

4- التدين

تعد النصوص المسمارية، التي ترجع للقرن السابع قبل الميلاد، المصدر الوحيد لديانة العرب الذين ذكروا في المصادر المسمارية. ومنها يلاحظ أن العرب الشماليين اتخذوا لهم آلهة عدة وقد جسدها بهيئة تماثيل وتوجهوا لها بالعبادة⁽¹⁵¹⁾. وقدمت لنا إحدى هذه النصوص قائمة بأسماء آلهة مملكة قيثار، وهي (عتر سماين atar - samain، داي Dai، نوهاي Nuhai، رولدايو ruldaiu، أيبريلو ebirillu وعتر - قرمي atar-qurumai)⁽¹⁵²⁾. وأشار نص مسماري آخر للإله دلبات Dilbat⁽¹⁵³⁾.

ومع أن الغموض يحيط بالأسماء الحقيقية لبعض هذه الآلهة ومدلولها اللفظي وطبيعتها (داي ، أيريلو وعتر- قرمي)⁽¹⁵⁴⁾ ، فسائر الآلهة تلك كان يعدها العرب إما آلهة للطواهر الكونية والطبيعية مثل عتر سماين⁽¹⁵⁵⁾ ونوهاي⁽¹⁵⁶⁾ ودلبات⁽¹⁵⁷⁾ ، أو أنهم خصوها بالتوسل والدعاء وطلب الرضا مثل رولدايو⁽¹⁵⁸⁾. كذلك أعطتنا النصوص المسمارية شواهد معبرة عن تعلق عرب الشمال بأهنتهم ، التي ما من شك أنها تعد أقدس مقدساتهم، مما يعكس تدينهم ، إذ اتضح منها أن ما كان يدفع زعمائهم بالدرجة الأساس لأبداء الخضوع المطلق للسلطة الآشورية هو استعادة تماثيل آهنتهم ، التي كان الملوك الآشوريين - ولحملهم على ذلك - يسلبونها عند غزورهم للعربية الشمالية ولاسيما عند تدخلهم لإخماد انتفاضات سكانها ضدهم .

فالزعيم القيداري حزائيل عندما انتفض على الملك الآشوري سنحاريب ، اجتاح الأخير ادومو في حوالي عام 689 ق.م، وأخذ منها تماثيل الآلهة المار ذكرها. وقد ذهب حزائيل إلى العاصمة الآشورية (نينوى) عشية اعتلاء أسرحدون لعرش بلاده ليتمس منه إعادة هذه التماثيل وهو يحمل له هدايا ثمينة، فبادر الملك الآشوري لإصلاح ما لحق بها من ضرر خلال وجودها في نينوى وأعادها له بعد أن نقش عليها اسمه وعبارات تفيد بتفوق الإله آشور على تلك الآلهة⁽¹⁵⁹⁾، وكذلك بعدما ألزم حزائيل بدفع إتاوة سنوية له تزيد عما كان يدفعها لسنحاريب، والقبول بالأميرة تبؤة (Tabua) ملكة على العرب أيضاً، علماً أن سنحاريب كان قد أسر تبؤة في حملته تلك على ادومو ورباها في قصره. وهذا كله يتضح من نص أسرحدون الآتي: ((من ادومو حصن العرب الذي سبق لسنحاريب ملك آشور (والدي) إن استولى عليه وكان قد حصل على غنائم ممتلكاتهم وتماثيل إهنتهم وملكة العرب اسكالاتو وأخذهم جميعاً إلى بلاد آشور، حزائيل ملك العرب جاء إلى نينوى عاصمتي محملاً بالهدايا الثمينة وقبل قدمي وتوسل إلي إن أعيد تماثيل ألهته فعطفت عليه وأصلحت تماثيل عترسماين، داي، نوخي، رولدايو، أيريلو وعتر-قرمي إلهة العرب وأرجعتها له بعد إن نقشت عليها كتابات تشهد بالمنزلة العالية لسيدي الإله آشور واسمي. وجعلت تبؤة التي نشئت في قصر والدي ملكة عليهم واعدتها إلى وطنها ومعها اهنتها. وعلاوة على الجزية التي قدمها حزائيل إلى والدي فقد فرضت عليه أن يدفع زيادة مقدارها خمسة وستون جملاً وعشرة مهور))⁽¹⁶⁰⁾.

وعندما سلب أسرحدون هذه الآلهة عشية خروج اويتى بن حزائيل عن طاعته، فالأخير وفي مطلع حكم آشوربانيبال مثل أمامه والتمسه أن يعيدها له وهو يحمل معه الجزية والهدايا، فاستجاب الملك الآشوري لالتماسه بعدما جعله يقسم بكبار الآلهة الآشورية على الولاء لسلطته وأن يدفع الجزية السنوية له⁽¹⁶¹⁾. كذلك أسرحدون عندما هاجم القبائل العربية في منطقة بازو سنة 676 ق.م وأخذ منها تماثيل آلهتها، فقد توجه أحد الحكام القبليين هناك (ليلي **Laile**) إلى نينوى وأعلن الخضوع له، وذلك بعد وقت قصير من هذه الأحداث على ما يبدو. وقد استغل الملك الآشوري هذه الفرصة ليضمن خضوع سكان بازو لسلطته، إذ عين ليلي ملكا عليهم مقابل جزية سنوية وأعاد له التماثيل المسلوبة بعد أن نقش عليها اسم الإله آشور. وهذا كله قصة أسرحدون في نصه الآتي: ((ليلي ملك يادي **Iadi** الذي هرب عندما قرب وصول جيشي وسماعه بأنني قد استوليت على اهته جاء إلى نينوى مدينتي الملكية وفي حضرتي قبل قدمي فعطفت عليه وعفوت عنه اما الآلهة التي كنت قد استوليت عليها فقد نقشتها باسم سيدي الإله آشور وارجعتها اليه ونصبته ملكاً على بلاد بازو وفرضت عليه اداء الجزية))⁽¹⁶²⁾. وفي أثناء غزو آشوربانيبال لبادية الشام في حوالي عام 645 ق.م لإخماد آخر ثورات العرب ضده، أوقع الهزيمة بالقيداريين وانتزع منهم تماثيل آلهتهم⁽¹⁶³⁾. ولم تذكر المصادر التاريخية فيما إذا كان الملك الآشوري قد أعاد هذه التماثيل لأبناء قيدار عندما اضطروهم للخضوع له في تلك الغزوة، أم ابقاها عنده. ومن المظاهر الأخرى لتدين العرب، التي تعرفنا لها من النصوص المسمارية أيضا، احترامهم وتبجيلهم لرجال دينهم (الكهنة). فعلى حسب ما ذكر في إحدى هذه النصوص، فالكاهنة تلخونو وعلى الرغم من أنها تسببت في استيلاء سنحاريب على ادومو واستسلمت له لأنها كانت غاضبة من حزائيل، فالأخير وفي أثناء زيارته لنينوى المار ذكرها، تودد لأسرحدون وأقنعه بإطلاق سراحها⁽¹⁶⁴⁾.

الخاتمة

توصل البحث إلى جملة من النتائج التي يمكن إجمالها بالآتي :

- 1- إن جل العرب الذين ذكروا في المصادر المسمارية، هم سكان المناطق الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية من بدو وحضر، لاسيما بنو قيدار. وقد ضمت هذه المصادر نصوص ورسوم لأبرز ملوك المملكة الآشورية الحديثة (911 - 612 ق.م) بالمقام الأول، فضلا عن نصوص ونقوش عدة للملكين البابليين

نبوخذ نصر الثاني (605-563 ق.م) ونبونيد (555-539 ق.م) مع نص واحد للملك الفارسي كورش الثاني (557-529 ق.م). فتوغل هؤلاء الملوك تباعا في هذه المناطق ومناطق أخرى من العربية الشمالية لدوافع سياسية واقتصادية ، أدى لاتصالهم بسكانها العرب وذكرهم من ثم في هذه المصادر.

2- كان للعوامل الجغرافية أبلغ الأثر فيما اكتسبه العرب من صفات شخصية رفيعة. فقد لاحظنا أنهم إما كانوا يعيشون في خيام في البوادي ولاسيما بادية الشام ، أو في مدن تقع في وسط الصحاري القاحلة ولاسيما ادومو (دومة الجندل)، أي أنهم كانوا يسكنون في مناطق صحراوية أو شبه صحراوية . فالعيش في هذا الفضاء المفتوح ، جعلهم يعشقون الحرية، فلا يقبلون بالرضوخ لأي حاكم إلا إذا كان من أبناء جلدتهم. وإذا أجبروا على الخضوع لأية سلطة أجنبية ، فسرعان ما ينتفضوا عليها. كما أن وقوع بلادهم في ملتقى الطرق التجارية القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام ، فرض عليهم الدفاع عنها إزاء القوى الطامعة فيها ، مما أسهم إلى حد كبير في اكتسابهم لصفة الشجاعة ، التي وصلت حدا أنهم إذا تمردوا على الإمبراطورية الآشورية الحديثة كانوا يشتركون في التحالفات المناهضة لها ويهاجمون مقاطعاتها القريبة منهم . كما أن أجواء البادية النقية جعلتهم يمتازون بالذكاء والفطنة ، اللتين أدتا بدورها لأن يتسم العرب بالحكمة والدهاء السياسي أيضا. ولذلك رأينا أنهم إذا وجدوا أن الظروف غير مواتية لمناهضة خصومهم الآشوريين والبابليين من بعدهم كانوا يضطرون لمهادنتهم والخضوع لهم . كذلك فالعيش في هذه البيئة جعل الظواهر الطبيعية ولاسيما الأجرام السماوية ذي تأثير مباشر وملموس على حياة سكانها العرب، مما جعلهم لا ينفكون عن تقديسها بل وتأليهها والتعبد لها، ولذا اصبح التدين صفة ملازمة لشخصيتهم. وهذا ما لاحظناه من خضوعهم للملوك الآشوريين بين الحين والآخر مقابل أن يعيدوا لهم تماثيل آلهتهم.

3- ولا يقل دور العامل الاجتماعي تأثيرا في خلق الشخصية العربية عن العامل الجغرافي . فإيمان العرب القدماء بالقيم والتقاليد الاصيلة وحرصهم على التمسك بها ، أدى لأن يتصفوا بالإباء وعزة النفس والمروءة ، فضلا عن صفات أخرى طغت على شخصيتهم ولكن لم تلمح لها المصادر المسمارية .

4- وختاما ننوه إلى أن المصادر المسمارية لم تنعت الشخصية العربية بكل الصفات البار ذكرها في أثناء البحث، والتي تعرفنا إليها من استقراءنا وتحليلنا الدقيق لما احتوته هذه المصادر من معلومات عن العرب ، إذ كانت تعدهم في الغالب إما غادرين ناكتين للعهود والمواثيق ، أو خاضعين طائعين ، أو جنباء فارين.

وهذا أمر طبيعي لكون من دونت مضامين هذه المصادر بأمره ولاسيما الملوك الآشوريين والبابليين كانت علاقاتهم في الغالب مع العرب غير ودية تماما. وإذا كان لا بد من قول كلمة هنا بهذا الخصوص ، نشير إلى أن التفوق الساحق في العدة والعدد للغزاة الآشوريين والبابليين من بعدهم ، هو من كان يفرض على العرب الخضوع تباعا للسلطات الآشورية والبابلية والالتزام باتفاقيات تبعية معها، ولذا فإذا ما انتفضوا لاستعادة حريتهم واستقلالهم ، فلا يعد هذا غدرا منهم ، بل حق مشروع يعكس إياهم وعزة انفسهم وشجاعتهم أيضا. كذلك فهذا التفوق للغزاة وإن كان يضطر العرب في كثير من الأحيان للتراجع امامهم ، ولكن لمناطق كانت تعد جزءا من بلادهم أيضا ، أي أن هذا لم يكن جبا منهم وإنما إقرارا بالأمر الواقع وكنوع من المناورة والتكتيك العسكري .

الهوامش

1- ومن هؤلاء الملوك أيضا هدد عازر ملك دمشق **Hadad- ezer**، وارشوليني **Irhuleni** ملك حماة ، وأخاب **Ahab** ملك اسرائيل (السامرة) ، فضلا عن ملوك كل من موصري (مصر) وقوي (كيليكيا الآن) وبعض الممالك الفينيقية ، وجميعهم لم يذكر النص أسمائهم، ينظر:

Luckenbill,D.D.,Ancient Records of Assyria and Babylonia (ARAB), New York, 1968, vol.1,No.611.

-2

Ibid, vol.1,No.611

3- فيليب حتي ، العرب تاريخ موجز ، ط⁶ ، بيروت ، 1991 ، ص 27 .

4- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج¹ ، ط² ، 1993 ، ص 576 .

5- هند محمد التركي ، مملكة قيثار دراسة في التاريخ السياسي والحضاري خلال الالف الأول ق.م ، الرياض ، 2011 ، ص 35-36 .

Luckenbill ,D.D.,

-6

ARAB,vol.1,No.772

7- جواد علي ، المفصل ، ج¹ ، ص 577 .

8- هند محمد التركي ، مملكة قيثار ، ص 42 .

9- وهي منطقة صحراوية اختلف الباحثون في تحديد موقعها ، فقد ذهب البعض إلى أنها تقع في العربية الشمالية بجوار تيماء أو في جنوب شرقي الجوف ، وعدها موصل النصف الشمالي من وادي السرحان . وهناك من عدها نجد أو الأقسام

الجنوبية والشرقية من اليمامة ، وتشير أحدث الدراسات إلى أنها تعني الساحل المقابل لجزر البحرين ، أي جزيرة تلمون القديمة ، للمزيد من التفاصيل عن هذه الآراء ، يراجع: جواد علي، المفضل ، ج¹، ص 596-599 .

Pritchard,J.B.,Ancient near eastern Texts -10

(ANET),Prinston,1950,p.283;Luckenbill,D.D.,ARAB,Vol.1,No. 817.

Olmstead,A.T., History of Assyria,university of Chicago,1960,p.200 -11

جواد علي ، المفضل، ج¹ ، ص 578، 579 .

12- جواد علي ، المفضل ، ج¹، ص 578

13- هند محمد التركي ، مملكة قيثار ، ص 42.

Luckenbill,D.D., -14

ARAB,vol.1,NoS.778,779 15

جواد علي ، المفضل ، ج¹ ، ص 580، 584 .

16- هند محمد التركي ، مملكة قيثار ، ص 42 .

Pritchard,J.B., ANET ,p.285;Luckenbill,D.D., -17

ARAB,vol.11,No.17

18- جواد علي ، المفضل ، ج¹ ، ص 585-586 .

19- احمد أمين سليم ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم(مصر، العراق، إيران) ، بيروت ، 1989 ، ص 327.

20- فرتز هومل، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين، القاهرة، 1958،

ص 76؛ محمد مهراي بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم ، الرياض ، 1977 ، ص 277، 278 .

21- توفيق برو ، تاريخ العرب القديم ، ط² ، دمشق ، دار الفكر ، 1996 ، ص 72 .

22- حول هذا التمرد ونجاح الملك الآشوري سنحاريب في القضاء عليه ، ينظر:

Luckenbill,D.D., ARAB,vol.11,Nos.258-265; Grayson,A.K., " Assyria:

Sennacherib and, Esarhaddon (704-669 B.C. ",The Cambridge Ancient

History (CAH), vol.111, part.2,1991, p.106.

23- تقع كيش شرقي بابل وتعرف في الوقت الحاضر بتل الأحيمر نسبة إلى أشهر تلالها ، وقد ذكرت في جداول الملوك

السومرية باعتبارها أول مدينة حكمت بعد الطوفان ، يراجع: هنري س. عبودي ، معجم الحضارات السامية ، ط² ، لبنان

، 1991 ، ص 731 .

- Luckenbill,D.D., -24
ARAB,vol.11,No.259
- 25 جواد علي ، المفصل ، ج¹ ، ص 588.
-26 هند محمد التركي ، مملكة قيثار ، ص 92 .
Luckenbill,D.D., -27
- ARAB,vol.11,Nos.262,272
- 28 Pritchard,J.B., ANET,p.287;Luckenbill,D.D.,
ARAB,vol.11,No.240
- 29 جواد علي ، المفصل ، ج¹ ، ص 645.
Luckenbill,D.D., -30
- ARAB,vol.11,No.358
- 31 جواد علي ، المفصل ، ج¹ ، ص 591.
-32 حول هذه النصوص ، يراجع:
Pritchard,J.B., ANET,pp.291,301;Luckenbill,D.D.,
ARAB,vol.11,Nos.518,940.
- 33 عن هذا النص ينظر: فرتز هومل ، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية ، كتاب التاريخ العربي القديم ، ص 77.
-34 المصدر نفسه ، ص 76 ؛ محمد مهران بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص 278.
-35 للمزيد من التفاصيل عما ورد في هذه النصوص، يراجع:
Pritchard,J.B.,ANET,pp.291-
292;Luckenbill,D.D.,ARAB,vol.11,Nos.518,536.
- 36 إذ قدم العرب الجمال لأسرحدون خلال اجتيازه لصحراء سيناء وهو في طريقه لغزو مصر ، ينظر:
Pritchard,J.B.,
ANET,p.292;Luckenbill,D.D.,ARAB,vol.11,No.558.
- وعن فتح اسرحدون لمصر ، يراجع: Pritchard,J.B., ANET,p.292;
Luckenbill,D.D., -37Olmstead,A. T.,op.cit,pp.382-383
ARAB,vol.11,Nos.520,538

- Grayson,A.K., " Assyria: Sennacherib and Esarhaddon ,CAH -38
, vol.111,part.2,
p.126.
- 39- وقد كانت تعد من أقوى القبائل العربية الشمالية، وتقع مساكنها في القسم الجنوبي من منخفض وادي السرحان ،
ينظر : هند محمد التركي ، مملكة قيدار ، ص 90.
- 40- Pritchard,J.B., ANET ,pp.297-817-829
298;Luckenbill,D.D.,ARAB,vol.11,Nos.
- 41- جواد علي ، المفضل ، ج 1 ، ص 606.
- 42- عن هذا النص ، يراجع: هند محمد التركي، مملكة قيدار ، ص 113-122.
- 43- جواد علي ، المفضل ، ج 1 ، ص 609 .
- 44- الكتاب المقدس ، ط 2 ، جمعية الكتاب المقدس ، لبنان ، 1995 ، سفر ارميا ، 49: 28-33.
- 45- للاطلاع على النصوص الكاملة للنقوش البابلية التي تحدثت عن هذه الحملة ، ينظر: سعيد بن فايز إبراهيم السعيد،
حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية دراسة في تاريخ العرب القديم، الجمعية التاريخية السعودية ، بحوث
تاريخية ، الإصدار الثامن ، الرياض ، 2000 ، ص 8-9، 25-27، 40، 81-82 .
- 46- جواد علي ، المفضل ، ج 1 ، ص 626 .
- 47- رضا جواد الهاشمي ، العرب في ضوء المصادر المسماوية ، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد ، ع 22 ، 1988 ، ص
665 .
- 48- جواد علي ، المفضل ، ج 1 ، ص 262.
- 49- وهذا ما يمكن الاستدلال عليه مما ذكره الملك الآشوري هذا في أحد نصوص العام التاسع لحكمه (736) من أن
الملكة سمي قد تمردت عليه في ذلك العام ، حول هذا النص ، يراجع:
Pritchard,J.B., ANET ,p.283;Luckenbill,D.D.,
ARAB,vol.1,No.778.
- Pritchard,J.B., ANET,p.283;Luckenbill,D.D., -50
ARAB,vol.817
- 51- جواد علي ، المفضل ، ج 1 ، ص 578 .
- 52- Luckenbill,D.D.,
- ARAB,vol.11,Nos.257,262

- 53- إذ جاء في هذا النص أن حزائيل كان يدفع الإتاوات لسنحاريب، ينظر:
Pritchard,J.B., ANET,p.291;Luckenbill,D.D.,
ARAB,vol.11,No.518.
- 54- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 592 .
Luckenbill,D.D., -55
- ARAB,vol.11,No.520
- 56- وذلك بعد وفاة حزائيل آنذاك ، يراجع : جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 593 .
Pritchard,J.B., ANET ,p.291;Luckenbill,D.D., -57
ARAB,vol.11,No.518
- 58- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 593 .
Luckenbill,D.D., -59
- ARAB,vol.11,No.946
- 60- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 600 .
Pritchard,J.B., ANET,p.297;Luckenbill,D.D., -61
- Grayson,A.K. "Assyria 668--62ARAB,vol.11,No.817
635 B.C:The reign of Ashurbanipal", CAH,1991,Vol.111,part
2,p.154.
- Pritchard,J.B., -63
ANET,p.297;Luckenbill,D.D.,ARAB,vol.11,Nos.869,870
جواد علي، المفصل ، ج 1 ، ص 601 .
- 64- سامي سعيد الأحمد ، تاريخ العراق في القرن السابع قبل الميلاد ، ط 1 ، بغداد ، 2002 ، ص 65 .
65- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج 11 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994 ، ص 568-569 .
- Pritchard,J.B., ANET ,p.298;Luckenbill,D.D., -66
ARAB,vol.11,No.820
- 67- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 600 .
Pritchard,J.B., ANET,p.298;Luckenbill,D.D., -68
ARAB,vol.11,No.819

- 69- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 600، 601 .
- 70- سامي سعيد الأحمد، تاريخ العراق ، ص 65، 83 .
- 71- المصدر نفسه ، ص 65.
- 72- وهو موضع يقع في البادية شرق تدمر، ينظر: جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 603.
- 73- وتقع في بادية تدمر بين يركى ودمشق ، يراجع: المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 603.
- 74- وهي بئر البصيري الآن الواقعة في ملتقى الطرق بين تدمر ودمشق، ينظر: هند محمد التركي، مملكة قيثار ، ص 70.
- Luckenbill,D.D., -75
- ARAB,vol.11,Nos.823,824
- 76- يقع هذا الجبل في تل الصياد في شرق الأردن، يراجع: هند محمد التركي، مملكة قيثار، ص 109.
- Luckenbill,D.D., ARAB,vol.11,Nos.825--77
- 827
- 78
- Ibid,vol.11,Nos.828,829
- 79
- Ibid,vol.11,Nos.828,949
- هند محمد التركي ، مملكة قيثار ، ص 109.
- 80- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج 11 ، ص 571.
- 81- سعيد بن فايز السعيد ، حملة الملك البابلي نبونيد ، ص 23، 79.
- 82- المصدر نفسه ، ص 84، 85.
- Pritchard,J.B., ANET ,p.291;Luckenbill,D.D., -83
- ARAB,vol.11,No.518
- Pritchard,J.B., ANET,p.298;Luckenbill,D.D., -84
- ARAB,vol.11,No.819
- 85- سامي سعيد الأحمد ، تاريخ العراق ، ص 66.
- 86- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج 11 ، ص 572.

Luckenbill,D.D., -87

ARAB,vol.11,No.833

-88 عن هاتين الحملتين ، ينظر:

Ibid,vol.11,Nos.799-816;Brinkman.J.A., "Babyloniain the shadow of Assyria(747-626 B.C.)" ,CAH,1991,vol.111,part 2 ,pp.58 – 59.

-89 جواد علي ، الفصل ، ج¹ ، ص⁶⁰².

Pritchard,J.B.,ANET,p.298;Luckenbill,D.D., -90

ARAB,vol.11,No.820

Luckenbill,D.D., -91

ARAB,vol.11,No.829

-92 إذ ليس ثمة ما يشير لخلاف ذلك .

Luckenbill,D.D., -93

ARAB,vol.11,Nos.826,831

-94

Ibid,vol.11,No.829

-95 توفيق برو ، تاريخ العرب ، ص²⁶³.

-96 جواد علي ، الفصل ، ج¹ ، ص⁵⁷⁵ .

-97 إذ لم يترتب عن هذه المعركة استيلاء شلمنصر الثالث على الممالك الجنوبية السورية – التي كان يخطط لإخضاعها من حملته تلك – مثل دمشق وحماة والسامرة ، واضطر للعودة لدياره دون أن يسدد ضربة قاضية إلى خصومه ، يراجع : دوبونت سومر ، الأراميون ، ترجمة البير ابونا ، مجلة سومر ، بغداد ، مج¹⁹ ، 1963 ، ص¹¹⁰ .

Luckenbill,D.D., ARAB,vol.11,Nos.257--98

259

-99 للاطلاع على أحداث هذه الثورة ، ينظر: سامي سعيد الأحمد ، تاريخ العراق ، ص¹⁵⁰⁻¹⁶³ ؛ بليافسكي ، اسرار بابل ، ترجمة توفيق فائق ، ط² ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2007 ، ص³⁶⁻⁴² .

- Pritchard,J.B., ANET ,p.297;Luckenbill,D.D., -100
ARAB,vol.11,No.817
- 101- بليافسكي ، اسرار بابل ، ص 38 .
- Pritchard,J.B., ANET ,p.298;Luckenbill,D.D., -102
ARAB,vol.11,No.821
- vol.11,No.869 -103
Luckenbill,D.D.,ARAB,
- 104- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 594 .
- Pritchard,J.B., ANET ,p.298;Luckenbill,D.D., -105
106ARAB,vol.11,Nos.817,818,869 -106 همد محمد التركي ، مملكة قيذار ، ص 106 .
- Pritchard,J.B., ANET ,p.298;Luckenbill,D.D., -107
108ARAB,vol.11,No.820 -108 جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 601 .
- 109- سامي سعيد الأحمـد ، تاريخ العراق ، ص 65 .
- 110- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 603 .
- 111
- Pritchard,J.B.,ANET,p.298;Luckenbill,D.D.,ARAB,vol.11,No.821
سليم حسن ، مصر القديمة ، ج 11 ، ص 567 .
- 112- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 603 ؛ سامي سعيد الأحمـد، تاريخ العراق ، ص 65 .
- 113- توفيق برو ، تاريخ العرب القديم ، ص 263 .
- 114
- Pritchard,J.B.,ANET,p.297;Luckenbill,D.D.,ARAB,vol.11,No.818
- 115- سامي سعيد الأحمـد ، تاريخ العراق ، ص 65 .
- 116- المصدر نفسه ، ص 65 .
- Luckenbill,D.D., -117
- ARAB,vol.1,No.772
- 118- همد محمد التركي ، مملكة قيذار ، ص 39 .

- 119- المصدر نفسه ، ص 40 .
- 120- Pritchard,J.B., ANET,p.283; Luckenbill,D.D.,
- 121ARAB,vol.1,No.778 - محمد بيومي مهران ، تاريخ العراق القديم ، دار
المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990 ، ص 384 .
- 122- Pritchard,J.B., ANET,p.283; Luckenbill,D.D.,
- 123ARAB,vol.1,No.817 - جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 579 .
- 124- Pritchard,J.B., ANET,p.283; Luckenbill,D.D.,
- 125ARAB,vol.1,No.817 - جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 578 .
- 126- المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 579 .
- 127- هند محمد التركي ، مملكة قيثار ، ص 42 .
- 128- Luckenbill,D.D.,
- ARAB,vol.1,Nos.779,800
- 129- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 584 .
- 130- حول الجهود العسكرية للملك الآشوري سنحاريب لإخماد حركة التمرد البابلية تلك وتأديب داعميتها العيلاميين ،
Olmstead,A.T., History of Assyria,pp.293- : يراجع :
295.
- 131- Luckenbill,D.D.,
- ARAB,vol.11,No.358
- 132- وهذا ما اتضح مما ذكره آشوربانيبال في إحدى نصوصه، إذ قال: ((الكاهنة تلخونو التي كانت غاضبة من
حزائيل ملك بلاد العرب سلمته ليدي جدي سنحاريب وسببت سقوطه))، ينظر :
Pritchard,J.B., ANET,p.301;Luckenbill,D.D.,
ARAB,vol.11,No.940.
- 133- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 592 .
- 134- Pritchard,J.B., ANET ,p.291;Luckenbill,D.D.,
- 135ARAB,vol.11,No.518 - هند محمد التركي ، مملكة قيثار ، ص 105 .
- 136- Luckenbill,D.D.,
- ARAB,vol.11,Nos.869,946

- 137- جواد علي ، المفصل ، ج¹ ، ص⁶⁰⁰.
- 138- وهي التسمية التي اطلقتها النصوص المسمارية على منطقة الأهوار والبحيرات الواقعة على طول المجرى السفلي لودي دجلة والفرات إلى الشمال من الخليج العربي ، فضلا عن السواحل الغربية للخليج العربي حتى دلون ، يراجع : سامي سعيد الأحمد ، تاريخ الخليج العربي منذ أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي ، البصرة ، 1985 ، ص²⁴⁸ ، 279 .
- 139- Grayson,A.K., "Assyria 668-635 B.C., CAH, Vol.111, part 2, p.149
- 140- Pritchard,J.B., ANET, p.298; Luckenbill,D.D., ARAB,vol.11,No.870
- 141- رضا جواد الهاشمي، العرب ، ص⁶⁵⁵.
- 142- Pritchard,J.B., ANET,p.298;
- 143- Luckenbill,D.D.,ARAB,vol.11,No.819 - جواد علي ،
- المفصل ، ج¹ ، ص⁶⁰⁰، 601 .
- 144- Pritchard,J.B., ANET,p.298; Luckenbill,D.D., ARAB,vol.11,No.821
- 145- Pritchard,J.B., ANET,p.298; Luckenbill,D.D., ARAB,vol.11,No.870 - بليافسكي ، اسرار بابل ، ص⁴².
- 147- سامي سعيد الأحمد ، تاريخ العراق ، ص⁶⁵ .
- 148- جواد علي ، المفصل ، ج¹ ، ص⁶¹⁵ .
- 149- إذ امتدت إمبراطوريته من تخوم الهند إلى بحر ايجة وآسيا الصغرى ، كما شملت بلاد الرافدين أيضا ، ينظر: طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج¹ ، ط¹ ، بغداد ، 1973 ، ص⁵⁷³ .
- 150- تاريخ هيرودوت، ترجمة عبداله الملاح ، مراجعة احمد السقاف وحمد بن صراي ، ابوظبي ، 2001 ، ص²⁶¹ .
- 151- للاطلاع على ما احتوته هذه النصوص من معلومات عن ديانة العرب ، يراجع: Luckenbill,D.D., ARAB,vol.11,Nos.518,538,824,869,946.
- 152- Pritchard,J.B., ANET ,p.291;Luckenbill,D.D.,ARAB,vol.11,No.518-152
- 153- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج⁶ ، ط² ، 1993 ، ص²⁹¹ .
- 154- هند محمد التركي ، مملكة قبادار ، ص¹²⁸، 131 ، 132 .

- 155- وهو اسم مركب ويعني عنتر السماء، أي إله السماء عند العرب قديما. ويرى بعض الباحثين إنه إلهة ، أي انثى ، ويرمز إلى الزهرة في رأي غالب العلماء ، ينظر: جواد علي ، المفصل ، ج 6 ، ص 63 ، 291 .
ولعل القيداريين كانوا يعدونه إله المطر والخصوبة أيضا، يراجع: هند محمد التركي ، مملكة قيدار، ص 127 .
- 156- وهو الإله نهي الذي يعد من أقدم المعبودات القديمة في شمال شبه جزيرة العرب ، وقد عده العرب القدماء إله المساعدة والعون . ويرى بعض الباحثين أن نهي إله قمري ، في حين عده آخرون إله الشمس ، للمزيد من المعلومات، ينظر: هند محمد التركي، مملكة قيدار، ص 128 .
- 157- ويبدو أن دلبات هو تحريف ذات بعل ، أي الشمس التي كانت إلهة عند العرب ، وقد تعبدت لها قبائل عربية عدة ، يراجع : جواد علي، المفصل ، ج 6 ، ص 291 .
- 158- فهو الإله رضو الذي نسب له العرب الشماليين هذه الصفات ، وقد شاعت عبادته قديما بينهم حتى وصف بإله العرب ، ينظر: هند محمد التركي، مملكة قيدار ، ص 130 . واسمه يعني الرضا والسعادة ، وقد عرف عند عرب الشمال بصيغته المؤنثة أي رضى وبصيغته المذكورة (ارضو) ، يراجع: محمود محمد الروسان ، القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة ، ط 2 ، مطابع جامعة الملك سعود ، 1992 ، ص 166 .
- 159- جواد علي ، المفصل ، ج 1 ، ص 592، 593 .
- 160 Pritchard,J.B., ANET ,p.291;Luckenbill,D.D.,ARAB,vol.11,No.518
- 161 Luckenbill,D.D., ARAB,vol.1,Nos.869,946
- 162 Ibid,vol.11,No.538
- 163 Ibid,vol.11,No.824
- 164 Pritchard,J.B., ANET ,p.301;Luckenbill,D.D.,ARAB,vol.11,No.940

قائمة بأسماء المصادر

اولا : الكتب المقدسة

- 1- الكتاب المقدس ، ط 2 ، جمعية الكتاب المقدس ، لبنان ، 1995 .

ثانيا : المصادر العربية

- 1- احمد أمين سليم ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر، العراق، إيران) ، بيروت، 1989 .
- 2- بليافسكي ، اسرار بابل ، ترجمة توفيق فائق ، ط 2 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2007 .
- 3- توفيق برو ، تاريخ العرب القديم ، ط 2 ، دمشق ، دار الفكر ، 1996 .
- 4- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج 1 ، ط 2 ، 1993 .
- 5- دوبيونت سومر ، الأراميون ، ترجمة البير ابونا ، مجلة سومر ، بغداد ، مج 19 ، 1963 .

- 6- رضا جواد الهاشمي ، العرب في ضوء المصادر المسمارية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع²²، 1988 .
- 7- سامي سعيد الأحمد ، تاريخ الخليج العربي منذ أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي ، البصرة ، 1985 .
- 8- سامي سعيد الأحمد ، تاريخ العراق في القرن السابع قبل الميلاد ، ط¹ ، بغداد ، 2002 .
- 9- سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب الجزيرة العربية دراسة في تاريخ العرب القديم، الجمعية التاريخية السعودية ، بحوث تاريخية ، الإصدار الثامن ، الرياض ، 2000 .
- 10- سليم حسن ، مصر القديمة ، ج¹¹ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1994 .
- 11- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج¹ ، ط¹ ، بغداد ، 1973 .
- 12- فرتز هومل، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، كتاب التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958 .
- 13- فيليب حتي ، العرب تاريخ موجز ، ط⁶ ، بيروت ، 1991 .
- 14- محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، الرياض ، 1977 .
- 15- محمد بيومي مهران ، تاريخ العراق القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990 .
- 16- محمود محمد الروسان ، القبائل النمودية والصفوية دراسة مقارنة ، ط² ، مطابع جامعة الملك سعود ، 1992 .
- 17- هند محمد التركي ، مملكة قيثار دراسة في التاريخ السياسي والحضاري خلال الألف الأول ق.م ، الرياض ، 2011 .
- 18- هنري س. عبودي ، معجم الحضارات السامية ، ط² ، لبنان ، 1991 .
- 19- هيروودوت ، تاريخ هيروودوت، ترجمة عبدالاله الملاح ، مراجعة احمد السقاف وحمد بن صراي ، ابوظبي ، 2001 .

ثالثاً: المصادر الاجنبية

- 1-Brinkman.J.A., "Babylonia in the shadow of Assyria(747-626 B.C.)" , The Cambridge Ancient History, 1991, Vol.111, part 2.
- 2- Grayson, A.K., " Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704-669 B.C.)" , The Cambridge Ancient History, 1991, Vol.111, part.2.
- 3- Grayson, A.K., "Assyria 668-635 B.C: The reign of Ashurbanipal", The Cambridge Ancient History, 1991, Vol.111, part 2.
- 4- Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, New York, 1968, vols.1, 11.
- 5- Olmstead, A. T., History of Assyria, university of Chicago, 1960.
- 6- Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts , Prinston, 1950.

أفاق الدراسة في تخصص علم الآثار

الدكتورة سميحة ديفل

جامعة قسنطينة 2- عبد الحميد مهري - الجزائر

samiha.difel@univ-constantine2.dz

تاريخ الإيداع: 2020/10/30 م تاريخ التحكيم: 2020/11/07 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

يعد مجال العلوم الانسانية من بين المجالات الأكثر دراسة من قبل الباحثين، وذلك نظرا لطبيعة العلوم الانسانية في فهم الانسان وعلاقته ببيئته ومجتمعه، فالإنسان كائن بات وجوده يفرض ضرورة دراسته، وانبثق عن هذه العلوم علم يدرس مخلفات الانسان لفهم حياة الانسان وحضارته، وهو علم الآثار.

ولا يختلف الباحثون في أن دراسة علم الآثار، أصبحت مطلب ضروري في الزمن الراهن، وهذا نظرا للتطورات التي يشهدها العالم سواء على الجانب المعرفي أو الجانب الاقتصادي، وعلى هذا الأساس جاءت هذه المداخلة العلمية لتبرز أفاق دراسة هذا التخصص على المستوى العلمي المعرفي وعلى المستوى الاقتصادي والاجتماعي، انطلاقا من اشكالية عامة تمثلت في: ماهي الاليات المعتمدة في تطوير هذا التخصص؟ وماهي الآفاق المستقبلية على المستويين الاقتصادي والاجتماعي؟

وعلى هذا الأساس فان التكوين والتعليم في تخصص علم الآثار يمثل مشروعا هادفا على مستويات عدة، فأفاق الدراسة في تخصص الآثار هو الطموح والانجاز والانفتاح على متطلبات سوق المعرفة، وذلك بتوجيه القدرات والمعارف وصلفها وتمارينها بما يتطلبه المجتمع اليوم من تحولات في شتى المجالات، وهذا النموذج قد يمكن العلوم الانسانية من تكوين العقول المنتجة من خلال مستويات التعلم، والاهتمام بالمتلقي، فتجليات هذا التخصص تشكل بديلا لكل المشاكل التي تعترض عملية التنمية على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، ومن هذا المنظور فان عصر العولمة والتقنية يقتضى حضور لغة التكوين الناجح في مجال المعرفة والبحث قصد الانخراط والاندماج في المجتمع والتواصل والتفاعل مع باقي المؤسسات.

الكلمات المفتاحية: علم الآثار، آفاق، واقع، العلوم الانسانية

Horizons of study in archaeology

D.samiha difel

University of Constantine 2 - Abdelhamid Mehri - Algeria

samiha.difel@univ-constantine2.dz

Abstract :

The field of human sciences is one of the most studied fields by researchers, due to the nature of the human sciences in understanding human being and his relationship to his environment and society,so human beings whose existence

imposes the necessity of study, and emerged from these sciences a science that studies the remnants of man to understand human life and civilization, which is archaeology.

The researchers do not disagree that the study of archaeology has become a necessary requirement in the present time, and this is due to the developments taking place in the world both on the cognitive and economic aspects, and on this basis this scientific intervention came to highlight the prospects for studying this specialization at the scientific, knowledge and socio-economic level, based on a general problem: What are the mechanisms adopted in the development of this specialty? What are the future prospects at the economic and social levels?

On this basis, training and education in archaeology represents a meaningful project at several levels. The prospects of study in the archeology speciality are ambition, achievement, and openness to the requirements of the knowledge market, by directin, refining and training capabilities and knowledge with what society requires today in various fields, and this model has the human sciences enable the formation of productive minds through levels of learning and concern for the recipient. The manifestations of this specialization constitute an alternative to all the problems that obstruct the process of development at the social, cultural and economic level, and from this perspective, the era of globalization and technology requires the presence of the language of successful formation in the field of knowledge and research in order to engage and integration into society, communication and interaction with other institutions.

Keywords: archaeology ; actuality; horizon ; human sciences.

مقدمة:

تعد الآثار من أهم العناصر الأساسية للحضارة الانسانية، والثقافة الوطنية والعالمية، فكانت الآثار مسار اهتمام الدول التي عملت على استغلالها من أجل مصلحة مجتمعاتها، وقد حى الله وطننا الحبيب الجزائر بموروث حضاري متنوع وكبير ومنتشر عبر كافة التراب الوطني يعود إلى فترات ضاربة في القدم، فملكية الأمة الجزائرية لهذا الكم المتنوع من الآثار يتوازي مع ملكيتها للثروات الباطنية في أرضها. فسعت إلى فتح تخصصات متنوعة تدرس علم الآثار وتطبيقاته، وتخصص علم الآثار مثله مثل أي تخصص يدرس في العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، وقد حظي هذا التخصص بالاهتمام في الأوساط العلمية والثقافية، سواء من طرف الجامعات أو المعاهد الجزائرية، أو جمعيات ومؤسسات حكومية لاسيما في المدة الأخيرة وأصبح لهذا العلم العديد من المختصين والمهتمين الذين عملوا وبرعوا في ميدان الآثار.

ومن بين الأسباب الكامنة وراء دراسة هذا الموضوع هو المساهمة في التعريف بتخصص علم الآثار وأهميته في الدراسات المستقبلية، ورد الاعتبار لهذا التخصص الذي يسير ببطء ونحو تناقص أعداد الطلبة الوافدين إليه بسبب التطور التكنولوجي ومتطلباته وعصرنة الثقافة المادية، رغم أنه يعتبر من العلوم الدراسية التي لا يتوقف الطلب عليها في الدول المتقدمة نظرا لسعي الدول الدائم لاكتشاف آثار الماضي للخروج بنتائج جديدة، فهو من أبرز التخصصات الدراسية التي يزيد الاقبال عليها في العصر الحالي.

وتأتي أهمية دراسة الآثار من خلال ما يكتشفه المختصون من آثار لتراث ثقافي وفكري يربط الانسان بماضيه وأرضه وأصوله، ليتمكن من فهم حاضره وبناء مستقبله على نحو أفضل، بحيث تهتم الدول بما يمثل حضارتها ويظهر مدى عراقتها من آثار ومخلفات قديمة لأناس تمكنوا من صنع حضارة في بيئة بدائية خالية من أدنى الامكانيات المادية والمعنوية.

ولعل اكتشاف الكثير من الآثار في الآونة الأخيرة وزيادة الاهتمام بفتح وانشاء متاحف خاصة بهذه المكتشفات للدليل واضح على مدى قيمة الآثار وتأثيرها في وضع الدول ومكانتها عالميا، ولذلك أصبحت الآثار في الآونة الأخيرة تجذب الكثير من الطلبة للتعلم في دراستها والعمل مستقبلا في احدى المسارات الوظيفية التابعة لها.

كما أن التطور التكنولوجي يفرض علينا مسيرته والاستفادة منه حتى لا نبقى على قارعة طريق العلم والمعرفة، بل إيجاد سبل وآليات جديدة وجعل التكنولوجيا في خدمة الآثار حتى نصل إلى المعارف العلمية الدقيقة.

ولعل من بين الاشكاليات المطروحة: كيف يمكن اعتماد تخصص الآثار كمكسب يعود بالفائدة

على الدولة وطنيا أو دوليا ؟

وكيف يمكن أن يساهم تخصص الآثار في التنمية السياحية ؟

وماهي الآليات والآفاق المعتمدة في تخصص علم الآثار لجذب الدارسين من الطلبة ؟

فالهدف من هذه الدراسة هو إثارة الاهتمام بهذا التخصص من طرف الجميع، كمتخصصين، أو مجتمع مدني، أو الوزارة الوصية فهي مسؤوليتنا جميعا ازاء هذه الوديعة الثمينة، والحث على تدارس السبل لنصل بها إلى الافاق العلمية والأكاديمية والاقتصادية والثقافية المرجوة منها، للنهوض بهذا الإرث الحضاري

المهدد بالزوال، وإيجاد الوسائل البديلة لعزوف الطلبة عن هذا التخصص على الرغم من الأهمية التي يقدمها في العصر الحالي، فإعداد الفرد حتى يكون قادرا على الإنتاج والعمل في مجتمعه يتطلب تربيته وتعليمه وفق تخصص يلائم قدراته العلمية.

تعريف علم الآثار:

علم الآثار اصطلاحا يستعمل للدلالة على العلم الذي يبحث في الآثار، التي تمثل بقايا النشاط الانساني القديم، ويعنى بدراستها، ويقابله في اللغة الانجليزية مصطلح (Archaeology) وجاء هذا المصطلح من "آرخيولوجيا" في اللغة اليونانية بمقطعيه الأول (Archaia)، والذي يعنى الأشياء القديمة أو البقايا القديمة، والمقطع الثاني (Logos) بمعنى "علم"، أو نظرية¹، واهتم هذا العلم بدراسة تاريخ البشرية من خلال دراسة البقايا المادية والثقافية والفنية للإنسان القديم، والتي تكون مجموعها صورة كاملة عن الحياة اليومية التي عاشها ذلك الانسان في زمان ومكان معينين، وذلك بالاعتماد على مجموعة التنقيبات، والدراسات، والأبحاث العلمية التي تتناول الآثار المادية للإنسان عن طريق استظهارها والكشف عنها بوسائل فنية وتقنية، وفق أسس علمية ضمن اطار أكاديمي ليتم وصفها ومعالجتها ودراستها وتحليلها واستنباط المعلومات منها².

الهدف من دراسة علم الآثار

إن لدراسة علم الآثار جانب مهم وأساسي لا يمكن إنكاره، وهو دراسة الأثر بطرق علمية أكاديمية، تمكن الباحث من استنباط قدر كبير من المعلومات حول الآثار المكتشفة، وطبيعة حياة الإنسان في العصور القديمة، كما أنه يعيد كتابة صفحات من تاريخ بلادنا التي ضاعت، أو يعيد تصحيح ما جاء في المصادر المكتوبة.

فدراسة الآثار لها دور هام في تاريخ الأمم فهي السجل الحي والكتاب المفتوح الذي نستطيع من خلاله التعرف على حياة الشعوب وعاداتهم وعلاقاتهم وسياساتهم وثقافتهم، وتعتبر أحد الوسائل في الحفاظ على تاريخ الأمة وذاكرة صادقة لما مرت به من حضارة الإنسان وتقدمه.

ومن جملة الآفاق التي تهدف إليها الأقسام العلمية للآثار الموزعة عبر الجامعات الجزائرية من الشرق إلى الغرب من خلال تدريسها لتخصص الآثار بفروعه، هو توفير مادة أصلية للبحث العلمي سواء للأساتذة أو الطلبة لدراستها واستقرائها ونشرها وإسهامها في زيادة المعرفة العلمية.

فالهدف من دراسة علم الآثار تكمن في التنقيب والحفر ومعالجة الآثار الحضارية للإنسان الذي عاش في المنطقة، وذلك تماشياً وتحقيق طموحات البلاد في مجال دراسة التراث الأثري وصيانتها، وإعادة استغلاله بما يتطلبه العصر الحديث من تحديات في المجال الاقتصادي والسياحي، والمساهمة في تنمية الذوق الحضاري للإنسانية³.

نشأة علم الآثار في الجزائر:

مع مطلع القرن الثامن عشر بدأ الاهتمام بالآثار بشكل عام والآثار الفنية بشكل خاص، حيث انطلقت رحلات كثيرة من قبل المغامرين والأغنياء والدبلوماسيين الأوروبيين للبحث عن الآثار ذات القيمة الفنية والجمالية⁴، ولم يرى النور العلم إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

والبداية في الجزائر تعود إلى مطلع القرن الماضي، وذلك حين كان ضباط الجيش يدرجون ضمن تقاريرهم العسكرية وصفا شاملا للمدن أو المناطق المحتلة ولعاملها الأثرية، كما قاموا برحلات استكشافية فردية للبحث عن الآثار، كما اهتمت الجمعيات والمؤسسات سواء كانت حكومية أو غير حكومية بالسهر على جمع التراث الأثري والحفاظ عليه، تمخض عنها انشاء مصلحة المعالم التاريخية للجزائر أسست سنة (1880م) تولت ادارتها مجموعة من المهندسين المعماريين أبرزهم بالو (Ballu) الذي سيرها طيلة أربعين سنة، مهمتها القيام بالحفريات وصيانة وحفظ المعالم التاريخية، وفي السنة نفسها (1880) أسست المدرسة العليا للأدب بمدينة الجزائر وتحولت بعد مرور ثلاثين سنة إلى جامعة الجزائر، كان لها دور هام في البحث الأثري، لاسيما بعد استقبالتها لأساتذة الآثار والتاريخ شاركوا زيادة على التدريس في الكثير من الحفريات الأثرية، من بينهم ستيفان غزال (S . Gsell)، الذي كان أول من عين كأستاذ مكلف بالدروس لتدريس علم الآثار سنة 1890، وفي سنة 1923 تم فتح فرع مختص بالآثار، وان اختلفت الأهداف والأسباب في التنقيب والبحث الأثري في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية⁵، إلا أنها تصب في مصلحة المستعمر بإجراء التنقيبات على الحضارة الرومانية واهمال الحضارة الاسلامية، وكان من جملة الباحثين الجزائريين الذين حملوا مسؤولية البحث عن الآثار الجزائرية بطريقة علمية الأستاذ رشيد بورويبة، محمد سحنوني، الذين أجروا حفريات كشفت الكثير عن تاريخ الجزائر الموعر في القدم، كما لا يفوتنا أن نذكر جملة من أساتذة علم الآثار والتاريخ الذين حملوا مسؤولية تخريج إطارات أكاديمية والقيام بعدة أعمال ميدانية كشفت عن صفحات مهمة من تاريخ الجزائر

منهم الأستاذ لعرج عبد العزيز، صالح يوسف بن قربة، حملاوي علي، محمد البشير شنيقي، والكثير ممن لا يسعنا ذكرهم في هذا المقال الا أن مجهوداتهم تجسدت في ظهور علم الآثار بصفة أكاديمية منظمة وتعتمد على أسس علمية بإنشاء أول معهد في تخصص الآثار بجامعة الجزائر سنة (1985م) والذي اجتمع واجتهد فيه نخبة من الأساتذة لتكوين فئة من المختصين الأثرين استطاعوا الخروج بهذا التخصص إلى النور، والتي بدورها أخذت على عاتقها تكملة المسيرة النظرية الأكاديمية إلى جانب العمل الميداني (الحفريات)، وتخرج على أيديهم الكثير من الطلبة الذين أكملوا مسيرة التعليم الأكاديمي بعد الحصول على الدراسات العليا أو العمل في المتاحف والمديريات الثقافية.

ولا يمكن تجاهل الأيدي الأثرية التي عملت في الميدان بدون أن تدرس علم الآثار أو تدرسه والذين شاركوا في مجال التنقيبات الأثرية مع البعثات الأجنبية وكان لهم دور في اكتشاف العديد من المواقع الأثرية. وبعدها درس تخصص علم الآثار في أقسام التاريخ في الجامعات الجزائرية بجامعة تلمسان سنة (2000م)، وجامعة قالمة سنة (2002م)، وبقسنطينة سنة (2002م) على يد الأستاذ شعباني بدر الدين، والأستاذة بورابة لطيفة، التي انفصلت عن قسم التاريخ بإنشاء قسم خاص بتخصص الآثار، أما معظم الجامعات التي تدرس التاريخ أبقّت على تخصص الآثار تحت ادارة قسم التاريخ خاصة المدن التي تحتوي على روائع أثرية مثل باتنة، سطيف، المسيلة، المدية، الشلف، معسكر، تيبازة، عنابة وغيرها من الجامعات الجزائرية.

تخصصات علم الآثار:

إن علم الآثار علم جمع عدة علوم في آن واحد، فهو يضم العديد من التخصصات ذات المساحة المكانية والزمانية المحددة منها على وجه الخصوص، ومنها تخصصات تندرج في طرق الوقاية والحفظ ظهرت مع التطور التكنولوجي الحاصل في العالم ونذكر التخصصات التي انفردت بها المعاهد والأقسام الأثرية الموزعة عبر التراب الوطني منها:

- علم آثار ما قبل التاريخ : وهو علم يهتم بدراسة الآثار التي تعود إلى بداية ظهور الإنسان وإلى غاية اكتشاف الكتابة وظهورها على المواد الأثرية.

- **علم الآثار القديمة:** يهتم بدراسة الحضارات العالمية القديمة بداية من حضارة بلاد الرافدين والحضارة الفرعونية، والاقريقية والرومانية، والساسانية بشكل عام في مرحلة اليسانس ثم يتوسع في الحضارات القديمة في الجزائر في مرحلة الماجستير.
 - **علم الآثار الإسلامية:** يدرس هذا العلم مختلف الآثار التي خلفها المسلمون منذ ظهور الإسلام إلى غاية نهاية الخلافة الإسلامية العثمانية، وتقسّم إلى فترتين: فترة العصر الإسلامي الوسيط، والفترة الثانية العصر العثماني (أو ما يسمى بالعصر الحديث).
 - **علم الآثار الوقائي:** وهو تخصص يدرس حالة المعالم وسبل معالجتها وهو تخصص ظهر حديثا تبناه قسم علم الآثار بجامعة تلمسان.
 - **الصيانة والترميم:** وهو علم يهتم بدراسة مكونات المادة والمعالم الأثرية من أجل صيانتها وترميمها بسبب عوامل التلف.
- ومن بين المجالات التي يدرسها الطلاب في تخصصاتهم، الأثروبولوجيا والعلوم الطبيعية، والمبادئ الأساسية للدلالات الأثرية، ودراسة المناخ وتأثيره على الحضارات القديمة⁶.
- طريقة تدريس علم الآثار:**
- إن لدراسة علم الآثار جانبين مهمين وأساسيين لا يمكن الفصل بينهما وأحدهما يكمل الآخر، يعتني الجانب الأول منه بالإطار النظري والذي يعتمد على المنهج الاستقرائي التحليلي، وهو دراسة الأثر بطرق علمية أكاديمية، تمكن الباحث من استنباط قدر كبير من المعلومات حول الآثار المكتشفة، وطبيعة حياة الإنسان في العصور القديمة، حتى يتمكن الباحث من معرفة ماضي الإنسان ونشاطه وكيف تفاعل مع بيئته ومع غيره من بني جنسه⁷.
- أما الجانب الثاني من دراسة علم الآثار فهو يعتمد على إجراء العمل الميداني من حفر وتنقيب عن الآثار، وما يتبعها من تدوين وتسجيل وتصوير وملاحظة ووصف ومعالجة للأثر، ويمثل هذا الجانب العصب الحيوي في الدراسات الأثرية والحلقة المركزية في ميدان البحث الأثري.
- والحقيقة أن الجانبان متداخلان ومتكاملان ويدخلان ضمن المنهج الدراسي المقرر في الجامعات الجزائرية.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الدراسات العليا في علم الآثار:

مع متطلبات النظام الجديد (ل م د) المتبع في التدريس بالجزائر، يمكن للطلاب الالتحاق بالماستر بعد استوفاء الشروط المطلوبة لتكملة الدراسات العليا، يتوج بشهادة تمكنه من الدخول في مسابقة الدكتوراه التي تؤهله بعد مناقشة الأطروحة للدخول الى عالم التوظيف بالجامعة.

الدراسات الميدانية في تخصص علم الآثار:

كما تحدثنا سابقا عن طريقة تدريس الآثار نظريا وميدانيا، فقد خصص معهد الآثار تربصات ميدانية للطلبة في المواقع الأثرية المنتشرة في كافة التراب الوطني، واجراء بعض الحفريات لتدريب الطلبة على العمل الميداني وللوصول إلى نتائج حول تاريخ وحضارة المنطقة المدروسة، ويتم هذا بإشراف أساتذة مختصين في هذا المجال.



عن: (<https://fshs.univ-tlemcen.dz/ar/actualites/82>)



عن:

<https://www.aljazeera.net/midan/miscellaneous/education/2017/8/>

(28)

فرص العمل المتاحة لخريجي تخصص علم الآثار:

يتلقى الطالب خلال مساره التكويني الكثير من الأدوات والموضوعات والمناهج العلمية والميدانية التي تجعله مؤهلاً للدخول إلى سوق العمل بقوة، أو تكملة الدراسات العليا في البلدان الأجنبية، وحتى نكون واقعيين فإن فرص العمل قليلة نوعاً ما مقارنة بالتخصصات الأخرى، ولكن مع قلتها فهي تمنح صاحبها امتيازات وظيفية جيدة، لذلك تعد وزارتي الثقافة والسياحة بالإضافة إلى العمل الجامعي هي الوجهة الأولى التي يطرقها خريجي علم الآثار، كما يمكن للطلاب أن يلتحق بمجموعة من المناصب بعد حصوله على الشهادة المؤهلة وهي:

- العمل داخل المتاحف الأثرية؛
- العمل مع شركات ترميم الآثار وهذه الشركات موجودة بكثرة في الدول الأجنبية ومطلوب فيها هذا النوع من المناصب؛
- العمل مع بعثات دولية مستقلة في عملية الحفر والكشف عن المواقع وتكون بمقابل مادي سخي وكثير ويكون بالعملة الأجنبية؛

- العمل في مجال الترجمة فقليلًا ما نجد من هو ملم بالآثار و باللغة العربية ولغة أخرى، فيمكن العمل على ترجمة تقارير البعثات او منشوراتهم خاصة مع قلة الكوادر المتميزة التي تستطيع العمل في هذا المجال⁸؛
- العمل لدى هيئات الكشف والتنقيب عن الآثار في المواقع الأثرية التابعة للوزارة؛
- العمل في سلك الأمن لحماية الآثار من التهريب والسرقة؛
- العمل في الحظائر الوطنية الموزعة على كافة التراب الوطني؛
- والكثير من خريجي علم الآثار يفضلون العمل في مجال السياحة كمرشدين سياحيين للتعريف بتاريخ الآثار والتوعية بوجوب الحفاظ عليها، ويعتبر الطلبة الذين يجيدون اللغات الأجنبية أكثر المرشحين لهذه الوظائف ويزيد عليهم الطلب بكثرة من قبل الشركات وهيئات السياحة لما تدره من أموال خاصة بالعملة الصعبة⁹؛
- ولعل من بين ايجابيات التوظيف في هذا التخصص هو الرواتب المرتفعة مقارنة بالتخصصات الأخرى وهي تختلف من دولة إلى أخرى، حسب المستوى المعيشي.

أفاق وتطلعات تخصص علم الآثار:

يعتبر تخصص علم الآثار علم حديث نسبيا مقارنة مع التخصصات الأخرى في الجامعات الجزائرية، ونظرا لتطور الأساليب والتقنيات الحديثة في الدراسة والتنقيب، ومع ظهور التوعية والثقافة الأثرية على عكس الدول الأجنبية التي قطعت شوطا كبيرا في هذا المجال، ذلك أنها اتجهت للكشف عن الآثار من خلال الدراسات الميدانية ومع التطور التكنولوجي أصبح علم الآثار واحدا من أهم العلوم الانسانية الحديثة¹⁰. وفي الوقت الذي كان فيه علم الآثار غائبا في مؤسسات الدولة من معاهد وجامعات بدأ الاهتمام بالآثار وعلم الآثار، وبدأت الدراسات الجادة في الجزائر للاهتمام بحضاراتها وتاريخها، فأخذت بتطوير برامج هذا العلم والاهتمام بكوادره المختصة واللازمة، وبدء النشاط العلمي في البحث والتنقيب، ونشر النتائج على الجمهور والباحثين الذين بدأوا بدورهم بالاهتمام المتزايد بعلم الآثار مع تواصل المكتشفات المهمة عن الوطن الحبيب.

الآفاق التاريخية:

تؤدي الآثار دورا هاما في تاريخ الأمم فهي السجل الحي والكتاب المفتوح الذي نستطيع من خلاله التعرف على حياة الشعوب وعاداتهم وعلاقاتهم وسياساتهم وثقافتهم، وتعتبر أحد الوسائل في الحفاظ على تاريخ الأمة ومراة صادقة لما مرت به من حضارة الإنسان وتقدمه، كما أنها تصحح بعض الأخطاء التاريخية التي وردت في المصادر المكتوبة سواء كانت سهوا أو عمدا¹¹، ومن الآفاق التاريخية المهمة هو إعادة كتابة وتصحيح تاريخ بلادنا الذي كتب بأيادي أجنبية، وكلما زادت الاكتشافات الأثرية كلما زادت معرفتنا بتاريخ المجتمعات، وتزايد الأهمية التاريخية للآثار في دول شمال إفريقيا، فالتراث الأثري الجزائري عمل على المحافظة على الذاكرة الوطنية الجزائرية أمام الاحتلال الفرنسي الذي عمل على إلغاء الذاكرة الجماعية القائمة، واحلال ذاكرة بديلة محلها هي حتما الذاكرة الاستعمارية بجزورها الرومانية، فأدرك المحتل أهمية الآثار التاريخية فعمل على محو تلك الآثار والتراث الانساني الجزائري ومن ذلك هدم منارة مسجد سيدي غانم، والتخلص من التراث المعماري العثماني بالجزائر وذلك تحت الكثير من المبررات الواهية مثل إعادة بناء مدينة الجزائر وتجميلها¹².

الآفاق العلمية والأكاديمية:

➤ ومن الآفاق المرجوة من هذا التخصص هو زيادة المشاريع الانقاذية للآثار، خاصة بعد المشاريع الكبيرة للبناء وشق الطرق وتوسيع المدن، لتوسيع رقعة المواقع الأثرية وحمايتها ودراستها قبل الإندثار وتوضيح معلومات تاريخية وحضارية مهمة استنادا على الدراسات الأثرية.

➤ ولعل من الآفاق المرجوة أيضا هو تخريج عدد كبير من طلبة الآثار الجزائريين المختصين في علم الآثار، وليس تاريخ الآثار حتى تتشكل نخبة علمية محلية تأخذ على عاتقها مهمة النهوض والمضي بعلم الآثار في هذا البلد، وتنمية حسهم بروح المواطنة اتجاه بلدهم، ولنشر الثقافة الأثرية في الوسط الذين يعيشون فيه أو يعملون فيه، وللسير بهذا العلم إلى التطور الذي يشهده العصر الحديث ومتطلباته في مختلف المؤسسات الثقافية والسياحية، خاصة المتاحف منها التي مازالت تسير بالطرق التقليدية فهي بمثابة خزينة للآثار ومكان عرض التحف وكنوز الحضارات لذلك وجب تغيير الطريقة المتبعة في العرض ومواكبة التطور العالمي باستخدام أحدث تقنيات العرض، وترميم وصيانة الآثار والاهتمام بالنشر العلمي.

➤ تقديم تكوين يحمل الخصوصية الوطنية في الثقافة التاريخية، وذلك بتقديم مشروع كبير لمسح مواقع الآثار في الجزائر والكشف عنها عن طريق التقنيات الحديثة مدعومة بالتوثيق العلمي الدقيق وتأمين الدراسات في كل موقع تم اكتشافه.

➤ ولعل من أكبر التطلعات التي نسعى إليها هو ادراج علم الآثار في مجال العلوم التطبيقية وليس الانسانية فقط وجعله ضمن التخصصات العلمية التطبيقية، فعلم الآثار يعتمد في دراسته على المخلفات المادية بطريقة علمية تحتاج إلى تقنيات ودراسات حديثة وتكنولوجية في الكشف عن طبيعة الإنسان وماضيه من خلال طرائق تطبيق نظرياته المستخدمة في الجانب العلمي الميداني كالتنقيبات والحفريات، بمساعدة الهندسة والجيولوجيا والكيمياء والفيزياء والجيوفيزياء، ونظم المعلومات أو الاستشعار عن بعد (GPS)، معتمدة على وسائل متطورة مثل أجهزة القياس ثلاثية الأبعاد، والتحليل باستخدام المطيافية (التحليل الطيفي) بالأشعة تحت الحمراء لحجارة المباني الأثرية، وآلات التصوير الرقمية، لدراسة المقننات الأثرية لتكون المادة الخام التي تقدمها لمختصي الأنثروبولوجيا، وعلم التاريخ، والعلوم الأخرى لتنتقل منها دراساتهم وبحوثهم¹³. انشاء مختبرات علمية مجهزة بكافة المستلزمات التي يحتاجها الأثري في دراسته من مجهر الكتروني، ووسائل التأريخ المطلق، وتكون هذه المخابر تابعة للأقسام في الجامعات وتوظف فيها خريجي تخصص علم الآثار للاهتمام بالقطع الأثرية وصيانتها ومعالجتها وترتيبها، أفضل من توظيف حاملي الشهادات الإدارية لتسيير المخبر إداريا فقط.

➤ ومن الآفاق التي يسعى إليها تخصص علم الآثار هو فتح تخصص آثار ما تحت الماء، هذا التخصص يهتم بالآثار الغارقة في البحار والمحيطات، وهو تخصص جديد تسعى الجزائر إلى تفعيله على أرض الواقع، خاصة أن الجزائر تربع على شريط ساحلي كبير يقدر بـ 1200 كم فالجزائر تضم الكثير من الآثار المغمورة بالمياه على طول ساحلها المتوسطي، تعود لحقب زمنية مختلفة كالفينيقية والرومانية والتركية، وقد خصص المركز الوطني في علم الآثار العدد الثاني من مجلة " أن أ أ " (NAA) لعلم الآثار المغمور بالمياه، وأورد فيه الاتفاقية مع منظمة اليونسكو عام 2001م المتعلقة بحماية التراث الثقافي المغمور بالمياه، والهادفة لثمين وحفظ التراث الثقافي العالمي المغمور بالمياه، وهي اتفاقية دولية وقعت عليها أكثر من (60) دولة بينها الجزائر التي انضمت إليها في 2015م¹⁴.



عن: (<http://www.aps.dz/ar/culture/84470-2020-02-28-19->)

(00-28)

➤ تكثيف التبرصات الميدانية، وتعد هذه الاستراتيجية متميزة في تخصص علم الآثار لأنها ساهمت في فض القطيعة بين ما هو نظري وما هو تطبيقي، ففتح للمتكون إمكانات عديدة لاستثمار معارفه ومكتسباته وربطها وتطبيقها على أرض الواقع، وهذا كله يدخل في اجتهاد الكوادر الأثرية من أساتذة وباحثين في الرفع من شأن الدراسات الأثرية، فعندما تسأل الطلبة عن سبب اختيارهم لتخصص الآثار يقولون أن أول شيء يستهويهم، ويجذبهم إلى هذا التخصص هو المغامرة في الميدان للخروج من الطابع الكلاسيكي التقليدي وهو التدريس النظري في القاعات إلى طابع الاستكشاف والبحث على أرض الواقع.

الآفاق الاجتماعية:

تتمثل الآفاق الاجتماعية للنهوض بتخصص الآثار في:

➤ السعي إلى إحداث تحولات اجتماعية جذرية داخل المجتمعات المحلية، لتطوير الإمكانات المجتمعية للتعامل مع الثقافات الماضية، وإعادة إحيائها للتعامل بها مع الثقافات الوافدة بغرض إيجاد نوع من التجانس بين المنظومة الاجتماعية المحلية والمنظومة الاجتماعية الوافدة.

➤ دمج المجتمعات المحلية مع متطلبات العصر في التخطيط السياحي والتنمية السياحية التي يمكن تنشيطها من خلال الموروث المادي.

الآفاق الثقافية والتربوية:

لتحقيق غاية نشر الوعي بقيمة الآثار يجب الانطلاق من تربية جماعية وثقافية ووعي كبير بين مختلف الفئات في المجتمع، وإشراك المؤسسات الفاعلة في قطاع التراث والثقافة حتى يتمكن من تحضير أجيال تتمتع بالحس المدني اتجاه تاريخها وتراثها خاصة مع التطور الهائل لتكنولوجيا نقل وعرض المعلومات التي يمكن استخدامها وتوظيفها بطريقة تجعل من تعميم نشر تاريخ وتراث الجزائر عاملا من عوامل النهوض بالقطاع السياحي¹⁵ فمن آفاق الدراسة الثقافية والتربوية في تخصص الآثار هو:

➤ السعي لإنشاء متاحف أثرية طبيعية أو تعبيرية، للحفاظ على الذاكرة خصوصا بالنسبة للجزائر كبلد يمتلك موروثا ثقافيا ضخما ومتنوعا¹⁶

➤ تكوين مرشدين وملحقين بالحفظ قادرين على تسيير المتاحف بأنواعها التاريخية والتراثية والعامية والقومية والعلمية وغيرها.

➤ ويمكننا بهذا التخصص إعادة إحياء الطراز المعماري والفني الإسلامي في عمارتنا ومنشآتنا لنساهم في ربط الصلة بماضيها، وهو ما يعبر عن هويتنا من خلال لمسات معمارية تجسد هذه الصلة¹⁷.

دور الآثار وآفاقها في التنمية الاقتصادية:

لطالما اهتمت الشعوب بالإرث الأثري الذي خلفه الإنسان عبر العصور، وتاقت لمعرفة أسرارها أينما وجد، فشدت إليه الرحال وأنفقت في سبيله الأموال، لتتكون بذلك دون قصد ديناميكية اقتصادية تنعش خزائن الدول وتنمي اقتصادها.

هذه الديناميكية حركت مساعي الدول للاستثمار في موارثها الثقافي والأثري، وجعلته موردا اقتصاديا قوي المناعة يضيء التجارة والصناعة، فعظمت فكرة الانتفاع الاقتصادي بآثار البلاد والاستفادة منها اقتصاديا خاصة لدى الدول الأوروبية، ونتيجة لذلك تبلورت فكرة الانتفاع الاقتصادي بالآثار، فعمدت إلى إنشاء المتاحف لعرض المقتنيات والاستفادة منها اقتصاديا، فكانت بذلك الرائدة في السياحة على غرار تركيا،

مصر، الأردن، المغرب، تونس، اسبانيا، وغيرها من الدول التي تحظى بزيارة الملايين من الأفراد سنويا للتمتع بأطلال حضارتها.

وها هي الجزائر تحاول لحاق الركب الذي تأخرت عنه رغم الزخم الأثري التاريخي والطبيعي الذي تملكه. وعلى أهمية هذا المسعى الذي أطلقت بموجبه عديد الورشات لإعادة احصاء المواقع الأثرية والتي أصبحت تعد في قائمتها بفعل ذلك ما يتجاوز 15 ألف موقعا، خطوة ثمنت بها الوزارة تدعيم الشباب الطموح ودعته للترويج والاستثمار من خلال مؤسسات ناشئة تعيد المكانة التاريخية لهذه المواقع الأثرية باعتمادها خاصة على المؤهلات الأثرية من أماكن ومناطق أثرية محمية، كما تعتمد على اليد العاملة المؤهلة القادرة على تسيير الممتلكات الأثرية والتاريخية والتي تعود بالإيجاب على اقتصاد الدولة

كما تكمن الأهمية الاقتصادية لما تفتحه من آفاق في مجال السياحة فهي تعتبر من عوامل الجذب السياحي الذي تعتمد عليه كبريات الدول، وهو ما يدفع السياح إلى تفضيل بلد أو منطقة عن أخرى وتزخر الجزائر بمقومات سياحية كبيرة سواء كانت طبيعية أو ثقافية أو تاريخية، ومنها المقومات الأثرية التي يمكن استغلالها في صناعة السياحة، ويهدف هذا النوع من السياحة إلى استغلال الآثار وحمايتها من الزوال والتآكل والإهمال الذي أتى على معظم المعالم الأثرية، فتحقق التنمية الاقتصادية المحلية والوطنية.

فالسياحة التاريخية والأثرية تعد من أهم السياحات باعتبارها محط اهتمام الكثير من السائحين، بزيارة الأماكن التاريخية والأثرية، والجزائر على غرار الدول الأخرى تملك عددا معتبرا من المناطق الأثرية والتاريخية لحضارات متعاقبة منتشرة على كافة التراب الوطني كتييمقاد، جميلة، شرشال، تيبازة، قلعة بني حماد و... الخ، خاصة وأن الجزائر تحوز على 1000 موقع مصنّف ضمن التراث الوطني، بالإضافة إلى 8 مواقع مصنفة ضمن التراث العالمي الإنساني¹⁸ وهذا ما يجعل الطلب يتزايد على انشاء الفنادق واستثمارها.

وقد أفصح الأستاذ الدكتور عبد القادر دحدوح مدير الديوان الوطني لتسيير الممتلكات الثقافية في حوار له مع الاذاعة الثقافية الجزائرية عن مجموعة من التدابير والاجراءات التي تفضي إلى تحسين الأداء السياحي لهذه المواقع والمتاحف، تم خلالها عرض دفتر شروط يتيح للمؤسسات الصغيرة وأصحاب الحرف المشاركة في مزايدات لاستغلال هذه الأماكن وتأثيرها بمحلات تجارية لبيع التحف والمنتجات الحرفية، ومطاعم مختصة في الأكلات التقليدية تحاكي في تقديمها الحقب الزمنية للمكان، وكذا مرافق وأماكن للراحة تجاورها

أستوديوهات للتصوير بالزبي التقليدي، تضاف لها مشاريع لمؤسسات ناشئة هي قيد التعاقد تحمل أفكارا ابتكارية تعيد تشكيل المكانة التاريخية لهذه المواقع بصور افتراضية ثلاثية الأبعاد، تتطلب اللجوء إلى استعمال البرامج المعلوماتية والرقمية من أجل تنظيم طريقة تسيير البنى التنظيمية للمؤسسات بشكل يؤهلها لتنظيم أساليب عملها من تسيير، وتخزين، وعرض، وترويج، وخلق الفضول للزيارة، والاستمتاع ورؤية النسخ الأصلية على الطبيعة¹⁹.

وهي جهود تبذل يقول الأستاذ دحدوح وستليها أخرى من شأنها حلحلة مشكل العجز المسجل في عدد المرشدين السياحيين، ومختلف الموارد البشرية المتخصصة، وذلك من خلال آلية جديدة تهدف إلى تكوين مرشدين أثريين يعملون مع الديوان الوطني في إطار تعاقد يرهن أجورهم بمستوى أدائهم الترويجي وعدد الزوار الذين نجحوا في استقطابهم، وستدفع هذه الحركة مجموعة من القطاعات كالنقل والخدمات والصحة، إضافة إلى خلق مناصب شغل وجلب للعملة الأجنبية، بل وستخلق على إثر ذلك تنمية اقتصادية حقيقية ومستدامة تضاهي في مداخيلها الإيرادات البترولية.

فمن الآفاق أيضا التمكن من تلبية احتياجات سوق العمل حسب الخصوصيات الجهوية وحسب التوزيع الجغرافي للطلبة المتخرجين والتأطير الأمثل لمختلف المؤسسات الثقافية والسياحية كمدىريات الثقافة والوكالات السياحية والمتاحف والحظائر على مستوى كل التراب الوطني.

➤ توفير فرص عمل جديدة ومتجددة بالمناطق والمواقع الأثرية لتلبية الطلب السياحي عليها.

➤ توفير العملة الصعبة وما ينجم عنها من رفع المستوى المعيشي للمجتمع المحلي، وتدعيم التنمية على المستوى الإقليمي والوطني.

➤ دعم الأنشطة الاقتصادية الأخرى في قطاع الصناعات والحرف التقليدية وخدماتية كقطاع النقل يمكن أن تقدمها في المواقع الأثرية.

➤ المحافظة على مواقع التراث الأثري، حيث يشكل استغلالها في إطار السياحة الأثرية حافزا للمحافظة عليها بترميمها وحراستها من السرقة والتخريب.

➤ كما يمكن خلق ورشات ومخابر تابعة للكلية أو الجامعة لتوليد الثروة، وتصبح هذه المخابر مولدة للدخل الجامعي عن طريق محاكاة القطع الأثرية والفنية وإعادة استنساخ قوالب منها لبيعها على شكل

تذكريات سياحية تدر عليها أموالا طائلة، كما يمكن خلق فرص عمل فردية لطلبة الصيانة والترميم بفتح مشاريع مصغرة لتوظيف مهاراتهم ومعارفهم التي اكتسبوها في ورشات الترميم بالكلية، لأن ميدان الصيانة والترميم يجعل الطالب يتعرف على خصائص الأثر ومكوناته وإدراك طريقة صنعه أو إنشائه وخصائص مادته الخام، وإتقان طريقة إعادة تشكيل نموذج مماثل للأثر نفسه، وهذا ما يجعل الطلاب يطلعون على أسرار المهنة ويسيطرون على طريقة تقليدها²⁰.

خاتمة:

إن التكوين الناجح في تخصص علم الآثار قد يجعله نموذجا يربط البحث العلمي بقيمته الإنتاجية التي تتقاطع مع المقاربة المستقبلية للتعليم الجامعي، ولهذا يجب على المختصين أن ينطلقوا من رؤية استشرافية توازن بين الطموح والواقع وتوازن بين التخطيط والانجاز، مرتكزة في ذلك على الاجتهاد والتقويم والفعل، ودفع الكفاءات للمساهمة في عملية البناء والتنمية، وعلينا أن ندرك أهمية تخصص الآثار ودوره في المشاركة الايجابية في بناء المجتمع وتنميته (نشر الوعي الأثري والحفاظ على الهوية الجزائرية).

إن دراسة الآثار بكل تخصصاتها يعتبر جزءا مكونا للتراث الذي هو مقوم أساسي للهوية الجزائرية، وإن الحاجة اليوم أصبحت أكثر إلحاحا على التمسك بهذه الهوية في مختلف مكوناتها الدينية واللغوية والثقافية، ذلك أن المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الإسلامية المعاصرة يعاني من تحديات مختلفة، يقصد بها إضعاف هذه الهوية.

ومن بين الرهانات المستقبلية للجزائر التوجه نحو تنفيذ استراتيجية شاملة وإعادة الاعتبار لتخصص علم الآثار، على الرغم من توفر مدنا على كل المؤهلات الأثرية من مواقع ومعالم يمكن أن تساهم في تحسين صورة المدن وخلق الثروة وتنمية الأقاليم.

لقد أخذت الكوادر الوطنية الجزائرية على عاتقها مسؤولية القيام بمهام إدارة الجوانب الأثرية في الجزائر إداريا وقانونيا وفتيا، وكان لها الدور البارز والأكبر في رسم طريق التطور لعلم الآثار بعيدا عن السيطرة الأجنبية ولو بشكل نسبي.

وكان من جملة الآفاق التي يمكن أن يصل إليها تخصص الآثار في الوقت القريب هو استخدام الحاسب الآلي ووسائل التكنولوجيا الحديثة التي تخدم علم الآثار، وتوظيف المكتسبات والمهارات في التنقيب والترميم في المواقع الأثرية مهما كانت صعوبتها المناخية.

ولو وقفنا في عرض هذا المخطط على الجهات المعنية والمختصة فسنكون قد توصلنا إلى إنقاذ الآثار وحمايتها ودراستها وتكوين الكوادر العلمية، بما يتطلبه سوق العمل والبحث الأكاديمي، وفتح الباب أمام المشاريع الاقتصادية التي تعتمد على السياحة الأثرية، وزيادة تفعيل دور الإعلام في توضيح أهمية الآثار بكل جوانبها. وإذا استطعنا تحقيق هذه الاقتراحات والآفاق، فإنه حتما ستكون هناك عدة نتائج إيجابية تعود بالفائدة على الاقتصاد الوطني، وتساهم مساهمة كبيرة في بنائه.

الهوامش:

1 عمر جسام العزاوي، أقسام علم الآثار في الجامعات العراقية وسبل تطوير الدراسات الأكاديمية فيها، أشروبانبيال للثقافة، ط1، 2019، ص. 13.

2 عمر جسام العزاوي، المرجع نفسه، ص.ص. 13، 20.

3 زبيدة نويبات، "مفهوم المتحف ودوره في تربية النشء والحفاظ على الهوية الوطنية"، في مجلة بوليكرومي، يصدرها المتحف العمومي الوطني للفنون والتعبير الثقافية التقليدية، العدد 2، 2014_2015، ص.52.

4 عمر جسام العزاوي، المرجع السابق، ص. 24.

5 خديجة منصور، "البحث الأثري في الجزائر أثناء الاحتلال"، مجلة آثار، يصدرها معهد الآثار بجامعة الجزائر، العدد 5، 1999، ص.ص. 25-28.

6 <https://www.easyunime.com/archeology>

7 عمر جسام العزاوي، المرجع السابق، ص. 17.

8 <https://www.arageek.com/edu/archeology>

9 <https://www.easyunime.com/archeology>

10 عمر جسام العزاوي، المرجع السابق، ص. 23.

11 إسلام عبد الله عبد الغني غانم، "أهمية الآثار الاقتصادية والتاريخية والأركيولوجيا لدول شمال أفريقيا: نظرة أنثروبولوجية"، في مجلة أفكار وأفاق، العدد 9، 2017، ص.29.

- ¹² إسلام عبد الله عبد الغني غانم، "المرجع نفسه، ص. 41.
- ¹³ عمر جسام العزاوي، المرجع السابق، ص. 60-61.
- ¹⁴ أدرج يوم الجمعة 28 فبراير 2020 الساعة 19:55 - <http://www.aps.dz/ar/culture/84470> (2020-02-28-19-00-28)
- ¹⁵ حسان حججاج، "التراث الثقافي والسياحي لقسنطينة والأشكال المعاصرة للإعلام والاتصال"، في مجلة بوليكرومي، يصدرها المتحف العمومي الوطني للفنون والتعبير الثقافية التقليدية، العدد 2، 2014_2015، ص. 125.
- ¹⁶ غريب زعرة، "دور المتحف في الحفاظ على الذاكرة"، في مجلة بوليكرومي، يصدرها المتحف العمومي الوطني للفنون والتعبير الثقافية التقليدية، العدد 2، 2014_2015، ص. 48.
- ¹⁷ محمد البشير شنيقي، "التراث الحضاري ودور البحث في تثمينه"، مجلة آثار، يصدرها معهد الآثار بجامعة الجزائر، العدد 5، 1999، ص. 23-24.
- ¹⁸ إسلام عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص. 34.
- ¹⁹ حسان حججاج، المرجع السابق، ص. 124-125.
- ²⁰ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص. 23-24.

قائمة المراجع:

- 1- حججاج حسان ، "التراث الثقافي والسياحي لقسنطينة والأشكال المعاصرة للإعلام والاتصال"، في مجلة بوليكرومي، يصدرها المتحف العمومي الوطني للفنون والتعبير الثقافية التقليدية، العدد 2، 2014_2015، ص. 125-130.
- 2- زعرة غريب ، "دور المتحف في الحفاظ على الذاكرة"، في مجلة بوليكرومي، يصدرها المتحف العمومي الوطني للفنون والتعبير الثقافية التقليدية، العدد 2، 2014_2015، ص. 46-52.
- 3- شنيقي محمد البشير ، "التراث الحضاري ودور البحث في تثمينه"، مجلة آثار، يصدرها معهد الآثار بجامعة الجزائر، العدد 5، 1999، ص. 15-24.
- 4- العزاوي عمر جسام ، أقسام علم الآثار في الجامعات العراقية وسبل تطوير الدراسات الأكاديمية فيها، أشروبانينال للثقافة، ط1، 2019.
- 5- غانم إسلام عبد الله عبد الغني ، "أهمية الآثار الاقتصادية والتاريخية والأركيولوجيا لدول شمال إفريقيا: نظرة أنثروبولوجية"، في مجلة أفكار وأفاق، العدد 9، 2017، ص. 29-46.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

6- منصورى خديجة ، " البحث الأثرى فى الجزائر أثناء الاحتلال"، مجلة آثار، يصدرها معهد الآثار بجامعة الجزائر، العدد 5، 1999، ص.ص. 25- 40

7- نويات زبيدة ، " مفهوم المتحف ودوره فى تربية النشء والحفاظ على الهوية الوطنية"، فى مجلة بوليكرومي، يصدرها المتحف العمومي الوطني للفنون والتعبير الثقافية التقليدية، العدد 2، 2014_2015، ص.ص. 50-58.
مواقع الكترونية:

<http://www.aps.dz/ar/culture/84470-2020-02-28-19-00-28>

1- <https://www.easyunime.com/archeology>

<https://www.arageek.com/edu/archeology>

<https://www.easyunime.com/archeology>

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأدب واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

تطبيق نظرية صفوف الانتظار بمستودعات المشتقات النفطية في محافظة البصرة عام 2020

- دراسة في جغرافية النقل -

م.د علي حسين خميس

جمهورية العراق - جامعة البصرة / كلية التربية للبنات / قسم الجغرافيا

alikhamees112@gmail.com.

تاريخ الإيداع: 2020/11/11 م تاريخ التحكيم: 2020/11/13 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

المستخلص:

تعد نظرية صفوف الانتظار من الادوات المهمة والمستعملة من قبل بعض الباحثين في جغرافيا النقل في تحليل نظام النقل لأي قطاع نقل او خدمة نقلية ، ومنها مستودعات المشتقات النفطية اذ يمكن من خلالها التعرف على نوع نظام النقل الموجود وزمن الخدمة وكفاءة الخدمة المقدمة للصهاريج المحملة في محافظة البصرة.

جرى تحليل بيانات الوصول والخدمة لمستودعات المشتقات النفطية باستخدام برنامج (Win QSB) للوصول للنتائج المطلوبة للبحث وإيجاد مقاييس $(\lambda, \mu, P_0, W_q, W_s, L_q, L_s)$ ، والتي اظهرت بأن الخدمات التي تقدمها مستودعات المشتقات النفطية في محافظة البصرة متباينة ومتغيرة تبعاً لعدة مؤثرات منها الخوادم الموجودة في كل مستودع والطلب المحلي وزمن الخدمة ، ولوحظ بان بعض المشتقات النفطية يمكن استغلالها من قبل الدولة سيما وان معدل احتمال ان تكون جميع الخوادم غير عاملة يصل الى اقل من 30 % ، وان نوع نظام النقل الموجود متشابه في جميع مستودعات المشتقات النفطية هو $M/M/D:FCFS/\infty/\infty$.

الكلمات المفتاحية: نظرية صفوف الانتظار - مستودعات المشتقات النفطية - محافظة البصرة.

Application of the theory of waiting lines in oil derivatives depots in Basra

Governorate in 2020

Dr. Ali Husain Khamees

Basrah University -College of Education for Girls -The Republic of Iraq

alikhamees112@gmail.com

Abstract

The theory of waiting lines is one of the important tools used by some researchers in transport geography in analyzing the transportation system for any transport sector or transport service, including oil derivatives depots, as it is possible to identify the type of transport system in place, the time of service and the efficiency of the service provided to the tanks loaded in the province of Basra.

The access and service data for oil derivatives depots were analyzed using the (Win QSB) program to reach the results required for the search and find measures ($\mu, \lambda, P_0, L_s, L_q, W_s, W_q$) which showed that the services provided by the oil derivatives warehouses in Basra Governorate are varied and variable. According to several influences, including the servers in each warehouse, the local demand and the time of service, it has been observed that some oil derivatives can be exploited by the state, especially since the probability that all servers are inactive is less than 30% and that the type of transport system in place is similar in all ODP is M / M / D: FCFS / ∞ / ∞ .

Key words: The theory of waiting lines - Depots of oil derivatives - Basra Governorate.

المقدمة:

تعد مشكلة الانتظار احدى اهم المشكلات التي تعاني منها عمليات النقل ومنها مشكلة الانتظار في مستودعات المشتقات النفطية ، من اهم سمات التطور الاقتصادي لأي نظام هو عامل الزمن ، لذا فالمنشآت لا تعتمد في تطورها على ما تحتويه من تجهيزات ومعدات ومحازن وادارة في الداخل فقط وانما تعتمد في عملها الاساسي على السرعة في الانجاز تجهيز المنتوجات المختلفة التي نعد ضرورة قصوى وملحة في حياة النظام الاقتصادي للمجتمع.

يعد الزمن عاملاً فعالاً في نقل المشتقات النفطية سيما وأنه يعد اهم عنصر في تحديد احد اهم القواعد الاقتصادية ومدى مقدار درجة تميز الخدمة التي تؤديها ، لذا نجد مستودعات المشتقات النفطية بمحافظة البصرة تتنافس فيما بينها من اجل تقديم اسرع وافضل خدمة لتحميل وتفريغ الصهاريج ، والتي تتمثل بالأفراد وشركات النقل المخدومة من قبلها لنقل المشتقات النفطية لكافة محافظات العراق . ان تطبيق نظرية صفوف الانتظار على سرعة تحميل الصهاريج في مستودعات النفطية يعد من الامور المهمة للتعرف على طبيعة الخدمة النقلية المقدمة على أسس علمية منطقية فيها ، وتحديد مدى الخدمة المقدمة لهذه المستودعات.

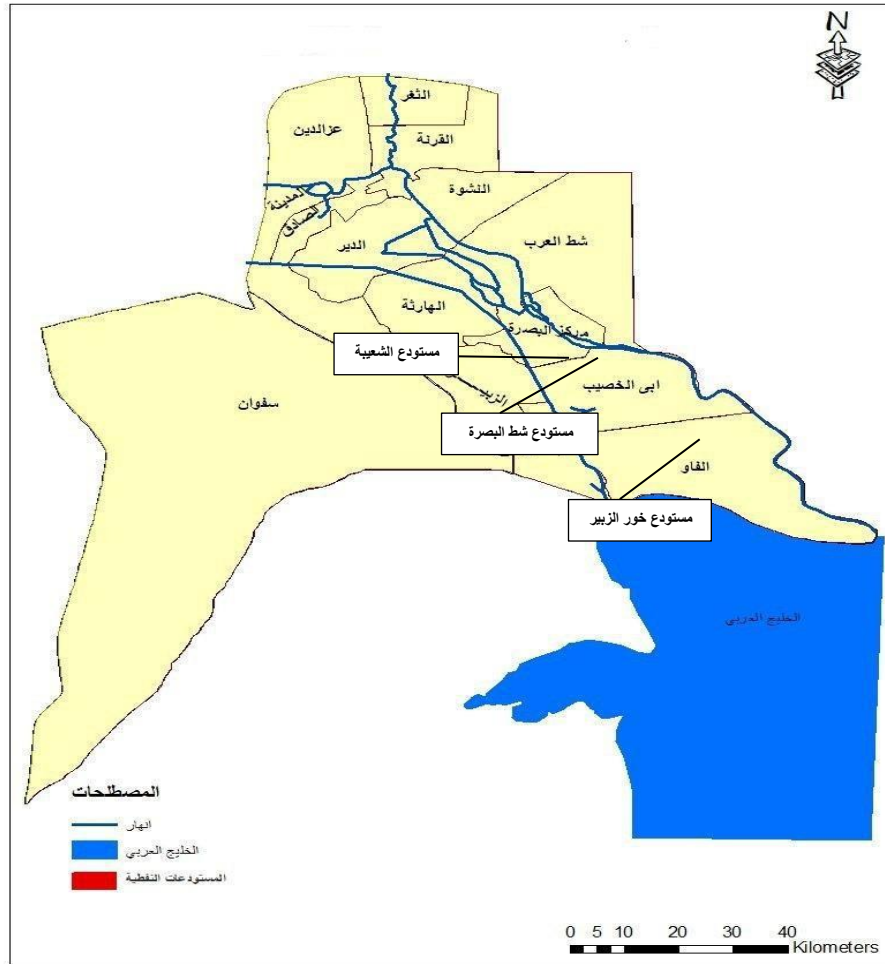
مشكلة البحث: يمكن تلخيص مشكلة البحث بالاتي:

1. ما مدى توفر بيانات يمكن من خلالها تحديد نوع صف الانتظار (الارتال) في جميع المستودعات للمشتقات النفطية في محافظة البصرة.
2. عدم معرفة كفاءة نظام ونمط نقل المشتقات النفطية بواسطة الصهاريج في محافظة البصرة.

3. هل بالإمكان تقديم الخدمات النقلية الى المخدمين بمستوى افضل او بما يحقق رضاهم.
فرضية البحث: افترض البحث أجابات مستقلة تعالج مشكلة البحث وسيتم التحقق من صحتها وكما يأتي:
 1. تحديد وايجاد بيانات دورية دقيقة لنظرية صفوف الانتظار للمستودعات للمشتقات النفطية في محافظة البصرة.
 2. تحديد وتحليل نموذج صف الانتظار في مستودعات المشتقات النفطية في محافظة البصرة هو من النمط $M/M/D: FCFS/\infty/\infty$.
 3. ان صف الانتظار والخدمات المقدمة الى للمستفيدين من صهاريج النقل تعد جيدة في جميع المستودعات بمحافظة البصرة وبالإمكان استغلال الطاقات المتاحة غير المستغلة فيها.**هدف البحث:** تحمل اهداف البحث بالاتي :
 1. تحديد متوسط زمن الوقوف والخدمة في صف الانتظار لكل المستودعات بمحافظة .
 2. تقييم جودة خدمات النقل المقدمة ولرسم نموذج لنظرية صفوف الانتظار في مستودعات النفطية .
 3. توفير قاعدة بيانات الاحصائية التي تساعد بالتعرف على نمط الانتظار في المستودعات النفطية وامكانية معالجتها ومدى امكانية تطوير هذا المستودع النفطي بيان دور نظرية صفوف الانتظار في معرفة زمن الانتظار للصهاريج النفطية وتقديم افضل مستوى للزبون.**الحدود للبحث:** يمكن تحديد حدود البحث بالاتي:
 1. الحدود المكانية : تتحدد الحدود المكانية لمنطقة البحث تقع ضمن محافظة البصرة وتحديداً ضمن موقع مستودع الشعبية الذي يبعد عن مدينة البصرة 20 كم ومستودع شط البصرة الذي يبعد 15 كم عن مدينة البصرة ومستودع خور الزبير الذي يبعد 105 كم ، كما في الخريطة (1).
 2. الحدود الزمانية : تقف حدود المعرفة للمحور الزماني في اوقات تحميل الصهاريج الحوضية في للمستودعات ابتداءً من 9/1 الى غاية 9/15 /2020.
 3. الحدود القطاعية : المتمثلة بشركة خطوط الانابيب النفطية - هيئة عمليات الجنوب.

خريطة (1)

مستودعات المشتقات النفطية في محافظة البصرة عام 2020



المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على : شركة الخطوط والانايب ، هيئة عمليات الجنوب ، معلومات غير منشورة ، 2020.

منهجية البحث: يعتمد البحث على:

1. المنهج الاستقرائي الوصفي للظاهرة الجغرافية من خلال عرض المفاهيم المختلفة والمتعلقة بصنوف الانتظار لتحسين جوده الخدمة ومن خلال الدراسة الميدانية .

2. الأسلوب الإحصائي باستخدام برنامج الإحصائي win QSP في معالجة البيانات والتحليل لها لعام 2020.

هيكلية البحث: اقتضت هيكلية البحث ان تكون على النحو التالي:

أولاً: الجانب النظري:

1. أصل ومفهوم النظرية: يعد الباحث وعالم الرياضيات الإحصائي الدنماركي A.K. Earling اول من اوجد نظرية صفوف الانتظار في محاولة منه لإيجاد الحلول لمشكلة الازدحام في نظام خدمة المكالمات الهاتفية وتأخير تقديم الخدمة للمتصلين ويمكن وصفها بأنها احدى نماذج النقل التي تستهدف تصور واقع موضوعي معين من اجل اتخاذ قرار من اجل تقليل وقت الانتظار⁽¹⁾، او مساهمته للوصول للتصميم الامثل بطريقة تضمن حصول كل وحده من وحدات صف الانتظار على الخدمة بأكبر فائدة ممكنة وتحديد عدد صفوف الانتظار وطول كل صف، واستخدام اساليب رياضية تهدف الى تحقيق مقاييس صفوف الانتظار كمتوسط وقت الانتظار في الصف/ ونتاجية مراكز الخدمة والتي يمكن استخدامها لتصميم مراكز الخدمة ومنها المستودعات النفطية⁽²⁾.

2. انواع انظمة صفوف الانتظار: الصفوف هي طوابير الصهاريج الذين يصلون الى المستودعات ، وينتظرون في صف اذا كانت الخدمة في المستودعات مشغولة يصطفون على شكل خطوط منظمة ، ثم يغادرون المستودعات بعد الحصول على الخدمة المقدمة لهم ، اما نظام الصفوف فهو مقدمي الخدمة (شتمعات التحميل في المستودع النفطي)⁽³⁾، ويصنف نظام صف الانتظار الى النماذج الاربعة التالية⁽⁴⁾:

أ. نموذج مركز خدمة بمرحلة واحد مع صف واحد: هو النموذج ابسط انواع صفوف الانتظار ، كما في الشكل (1).

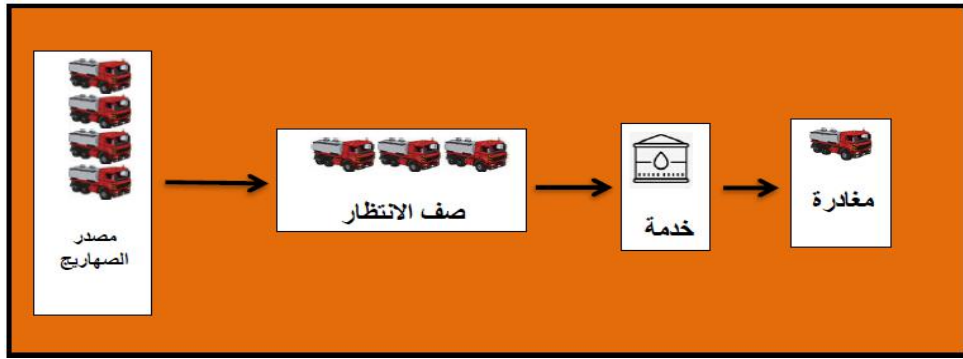
ب. نموذج مراكز خدمة متوازية لصف واحد: هو عبارة عن صف واحد واكثر من مصدر خدمة موجود ، كما في الشكل (2)⁽⁵⁾.

ت. نموذج محطات خدمة متعاقبة لصف واحد: هي مركز خدمة يحتوي على عدة مراحل متتابعة يقدم الخدمة على شكل مراحل لنفس الوحدة حتى يتم آخر مرحلة من الخدمة وخروجها من النظام ، كما في الشكل (3).

ث. نموذج مراكز خدمة متوازية لصفوف متوازية: في هذا النموذج ينتظم طالبي الخدمة في امام كل مركز ويتلقى الخدمة داخل كل مركز بعبء ، كما في الشكل (4)(6).

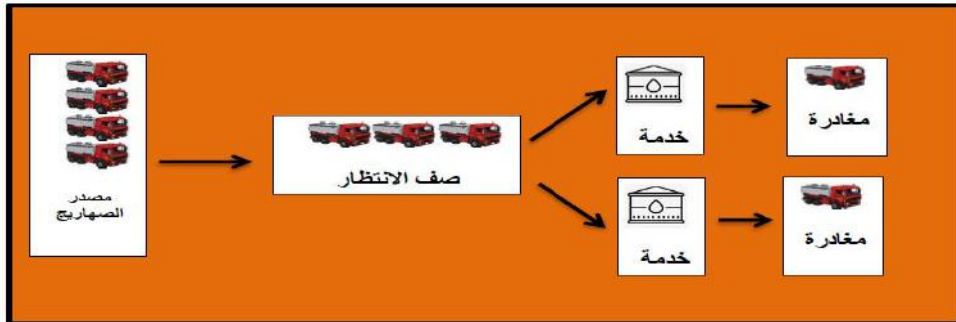
الشكل (1)

صف احادي مقدم الخدمة احادي



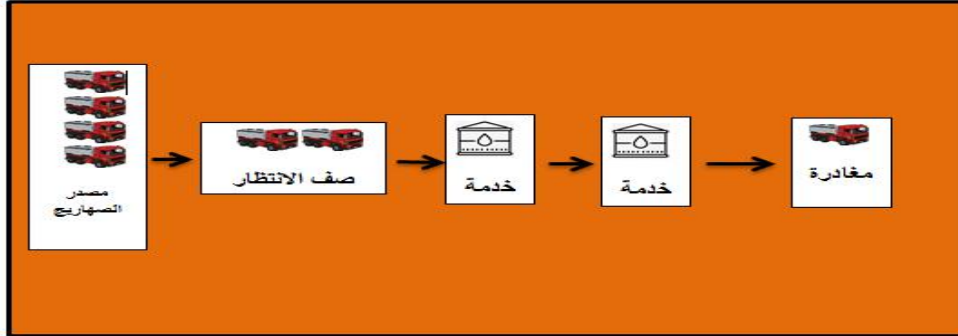
الشكل (2)

أحادي الصف والخدمة بالتوازي



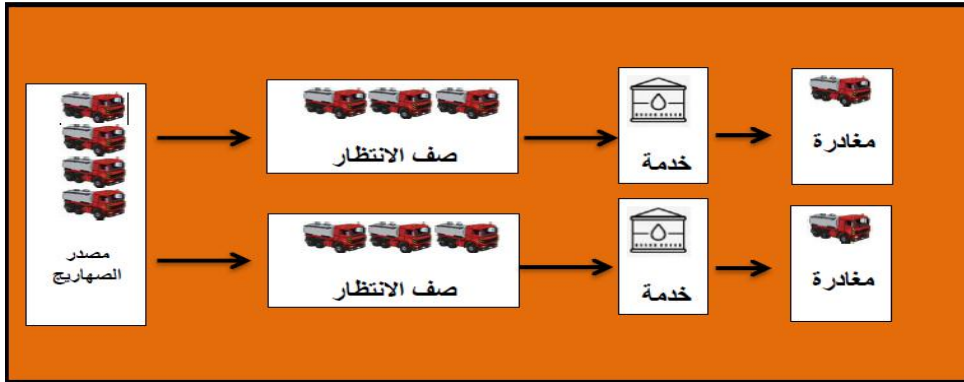
الشكل (3)

صف احادي والخدمة على التوازي



الشكل (4)

اكثر من صف وخدمات على التوازي



3. نظم الخدمة: هو اسلوب اختيار الوحدة التي يقدم لها الخدمة وهي بأربع انماط (7):
- أ. من يأتي أولاً يخدم أولاً (First come , first served) ، (FCFS).
 - ب. من يأتي اخيراً يخدم أولاً (Last comes , first served) ، (LCFS).
 - ت. الحالة الخدمة العشوائية (System service randomly) ، (Ra-S).

ث. حالة الخدمة حسب الأسبقية (The service takes precedence) ، (Ra-) ، (S)⁽⁸⁾.

4. زمن الخدمة: هو الزمن الازم لتقديم الخدمة ، وقد يكون زمن الخدمة ثابتاً ومحدداً ، او متغيراً عشوائياً غير محدد ، وقد يعتمد على عدد الزبائن الموجودين مسبقاً بمكان الخدمة ، وقد يكون حالة مستقلة.

5. انماط الوصول: وهو زمن الوصول لمكان الخدمة ، وقد يكون ثابتاً ومحدداً أو متغيراً عشوائياً غير محدد ، وقد يعتمد على عدد الزبائن في النظام ، وقد يكون حالة مستقلة⁽⁹⁾.

6. طاقة النظام: هي عدد من الزبائن سواء كانوا في مرحلة الخدمة والانتظار المسموح لهم التواجد بمكان الخدمة في نفس الوقت ، وقد يكون عدد الزبائن غير محدود (طاقة غير محدودة) او عدد محدود من الزبائن (طاقة محدودة).

7. الصيغة الرياضية لنموذج صف الانتظار ومقياس الاداء لها: يوجد أكثر من صيغة رياضية لنموذج صف الانتظار حسب نظام صف الانتظار الموجود دراسته الا ان لها صيغة رياضية واحدة اساسية هي⁽¹⁰⁾:

$$P_0 = \left[\sum_{n=0}^{S-1} \frac{\rho^n}{n!} + \frac{\rho^s}{s!} * \frac{s\mu}{s\mu - \lambda} \right]^{-1} \quad \text{for } s < \mu\lambda, \quad \rho = \frac{\lambda}{\mu}$$

$$P_n = \begin{cases} P_0 * \frac{(\frac{\lambda}{\mu})^n}{n!} & \text{if } 0 \leq n \leq s \\ P_0 * \frac{(\frac{\lambda}{\mu})^n}{s!s^{n-s}} & \text{if } n \geq s \end{cases} \quad \text{2- احتمال وجود عدد } n \text{ في النظام في أي وقت}$$

$$L_q = P_0 \frac{(\frac{\lambda}{\mu})^s \frac{\lambda}{s\mu}}{s! \left(1 - \frac{\lambda}{\mu s}\right)^2} \quad \text{3- العدد المتوقع للوحدات في الطابور}$$

4 - يمكن استخدام صيغة Little التي تربط بين عدد الوحدات في النظام والعدد في صف الانتظار $L_s = L_q + \frac{\lambda}{\mu}$ -5 كذلك بين زمن الانتظار وعدد الوحدات في النظام $w_q = L_q / \lambda$

6- يمكن استخراج زمن الانتظار في النظام من العلاقة التالية $W_s = W_q + \frac{1}{\mu}$

8. مقياس كفاءة صف الانتظار: يمكن تحديد اهم مقاييس المستخدمة لتمثيل النماذج الرياضية لنظرية صفوف الانتظار بالجدول (1)⁽¹¹⁾.

جدول (1)

رموز ومقاييس الاداء لأنظمة صفوف الانتظار

ت	الرمز	المقياس	مقياس الاداء
1	M	عدد الوحدات في النظام	هي عدد قنوات الخدمة
2	λ	معدل وصول الزبائن	هو معدل عدد الداخلين في صف الانتظار خلال الزمن
3	μ	معدل تقديم الخدمة	هو عدد المخدومين خلال الزمن
4	P	معامل الخدمة	هي متوسط الفترة الزمنية التي يكون فيها النظام مشغولاً بوحدة الزمن
5	P_0	معامل عدم الخدمة	هو عدم متوسط الفترة الزمنية التي يكون فيها النظام غير مشغولاً بوحدة الزمن
6	L_s	طول نظام الانتظار	هو عدد الزبائن الموجودين في مركز الخدمة بوقت معين
7	L_q	طول صف الانتظار	هو عدد الزبائن الموجودين في صف الانتظار في وقت معين ، هو من اهم المقاييس لقياس كفاءة النظام ، اذ بزيادة الصف تقل كفاءة النظام ⁽¹²⁾
8	W_s	الوقت الانتظار في النظام	هو الوقت المستغرق داخل صف الانتظار مع الوقت داخل النظام
9	W_q	الوقت الانتظار بالصف	هو الوقت المتوقع للانتظار داخل صف الانتظار مستثنى منه وقت الانتظار داخل مركز الخدمة ، وبزيادة وقت الانتظار تقل كفاءة النظام ⁽¹³⁾

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية.

ثانياً: الجانب التطبيقي:

1. التحليل الاحصائي لصف الانتظار في مستودع شط البصرة:

من خلال ادخال المعطيات والبيانات الاحصائية الميدانية لمستودع شط البصرة الذي يقوم بنقل منتوج زيت الغاز المستورد فقط لكل من معامل معدل وصول الزبائن λ ومعامل معدل تقديم الخدمة μ لبرنامج Win QSP عام 2020 ، كما في الجدول (2) ، يتضح الآتي:

أ. نوع النظام النقل: نوع نظام النقل هو يتبع نمط مصدر الخدمة غير المحدد لقدم الصهاريج وان طاقة نظام الخدمة المقدم من المستودع غير محدود ايضاً ، وأن نظام الصف يقوم على مبدأ من يأتي أولاً يخدم أولاً ، وعدد الخوادم 6 (شمعات التحميل) ويرمز للنظام في المستودع M/M/6:FCFS/∞/∞ بحسب نظرية صفوف الانتظار.

ب. معدل الوصول (λ): يبلغ معامل الوصول للصهاريج هو 20.3 صهريج في الساعة ، وهذا الامر يشير الى كثافة عدد الصهاريج الواصلة بسبب زيادة الطلب على هذا المنتوج محلياً ، على الرغم من وجود مستودعات اخرى تقوم بتحميل منتوج زيت الغاز.

ت. معدل تقديم الخدمة (μ): يبلغ معدل تقديم الخدمة هو 11.9 صهريج في الساعة ، وهذا الامر يعد جيداً نتيجة لوجود اكثر من خادم للتحميل (شمعات التحميل) والتي يبلغ عددها 6.

ث. معامل الاستخدام العام للنظام P_0 : ان متوسط الفترة الزمنية التي يكون فيها نظام النقل مشغولاً بوحدة الزمن هو 28.4% وتعد نسبه منخفضة نتيجة لوجود اكثر من مستودع للمشتقات النفطية تقوم بتحميل منتوج زيت الغاز.

ج. معدل عدد صهاريج الموجودة بالنظام L_s : بلغ عدد الصهاريج في نظام النقل هو 1.7 صهريج لنظام النقل الموجود في المستودع خلال فترة العمل ، وهذا يعد جيداً نتيجة لوجود اكثر من مستودع يقوم بتحميل منتوج زيت الغاز الى جانب مستودع شط البصرة.

ح. معدل عدد صهاريج الموجودة بصف الانتظار L_q : يعد هذا المعيار من اهم المعايير في نظرية صفوف الانتظار كونه يشير الى عدد الصهاريج في الصف ، وان اي زيادة في اعداد هذه الصهاريج سوف تشير الى عدم كفاءته نظام النقل في مستودع شط البصرة ، وقد بلغ عدد الصهاريج الموجودة في صف الانتظار هو 0.003 صهريج وهذا يدل على قوه كفاءة نظام النقل فيه ، وسرعة انجاز عمليات التحميل

للصهاريج بسبب وجود 6 خوادم (شمعات تحميل) تعمل بمضخات قوية جدا تصل الى اجمالي طاقة 1500 م³/ ساعة الامر الذي يقلل من زمن التحميل علما بان حمولة الصهريج الواحد هي 36000 لتر.

جدول (2)

نموذج صف الانتظار في مستودع شط البصرة وخور الزبير عام 2020

المستودع	شط البصرة	خور الزبير	ت
التفاصيل	زيت الغاز المستورد	بنزين عالي الاوكتان المستورد	زيت الغاز المستورد
النظام	M/M/6: FCFS/ ∞/∞	M/M/8: FCFS/ ∞/∞	M/M/8: FCFS/ ∞/∞
معدل وصول العملاء (λ) بالساعة	320.	913.	8.02
معدل الخدمة لكل خادم (μ) بالساعة	911.	714.	7.4
معدل الاستخدام العام للنظام P %	28.4	11.8	13.5
معدل عدد العملاء في النظام (Ls)	1.7	0.9	1.1
معدل عدد العملاء في قائمة الانتظار (Lq)	30.00	0	0
معدل الوقت الذي يقضيه العميل في النظام (Ws) بالساعة	0.08	0.07	0.13
معدل الوقت الذي يقضيه العميل في قائمة الانتظار (Wq) بالساعة	0.02	0	0
معدل احتمال أن تكون جميع الخوادم خاملة (P ₀) %	18.2	938.	33.9

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية.

خ. متوسط الوقت الانتظار للصحاريح في النظام Ws : هو الوقت المستغرق داخل صف الانتظار مع الوقت داخل النظام في مستودع شط البصرة وبلغ 0.08 بالساعة (4.8 دقيقة)، وهذا يدل بان نظام النقل يمتاز بالسرعة والكفاءة .

د. متوسط الوقت الانتظار الصحاريح في الصف بالمستودع Wq : هو الوقت المتوقع للانتظار داخل صف الانتظار مستثنى منه وقت الانتظار داخل مركز الخدمة ، وازيادة وقت الانتظار تقل كفاءة النظام . ان الوقت الانتظار للصحاريح داخل صف الانتظار يبلغ 0.02 بالساعة (1.2 دقيقة) مستثنى منه وقت الانتظار داخل مركز الخدمة ، وهذا يعني ان العمل في المستودع مستمر ولا يوجد اي توقف في عمليات التحميل للصحاريح بسبب سرعة انجاز التحميل.

ذ. احتمال عدم وجود اي صحاريح في النظام P_0 : احتمال عدم وجود خدمة في مستودع شط البصرة يبلغ 18.16% وهذا يشير بوجود طاقة استيعابية قليلة بالإمكان استغلالها بسبب استمرار عمليات تحميل الصحاريح في المستودع.

2. التحليل الاحصائي لصف الانتظار في مستودع خورالزبير: تم تطبيق نظرية صفوف الانتظار على كل من منتوج البنزين (عالي الاوكتان) ومنتوج زيت الغاز المستوردان كل التالي:

أ. منتوج البنزين (عالي الاوكتان) المستورد: من خلال ادخال المعطيات والبيانات الاحصائية لكل من معامل معدل وصول الزبائن λ و معامل معدل تقديم الخدمة μ لبرنامج Win QSP لعام 2020، كما في الجدول (2)، يتضح الاتي:

1. نوع النظام النقل: أن نوع نظام النقل لمنتوج البنزين (عالي الاوكتان) الموجود لصف الانتظار هو يتبع نمط مصدر الخدمة غير المحدد لقدم الصحاريح وان طاقة نظام الخدمة المقدم من المستودع غير محدود ايضاً، وأن نظام الصف يقوم على مبدأ من يأتي اولاً يخدم اولاً ، وان عدد الخوادم هو 8 (شمعات التحميل)، ويرمز لهما بالرمز حسب نظرية صفوف الانتظار، $M/M/8:FCFS/\infty/\infty$.

2. معدل الوصول (λ): يبلغ معامل الوصول للصحاريح المشتقات النفطية لمنتوج البنزين (عالي الاوكتان) هو 13.9 صحاريح بالساعة، الامر يعد جيداً خلال مدة العمل بسبب ارتفاع الطلب على البنزين (عالي الاوكتان).

3. **معدل تقديم الخدمة (μ):** بلغ معدل تقديم الخدمة للصهاريج هو 14.7 بالساعة للبنزين (عالي الاوكتان)، وهذا الامر يعد جيدا نتيجة لوجود 8 خوادم للتحميل (شمعات التحميل).
4. **معامل الاستخدام العام للنظام P:** وهذا يعني ان متوسط الفترة الزمنية التي يكون فيها نظام النقل في المستودع مشغولا بوحدة الزمن لمنتوج هو البنزين (عالي الاوكتان) 8.11%، وتعد هذه نسبة منخفضة في هذا النظام نتيجة لوجود منافس منتوج البنزين (عالي الاوكتان) المحلي في مستودع الشعبية مما يقلل الضغط على عمليات التحميل في المستودع.
5. **معدل عدد الصهاريج بالنظام Ls:** بلغ عدد الصهاريج في نظام النقل هو 0.9 صهريج لمنتوج البنزين (عالي الاوكتان)، لنظام النقل الموجود في المستودع خلال فترة العمل ويعد هذا المعدل منخفض نتيجة لسرعة العمل في المستودع.
6. **معدل عدد صهاريج بصف الانتظار Lq:** يعد من اهم المقاييس لقياس كفاءة النظام ، اذ بزيادة الصف تقل كفاءة النظام ، ويبلغ 0 صهريج لصف الانتظار لكل من البنزين (عالي الاوكتان)، وهذا يدل على قوه كفاءة نظام النقل فيه ، وسرعة انجاز عمليات التحميل للصهاريج بسبب وجود 8 خوادم (شمعات تحميل) تعمل بمضخات قوية جدا تصل الى اجمالي طاقة 2000 م³/ ساعة الامر الذي يقلل من زمن التحميل للصهاريج بدقائق معدودة علما بان حمولة الصهريج الواحد هي 36000 لتر.
7. **متوسط وقت الانتظار في النظام Ws:** وقد بلغ وقت الانتظار للنظام للمستودع لمنتوج البنزين (عالي الاوكتان) 0.07 صهريج في الساعة اي (4.2 دقيقة) ، وهذا يدل بان نظام النقل هو يمتاز بالسرعة والكفاءة.
8. **متوسط وقت الانتظار للصف بالمستودع Wq:** ان الوقت الانتظار للصهاريج داخل صف الانتظار لمنتوج زيت الغاز والبنزين عالي الاوكتان هو 0 ساعة مستثنى منه وقت الانتظار داخل مركز الخدمة ، وهذا يعني ان العمل في المستودع مستمر ولا يوجد اي توقف في عمليات التحميل للصهاريج.
9. **احتمال عدم وجود اي خدمة للصهاريج في النظام P₀:** ان احتمال عدم وجود خدمة لصهاريج منتوج البنزين (عالي الاوكتان) يبلغ 38.9% وهذا الامر يشير لوجود طاقة نقلية يمكن استغلالها.

ب. منتوج زيت الغاز المستورد:

1. **نوع النظام النقل:** أن نوع نظام النقل لمنتوج زيت الغاز المستورد الموجود لصف الانتظار هو يتبع نمط مصدر الخدمة غير المحدد لقدم الصهاريج ، وطاقة نظام الخدمة المقدم من المستودع غير محدود ايضاً، وأن نظام الصف يقوم على مبدأ من يأتي أولاً يخدم أولاً ، وان عدد الخوادم هو 8 (شمعات التحميل) للمنتوج في المستودع ، ويرمز لهما بالرمز حسب نظرية صفوف الانتظار، $M/M/8:FCFS/\infty/\infty$.
2. **معدل الوصول (λ):** يبلغ معامل الوصول لصهاريج لمنتوج زيت الغاز هو 8.02 صهريج بالساعة ، وهذا الامر يعد منخفض جدا خلال مدة العمل ، بسبب وجود منتوج زيت الغاز المحلي في مستودع الشعبية ومنتوج زيت الغاز المستورد في مستودع شط البصرة الذي يكون اقرب لتحميل الصهاريج من مستودع خور الزبير.
3. **معدل تقديم الخدمة (μ):** يبلغ معامل تقديم الخدمة للصهاريج لمنتوج زيت الغاز المستورد هو 7.4 صهريج في الساعة ، الامر يشير الى كفاءته الخدمة المقدمة لتحميل الصهاريج ولوجود 8 خوادم (شمعات تحميل) فيه.
4. **معامل الاستخدام العام للنظام P:** ويعني ان متوسط الفترة الزمنية التي يكون فيها نظام النقل في المستودع خور الزبير لمنتوج زيت الغاز مشغولا بوحدة الزمن هو 13.5% ، وتعد هذه نسبة قليلة جداً في هذا النظام نتيجة لوجود مستودعين للمشتقات النفطية تقوم بتحميل زيت الغاز متمثلة بمستودع الشعبية وشط البصرة.
5. **معدل عدد الصهاريج بالنظام L_s :** بلغ عدد الصهاريج في نظام النقل لمنتوج زيت الغاز هو 1.1 صهريج خلال فترة العمل، وهذا يعد من الامور الجيدة وتشير لعدم وجود ضغط على نقل هذا المنتوج في طاوور النظام.
6. **معدل عدد صهاريج بصف الانتظار L_q :** بلغ ويعد من اهم المقاييس لقياس كفاءة النظام ، اذ بزيادة الصف تقل كفاءة النظام ، ويبلغ 0 صهريج لصف الانتظار لمنتوج زيت الغاز، وهذا يدل على قوه كفاءة نظام النقل فيه ، وسرعة انجاز عمليات التحميل للصهاريج علما بان حمولة الصهريج الواحد في الاغلب هي 36000 لتر.

7. متوسط وقت الانتظار في النظام Ws : وقد بلغ متوسط وقت الانتظار في النظام هو 0.13 صهريج في الساعة اي (7.8 دقيقة) لمنتوج زيت الغاز ، هذا يدل بان نظام النقل هو ممتاز اذ يمتاز بالسرعة والكفاءة ، نتيجة لوجود مستودعين للمشتقات النفطية تقوم بتحميل زيت الغاز متمثلة بمستودع الشعبية ومستودع شط البصرة تعد اقرب لمحافظة البصرة من مستودع خور الزبير.
8. متوسط وقت الانتظار للصف بالمستودع Wq : ان الوقت الانتظار للصهاريج داخل صف الانتظار لمنتوج زيت الغاز في مستودع خور الزبير هو 0 ساعة مستثنى منه وقت الانتظار داخل مركز الخدمة ، وهذا يعني ان العمل في المستودع مستمر ولا يوجد اي توقف في عمليات التحميل للصهاريج.
9. احتمال عدم وجود اي صهريج في النظام P_0 : ان احتمال عدم وجود خدمة في نظام عمل في مستودع خور الزبير زيت الغاز يبلغ 33.9% ، ويرجع الى بعد موقع عن مدينة البصرة ووجود مستودعات اخرى تجهز نفس هذا المنتوج.
- ت. التحليل الاحصائي لصف الانتظار في مستودع الشعبية: من خلال ادخال المعطيات والبيانات الاحصائية لكل من معامل معدل وصول الزبائن λ ومعامل معدل تقديم الخدمة μ لبرنامج Win QSP في مستودع الشعبية والذي يخدم خمس مشتقات نفطية ، كما في الجدول (3) ، يتضح الاتي:
1. منتوج البنزين الممتاز المحلي:
- أ. نوع النظام النقل: أن نوع نظام النقل الموجود لصف الانتظار في المستودع لمنتوج البنزين الممتاز هو يتبع نمط مصدر الخدمة غير المحدد لقدم الصهاريج وان طاقة نظام الخدمة المقدم من المستودع غير محدود ايضاً ، وأن نظام الصف يقوم على مبدأ من يأتي اولاً يخدم اولاً ، يبلغ عدد الخوادم لمنتوج البنزين الممتاز هو 4 (شمعات التحميل) ويرمز له بالرمز حسب نظرية صفوف الانتظار $M/M/4:FCFS/\infty/\infty$.
- ب. معامل معدل الوصول (λ): يبلغ معامل الوصول للصهاريج لمنتوج البنزين الممتاز هو 17.8 صهريج بالساعة خلال وجبة العمل ، يرجع الى زيادة الطلب على هذا المنتوج كونه يستخدم كوقود للكثير من السيارات وكون مستودع الشعبية هو الوحيد الذي يتم تحميل منتوج البنزين الممتاز في محافظة البصرة.
- ت. معدل تقديم الخدمة (μ): بلغ معدل تقديم الخدمة للصهاريج في مستودع الشعبية لنقل منتوج البنزين الممتاز المحلي هو 12.36 صهريج بالساعة خلال وجبة العمل، وهذا يرجع الى وجود اكثر من مقدم

خدمة في المستودع لنقل منتوج البنزين الممتاز ، ويعد هذا الامر مناسب مقارنة مع زخم العمل واعداد الصهاريج المخدومة.

هـ. **معامل الاستخدام العام للنظام P_0** : يدل هذا المعامل الى متوسط الفترة الزمنية التي يكون فيها نظام النقل في المستودع مشغول بوحدة الزمن ، بلغ معامل الاستخدام العام للبنزين الممتاز المحلي هو 35.9 % وتعد هذه نسبة جيدة في هذا النظام نتيجة لطبيعة الطلب المحلي على هذا المنتوج ومنافسة منتوج البنزين العالي الاوكتان وفي مستودع خور الزبير والشعبية نفسه الامر الذي يخفف الضغط على نظام النقل في هذا المنتوج.

و. **معدل عدد الصهاريج الموجودة بالنظام للمستودع L_s** : بلغ عدد الصهاريج في نظام النقل في مستودع الشعبية لمنتوج البنزين الممتاز هو 1.5 صهريج لنظام النقل الموجود في المستودع خلال فترة العمل ويرجع الى زيادة الطلب المحلي على هذا المنتوج ، وهو معدل جيد.

ث. **معدل عدد صهاريج الموجودة بصف الانتظار للمستودع L_q** : ويعد من اهم المقاييس لقياس كفاءة النظام ، اذ بزيادة الصف تقل كفاءة النظام ، بلغ عدد الصهاريج الموجودة في صف الانتظار لمنتوج البنزين الممتاز هو 0.04 صهريج ، وهذا يدل على قوه كفاءة نظام النقل فيه ، وسرعة انجاز عمليات التحميل للصهاريج بسبب عدد الخوادم الموجودة وهي 4 خوادم (شعاع التحميل) ، علما بان حمولة الصهريج الواحد في الاغلب هي 36000 لتر.

ج. **معدل وقت الانتظار للصهاريج في النظام للمستودع W_s** : وقد بلغ معدل وقت الانتظار للصهاريج في النظام لمنتوج البنزين الممتاز هو 0.08 للصهريج في الساعة (4.8 دقيقة) ، وهذا يدل بان نظام النقل هو ممتاز اذ يمتاز بالسرعة والكفاءة بسبب استمرار وتنظيم العمل.

ح. **معدل وقت الانتظار للصهاريج في الصف بالمستودع W_q** : ان الوقت الانتظار للصهاريج داخل صف الانتظار لمنتوج البنزين الممتاز يبلغ 0.002 للصهريج في الساعة مستثنى منه وقت الانتظار داخل مركز الخدمة ، وهذا يعني ان العمل في المستودع مستمر ولا يوجد اي توقف في عمليات التحميل للصهاريج.

خ. **احتمال عدم وجود اي صهريج في النظام P_0** : احتمال عدم وجود خدمة للمنتوج البنزين الممتاز يبلغ 23.5 % ، بسبب تواصل عمليات نقل المنتوج بواسطة الصهاريج.

جدول (3)

نموذج صف الانتظار في مستودع الشعبية عام 2020

النفط الاسود المحلي	النفط الابيض المحلي	زيت الغاز المحلي	البنزين المحلي		ت المنتوج
			عالي الاوكتان	ممتاز	
M/M/ 4:	M/M/ :3	M/M/ 4:	M/M/ 2:	M/M/ 4:	1 النظام
FCFS /∞/∞	FCFS /∞/∞	FCFS/ ∞/∞	FCFS /∞/∞	FCFS /∞/∞	
8.8	6.4	11.8	8.4	817.	2 معدل وصول العملاء (λ) بالساعة
11.4	11	9.2	12.4	12.36	3 معدل الخدمة لكل خادم (μ) بالساعة
219.	3.57	32.1	33.9	5.93	4 معدل الاستخدام العام للنظام P %
80.	2.1	1.3	80.	1.5	5 معدل عدد العملاء في النظام (Ls)
0.002	0.4	0.02	90.0	0.04	6 معدل عدد العملاء في قائمة الانتظار (Lq)
90.0	0.2	0.11	90.0	0.08	7 معدل الوقت الذي يقضيه العميل في النظام (Ws) بالساعة

0.000	0.04	0.0018	110.	0.002	معدل الوقت الذي يقضيه العميل في قائمة الانتظار (Wq) بالساعة
2					
%	%	27.6%	%	23.5%	9 معدل احتمال أن تكون جميع الخوادم خاملة (P ₀) %
46.4	16.2		49.4		

المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية.

2. منتج البنزين عالي الاوكتان المحلي:

أ. نوع النظام النقل: أن نوع نظام النقل الموجود لصف الانتظار لمنتج البنزين عالي الاوكتان المحلي هو يتبع نمط مصدر الخدمة غير المحدد لقدم الصهاريج وان طاقة نظام الخدمة المقدم من المستودع غير محدود ايضاً ، وأن نظام الصف يقوم على مبدأ من يأتي أولاً يخدم أولاً ، يبلغ عدد الخوادم 2 (شمعات التحميل) لمنتج البنزين عالي الاوكتان المحلي ، ويرمز له بالرمز حسب نظرية صفوف الانتظار M/M/2:FCFS/∞/∞.

ب. معامل معدل الوصول (λ): اما معدل الوصول لمنتج البنزين عالي الاوكتان هو 8.4 صهريج بالساعة خلال وجبة العمل ، وهذا يعود الى وجود مستودع خور الزبير والذي يقوم ايضاً بتحميل منتج البنزين عالي الاوكتان المستورد للصهاريج التي تروم الحصول على هذا المنتج.

ت. معدل تقديم الخدمة (μ): معدل الوصول لمنتج البنزين عالي الاوكتان هو 12.4 صهريج بالساعة خلال وجبة العمل ، هذا يدل على ارتفاع الطلب على هذا المنتج بالإضافة الى موقع مستودع الشعبية من مركز مدينة البصرة.

ث. معامل الاستخدام العام للنظام P_0 : يدل هذا المعامل الى متوسط الفترة الزمنية التي يكون فيها نظام النقل في المستودع مشغول بوحدة الزمن ، وبلغ معامل الاستخدام العام للبنزين عالي الاوكتان هو 33.9%.

ج. معدل عدد الصهاريج الموجودة بالنظام للمستودع L_s : بلغ عدد الصهاريج الموجودة بالنظام مستودع الشعبية لمنتج البنزين عالي الاوكتان هو 0.8 صهريج خلال فترة العمل ، نتيجة لوجود مستودع اخر يمكن التحميل منه لنفس المنتج.

ح. معدل عدد صهاريج الموجودة بصف الانتظار للمستودع Lq : يعد من اهم المقاييس لقياس كفاءة النظام ، اذ بزيادة الصف تقل كفاءة النظام ، وبلغ عدد الصهاريج الموجودة في صف الانتظار لمنتوج البنزين عالي الاوكتان هو 0.09 صهريج ، ويدل على عدم وجود ضغط الكبير من الصهاريج في عمليات التحميل وبسبب عدد الخوادم الموجودة وهي 2 خوادم (شمعات التحميل) بقوة ضخ 500 م³/ ساعة ، علما بان حمولة الصهريج الواحد في الاغلب هي 36000 لتر الامر الذي يعمل على خفض عدد الصهاريج في صف الانتظار.

د. معدل وقت الانتظار للصهاريج في النظام للمستودع Ws : بلغ معدل وقت الانتظار للصهاريج في النظام لمنتوج البنزين عالي الاوكتان هو 0.09 للصهريج في الساعة (5.9 دقيقة) ، وهذا يدل بان نظام النقل وصف الانتظار لا يعاني من زخم او اكتظاظ.

ر. معدل وقت الانتظار للصهاريج في الصف Wq : ان الوقت الانتظار للصهاريج داخل صف الانتظار لمنتوج البنزين عالي الاوكتان يبلغ 0.11 للصهريج في الساعة (6.6 دقيقة) مستثنى منه وقت الانتظار داخل مركز الخدمة، وهذا يعني ان العمل في المستودع مستمر ولا يوجد اي توقف في عمليات التحميل للصهاريج بمنتوج البنزين عالي الاوكتان.

خ. احتمال عدم وجود اي صهريج في النظام P_0 : ان احتمال عدم وجود خدمة للمنتوج البنزين عالي الاوكتان المحلي يبلغ 49.4 % وهذا يشير بوجود طاقة استيعابية بالإمكان استغلالها.

3. منتوج زيت الغاز المحلي:

أ. نوع النظام النقل في المستودع: أن نوع النظام النقل الموجود لصف الانتظار لمنتوج زيت الغاز هو يتبع نمط مصدر الخدمة غير المحدد لقدم الصهاريج وان طاقة نظام الخدمة المقدم من المستودع غير محدود ايضاً، وأن نظام الصف يقوم على مبدأ من يأتي اولاً يخدم اولاً ، ويبلغ عدد الخوادم 4 (شمعات التحميل) لمنتوج البنزين عالي الاوكتان ، ويرمز له بالرمز حسب نظرية صفوف الانتظار $M/M/4:FCFS/\infty/\infty$.

ب. معامل معدل الوصول للصهاريج (λ): بلغ معامل معدل الوصول لمنتوج زيت الغاز هو 11.8 صهريج بالساعة خلال وجبة العمل ، وهذا يرجع الى عمل زيادة الطلب على المنتوج نتيجة لكثرة استخداماته والى وجود أكثر من مستودع يقوم بتحميل منتوج زيت الغاز.

ت. معدل تقديم الخدمة للصهاريج (μ): يبلغ معدل تقديم الخدمة للنظام لنقل المنتج زيت الغاز هو 9.2 صهريج بالساعة خلال وجبة العمل الكاملة ، وهذه نسبة جيدة لوجود أكثر من خادم يقوم على خدمة هذا المنتج ووجود مستودع تقوم على خدمة هذا المنتج أيضاً.

ث. معامل الاستخدام العام للنظام P_0 : بلغ معامل الاستخدام العام للنظام لمنتج زيت الغاز هو 32.1 % وهي نسبة جيدة نتيجة لارتفاع الطلب المحلي.

ج. معدل عدد الصهاريج الموجودة بالنظام للمستودع L_s : معدل عدد الصهاريج الموجودة بالنظام لمنتج زيت الغاز هو 1.3 صهريج لنظام النقل الموجود في المستودع خلال فترة العمل ، ويرجع الى زيادة الطلب المحلي على هذا المنتج والى عدد الخوادم الموجودة والبالغة 4.

ح. معدل عدد صهاريج الموجودة بصف الانتظار للمستودع L_q : بلغ عدد الصهاريج الموجودة في صف الانتظار لمنتج زيت الغاز هو 0.02 صهريج وهذا يدل على قوه كفاءة نظام النقل لهذا المنتج في المستودع وهذا نتيجة لكثرة الخوادم التي تعمل في مستودع الشعبية وقيام مستودع حور الزبير وشط البصرة بخدمة الصهاريج ايضاً التي تروم الحصول على المنتج وبالتالي تخفيف الضغط على نقل هذا المنتج من المستودع.

خ. معدل وقت الانتظار للصهاريج في النظام للمستودع W_s : بلغ معدل وقت الانتظار للصهاريج في النظام لمنتج البنزين الممتاز هو 0.11 صهريج في الساعة (6.6 دقيقة)، وهذا يدل بان نظام النقل هو يمتاز بالسرعة والكفاءة بسبب استمرار وتنظيم العمل.

د. معدل وقت الانتظار للصهاريج في الصف W_q : ان الوقت الانتظار للصهاريج داخل صف الانتظار يبلغ 0.0018 للصهريج بالساعة مستثنى منه وقت الانتظار داخل مركز الخدمة ، يعني ان العمل في المستودع مستمر ولا يوجد اي توقف في عمليات التحميل للصهاريج.

ذ. احتمال عدم وجود اي صهريج في النظام P_0 : ان احتمال عدم وجود خدمة للمنتج يبلغ 27.6 % وهذا يشير بوجود طاقة استيعابية بالإمكان استغلالها.

4. منتج النفط الابيض المحلي:

أ. نوع النظام النقل: أن نوع نظام النقل الموجود لصف الانتظار لمنتج النفط الابيض هو يتبع نمط مصدر الخدمة غير المحدد لقدم الصهاريج وان طاقة نظام الخدمة المقدم من المستودع غير محدود ايضاً ، وأن

نظام الصف يقوم على مبدأ من يأتي أولاً يخدم أولاً ، يبلغ عدد الخوادم 3 (شمعات التحميل) ، ويرمز له بالرمز حسب نظرية صفوف الانتظار $M/M/3:FCFS/\infty/\infty$.

ب. **معامل معدل الوصول (λ):** يبلغ معامل الوصول للصحاريج النفطية لمستودع الشعبية لمنتوج النفط الابيض هو 6.4 صهريج بالساعة وهذا يرجع لعدم وجود مستودع اخر يقوم بخدمة تحميل الصحاريج. **معدل تقديم الخدمة (μ):** بلغ معدل تقديم الخدمة للنظام لنقل منتوج النفط الابيض في مستودع الشعبية هو 11 صهريج بالساعة خلال وجبة العمل ، وهذا الامر يعود لعدم وجود اي مستودع اخر يعمل على خدمة الصحاريج لتحميل النفط الابيض.

ت. **معامل الاستخدام العام للنظام P_0 :** بلغ معامل الاستخدام العام للنظام لمنتوج النفط الابيض هو 57.3% وهي نسبة جيدة نتيجة لارتفاع الطلب المحلي.

ث. **معدل عدد الصحاريج الموجودة بالنظام للمستودع L_s :** بلغ معدل عدد الصحاريج الموجودة بالنظام في مستودع الشعبية لمنتوج النفط الابيض هو 2.1 صهريج خلال وجبة العمل ويرجع لعدم وجود مستودع اخر يقوم بتحميل المنتوج للصحاريج النفطية الى عدد الخوادم التي تقوم بتحميل الصحاريج وهي 3 خوادم فقط.

ج. **معدل عدد صحاريج الموجودة بصف الانتظار للمستودع L_q :** بلغ عدد الصحاريج الموجودة في صف الانتظار هو 0.4 صهريج ، وهذا معدل جيد يدل على قوه كفاءة نظام النقل وسرعة انجاز عمليات التحميل للصحاريج علما بان حمولة الصهريج الواحد في الاغلب هي 36000 لتر.

ح. **معدل وقت الانتظار للصحاريج في النظام للمستودع W_s :** بلغ معدل وقت الانتظار للصحاريج في النظام لمنتوج النفط الابيض هو 0.2 صهريج في الساعة (12 دقيقة) ، بسبب الطلب المحلي وعدم وجود مستودع اخر يقوم بنفس الخدمة.

خ. **معدل وقت الانتظار للصحاريج في الصف W_q :** ان الوقت الانتظار للصحاريج داخل صف الانتظار يبلغ 0.04 ساعة (2.4 دقيقة) مستثنى منه وقت الانتظار داخل مركز الخدمة.

د. **احتمال عدم وجود اي صهريج في النظام P_0 :** ان احتمال عدم وجود خدمة يبلغ 16.2% وهذا يشير بوجود طاقة استيعابية قليلة بالإمكان استغلالها.

5. منتوج النفط الأسود المحلي:

- أ. **نوع النظام النقل:** أن نوع نظام النقل الموجود لصف الانتظار لمنتوج الاسود هو يتبع نمط مصدر الخدمة غير المحدد لقدم الصهاريج ، وان طاقة نظام الخدمة المقدم من المستودع غير محدود ايضاً ، ونظام الصف يقوم على مبدأ من يأتي اولاً يخدم اولاً ، يبلغ عدد الخوادم 4 (شمعات التحميل) ، ويرمز له بالرمز حسب نظرية صفوف الانتظار $M/M/4:FCFS/\infty/\infty$.
- ب. **معامل معدل الوصول (λ):** معامل الوصول للصهاريج لمنتوج النفط الاسود هو 8.8 صهريج بالساعة خلال وجبة العمل.
- ت. **معدل تقديم الخدمة (μ):** معدل تقديم الخدمة للصهاريج في مستودع الشعبية لنقل منتوج النفط الاسود هو 11.4 صهريج بالساعة خلال وجبة العمل ، ويرجع الى وجود أكثر من مقدم خدمة في المستودع لتحميل المنتوج.
- ث. **معامل الاستخدام العام للنظام P_0 :** يدل هذا المعامل الى متوسط الفترة الزمنية التي يكون فيها نظام النقل في المستودع مشغول بوحدة الزمن ، وبلغ معامل الاستخدام العام للنفط الاسود هو 19.2 % نتيجة لقلة الطلب على هذا المنتوج ووجود 4 خوادم تعمل على خدمة تحميل الصهاريج النفطية.
- ج. **معدل عدد الصهاريج الموجودة بالنظام للمستودع L_s :** بلغ عدد الصهاريج في نظام النقل في مستودع الشعبية هو 0.8 صهريج لنظام النقل الموجود في المستودع خلال فترة العمل ويرجع الى الطلب المحلي على هذا المنتوج.
- ح. **معدل عدد صهاريج الموجودة بصف الانتظار للمستودع L_q :** هو اهم المقاييس لقياس كفاءة النظام ، اذ بزيادة الصف تقل كفاءة النظام ، بلغ عدد الصهاريج الموجودة في صف الانتظار لمنتوج النفط الاسود هو 0.0.002 صهريج ، وهذا يدل على قوه كفاءة نظام النقل فيه ، وسرعة انجاز عمليات التحميل للصهاريج بسبب عدد الخوادم الموجودة وهي 4 خوادم (شمعات التحميل) والطلب المحلي عليه.
- خ. **معدل وقت الانتظار للصهاريج في النظام للمستودع W_s :** بلغ معدل وقت الانتظار للصهاريج في النظام النفط الاسود هو 0.09 ساعة (0.54 دقيقة) ، هذا يدل بان نظام النقل هو جيد جداً بسبب قلة الطلب وعدد الخوادم الموجودة.

د. معدل وقت الانتظار الصهاريح في الصف Wq : ان الوقت الانتظار للصهاريح داخل صف الانتظار يبلغ 0.0.002 مستثنى منه وقت الانتظار داخل مركز الخدمة ، ويعني لا يوجد اي توقف في عمليات التحميل.

ز. احتمال عدم وجود اي صهاريح في النظام P_0 : ان احتمال عدم وجود خدمة للمنتوج النفط الاسود يبلغ 46.4 % ويشير الى بوجود طاقة استيعابية كبيره بالإمكان استغلالها.

ثالثا: النتائج:

توصل البحث الى جملة نتائج من خلال دراسة وتطبيق نظرية صفوف الانتظار على مستودعات المشتقات النفطية في محافظة البصرة ، وهذه النتائج كالآتي:

1. أن نظام صفوف الانتظار في مستودعات محافظة البصرة حسب مفهوم نظرية صفوف الانتظار في نمط الخدمة من يأتي اولاً يخدم اولاً ، وان المجتمع المصدري مفتوح العدد غير محدد بعدد الصهاريح المخدومة ، كما ان طاقة النظام بالمستودعات هي غير محدودة للتحميل ، هو النموذج الثاني من نظام الخدمة في صفوف الانتظار $M/M/D:\infty/\infty$. الا ان هنالك اختلاف في عدد الخوادم الموجودة في المستودعات يعود لأسباب فنية وتنظيمه.

2. أن معدل الوصول (λ) لجميع مستودعات للمشتقات النفطية في المحافظة انحصر ما بين 6.4 الى 20.3 صهاريح بالساعة ، جاء مستودع شط البصرة اعلى قيمة وهي 20.3 صهاريح بالساعة خلال وجبه العمل في حين احتلت البنزين الممتاز المحلي في الشعبية والبنزين عالي الاوكتان المستورد خور الزبير وزيت الغاز المحلي في الشعبية يلي بعدها النفط الاسود في الشعبية والبنزين عالي الاوكتان في الشعبية وزيت الغاز في خور الزبير والنفط الابيض في الشعبية بمعدل 17.8 و 13.9 و 11.8 و 8.8 و 8.4 و 8.02 و 6.4 على التوالي وحسب الترتيب ولكل منها ، ويرجع لمعدل الطلب على هذه المشتقات النفطية في السوق المحلي.

3. بلغ معدل الخدمة (μ) لجميع مستودعات للمشتقات النفطية في المحافظة ما بين 7.4 و 14.7 صهاريح بالساعة جاء البنزين عالي الاوكتان المستورد بأعلى قيمة ومن ثم جاء البنزين الممتاز والبنزين عالي الاوكتان المحلي في الشعبية وزيت الغاز المستورد في شط البصرة والنفط الاسود والابيض وزيت الغاز في الشعبية وزيت الغاز في خور الزبير بمعدل 14.7 و 12.4 و 12.36 و 11.9 و 11.4 و 11 و 7.4 لكل منها على التوالي وحسب الترتيب ، ويرجع للتباين في معدل الخدمة الى عوامل عدة هي سرعة الخدمة وعدد

محطات الخدمة وقوة المضخات الموجودة في الخادم (شمعة التحميل) ونوعية وطبيعة وكثافة المنتج حيث تؤثر الكثافة المنتج في زمن الخدمة كما هو الحال في منتج النفط الاسود الذي يهد ذ لزوجة عالية مقارنة مع غيره من المشتقات النفطية.

4. ينحصر معامل الاستخدام العام للنظام (P) ما بين 11.8 % الى 57.3 % وبلغ أعلى معامل استخدام للنفط الابيض والبنزين الممتاز والعالي الاوكتان المحلي وزيت الغاز المحلي في الشعبية وزيت الغاز في شط البصرة والنفط الاسود في الشعبية والبنزين عالي الاوكتان المستورد بخور الزبير بنسب بلغت 57.3 % و 35.9 % و 33.9 % و 28.4 % و 19.2 % و 13.5 % و 11.8 % لكل منها على التوالي وحسب الترتيب ، ويرجع هذا التباين لعدد الخوادم الموجودة في المستودعات وتبعاً للطلب المحلي على نوعية المشتقات النفطية.

5. يتباين متوسط عدد الصهاريج في نظام الانتظار (Ls) ما بين 0.8 الى 2.1 صهريج حتل النفط الابيض في الشعبية الصدارة فيها ومن ثم جاء زيت الغاز المستورد من شط البصرة والبنزين الممتاز وزيت الغاز من الشعبية وزيت الغاز من خور الزبير والبنزين عالي الاوكتان المستورد ومن ثم كل من النفط الاسود والبنزين عالي الاوكتان المحلي من الشعبية بنسبة 2.1 و 1.7 و 1.5 و 1.3 و 1.1 و 0.9 و 0.8 صهريج ويرجع التباين للطلب المحلي على المشتقات النفطية وللإجراءات الادارية والتنظيمية الموجودة بالمستودعات.

6. بلغ متوسط عدد الصهاريج في صف الانتظار (Lp) في مستودعات المحافظة انحصر ما بين 0 الى 0.4 صهريج وهذا الامر يعد جيداً بسبب استمرارية العمل بالمستودعات ووجود أكثر من خادم بالمستودعات.

7. أن متوسط الوقت الذي يقضيه الصهريج النظام (Ws) نحسر ما بين 0 الى 0.2 ساعة ، وهذا المعدل بعد جيداً لجميع المشتقات النفطية في المستودعات بسبب وجود أكثر من خادم يقوم على خدمة الصهاريج.

8. يعد متوسط الوقت الذي يقضيه الصهريج في صف الانتظار (Wq) ممتاز ولكل المنتوجات اذ انحصر ما بين 0 الى 0.11 بسبب وجود أكثر من خادم يعمل على خدمة المشتقات النفطية.

9. ان نسبة احتمال عدم وجود خدمة (P₀) انحصر ما بين 16.2 % الى 49.4 % وسبب هذا التباين يرجع الى طبيعة الطلب على هذه المشتقات ووجود أكثر من خادم لها في المستودعات.

10. للموقع الجغرافي لمستودع الشعيبية دور في توجه الصهاريج له بسبب قربه من مركز مدينة البصرة.

المقترحات:

يقترح البحث جملة من المقترحات التي قد يكون من شأنها تطوير العمل بنظام نظرية صفوف الانتظار في مستودعات المشتقات النفطية وكما يأتي:

1. استغلال الطاقات الموجودة في حال عدم وجود خدمه (P_0) في المستودعات والتي تصل ما بين 16.2% الى 49.4% وهي نسبة جيدة يمكن استغلالها من قبل الدولة في تطوير هذه المستودعات ، وبصورة خاصة لمنتوج النفط الابيض في مستودع الشعيبية وزيت الغاز المستورد في مستودع شط البصرة.
2. العمل على زيادة معدل الخدمة لجميع المستودعات وبصورة خاصة لمنتوج زيت الغاز في مستودع خور الزبير من اجل تقليل وقت الانتظار الذي تقضيه الصهاريج فيه.
3. العمل على زيادة تسهيل الاجراءات الادارية وزيادة قوه المضخات الدافعة للمنتوج والاسراع في عملية التحميل وبصورة خاصة لمنتوج النفط الاسود.
4. عدم زيادة اوقات الانتظار من اجل تقليل وقت الذي يقضيه الصهريج للحصول على الخدمة.
5. زيادة طاقات الخزانات للمشتقات النفطية من اجل تحقيق افضل خدمة في عمليات النقل للمشتقات النفطية.

الهوامش:

1. عبد المنعم حمادي وسامر محمد جابر، نموذج صف الانتظار ذو قنوات الخدمة المتعددة (FCFS/∞/∞) ((M/M/D)) "نموذج مقترح"، مجلة ابن الهيثم، المجلد 26، العدد2، كلية العلوم الصرفة، جامعة بغداد، 2013، ص324.
2. اسيل علي مزهر وزيد هادي صبري، تقييم نظام انتاج الخدمة الصحية وفق نظرية صفوف الانتظار دراسة حالة في مستشفى الزهراء التعليمي ، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والادارية، العدد (28) الجزء الثاني ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة واسط ، كانون الثاني 2018 ، ص251.
3. ضحى لعبي كاظم السدخان، التباين المكاني للمرائب الرئيسية في محافظة ميسان دراسة في جغرافية النقل، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، 2004 ، ص69.
4. سامي كاظم كريم الذبحاوي ، تحقيق الامثلية في عيادة الانف والاذن والحنجرة (ENT) في مستشفى الحكيم العام / النجف الاشرف ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد الثالث عشر ، العدد الثاني العلمي ، جامعة كربلاء ، 2015 ، ص161.

5. محمود فهد عبد علي، تقنية تحليل صفوف الانتظار ودورها في تحسين أداء الخدمة من خلال التركيز على خصائص التشغيل، مجلة كلية الادارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والادارية والمالية، المجلد 11، العدد 3، 2019، جامعة بابل، ص 275.
6. سامي كاظم كريم الذبحاوي، مصدر سابق، ص 162.
7. اسعد عباس هندي الاسدي وعلي جمعة السامر، نظرية صفوف الانتظار (الارتال) وتطبيقها على مطار البصرة الدولي، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الانسانية، المجلد (44)، العدد (4)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة، 2019، ص 181.
8. سماهر طارق ابراهيم علي، دراسة ميدانية لنظرية صفوف الانتظار على بعض السيطرات في محافظة بغداد، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، المجلد 19، العدد 71، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 2013، ص 406-416، وكذلك: ضحى لعي كاظم السدخان، مصدر سابق، ص 73.
9. ضحى لعي كاظم السدخان، مصدر سابق، ص 69.
10. سامي كاظم كريم الذبحاوي، مصدر سابق، ص 164.
11. رنا بشار حسين، بناء نموذج محاكاة لصف واحد ذو قناة خدمة واحدة في صفوف الانتظار لمعمل البان الموصل، مجلة تنمية الرافدين، العدد 115، المجلد 36، 2014، ص 193.
12. مفتاح الطيب محسن، استخدام نماذج صفوف الانتظار في تقدير متوسط وقت الانتظار المتوقع في النظام والغير مستقل لخط تعبئة الشاحنات - بمصنع اسمنت البروج - زليتن -، مجلة كلية الدراسات العليا، الجامعة الاسمية الاسلامية، العدد (1)، 2018، ص 140.
13. صباح منفي رضا و انسام علاوي ابراهيم، استعمال خوارزمية سرب الطيور لحل نماذج صفوف الانتظار مع اطار تطبيقي، مجلة العلوم الادارية والاقتصادية، المجلد 23، العدد 96، جامعة بغداد، كلية الادارة والاقتصاد، 2017، ص 304 - 305.

المصادر:

1. الاسدي ، اسعد عباس هندي وعلي جمعة السامر ، نظرية صفوف الانتظار (الارتال) وتطبيقها على مطار البصرة الدولي ، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الانسانية ، المجلد (44) ، العدد (4) ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة البصرة ، 2019.
2. حسين ، رنا بشر ، بناء نموذج محاكاة لصف واحد ذو قناة خدمة واحدة في صفوف الانتظار لمعمل البان الموصل، مجلة تنمية الراءدين، العدد 115، المجلد 36، 2014.
3. حمادي ، عبد المنعم وسامر محمد جابر، نموذج صف الانتظار ذو قنوات الخدمة المتعددة (FCFS/∞/∞) ((M/M/D)) "نموذج مقترح"، مجلة ابن الهيثم، المجلد 26، العدد2، كلية العلوم الصرفة، جامعة بغداد، 2013.
4. الذبحاوي ، سامي كاظم كريم ، تحقيق الامثلية في عيادة الانف والاذن والحنجرة (ENT) في مستشفى الحكيم العام / النجف الاشرف ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، المجلد الثالث عشر ، العدد الثاني العلمي ، جامعة كربلاء ، 2015.
5. رضا ، صباح منفي و انسام علاوي ابراهيم ، استعمال خوارزمية سرب الطيور لحل نماذج صفوف الانتظار مع اطار تطبيقي ، مجلة العلوم الادارية والاقتصادية ، المجلد 23 ، العدد 96 ، جامعة بغداد ، كلية الادارة والاقتصاد ، 2017.
6. رضا ، صباح منفي و انسام علاوي ابراهيم ، استعمال خوارزمية سرب الطيور لحل نماذج صفوف الانتظار مع اطار تطبيقي ، مجلة العلوم الادارية والاقتصادية ، المجلد 23 ، العدد 96 ، جامعة بغداد ، كلية الادارة والاقتصاد ، 2017.
7. السدخان ، ضحى لعبي كاظم ، التباين المكاني للمرائب الرئيسة في محافظة ميسان دراسة في جغرافية النقل ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2004 .
8. شركة الخطوط والانايب ، هيئة عمليات الجنوب ، معلومات غير منشورة ، 2020.
9. عبد علي ، محمود فهد ، تقنية تحليل صفوف الانتظار ودورها في تحسين أداء الخدمة من خلال التركيز على خصائص التشغيل، مجلة كلية الادارة والاقتصاد للدراسات الاقتصادية والادارية والمالية، المجلد 11، العدد 3، 2019، جامعة بابل.
10. علي ، سماهر طارق ابراهيم ، دراسة ميدانية لنظرية صفوف الانتظار على بعض السيارات في محافظة بغداد ، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية ، المجلد 19 ، العدد 71 ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، 2013 .
11. محسن ، مفتاح الطيب ، استخدام نماذج صفوف الانتظار في تقدير متوسط وقت الانتظار المتوقع في النظام والغير مستقل لخط تعبئة الشاحنات - بمصنع اسمنت البروج - زليتن - ، مجلة كلية الدراسات العليا ، الجامعة الاسمية الاسلامية ، العدد (1) ، 2018 .
12. مزهر ، اسيل علي وزيد هادي صبري ، تقييم نظام انتاج الخدمة الصحية وفق نظرية صفوف الانتظار دراسة حالة في مستشفى الزهراء التعليمي ، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والادارية ، العدد (28) الجزء الثاني ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة واسط ، كانون الثاني 2018 .

إدموند هوسرل والتأسيس الفينومينولوجي للعلوم للإنسانية: الفلسفة أمودجا

طالبة الدكتوراه سعاد طيباوي

جامعة قاصدي مرباح- ورقلة- الجزائر

Drs.taibaoui@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/11/07 م تاريخ التحكيم: 2020/11/11 م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

تعالج هذه الدراسة أهم ما جاء به الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل كفلسفة و كمنهج ضمن نظريته للإرث الحدائث باعتبارها جملة التحولات الفكرية التي مست مختلف المجالات الحياتية الغربية وما نجم عنها من زعزعة للوجود الأوربي و تراجع للفلسفة في ظل سيادة النزعة العلمية التي فرضها المذهب الطبيعي الذي تزعم القرن التاسع عشر بأكمله، وخلق أزمة في العلوم الأوربية في ظل ما خلقته التقانة من مشكلات ابستمولوجية متعلقة بالموضوع والمنهج في ميدان العلوم الإنسانية ناهيك عن علم النفس التجريبي الذي معه طبع الشعور والأفكار. وأصبحت الفلسفة مجرد رؤية للعالم لا غير. لهذا حمل هوسرل على عاتقه مهمة فلسفية منهجية تحاول معاودة النظر في التاريخ الفلسفي الغربي بغية قراءته من جديد و البحث في النقص الذي شاب الفلسفة عبر مختلف مراحلها ليظهر بشكل جل مع الحدائث مما نجم عنه أزمة في الوعي الأوربي بصفة عامة والعلوم الغربية بصفة خاصة.

وعليه تهدف هذه الوريقة البحثية إلى تسليط الضوء على الأزمة التي حلت بالعلوم الأوربية والتي خصها هوسرل بكتاب كامل حاول فيه تشخيصها والخروج منها وهذا بالتأسيس منهج جديد الفينومينولوجي للعلوم الإنسانية التي ظلت تعيش اغترابا علميا بفعل سيطرت العقل الأداتي و النظرة التشبيئية للعالم وهنا يكمن الدور الأساسي للمنهج الفينومينولوجي وهو إماطة التشيؤ الكلي عن العالم وإعادة الاعتبار للفلسفة بصفة خاصة والعلوم الإنسانية بصفة عامة. وهنا يبرز الدور الأساسي الذي لعبته فلسفة هوسرل في إعادة تشكيل ملامح الفلسفة الغربية وكيف أنها استطاعت أن تعيد ضبط مفهوم الفلسفة والجعل منها علما صارما على غرار العلوم الطبيعية وخلق آليات جديدة للفلسفة الغربية تتجاوز كل المفاهيم الكلاسيكية التي أرسنها الحدائث في طرح جديد منها أعاد تشكيل الوعي الغربي الذي عاش أزمة بسبب العقل الأداتي وما انجر عنه وما سببه من تصدعات على مختلف الأصعدة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تميز فلسفة هوسرل عن باقي فلسفات المفكرين الغربيين وباقي فلسفات عصره نظرا لما تحمله من رؤية منهجية نقدية تجديدية تعكس جهوده الفكرية التي قام بها، والتي كانت حاضرة بقوة في الفلسفة الغربية المعاصرة بل شكلت ملمحا أساسيا من ملامحها.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإنسانية- النزعة الموضوعية- الفلسفة- الفينومينولوجيا- علم النفس التجريبي

**Edmund Husserl and the Phenomenological Establishment of the Sciences for
Humanity: Philosophy as a Model
Doctor of Philosophy Student Souad Taiboui
University of Qasdi Marbah, Ouargla – Algeria
Drs.taibaoui@gmail.com**

Abstract :

This study deals with the most important thing that the German philosopher Edmund Husserl brought as a philosophy and as a method within his view of the modernist legacy as it is a set of intellectual transformations that affected various areas of Western life and the resulting destabilization of the European existence. A decline in philosophy in light of the prevalence of the scientific tendency imposed by the naturalism that led the entire nineteenth century, and it created a crisis in European sciences in light of the epistemological problems created by technology related to the subject and method in the field of the human sciences, not to mention the experimental psychology that imprinted feelings and ideas with it. Philosophy became just a vision of the world. That is why Husserl undertook a systematic philosophical mission that tries to revisit Western philosophical history in order to read it again and research the deficiency that has marred philosophy across its various stages, to emerge largely with modernity, which resulted in a crisis in European consciousness in general and Western science in particular.

Accordingly, this research paper aims to shed light on the crisis that befell the European sciences, which Husserl singled out in a complete book in which he tried to diagnose it and get out of it, and this is by establishing a new phenomenological approach for the human sciences that has been living a scientific alienation due to the domination of the instrumental mind and the objectivist view of the world and here lies the basic role of the phenomenological approach. It is the total deification of the world and the restoration of philosophy in particular and the human sciences in general. Here highlights the fundamental role played by the philosophy of Husserl in the restructuring of the features of Western philosophy and how it was able to re - adjust the concept of philosophy and chafer including note strictly along the lines of natural science and the creation of new mechanisms of Western philosophy vv exceeded all the classical concepts established by modernity in the new launch of which reshaped Western consciousness, which lived through a crisis due to the instrumental mind and what it was dragged into and the cracks it caused on various levels. On the one hand, and on the other hand, Husserl's philosophy is distinguished from the rest of the philosophies of Western thinkers and the rest of the philosophies of his time due to the methodological and critical vision it carries that reflects his intellectual efforts

that he undertook, which were strongly present in contemporary Western philosophy, but rather constituted an essential feature of its features.

Keywords: human sciences - objectivity - philosophy - phenomenology - experimental psychology

- أولاً: السياق الفكري للهوسرلية و تأثيرها على التاريخ الفلسفي.

من أجل فهم ما جاء في أي خطاب فلسفي لا بد أن نضع الفيلسوف في ظل معطيات عصره خصوصاً الفكرية منها ، وكل هذا يدخل ضمن السياق الفكري التاريخي للكاتب ، لأنه لا يمكن عزل أفكار النص عن عصر صاحبها ، فالنص ما هو إلا بناء لغوي عاكس لجملة من الأفكار ضمن إطار زمكاني معين. لأن أي فكرة هي وليدة عصرها بشكل أو بآخر. فما قد طرحه هوسرل في مختلف مؤلفاته ما هو إلا خلاصة فكرية جاءت بعد رؤية نقدية لما سبقها مستخلصة من روح عصره (النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين) .

في القرن العشرين سرت مجموعة من الثورات الاجتماعية في أوروبا أعقاب أسوأ حرب " لحرب العالمية الأولى" وبدأت بوادر الانحلال في أوروبا تؤثر بصورة مباشرة في حقول المعرفة الفلسفية والأدبية، وفي مثل هذا السياق الأيدلوجي المتأزم الذي سبق الحرب العالمية الأولى وتزامن معها حاول الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل أن يطور طريقة فلسفية جديدة على أمل أن تعيد الثقة المطلقة لحضارة متحللة. (1) فالقرن العشرين هو قرن التحولات الغربية الكبرى على جميع الأصعدة خاصة الاجتماعية منها، لأنه أعاد تشكيل الملمح الاجتماعي الغربي الذي أرست معالمه الحرب العالمية الأولى سواء في المرحلة القبلية أو البعدية لها بكل ما تحمله من إيديولوجية عمياء لما خلفته من أضرار جسيمة مادية وروحية أعادت تشكيل و هيكلية السياق الثقافي الحضاري الغربي الذي ساهم في إخراج بني فكرية جديدة تعيد النظر في ما أنتجه العقل الحدائثي.

إذن هوسرل عايش هذه المرحلة - بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، والنصف الأول من القرن العشرين - فمن الناحية الدينية فهو يهودي الديانة ، ولم يكن متعصبا لدينه ، وفي نفس الوقت كانت النازية في ألمانيا في عصره تستعد لخوض الحرب العالمية الثانية ، وبدأ عدااء اليهود للنازيين يشتد تدريجياً خاصة المشاهير منهم الذين ازداد اضطهادهم وتحقيرهم الأمر الذي اضطّر معه هوسرل إلى التنازل عن كرسي أستاذية الفلسفة إلى تلميذه هايدغر و اعتزل الحياة والكتابة للقراءة إلى غاية وفاته عام 1938 م. 2

أولى هوسرل اهتماما واسعا للرياضيات ما جعله يدرك أهمية اليقين الرياضي، الذي سينعكس على المعطيات الأساسية في فكره، حيث أنه سوف يحدو حدو الفكر الرياضي، ويظهر هذا جليا من خلال محاولة هوسرل إعادة التأسيس الصحيح للفلسفة واعتبارها علما صارما، وهذا بعد قراءته للعلوم الطبيعية والمنطق وعلم النفس كما يرجع الفضل إلى أستاذه برنتانو الذي ساهم بشكل كبير في رسم المعالم الفكرية لهوسرل. الذي لم يكتف فقط بما أخذه خلال أطواره التعليمية وأستاذته، بل أيضا التيارات الفكرية التي كانت سائدة في عصره نظر إليها هوسرل بعين ناقدة، وأعاد تأسيس بناء فكري فلسفي جديد يضع الفلسفة ضمن مسارها الصحيح حسب رأيه. لهذا نجد الجانب التعليمي و الفكري لهوسرل منذ صباه يحكمه الفكر الرياضي، حتى أنه تخصص في الرياضة والعلوم الطبيعية وهذا بالتحاقه بجامعة " لايبزيغ " لتتسع دائرة معارفه لتشمل الفلسفة والفلك وعلم النفس، وقد انتقل هوسرل إلى جامعة " فريدريش فيلهام " ليتخصص أكثر في دراسة الرياضة على يد أشهر علماء الرياضة الألمان.³ حصل على شهادة الدكتوراه في الرياضيات خلال دورة الشتاء 1882_1883. بعد ذلك واصل دراسات مكثفة للفلسفة في جامعة " فيينا" حيث كان حريصا على حضور دروس 'برنتانو' الذي سيلعب دورا مهما وأساسيا في توجيهه الفلسفي.⁴

في أواخر القرن التاسع عشر ظهر تيار مثالي ميتافيزيقي حمل لواء أتباع الكانطية الجديدة في مقدمتهم 'ليمان' و' فولكيت ' وغيرهم، إلى جانب تيار واقعي مادي علمي ترتد جذوره إلى ' دارون' و' هيكل'* وغيرهم ثم التحم التياران ليخرج منهما تيار ثالث وسط يجمع بينهما، وكان أغلب أعلام هذا التيار الثالث من باحثي علم النفس مثل 'لوتزه' و' فشنر' و' فونت'، حيث تابعهم بعد ذلك ' برنتانو' و' ما ينونج' ثم تلميذهم المباشر 'هوسرل'. كان الموضوع الذي تعرضوا لدراسته هو محاولة حل مشكلة العلاقة بين فعل الإدراك من جهة والموضوعات المدركة من جهة أخرى وبيان كيف يتم الالتقاء بينهما، لهذا كانت دراستهم تجمع بين علم النفس التجريبي الواقعي والمنطق الصوري المثالي، ولهذا السبب أطلق المؤرخون على هذا الاتجاه اسم "علم النفس الميتافيزيقي" الذي لم يكمل بعد صورته التجريبية، وكان هوسرل وأستاذه ضمن أتباع هذا الاتجاه في بداية حياته الفلسفية.⁵

بدأ هوسرل أولاً باعتناق النزعة النفسية، التي رد إليها الرياضيات، ثم رفض هذه النزعة النفسية والاتجاه التجريبي وانقلب عليهما عند دراسته التالية للمنطق،⁶ وإذا كان هوسرل قد ثار على النزعة السيكولوجية في باكورة أعماله "فلسفة الحساب" (1891 م) بتبنيه وجهة منطقية في عمله الكلاسيكي "أبحاث"، فذلك كان يُعزى إلى انتقادات 'فريجه' (1848-1925م) الذي رفض أن يُؤسس علم الحساب ومن خلاله الرياضيات على أسس سيكولوجية. حيث انتهى بعد ذلك هوسرل إلى وضع علم نفس جديد كان بداية تكوين الفينومينولوجيا، ثم أكمل أخيراً الصورة النهائية لهذا العلم الجديد من حيث الهدف والمنهج.⁷

كانت الفلسفة في بدايات القرن العشرين منقسمة إلى تيارات لعل أبرزها تيار الفكر العلمي. وقد بدأ هوسرل بنقد النزعة السيكولوجية، وشرع بتأسيس معقولة جديدة لا تعترف بشيء للعلوم الدقيقة بدون أن تكون جراً ذلك أقل دقة وصرامة: معقولة فلسفية خالصة. "تجعل من الفلسفة علماً صارماً هذا ما سيكتبه هوسرل في عام 1911 م في مقال مشهور في مجلة "لوغوس" بعنوان "الفلسفة علماً دقيقاً".

كما أن الهدف الأساسي للفينومينولوجيا، مثلما صاغه هوسرل في مؤلفه هذا يتمثل في إصلاح الفلسفة وإرجاعها إلى طابعها العلمي، أي تأسيسها كعلم صارم. من أجل ذلك حارب هوسرل الاتجاه الذي يرى أن الفلسفة ليست علماً وإنما رؤية للعالم، كما حارب في الوقت نفسه "المذهب التاريخي" الذي يحصر واجب الفلسفة فقط في تدوينها لتاريخها الخاص. بالتأكيد لم يكن هوسرل يقصد رد الفلسفة إلى نظرية المعرفة، مثلما أرادت ذلك اتجاهات واسعة التأثير قديماً وحديثاً، كما لم يكن يقصد تكييف الفلسفة مع مناهج العلم الطبيعي المعاصر. في الحقيقة ما أراد هوسرل من خلال برنامجه هو تحقيق معرفة متحررة جذرياً من الأحكام المسبقة وبعيدة كل البعد عن الظن المجرد.⁸

إذن كان للهوسرلية بالغ الأثر على الفلسفة المعاصرة، فلقد انبثق منها تيار بأكمله في الفلسفة المعاصرة من ذلك المنهج بدءاً من هايدغر إلى ميرلو بونتي، ومن ثم صار هوسرل في السنوات السابقة للحرب العالمية الأولى والتالية على حد سواء معلماً مسموع الكلمة بحماسة، وقد قيل أنه أنقذ الفلسفة في ألمانيا من هاجس انتحاري حقيقي، وقد قدم الفينومينولوجيا على أنها اليابسة التي أخيراً أمكن لسفينة المعرفة أن تبلغها.⁹

كما أسهم منهج هوسرل الذي يشدد على محتوى الموضوع، وعلى ماهيته، بقوة في الوقت نفسه إنشاء فكر معاد للكائنية، و هوسرل من وجهة النظر هذه واحد من كبار الفلسفة الجديدة، ومن جهة أخرى

أبداع منهجا يسمى بالمنهج الفينومينولوجي ، وهو منهج لا يعنى إلا بإثارة المعطى بدون التساؤل عما إذا كان واقعا أو ظاهرا ، طبقه الفلاسفة المعاصرون على نطاق واسع .¹⁰ وما يلاحظ على أعمال هوسرل أنها تتسم أرضيه بالخصوبة وتحمل أكثر من منحى وهذا من شأنها أن تصير مرجعا فلسفيا لما بعده

- ثانيا: الفلسفة الرهانات و الآفاق.

لقد حاول هوسرل ضمن مؤلفه " الفلسفة علما دقيقا " أن يضع الفلسفة في سياقها الصحيح وعنوان طرحه هذا يكشف عن الهدف الأساسي لهوسرل من وراء هذا المؤلف ، فالعنوان في حد ذاته يمثل الفكرة العامة التي سوف تتمحور حولها كل الأفكار التي سوف يتطرق إليها بالتفصيل من أجل إيضاح المبتغى المراد الوصول إليه . العنوان جاء شفافا لا يحمل أي عتمة قد تزيج الفهم إلى تأويلات قد تخرج عن مقصد هوسرل الحقيقي . الفلسفة علما دقيقا ، هكذا جاء العنوان ؛ أي أن الفلسفة لا بد أن تتجاوز كل المفاهيم التقليدية السابقة ، فهي لم ترق بعد أن تكون علما بالمعنى الصحيح، باعتبار أن الفلسفة ممارسة عقلية لزم عليها أن تكون على نفس الخط مع المقتضيات النظرية للعقل ، أو على حد تعبير هوسرل " قيام حياة تحكمها معايير العقل الخالصة " وهذا من وجهة نظر دينية أخلاقية . وقد كان هذا المطلب لصيقا بالفلسفة منذ ظهورها ، إلا أنه يقوى ويضعف من مرحلة تاريخية إلى أخرى ، لكن لم يتحقق بعد ، وهذا راجع إلى مغالطات عدة ظل الفكر البشري يحتكم إليها دون أن يأبه إلى المطلب الحقيقي للفعل الفلسفي ألا وهو علمية الفلسفة ، وليست العلمية بمفهومها العام ، بل أكثر من هذا علمية تحمل الدقة والصرامة طبعا هاته العلمية للفلسفة لها مدلولها الخاص وفقا لرؤية هوسرل ، التي سوف تتضح بشكل جلى في كتابه هذا . الذي أراد من خلاله الوقوف على كل ما قد حال دون تحقيق هاته الغاية الحقيقية للفلسفة . وهنا هوسرل رأى أن هذا الحاجز - إن صح التعبير - الذي عرقل علمية الفلسفة هو المذهب الطبيعي الذي ساد القرن التاسع عشر ، حيث خصص هوسرل مقالته هاته من أجل ضرب أعماق كل فلسفة بنيت على هذا المذهب ، وكذلك علم النفس التجريبي خصه هوسرل بالنقد ، وكل هذا من أجل التأسيس للفلسفة من جديد، لأنه ارتأى الخلل في الأسس الأولى التي بُنيت عليها، وبالتالي لا يمكن لها أن تكون علما صارما إلا بإعادة النظر في المبادئ الأولى، وسوف يأخذ هوسرل هذه المعطيات بدراسة نقدية تخرج برؤية جديدة للفلسفة . فهو سرل خص مقالته هذه من أجل شن حرب على المذهب الطبيعي وعلى كل ما أنجر عنه .

لقد تكلم هوسرل عن الرهانات الحقيقية للفلسفة ، التي رأى أنها لم تحقق بعد في كل المراحل التطورية للتاريخ الفلسفي، حتى في العصر الحديث بكل ما حمله من تقدم وتعدد في الاتجاهات وتناقضاتها فيما بينها تندرج كلها تحت جوهر واحد منذ عصر النهضة إلى الوقت الحاضر . ولقد رأى أن الطابع العام الذي غلب على الفلسفة الحديثة هو محاولتها بناء نفسها علما دقيقا ، وهذا بإتباعها منهجا تأمليا نقديا . ورغم كل محاولاتها الجادة والمعقدة في إصلاحها لمنهجها، إلا أنها في الأخير خلصت في نتائجها إلى تأسيس العلوم الطبيعية ، والعلوم الإنسانية وتحقيق استقلالها ، وأيضا الرياضيات خلصت إلى الاستقلالية بمباحثها ، إلا أن رغم كل هذا المنحى التطوري للفكر، بقيت الفلسفة لم ترق بعد إلى أن تكون علما دقيقا حسب هوسرل الذي يعرف الفلسفة على أنها: " من حيث جوهرها علم بالمبادئ الحقيقية ، وبالأصول ، وبجذور الكل، وإن علم ما هو جذري ، يجب في سلوكه أن يكون جذريا ، وهذا من كل ناحية ، ومن حيث كل اعتبار." ¹¹ كما يؤكد هوسرل الصلات الوثيقة بين العلوم الإنسانية والطبيعية والفلسفة ، حيث أن الفعل الفلسفي على وجه التخصيص من الناحية العملية في اتصال جوهرى والروح الإنسانية ، لكن هذا يتطلب من حيث المبدأ موقف جديد في الأهداف والمناهج ، ومن خلال هذا يتسنى لنا معرفة إن كانت هذه الرؤية الجديدة للطابع الفلسفي تبقى في نفس المستوى مع العلوم التجريبية والروح الإنسانية ، يقول هوسرل أن هذا بقى محل جدل ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الملامح العلمية للإشكالات لفلسفية لم تتضح بعد. ويستطرد هوسرل أكثر مؤكدا أهمية الفلسفة وفقا لغاياتها التاريخية من حيث أنها أسس العلوم وأدقها لأنها تلبي مطلب الإنسانية الدائم في المعرفة ، لأنها تبحث في ما هو مطلق وخالص هذا من جهة ، وفي القيمة والإرادة المطبقة من جهة ، ورغم هذا لم تستطع المعلمة الأولى ؛ أي الفلسفة كما أنعتها هوسرل لم تستطع بعد أن ترقى وتكون علما صارما، بل لم عاجزة كل العجز في أن تُعلم تبعا لطريقة موضوعية ، وفي هذا الصدد يستحضر هوسرل مقولة كانط: « ليس في استطاعتنا أن نتعلم الفلسفة، بل التفلسف فحسب.» ¹² التي ذهب بها تأويلا إلى القول بأنها نفي للطابع العلمي للفلسفة . ومؤدى هذا عائد إلى افتقاد الفلسفة إلى حد الآن حسب رأي هوسرل إلى إشكاليات ومناهج ونظريات محكمة ، واضحة بذاتها تجعل من الفلسفة قابلة للتعلم ، وهنا هوسرل لا يقلل من أهمية الفلسفة ، أو يقر بأنها علما ناقصا بل يقول : « أنا لا أقول إن الفلسفة علم ناقص ، بل أقول ببساطة أنها ليست بعد علما ، وأنها لم تخط بعد خطواتها الأولى بوصفها

علما.¹³ وفي هذا نجده يضع العلوم الأخرى موضع نقص، حتى تلك المضبوطة التي شددت إعجابنا بها، مستندا في ذلك إلى أن هاته العلوم لانتهائية الأفق في مشاكلها القائمة بلا حل، إضافة إلى عيوب مضامينها الفعلية، فرغم الترتب المنهجي لبراهينها ونظرياتها إلا أنه تبقى هناك عوالم غموض فيها. لكن يبقى مضمون حاضر هاته العلوم يستمر في النمو والتشعب، فلا أحد يشك في موضوعية الرياضيات والعلوم الطبيعية، فلا تحضر الذات عموما بأي شكل من أشكالها. أما بالنسبة للفلسفة فلا يمكن أن تحمل النقص في تعاليمها إلا في القليل من مواضعها، وهذا لأن كل ما في الفلسفة محل جدل، أو منوط لرأي شخصي، أو مدرسي، أو مذهبي... الخ.

إن ما أراد هوسرل الوصول إليه هو بسط أرضية خصبة تأسيسية يمكن لها أن تجعل من الفلسفة علما صارما، على العكس مما كانت عليه في شكل ينفي علميتها، ولهذا وجب أولا أن معرفة فيما إن كانت الفلسفة لازالت متمسكة بمطلبها هذا، أي في أن تكون علما دقيقا أو لا؟ وعليه فإن المحطات الثورية التي تساهم في تطور الفلسفة، هي تلك التي يتم فيها تحطيم المسار العلمي المزعوم للفلسفات السابقة التي تدعي أنها علم، وهذا بإعادة بناء جديد للفلسفة، يتم فيه فحص منهجي توضح فيه شروط العلم الدقيق بشكل جلي. هاته الشروط التي أغفلتها الفلسفات السابقة، أو كانت تسيء فهمها. لكن الوعي بضرورة في أن تكون الفلسفة علما دقيقا كانت تحمله بعض الفلسفات، كالسقراطية و الأفلاطونية، كذلك مع الديكارتية، لتتجدد بشكل كبير مع الكانطية في نقد العقل، كما سيطرت أيضا على تفلسف فيخته الذي قال بتجريد 'الأنا' من المضامين الكلية للوعي، وافترض وجودها من حيث أنها 'أنا' في ذاتها، لكن هذا المنحى لم ينحو منحى التغيير إلا مع ظهور الفلسفة الرومانتيكية، شأنها شأن الفلسفة الهيكلية التي تفتقد إلى النقد العقلي رغم تمسكه بالصحة المطلقة لمنهجه ومذهبه، ففي السنوات اللاحقة للرومانتيكية بصفة عامة، والهيكلية بصفة خاصة ضعف النزوع إلى تكوين علم فلسفي دقيق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إلى تزييف الفلسفة كعلم صارم. فهذا العمد إلى التزييف مآله ومردده كما يقول هوسرل راجع إلى ما أعطته الهيكلية والعلوم المضبوطة من دفع قوي للعلوم الطبيعية في القرن الثامن عشر بمنزعتها الشكي الذي كان يدحض كل مثالية وموضوعية مطلقة تتحكم في النظرة العامة للعالم وفلسفة العصر القريب.

أما بالنسبة إلى إضعاف النزوع نحو علم فلسفي دقيق الذي أرسته الهيكلية يكمن في نظرياتها التي أعطت منظورا يفسر التفسير النسبي لكل فلسفة حسب عصرها، رغم أنها تُدعى نظرية الصحة المطلقة ، التي تعكس معنا مغايرا لما نسبه إليها المذهب التاريخي، ويقول هوسرل في هذا الصدد : « فقد كان للفلسفة الهيكلية من حيث هي ميل إلى إضعاف النزوع العلمي في الفلسفة، عواقب نشأت عن نظرياتها في التبرير النسبي لكل فلسفة بحسب عصرها ، ولا شك أن لهذه النظرية في نسق يدعى الصحة المطلقة ، معنى مختلفا تمام الاختلاف عن المعنى الذي ينسبه إليها المذهب التاريخي.»¹⁴ وهذا ما أخذت به الفلاسفات التي فُقدت مع فقدان فلسفة هيكل، التي كان كل إيمانها هو بناء كل فلسفة على المطلق أيا كانت ، لكن مع تحول فلسفة التاريخ الميتافيزيقية عند هيكل إلى مذهب تاريخي شككي ، فقد تشكلت بهذا فلسفة جديدة هي فلسفة النظرة العامة إلى العالم ، التي قال هوسرل أنها انتشرت بشكل كبير في عصرنا ، ورغم أنها في جدال ضد المذهب الطبيعي وحتى التاريخي في بعض الأحيان لم تأب قط في أن تكون شككية ، كما أنها تخفي نفسها ، ولا توضح طريقها ، إلا أنها خاضعة لتلك الرغبة في أن تكون علما دقيقا ، هاته الرغبة التي غلبت على العصر الحديث حتى كانظ . وإضعاف التوجه إلى فلسفة باعتبارها علما دقيقا ينطبق على وجه الخصوص على النظرية القائلة بحصر الفلسفة في مجرد رؤية للعالم، أي في نظرة عامة للعالم .

فهوسرل حاول إعادة قراءة المراحل التاريخية للفلسفة حتى يترصد ما إذا كانت هناك رغبة في تأسيس فلسفة ذات مضامين صحيحة ، ترقى في أن تمنح الفلسفة صفة العلمية أم لا ، فعاد إلى السقراطية ووضع خط عودتها للإنسان ، ثم الأفلاطونية وهنا تحضر الماهية ، ثم الديكارتية والكوجيتو ، أي كل شيء متوقف عن الذات ، لينتقل بذلك إلى الكانطية التي وضعت الحدود بين الذات والموضوع ، فهاته المحطات وجد فيها هوسرل هذا المنزع الذي يبحث عنه ، الذي ما إن فتى إلى أن يتبدد مع الهيكلية والمذهب التاريخي ، كي يعطي الدفع للمذهب الطبيعي الذي يحيل الفلسفة إلى اللاعلمية ، ومع المذهب التاريخي الشككي ، أصبح التوجه نحو نظرة عامة للعالم لا إلى فكر فلسفي علمي دقيق .

كان هوسرل هو الشخص الذي وقعت على عاتقه مهمة إعادة تأسيس دعاوى الفلسفة الخاصة ضد الامبريالية العلمية، ولبلوغ هذه الغاية كان عليه أن يبرهن على شيئين : أولا كان من الضروري بالتحديد بيان حدود الغزو الذي قامت به العلوم التجريبية الخاصة للمجالات الفلسفية السابقة ، وثانيها لا بد أن

تتحرر من مظهر النزق والعشوائية من حيث أنها لم تعد أكثر من رؤية شاملة للكون ، ولهذا ينبغي إثبات أنها في الأقل ند للعقلانية العلمية إن لم تكن تعلوها .¹⁵

إذن من هاته المعطيات حاول هوسرل أن يعيد التأسيس للفلسفة وفقا لمعطيات جديد تتجاوز معطيات المذهب الطبيعي ، الذي عرفه هوسرل على أنه : «ظاهرة تترتب على اكتشاف الطبيعة ، أي الطبيعة منظورا إليها على أنها وحدة للوجود الزماني - المكاني تخضع لقوانين طبيعية مضبوطة .»¹⁶ فهذا المفهوم أخذ المذهب الطبيعي بالتحقق تدريجيا ، وحقق مجالا واسعا من المعرفة الدقيقة أكسبته الانتشار الواسع ، وفي المقابل أيضا المذهب التاريخي الذي عرفه هوسرل على أنه : «ظاهرة مرتبة على وصف التاريخ وتأسيس علوم إنسانية دائمة التجدد.»¹⁷ وعليه يصبح هناك مفارقتين ، العالم المذهب يميل إلى اعتبار أن كل معطى هو بالضرورة طبيعي، وعالم الإنسانيات يرى كل شيء بمنظور روحي، أو أنه بمثابة خلق تاريخي. وبالتالي يحدث هنا التزييف في كل منهما فيسقطا رؤيتهما حتى على ما لا يرى .

- ثالثا: الحدائة و الصراع بين التريسدنتالي و الموضوعي.

إذن هوسرل انطق من نقد نظرية المعرفة التي يؤسسها المذهب النفساني ، والمذهب الفيزيائي ، حيث اعتبر أن كل علم للطبيعي من حيث نقطة ابتدائه ساذج ، لأنه ببساطة ينطلق من الطبيعة ، التي هي موجودة هناك ، فلا أحد يشك في أن الأشياء موجودة ، فهي موجودة سواء كانت ساكنة ، أو متحركة ، أو متغيرة في مكان لا نهائي ، وهي مدركة بالحواس على نحو أحكام بسيطة مصدرها التجربة ، والعلم يحاول عرض هذه الأشياء الواضحة بشكل موضوعي صحيح ، وعلى نحو علم دقيق ، وقس على ذلك الطبيعة بأوسع معانيها ؛ أي الفيزيائية والنفسية ، أو هو يصدق على كل علم يبحث في الطبيعة ، وهنا هوسرل يخص بالتحديد علم النفس ، فالنفس لا يقوم بتأليف عالم قائم بذاته ، بل يُعطى على أنه تجربة معاشة للأنا ، فما هو نفسي يظهر على شكل تجربة مرتبطة بأشياء فيزيائية تسمى الأجسام ، وهذا أيضا معطى سابق واضح بذاته . إذن فمهمة علم النفس أن يستكشف بطريقة علمية ، هذا التواجد النفسي داخل الكلية الفيزيوسيكولوجية للطبيعية ، وذلك على هذا النحو حسب قول هوسرل : «... وأن يحده تحديدا صحيحا موضوعيا ، وأن يكتشف القوانين التي بمقتضاها يتكون ويتبدل ، يظهر ويختفي . إن كل تحديد نفسي ، هو بحكم طبيعته نفسها ، تحديد نفسي فيزيائي.»¹⁸

إذن هوسرل أراد لعلم النفس أن يكشف عن تواجده الخفي في الطبيعة بشكل موضوعي ، وأن يحدد القوانين التي يحتكم إليها في مختلف حالاته . على أن يأخذ دلالات فيزيائية تلازمه بشكل دائم . لأن علم النفس التجريبي ينظر للشعور على أنه مضامين مجردة ، لا تحمل دلالات طبيعية ، وبالتالي لا يهتم بالعلاقات النفسية الطبيعية بمعناها المحدد ، رغم انه يربط الأحداث النفسية بالطبيعة ، على أنها أضرب من ضروب الشعور إنسانية أو حيوانية ، ومرتبطة بأجسام إنسانية أو حيوانية . وبالتالي هذا سوف يجرّد النفس من كونها واقعة طبيعة يمكن تحديدها موضوعيا و زمانيا ومن هنا هوسرل ينطلق من هذا المبدأ على أن « كل حكم نفسي يتضمن في ذاته ، على نحو صريح ، أو غير صريح وضعا للطبيعة الفيزيائية على أنها موجودة.»¹⁹ وهذا ما يطلق عليه هوسرل الوضع العام أو القضية العامة للموقف الطبيعي ، الذي فصل بيانه بعد ذلك في كتابه " الأفكار " .²⁰

ويؤكد هوسرل ما إذا كانت هناك حجج دامغة، تؤكد أنه لا يمكن لعلم الطبيعة الفيزيائي من أن يكون فلسفة بالمعنى العلمي الدقيق ، ولا يمكن أن تؤسس عليه فلسفة ، ولا يمكن له أن يحقق قيمة فلسفية لمطالب الميتافيزيقا ، إلا في ظل فلسفة سابقة ، فهذا يعني أن كل الحجج والبراهين التي من هذا القبيل تكون قابلة للتطبيق على علم النفس، ليعود بذلك هوسرل للتذكير مرة أخرى بسداجة العلم الطبيعي ، التي ترى الطبيعة على أنها معطى ، على الرغم من النقدية الخالصة التي يتميز بها إلا أنه يرتد في كل مرة إلى التجربة البسيطة التي انطلق منها ؛ أي يعود للتجربة ذاتها، رغم أن التجربة البسيطة المعزولة لا قيمة لها مهما تراكمت ، حتى وإن كانت ضئيلة ، فمقياس التجربة الصحيحة عنده هو في ارتباطها المنهجي ، وفي التفاعل بين التجربة والفكر الذي تحكمه قوانين محكمة ، ومع كل هذا النقد للتجربة القادر على إقناعنا ، لكن تحت لواء العلم الطبيعي ونفكر تبعاً له ، فهو سرل يرى أنه من الضروري، بل من المحتّم قيام ضرب آخر من نقد التجربة يختلف كل الاختلاف عن السابق ، حيث توضع التجربة بما هي كذلك ، في موضع تساؤل ، ونفس الشيء بالنسبة لأسلوب التفكير في العلم التجريبي . يقول هوسرل في هذا الصدد : « إن منهج نقد المعرفة هو المنهج الفينومينولوجي، الفينومينولوجيا بما هي نظرية عامة في الماهية التي يدخل فيها علم ماهية المعرفة . أي ضرب من المنهج هو، كيف لعلم بالمعرفة أن يقوم إن كانت المعرفة بعامة موضع تساؤل سواء من جهة معناها ، أو من جهة إجرائها ، أي منهج بإمكانه أن يقودنا إلى الأهداف المطلوبة.»²¹

إذن وضع التجربة موضع تساؤل قال هوسرل أنه يثير أماننا مشكلات تتعلق بنظرية المعرفة ، فكيف يمكن إذن للتجربة بوصفها وعيا أو شعورا أن تعطي موضوعا أو تتصل به ؟ وكيف يمكن للتجارب أن يصحح أو يبرر بعضها البعض ، وليس أن يفند بعضها الآخر ، أو تدعم بعضها البعض بشكل ذاتي ؟ وكيف تستطيع لعبة الشعور التي تتميز بطابع ذاتي أن تنشئ معطيات صحيحة موضوعيا بالنسبة للأشياء الموجودة في ذاتها ولذاتها؟ ، ولماذا لا تكون قواعد لعبة الشعور غير منطبقة على الأشياء ؟ ، وكيف يتسنى لعلم الطبيعة أن يصبح مفهوما في جميع الحالات ، إلى هذا الحد رغم أنها في كل خطوة من خطواته يضع الطبيعة ويجدها كطبيعة في ذاتها في مقابل السيل الذاتي للشعور ؟ كل هاته الإشكالات تصبح ألبان حينما تكون تحت التأمل الجاد ، ليؤكد بذلك هوسرل أن لنظرية المعرفة إنما هي مبحث يحاول الإجابة على هذه الإشكالات ، التي لم تجد بعد حلا واضحا ، وحاسما وعلميا ، رغم كل الجهود التي يبذلها الباحثين فيما يتعلق بهاته الأسئلة .

رابعاً: أصنام النزعة الموضوعية.

لقد كان تشبث هوسرل بالمطلب الأساسي للفلسفة في أن تكون علما صارما ، منذ مؤلفه "أبحاث منطقية " الذي قام في جزئه الأول " مقدمات للمنطق الخالص " بتفنيد دعوى النزعة السيكولوجية وبيان مخاطرها التي تتجلى في أن تقود إلى نزعة نسبية متطرفة ، بل وريبة ، تقضي على طموح العلم نحو إنشاء معرفة صارمة لها صلاحية موضوعية.²² هذا بعدما كان في كتاباته الأولى معجبا به ، أراد من خلاله رد الرياضيات إلى أصول نفسية وذلك في كتابه " أصول الحساب " الذي انتهى فيه إلى أن هناك فعل نفسي يقوم بتجميع العناصر الفردية ، هو فعل الارتباط الجمعي ، الذي يجعل تلك العناصر الفردية تأخذ صورة عقلية موحدة مجردة ، وذلك دون الحاجة إلى تفسيرات عقلي أو منطقية يرد إليها الرياضة ، وكانت هذه النتيجة بداية تفكير هوسرل في تحويل الفلسفة إلى علم كلي دقيق مثل الرياضة التي ترد بالتحليل إلى عناصر تجريبية.²³

لكن هوسرل بعد دراسته للمنطق عاد للثورة على الاتجاه النفسي التجريبي السابق ، فالقوانين المنطقية بالنسبة لهوسرل تختلف في نوعها عن القوانين السيكولوجية اختلافا كاملا ، فهي قوانين قبلية ونموذجية ، ومن ناحية فإن الاتجاه النفساني يفسد تماما القوانين المنطقية ، فهذه القوانين لا شأن لها بالفكر ولا بالقضية

ولا بالحكم ، إلى غير ذلك ، وإنما هي تتصل بما هو موضوعي ، إن المنطق ليس حكما معينا يطلقه أحد الناس ، بل المضمون الذي يحتويه هذا الحكم، ودلالته ، والمدلول والمضمون ينتميان إلى مستوى نموذجي.²⁴ فخلص إلى أن تحليل الرياضة، وأيضا تحليل الأسس النفسية الخاص بما ترتد في النهاية إلى علم المنطق، وبدأ بتفنيد كل ما هو تجريبي مادي ، لأنه سيكون بالضرورة جزئي متغير لا يصلح لإقامة علم يقيني جديد يكون أساسا لكل العلوم والمعارف البشرية ، وقد احتاج الأمر منه أولا إصلاح علم النفس التجريبي ، وكذلك إصلاح المنطق الصوري القديم. ليخرج منهما علمين جديدين يؤسس عليهما بعد ذلك العلم اليقيني الكلي الذي هو الفينومينولوجيا.²⁵

إذن هوسرل بدأ بنقد المذهب الطبيعي كونه مبني على المادة ويستند إلى التجربة ، وبالتالي فهو معطى جزئي متغير ، فهو لا يرى سوى الطبيعة، والطبيعة أولا، ووجوده إما أن فيزيائيا ينتمي إلى الكلية الموحدة للطبيعة، وإما أن يكون نفسانيا، لكن الوجود النفساني يكون متوقفا على الوجود الفيزيائي، وهو مجرد ظاهرة ثانوية تلازمه بشكل متواز، إذن كل موجود هو بالضرورة ينتمي إلى طبيعة نفسية - فيزيائية ، أي أنه متوقف على قوانين محكمة بتحديد قاطع ، فلا يمكن أن يتغير أي شيء جوهري استنادا إلى هذا التفسير إذا كانت الطبيعة الفيزيائية تأخذ بالمذهب الوضعي سواء كان يقوم على أساس كانطي مأخوذا حسب رؤية المذهب الطبيعي ، أو مجددا لفلسفة هيوم بشكل متسق ، فهي تنحل في شكل مركبات حسية حسب المذهب الحسي ، وإذا كانت الطبيعة النفسية فهي أيضا تنحل بالمثل إلى مركبات مكتملة للإحساسات الأولى ، أو لأخرى غيرها .

وما عابه هوسرل على المذهب الطبيعي بمختلف صورته المتطرفة منها أو المتسقة ، بدءا بالمذهب المادي الجمعي إلى أحدث صور الواحددي ، الحسي، ومذهب الطاقة الحية، أنه يتميز بخاصيتين هما : تطبيع الشعور بما في ذلك معطيات الشعور المحايثة القصدية ، وتطبيع الأفكار، وبالتالي سائر معطيات المثل العليا والمعايير المطلقة ؛ أي أنه يُرجع كل شيء إلى الطبيعة ، يُسقط المفاهيم الطبيعية على مختلف الظواهر حتى وإن كانت من طبيعة روحية ، أو صورية مجردة . إذ يرى هوسرل أن المذهب الطبيعي يُفند نفسه بنفسه ، فلو أخذ المنطق الصوري ، الذي يعرف بالقوانين التي تحكم الفكر ، كنموذج على كل طابع مثالي في التفكير ، يفسره المذهب الطبيعي على أن مبادئه هي قوانين طبيعية ، وقد وضع هوسرل في المجلد الأول من كتابه " الأبحاث

المنطقية" حيث نجده قائلًا : «...لكن ما إذا خلطنا بين القانون والأفعال الحكمي لهذا القانون ومعرفته ؛ أي بين المثالي والواقعي ، فإن القانون سيظهر بوصفه قدرة معينة لمسار فكرنا. وسيكون من السهل عندها أن نفهم أنه إلى هذا الخلط الأول سيضاف آخر أعني القانون كطرف في السببية ، والقانون كقاعدة للسببية ، ومن المؤلف لدينا، من جهة أخرى، التحدث بتورية عن تفسير القوانين الطبيعية بوصفها قدرات تتحكم بأحداث الطبيعة - كما لو أن قواعد التعالي السببي يمكن لها بدورها أن تتدخل تدخلًا ذا معنى كأسباب، أي بالضبط كأطراف في هذا التعالق . هذا الخلط الخطير بين أشياء مختلفة أساسًا مثل هذا الاختلاف ، قد شجعه بوضوح ، شأن الحالة المعينة هنا ، الخلط المعمول به سلفًا بين القانون ومعرفة القانون .»²⁶ فهو سرل يشجب هذا الخلط كما سماه هو بإرجاع مبادئ الفكر إلى القوانين الطبيعية ، أي الخلط بين المثالي والواقعي ، وهذا بدوره يفسر كل امتناع أو إحالة تميز أي نظرية من نظريات المذهب الشككي * ، لأنه حسب ما يقول هو سرل " ... فإذا تأتى لنا أن نفكر على غير ما تطلبه هذه القوانين فذلك لأننا لا نفكر بصحيح العبارة ، ولا نحكم مثلما تتطلب قوانين التفكير الطبيعية ، أو طبيعة ذهننا الخاصة بما هو ذهن مفكّر ، بل تبعًا لما تعينه قوانين أخرى ، ومن جديد بعلاقات سببية متتبعين آثار العادة والهوى ...المخلبطة " ، أي أن كل فكر قائم على أساس لا طبيعي ، فهو حسب زعمهم غير صحيح ، وهذا ما أنكره هو سرل ، هذا البناء لشيء على آخر يخالفه في الطبيعة ، ويقول مؤكداً أنه في مقدور المرء أن يوجه نقداً جذرياً من هذا القبيل إلى مبحث القيم ، والفلسفة العلمية ، بما في ذلك علم الأخلاق في المذهب الطبيعي ، بل وإلى الممارسة التطبيقية لمبادئ المذهب الطبيعي ، لأن أضرب الإحالة النظرية لا بد أن ينتج عنها ضروب من الإحالة ؛ أي ضروب من عدم الاتساق واضحة في أساليب السلوك الفعلية .²⁷ فما يقود إلى إفلاس الثقافة القائمة على العقل لا يكمن في جوهر العقلانية ، بل فقط في استلابها ؛ أي في ذوبانها في الطبيعية و الموضوعانية.²⁸

ولقد اعتقد هو سرل مستغرقاً في مثاليته على حد تعبير هابرماس أنه من الممكن مواجهة الشر ، بمجرد تأمين أساس ظاهري دقيق للعلوم الأخلاقية. وقد اعتقد هو سرل أن جذور الأزمة تكمن في سعي العقلانية المتلبسة إلى تأسيس هذه العلوم الأخلاقية وفق طريقة مغلوطة ومدمرة ؛ أي الارتكاز إلى نموذج العلوم الطبيعية لإعادة جميع الظواهر الثقافية الذهنية إلى أصول يمكن إيضاحها على قاعدة الفيزياء.²⁹

لينتقل بذلك هوسرل للتكلم عن الفيلسوف الطبيعي، الذي إذا نُظر إليه بدقة، لُوجدت فيه المثالية والموضوعية في منهجه ، لأنه ببساطة يريد إصباغ الطابع العلمي على كل ما هو حقيقي، وعلى كل ما هو جميل وخير بحق ، وبالتالي لا يمكن للعاقل سوى القبول ، كما أنه يود إخضاع كل ما هو حقيقي لمهيبته الكلية ، ويجد النهج الممكن للحالات الخاصة ، ومن خلال هذا يرى الفيلسوف الطبيعي أنه بلغ هدف عن طريق العلم الطبيعي وفوق كل هذا يُنصب نفسه عالما ومصالحا عمليا فيما يتعلق بالحق والخير والجمال ، لكن رغم المثالية التي يقدمها في نظرياته ، تنكر الافتراض الضمني في سلوكه المثالي ، وهذا سواء أثناء التأسيس لنظرياته ، أو أثناء التبرير لقيم أو معايير عملية يثني عليها على أنها الأجل والأحق ، وذلك لأنه يضع نظريات مطلقة ، في مقابل التنظير العملي ، ويتعين على أي شخص أن يأخذ بها . نجد أن الفيلسوف القائل بالمذهب الطبيعي يعظ ويعلم ، ويأخذ بالأخلاق ، لكنه لا يأخذ بمضامين الوعظ ، ويتجاهل المعاني التي يمكن أن يحملها أي أمر ، وهذا لأنه ليس كقدماء الشكاك في الوعظ ، فهو يعلن صراحة إلغاء العقل سواء أكان هذا العقل نظريا ، أو قيميا ، أو عمليا ، وبالتالي تكون حالته مضمرة أثناء دراسته للظاهرة ، وهذا لتطبيع العقل ؛ أي صبغ العقل بصبغة طبيعية .

لقد دعا هوسرل الفلاسفة إلى لعب دور " موظفو الإنسانية " وفق عبارته المتلبسة هذه كما نعتها هابرماس ، وحتى في مؤلفاته الأولى كان هوسرل قد أعدَّ طريقة تسمح للظاهرتين بالثبوت من صحة موقفهم الإدراكي . وهي كناية عن سلب واقعية الواقع لحل شبكة المصالح التي يدور في متنها المعبوش الواقعي ، ولذلك كي تصبح النظرية الصرفة ممكنة . وكان هوسرل يتدرب يوميا على هذا الرفع للواقع من خلال رياضة ملفتة : فلقد تأمل في هذا الإطار أشهر أو سنين . وشكلت ملاحظاته المكتوبة بطريقة الاختزال مادة لأبحاث أجريت بعد وفاته.³⁰

يرى هوسرل هذا الجدال الذي خلقه المذهب الطبيعي قد حُسم ، على الرغم من صعود تيار المذهب الوضعي والمذهب البرجماتي الذي يفوق المذهب الوضعي في النسبية ، لا يزال في صعود ، وهذا راجع إلى تماهات الحجج المبنية على النتائج ، من حيث التأثير العملي ، لأن الإيمان أصبح إلا ما هو خاضع للتجربة فهو يدخل تحت لواء العلم ، فما دون هذا ، والذي لا يمكن إخضاعه للتجريب ، لا شأن له به ، فهو يدخل حسبته تحت ما هو مدرسي ، وعليه فالمذهب الطبيعي الذي يرغب في بناء فلسفة تكون تؤسس على

العلم الدقيق ، يبدو ناقصا ومعيبا ، وبالتالي فالهدف أيضا من منهجه يكون أيضا معيبا ، ولا سيما أن هناك اتجاهًا من بين المعارضين للمذهب الطبيعي، يرى أن المذهب الوضعي هو وحده الذي يمكن أن تؤسس عليه الفلسفة بوصفها علم ، وهذا في حقيقة الأمر ما هو إلا انحراف عن خط العلم الدقيق ناتج عن فكرة مسبقة . ذلك أن سر قوة المذهب الطبيعي يكمن في جهده المبذول حول تحقيق مبدأ الدقة العلمية على جميع مجالات الطبيعة والروح ، وفي النظرية والتطبيق ، وهذا هو الأسلوب الذي يتبعه من أجل حل المشكلات الفلسفية والقيمية حلا علميا على حد زعمه ، والناظر إلى الفترة المعاصرة يجد أن الغلبة للعلم بدون منازع، الذي لا يعيق مسيره أي شيء ، لكن لو نُظر بدقة إلى الحامل الأساسي الذي يحويه لوجد أنه العقل لا سواه ، الذي لا توجد سلطة تعلو عليه حسب هوسرل ، وبالتالي كل معطيات العلم الدقيق تنتمي إليه ، بما فيها المثل العليا النظرية و القيمية و العملية ، التي عمل المذهب الطبيعي على تزييفها وفي الوقت ذاته يضيف عليها دلائل تجريبية جديدة .

فبعد هذه الإشكالات التي رسمها المذهب الطبيعي والتي حالت دون تحقيق فلسفة تكون بثوب علمي دقيق، قال هوسرل لا بد من مجاوزتها ، بنقد بناء ، يكون بوضع إمكانات واضحة لتحقيق المبتغى الحقيقي للفلسفة فمن خلال توضيح المشكلات والتعمق في معناها ، يستلزم على المناهج المطابقة لهذه المشكلات، أن تفرض بطريقة عقلية حتى يتسنى الحصول على إيمان فعال وحي بالعلم ، وبداية فعلية له ، ومن هنا يكون نقد العلم المذهب الطبيعي انطلاقا من مبادئه ، من خلال تتبع المعنى الحق للدوافع الفلسفية التي عادة ما تصاغ بشكل غامض ومبهم وتعتبر على أنها إشكالات ، وهذا من شأنه أن يوصل إلى الوسائل و السبل الأمثل لبلوغ الهدف المنشود، ومن هنا يكون التركيز على محاربة الطابع المرفوض للفلسفة ، والذي سبقت الإشارة إليه وهو تطبيع الشعور، أي إخضاع الشعور لما هو طبيعي ، وكذلك تطبيع الأفكار، وهذا ما جعل الفلسفة حبيسة النقص واللاعلمية ، و اللادقة

- خامسا: ضرورة العودة إلى العالم المعيش.

إذا كان الهدف الرئيسي لفلسفة هوسرل بصفة عامة هو إرجاع الفلسفة إلى مسارها الصحيح ألا وهو جعلها علما دقيقا، فإن هدف فينومينولوجيا هوسرل بصفة خاصة هو العودة إلى عالم الحياة عالم العيش الذي طمسته الحداثة. فهوسرل هنا طرح مسألة الثقافة الأوروبية التي حان الوقت لإعادة النظر فيها فهي

المهمة الرئيسية لفعل التفلسف. فكيف يمكن للفلسفة أن تعيد قراءة العالم قراءة معاصرة وفق مساءلة فينومينولوجية تعيد الروح للحياة الغربية المطموسة بفعل الحداثة؟

إن الأزمة التي لحقت العلوم الأوربية حسب هوسرل هي أزمة ثقافة برمتها وهي ناجمة عن العلم الحديث الذي تناسى العالم الأصل الذي نشأ عنه وجعله موضع سلب، ف«أزمة العلم كفقدان لدلالته بالنسبة للحياة». ³¹ فهو تناسى معنى الحياة الحقيقي. فالعلم الحديث أدى إلى أشكلة العالم الذي نعيشه، عالم الحياة الذي أزاحه وعوضه بعالم الوقائع المصطنع مخبريا، وهذا لا يعني أن هوسرل يقلل من أهميته العلم الحديث أو يقصيه تماما بل أنه يؤكد على أهميته من ناحية إنجازاته المنهجية ويقول هوسرل في هذا الصدد: « لكن لربما تنشأ لدينا بالفعل من زاوية أخرى للنظر، أي انطلاقا من الشكاوى العامة من أزمة ثقافتنا ومن الدور الذي يعزى فيها للعلوم، حوافز لإخضاع علمية كل العلوم إلى نقد جذري وضروري جدا دون أن نتخلى، بسبب ذلك ، عن المعنى الأول لعلميتها الذي لا يمكن الطعن فيه من زاوية مشروعيتها إنجازاتها المنهجية.»³²

لكن هذه الانجازات المنهجية للعلم لم تقلل من حدة الأزمة التي مست العلوم على اختلاف مشاربها. ولو عدنا للعالم المعيش الذي يعده هوسرل إنه «الأفق الذاتي النسبي لكل إمكانيات تجربتنا إن عالم المعيش هو عالم تجربتنا اليومية ، العالم الذي نعيش فيه قبل كل علمي أو نظري والذي تعطى فيه الأشياء في وضعيات ذاتية ونسبية.»³³ بمعنى أن العالم الذي يريده هوسرل هو عالم معطى مسبقا سابق عن كل تجربة علمية نحياه بوعينا وذاتيتنا أنه «كان موجودا دائما للناس: حتى قبل ظهور العلم.»³⁴ فلا بد من تحويل جذري يخرج الإنسان الغربي من سداجة تجربة العلم إلى تجربة العالم المعيش. فكلما توغلت العلوم الحديثة في النزعة الموضوعية وفي تعميم التقنية كلما كان بعدها عن عالم العيش أكثر، لأن السبب الرئيسي لأزمة العلوم الأوروبية مرهون عند هوسرل بنسيان المظاهر النسبية والذاتية التي تمتلئ بها الحياة بحيث يزداد العالم العلمي بعدا عن الإنسان ليغدو في النهاية مجرد بناءات معزولة عن الحياة. فالعالم المعيش هو عالم ذاتي ونسبي " إنه عالم من الظواهر النسبية التي تنكشف للذات حينما تعمل على العودة إلى مضامين الحياة الواعية في هذا العالم.

ويحدث هذه العودة والتحويل بتبني موقف جديد، بالدخول في بعد جديد للتجربة يكون فيه العالم نفسه محايا، وبين هوسرل الأدوات التي نستعملها في عملية التحويل هذه وهي : أولا التجريد عن طريق

تحويل العالم من عالم وقائع إلى عالم ماهيات معطاة بشكل نهائي، ثانيا: التعليق ويتم بواسطة دفع عملية الوضع الساذج للعالم ورفضها. ثالثا: الردود المختلفة التي تنتهي إلى مستويات مختلفة من الخلو، كما هو الحال في الشعور الخالص حتى تصل في النهاية إلى الذاتية الترسندنتالية الخالصة. رابعا: الحدس الذي يكون موضوعيا وتأسيسيا معا.³⁵

إذن هذا التركيز من هوسرل على العالم المعيش والأهمية التي أولاها له الشيء الذي يبرز في مؤلفه " أزمة العلوم الأوربية" كلها من أجل إبراز سلبية العلم الحدائي و النزعة الموضوعية لأن الأزمة التي شهدتها المشهد العلمي الغربي مردها إلى نسيان العالم المعيش الذي حان الوقت لرد الاعتبار له والكشف عنه.

- سادسا : الفينومينولوجيا و الروح الجديدة للفعل الفلسفي.

لقد وضع هوسرل في أكثر من موضع ما يمكن أن تؤول إليه نظرية المعرفة المبنية على أساس العلم الطبيعي، ليتسنى بذلك فهم ما تحول إليه نظرية المعرفة المبنية على أساس نفسي، فإذا كانت الألباز كامنة في المبدأ الذي تقوم عليه العلوم الطبيعية، فمن الواضح تتجاوز الحلول التي تقدم لها الألباز في المقدمات والنتائج من حيث المبدأ نطاق العلم الطبيعي، وبالتالي سوف يعتبر توهم كل اعتبار يقول بأن العلم الطبيعي سيقدم نفسه حلا لكل الإشكاليات الكامنة فيه. ويقر هوسرل بضرورة إلغاء كل افتراض علمي للطبيعة، أو سابق عن العلم، وكل العبارات التي تتضمن طابعا وجوديا مسبق يضع الأشياء ضمن إطار المكان، والزمان، والسببية إلى غير ذلك من التحديدات المسبقة للظواهر، وبالتالي يجب من حيث المبدأ استبعاد كل تحديد مسبق عن أي نظرية للمعرفة، لا تحمل أكثر من معنى بل تكون محصورة في معنى واحد، ليشمل هذا الاستبعاد كل الأوضاع الوجودية النفسية للباحث؛ أي وجوده الداخلي، ويقول هوسرل في هذا الصدد: «... من حيث المبدأ استبعادها من أي نظرية للمعرفة يراد لها أن تحتفظ بما لها من معنى واحد محدد. ولا شك أن ذلك الاستبعاد يتسع ليشمل أيضا كل الأوضاع الوجودية الخاصة بالوجود العيني للباحث، وقواه النفسية.»³⁶ فلما كانت الفينومينولوجيا هي علم الظواهر فليس من الممكن أن تقوم على أساس علوم الطبيعة التي تنشئ الكون على أساس أشياء ثابتة حقيقية يؤثر بعضها في بعض. وحينئذ تصبح الفلسفة بفضل هذا المنهج علما وصفيا بحتا، ومن هنا كما يقول هوسرل تصبح طرفي الحلقات الطويلة التي قدمتها عقلانية ديكارت لتزود بما الفلسفة على طرفي نقيض.³⁷

وفي محاجة ضد علم النفس يبدأ هوسرل بالتجارب الشعورية التي لا يعالجها بوصفها موضوعا للعلم أي على أنها معطيات واقعية في العالم تحمل الطابع الخاص لما هو ذهني ، وبالأحرى أن المسألة كلها عبارة عن تركيز خاص على الظواهر . وهكذا ينبغي أن يدرك مفهوم علم الظواهر أساسا بمعنى أنه منهج . ذلك أن جميع تلك الافتراضات المسبقة للوجود التي ينظر إليها في الموقف الطبيعي الذي يتخذها الوعي على أنها واضحة بذاتها، هذه الافتراضات قد استبعدت على نحو مصطنع فلا بد من وصف المضامين الخالصة لما هو حاضر في الوعي .³⁸

ولبلوغ هذا قام هوسرل أولا برد العالم الخارجي في صورته الطبيعية إلى الذات أو الأنا التي في حقيقتها تمثل الشعور، وهذا ما سماه " بعملية الرد " الذي جعله نوعين، رد ماهوي نهمل فيه الأحداث الجزئية والمادية للأشياء ونكتفي باستخلاص ماهيتها الكلية، ثم رد متعالي نعلق فيه الحكم على الأشياء المادية الخارجية حين فحص ماهيتها وتحديد معانيها ، والتوقف على الحكم عند هوسرل يعني أيضا وضع العالم بين قوسين مؤقتا لنبحث في ماهيته باعتباره ظاهرة مجردة وقائمة على الشعور وتحتاج إلى معاني متعددة يضيفها عليها الأنا.³⁹

ويرى هوسرل أن نظرية المعرفة كي تفهم العلاقة بين الوجود والشعور ، فإنه لا بد من وضع الوجود بوصفه متزامنا مع الشعور ، بوصفه شيئا مقصودا وفقا لنهج الشعور ، أي أن يكون كما قال هوسرل « مدركا ، أو متذكرا ، أو متوقعا ، أو متمثلا ، أو على هيئة صورة ذهنية ، أو متخيلا ، أو متعينا ، أو متميزا ، أو معتقدا فيه أو مظنونا ، أو مقوما ، أو ... الخ »⁴⁰ من أجل كل هذا كله تحول هوسرل إلى مهاجمة علم النفس التجريبي ونقده لأنه يبحث في وقائع جزئية متغيرة واستبدله بعلم نفس آخر أساسه " فعل القصد " ، الذي يعني أن الشعور يقصد موضوعه ليدركه بواسطة هذا الفعل وقرر أن الشعور المجرد لا وجود له، لأن الشعور بطبيعته هو شعور بشيء وليس شعورا خاويا ، ذلك هو علم النفس القصدي ، أو علم النفس الفينومينولوجي الذي أقامه هوسرل.⁴¹

إن الجديد في مفهوم القصدية مع هوسرل ، هو اعتباره لشيء فعل الوعي مبيتا في بنية هذا الفعل بحيث تبرز من خلاله الوحدة البنوية لهذا الفعل التي تشد الفعل ماهويا إلى شيء ، فكأن شيء الفعل هو من إنتاج الفعل بالذات ومن ابداعه ، على أن يفهم الحفظ مقوما ماهويا في عمل الإنتاج والإبداع . فلا

يكون الفعل بدون شئيه ولا يكون أو يبقى الشيء بدون فعله . من هنا القصد ليس علاقة عادية بين مستقلين ، ولا القصدية علاقة الذات بالموضوع ، فالقصدية ماهويا يميز بنية الوعي وكيونته بعيدا عن تعلقه بالموضوعات . إن هوسرل يرفض التحديد الديكارتي للوعي كتفكير لأن هذا التحديد ليس من شأنه ، كما هو ، أن يبرز وحدة التفكير والمفكر فيه فهي القصدية .⁴² فالموضوع هنا يعطى وينكشف بنفسه لرؤية هذا الشعور المؤسس . إذن فهناك من جهة ارتباط وهناك من جهة ثانية استقلالية . وكأن هوسرل يدعو إلى تجاوز كل من النزعة الواقعية والنزعة المثالية ، وبالفعل يمكن تجاوزهما معا ، لأن الاتجاه الترنسندنتالي يتضمن مثل هذا التجاوز ، وهذا من خلال مفهوم الإعطاء الذاتي أو إعطاء الشيء ذاته.⁴³ ويكون في النهاية الموضوعي هو الموجود وجودا صحيحا وفعليا .

إذن المطلوب حسب هوسرل هو النظر للشعور في شكله الجمعي ، لأن الشعور يدخل بكل آلياته في العملية المعرفية ، لكن الشعور يكون شعورا إلا بالدراسة الماهوية التي تشمل دراسة دلالة الشعور بما هي كذلك ، وعلى موضوعية الشعور بما هي كذلك ، لأن دراسة أي نوع من الموضوعية بماهيتها العامة ، يعني هذا الاهتمام بأحوال وجود الموضوعية كمعطى واستنفاذ ماهيتها في عملية التوضيح التي تخصها . وهذا ما جعل هوسرل يتكلم عن علم جديد لم يتكلم عنه معاصروه ، صحيح أنه يختص بدراسة الوعي أو الشعور ، لكنه ليس بعلم نفس ، فهو سرل أراد قيام علم لظواهرات الوعي في مقابل العلم الطبيعي للشعور ، وفي المقابل لا بد من وجود علاقة بين علم النفس وعلم الظاهريات ، فالأول يهتم بالوعي التجريبي وينظر إلى الوعي على أنه موجود ضمن الطبيعة ، أما علم الظاهريات فينظر للوعي الخالص من وجهة النظر الظاهراتية ، فإذا أخذ بهذا ، بالضرورة ينجر عن هذا القول بأن علم النفس لا يمكن له أن يكون له علاقة بالفلسفة ، بقدر ما يكون علم الطبيعة الفيزيائي هذا من جهة ومن جهة أخرى تأكيد العلاقة الوثيقة بين علم النفس والفلسفة ، وهنا هوسرل يستبعد علم النفس التجريبي الذي حتى وإن وجدت علاقة بينه وبين الفلسفة تكون ضئيلة جدا ، ويحتج هوسرل بأن علم النفس التجريبي يستبعد كل تحليل مباشر وخالص للشعور ، والوصف المحايد ، ويصف هوسرل العلاقة بين علم النفس الأصيل وعلم النفس التجريبي ، أشبه ما تكون بالعلاقة التي تربط بين الإحصاء الاجتماعي ، وعلم الاجتماع الأصيل ، ويقول هوسرل في هاته النقطة : « إن مثل هذا النوع من الإحصاء يجمع وقائع لها قيمتها ، ويكشف فيها اطرادات لها قيمتها ، لكنها اطرادات من

نوع غير مباشر إلى حد كبير . أما الفهم الصريح المباشر لهذه الوقائع والتوضيح الفعلي لها ، فلا يقدر على بلوغها الا علم اجتماع أصيل : أعني علم اجتماع يصل بالظواهر إلى حالة كونها معطيات مباشرة ويبحثها وفقا لماهيته .»⁴⁴

ونفس الشيء بالنسبة لعلم النفس التجريبي الذي قال عنه هوسرل أنه عبارة عن منهج لتحديد الوقائع والمعايير النفسية الفيزيائية ، التي يمكن أن يكون لها قيمة ، لكنها تفتقر بدون علم منهجي إلى الشعور الذي يمكن له أن يستكشف النفسي بطريقة محايدة ، فهو يفتقر لكل ما يمكن أن يؤهله لأن يفهم المعايير النفسية الفيزيائية بشكل معمق .

ويوضح هذا ميرلوبونتي في محاضراته عن العلوم الإنسانية والظاهريات ، هذا المعنى نفسه بعبارات مختلفة فيقول أن نوع وجود الوعي عند عالم النفس التجريبي ، لا يتميز من نوع وجود الأشياء .. فهو موضوع علمي ؛ أي ينتمي إلى العالم ، وعالم النفس يدرسه على هذا التصور ، غير أن هذا العالم لن يتسنى له إدراك ماهية الوعي الأصيلة إلا إذا قام بتحليل ماهوي يقوم على التأمل الانعكاسي لتصور الوعي . والمنهج الذي يستخدمه عالم النفس التجريبي هو منهج الاستقراء الذي يبدأ من الوقائع وجمعها . لكن هذا المنهج يبقى قاصرا و أعمى لو لم ندرك من الداخل ومجدس ماهوي الوعي الذي يهدف هذا الاستقراء إلى تحديده.⁴⁵ نفس الطرح نجده عند هوسرل الذي بدأ إعادة تأسيس فكرة الحقيقة التي كاد المذهب النفساني أن يقضي عليها ، كما فتح في الوقت ذاته الباب أمام الفينومينولوجيا كعلم خاص للماهيات . فما هي العلاقة بين الماهية والظاهرة ؟ يجب العلم أن الفينومينولوجيا لا تبحث في الوقائع الخارجية أو الداخلية ، بل أنها تركز فقط على الوقائع الموجودة داخل الشعور ، أي على ما يسميه هوسرل الماهيات المثالية التي يعني بها تحديدا الظواهر ، ويرى بيار تيفيناس أن فهم مصطلح الظاهرة ، لا بد من استبعاد المقابلة الكانطية : الظاهرة - الشيء في ذاته . إن الظاهرة بالنسبة لهوسرل هي ما يظهر مباشرة في الشعور ، أي أنها تدرك في الحدس قبل كل تفكير أو حكم ، فهي كشف نفسها بنفسها ، أي ما يسميه هوسرل بالإعطاء الذاتي.⁴⁶

فهوسرل نوه على أن من يدخل أرض الفينومينولوجيا عليه بالضرورة فهم الموقف الفينومينولوجي وتطبيقه ، وهذا الموقف يتمثل أساسا في التمييز بين الفينومينولوجيا وعلم النفس بشكل خاص ، إذ أنهما يتناولوا ظاهريا نفس الموضوع ، وهو الشعور ويوضح هوسرل هاته المسألة جيدا في قوله : « الفينومينولوجيا ليست

علم نفس (...) واحتمال اعتبارها هي علم نفس ، مع انها علم افكار ضعيف جدا ، تماما مثلما اعتبار علم الهندسة علما طبيعيا ضعيف... ولا يغير في الامر شيئا كون الفينومينولوجيا تتعامل مع الأنا ، ومع الشعور ، مع كل أنواع الحوادث مع الأفعال ومضائفات الافعال ، إلا أن فهم هذا يتطلب بالتأكيد جهدا غير هين نظرا إلى عادات التفكير المسيطرة.⁴⁷

ويرى ميرلوبونتي أن هوسرل لم يفكر في إحلال علم النفس مكان الفلسفة ، ولا الفلسفة محل علم النفس ، بل جعل لكل مهمته فعلم النفس يدرس الوقائع ، وما بينها من علاقات . أما الدلالة النهائية لهذه الوقائع فلا تستبين إلا بدراسة ماهوية ظاهرانية ، فيها نبلغ معنى الإدراك الحسي ، أو الصورة الذهنية أو الوعي . ولهذا يرى هوسرل ضرورة أن يسبق علم النفس التجريبي بعلم نفس ماهوي.⁴⁸ ولقد أدرك المعاصرون لهوسرل بعد ان اتضح مفهوم الظاهرة والمنهج الجديد في أذهانهم ، أنه من الممكن تجديد علم خاص بالأشياء بواسطة المنهج الفينومينولوجي ، بشرط أن تنتقل من الوقائع التجريبية الى الظواهر ؛ أي إلى الماهيات ، وبهذه الطريقة تعددت الأوصاف الفينومينولوجية ، وسرعان ما تأسس عدد من الفينومينولوجيات : فينومينولوجيا الحق ، الدين، الفن... الخ⁴⁹

بعدما أوضح هوسرل الفعل الظاهراتي وفيما يكمن دوره الحقيقي ، لا العكس من ما أتى به علم النفس التجريبي ، ليعود بذلك للحديث مرة أخرى عن عالم النفس ، وبالضبط إلى الظواهر النفسية التي ينظر إليها علم النفس الجديد على أنها ميدان بحثه ، انطلاقا من المشكلات التي تنسب إلى النفس والأنا، وذلك انطلاقا من التساؤل التالي : هل توجد في كل إدراك حسي للظواهر النفسية موضوعية متضمنة فيه تكون بمثابة طبيعة له، تكون بنفس المعنى الذي هي عليه في كل تجربة فيزيائية ، وفي كل إدراك حسي للأشياء في الواقع ؟ ويجيب هوسرل على هذا بأن العلاقات التي تقوم في المجال النفسي تختلف كل الاختلاف عنها في المجال الفيزيائي ، وأرجع هوسرل هذا الاختلاف إلى أن النفسي ينقسم إلى ذرات أو موندات روحية لا يمكن النفاذ إليها إلا عن طريق الاستشعار ، فالعالم النفسي لا يوجد فيه تمييز بين المظهر والوجود ، فإذا كانت الطبيعة موجودا يتجلى ويظهر في المظاهر ، فان هذه المظاهر لا تشكل وجودا يظهر من خلال مظاهر تقوم وراءه ، مثلما يظهر في أي إدراك حسي لأي مظهر من المظاهر . حسب هوسرل إذن لا توجد سوى طبيعة واحدة ، وهي تلك الطبيعة التي تظهر في مظاهر الأشياء . ويقول هوسرل : " فكل ما نطلق

عليه ، بأوسع معاني علم النفس ، اسم ظاهرة نفسية هو ، ما إذا نظر إليه في ذاته ولذاته ظاهرة بحق وليس طبيعية.⁵⁰ فكل ظاهرة إذن لا تمثل وحدة جوهرية ، لأنها لا تملك خصائص فعلية ، ولا تعرف أجزاء فعلية ولا تغيرات فعلية ولا سببية ، فكل هذا يختص به العلم الطبيعي، فهذا لا يمكن إسقاطه على المجال النفسي لأنه إذا تم ذلك يكون بإحالة خاصة ، يقول عنها هوسرل لا تقل عن تلك التي تكون في السؤال عن الخصائص السببية للأعداد وخصائصها . فهي الإحالة التي تنتج عن تطبيع ظاهرة ما، يكون فيها استبعاد للوجود من حيث هو معطى طبيعي. فالموضوعية في العلوم الطبيعية يمكن تحديدها والتحقق منها، أو تصحيحها في تجارب جديدة ، لكن الظواهر النفسية في متغيرة ولا تحتفظ بوجود ثابت يمكن في هوية ، أي المعطيات النفسية لا تقبل تحديدا موضوعيا مثلما هو الحال في الظواهر الطبيعية .

ومن جهة أخرى أكد هوسرل أنه لا يمكن إخضاع الظواهر النفسية للتجربة ، لأن التجربة لا تستطيع أن تعكس ما هو موجود في العالم النفسي ، ذلك لأن النفسي حسب هوسرل لا يجرب على أنه شيء يظهر فهو ليس مثل الشيء الفيزيائي ، فهو إذن تجربة معيشة ، وتجربة معيشة ترى في التأمل الانعكاسي ، فيظهر نفسه من خلال نفسه من خلال الحدس ، في شكل سيلان مطلق ، على أنه حاضر أنيا ، وغيابه يكون بالفعل ، ويرجع المفهوق دائما إلى ما كان عليه من قبل . فالنفسى يدخل ضمن وحدة موندانية للوعي وليس له أي صلة بالطبيعة ، ولا بالزمان ، ولا بالمكان ، ولا بالسببية ، فالعالم النفسي له وجوده الخاص الذي يعكس الصور الخاص به فهو جسر لا محدود من الظواهر ليس له بداية ولا نهاية ، يتخلله خط قصدي ، وهذا هو الذي قال هوسرل يجب دراسته .

فهوسرل إذن توجه نحو قصدية الوعي ، ويرتبط مفهوم القصدية عند هوسرل بفكرة التعالق بين فعل الوعي وموضوعه ارتباطا وثيقا . إن الوعي ليس وعاء محايدا إزاء ما يمكن أن يُملأ ن بل إنه يتكون من أفعال يتحدد طابع كلا منها بحسب نوع الموضوع الذي يتعلق به والذي لا يمكن أن يظهر للوعي إلا في كفيات العطاء المناسبة له . إن الفعل القصدي سواء كان إدراك ، أو تذكرا ، أو تحيلا ، أو حبا ، أو كرها ، أو رغبة أو نزوعا ، أو قرارا عمليا ، أو تقويما أخلاقيا ، يتعلق انطلاقا من ذاته بموضوع ما بهذه الكيفية أو تلك . يمكن القول : إن الوعي يحمل في ذاته الارتباط بالموضوع.⁵¹ والقصد هنا لا يكون بالتوجه نحو التعبير الذي يظهر في الأشياء ، وإنما يكون القصد نحو الأشياء ذاتها . فالثورة الفلسفية التي جاءت بها

الظاهراتية تقتزن اقترانا تاما بندائها الثوري " إلى الأشياء نفسها " ؛ أي نقطة الابتداء هي الأشياء كما تتمثل في الظاهرة خلال التجربة الخرساء.⁵² فهو سرل يرفض التجريد الفلسفي التقليدي ، وينزع نحو الوصف الظاهري لحقائق الأشياء كما يشهدها الوعي الشخصي . ولذا نقطة البدء دائما في الظاهرة هي الظاهرة نفسها . والظاهرة اذن هي المعطى المقدم إلى الوعي بصفه مطلقة . والموضوعية ذاتها لا تصبح مادة للفكر ، أو للبحث إلا إذا تمثلت على نحو من الأنحاء في الظاهرة.⁵³

أما بالنسبة للأفكار التي طرحها هوسرل فقد جاءت وليدة عصره متماشية وروح العصر ، مشبعة بحس تاريخي ، فهو سرل نظر في تاريخ الفلسفة أولا ثم إعادة قراءته من جديد من أجل أن يبحث في النقص الذي يشوب الفلسفة ويجعلها تتراجع كل هذا التراجع في ظل النزعة العلمية التي فرضها المذهب الطبيعي الذي تزعم القرن التاسع عشر بأكمله ناهيك عن علم النفس التجريبي الذي معه طبع الشعور والأفكار . وأصبحت الفلسفة مجرد رؤية للعالم لا غير .

إذن بما أن الظاهراتية علما قائما له منهجه الخاص به ألا وهو التحليل الرياضي والوصف العلمي ويهدف إلى إدراك الماهيات الحقيقية المدركة ، إذن ليس هناك مانع من استخدامه في المباحث الفلسفية الأخرى ، ولا يوجد مانع من استخدامها في بعض العلوم الإنسانية لتصل إلى يقين أكثر . ومن أجل هذا فقد اتسع مجال تأثير الظاهراتية منذ تأسيسها مع هوسرل وحتى بعد وفاته ، فقد تأثر بها الكثير من الفلاسفة المعاصرين أمثال "الكسندر بفاندر " و"موريس جايجر" و"اديث شتاين " و"مارفن فارير" وغيرهم . واشهرهم كان "ماكس شيلر" الذي استخدم الفينومينولوجيا لدراسة الظاهرة الاخلاقية . واكبر تأثير للظاهراتية تجلى في الفلسفة الوجودية مع "هايدغر" و"سارتر".⁵⁴ نجد من ناحية أخرى هابرماس قائلا عن هوسرل : « لقد ظل تاريخ الفلسفة في الأسمال قبل أن يلبسه هوسرل نظريته التي تبقى في جوهرها لا تاريخية . غير أن موقفه يبقى رغم ذلك مدهشا : فقلد بقي وهو يدافع عن قضية خاسرة وفيما لوهم النظرية الصافية.»⁵⁵

إن هوسرل لم ينشئ مدرسة بوصفه فيلسوفا متعاليا ، ولكنه اكتسب أنصاره بإيمانه الأصلي بمنهج عيني للفلسفة . ومن المفروض أنه قال أنه ينبغي على المرء حين يشحذ سكاكينه أن يستخدمها في القطع وإلا تراكم الصدأ على النصل قبل أن يقدم المرء على العمل . وإذا كان للمرء أن يوثق بتلك الملاحظات ، فإن الفلسفة تبدو غير قانعة بألفاظها وتعريفاتها وتراكيبها ، بل تكون قد قطعت شوطا طويلا للالتقاء بالحس

المشارك العادي وتكون الوقائع الملموسة للتجربة الحقيقية هي الأرضية المشتركة التي يلقي عليها الفهم اليومي والتأمل الفلسفي.⁵⁶

غير أن كل قارئ هوسرل يعرف ذلك الجهاز القاطع المجرد وجعجعة المصطلح ، والهوس المتزمت بوضع التمييزات، الذي يصادفه في كل صفحة سواء في المؤلفات التي نشرت أثناء حياته ، أو في المؤلفات الأخرى التي أصبحت متاحة الآن. وهكذا نرى أن فلسفة العيني هي نفسها مجردة غاية التجريد. وهذا الصراع العميق بين ادعاءات وتحقيقها تعذر حله على هوسرل. وهكذا تألف تراث علم الظواهر لفترة طويلة من موقف معين من وظيفة التفلسف ، ولم يكن تكملة لمذهب هوسرل.⁵⁷ وما يمكن قول هل فعلا ما طرحه هوسرل حول إمكانية أن تكون الفلسفة علما دقيقا يمكن تطبيقه ، ويجد له مكانة فعلية ، أم أنه مجرد تنظير؟

الهوامش

- 1- حسين عبد على اليوسفي ، الظاهرية والوجودية ، ص 9.
- 2- سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، ص 100 .
- 3- المرجع نفسه، ص 99.
- 4- إسماعيل المصدق ، أزمة العلوم الأوربية و الفنونينولوجيا الترنسندنتالية لهوسرل ، ص 10.
- 5- سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، ص 103 .
- 6- نادية بونفقة ، فلسفة إدموند هوسرل، ص 11 .
- 7- سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، ص 102-103 .
- 8- نادية بونفقة ، ادموند هوسرل ، موسوعة الأبحاث الفلسفية (الفلسفة الغربية المعاصرة)، ص ص 142-143 .
- 9- جورج طرايشي ، معجم الفلاسفة ، ص 713 .
- 10- جورج طرايشي، معجم الفلاسفة، ص ص 713 - 71 .
- 11- عبد الرحمن بدوي ، مدخل جديد إلى الفلسفة ، ص 12 .
- 12- إدموند هوسرل : الفلسفة علما دقيقا، ص 24 .
- 13- المصدر نفسه ، ص 24 .
- 14- المصدر نفسه، ص 28 .
- 15- رودجيروبنر ، الفلسفة الألمانية الحديثة ، ص 29 .

- 16- إدموند هوسرل ، الفلسفة علما دقيقا ، ص 30 .
- 17- المصدر نفسه ، ص 30 .
- 18- المصدر نفسه ، ص ، 37 .
- 19- المصدر نفسه ، ص 38 .
- 20- محمود رجب ، الفلسفة علما دقيقا لهوسرل ، ص 12 .
- 21- إدموند هوسرل ، فكرة الفينومينولوجيا ، ص32 .
- 22- إسماعيل المصدق ، أزمة العلوم الأوربية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية لهوسرل، ص13.
- 23- سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، ص 104 .
- 24- إ.م. بوشنسكي ، الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، ص 182 .
- 25- المرجع نفسه ، ص 104 .
- 26- إدموند هوسرل ، مباحث منطقية، ص 100 .
- 27- محمود رجب ، الفلسفة علما دقيقا لهوسرل ، ص 9 .
- 28- يورغن هايرماس ، الفلسفة الألمانية و التصوف اليهودي، ص 68 .
- 29- المرجع نفسه ، ص 68 .
- 30- المرجع نفسه ، ص 69 .
- 31- إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوربية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، ص 43.
- 32- المصدر نفسه، ص 43.
- 33- المصدر نفسه: ص 30.
- 34- المصدر نفسه، ص 32.
- 35- نادية بونفقة، فلسفة إدموند هوسرل، ص ص 147-148.
- 36- إدموند هوسرل ، الفلسفة علما دقيقا، ص ، 40 .
- 37- إميل برهيه ، اتجاهات الفلسفة المعاصرة، ص34.
- 38- رودجيروبنر ، الفلسفة الألمانية الحديثة ، 31 .
- 39- سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، ص 108 .
- 40- إدموند هوسرل ، الفلسفة علما دقيقا، ص 40
- 41- سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، ص ص 104 - 107 .
- 42- أنطوان خوري ، مدخل إلى الفلسفة الظاهرية ، ص 41 .

- 43- نادية بونفقة ، إدموند هوسرل، ص 152 .
- 44- إدموند هوسرل، الفلسفة علما دقيقا ، ص 44 .
- 45- محمود رجب، الفلسفة علما دقيقا لهوسرل ، ص 16 .
- 46- نادية بونفقة، إدموند هوسرل ، ص 144- 145 .
- 47- المرجع نفسه، ص 57-58 .
- 48- محمود رجب ، الفلسفة علما دقيقا لهوسرل ، ص ص 16-17 .
- 49- نادية بونفقة ، فلسفة ادموند هوسرل ، ص 145 .
- 50- إدموند هوسرل ، الفلسفة علما دقيقا ، ص 59 .
- 51- إسماعيل المصدق ، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية لهوسرل، ص ص 15-16 .
- 52- عبد الفتاح الديدي ، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة ، ص 15 .
- 53- المرجع نفسه ، ص ص 16-17 .
- 54- سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، ص 97-98 .
- 55- يورغن هايرماس ، والفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي ، ص 70.
- 56- رودجيروبنر ، الفلسفة الألمانية الحديثة ، ص 39.
- 57- المرجع نفسه، ص 39.

• قائمة المصادر والمراجع

- 1- إم. بوشنسكي ، الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، تر: عزت قرني ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1992 .
- 2- إدموند هوسرل : الفلسفة علما دقيقا ، تر: محمود رجب ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ط 1 ، 2002 .
- 3- إدموند هوسرل ، فكرة الفنومينولوجيا ، تر: فتحي انقزو ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت، ط 1 ، 2007.
- 4- إدموند هوسرل ، مباحث منطقية ، تر: موسى وهبه ، دار كلمة - المركز الثقافي العربي ، أبو ضبي - الدار البيضاء ، ط 1، 2010 .
- 5- إسماعيل المصدق ، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية لهوسرل ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط 1 ، 2008.
- 6- إميل برهيه ، اتجاهات الفلسفة المعاصرة ، تر: محمود قاسم ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، 1956

- 7- أندري لالاند ، الموسوعة الفلسفية ، تر خليل احمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، ط 2 ، 2001 .
- 8- أنطوان خوري ، مدخل إلى الفلسفة الظاهرية ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، ط 1 ، 1984 .
- 9- جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 3 ، 2006 .
- 10- حسين عبد على اليوسفي ، الظاهرية والوجودية ، مجلة الطريق الثقافي ، العراق ، العدد 82 ، كانون الثاني ، 2013 .
- 11- رودجير بوبنر ، الفلسفة الألمانية الحديثة ، تر: فؤاد كامل ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، د س .
- 12- زكي نجيب محمود ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، تر فؤاد كامل وآخرون ، دار القلم ، بيروت ، د ط ، د س .
- 13- سماح رافع محمد ، المذاهب الفلسفية المعاصرة ، مكتبة مدبولي ، مصر ، ط 1 ، 1973 .
- 14- عبد الرحمن بدوي ، مدخل جديد الى الفلسفة ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 1 ، 1975 .
- 15- عبد الفتاح الديدي ، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، 1966 .
- 16- محمود رجب ، الفلسفة علما دقيقا لهوسرل ، المجلس الاعلى للثقافة ، مصر ، ط 2 ، 2002 .
- 17- نادية بونفقة ، ادموند هوسرل ، موسوعة الأبحاث الفلسفية (الفلسفة الغربية المعاصرة) ، منشورات الإختلاف ، الجزائر، ط 1 ، 2013 .
- 18- نادية بونفقة ، فلسفة ادموند هوسرل ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2005 .
- 19- وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، تر: إمام عبد الفتاح إمام ، التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2010 .
- 20- يورغن هابرماس ، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، تر: نظير جاهل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1995 .

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والأولاد واللغات، المجلد 01 العدد 06 بتاريخ 2020/11/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الأخلاق البايولوجية عند هابرماس في ظل جائحة كورونا

أ.م.د. حمزة جابر سلطان

العراق- جامعة الكوفة - كلية الآداب - قسم الفلسفة

hamzah.Alasadi@ uokufa. edu.iq

الباحثة بيداء داود سلمان

العراق- جامعة البصرة - كلية التربية للبنات

bydadawd@ gmail. com

تاريخ الإيداع: 2020/10/04 م تاريخ التحكيم: 2020/10/13م تاريخ النشر: 2020/11/15م

الملخص بالعربية:

إنّ الحديث عن العلوم البايولوجية يعني الحديث عن الثورة البايولوجية المرتبطة بالمعرفة والتطور التقني الاحيائي ، مما جعل النظر إلى الأخلاق البايولوجية بأنها ليست أخلاقيات مهنة العالم البيولوجي فقط بل هي أيضا أخلاقيات التطبيقات الطبية ، لأن التطبيقات الطبية التي تتعلق بموضوع علم الأحياء وعالم الموروثات تعنى اليوم بالبحث عن قضايا أخلاقية مختلفة ومتنوعة كالأنجاب ، والنسل ، والعقل ، والذكاء ، والوراثة وغيرها من الموضوعات التي لها الأثر الكبير في المجتمع ، وبالأخص في ميدان التواصل ... ألخ. وقد عني هذا البحث بدراسة الأخلاق البايولوجية عند هابرماس في ظل جائحة كورونا .

لقد نظر هابرماس إلى الأخلاق البايولوجية من جانب تقني ، حيث يرى أن هذه التقنية تتداخل مع البايولوجيا قد تنتج (البيوتيقية) ، والتي بدورها تنتج إشكالية الأخلاق المصنعة (البيوتيقيا) ، لتدخل في طبيعة الإنسان وتحديد معالمها.

الكلمات المفتاحية: العلوم البايولوجية ، الأخلاق البايولوجية ، هابرماس، جائحة كورونا .

Habermas's bioethics in light of Corona pandemic

Asist.prof.Dr. Hamza Jaber Sultan

Iraq- University of kufa- College of Arts- Department of philosophy

hamzah. alasadi@uokufa.edu.iq

Baydaa Daood Salman

Iraq- University of kufa- College of Arts- Department of philosophy

bydadawd@ gmail.com

Abstract

Talking about biological sciences means talking about the biological revolution related to knowledge and biotechnological development, which made the view of bioethics as not only the ethics of the biological world profession, but also the ethics

of medical applications, because medical applications that relate to the subject of biology and the world of genetics today are concerned with searching for different and varied ethical issues such as reproduction, offspring, reason, intelligence, genetics and other issues that have a great impact on society, especially in the field of communication ... etc. This research is intended to study the bioethics of Habermas in light of Corona pandemic.

Habermas has looked at bioethics from a technical side, as he believes that this technology interferes with biology that may produce (biotechnology), which in turn produces the problem of synthetic ethics (biotechnology), to interfere with the nature of human and define its features.

Keywords: bio-science, bioethics, Habermas, Corona pandemic.

المقدمة

يسعى هذا البحث إلى بيان معنى (الأخلاق البايولوجية عند هابرماس في ظل جائحة كورونا) ويتم ذلك من خلال ربطها بالأخلاق البايولوجية الطبية العامة التي كانت نقطة انطلاقنا للوصول إلى مفهوم خاص لهذه الأخلاق عند هابرماس.

نظر هابرماس إلى الأخلاق البايولوجية من جانب تقني ، إذ يرى انها تتداخل مع البايولوجيا قد تنتج (البيوتيقية) ، والتي بدورها تنتج إشكالية الأخلاق المصنعة (البيوتيقيا) ، لتدخل في طبيعة الإنسان وتحديد معالمها.

مشكلة البحث

هي بيان أثر جائحة كورونا في التواصل والنظر في المخاطر التي سببتها هذه الجائحة من إنتهاكات لمبدأ المساواة ، أو قلة التجهيزات المناسبة لتغطية المرضى في ظل الأعداد الكثيرة والمتزايدة فيها.

فرضية البحث

وفيما يخص البعد الأخلاقي لهذه الأزمة فقد شدد هابرماس على حيثيتين :

الأولى : هي عدم المساس بالكرامة الإنسانية.

الثانية : هي أن كل "شخص الحق في الحياة والسلامة الجسدية. "

منهج البحث

أستعمل الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في أربعة محاور ، تتقدمها مقدمة ، وتتبعها خاتمة بأهم النتائج ، ومن ثم أهم روافد البحث التي رفدت مصادرة ومراجعته.

درسنا في المحور الأول (مفهوم الأخلاق البيولوجية بصورة عامة) ، أما المحور الثاني ، فقد عرض (الأخلاق البيولوجية عند هابرماس) ، وقد عني المحور الثالث بـ (أثر التجربة البيولوجية على الإنسان) ، أما المحور الرابع فقد عنون بـ (أبرز الصعوبات التي واجهت الأخلاق البيولوجية في ظل جائحة كورونا) .

الأخلاق البيولوجية عند هابرماس في ظل جائحة كورونا

عند النظر في موضوع الأخلاق البيولوجية عند هابرماس في ظل جائحة كورونا ، أو ما تسمى بالأخلاق الطبية ، تتبادر في ذهن الباحث مجموعة من الأسئلة أبرزها : ما المقصود بالأخلاق البيولوجية ؟ كيف فسر هابرماس هذا المعنى ؟ ما هو أثر التجربة البيولوجية على الإنسان حسب رأي هابرماس؟ وما الصعوبات التي واجهتها الأخلاق البيولوجية في ظل جائحة كورونا عند هابرماس؟

المحور الأول: مفهوم الأخلاق البيولوجية ؟

لقد شهد القرن الحادي والعشرين ثورة هائلة في مجال العلوم البيولوجية والتقنيات الحيوية وتطبيقاتها، إذ من المتوقع أن يكون لهذه التطبيقات أثر اقتصادي واجتماعي كبير على كافة أوجه الحياة في معظم مجتمعات العالم (1)، وهذا يمكن تفسيره بأن الثورة البيولوجية متسلحة بالمعرفة والتكنولوجيا الأحيائية الذي تسعى في الواقع صنع مجتمعا جديداً ، ويكون الإنسان المعاصر فيها بحاجة إلى خيال عندما يواجه ثورة (2)، و تكون هذه الثورة في العلوم البيولوجية هي التي خطفت الأنظار عن علماء الفيزياء وحولتها إلى علماء البيولوجية في الوقت الحالي وربما في المستقبل _ على سبيل المثال التطورات الأخيرة في علوم الحياة كالاستنساخ- وغيرها من الطفرات التي تشير إلى قدرة هذه العلوم الذي لا يقتصر على الصعود بعلوم البيولوجية إلى مركز الصدارة فحسب، بل يمتد إلى ما هو أكبر وأخطر من ذلك بكثير إلى حدود تصل إلى صعوبة التمييز بين العلم والخيال (3).

الأخلاق البيولوجية أو ما يسمى (البيواتيقا) وهو مصطلح حديث النشأة يتكون من مقطعين إثنين هما: أخلاق وحياة وقد تم تحديده أول مرة على يد العالم الأمريكي (بوتر) ويعني به استخدام العلوم البيولوجية من أجل تحسين صفة الحياة (4).

البيولوجية هو علم يعنى بالدراسة العلمية للحياة ، إذ يعد من أكثر العلوم أثارتاً لهذا العصر حيث أستطعنا من خلاله -على سبيل المثال - أن نقترّب من فهم كيف يمكن لخلية مجهرية واحدة أن تتطور إلى نبات أو حيوان معقد ، وكيف تستطيع النباتات تحويل الطاقة الشمسية إلى الطاقة الكيميائية في الطعام، وكيف يعمل العقل البشري ... ألخ (5).

أما البيولوجية الاجتماعية "هي تفسير تبسيطي حتمي بيولوجي للوجود البشري. وأتباعها يدعون أولاً ، أن تفاصيل التنظيمات الاجتماعية الحالية والماضية هي مظاهر محتومة لمفعول خاص للجينات. ثانياً ، إن الجينات التي تقع في الأساس من المجتمع البشري تم اختيارها هي بعينها أثناء التطور لأن ما تحتّمه من صفات ، ينتج منه لياقة تكاثرية أعلى في الأفراد الحاملين لها." (6).

ونظر إلى أخلاقيات علم الأحياء بأنها ليست أخلاقيات مهنة العالم البيولوجي فقط بل هي أيضاً أخلاقيات التطبيقات الطبية ، لأن التطبيقات الطبية التي تخص ميدان علم الأحياء وعالم الموروثات تطرح اليوم قضايا أخلاقية من نوع آخر- على سبيل المثال ميدان الإنجاب والنسل (الجنس)، و الوراثة، و العقل والذكاء (الحياة والموت) ... ألخ (7).

المحور الثاني: الأخلاق البيولوجية عند هابرماس

لقد تطرق هابرماس إلى مفهوم الأخلاق البيولوجية من جانب تقني إذ يقول بأن "التقنية البيولوجية تسهم في النشاط الذاتي لمادة بناء فاعلة، وفي النظام البيولوجي الذي يعمل بشكل طبيعي والذي يجب أن ندمج فيه محددات جديدة ... يأخذ الفعل التقني شكل التدخل، لا شكل البناء" (8).

عبر هابرماس من خلال هذا المفهوم (مفهوم الأخلاق البيولوجية) عن مجموعة من النقاط تعد مشاعر أخلاقية أهمها (9) :

1-... الحاجة إلى تنظيم التقنية الجينية قد وصلني عبر السؤال عن معرفة الدلالة التي تترتب عن عدم اقتدارنا على الحصول على أسس جينية تتحكم بوجودنا الجسدي من أجل قيادة حياتنا الشخصية والطريقة التي نتفهم بها أنفسنا بوصفنا كائنات أخلاقية .

2- إن الحجج المعروفة والمستعارة من النقاش حول الإجهاض هي حجج تسدد بنظري النقاش نحو الاتجاه السيء .

3- التلاعب التلاعب الجيني يرتبط بمسائل هوية النوع ، والتي يشكل من خلالها الفهم الذي يكونه الإنسان عن نفسه باعتباره كائناً ذا ماهية جنسية، السياق الذي تنتظم فيه تمثلاتنا القانونية والأخلاقية .

4- معرفة دخول التطور التبسيطي الذي تمارسه التقنية البيولوجية على تميزات عادية بين ما ينمو طبيعياً وما هو مصنع ، بين الذاتي والموضوعي ، كيف يطور ذلك معرفتنا لذاتنا حتى الآن من زاوية أخلاقية الجنس البشري .

5- أن البحث (الاستهلاكي) في الأجنة وتشخيص ما قبل الزرع يثيران ردود فعل قوية إذ يعتبران بمثابة تمثيل الخطر المائل في النسالة الليبرالية التي صارت على أبوابنا .

حيث يرى هابرماس أن هذه التقنية تتداخل مع البيولوجية قد تنتج (البيوتيقيا) ، والتي بدورها تنتج إشكالية الأخلاق المصنعة (البيوتيقيا) ، لتدخل في طبيعة الإنسان وتحديد معالمها (10)، وهذا ما أكدته في كتابه مستقبل الطبيعة الإنسانية إذ يقول "يعمل التدخل البيوتقني ، بحلولة مكان العلاج العيادي ، على كسر هذا (التطابق) مع الكائنات الحية الأخرى . بكل الأحوال، فإن نمط التدخل البيوتقني يتميز عن تدخل المهندس التقني عبر علاقة "مشاركة أو -ترميم) - مع طبيعة صارت جاهزة : "بمحضور مادة لا حياة فيها ، فإن الذي يفبرك سيكون الوحيد الفاعل تجاه مادة بناء سلبية: النشاط يلتقي النشاط بمحضور الأجسام" (11).

نرى أن هابرماس قد نظر إلى التقنية البيولوجية من عدة جوانب وقد بينها في كتابه "مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو النسالة الليبرالية " أبرزها (12) :

- أ- التدخل الوراثي قد تم بواسطة شخص ثالث وليس بواسطة الشخص بالذات
- ب- أن الشخص المعني يطلع استرجاعياً على التدخل الذي تعرض له قبل ولادته .
- ج- وهو يفهم نفسه كشخص ، عدلت سماته الخاصة ، لكنه ظل متماهياً مع نفسه لأنه قادر على اتخاذ موقف افتراضي تجاه التدخل الوراثي
- د- وبالمقابل، فهو يرفض أن يتملك، بما يعتبر (جزءاً من شخصيته) ، التعديلات الوراثية التي كان هو موضوعها.

وهناك رأي خاص لهايرماس يتعلق بالوراثة إذ انه انتقد البرنامج الوراثي بكونه "حقيقة خرساء" لا تحتمل أي جواب؛ وبالفعل أن من يحتج على نوايا محددة وراثياً لا يستطيع أن يتعلق بمواهبه (أو بمعيقاته) بالطريقة التي يقوم بها الشخص الذي ولد بشكل طبيعي ، والذي يستطيع بعد تاريخ حياة حصل عليها بالتأمل وأعطائها تواصلًا حرًا ، أن يعود إلى الفهم الذي كونه عن نفسه وأن يجد جواباً منتجاً لموقفه الأولي. أن موقف الشخص المبرمج ليشبه موقف المستنسخ والذي بنظرة مقبولة إلى الشخص وإلى سيرورة (التوأم) الزائج، حرم من مستقبل غير مسدود يكون خاصاً به "⁽¹³⁾. بمعنى آخر فقد نظر هايرماس للوراثة بوصفها حقيقة ثابتة لا يستطيع الفرد تغييرها كونها تمثل عملية استنساخ لما يحملها الأهل من صفات أو جينات .

الخور الثالث: أثر التجربة البيولوجية على الإنسان

للتجربة البيولوجية على الإنسان أثراً كبيراً كما يرى هايرماس ، ونستطيع أن نلتمس ذلك من خلال

عدة جوانب :-

الجانب الأول : التدخل البيوتي الذي يسعى إلى توفير العلاج الجسدي ، والذي يتغي منه إطالة عمر الإنسان أو المحافظة على سلامة أعضائه البشرية (14). وهذا ما يؤكد هايرماس في كتابه "مستقبل الطبيعة الإنسانية" إذ يقول "يعمل التدخل البيوتي، بحلوله مكان العلاج العيادي، على كسر هذا التطابق مع الكائنات الحية الأخرى ... إذا كان كان التدخل الطبي محكوماً بهدف عيادي علاجي ، سواء تعلق الأمر بمعالجة مرض أو ضمان حياة بصحة سليمة على سبيل الاحتياط ، فإن المعالج قد يفترض أنه قد حصل على موافقة المريض المعالج احترازياً"⁽¹⁵⁾ .

الجانب الثاني: الإجهاض ويغد من المسائل التي أثارت نقاش واسع فيحدث الإقبال على هذا الفعل نتيجة أثر رغبة الزوجين في أن يكون لهما ولد ذكر، وبالتالي العمل على إجهاض أجنة البنائة، وقد استطاع العلم اليوم تهيأت إمكانية معرفة نوع الجنين وهو في مراحله الأولى أكان ذكر، أم أنثى، إذ ينتشر هذا النوع من الإجهاض داخل المجتمعات التي تعمل على تحديد النسل كالمجتمعات الآسيوية التي تشهد نمو ديموغرافي متزايد⁽¹⁶⁾.

يرى هايرماس أن الطب الأنسالي استطاع "تحديد النسل من خلال استخدام وسائل تشخيص ما قبل الولادة منذ العام 1978 من خلال استخدام التلقيح الاصطناعي في المختبر لبويضة ولحويين السائل

المنوي قد أتاح خلايا الأرومة البشرية أن تكون خارج جسم المرأة عرضة للأبحاث وللتجارب الوراثية. ومنذ ذلك الوقت قاد (الإنسال المراعي طبياً) لممارسات تتعدى ، بطريقة مدهشة ، العلاقات ما بين الأجيال، والعلاقة المألوفة ، بين القرابة الاجتماعية والجيل البيولوجي " (17).

وقد إفاد الناس من تشخيص ما قبل الزرع للحصول على طفل سليم وتفادي إصابته بمرض معين فيقول هابرماس في هذا المجال أن " تشخيص ما قبل الزرع يسمح بإخضاع الجنين، وهو ما زال في مرحلة تكون من ثمان خلايا إلى إجراء اختياري وراثي تقديري، والتصرف هذا يجري لمصلحة الأهل الذين يتمنون تحاشي خطر وجود أمراض وراثية " (18). بمعنى آخر يقول هابرماس أن " اللجوء إلى تشخيص ما قبل الزرع هو مجرد ذاته لجوء مقبول أخلاقياً وقضائياً ، هذا إذا اقتصر تطبيقه على بعض الحالات المحددة في الأمراض الوراثية الصعبة والتي يتوقع إن لا تكون مقبولة من قبل الأشخاص المعنيين أنفسهم " (19).

إن ما يمنعنا عن تشريع التشخيص ما قبل الزرع يعود إلى أمرين (20):
الأول: إن تشخيص ما قبل الزرع يتعلق بإنتاج أجنة في ظل شرط معين كما يتعلق بطبيعة هذا الشرط بالذات.

الثاني : إن خلق موقف يحدث فيه عند الاقتضاء طرح جنين مشوه لهو موقف إشكالي يتماثل مع موقف يتم الاختيار فيه تبعاً لمعايير تقرر من جانب واحد.

الخوارج الرابع : أبرز الصعوبات التي واجهة الأخلاق البيولوجية في ظل جائحة كورونا

يتطرق هابرماس إلى أبرز الصعوبات الأخلاقية التي أثاره هذا الوباء هي :
أولاً: إن الخطر الذي يشكله عدم قدرة وحدات العناية المركزة على استقبال الأعداد الهائلة للمرضى في المستشفيات والذي أصبح واقع ملموس في إيطاليا (21) ، حيث يذكّرنا بسيناريوهات* طب الكوارث التي لا يتم اختبارها إلا في أوقات الحروب (22)، فضلاً عن استقبال الأعداد الهائلة من المرضى بحيث تعجز الوحدات الاستشفائية عن توفير العلاج الضروري لهم مما يضطر الطبيب حتمًا إلى اتخاذ قرار مأساوي، لأنه في جميع الحالات لا أخلاقي (23).

لذا يؤكد هابرماس من خلال كتابه "إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة" بالقول أن المعايير الأخلاقية ينبغي أن "تستحق اعترافاً شاملاً وذلك لجهة قدرتها على ربط إرادة المشمولين بهذه المعايير بطريقة عقلية، فعالم الأخلاق الذي نسعى لتحقيقه تبعاً... قاسمها المشترك الحرية والمساواة" (24).

ثانياً: إغراء انتهاك مبدأ المساواة: يتطرق هابرماس هنا إلى الطريقة التي ينشأ فيها أخلال في المعاملة بغض النظر عن الوضع الاجتماعي، أو الأصل، على سبيل المثال - نضحي بكبار السن من أجل إنقاذ حياة الشباب - (25) لأنه يرى بأنه حتى لو وافق المسنون على ذلك يحدوهم في ذلك حس أخلاقي قوامه نكران للذات يثير الإعجاب، فمن هو الطبيب الذي يسمح لنفسه بأن يقارن بين قيمة حياة شخص و قيمة حياة شخص آخر، و يقرر من يجب أن يموت؟ أي لا يستطيع التعامل مع استقلالية الشخص على هذا النحو، ولا يمكن أخذها في الاعتبار إلا انطلاقاً من منظور آخر، حين نكون وجهها لوجهها مع هذا الشخص (26).

ثالثاً: الأخلاقيات الطبية: كشفت الأخلاقيات الطبية عن توافقها مع الدستور إستجابة لمبدأ ليس ما يبرر (اختيار حياة إنسان بدل حياة إنسان آخر). وفي الحقيقة يملي الدستور على الطبيب الحالات الذي تسمح فقط في اتخاذ القرارات المساوية، أو أن يستند حصرياً على المؤشرات الطبية التي تؤيد فرص نجاح العلاج السريري المعني بنسبة كبيرة (27). وهذا ما حرص هابرماس حول الأزمات الأخلاقية والدستورية الذي تعترض الإجراءات الطبية وقراءته لها تأتي منسجمة مع (التدجين البشري) (28).

رابعاً:

أما فيما يخص البعد الأخلاقي لهذه الأزمة فقد شدد هابرماس على حيثيتين: الأولى: هي عدم المساس بالكرامة الإنسانية (29)، لذا فهابرماس يؤكد من خلال كتابه "مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية" إذ يقول أن "الحياة الإنسانية تستحق الكرامة رحم الأم، له علينا واجبات أخلاقية وقانونية علينا الالتزام بها، بالرغم من كونه غير حامل لحقوق الإنسان. إلا أنه وفي ظل مجتمعات تعددية تتوزع بين تفاسير غيبية للأشياء، وأخرى ذات طابع علمي، فإنه من الصعب الوصول إلى توافق أخلاقي؛ خصوصاً عندما يتعلق الأمر بمواضيع هي ما زالت محل نقاش ويستجد بها الجديد في كل وقت... " (30).

أما الثانية هي أن كل "شخص الحق في الحياة والسلامة الجسدية" ، حيث أمسكت الحيثية الأولى بما يسمى "الفرز" أما الحيثية الثانية فتعلقت باختيار الوقت المناسب لرفع الحجر(31).

الخاتمة :

بعد معرفة مفهوم الأخلاق البيولوجية عند هابرماس في ظل جائحة كورونا وأثرها في التواصل وما نجم عنها من تحولات كثيرة فيه نستطيع بعد هذا التمييز بيان بعض النقاط الأساسية في هذا البحث أبرزها:

- 1- أن الأخلاق البيولوجية تولد حكمة مرتبطة بكيفية استثمار المعرفة من أجل الخير الاجتماعي استناداً إلى معرفة واقعية بالطبيعة البيولوجية للإنسان وللعالم البيولوجي، أو قد يعني بما جسر إلى المستقبل.
- 2- أن هابرماس قد أنتقد التقنية البيولوجية التي تثير مشكلة أساسية وهي أن الإنسان المصنع بيوتيقياً، لا يحدد هويته بنفسه، وبمحض أرائته .

3- لقد عني هابرماس بالوراثة بوصفها حقيقة ثابتة لا يستطيع الفرد تغييرها كونها تمثل عملية استنساخ لما يحمله الأهل من صفات أو جينات.

4- لقد أستطاع هابرماس أن يكشف أثر جائحة كورونا في التواصل والنظر في المخاطر التي سببتها هذه الجائحة من انتهاكات لمبدأ المساواة ، أو قلة التجهيزات المناسبة لتغطية المرضى في ظل الأعداد الكثيرة والمتزايدة فيها .

الهوامش

1- ينظر، فياض ، حيام الدين ، هابرماس وثورة الجينوم فن التلاعب بالأجنة الأخلاقية، مقالة في النقد الاجتماعي ، 2016 ، ص1 .

2- ينظر : الحفار ، سعيد محمد، البيولوجيا ومصير الإنسان، عالم المعرفة، الكويت ، 1978 ، ص18

3- ينظر، فياض ، حيام الدين ، هابرماس وثورة الجينوم فن التلاعب بالأجنة الأخلاقية، ص1 .

4- ينظر: باحمد ، احمد، الأخلاق التطبيقية عند يورغن هابرماس، إنموذجاً، رسالة ماجستير - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، 2016 ، ص44 .

5- ينظر: مدخل إلى علم الحياة، ص2.

https://au.edu.sy/images/courses/medicine/1-1/16_biology.pdf

6- روز، ستيفن، وآخرين ، علم الأحياء والأيدولوجيا والطبيعة البشرية، ت: مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة ، الكويت ، 1978 ، ص279 .

- 7- ينظر: الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص 65 .
- 8 هابرماس، يورغن، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ت: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، 2006. ص 81 .
- 9 المصدر نفسه، ص 52-53 .
- 10 ينظر:المحمداوي، علي عبود، الأشكالية السياسية للحدثة (من فلسفة الذات الى فلسفة الاتصال)، ط1، منشورات الضفاف، بغداد، 2015، ص 175 .
- 11 هابرماس، يورغن، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 81 .
- 12 هابرماس، يورغن، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 136 .
- 13 المصدر نفسه، ص 105 .
- 14 ينظر:المحمداوي، علي عبود، الأشكالية السياسية للحدثة (من فلسفة الذات الى فلسفة الاتصال)، ص 177 .
- 15 هابرماس، يورغن، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 84 .
- 16 ينظر:بأحمد، احمد، الأخلاق التطبيقية عند يورغن هابرماس، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، 2016، ص 58 .
- 17 هابرماس، يورغن، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 25 .
- 18 المصدر نفسه، ص 46 .
- 19 هابرماس، يورغن، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 48 .
- 20 ينظر: المصدر نفسه، ص 112-113 .
- 21 ينظر: هابرماس، يورغن، كورونا تفرض علينا الكافح من أجل إلغاء النيوليبرالية. الأفتتاحية مجلة المرصد 1 ماي 2020.
- * السيناريوهات التي نتناول هي ما بين أدب الخيال العلمي والصفحات العلمية في الصحف اليومية. وهكذا نجد أنفسنا في مواجهة مع كتبه مقالات- لا مع كتب خيال- يقدمون لنا إنسانا يصر إلى تكميله بزرع البراغيث الإلكترونية، أو خلافاً لذلك إنساناً يرى نفسه مسبقاً باستمرار بروبات أكثر ذكاء منه. ينظر هابرماس، يورغن، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 77 .
- 22 ينظر: هابرماس، يورغن: الديمقراطية الآن في خطر، الترجمة عن الإيطالية: وائل فاروق باحث وأكاديمي مصري، نشر في صحيفة "لا ريبوبليكا" الإيطالية في الـ 12 من أبريل 2020.
- 23 ينظر: هابرماس، يورغن، كورونا تفرض علينا الكافح من أجل إلغاء النيوليبرالية، ينظر أيضاً: الخويلدي، زهير، كورونا فلسفة اوربا يورغن هابرماس، نشرته صحيفة العالم الفرنسية، https://www.lemonde.fr/idees/article/2020/04/10/jurgen-habermas-dans-cette-crise-il-nous-faut-agir-dans-le-savoir-explicite-de-notre-non-savoir_6036178_3232.html
- 24 هابرماس، يورغن، أتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ت: عمر مهيب منشورات الأختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 64.

- 25 ينظر أيضاً: الخويلدي ، زهير ، كورونا فلسفة اوربا يورغن هابرماس ، ينظر أيضاً: يورغن هابرماس: الديمقراطية الآن في خطر
- 26 ينظر: لومند ، يورغن هابرماس، جائحة كورونا تكشف محدودية معرفتنا ، مجلة الحكمة ، وصحيفة فرانفور روند شاو.
- 27 ينظر: هابرماس، يورغن: كورونا تفرض علينا الكفاح من أجل إلغاء النيوليبرالية.
- 28 الشقيران ،فهد سليمان ،هابرماس والوباء.. تحديات سياسية وأخلاقية، كاتب وباحث سعودي ، 23 / 2020 / الشرق الأوسط.
- 29 ينظر يورغن هابرماس: جائحة كورونا تكشف محدودية معرفتنا، ينظر أيضاً: يورغن هابرماس: الديمقراطية الآن في خطر، ينظر أيضاً: الخويلدي ، زهير كورونا فلسفة اوربا يورغن هابرماس الاخلاق.
- 30 هابرماس ، يورغن ، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، ص 68 .
- 31 ينظر: لومند ، يورغن هابرماس جائحة كورونا تكشف محدودية معرفتنا، ينظر أيضاً : يورغن هابرماس الديمقراطية الآن في خطر، ينظر أيضاً: الخويلدي ، زهير كورونا فلسفة اوربا يورغن هابرماس الاخلاق.

المصادر

- 1-باحمد ، احمد، الأخلاق التطبيقية عند يورغن هابرماس، إنموذجاً رسالة ماجستير - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية , جامعة أبي بكر بلقايد ، 2016.
- الحفار ، سعيد محمد، البيولوجيا ومصير الإنسان، عالم المعرفة، الكويت ، 21978
- 3الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان.
- 4الخويلدي ، زهير ، كورونا فلسفة اوربا يورغن هابرماس ، نشرته صحيفة العالم الفرنسية، https://www.lemonde.fr/idees/article/2020/04/10/jurgen-habermas-dans-cette-crise-il-nous-faut-agir-dans-le-savoir-explicite-de-notre-non-savoir_6036178_3232.html.
- 5 روز، ستيفن، وآخرين ، علم الأحياء والأيدولوجيا والطبيعة البشرية، ت: مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة ، الكويت ، 1978.
- 6 الشقيران ،فهد سليمان ،هابرماس والوباء.. تحديات سياسية وأخلاقية، كاتب وباحث سعودي ، 23 / 2020 / الشرق الأوسط.
- 7 فياض ، حيام الدين ، هابرماس وثورة الجينوم فن التلاعب بالأجنة الأخلاقية، مقالة في النقد الاجتماعي ، 2016.
- 8 لومند ، يورغن هابرماس، جائحة كورونا تكشف محدودية معرفتنا ، مجلة الحكمة ، وصحيفة فرانفور روند شاو.

-
- 9 المحمداوي ، علي عبود ، الأشكالية السياسية للحدثة (من فلسفة الذات الى فلسفة الاتصال)
ط1، منشورات الضفاف، بغداد ، 2015.
- مدخل إلى علم الحياة. جامعة الاندلس الخاصة للعلوم الطبية ، محاضرة أولى. 10
https://au.edu.sy/images/courses/medicine/1-1/16_biology.pdf
- 11 هابرماس ، يورغن ، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية ،ت: جورج كتورة،
المكتبة الشرقية ، بيروت ، ط1، 2006.
- 12 هابرماس، يورغن ، أتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، ت: عمر مهيب منشورات الأختلاف
، الجزائر، ط1، 2010.
- 13 هابرماس ، يورغن ، كورونا تفرض علينا الكافح من أجل إلغاء النيولبيرالية. الأفتتاحية
مجلة المرصد 1 ماي 2020.
- 14 هابرماس، يورغن: الديمقراطية الآن في خطر، الترجمة عن الإيطالية: وائل فاروق
باحث وأكاديمي مصري، نشر في صحيفة "لا ريبوبليكا" الإيطالية في الـ12 من أبريل 2020.

**La sociologie clinique du vêtement religieux
chez les jeunes étudiantes algériennes**
Boulahdour Nassima /Doctorante en sociologie religieuse
Laboratoire Religion et Société
Université Alger -2- Saad Allah Abou ElKacem/ Algeria
boulahdour_nassima@yahoo.fr

Date de dépôt: 31/10/2020, Date d'arbitrage: 07/11/2020, Date de publication: 15/11/2020

Résumé :

Ce papier scientifique, met en exergue quelques cas, d'actrices jeunes universitaires, qui illustrent le vêtement religieux, dans une optique socio - clinique, pour appréhender les déterminismes socio- psychiques mis en œuvre dans le port de ce vêtement , qui leur donne un sens à leur existence.

Tout ceci sera clarifié à partir de quelques entretiens, des actrices entretenues à l'université des sciences sociales et humaines, Alger -2- .

Mots clés : vêtement religieux, sociologie clinique.

The clinical sociology of the religious clothing of the young students
Boulahdour Nassima/ PhD student of religious sociology / Laboratory
Religion and Society
University Algiers -2- Saad Allah Abou El Kacem / Algeria
boulahdour_nassima@yahoo.fr

Abstract :

This scientific paper , highlight, some cases of young actors students, which illustrate religious clothing, in the Clinical sociology optic , to apprehend the determinisms socio psychic , implemented . in the wearing of this clothing , which give them a sense of their existence .

All this, will be clarified from a few interviews of the actors , at the university of the social sciences and humanities Algiers -2-

Key words : religious clothing , clinical sociology

Introduction :

Le vêtement a connu des évolutions, dans l'histoire des humains , ainsi , il véhicule une histoire archaïque ancienne , qui date depuis la nuit des temps, dont les livres monothéistes l'ont évoqué , et qui prônent que l'apparition du vêtement , s'est manifestée lors de l'infraction de Adam et Eve (Hawwa) , ont commis un pécher, quand ils ont cueillis de l'arbre qui leur a été interdit

, puis ont eu honte quand ils ont découvert leur organes sexuels , et se sont couvert par des feuilles pour les cacher., et de là le vêtement a pris son émergence , est considéré comme le premier objet de pudeur et beauté dans la vie sociale .

Le vêtement est une action sociale, qui prend différentes connotations (sociales, culturelles, religieuses, idéologiques, esthétiques), dans le monde d'une manière générale, et l'Algérie en particulier.

Le vêtement est envisagé comme un masque social qui identifie les appartenances des acteurs, ainsi le paraître à polarisé toutes les classes de la société , qui contribue dans la construction de notre identité , émanant un langage latent de la séduction , la pudeur , et la protection contre le froid .Ce faisant , le vêtement a une grande importance dans toutes les sociétés , comme l'a montré **Levi Strauss** , peu nombreuses les personnes qui ne portent pas de vêtements dans les sociétés . Du coup, avec l'avènement de la modernité et le capitalisme, le monde de la mode a envahi tous les styles fantasmés ou rêvés , sachant que le capitalisme porte beaucoup d'attention au paraître à l'aspect extérieur , qui reflète et identifie les idéologies d'une institution bien précise . Ainsi , certains jeunes , deviennent soucieux de leurs apparences , et s'orientent vers des vêtements à allure occidentale et d'autres sont attirés par des vêtements à allure religieuse traditionnelle .

Par ailleurs, la jeunesse est une période fatidique, de la vie , où Le jeune tente de se créer sa propre identité à travers un style de vêtement , pour essayer d'exister sans ses parents , il va plutôt choisir un look , qui convient à ses désirs et buts . Pareillement, le jeune est confronté , à plusieurs styles vestimentaires (modernes / traditionnel) , pour les mettre en œuvre se trouve hésitant , à se plonger dans un style vestimentaire , qui obéit aux exigences parentales et pour se faire accepter par le groupe , et quand ce jeune acteur dévie le surmoi parental , des conflits qui surgissent entre les parents et les jeunes, notamment, quand il s'agit de la gente féminine qui représente le symbole d'honneur de la famille , ainsi la fille est souvent dirigée et orientée, vers le vêtement traditionnel, qui en dit long. Et, dans, ce même contexte **Bouguessa kamel** , nous confirme que : le milieu conservateur est représenté par l'autorité parentale, quant au milieu ouvert, se matérialise dans l'université [1].

le vêtement religieux , connote des signes et codes religieux , et une appartenance dogmatique bien précise, et parfois cette religiosité , n'est autre qu'un moyen ou mode chez les jeunes étudiantes , dans l'espace universitaire , qui est considéré comme une station importante pour esquisser leur avenir

socioéconomique et construire leurs différents projets de la vie , ainsi le monde universitaire devient une nouvelle socialisation , et un espace richement interactionnel , et un carrefour , qui comprend des étudiants dans leurs différents habitus et leurs différentes mentalités , venus des quatre coins du pays , avec la rencontre de la gente masculine , d'où le tissage de nouvelles relations portant et véhiculant des valeurs convergentes et divergentes , semblables et différentes , aux siennes , ainsi la jeune actrice , dévoile un désir d'exister , avec une manière de s'habiller , pour réaliser éventuellement son projet d'avenir , elle suscite le désir des jeunes , à la conquête d'un futur mari, comme le font certaines filles de leurs âges, enveloppées dans des vêtements occidentaux.

Compte tenu de ce qui précède , on ne peut énoncer, les entretiens des acteurs, sans se retourner succinctement à la notion du vêtement, et celle de la sociologie clinique , telles qu'elles ont été clarifiées par certains auteurs , dans les sciences sociales ,

La notion de la sociologie clinique :

la sociologie clinique emprunte à la notion de clinique l'idée de la proximité aux individus. Ce que nous entendons par sociologie clinique c'est une façon de produire de la connaissance sociologique avec des sujets et des acteurs sociaux, dans un rapport de proximité et d'implication entre chercheurs et acteurs sociaux [2].

Selon la sociologie clinique, les phénomènes sociaux ne peuvent être appréhendés "totalemt" que si l'on y intègre la façon dont les individus les vivent, se les représentent, les assimilent et contribuent à les reproduire. Elle se veut à l'écoute du sujet, proche du réel dans ses registres affectif et existentiel, attentive aux enjeux inconscients individuels et collectifs [3] ..

La notion du vêtement :

Le sociologue **Maatouk Djamel** sociologue , nous rapporte , les fonctions latentes du port du vêtement , dans son article intitulé , lecture dans le vêtement de la femme [4] : le vêtement est considéré comme un moyen et une stratégie , dont les filles ont recours , pour se marier , également , il est exploité comme un outil d'oppression et de violence , pour satisfaire les désirs de l'homme , à partir du vêtement provoquant .

En effet , certaines filles ont recours au port du vêtement religieux , pour donner une bonne impression envers les autres ., et d'autres ont ôté leur vêtement religieux , pour se mettre en tenue provoquante , pour captiver un futur mari , mais le port de vêtement pour attirer l'attention des autres , s'oppose dans les religions monothéistes , qui imposent la pudeur , devant

les étrangers,. Et tout cela montre, que le vêtement religieux à exister dans toutes les religions monothéistes (judaïsme , christianisme, Islam) , d'où la femme couvrait ses cheveux .

Quant à **Paul schilder** , psychanalyste, estime que le vêtement est un prolongement de l'image corporelle [5] : il suffit qu'elle porte n'importe quel vêtement , elle s'incorpore directement dans l'image corporelle de l'individu , et se remplit de libido et de narcissisme. . Donc les représentations et idées , que le sujet a de son corps ou son soi , se complète une fois il porte le vêtement , ainsi son image de l'habit s'incorpore avec son image corporelle qui lui donne un gout particulier , il ressent de la valeur, la joie , et la vie à travers la personne , dans laquelle ,il investit son narcissisme, d'où le vêtement n'est qu'un prolongement inconscient de son image corporelle [6], par conséquent , il nous donne une image particulière , qui a des connotations profondes dans l'investissement psychique .

Dans ce modeste papier scientifique, on voudrait démystifier, le voile qui se cache derrière le vêtement religieux, chez les jeunes étudiantes algériennes, dans une perspective socio clinique ? et quels sont les déterminismes socio psychiques mis en jeux ?.

Méthodologie :

Nous avons adopté ,dans cette recherche , la **démarche clinique** , pour comprendre le phénomène « vêtement religieux chez les jeunes étudiantes » , et nous avons également utilisé deux(2) **techniques** pour collecter les données. . **L'observation simple** et **l'entretien semi directif**.

Nous présenterons ce qui suit la résultante des (03) entretiens, dont on a relevé les points saillants , qui font objet de notre recherche , suivie d'une discussion , appartenant aux actrices étudiantes, qui illustrent la problématique du vêtement religieux, et ont été effectués à l'université des sciences sociales et humaines, Alger-2-., en 5 novembre 2020.

Résultante des trois (3) entretiens :

On a retenu succinctement , que les trois actrices , sont âgées respectivement de 17à19ans, issues de familles conservatrices religieuses, étudiantes en sciences sociales, à l'université d'alger2 , dont les milieux socioéconomique sont moyens, les trois(3)étudiantes, habillées en vêtement religieux ,plutôt moderne (pantalon jean slim, longue liquette, foulard tombant au niveau de la taille ,baskets) , ayant porté le vêtement religieux , juste après l'obtention du Bac , elles sont copines depuis le lycée, habitant dans des quartiers différents .

Discussion :

le vêtement religieux des jeunes étudiantes entretenues , en quête d'une identité stable, à la recherche d'un contenant protecteur , pour réaliser ses rêves, et ce vêtement leur donne un sens à leurs vies. Ainsi, elles atteignent leurs objectifs, dans un nouvel espace social, qui devient une nouvelle socialisation, qui contient des étudiants qui partagent les mêmes habits, pour appartenir à un groupe, et ne soient pas jetés , de la part des étudiants de la même génération,

On a pu retenir que le vêtement religieux est une étape importante de leurs socialisations , car il leur permet , d'avoir confiance en soi , et pour séduire implicitement ,les jeunes , ainsi ,elles donnent une bonne impression, qui décrypte la chasteté, la fierté et l'honneur de famille .Par la suite , il devient un moyen pour acquérir un statut social (mariage), vu le nombre élevé des célibataires dans le pays , une problématique , qui honte certaines jeunes filles, d'où ça devient une obsession à concrétiser ,vivement .

Elles nous montre , qu'elles ont adopté de nouvelles pratiques de tenues vestimentaires , juste après l'obtention du Bac , se sont orientées vers le look religieux qui inspire l'éthique islamique , étant donné que l'université constitue un espace de construction identitaire, et un vecteur d'interaction et de sociabilité , elle donne aux étudiantes l'opportunité de s'épanouir , par différents moyens , ainsi les jeunes cherchent à se ressembler les uns les autres et n'osent revendiquer leurs différences de peur d'être rejetés , une des actrices nous le confirme par :

"لوما لبست الحجاب مثل صديقاتي , أكيد كانوا تخلو عني , بالنسبة لي الصداقة تضحية في كل شيء , .. بالرغم أنني التقيت بعض المشاكل مع عائلتي , عندما ارتديت الحجاب .. المهم عندما ارتديته شعرت بالافتخار , لأنني كنت أشتم من طرف بعض الشباب , عندما كنت البس الموضةأحس أنني احافظ على صورة أجدادي و عائلتي ..."

Dans ce même contexte, une autre actrice, qui nous rajoute que la culture religieuse, l'a motivé à porter le Hidjab :

"أضن اللباس الديني الشرعي الصحيح شعار المسلمة لأن الجوهر يتبعه المظهر و هو ما يميزني خارجيا عن بقية النساء من الأديان الأخرى . فلبسته عند دخولي لأني وجدت أنه الوقت المناسب لي لأن أستتر نفسي وكذلك حثني أبي على لباسه , في الأول و بحكم لم أكن أعرف ديني جيدا لم أفهم لزوم لبسه و مع ذلك ارتديته و مع الوقت و أنا أطلع و أسمع الحكمة منه في القرآن أحببته و تقبلته و فهمت الضرورة منه..."

Quant à la dernière actrice, nous révèle, que le vêtement religieux, en outre de sa dimension religieuse, il est également une tradition familiale qui doit s'exécuter, quand la fille rentre à l'université, un code permettant aux jeunes de se reconnaître entre eux, et leur facilite d'acquérir un futur mari, en fin de cursus universitaire, elle souligne par :

« ارتداء الحجاب الشرعي و حتى العصري يساعدان على الزواج, فبتالي تكون لي فرص الزواج ...
.. كما انه يدل على انني انتمي إلى عائلة محترمة , واني عفيفة , ففريقي الدينية لم تسمح لي أن ارتدي
اللباس الغربي , في تقاليد عالتني , الطفلة عندما تدخل الجامعة الحجاب يصبح واجب عليها ...

Conclusion :

Les jeunes étudiantes entretenues, nous montre, qu'elles ont adopté de nouvelles pratiques de tenues vestimentaires, juste après l'obtention du Bac, se sont orientées vers le look religieux, étant donné que l'université constitue un espace de construction identitaire dans la société moderne, ainsi, les actrices donnent un sens socio psychique pour l'habit qu'elles portent.

Les actrices sont encore très fragiles, suivre le « style religieux » leur permet de rentrer dans le moule , les jeunes cherchent à se ressembler les uns les autres et n'osent revendiquer leurs différences de peur d'être rejetés , il sert de rapprocher des autres pour former un groupe de pairs , en s'habillant comme son copine , la jeune étudiante choisit l'autre comme groupe identitaire ., c'est donc un indicateur psychosocial, il est aussi un code une source d'information pour autrui puisque c'est la 1ere chose qu'il voit .

En somme, la manière de s'habiller dépend d'un habitus déterminé par le groupe, auquel elles appartiennent, il est aussi une projection des considérations du passé sur le présent .

Le vêtement religieux, leur donne, , un sens à leur existence, résultant de leurs trajectoires socio psychique , et ceci, se traduit par l'expression de Vincent de Gaulejac : « l'individu est le produit d'une histoire dont il cherche à devenir le sujet » [7] ..

Conséquemment, Le vêtement religieux des actrices présentées , nous a induit à comprendre que le sens donné à ce dernier, est inscrit dans un vécu socio psychique bien déterminé , qui défend l'honneur de la jeune fille , comme l'a indiqué **Chebel Malek** [8] . Ce faisant ,**Roche Daniel** dénote que l'histoire du vêtement , est une histoire sociale et culturelle, dont son désir est d'apparaître [9] , et il devient une condition d'accès aux filles , à l'université, pour certaines familles , connote un symbole de chasteté , et un

moteur véhiculant , le réservoirs culturel (traditionnel et religieux) , transgénérationnellement , qui se transmet par les schèmes inconscients collectifs hérités par les anciens .,ainsi le vêtement religieux est envisagée comme un objet fétiche pour ces jeunes étudiantes entretenues ..

Références Bibliographique :

- [1]- Bouguessa K ., 1987., réalité et problème de l'intégrations féminine en milieu universitaire , annales de l'université d'Alger ,opu , , n°1., 61p
[2]-<https://www.erudit.org/fr/revues/socsoc/2009-v41-n1-socsoc3338/037913ar.pdf> ., page consulté le 25/11/20
- [3]- https://fr.wikipedia.org/wiki/Sociologie_clinique ., page consulté le 28/11/20
- [4]- - معتوق ج ., 18 جانفي 2003 ., قراءة في لباس المرأة , جريدة الايام , العدد 24 ., جريدة الأيام , 29 ص
- [5]- Schilder P ., 1968., l'image du corps , Gallimard ,paris.,220 p
- [6] - بليسمي ر ., اختيار نمط اللباس , الأغلفة النفسية و الجسدية ., رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي ., كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية , قسم علم النفس و علوم التربية والأرطفونيا ., ص 22
- [7]- De Gaulejac. Et al ., 2012, La sociologie Clinique, enjeux théoriques et méthodologiques., Erés, France ,
- [8]- Chebel M ., 1995 ., l'esprit de Serail ., payot ., paris ., p118
- [9]- Roche D ., 1989 ., culture des apparences., Fayard ., paris .,p12

Bibliographie en langue française :

- 1-Bouguessa K ., 1987 réalité et problème de l'intégrations féminine en milieu universitaire , annales de l'université d'Alger ,opu , , n°1.,
- 2-Chebel M ., 1995 ., l'esprit de Serail ., payot ., paris .,
- 3-De Gaulejac. et al ., 2012, La sociologie Clinique, enjeux théoriques et méthodologiques., Erés, France ,
- 4- Roche D ., 1989 ., culture des apparences., Fayard ., paris .,
- 5-Schilder P ., 1968., l'image du corps , Gallimard ,paris.,

Bibliographie électronique

- 6- https://fr.wikipedia.org/wiki/Sociologie_clinique ,
- 7-<https://www.erudit.org/fr/revues/socsoc/2009-v41-n1-socsoc3338/037913ar.pdf> ,

Bibliographie en langue Arabe :

- 8- بليسمي ر ., 10/09 ., اختيار نمط اللباس , الأغلفة النفسية و الجسدية ., رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي ., كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية., قسم علم النفس و علوم التربية و الأرطفونيا .,
- 9- زوين ر ., 08/07 ., الحجاب بين الشرعية و الموضة ., رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع التربوي ., جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ., قسم علم الاجتماع.,
- معتوق ج ., 18 جانفي 2003 ., قراءة في لباس المرأة , جريدة الأيام , العدد 24 ., جريدة 10